العدد 8

كانون أول/ديسمبر 2020

شخصية العدد:
فؤاد شهاب الرئيس اللبناني الأكثر عروبة والأكثر إنجازا
بقلم:
الدكتورة نضال سليمان الامام

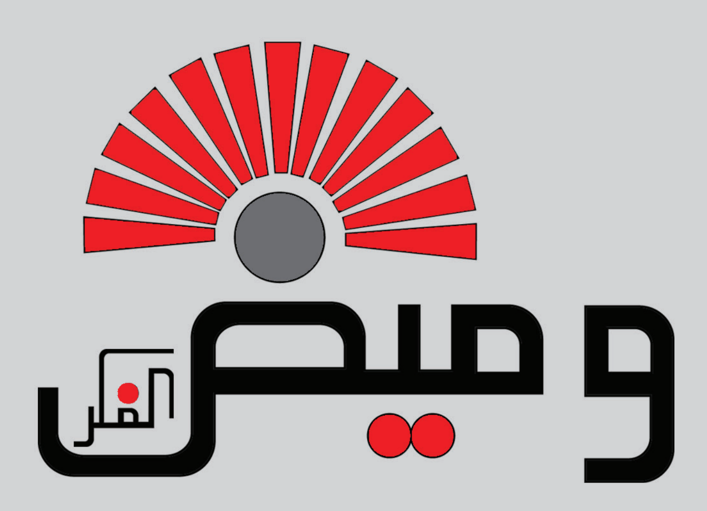
افتتاحية العدد:
أمريكا في أزمة نظام والانتخابات صبت زيتا على النار.
بقلم:
الدكتور مخائيل عوض

كتاب العدد:
قراءة في كتاب - "القيت السلاح" لريجينا صنيفر -امرأة في خضم الحرب اللبنانية
بقلم
الدكتورة علا آغا

محور العدد:
نساء عربيات رائدات:
المطربة نهاد حداد (الدكتورة فيروز) (فيروز أيقونة الغناء العربي)
بقلم
الدكتورة نضال سليمان الإمام

الابحاث الواردة في هذا العدد هي من أعمال مؤتمر بيروت الدولي للعلوم الانسانية والاجتماعية
"قراءات معرفية في العلوم الانسانية والاجتماعية"

شهادة رقم (504-2021)
معامل التأثير العربي
اتحاد الجامعات العربية
مجلة وميض الفكر للبحوث
ISSN: 2618-1312
قد حصلت على معامل التأثير العربي لعام 2020 وقدرة 1.35
الاستاذ الدكتور محمود عبد العاطي
مدير مشروع معامل التأثير العربي



مجلة ربع سنوية علمية محكمة

كلمة العدد:
بقلم رئيسة التحرير الدكتورة هيفاء سليمان الإمام

الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير
علم وخبر
/أ.د




شهادة رقم (2021-504)
معامل التأثير العربي
اتحاد الجامعات العربية
AArU
مجلة وميض الفكر للبحوث
ISSN: 2618-1312
قد حصلت على معامل التأثير العربى لعام 2020 وقدرة 1.35
الاستاذ الدكتور محمود عبد العاطى
مدير مشروع معامل التأثير العربى
AIF
Arab Impact Factor


وميض الفكر
مجلة ربع سنوية علمية محكمة

h_imamomais@hotmail.com
wameed.alfkr@gmail.com



التعريف:

هي مجلة علمية محكمة ربع سنوية تصدر عن الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير علم وخبر 1193/أ.د
وهي مرخصة من قبل وزارة الإعلام (بعد استشارة وموافقة نقابة الصحافة اللبنانية) تحت رقم 928
والمنشور في الجريدة الرسمية بقرار 475/2018،

حائزة على: الـ issn للطبعة الورقية رقم 2618-1312

وللنسخة الإلكترونية - e-copy رقم 2618-1320

IF: Ref.No: 2020 J101

DOI: 1018756/2020 J101

code ARCI-2007-1110

يرأس تحريرها: الدكتورة هيفاء سليمان الإمام

يعنى بنشرها وتوزيعها دار النهضة العربية -بيروت



دار النهضة العربية

مجلة « وميض الفكر» للبحوث
مجلة علمية محكمة ربع سنوية
(تخصص: تربية وعلوم إنسانية)
ربع سنوية
العدد الثامن كانون الأول 2020

هيئة الإدارة والتحرير

الاتصال والمراسلات:
هواتف المجلة: 009613691425
فاكس المجلة: 009618630280
الموقع الإلكتروني:www.wameedalfikr.info
البريد الإلكتروني:wameed.alfkr@gmail.com
البريد الإلكتروني لرئيسة التحرير : h_imamomais@hotmail.com
الإشتراكات: لبنان والدول العربية 100 $ سنوياً، باقي دول العالم 125 $ سنوياً.

فهرس المحتويات:

باب الأبحاث باللغات الأجنبية:

الهيئة العلمية المحكمة في هذا العدد:

رؤية المجلة:

تتطلع الهيئة العلمية المشرفة على مجلة وميض الفكر للبحوث التربوية والعلوم الإنسانية إلى أن تكون المجلة منصة أكاديمية للبحث العلمي المميز على مستوى الوطن العربي بحيث تساهم في تعزيز بيئة البحث العلمي بتنفيذ أكبر قدر من المشاريع والمتطلبات الأكاديمية للطلبة والباحثين، كما أنها تتطلع إلى الريادة في مجال البحث العلمي من خلال النمو المستمر بالأفكار والتطوير الذي لا يتحقق إلا من خلال نخبة من الباحثين والمهتمين بهذه المجالات.

هدف المجلة:

تهدف مجلة وميض الفكر للبحوث إلى توفير مرجعٍ علميّ وتلبية حاجة الباحثين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية في النشر العلمي خاصة في مجال التربية والعلوم الإنسانية.

فهرسة وأرشفة النتاج العلمي والمعرفي العربي في كبرى قواعد البيانات العلمية العالمية.

توفير عملية مراجعة ونشر سريعة وفعالة للأبحاث والأوراق العلمية.

قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر للبحوث:

على المحكم أن يقدم إلى إدارة المجلة تقريراً مفصلاً عن تقييمه للبحث المرسل إليه لتحكيمه ضمن المعايير المعتمدة في المجلة ويكون على الشكل التالي:

الصفحة الأولى:

التوجه إلى إدارة المجلة.

الموضوع.

المرجع.

اسم المحكم وصفته ودرجته العلمية.

التاريخ.

الصفحة الثانية:

عرض أهم نقاط البحث

الصفحة الثالثة:

الإجابة عن الأسئلة التالية:

هل موضوع البحث ينسجم مع تخصص الباحث؟

هل يعتبر البحث من البحوث المهمة في موضوعه؟

كيف يتم عرض البحث وكتابته ووضوحه؟

هل إشكالية البحث واضحة في عنوان البحث وفي مضمونه؟

ما هو منهج البحث الذي اعتمده الباحث؟

هل البحث يعتبر إسهاماً في مجال البحث العلمي الرصين؟

ما هو رأيك بنتائج البحث؟

ما هي حداثة المراجع وأهمية المصادر المعتمدة في البحث؟

الصفحة الأخيرة:

علامات التقييم:

ما هو تقييمك لجودة وعاء النشر وسعة انتشاره (المجلة)؟

هل يعتبر البحث أصيلاً؟

هل البحث صالح للنشر؟

قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث

ترحّب المجلة بنشر الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة ذات الصلة بالعلوم التربوية واللسانيات والأدب والنقد المقارن والدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماع والجغرافيا والفنون والتراث الشعبي والأنثروبولوجيا والآثار.

وتتصدى المجلة بالبحث الرصين والتحليل العلمي الموضوعي لأهم الظواهر التي تقع تحت مظلة العلوم التربوية والإنسانية.

أولاً: قواعد عامة:

تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية الأصيلة، وتقبل للنشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية أو الفرنسية التي لم يسبق نشرها، وفي حالة القبول يجب ألا تنشر المادة في أي دورية أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

تنشر المجلة الترجمات، والقراءات ومراجعات الكتب، والتقارير، والمتابعات العلمية حول المؤتمرات، والندوات، والنشاطات الأكاديمية المتصلة بحقول اختصاصها، كما ترحب بالمناقشات الموضوعية لما ينشر فيها، أو في غيرها من المجلات، والدوريات، ودوائر النشر العلمي.

ثانياً: الأبحاث أو المقالات:

ترسل البحوث مطبوعة مصححة بصورتها النهائية مدققة لغوياً على قرص ممغنط يتضمن البحث، والخلاصة باللغات العربية والإنجليزية أو العربية والفرنسية. ويمكن إرسالها عبر البريد الإلكتروني للمجلّة.

توجّه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة أو الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، لبنان – البقاع / شتورا.

يقدّم الأصل مطبوعاً على الحاسوب وذلك باستخدام نظام الـ Word 2003، مع الالتزام بنوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (size 14)، التباعد بين السطور (1 سم) على ألا تزيد عدد صفحاته على 20 صفحة مطبوعة (أو مكتوبة بخط واضح) مضبوطة ومراجعة بدقة، وترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول، والأشكال.

تطبع الجداول، والصور، واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

يذكر الباحث اسمه وجهة عمله وعنوانه الإلكتروني صورة له على ورقة مستقلة، ويجب إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يشير فيما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر، أو ندوة وأنه لم ينشر ضمن أعمال المؤتمر.

يمنح الباحث نسختين من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح أصحاب المناقشات، والمراجعات والتقارير، وملخصات الرسائل الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

يسدد الباحث رسماً رمزياً قيمته 100 دولار أميركي مقابل نشر البحث، أو يساهم في شراء وتوزيع خمس عشرة نسخة من العدد الوارد فيه بحثه.

ثالثاً: المصادر والحواشي:

يشار إلى جميع المصادر بأرقام الحواشي التي تنشر في أواخر البحث، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بحيث تتضمن:

اسم المؤلف، وتاريخ النشر، وعنوان الكتاب، أو المقال، واسم الناشر، أو المجلة، ومكان النشر إذا كان كتاباً، والمجلد، والعدد، وأرقام الصفحات إذا كان مقالاً.

يزود البحث بقائمة للمصادر منفصلة عن الحواشي، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

رابعاً: إجازة النشر:

يجري إبلاغ أصحاب المساهمات بتسلم المادة خلال شهر من تاريخ التسليم، مع إخبارهم بقبولها للنشر، أو عدم القبول بعد عرضها (في حالة البحوث) على محكمين، تختارهم المجلة على نحو سري، أو بعد عرضها على هيئة التحرير (في حالة المساهمات الأخرى)، وللمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية، أو شاملة على البحث قبل إجازته.

ملاحظة: إن الأفكار والآراء المطروحة والمتداولة في صفحات المجلة لا تعبر بالضرورة عن خيارات واتجاهات تتبناها المجلة، بل إنها تخص الكاتب وحده مع احترام حق الرد والرد عليه إن كان ذلك مناسباً.

كما أن المجلة لا تتحمل تبعات أي موقف قد يثير إشكالاً في مادة البحث، والباحث هو المسؤول عن كل ما يكتبه أمام القانون.

افتتاحية العدد:

أمريكا في أزمة نظام والانتخابات صبت زيتا على النار



بقلم الدكتور: ميخائيل عوض

كاتب وباحث في علوم المستقبل

com.hotmail@yaragroup

لم تشهد أمريكا سعارا وتوترات ولم تعش حالة رهاب في تاريخها منذ تأسست دولة نظام يطابق نظام الشركات وفي خدمتها على أشلاء ملايين البشر الذين أبادتهم واستوطنت جغرافيتهم جحافل المارقين والشواذ الذين طردتهم أوروبا باتجاه العالم الجديد لتتخلص من آثامهم.

دولة الشركات تم تصنيعها عنوة في محاولة يائسة لصناعة أمة مفتعلة وتقديمها نموذجا وقيمة ونمطا يجاوز ما ابتدعته الحياة البشرية على وجه البسيطة من خلال التطور التقليدي التراكمي وتحقيق خاصية الإنسان الاجتماعية بامتلاكه هوية اجتماعية نسجت وتنسج خيوطها على حقب زمنية تتراكم فيها عناصر الخير والأمان والتشاركية الاجتماعية لتأمين الحاجات المادية والروحية للبشر بصفتهم خلق الله الذين دعاهم في كتبه المقدسة للتفاعل والتعارف وليس للاحتراب وأفعال الإبادة المشينة.

نظام الشركات المحدودة المسؤولية والتي أعطيت ولايات أسماء للشركات التي اسستها «فرجينيا› وتوحدت بالعنف والبطش والإبادة في حرب اهلية قتلت الملايين إضافة لإبادة الأقوام الأصليين واستجلاب وإبادة ملايين السمر من القارة الإفريقية عاشت ما يقرب المائتي عام ونجحت في احتواء أزماتها وسيطرت على صراعاتها العميقة والمتشعبة عموديا وافقيا ليس بفعل ذكاء النموذج وقابليته للحياة وانما بفعل القوة والقهر والغزوات والحروب، فلم يسجل تاريخ البشرية أن افتعلت دولة حروبا بالقدر الذي افتعلته امريكا حتى نجحت في الهيمنة والتفرد وتعميم قيمها ونموذجها على البشرية وبطشت بل تصرفت بعنجهية وعدوانية موصوفة وغير مسبوقة....

إلا أن لله في خلقه شؤونا، فكل طير طار وارتفع بلغ ذروة ووقع، ومسارات الحياة وإرادة الخالق قررتا أن لكل نمرود بعوضة ولكل متجبر تفرعن موسى يضعه عند حده...

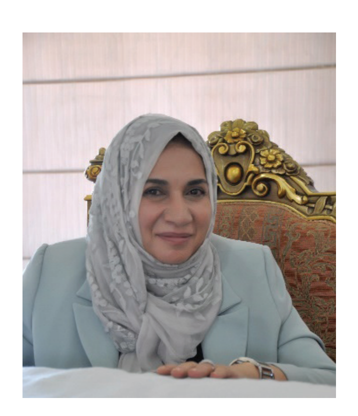
أمريكا في انتخابات الـ2000 كشفت عن انقسام عمودي إلى نصفين متساويين، فلم تحسم النتائج إلا بعد أشهر وبفارق بضعة أصوات وبقرار من المحكمة العليا. ومذّاك وهي تضطرب وتزداد أزماتها وتتعمق، حيث خسرت غزواتها وهزمت في حروبها وتكبدت ٨ تريليونات دولار في العراق، وأفغانستان فانفجرت أزمتها المالية 2008 وما زالت تتفاعل ولم تنجح محاولاتها بتغير لونها وانتداب أسود لأب إفريقي مسلم في ترميم مبنى نظامها المتقادم والمتداعي وحاولت ثانية بالعودة إلى روح أمريكا

الاستيطانية والقاتلة المتوحشة فجاءت بترامب للبيت الأبيض وسعرت تناقضاتها وصراعاتها الإثنية والعنصرية فضربتها جائحة الكورونا لتكشفَها كأسوأ نظام صحي واجتماعي وتفرض المزيد من الأزمات والتوترات وتفعل فعلها في الانتخابات الرئاسية 2020 التي أدخلت أمريكا في حقبة الفوضى والانشغال بالصراعات الداخلية وتصاعد نذر واحتمالات الفوضى المسلحة لتتحقق فيها مقولة طابخ السم آكله ومن حفر حفرة للعربية ولسورية وقع فيها...

أمريكا في حقبة الانحسار والأزمات والفوضى ولن يعود شبابها ولن تتغير الوقائعُ التي فرضت نفسها سواءٌ حسم الأمر لبايدن أو لترامب...

بايا بايا أمريكا سنفتقدك...

كلمة العدد:



بقلم رئيسة التحرير الدكتورة هيفاء سليمان الإمام.

h_imamomais@hotmail.com

حضرات قراء «مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة» أتمنى أن تكونوا بخير وصحة في هذه الظروف الصحية القاسية التي يمر بها العالم عامة ولبنان بشكل خاص، حيث عانى لبنان مصاعب من انهيارات اقتصادية قاسية جدا مضافة إلى فايروس كورونا الشرس رغم ضعفه، وفوق ذلك تأتي كارثة انفجار المرفأ في بيروت لتضع فوق الطين بلة، وتجعل من هذا البلد منطقة نكبة فريدة من نوعها في التاريخ، هذا ما طرح في الوسط الثقافي المتابع الكثير من التساؤلات: لماذا كل هذا؟ وما الذي يحصل؟ من يقف وراء كل هذا الخنق ؟ هل هو غضب الخالق؟ أم فساد متآمر؟ أم هو مخطط مخلوق مجرم معتوه تقوده مصالح غادرة طامعة في استعباد الشعوب وسلبها ثرواتها وحريتها وإدارة نفسها بنفسها؟ إنها أمريكا راعية الكيان الغاصب المتربع على قلوبنا والهمجي الذي يتحكم بالعالم أجمع. إنه الوحش الذي حانت نهايته لأن للباطل جولة.

من هنا كانت **افتتاحية العدد** الثامن من مجلتنا، بقلم الكاتب والمحلل السياسي والباحث في علوم المستقبل **الدكتور مخائيل عوض،** ليتحدث فيها عن قرب سيناريو انهيار هذا التغطرس من داخله، وقد سلط الضوء على أن دولة افتعلت حروبا بالقدر الذي افتعلته أمريكا حتى نجحت في الهيمنة والتفرد وتعميم قيمها ونموذجها على البشرية وبطشت، بل تصرفت بعنجهية وعدوانية لا بد أن تبدأ بأكل نفسها بنفسها، والبداية هي نتائج الرابع من تشرين الثاني أي استحقاق الانتخابات الذي يتوقع أن يكون بداية النهاية لأمريكا إن شاء الله، حيث ستأكل من سم طبخته للشعوب.

وبالعودة إلى الداخل اللبناني، وبما أن جميع القوى والمكونات وقفت شاخصة، باحثة، عن مخرج لهذا الحاضر المرير، وعن استراتيجية وطنية تنير درب المستقبل لهذا البلد، تكرمت **الدكتورة نضال سليمان الإمام** –رئيسة الجمعية النسائية في القرعون وأستاذة الحضارة العربية الإسلامية في الجامعة اللبنانية الدولية– في استحضار **شخصية العدد** من تاريخ لبنان المزدهر المستقل، فكان اختيارها للرئيس فؤاد شهاب الذي كان رئيساً للجمهورية من 1958 حتى 1964، وقد وصفته بعنوان لهذه المقالة، بأنه كان الرئيس الأكثر عروبةً والأكثر إنجازاً، لأن لبنان الحديث لم ينعم بالأمن والأمان وبناء المؤسسات والازدهار الاقتصادي إلا في عهد فؤاد شهاب ورشيد كرامي حيث حصل ما يشبه التماهي مع الناصرية العربية زمن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فتأكدت بذلك هويته العربية التي

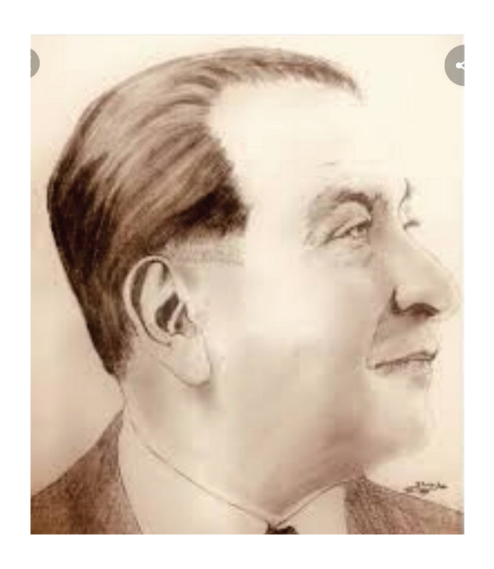
أعطته من قوتها قوة وجاءت الحقب التالية لينال من ضعفها ضعفاً. ومن تلك الحقبة الزمنية العامرة بالشخصيات التي نفخر بها كان **محور العدد** المخصص دائما للحديث عن إحدى النساء العربيات الرائدات اللواتي أنرن مشاعل حضارتنا، فقد تم اختيار السيدة **نهاد حداد (فيروز)** لتكون المحور المتألق في هذا العدد من مجلتنا التي بين أيديكم الكريمة. ففيروز كتبت بفنها الرصين التاريخ الحديث لأمتنا العربية. فغنت وأبدعت لدمشق وبيروت ومصر والأردن وبغداد وتوقفت متعهدة بالرجوع مهما طال الزمان إلى القدس الحبيبة، فكانت دقيقة الوصف والتوثيق والتدوين لكل حقب النصر والانهزام في هذه الأوطان.

كما وقع الاختيار على كتاب مهم جدا لدراسة الحالة اللبنانية أثناء الاقتتال الداخلي وهو: **كتاب ألقيت السلاح** لريجينا صنيفر ليكون **كتاب العدد**، وقد غاصت **الدكتورة علا عصام آغا** –الحاصلة على دكتوراه في الأدب العربي والنقد– في صفحاته شارحة أهم النقاط التي تعتبر عبرة لمن اعتبر من شاهدة عيان تتحدث فيها عن تجربة امرأة في خضم الحرب الأهلية اللبنانية، التي مزقت المشاعر وأضاعت البوصلة وأحرقت القلوب، وأغفلت العقول، ودمرت ما بني من مؤسسات عبر حقب تاريخ لبنان الوطن لجميع أبنائه، لتأتي الآن معتذرة نادمة مفتخرة بمقاومة إخوان لها في وطنها يستبسلون ضد عدو خدعت مع من خدع به وبوعوده يوما ما، ولكنها الآن تقدم التجربة لابنها ولأقرانه كي لا يقع أحد منهم فيما وقع به غيره سابقاً. هذا الكتاب وثيقة نادرة في زمن تعود فيه جَلَبَة السلام لتهدّد لبنان من جديد، فتُدميه.

وأخيرا قدمنا لكم أعزائي القراء عددا مهما من الأبحاث الأصيلة والمحكمة والتي تم عرضها في مؤتمر بيروت الدولي للعلوم الإنسانية والاجتماعية الذي كان تحت عنوان قراءات معرفية في العلوم الانسانية والاجتماعية المنعقد في 27–26 تشرين الثاني 2019 وقد تضمن هذا العدد من مجلة وميض الفكر للبحوث، أبحاث افي مجالات علم التربية، والتاريخ، والجغرافيا، والإدارة والاقتصاد، والعلوم الدينية، والعلوم الاجتماعية، وأبحاثا في الأدب والنقد، وفي العلوم الفنية والعلوم القانونية، كما خصصنا بابا خاصاً للأبحاث باللغات الأجنبية، الإنكليزية والفرنسية، المرخص لها في وزارة الإعلام.

شخصية العدد:

رئيس الجمهورية اللبنانية فؤاد شهاب(1958 - 1964م)





فؤاد شهاب الرئيس اللبناني الأكثر عروبةً والأكثر إنجازاً



بقلم الدكتورة نضال سليمان الإمام

أستاذة الحضارة العربية في الجامعة اللبنانية الدولية

Nidal.imam@liu.edu.lb

يعتبر عهد الرئيس فؤاد شهاب (1958 _ 1964) رمزاً يكاد يكون يتيماً للإصلاح السياسي والاقتصادي في تاريخ لبنان في القرن العشرين.

تسلم الحكم في وقت كان فيه الشرق الأوسط يمثل إحدى الساحات الأكثر حرارة في الحرب الباردة بين الشرق والغرب وكانت اسرائيل تمثل رأس حربة الغرب في هذا الصراع الذي بلغ ذروته آنذاك في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 ثم بعد ذلك في حرب حزيران عام 1967 وفي المقابل كانت مصر تشكل الركيزة الأساسية في المواجهة.

اتبع الرئيس شهاب سياسة خارجية متوازنة عمادها رفض كل الأحلاف العسكرية أو المعاهدات التي تشد لبنان إلى المعسكر الغربي وترجم ذلك برفض مشروع إيزنهاور الذي خول الرئيس شمعون استدعاء الأسطول السادس وإنزال قوات المارينز على السواحل اللبنانية في 14 تموز 1958، واختار التعاون الصريح والتضامن الكامل مع الدول العربية وأعاد العلاقات بين لبنان والجمهورية العربية المتحدة إلى مجراها الطبيعي. وجاء اللقاء بين الرئيسين شهاب وعبد الناصر على الحدود اللبنانية السورية ضمن هذا الإطار.

وكان هدف الرئيس شهاب كسب ثقة الفئات اللبنانية التي تؤثر عليها الناصرية وتعزيز الوحدة الوطنية التي أصابها شرخ كبير بسبب انحياز الرئيس كميل شمعون السافر للغرب والذي أشعل ثورة عام 1958.

وارتكزت التجربة الشهابية في بناء الدولة على التخطيط وتنظيم جهاز إداري فاعل يقوم على الإنماء المتوازن بين المناطق اللبنانية كافة ورفع الحرمان عن فئات الشعب وتحقيق العدالة الاجتماعية وكف يد السياسيين التقليديين عن الإدارة. ومن خصائص العهد الشهابي عدم تفرد رئيس الجمهورية في الحكم وإشراكه رئيس الحكومة فيه وقد عهد برئاسة الحكومة إلى زعامات سياسية إسلامية قوية كرشيد

كرامي الذي كانت تربطه به علاقة ثقه وانسجام في التفكير والنظرة إلى الأمور، تجلت في التعاون الصادق والوثيق بينهما في تنفيذ الإصلاحات الاجتماعية والادارية والمؤسساتية المنشودة[1] [2].

سيرته:

ينتسب الأمير الرئيس فؤاد شهاب إلى الأسرة الشهابية التي حكمت لبنان في عهد الإمارة تحت ظل السلطنة العثمانية مدة قرن ونصف من عام 1697 إلى العام 1841. وتتحدر الأسرة الشهابية من بني مخزوم الذين يتصل نسبهم بقريش. لقبوا بالشهابيين نسبة إلى أحد أجدادهم الأمير مالك الملقب بالشهاب، والذي تولى حوران من قبل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب(رض) .

ويتحدر الأمير الرئيس فؤاد شهاب من سلالة الأمير حسن الشقيق الأكبر للأمير بشير الثاني. ولد الرئيس فؤاد شهاب في بلدة غزير في قضاء كسروان في 19 آذار 1902. والده الأمير عبد الله ابن الأمير حسن بن حسن بن عبد الله بن حسن شقيق الأمير بشير الثاني. والدته السيدة القديرة بديعة ابنة الشيخ طالب حبيش. تلقى علومه الابتدائية والثانوية في معهد الفرير ماريست في جونيه. التحق شهاب بالمدرسة الحربية التابعة للجيوش الفرنسية الخاصة في الشرق وتخرج برتبة ملازم في أيلول العام 1923 وفي العام 1930 رقي إلى رتبة نقيب وتسلم إمرة مركز راشيا. وفي الأول من آب عام 1945 وبعد أن تسلم لبنان كل صلاحيات ومقومات الحكم من سلطات الانتداب الفرنسي وانتهاء الحرب العالمية الثانية اختير الزعيم فؤاد شهاب من بين ثلاثة مرشحين يحملون أعلى رتبة في القوات الخاصة ليكون أول قائد للجيش الوطني اللبناني ورقي إلى رتبة لواء. ظل اللواء فؤاد شهاب قائداً للجيش اللبناني اثنتي عشرة سنة من العام 1945 حتى العام 1958 عند انتخابه رئيساً للجمهورية. وكان عدد أفراد الفوج الأول الذي تسلمته حكومة الاستقلال الأولى من سلطات الانتداب عام 1944 لا يتجاوز بضع مئات، فيما عتاده ضئيل الحجم ويضم عددا من الضباط والجنود اللبنانيين الذين خدموا في جيوش الشرق الفرنسية، وكان مطلوباً منهم التحول إلى خدمة الجمهورية اللبنانية المستقلة التي غيرت علمها الوطني واعتمدت اللغة العربية لغة رسمية وحيدة. وبرزت صفات القائد الأول للجيش اللبناني ومزاياه العسكرية والوطنية والشخصية إذ نجح بعد سنوات من الجهود المتواصلة في تأسيس جيش وطني بحجم حاجات لبنان الدفاعية والأمنية رغم قدرات الدولة اللبنانية وموازنتها المتواضعة يومذاك، وكان شهاب يشجع الضباط على إدخال أبنائهم إلى المدرسة الحربية ليصبحوا ضباط المستقبل. تماماً كما شجع أبناء العائلات العريقة من كل الطوائف، وكان يخض بالاهتمام الشبان الأذكياء والمتفوقين الذين يساعدهم نجاحهم في تأدية واجباتهم العسكرية بجدارة. وقد خدم الضابط فؤاد شهاب قبل الاستقلال في مناطق لبنانية عدة أتاحت له فرصة الاطلاع على الأوضاع البشرية والاجتماعية لهذه المناطق وأنشأ شبكة صداقات وعلاقات ساعدته في عملية بناء الجيش على أسس واقعية متينة ساعدته فيما بعد على الصمود عندما انقسم اللبنانيون سياسياً ووطنياً وطائفياً العام 1958[1].

دوره في حرب فلسطين 1948

تجلت وطنية القائد فؤاد شهاب وحكمته عندما أرسل القسم الأكبر من الجيش اللبناني إلى الجليل للمشاركة في القتال رغم ضعف جهوزيته لخوض الحرب إذ لم يكن قد مضى على تأسيسه سوى عامين عندما أقرّت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين العام 1947 ورفضت الدول العربية هذا التقسيم وقررت التدخل العسكري للدفاع عن الشعب العربي الفلسطيني وأرضه وحقوقه ودخل الجيش اللبناني إلى الجليل وخاض معركة المالكية التي استشهد وجرح فيها جنود وضباط لبنانيون استبسلوا في مواجهة العصابات الصهيونية واحتفظوا بمواقعهم إلى أن انتهى القتال بتوقيع الهدنة.

لقد شكلت حرب فلسطين عام 1948 أول معمودية قتالية للدولة اللبنانية المستقلة والمتضامنة مع

المصير العربي المشترك والتزاماً حقيقياً للبنان بالقضية الفلسطينية. وقد خصصت قيادة الجيش ميدالية خاصة منحت للضباط والجنود الذين شاركوا في معركة المالكية والتي كان لها تأثير إيجابي في بلورة دور الجيش الوطني والتزامه القومي بالقضايا العربية وتعزيز وحدة صفوفه والبقاء بمأمن من تحمل ردات الفعل الشعبية الغاضبة بسبب الهزيمة في فلسطين والتي تركت ارتدادات خطيرة وانقلابات عسكرية متتالية على الأنظمة السياسية التي حملتها مسؤولية الخسائر والهزائم(2).

سياسة الرئيس شهاب الخارجية

بدأ عهد الرئيس فؤاد شهاب في الواحد والثلاثين من تموز عام 1958 عندما تم انتخابه كرئيس تسوية بين القوى المتصارعة في لبنان وتسلم مهامه في الثاني والعشرين من ايلول عام 1958. قرر الرئيس فؤاد شهاب أن يفتتح عهده بلقاء مع الرئيس جمال عبد الناصر على الحدود اللبنانية السورية واختار التعاون الوثيق مع الجمهورية العربية المتحدة بما في ذلك الملف الأمني وسرعان ما صار عبد الحميد غالب سفير الجمهورية العربية المتحدة لدى لبنان يتمتع بنفوذ لا يستهان به في السياسة اللبنانية، وعمد بذلك إلى تصحيح مسار سلفه الرئيس كميل شمعون والتحاقه بالأحلاف الغربية وعدائه السافر لعبد الناصر والذي تسبب بإشعال ثورة عام 1958 (3).

كان جمال عبد الناصر في عام 1958 في عز قوته لا رئيسا للجمهورية العربية المتحدة التي تضم مصر وسورية فحسب بل الزعيم الشعبي العربي الذي تهتف باسمه ملايين العرب والمسلمين ومن بينهم مسلمو لبنان وكان معروفاً ومسلماً به أنه لعب دوراً أساسياً في إقناع الأطراف اللبنانية بانتخاب الرئيس شهاب تماماً كما فعل المبعوث الاميركي روبرت مورفي. وقد تفهم الرئيس عبد الناصر حساسية ذهاب الرئيس شهاب إلى القاهرة للاجتماع به أو مجيئه هو إلى بيروت وما ينتج عنه من مضاعفات بعد إنهاء الثورة، وجاء إلى خيمة الصفيح التي أقيمت خصيصاً لهذا الاجتماع الذي كان الأول والأخير بين الرئيسين اللبناني والعربي، لكنه كان كافياً لكي يقيم بين الرجلين علاقات الاحترام والثقة والتعاون طيلة الستينيات مما وفّر للبنان عشر سنوات من الاستقرار السياسي الداخلي(4).

جوهر الاتفاق كان الانسجام التام في السياسة الخارجية بين الحكم اللبناني وعبد الناصر ومنع أي تآمر على الجمهورية العربية المتحدة انطلاقاً من لبنان ودعمه في سياسته العربية والدولية بالمقدار الذي لا يضر باستقرار لبنان ولا يهدد وحدته الداخلية وفي المقابل الحفاظ على استقلالية القرار الداخلي اللبناني. توازن حكيم ودقيق بين استقلالية القرار الداخلي وتنسيق المواقف في الشأن السياسي العربي والدولي. واكب الرئيس شهاب مرحلة النهوض الناصرية بثقة واطمئنان إلى حسن تنفيذ الاتفاق الذي عقده مع عبد الناصر واستفاد من فترة الاستقرار الإقليمي وتفرغ إلى ترتيب شؤون الدولة الداخلية وإعادة بناء مؤسساتها(1).

سياسة شهاب الداخلية:

في أول خطاب للرئيس شهاب موجه إلى اللبنانيين(2) أكد على أهمية الوحدة الوطنية والتمسك بالميثاق الوطني «الذي يبقى بممارستنا له من سياسة وطنية خالصة وعربية ناصعة وخارجية حرة». كانت هذه العبارات القليلة تحمل عناوين السياسة والبرنامج والنهج التي طبعت ولاية فؤاد شهاب الرئاسية. وبعد أيام من تسلمه زمام الأمور عهد إلى رشيد كرامي تأليف أول حكومة مصغرة من ثمانية وزراء مع رئيسهم وكان الشعار المرفوع: لا غالب ولا مغلوب. ورغم أن الحكومة لم تضم سوى اثنين او ثلاثة ممن كانوا من المعارضين المعلنين للرئيس شمعون إلا أن الأوساط المسيحية ولا سيما حزب الكتائب والقوى السياسية التي كانت مؤيدة للرئيس شمعون خلال الثورة اعتبرت تأليف الحكومة على هذا الشكل تكريساً لانتصار الثوار. وجاء تصريح رئيس الحكومة عن قطف ثمار الثورة ليشعل ثورة

مضادة في المناطق المسيحية ولتعود المتاريس وتظهر الأسلحة من جديد في الشوارع وتتسبب في استقالة الحكومة بعد عشرين يوماً على تشكيلها. عهد الرئيس شهاب مجدداً إلى الرئيس كرامي بتأليف حكومة رباعية تضم إلى الرئيس كرامي الحاج حسين العويني وريمون إدة وبيار الجميل رئيس حزب الكتائب، واستمرت هذه الحكومة لمدة سنة واستطاعت إزالة المتاريس وإعادة الحياة الطبيعية إلى البلد ونجحت الحكومة الرباعية في إخماد الثورة المضادة نظراً لتعادل التمثيل المسيحي والاسلامي فيها. في العام 1960 وبعد الانتخابات النيابية التي فازت فيها الأحزاب والشخصيات التي كان شمعون قد أقصاها عن مجلس النواب والمؤيدة لشهاب بالأكثرية الساحقة في المجلس الجديد، فاز كميل شمعون مع عشرة مرشحين من أنصاره وحزبه الوطنين الأحرار وفاز حزب الكتائب بستة مقاعد. سعى الرئيس شهاب لتأليف حكومة جديدة لكنه ما لبث أن لمس الخلاف المستحكم بين الزعماء التقليديين الذين لم يستطيعوا الاتفاق على تشكيلها فما كان من الرئيس شهاب إلا أن تقدم باستقالته من رئاسة الجمهورية في تموز 1960 ما جعل أولئك الزعماء وقد هالتهم إمكانية الفراغ في الحكم يعلنون تأييدهم للرئيس الذي نزل عند رغبتهم وعاد عن استقالته[3].

لم ينحصر اهتمام الرئيس شهاب في وضع حد للفتنة الداخلية بل أطلق التفكير حول خطة للتنمية والتغيير ووضع السياسات اللازمة لذلك، فلجأ إلى الأب لويس لوبريه الفرنسي واستمع لنصائحه الحكيمة وسرعان ما أدرك الرئيس شهاب ولويس لوبريه أن مشكلة لبنان ناجمة عن أنانية النخبة الحاكمة آكلة الجبنة وعن حصر النشاط الاقتصادي ببيروت وبعض أجزاء الجبل، الأمر الذي أدى إلى إفقار غالبية مناطق الأطراف وقد اتضح لهما وجوب اتباع سياسة اجتماعية والعمل على استصلاح الاراضي وذلك لإرساء أساس وحدة وطنية حقيقية قائمة على العدالة الاجتماعية.

ومنذ بداية حكمه استحدث شهاب وزارة تصميم لوضع دراسة شاملة كلف بها فريق بعثة إيرفد برئاسة الأب لوبريه وبعد عامين من العمل المضني، صدرت الطبعة الأولى من هذه الدراسة، وأظهرت التوزيع غير العادل للدخل القومي وقد وجاءت معطيات بعثة إيرفد كما يلي :

نسبة 4 % من السكان تملك 32 % من الدخل القومي.

نسبة 14 % من السكان تملك 28 % من الدخل القومي.

نسبة 32 % من السكان تملك 22 % من الدخل القومي.

نسبة 41 % من السكان تملك 16 % من الدخل القومي.

نسبة 9% من السكان تملك 2 % من الدخل القومي.

بنى الرئيس سياسته لإعادة البناء والإصلاح وفقاً لهذا التشخيص.

وفي الخامس والعشرين من تشرين الأول 1961 كلف شهاب رشيد كرامي برئاسة حكومة جديدة إثر استقالة حكومة صائب سلام فوضعت الحكومة برنامجاً واضحاً للإصلاح الإداري والاقتصادي وحددت جدولاً زمنياً لمدة خمس سنوات استناداً إلى تقرير بعثة إيرفد. على الصعيد الإداري: أنشأ الرئيس شهاب بنية إدارية موازنة للإدارة التقليدية عن طريق تأسيس مجموعة من المصالح المستقلة والمجالس والمشاريع. أدى ذلك إلى غرضين؛ الأول بناء قطاع عام دون التصريح بذلك، والثاني غبعاد الإدارة عن تسلط الإقطاع السياسي. هكذا تضخم جهاز الدولة بنسبة ضعفين من خلال توظيف أكثر من عشرة آلاف موظف جديد يخضعون لامتحانات مجلس الخدمة المدنية وتراقبهم هيئة التفتيش المركزي ما أضعف دور النواب في توظيف محسوبيهم وحد من الفساد وشجع التوظيف على قاعدة الكفاءة

والاختصاص فصدر خلال العهد (495) مرسوماً وقراراً تناولت مواضيع الإصلاح: كإنشاء البنك المركزي 1963 ومؤسسة الضمان الاجتماعي ومجلس الخدمة المدنية وهيئة التفتيش المركزي. أما بالنسبة لتنمية الريف فقد لعبت الدولة دوراً ناشطاً في تعديل التوزيع الاجتماعي لنتائج النمو الاقتصادي، وقد أنفقت أموالاً طائلة لإنشاء بنية تحتية وتوحيد السوق الداخلي عبر توسيع شبكة المواصلات وجر المياه والكهرباء إلى المناطق والقرى النائية وبنت المستشفيات والمستوصفات بالإضافة لإنشاء المشروع الأخضر الذي يقوم باستصلاح الأراضي وتشجيرها ويساهم المستثمر فيه بـ 18% فقط من التكاليف، وقام المشروع الأخضر بشق الطرق الزراعية وبناء خزانات المياه وحفر الآبار الارتوازية. أما المشروع الآخر فكان بناء سد على نهر الليطاني لري مساحات واسعة من البقاع والجنوب وصدر عام 1964 قانون التعاونيات ومراكز للإرشاد الزراعي في المناطق وطور المدرسة الزراعية لتصبح كلية مهنية متعددة الاختصاصات وأنشأ مدارس زراعية ومهنية عدة. ومن الإصلاحات الشهابية الهامة: تنمية التعليم الرسمي خصوصاً في المناطق حيث ارتفع عدد التلامذة في الجنوب والبقاع من (64) ألفاً إلى (225) ألفاً بين العامين 1959 و1970. وكان اهتمام الرئيس شهاب بالجامعة اللبنانية كبيراً جداً باعتبارها الجامعة الوطنية الناشئة حديثاً والتي كانت مصلحة الوطن ومصلحة الطبقات الوسطى والفقيرة تقضي بتعزيزها بوجه الجامعات الأجنبية، ففي عام 1959 أضيفت كلية الحقوق إلى الجامعة اللبنانية وهو ما كسر الاحتكار الذي كانت تتمتع به جامعة القديس يوسف اليسوعية في تعليم الحقوق، وهكذا بدأ النمو المتسارع للجامعة اللبنانية المجانية الرسمية حيث التعلم باللغة العربية ثم أنشئت كلية العلوم السياسية وكلية الآداب وأخرى للعلوم. بالإضافة لذلك أنشئ معهد للعلوم الاجتماعية وآخر للفنون الجميلة. ولتطبيق اللامركزية وسع صلاحيات المحافظين في بت المعاملات الإدارية وإدارة شؤون المحافظات وفق المرسوم الاشتراعي 112 الثاني عشر من حزيران عام 1959 ثم قانون البلديات الجديد الذي أنشئت بموجبه 380 بلدية جديدة في لبنان. وهكذا عكست حكومات كرامي الاستراتيجية السياسية الجديدة للرئيس شهاب في مجالات الإصلاح أو في إقامة حكومات متوازنة تضم المعسكرين المتخاصمين عام 1958 أي حزب الكتائب والحزب التقدمي الاشتراكي، وذلك لتجنيب البلاد أزمات اجتماعية وسياسية جديدة، وقد قام رشيد كرامي بمساندة فعلية وموثوقة لخطة الرئيس شهاب وكان له ولكمال جنبلاط مصلحة عليا في تأييد الخط الشهابي كونهما ممثلين لطائفتين إسلاميتين ومنطقتين محرومتين في البلاد. وتمكن الرئيس شهاب من إقامة تحالف مساند لسياسته الإصلاحية داخل مجلس النواب قادر على مجابهة بعض الزعماء التقليديين ممن لم يكونوا مرتاحين لحركته الإصلاحية، وإلى جانب التجمع الشهابي في مجلس النواب نشأ تكتل واسع في خارجه ضم نخبة من المثقفين والصحافيين ورجال السياسة واتحادات العمال يساندهم كبار ضباط الجيش وراحت هذه اللجنة تعمل على إنجاز ما أسماه شهاب بالسلم الاجتماعي. كانت مشاريع خطة التنمية الشاملة على وشك البدء بالتنفيذ حين وصلت فترة حكم الرئيس فؤاد شهاب إلى نهايتها، وجاءت الانتخابات النيابية 1964 لتدخل البلاد في متاهات جديدة فقد خسر زعيمان مارونيان مقعديهما في المجلس الجديد وهما كميل شمعون وريمون إده فاتّهما الشعبة الثانية في الجيش بالتدخل المباشر في الانتخابات وراحا مع باقي الزعماء اليمينين يؤلبون الرأي العام الماروني لمعارضة مشروع تعديل الدستور لإعادة انتخاب فؤاد شهاب لرئاسة ثانية وانشقت البلاد بين مؤيد ومعارض للتجديد إلا أن الرئيس شهاب حسم الأمر وأعلن عدم رغبته في ترشيح نفسه على الرغم من أن الشهابيين كانوا يضمنون له الأكثرية 79 نائباً. رشح الرئيس شهاب وزير التربية آنذاك شارل حلو لرئاسة الجمهورية ففاز بتأييد قوي من الشهابيين وحلفائهم.

الانفصال بين مصر وسورية عام 1961 وتداعياته على لبنان

وقع الانفصال وفشلت الوحدة بين مصر وسوريا إثر انقلاب عسكري في سوريا في أيلول 1961

وما لبثت هذه الأحداث أن تردد صداها في لبنان فقامت بعض الأحزاب اليمنية المعادية لجمال عبد الناصر بنشاط كبير لتعطيل السياسة الناصرية في البلاد والسعي لإلغائها بمساندة بعض الدول العربية، واغتنم أحد الضباط اللبنانيين فؤاد عوض فرصة أعياد رأس السنة 1961 1962 فقام بمحاولة انقلاب عسكري بدعم من أعضاء الحزب القومي السوري المتحالف مع الرئيس السابق كميل شمعون الذي عاد من لندن قبل ذلك بثمان واربعين ساعة وكان الهدف هو الاستيلاء على السلطة بالقوة المسلحة وبوعد باعتراف بريطاني فوري في حالة نجاح الانقلاب وكان الهدف البريطاني هو تأكيد حصر مصر في إفريقيا وتصفية أي دور لها في المشرق العربي، إلا أن حركة التمرد فشلت بفضل تكاتف الضباط المؤيدين لشهاب. بدت هذه المحاولة في لبنان كأنها مؤيدة من القوى السياسية المؤيدة لكميل شمعون، وبدت في المنطقة كأنها مؤيدة من القوى المعادية للناصرية فقد تمت في سياق الانقلاب الذي وقع في دمشق وأطاح بالوحدة كما أن الذين استطاعوا الفرار من بين القوميين السوريين بعد فشل الانقلاب لجؤوا إلى الأردن المعروف بعدائه للناصرية وحسن علاقته بالسياسة البريطانية وبعدها الأميركية. ظهرت هذه المحاولة في حينه كأنها الحلقة الأخيرة في محاولة الضرب الاستعماري لعزل النظام الناصري وتصفية قواه وقواعده في المشرق العربي ومحاولة انتزاع لبنان وضمه إلى سوريا والأردن في مواجهة الناصرية. كانت محاولة الانقلاب الفاشلة سبباً في تحول الشهابية نحو المزيد من الاعتماد على المخابرات العسكرية في ضبط الأمن والسياسة في لبنان مما أوجد ثغرة كبيرة في جدار النظام نفذ منها التيار المعادي للعروبة لتقويض الشهابية والقضاء على نهجها تحت ستار حماية الحريات.

الشهابية وعلاقتها بالناصرية

الشهابية تعبير صاغه جورج نقاش أحد كبار الصحافيين اللبنانيين وقد تناولتها تفسيرات شتى تباينت وتلاقت على تعريفها. لم تكن الشهابية حزباً ولا حركة سياسية منظمة بل مقاربة إصلاحية حيال المجتمع اللبناني وتوجهاته السياسية وانبعثت الشهابية من اضطرابات العام 1958 وتنامت شرعيتها زخماً على يد الرئيس فؤاد شهاب القائد الذي يضع الفعل موضع الكلمة. لقد شكل نهج الرئيس شهاب في التعامل مع مشكلات الدولة السياسية تطوراً متوازناً بين المناطق اللبنانية كافة وذلك عبر بناء جهاز إداري للدولة قائم على الكفاءة واعتماد سياسة التخطيط البعيد المدى كبرى فضائل الشهابية. اهتم الرئيس شهاب ببناء المؤسسات وبناء قطاع عام وبنى تحتية ولم تعمد الشهابية إلى استقطاب الجماهير وتحريكها على طريقة السياسيين التقليديين الذين أطلق عليهم الرئيس شهاب تسمية المعروفة أكلة الجبنة. لم تنته الشهابية بانتهاء فترة رئاسة فؤاد شهاب بل كانت عنوان عهد الرئيس شارل حلو 1964 1970، لكن الشهابية كنموذج إصلاحي يستمد مفهومه من نظرة صاحبه وأسلوبه في الحكم فقدت كثيراً من وهجها في عهد الرئيس شارل حلو وشابها الفتور تدريجياً[1].

والناصرية كما عرفها الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل تعني في الداخل قيام سلطة تحالف قوى الشعب العامل وتوليها المسؤولية سياسياً واقتصادياً وذلك عن طريق ملكية الشعب لكل المشروعات ومصادر الإنتاج. الناصرية داخل مصر هي حلوان حيث تقوم غابة من المصانع يبلغ مجموع الاستثمارات الموظفة فيها ألف مليون جنيه إسترليني، وهي وجود العمال في مجالس الإدارات وحقهم في نسبة من عائد إنتاجهم، ويضيف بلهجة من يصوغ شعارا؛ الناصرية باختصار هي استقرار السلطة السياسية في يد تحالف قوى الشعب العامل + ملكية هذا التحالف للموارد الاقتصادية + الانتماء لمعسكر التحرر العالمي + العداء للاستعمار + الانتماء العربي[2].

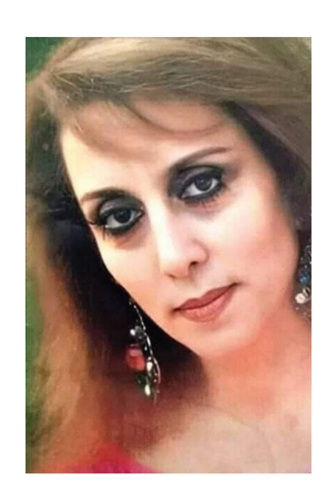
الخاتمة:

وأخيراً وفي غمرة البحث عن حلول للأزمات اللبنانية المتداخلة ولهذا الانهيار الكبير في مؤسسات الدولة وبعد سيطرة العصر الصهيوني وهيمنة القوى الميليشيوية الطائفية المذهبية في ظله وتهديمها لقيم المجتمع والدولة، يتجه التفكير إلى التجربة الشهابية كطريق وحيد للخلاص، شكلا ومحتوى، وذلك بالتوازي مع تجربة عربية كالناصرية وإنجازاتها التي تبعث الأمل بعالم عربي مختلف وبأمة عربية تتحرر عبر ثورة اجتماعية حقيقية تحتل مكانتها الحقة في العالم. وهنا تبرز الحاجة إلى قادة حقيقيين كالرئيس جمال عبد الناصر والرئيس فؤاد شهاب والرئيس الشهيد رشيد كرامي قادة لا تلهيهم مصالحهم الآنية عن تحقيق مصالح شعوبهم بالتحرير من التبعية للغرب وامتلاك قرارهم الوطني والحفاظ على مقدراتهم الاقتصادية وتوظيفها في التنمية الاجتماعية المتوازنة.

محور العدد:
نساء عربيات رائدات: المطربة نهاد حداد (الدكتورة فيروز)







فيروز أيقونة الغناء العربي



بقلم الدكتورة نضال سليمان الإمام

أستاذة الحضارة العربية في الجامعة اللبنانية الدولية

Nidal.imam@liu.edu.lb

تعتبر السيدة فيروز «أيقونة الغناء العربي» ورائدة من رائدات هذا العصر. بحضورها الساحر، وصوتها الملائكي، الذي يوقظنا مع نسمات الصباح الأولى، على رائحة القهوة وزقزقة العصافير ورذاذ العطر والندى، يرافقنا في الطرقات، يرسم لنا المواعيد عند المفارق تحت الشتاء ويبعث فينا شعور الدفء على مقاعد الانتظار والذكريات، وينسج لنا من التفاصيل اليومية حكايا غاية في الروعة كأنها السهل الممتنع.

فيروز تختزن في غنائها كل موروثنا الثقافي، الأصيل وتبوح بأسرار اجيال من النساء الشرقيات المعذبات، فهي شهرزاد ألف ليلة وليلة المتجددة والمتمردة على مزاجية شهريار الذي يبدد الناس والأسماء وهي الحبيبة الخجولة التي تتأنى كثيراً في التعبير عن حبها، والرقيقة والراقية في بث شكواها وعتابها وهي المخلصة الوفية للرجل مهما تمادى أو ابتعد.

فمن هي فيروز ؟

ولدت نهاد حداد في 23 تشرين الثاني 1935، وهي الابنة البكر لوديع حداد وليزا البستاني، وعاشت في بيت متواضع في زقاق البلاط، الحي القديم في بيروت، حيث تعيش عائلات لبنانية من جميع الطوائف، حياة مشتركة وأمنة يجمعها حب الوطن. دخلت مع إخوتها هدى واكال وجوزيف إلى المدرسة حيث أطلقت العنان لصوتها بغناء الأناشيد الوطنية، وفي أربعينيات القرن الماضي حضر الفنان محمد فليفل إلى إحدى حفلات المدرسة، فأعجب بصوت نهاد وأدرك قيمة الجوهرة الصوتية التي عثر عليها، فعكف على صقلها والعناية بها بعد إقناع والدها الذي كان يرفض فكرة أن تغني ابنته للعامة من الناس، وتعهد فليفل بأنه سوف يتحمل نفقات تعليمها في المعهد الموسيقي الذي ترأسه في ذلك الوقت وديع صبرا، ملحن النشيد الوطني اللبناني. وأبرز درس قدمه فليفل لفيروز أنه علمها تجويد القرآن الكريم، مما ساعدها كثيراً فيما بعد. وبعد أربع سنوات قضتها في المعهد الوطني للموسيقى، وأمام اللجنة المكونة من حليم الرومي وخالد أبو النصر ونقولا المني ممن عينوا لفحص الأصوات

لصالح الإذاعة اللبنانية، وقفت الشابة نهاد وقفتها التي حافظت عليها طوال مسيرتها الفنية، وغنت على إيقاع عود حليم الرومي، «**يا ديرتي**» لأسمهان. ذهل حليم الرومي بصوتها لدرجة أنه توقف عن العزف في منتصف الأغنية.

وبعد أن حازت على تقدير كل أعضاء اللجنة تم اختيارها كمغنية في فقرة الإذاعة اللبنانية في بيروت. وعندما دخل عاصي ومنصور الرحباني للعمل في الإذاعة اللبنانية عام 1952، وفي مكتب رئيس قسم الموسيقى حليم الرومي التقى عاصي بصبية رقيقة عذبة الصوت هي نهاد حداد، وكان قد سماها الرومي «**فيروز**» فاتفقا وتزوجها، واستمر الثلاثة عاصي وفيروز ومنصور بنجاح منقطع النظير كثلاثي فنيّ لم يسبق له مثيل[1].

ولا يمكن فصل عاصي عن منصور في النتاج الشعري والأدبي والغنائي، فقد كانا يوقعان باسم الأخوين رحباني وكانا في مشوارهما الفني توأمين لا ينفصلان.

واستمر الأخوان رحباني في تأليف الموشح والقصيد بأسلوب جديدة مع الاحتفاظ بالطابع القديم، كما أنهما أعادا الموشحات الأندلسية القديمة بألوان جديدة، إلا أنهما تأثرا ببعض ما جاء في القديم، فأثر على إنتاجهما دون أن يتدخلا فيه.

وجاء إطلاق الأخوين رحباني أعمالهما الغنائية بالتزامن مع توسع موجات البث الإذاعي، فأحدث صوت فيروز وأغانيها ثورة في الموسيقى العربية عبر الإذاعة اللبنانية في بيروت، وإذاعة الشرق الأدنى، والإذاعة السورية في دمشق، وأصبحت فيروز بطلة أول مهرجان شعبي لبناني للغناء والرقص أقيم في بعلبك عام 1957، كما كانت أول من دشن مهرجانات معرض دمشق الدولي.

غنت فيروز لكثير من الشعراء العرب القدامى والمحدثين، ومنهم: أبو العناهية، لسان الدين بن الخطيب، عنترة بن شداد، أبو نواس، ابن سناء الملك، ابن جبير، جرير، أبو بكر بن زهر، وكذلك غنت للأخوين رحباني والأخطل الصغير، إيليا أبو ماضي، أحمد شوقي، جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، نزار قباني، وسعيد عقل وغيرهم.

وعبقرية فيروز تكمن في أنها حولت الكلام العادي، والتفاصيل اليومية إلى فن خارق يشبه السحر. أدت الأغاني العامية بذات السلاسة التي أدت بها قصائد الفصحى لناحية النطق السليم للكلمات وإعطاء الأحرف حقها من الاهتمام والعناية والوضوح.

وكانت قصائدها تتناسب وذوق كل المستمعين كبارهم وصغارهم، مثقفيهم وذوي المستويات الثقافية المتواضعة، ببساطة تنطوى على عمق وشاعرية وإيحاء قل أن نعثر على مثلها في آي مشروع غنائي آخر.

وليس من المبالغة القول إن أغاني فيروز تسجل اليوم ضمن التراث الإنساني والابداعي العالمي لأنه لا يمكن حصرها في النطاق اللبناني أو العربي[2].

غنت فيروز لسعيد عقل ما يقرب من عشر قصائد عن الشام هي : سائليني يا شام، وقرأت مجدك في قلبي وفي الكتب، وشام ياذا السيف (تلحين الاخوين رحباني)، ومرّ بي (تلحين محمد عبد الوهاب).

تضمنت تلك القصائد بصوت فيروز تصورات مثالية عن الشام وجددت الاتصال بزمان كانت فيه الشام/ دمشق، واقعاً، جوهرة المدن وعاصمة الدنيا، وأعادت بثّ أفكار ينبغي أن تترسخ في الذاكرة العربية، رغم الواقع الراهن الأليم. وكما أن الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك، قد ألحق الدنيا ببستان بني أمية الشامي، فإن نبرات هذه القصائد بصوت فيروز أعادت وصل ما انقطع مع ذلك الزمن

الجميل، على نحو متجدد وغنائيّ، بالحساسية العربية الأموية المؤسسة في الشام:

أهلك التاريخ من فضلتهم ذكرهم في عروة الدهر وسام

أمـويون فـإن ضـقـت بهم ألحقوا الدنيا ببـستان هشام

ورغم أن سعيد عقل قالها في حقبة حساسة من تاريخ سورية، وذلك للاستثمار الإيديولوجي والسياسي بعد الانفصال بين مصر وسورية. إلا أن التراكيب الشعرية لاءمت إلى حدود قصوى خصائص صوت فيروز الذي تعالى بالجملة الشعرية نحو سقوف جمالية شاهقة(1).

«سائليني حين عطرت السلام كيف غار الورد واعتل الخزام

وانا لو رحت أسترضي الشذا لانثنى لبنان عطراً يـا شـــآم»

ورغم استحواذ دمشق على معظم القصائد التي غنتها فيروز، إلا أن مدناً عربيةً كان لها نصيبها من تلك الأغاني : غنت للقدس **«زهرة المدائن»** وذلك بعد احتلالها عام 1967، وقدمت فيروز ألبوماً كاملاً عن القدس، ومن تلك القصائد التي غنتها: **«سيف فليشهر»** للشاعر سعيد عقل وتقول فيها:

« الآن الآن وليس غداً أجـراس العـودة فلتقرع» .

وتغنت قصيدة الشاعر سعيد عقل، بمكة المكرمة، رغم أنه من أتباع الدين المسيحي، لكن كان معروفاً عنه التعمق في الأديان، واستطاعت فيروز أن تحول من قصيدته أغنية خالدة:

«غنيت مكة أهلها الصيدا والعيد يـملأ أضلعي عيداً

فرحوا فلألأ تحت كل سما بيت على بيت الهدى زيدا».

ولفيروز أغنية بغداد التي حققت نجاحاً باهراً:

«بـغداد والشــعراء والصــور ذهب الزمان وضوعه العطر

يا ألف ليلة يا مكمّلة الأعراس يـغسـل وجـهك القـمر»

وبمناسبة ذكرى حرب تشرين غنت فيروز لمصر قصيدة سعيد عقل**«مصر عادت شمسك الذهب»**.

وللأردن غنت «**عمان في القلب**»:

«عمان في القلب أنت الجمر والجاه

ببالي عودي مري مـثلـــما الآه»

وقد حرص سعيد عقل على أن يقدم الأفضل حتى لو كان هذا الشعر مصيره أن يتحول إلى أغنية، وكان سعيد عقل يقول: «لا بد لي أن أشير إلى ظاهرة غريبة، هي أن معظم الشعر الذي غنيّ في أوروبا، باستثناء مقطوعات للشاعر **«غوته»** كان شعراً ركيكاً، وإنك لتعرف أسماء جميع ملحني الأوبرات ولكنك لا تعرف اسماً واحداً من واضعي شعرها، ولكن هذا لا يعني أن الغناء كتب عليه الشعر الهزيل، وأتساءل هل يكون في بعض ما غني لأحمد شوقي، وما تغنيه فيروز من شعر الأخوين رحباني خطوة ذات شأن في هذا المضمار؟ إنني أميل إلى التفاؤل(2).

غنت فيروز للحب والوطن والقيم الانسانية الجميلة، وبقيت طيلة فترة الحرب الأهلية اللبنانية منقطعة

عن الغناء حتى لا ترمى بالانحياز لفئة ضد أخرى، ولم تترك لبنان رغم فقدانها ابنتها ليال بسبب هذه الحرب.

لكنها من قلب الدمار والانقسام الذي طال كل جوانب الحياة وقفت لتغني:

بحبك يا لبنان يا وطني بحبك
بشمالك بجنونك بسهلك بحبك
كيف ما كنت بحبك بفقرك بحبك وبعزك بحبك
كيف ما كنت بحبك بجنونك بحبك
واذا نحنا تفرقنا بيجمعنا حبك
وحبة من ترابك بكنوز الدني
وبحبك يا لبنان يا وطني

كانت هذه الكلمات البسيطة بمثابة نداء استغاثة لوطن يغرق في بحر من الدماء.. ودعوة للبنانيين للتجمع على حب الوطن والتشبث بترابه.

ونسجت للبنانيين وطنا يتسع لأقصى حدود الحلم، ويترفع عن الانقسامات الحادة، فأحبوه كما أحبوها، وتوجوها «سفيرتنا إلى النجوم» :

بيروت هل ذرفت عيونك دمعة إلا ترشفها فؤادي المغرم
أنا من ترابك هل أضن بأدمعي في حالتيك ومن سمائك ألهم

الجوائز والأوسمة:

نالت فيروز ما يزيد على 15 وساماً منها: وسام الشرف من الرئيس اللبناني كميل شمعون 1957، ووساما الاستحقاق والأرز من الرئيس فؤاد شهاب عاميْ 1963–1962، ووسام النهضة الأردني من الدرجة الأولى 1963، وميدالية الشرف الذهبية عام 1975.

وفي سوريا أصدرت 1961 طوابع بريدية تذكارية عليها صورتها، ونالت وسام الاستحقاق من الرئيس السوري نور الدين الأتاسي 1967، وحصلت على مفتاح مدينة القدس 1968 وجائزة القدس 1997.

تسلّمت 1988 وسام قائد الفنون والآداب من الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، ووسام فارس جوقة الشرف من الرئيس جاك شيراك 1998، ومفتاح مدينة لاس فيغاس الأميركية 1999. ومنحتها الجامعة الأميركية في بيروت الدكتوراه الفخرية عام 2005.

اختارها الصليب الأحمر الدولي سفيرة لتُمثل العرب في العيد الخمسين لاتفاقية جنيف حيث غنَّت «الأرض لكم». ومنحتها الجامعة العربية عام 2012 لقب «سفيرة الفنانين العرب".

أُصدِرت عدة أفلام وثائقية عن حياتها بينها: «جارة القمر فيروز» من إنتاج قناة الجزيرة، و«وثائقي حياة فيروز» من إنتاج القناة الثامنة الفرنسية، و«السيدة فيروز» من إنتاج قناة «الجديد».

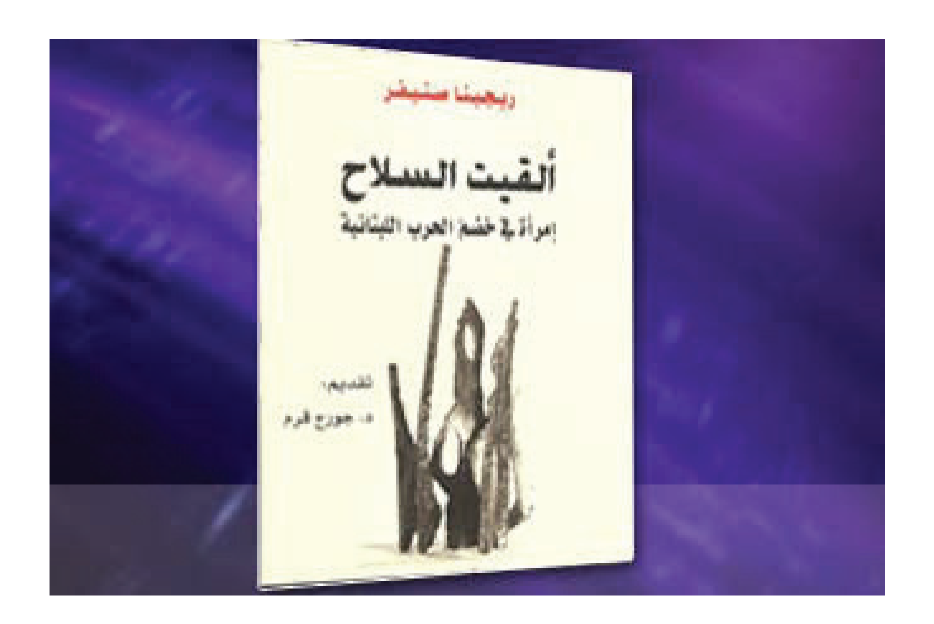
الخاتمة:

قدمت فيروز على مدار مسيرتها الفنية قائمة من الأغاني الرائعة والتي تستعصي على الحصر وأكثر من خمسة عشر عملا مسرحيا غنائياً كان أولها جسر القمر عام 1962 ثم بياع الخواتم وهالة والملك ويعيش يعيش وصح النوم كما قدمت ثلاثة أفلام سينمائية هي بياع الخواتم وسفر برلك وبنت الحارس.

رحل عاصي ومنصور لكن بقيت فيروز وبقي ابنها زياد الذي خاضت معه تجربة جديدة. ورغم أنه أعلن بعض التمرد على المدرسة الرحبانية إلا أنه بقي وفيا لجذورها فاستمد منها الأصل وقام بعصرنته فجاءت أغنيات فيروز وزياد سمفونية فنية راقية مشعة كما كلت شعلة أمل بقيت مضيئة مع وعد فيروز في آخر حفلاتها بكرة برجع بوقف معكن[1].

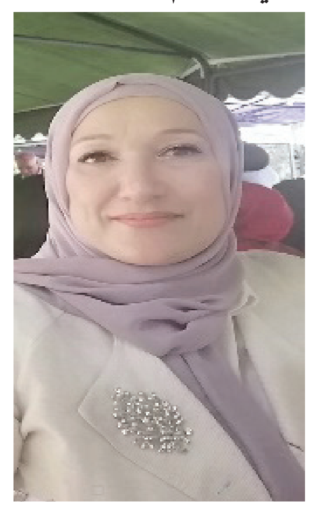
كتاب العدد:

كتاب: ألقيت السلاح لريجينا صنيفر



قراءة في كتاب «ألقيت السلاح» «لريجينا صنيفر»

امرأة في خضم الحرب اللبنانية



الدكتورة: علا عصام آغا

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

Ola.aga@hotmail.com

«لأجلك يا لبنان، ولأجل كل الرفاق، الذين جُرِّدوا من كل شيء، فَسُرِق منهم حتى حق مواراة الثرى، أتكلم اليوم.

آن ليَ أن أفعل، وقد طال صمتي عشرين عاماً، لقد حملتكم معي طويلاً، طويلاً، فَمزقني ثقلكم، ودفنتكم في نفسي خشية أن أدعكم تَضْربون وحدكم في غياهب التاريخ، في الماء الذي يُتْلِف ذاكرتكم وذِكراكم، فيغرقكم دون أن يترك لكم أثراَ. ومنذ ذلك اليوم، وأنا تائهة هائمة على وجهي، أجرُّ ذكرياتي في إثري، أجرُّ ذلك الماضي الذي لطالما صعب عليّ قوله، وشَقَّت عليّ كتابته، فكان كل سطر يُلزمني مواجهة ضيقي وقلقي، فأسارع إلى خنق خِزْيي وعاري وإلى حَجْب شعوري بالإثم آنذاك».

هكذا بدأت جنيفر صنيفر مقدمة كتابها «ألقيت سلاحي».

هي قصة حياة شاهد، عاش وشارك جنون الحرب وويلاتها، حيث كان كل شيء مباحا: القتل، سفك الدماء، الخيانة، الاغتصاب... كل شيء كان واجباً.

وأكثر ما يؤسف فيها أولئك الأطفال، الذين يستخدمونهم كوقود لقذارة أفعال الكبار، يسلبون طفولتهم ولقمة عيشهم، ثم يطلبون منهم أن ينشدوا السلام بكل فخر واعتزاز. وأسوأ من ذلك القناعة الراسخة لدى هؤلاء المقاتلين، بأنهم يقتلون خدمة لقضية عادلة يحق لهم الدفاع عنها بكافة الطرق. وبعد الحرب يأتي الاعترف مقرونا بمبررات القتل

والترهيب، وما هو إلا هروب من وصمة العار التي قد تلاحق صاحبه مدى الحياة.

وتقول صنيفر محدثة ولدها بعد تراجعها عما سببته مع الكثير من المحاربين من مآس وترهيب بحق أناس لا حول لهم ولا قوة: « إنني لا أقص عليك الحرب، وإنما أروي لك قصتي مع الحرب... أنا لا

أحاول تبرير ما فعلت ولا أشتكي مما أصابني منها، إنما أحكي قصتي لتقوم مقام الشهادة. فأنا قدمت من بلاد حولتها الحرب إلى مقبرة لأحلام وأشخاص بترت حياتهم. واليوم، أنا أرفض العنف الذي قبلت به في يومٍ من الأيام. قررت اليوم أن أتكلم، وها أنا أكتب لك، ولأجلك، فأنا أؤمن بقوة الكلمات وقدرتها على استخراج بعضٍ من الحقيقة من تلك التجارب المريرة. أنا أكتب علّي بالكتابة أتصدى لمشاعر الخوف والكراهية التي هي منابع للعنف وللحروب.

« ألقيت السلاح» كتاب يتضمن مذكرات يومية لفتاة شابة رحلت من عالم الطفولة والسلام إلى عالم آخر غريب، عالم الحرب والعنف، حيث بدأ مع يوم «السبت الأسود «، يوم الجنون الجماعي عندما اشتعلت بيروت بنيران الحرب الأهلية، فانبرى المسيحيون يواجهون المسلمين، ودخلت الحرب مرحلة الفظائع، وباتت تنصاع لمنطق العنف الطائفي اللاأخلاقي، الذي جلب معه الكثير من الويلات، من تعرض الدامور والجية، وهما بلدتان مسيحيتان، للتدمير والحرق والنهب على أيدي الميليشيات الفلسطينية، ومن ثم رد مقابل ضد مخيم تل الزعتر حيث نكل وقتل المئات من المدنيين من كلا الطرفين.

خمسة عشر عاما من التوحش إبان الحرب الأهلية اللبنانية التي زخرت بالكثير من القتل، والتعذيب، والإذلال، والتجويع، والقنص، وفي النهاية الشراكة مع الشيطان الأكبر إسرائيل، حيث تقول جنيفر «رأيت للمرة الأولى العلم الإسرائيلي يرفرف بين العلم اللبناني وعلم القوات اللبنانية. كان يتوقع وصول شخصية إسرائيلية مرموقة في زيارة خاصة إلى بشير الجميل فأدركت أن شيئاً خطيراً في طور التحضير». وبالفعل تم احتلال بيروت وحصارها بلا ماء وكهرباء.

ولم تنس جنيفر الحديث عن حرب الإخوة في الطوائف كافة، ومعارك الجبل بين المسيحيين والدروز، وعمليات التهجير الواسعة للمسيحيين من الشوف والقرى الواقعة شرقي صيدا، لتنتقل بالحديث عن نشوب الخلاف بين «القادة» الموارنة على زعامة «القوات اللبنانية»، ووقوف السوريين إلى جانب جناح أمين الجميل ضد الأجنحة الأخرى، ما أدى إلى تعميق الانقسام داخل الصف المسيحي، إثر اغتيال بشير الجميل بعد انتخابه بأيام قليلة رئيساً للجمهورية. وتطيل الحديث عن حصار دير القمر، البلدة المكتظة باللاجئين المسيحيين الآتين من قرى وبلدات الشوف، هرباً من الميليشيات الدرزية ومن فجوات الصراع بين الإخوة.

وتتوقف عند أكبر مجزرة بحق الفلسطينيين « مجزرة صبرا وشاتيلا» التي راح ضحيتها المئات من الأطفال والنساء، طبعاً برعاية إسرائيلية ومشاركة القوات اللبنانية التي باتت عمياء البصيرة حول الفظائع التي ارتكبت بحق المدنيين.

إن مسار الرواية، وتدرج وقائعها، ما هو إلا شاهد صدق على مسار جيل عاش أزمة انزلاقه نحو الهاوية بمباركة من طبقة سياسية فاسدة، تلاعبت بالسلطة وبثت روح التفرقة بين أبنائها.

أشارت صنيفر بالحديث عن الشرارة الأولى لجلاء الحقيقة أمام أعينها، والتي كانت السبب في نبذ حياة القتل والعنف، والعودة إلى الصواب والحق. ففي فصل «قذفنا بهم إلى البحر» تتحدث قائلة: «بعد الاضطراب والقلق وخيبة الأمل، استوطنني الغضب، ما عدت أستطيع العيش مكتوفة اليدين لأشاهد اغتصاب كرامات الرجال المحيطين بي. فلأجل كرامتهم، ولأجل كرامتي هي الأخرى، قررت التخلي عن كل شيء. وكان هذا قراراً لا رجوع عنه»، واستنكرت صنيفر ما فعله أنصار جعجع برجال حبيقة، حيث قتلوهم وربطوا أجسادهم بالصخور وأغرقوهم في البحر، إذ إنّ إبقاءهم في السجن بات أمراً محرجاً. فالحرب التي بدأناها تحت شعارات مزيفة تغيّر مسارها، وبدأت حرب الإخوة بين المسيحيين، وبات بعضهم في رأي بعضهم الآخر الأعداء الجدد الذين يفوقون خطراً أعداء الماضي من فلسطينيين، وسوريين، ولبنانيين مسلمين.

وتتوالى الأحداث في الكتاب بشكل موثق ومتسلسل حيث باتت الرؤية للأحداث من الجبهة المقابلة، جبهة الحق والثبات جبهة تدعو لنصرة المظلوم والدفاع عن الأرض، فأصبحت صنيفر ترى في تسجيل أحداث كتابها وقائع من منظور حيادي، يحمل الكثير من الغضب على ما كانت عليه. فباتت تتحدث فيه عن جبهات جديدة لم تكن تألفها من قبل، حيث يقف مقاتلون «خرجوا لتوهم من المدارس العقائدية وحملو السلاح والعتاد ... إنهم شعب الله المختار، إنهم المصطفون الأبرار... إلى الذين يتهمونكم بالجنون، إنه لم يصبكم مس، ولا الشيطان استقر فيكم»، مؤكدة أن المقاومة رفعت رؤوس اللبنانيين والعرب نحو السماء العلا، إذ حطمت بمجيئها كل هالة مصطنعة عن إسرائيل وقواتها، ومن خلفها أمريكا التي لها الدور الأكبر في العبث بمصيرنا. فهم «شعب الله المختار ورجالاته على الأرض» كما وصفتهم، جاء الانتصار والحق معهم، موجهين رسالة سياسية ومعنوية شديدة الأهمية، فلبنان اليوم، هو قوة عظمى برجاله، يحسب له الغرب أو «إسرائيل» كل حساب.

كما أشارت إلى أن المقاومة اللبنانية نظرت إلى حقائق الأمور دون تعصب طائفي أو حزبي، فقد استطاع بضعة آلاف من المقاومين أن يقفوا ويقاتلوا في ظروف قاسية صعبة، ويؤدي قتالهم إلى إخراج البوارج البحرية من مياهنا الإقليمية، ويعمل على تدمير دبابات الميركافا مفخرة الصناعة الإسرائيلية، وتعطيل المروحيات، في ظل انقسام سياسي داخلي وفي زمن تخل عالمي وعربي. إن تجربة المقاومة تحت لواء «حزب الله» اعتمدت على الله أولا ثم العقل، والتخطيط، والتنظيم. فهي ليست مقاومة عشوائية، هي مقاومة من أجل إعلاء كلمة الحق ونصرة المظلوم.

وأخيرا نستطيع التسليم بخلاصة أن الخوف من الآخر والظروف المصطنعة، بالإضافة إلى سلوكيات الشخص، والبيئة الحاضنة. هي من العوامل الأساسية لنشوب الحروب بين أبناء الوطن الواحد. وتنهي جنيفر حديثها قائلة: «لقد عشت جنون الحرب عن قُرب، غير أنني أدرك اليوم أنّ الحرب لا تحمل الحلول لأية معضلات ولا أيّ من النزاعات، وإنما هي فقط تجتاح كل ما تجده في طريقها».

باب التربية:

1 - فاعلية استراتيجية الاصطفاف المنطقي في اكتساب المفاهيم الفيزيائية واستبقائها لدى طلاب الاول المتوسط

أ.د جلال شنتة جبرآل بطي و م.د سعد قدوري الخفاجي

جامعة ذي قار/كلية التربية للعلوم الصرفة مديرية تربية محافظة ذي قار

ملخص

هدف البحث الى معرفة فاعلية استراتيجية الاصطفاف المنطقي في اكتساب المفاهيم الفيزيائية واستيعابها لدى طلاب الاول المتوسط, وذلك من خلال الفرضيتين الصفريتين الآتيين :

1 - لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية التي درست باستخدام استراتيجية الاصطفاف المنطقي ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية في اكتساب المفاهيم الفيزيائية.

2 - لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية التي درست باستخدام استراتيجية الاصطفاف المنطقي ومتوسط درجات المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية في استبقاء المعلومات .

اقتصر البحث الحالي على طلاب الصف الاول المتوسط في المدارس المتوسطة النهارية التابعة للمديرية العامة التربية ذي قار \مدينة الناصرية للعام الدراسي(2019-2018)وتم تطبيق التجربة في الفصل الدراسي الاول وللحصول على النتائج تم معالجة البيانات احصائيا باستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وفي ضوء ذلك وضع الباحثان عددا من التوصيات والمقترحات المتعلقة بنتائج البحث.

مشكلة البحث:

يعد علم الفيزياء احد الاركان الاساسية للعلوم الطبيعية الذي كان ولا يزال له الاثر الكبير في التقدم العلمي والذي انعكس على التقدم الصناعي والتكنولوجي في جميع المجالات لذا برزت الحاجة الى الاهتمام بهذا العلم وبطرائق تدريسه والاهتمام بمفاهيمه ورفع مستوى اكتسابها وتقليل صعوبة استيعابها .

لقد شعر الباحثان بوجود صعوبة في تعليم مادة الفيزياء واكتساب مفاهيمها المعقدة وتطبيقها في مواقف تعليمية جديدة مما دفع الباحثان بتقديم استبانة الى مجموعة من مدرسي الفيزياء وعددهم (18) مدرس ومدرسة تضمنت ثلاثة اسئلة وكانت اجابتهم كالاتي :

90% من عينة المدرسين اجابوا بعدم معرفتهم باستراتيجية الاصطفاف المنطقي.

90% من العينة اجابوا بمعرفتهم باكتساب المفاهيم الفيزيائية وضعفها لدى الطلبة .

95% من العينة اكدوا ضرورة استبقاء المعلومات الفيزيائية والاحتفاظ بها.

وقد اختار الباحثان استراتيجية الاصطفاف المنطقي للمساعدة في توضيح بعض الجوانب للمشكلة وتذليل الصعوبات المشار اليها وفي ضوء ذلك تم صياغة مشكلة البحث بالسؤالين التاليين :

*هل هناك اثر لاستخدام استراتيجية الاصطفاف المنطقي في اكتساب المفاهيم الفيزيائية لدى طلاب الاول المتوسط

* هل هناك اثر لاستخدام استراتيجية الاصطفاف المنطقي في استبقاء المعلومات الفيزيائية لدى

طلاب الاول المتوسط

أهمية البحث :

يرى الباحثان ان تطوير منظومة التعليم التقليدي في مؤسساتنا التعليمية أصبح ضرورة ملحة خاصة وان البنى التحتية اللازمة لذلك متوفرة إلى حد ما ,ومن هنا أصبح لزاماً الاهتمام بطرائق التدريس الحديثة وتحسينها بوصفها إحدى الوسائل الفعالة لاستمرار النهضة العلمية والتكنولوجية وبها يمكن إثارة تفكير المتعلمين وإكسابهم القدرة على حل المشكلات وتزويدهم بالمفاهيم الأساسية للمعرفة.

ولان الفيزياء كانت وما زالت تلعب دور القائد في العلوم الطبيعية فقد كان من واجبها التصدي لعملية التغير الجديدة ,ويمكن القول ان الفيزياء الحديثة قد استمرت في حالة النهوض وانتشار أفقي طال مختلف الفروع المعرفية والمستجدات العلمية وسجلت العديد من الاختلافات المنهجية واختلافات في الإدراك العلمي .(دندش ,2009: 139-132)

ان المفاهيم ذات اهمية كبيرة ليس لانها الخيوط التي يتكزن منها نسيج العلم فحسب ولكن لانها تزود المتعلم بوسيلة يستطيع بها مسايرة النمو في المعرفة كما انها تساعد المتعلم في على تذكر ماتعلمه والفهم العميق لطبيعة العلم وتزيد من قدرة الشخص على تفسير الظواهر الطبيعية وتعد مشكلة اخفاق الطلبة في التعلم المفاهيم العلمية واحدة من التحديات التي تواجه الباحثين في مجال تعليم وتعلم الفيزياء في الوقت الراهن حيث اشارات العديد من الدراسات والبحوث لهذه المشكلة ومنها دراسة (الزبيدي 2005) ودراسة (الحراحشة 2012)

فيما تقدم فأن الدراسة الحالية تكتسب أهميتها من وجوه عدة منها :

1 – قلة الدراسات والبحوث التي اعتمدت استراتيجية الاصطفاف المنطقي على حد علم الباحثان في تدريس الفيزياء .

2 – كشف اثر استراتيجية الاصطفاف المنطقي في اكتساب المفاهيم الفيزيائية لدى طلاب الصف الاول متوسط .

3 – اهمية المرحلة المتوسطة وخاصة الصف الاول حيث تعتبر مرحلة مهمة في حياة المتعلم وانتقاله من الابتدائية الى المتوسطة والتي تتخلها العديد من الافكار ويظهر لدى المتعلم قدرات ذهنية وعقلية جديدة . فضلا عن التغيرات النفسية والجسمية التي ترافق ذلك .

4 – نتائج هذه الدراسة تفيد القائمين على تأليف كتب الفيزياء بتقديم الإرشادات والمقترحات الكفيلة بصياغة المحتوى وفقا للإستراتيجية الاصطفاف المنطقي.

5 – نتائج هذه الدراسة تفيد المتعلمين في إيجاد عملية ربط بين الفيزياء كعلم من جهة والحياة والبيئة من جهة اخرى وبالتالي الشعور بأهميتها وكيفية تطبيقها والاستفادة منها في حل المشكلات الحياتية.

6 – تزويد المسؤولين عن مناهج الفيزياء بالمقترحات التي تزيدمن توظيف استراتيجية الاصطفاف المنطقي في مناهج الفيزياء .

هدفا البحث : يهدف البحث الى التعرف على فاعلية استراتيجية الاصطفاف المنطقي في:

1 – اكتساب المفاهيم الفيزيائية لدى طلاب الصف الاول المتوسط .

2 – استبقاء المعلومات الفيزيائية لدى طلاب الصف الاول المتوسط.

ولأجل التحقق من هدفي البحث تم صياغة الفرضيتين الآتيين:

1 – لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (0,05) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية اللذين درسوا وفق استراتيجية الاصطفاف المنطقي ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة اللذين درسوا وفق الطريقة الاعتيادية في اختبار المفاهيم الفيزيائية .

2 – لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (0.05) بين متوسط درجات طلاب المجموعة

التجريبية اللذين درسوا وفق استراتيجة الاصطفاف المنطقي ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة اللذين درسوا على وفق الطريقة الاعتيادية في استبقاء المعلومات الفيزيائية .

حدود البحث :يقتصر البحث على :

1 – الحد البشري :طلاب الصف الاول متوسط في المدارس المتوسط والثانوية الحكومية والاهلية للبنات في مركز مدينة الناصرية .

2 – الحد الزمني : الفصل الدراسي الاول للعام الدراسي 2019–2018.

3 – الحد المكاني :متوسطة الحر الرياحي التي تقع في مركز مدينة الناصرية .

4 – الحد المعرفي : الوحدة الثالثة(القوة والطاقة) : (الفصل الخامس : القوة والضغط .)(الفصل السادس : الحرارة وتمدد الاجسام)

تحديد المصطلحات

1 – الاصطفاف المنطقي

عرفه **Smith** (2006): بأنه نشاط يخلق روح التعاون بين اعضاء الفريق وبعد نمط التفاعل الاجتماعي يقوم المتعلمون بترتيب بعض جوانب الموضوع ترتيبا منظما للوصول الى حل السؤال او المهمة المقدمة لهم .

(**Smith**: 2006: 90)

التعريف الاجرائي : استراتيجية ناتجة عن فكر التعلم التعاوني يقوم الباحثان خلالها بتوزيع طلاب الصف الاول متوسط (عينة البحث) الى مجاميع محددة متساوية في العدد واعطائهن بطاقات تتضمن (ارقام , اشكال , صور) وتقديم سؤال او مهمة فيصطف الطلبة للاجابة على السؤال او المهمة المقدمة لهن باستخدام البطاقات .

2 – الاكتساب

عرفه:السلطي (2004): «هو تشكيل ترابطات تشابكيه جديدة، فإذا ما كانت المدخلات مألوفة فستقوي الترابطان المثارة، وتعتمد تكوين الترابطات بشكل كبير على الخبرات السابقة» (السلطي،2004: 103).

ويعرف الباحثان (الاكتساب) اجرائيا على أنه: « قدرة طالبات الصف الاول متوسط على اكتساب المعرفة وخزنها واستخدام المفاهيم الفيزيائية وتعريفها وتمييزها وتطبيقها ودرست في اثناء مدة التجربة مقاساً بالدرجات التي تحصل عليها الطالبات في اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية الذي اعده الباحثان».

3 – المفاهيم

عرفه ريان (2013): « فكرة أو تمثيل للعنصر المشترك الذي يمكن أن يميز المجموعات أو المصنفات أو انه تصور عقلي عام ومجرد لموضوع أو حالة »(ريان،2013: 210).

التعريف الاجرائي : عبارة لفظية تتمثل بالعقل أو كلمة تدل على مجموعة خصائص تتصف بها ظاهرة فيزيائية طبيعية التي يتوصل اليها الطلبة من خلال توظيفها لعملياتها العقلية بما يتعلق بالمفاهيم الفيزيائية التي تدرس إلى طلاب الصف الاول متوسط والتي يقاس اكتسابها من خلال الدرجة التي يحصل عليها الطلبة في اختبار اكتساب المفاهيم المعد لهذا الغرض من قبل الباحثان.

4 – الاستبقاء

عرفه العياصرة (2011) بأنه : العملية التي تتخلل الفترة مابين عمليتي الاكتساب والاسترجاع .

(العياصرة : 2011 : 42)3

التعريف الاجرائي للاستبقاء : هو الاثر المحتفظ به عند طلاب مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) من التعلم الذي اكتسبوه خلال مدة التجربة من مادة الفيزياء مقاسا بالدرجة التي يحصل

عليها الطلاب في اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية البعدي الثاني الذي تم تطبيقه بعد مرور اسبوعين على تطبيق اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية الاول.

الفصل الثاني :

الخلفية النظرية :

اولا : التعلم النشط

1- فلسفة التعلم النشط : هو اتجاه يؤكد استثمار وجود المتعلم بوصفه محور العملية التعليمية من هنا يبرز دور الاهتمام بالنشاط الذي يؤديه المتعلم فالمتعلم مشارك نشط حبث يقوم المتعلمون بانشطة عدة تتصل بالمادة المتعلمة مثل الاشتراك في المناقشات التجريب ,المقارنات .

2- أسس التعلم النشط :

1- اشتراك الطلاب في اختيار نظام العمل وقواعده.

2- اشتاراك الطلاب في تحديد الاهداف التعليمية.

3- تنوع مصادر التعلم .

4- استخدام استراتيجيات التدريس المتركزة حول الطلاب

- اعتماد الطلبة على تقويم انفسهم وزملائهم

(عبد الرزاق : 920: 2018)

3- طرائق تدريس التعلم النشط :استراتيجية الاصطفاف المنطقي

خطوات الاستراتيجية :

1 - قسم الطلاب الى اربعة مجاميع .

2 - قدم لكل مجموعة اربعة مهام (مثلا صورة رموز كيميائية , كائنات حية للتصنيف ارقام , حروف ... الخ) .

3 - يأخذ كل زميل مهمة واحدة (صورة فاكهة مثلا)

4 - يطرح المعلم السؤال كما هو موضح في الامثلة القادمة .

5 - تتشارك اعضاء المجموعة في كيفية الاصطفاف بناءا على السؤال المطروح لهم .

6 - عندما يتفقون على طريقة الاصطفاف يتجهون الى المكان المناسب لهم .

7 - يطلب المعلم من كل فريق سبب اختيارهم لهذا الاصطفاف .

(الشمري : 99: 2011)

ثانيا :المفاهيم الفيزيائية :

تشكل مهمة اكتساب المفهوم جزءا رئيسا من عملية التعليم داخل غرفة الصف اذ يقوم المدرسون بنحو مستمر بتعليم مفاهيم جديدة ومتنوعة للطلبة وتتباين في طرائق عرضها واساليبها حتى ان التباين قد يحدث لدى المدرس نفسه في عرض مفهومين مختلفين لصف واحد فعند تعليم أي مفهوم قد يبدأ المدرس باعطاء تعريف المفهوم ثم يعرض عليه امثلة ثم يتبع ذلك باعطاء مثال لايتفق مع المفهوم . (عريفج: 2005 :)166

ويرى زيتون(2007) , بأن تكوين المفاهيم العلمية ونحوها عملية مستمرة تتدرج في الصعوبة من صف تعليمي الى صف اخر ومن مرحلة تعليمية الى اخرى وذلك نتيجة لنمو المعرفة العلمية نفسها. كما ان المفاهيم العلمية تتكون وتبنى مبدئيا من خلال ثلاث عمليات هي التميز والتصنيف والتعميم . ويضيف زيتون بان هناك منحيان لتكوين المفاهيم العلمية في تعليم العلوم وتعلمها :

الاول :المنحى الاستقرائي : وفي هذا الاسلوب يبدأ معلم العلوم مع الطلاب بالحقائق والمواقف العلمية الجزئية والامثلة المحسوسة ثم بادراك الحقائق المميزة ومعرفة العلاقة بينهم بينما يتم التواصل الى بناء المفهوم العلمي المراد تعليمه .

الثاني : المنحى الاستنتاجي: في هذا الاسلوب يقوم معلم العلوم بتقديم المفهوم ثم الامثلة او الحقائق وذلك للتحقق او التاكد من تكوين المفهوم او تعلمه .

(زيتون : 2007 : 83-82)

الدراسات السابقة

1 - دراسة عبد الامير وناصح (2017)

يهدف البحث الى التعرف على اثر استراتيجية الاصطفاف المنطقي (**L.L.U**) في تحصيل مادة الرياضيات للتلميذات للصف الخامس الابتدائي , وللتحقق من هدف البحث تم صياغة فرضية بعدم وجود فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة(0,05) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن باستخدام استراتيجية الاصطفاف المنطقي والمجموعة الذابطة اللاتي يدرسن باستخدام الطريقة المعتادة في التدريس في اختبار التحصيل , تكونت عينة البحث من (70) تلميذة من تلميذات الصف الخامس الابتدائي موزعين في مجموعتين بواقع (35) تلميذة في المجموعة الضابطة وقد تم تكافؤ بين هاتين المجموعتين في عدد من المتغيرات (العمر الزمني محسوبا بالشهور , والتحصيل السابق في مادة الرياضيات واختبار الذكاء واختبار المعرفة السابقة في مادة الرياضيات واعدت اداة البحث المتمثلة (اختبار التحصيل) الذي تكون بصورته النهائية من (24) فقرة موضوعية من اختبار من متعدد ذي البددائل الاربعة وقد تم التحقق من الصدق الظاهري واستخراج معامل الصعوبة وماعمل التمييز وفعالية البدائل للفقرات الموضوعية , وتم ايجاد ثبات فقرات الاختبارباستخدام معادلة كيودر –ريشادرسون -20 اذ بلغ (0,83) وبعد تطبيق الاختبار الاختبار على عينة البحث وتحليل النتائج احصائيا كشفت النتائج عن تفوق المجموعة التجريبية التي درست باستراتيجية الاصطفاف المنطقي في اختبار التحصيل وفي ضوء نتائج البحث تم التوصل الى مجموعة من الاستناجات وقام الباحثان مجموعة من التوصيات والمقترحات .

2 - دراسة شياع (2017)

هدفت الدراسة الى معرفة اثر استراتيجية الاصطفاف المنطقي في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة قواعد اللغة العربية والاحتفاظ به) في تخصص طرائق تدريس اللغة العربية .حيث عملت الدراسة على ترسيخ المعلومات وتسهيل التعلم لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة قواعد اللغة العربية بشكل متسلسل ومنتظم، فضلاً عن ان استراتيجية الاصطفاف المنطقي لها الاثر الايجابي في زيادة التحصيل لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة قواعد اللغة العربية .واوصت الدراسة بضرورة :تدريب معلمي اللغة العربية ومعلماتها في المدارس الابتدائية على كيفية تطبيق خطوات استراتيجية الاصطفاف المنطقي، واعداد كراس صغير يوضح استراتيجيات التعلم النشط ومنها الاصطفاف المنطقي .,واقترح الباحث اجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة لتدريس قواعد اللغة العربية لتلاميذ الصف الخامس الابتدائي على وفق سنة دراسية كاملة، واجراء دراسة مقارنة بين استراتيجية الاصطفاف المنطقي عند تدريس قواعد اللغة العربية للصف الخامس الابتدائي واستراتيجية اخرى من استراتيجيات التعلم النشط.

3 - دراسة الجنابي(2013)

هدف البحث الحالي التعرف على اثر خرائط المفاهيم بواسطة عارض البيانات في اكتساب المفاهيم الفيزيائية لدى طلاب الصف الثاني المتوسط. ولتحقيق هذا الهدف وضع الباحث فرضيته الصفرية ، شمل مجتمع البحث طلاب الصف الثاني المتوسط في المدارس المتوسطة والثانوية التابعة لمديرية تربية صلاح الدين- تكريت المنظمين في الدوام الصباحي للعام الدراسي (2013-2012) اقتصر البحث الحالي على طلاب الصف الثاني المتوسط للعام(2013-2012) في ثانوية المحزم للبنين واعتمد الباحث التصميم التجريبي ذا المجموعتين التجريبية والضابطة واختبار بعدي في(اكتساب

المفاهيم) وتكونت عينة البحث من (38) طالبا قسموا عشوائيا الى مجموعتين احداهما تجريبية بلغ عددها) (18) طالبا واخرى ضابطة بلغ عددها (20)طالبا وقد اجرى الباحث التكافؤ بين مجموعتي البحث في متغيرات التحصيل الدراسي السابق ، التحصيل الدراسي للوالدين، العمر الزمني بالأشهر، واختبار الذكاء(وقد اعد اختبار اكتساب للمفاهيم الفيزيائية تكون من (30) فقرة من نوع الاختيار من متعدد بعد التأكد من صدقة الظاهري ومستخرجا معامل الصعوبة والقوة التمييزية للفقرات فضلا عن ثباته وقد بدأت التجربة (2012)وقد قام الباحث بتدريس 3/10/2012وانتهت في 26/12/2012وقد قام الباحث بتدريس مجموعتي البحث بنفسه وبعد انتهاء التجربة قام الباحث بتطبيق اختبار اكتساب المفاهيم بتاريخ 26/12/2012ومن ثم معالجة البيانات احصائيا باستخدام الاختبار التائي (**t–test**) واظهرت النتائج الاتي :فاعلية استعمال خرائط المفاهيم بواسطة عارض البيانات كطريقة تدريسية على الطريقة الاعتيادية في اكتساب المفاهيم الفيزيائية وبدلاله احصائية وفي ضوء هذه النتائج توصل الباحث الى عدد من الاستنتاجات واوصى بعض التوصيات كما اقترح مجموعة من المقترحات.

4 – دراسة ناصر (2015)

يهدف البحث الحالي إلى تعرف أثر إستراتيجية الخرائط الذهنية في تحصيل واستبقاء المعلومات لدى طلاب الصف الرابع الأدبي في مادة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.وللتحقق من هدف البحث صاغ الباحث الفرضيتين الصفريتين:

1. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية على وفق إستراتيجيةالخرائط الذهنية وبين متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها على وفق الطريقة الاعتيادية (التقليدية).

2. لايوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة(0,05)بين متوسط درجات استبقاء المعلومات لطلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية على وفق إستراتيجيةالخرائط الذهنية وبين متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها على وفق الطريقة الاعتيادية (التقليدية)وللتحقق من ذلك اختار الباحث تصميما تجريبيا ذا ضبط جزئي وهو تصميم المجموعات المتكافئة ذات الاختبار البعدي، وحدد الباحث الإعدادية المركزية في النجف الأشرف لتكون عينة البحث، وبلغت عينة البحث(60) طالبا من طلاب الصف الرابع الأدبي وبواقع(30) طالبا لكل مجموعة من مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) .أجرى الباحث تكافؤا يبين طلاب عينة البحث في المتغيرات كالذكاء والتحصيل الدراسي للأبوين والعمر الزمني للطلاب محسوبا بالأشهر.

جوانب الافادة من الدراسات السابقة :

1– التعرف على المنهج والاجراءات البحثية التي اتبعتها الدراسات السابقة واتخاذ المناسبة منها لما ينسجم مع البحث الحالي .

2–الافادة في اعداد الخطط التدريسية وتحديد الاهداف السلوكية وصياغتها .

3–التعرف على الوسائل الاحصائية المستخدمة والافادة منها.

4– التزود بالعديد من المصادر والمراجع التي تفيد الباحث في اجراء بحثه .

5–افادت الباحثان من بعض النتائج التي اسفرت عنها الدراسات السابقة في مناقشة وتفسير نتائج البحث الحالي.

الفصل الثالث

إجراءات البحث

أولا : التصميم التجريبي

يعد التصميم التجريبي تخطيط للظروف والعوامل المحيطة بالظاهرة المراد دراستها بطريقة معينة ومن ملاحظة مايحدث وقد اعتمد التصميم التجريبي ذي الضبط الجزئي والاختبار البعدي ويمكن توضيح التصميم التجريبي للبحث وفق المخطط الاتي :

مخطط (1)

التصميم التجريبي للبحث

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع
التجريبية	استراتيجية الاصطفاف المنطقي	اكتساب المفاهيم الفيزيائية واستبقائها
الضابطة	الطريقة الاعتيادية	

ثانياً: مجتمع البحث وعينة

تم اختيار متوسطة الحر الرياحي الواقعة في مدينة الناصرية / المركز قصدياً اذ ان ادارة المدرسة أبدت تعاونها في إجراءات البحث كما انها تحتوي على (3) شعب بواقع (126) طالبا تم اختيار شعبة أ عشوائياً لتكون المجموعة التجريبية وفيها(42) طالبا وشعبة ج عشوائيا لتكون المجموعة الضابطة وفيها (42) طالبا .

ثالثاً :التكافؤ بين مجموعتي البحث

1-العمر الزمني بالاشهر :تم احتساب اعمار طالبات مجموعتي البحث بالاشهر لغاية 1/15/2018 من السجلات المدرسية وباستخدام الاختبار التائي **t-test** لم تظهر هنالك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 وجدول (1) يوضح ذلك.

جدول (1): الاختبار التائي لمتغير العمر الزمني بالاشهر لمجموعتي البحث

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	ت الجدولية	درجة الحرية	الدلالة الاحصائية
التجريبية	42	155.6	6.87	1.351	2	82	غير دالة
الضابطة	42	157.5	5.94				

2-الذكاء : تم استخدمت اختبار (رافت) لقياس درجة ذكاء لطلاب عينة البحث لما يتميز به من درجة عالية من الصدق والثبات فضلا عن كونه معتمدا في البيئه العراقيه ويمكن تطبيقة على اعداد كبيرة في الوقت نفسه. (الدباغ ، 1983: 33)

وطبق الاختبار على مجموعتي البحث وباستخدام الاختبار التائي **t-test** لم تظهر هنالك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 وجدول (2) يوضح. ذلك

جدول (2): الاختبار التائي لدرجات مجموعتي البحث في اختبار الذكاء

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	ت الجدولية	درجة الحرية	الدلالة الاحصائية
التجريبية	42	36.6	5.8	1.575	2	82	غير دالة
الضابطة	42	34.7	5.2				

3-التحصيل في مادة العلوم للصف السادس الابتدائي:

تم الحصول على درجات طلاب مجموعتي البحث في مادة العلوم للصف السادس الابتدائي من السجلات المدرسية وباستخدام الاختبار التائي **t-test** لم تظهر هنالك فروق ذات دلالة إحصائية عند

مستوى دلالة 0.05 والجدول (3) يوضح ذلك.

جدول (3): الاختبار التائي لدرجات مجموعتي البحث في تحصيل مادة العلوم للصف السادس الابتدائي

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	ت الجدولية	درجة الحرية	الدلالة الاحصائية
التجريبية	42	70.2	12.16	0.918	2	82	غير دالة
الضابطة	42	72.5	10.64				

4- المعلومات السابقة

تم اعداد اختبار للمعلومات السابقه اعتمد في صياغته على ما درسه الطلاب في المرحله الابتدائيه في مادة العلوم للصف الخامس والسادس الابتدائي لغرض تحديد المعلومات السابقة التي يمتلكها الطلاب عن مادة الفيزياء وتألف الاختبار من 20 فقرة من نوع الاختيار من متعدد وللتاكد من سلامة الاختبار قبل تطبيقة ثم عرضة على مجموعة من الخبراء في الفيزياء وطرائق التدريس وباستخدام الاختبراء الثائي وباستخدام الاختبار التائي**t-test** لم تظهر هنالك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 والجدول (٤) يوضح ذلك

جدول (4) : الاختبار التائي لدرجات مجموعتي البحث في اختبار المعلومات السابقه

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	ت الجدولية	درجة الحرية	الدلالة الاحصائية
التجريبية	42	14.5	5.83	1.001	2	82	غير دالة
الضابطة	42	15.8	4.95				

رابعا : مستلزمات البحث

1) تحديد المادة العلمية

تم تحديد المادة العلمية بالوحدة الثالثة (القوة والطاقة) وتتكون من :

- الفصل الخامس:القوة والضغط
- الفصل السادس : الحرارة وتمدد الاجسام

من كتاب العلوم (الفيزياء) للصف الاول المتوسط للعام الدراسي 2018/2019

2) تحديد الأغراض السلوكية

تم تحديد الأغراض السلوكية فكانت (98)غرضاً سلوكياً على وفق تصميم (بلوم) وقد تم عرضها على مجموعة من الخبراء في مجال التربية والفيزياء وطرائق التدريس.

3) اعداد الخطط التدريسية

وفقاً لمحتوى المادة المقررة لأغراض البحث فقط تم اعداد (12) خطه تدريسية لمجموعتي البحث وفقاً لكل من استراتيجية الاصطفاف المنطقي والطريقة الاعتيادية و تم عرضها على مجموعة من الخبراء في مجال التربية والفيزياء وطرائق التدريس .

خامساً : اداة البحث

اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية: قام الباحثان ببناء اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية وفق الفقرات الاتية :

1) اعداد جدول المواصفات : تم اعداد جدول المواصفات تمثلت فية موضاعات مادة التجربة

ممثلة بالوحدة (3) المتكونة من الفصل (5) والفصل (6) من الكتاب المقرر تدريسة لطلاب الصف الاول المتوسط والاغراض السلوكيه للمستويات الثلاثة (التذكر.والفهم.والتطبيق)في المجال المعرفي لتصنيف بلوم.

2) صياغة فقرات الاختبار : صيغت فقرات الاختبار : صيغت فقرات الاختبار على وفق المواصفات التي سبق التطرق اليها وبشكل فقرات موضوعية البناء لانها توفر درجة مقبولة من الصدق والموضوعية وقد بلغ عدد فقرات الاختبار (30) فقرة اختبارية من نوع الاختبار من متعدد اعدت لقياس (30) مفهوماً فيزيائياً روعي فيها نواحي السلامة الفنية واللغوية فضلاً عن شموليتها لمادة التجربة وملائمتها لمستويات الطلاب.

3) صدق الاختبار : لقد تم التوصل الى صدق الاختبار من خلال التوافق بين تقديرات الخبراء الذين عرض عليهم الاختبار بصيغته الأولية مع قائمتي المفاهيم لمحتوى الفصول الخمسة الأولى من الكتاب المقرر والاغراض السلوكية لمحتوى الوحدة (3) المتكونة من الفصل (5) والفصل (6) من الكتاب المقرر لبيان رأيهم في مدى تغطيتها للمحتوى ومستويات الأهداف المستهدفة ومدى قياسها للمستويات المعرفية.

4) تطبيق الاختبار على العينة الاستطلاعية :بعد التأكد من صدق المحتوى للاختبار ولغرض التأكد من الخصائص السايكومترية للاختبار ومن اجل حساب كل من معامل الصعوبة وقوة التمييز وفعالية البدائل ومعامل الثبات وتقدير الوقت المستغرق للإجابة وكذلك للتأكد من وضوح فقرات الاختبار وتعليماتك قام الباحثات بتطبيق الاختبار على عينة استطلاعية اختيرت عشوائياً من طلاب الصف الصف الاول متوسط مكونة من (50) طالبة.

5) التحليل الاحصائي لفقرات الاختبار :

- معامل صعوبة الفقرة: تم حساب معامل صعوبة فقرات الاختبار فوجد انها تقع بين (0.32–0.69) تعد هذه القيم مقبولة .
- القوة التمييزية للفقرات : تم حساب القوة التمييزية لفقرات الاختبار فتراوحت ما بين (0.26–0.68) والفقرات التي تبلغ قوتها التمييزية (0.20) كثر تعد جيدة .
- فعالية البدائل الخاطئة: تم حساب فعالية كل بديل خاطئ ولكل فقرة اختبارية فظهر ان البدائل جذبت اليها عدد من افراد المجموعة الدنيا مقارنة بافراد المجموعة العليا وبناء على ذلك فقد تقرر الإبقاء على البدائل كما هي
- ثبات الاختبار : تم حساب ثبات الاختبار فبلغ (0.78)هي تعد مقبولة بالنسبة الى مثل هذا الاختبار .

سادسا: تطبيق التجربة

1– بدأت التجربة في بداية الفصل الدراسي 2018/2019 في الفصل الدراسي الأول
2– طبق اختبار الذكاء يوم الاثنين الموافق 29/10/2018
3– طبق اختبار المعلومات السابقة يوم الثلاثاء الموافق 30/10/2018
4– بدأ التدريس الفعلي لمجموعتي البحث يوم الخميس الموافق 1/11/2018
5– طبق اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية يوم الاحد الموافق 16/12/2018
6– طبق اختبار استبقاء المعلومات يوم الثلاثاء 8/1/2019

سابعاً: الوسائل الإحصائية

الاختبار التائي (**t–test**): استخدام التكافؤ بين مجموعتي البحث وللمقارنة بين متوسطات درجات طلاب مجموعتي البحث في اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية واستبقائها. (الكبي سي،2010؛118)

معادلة صعوبة الفقرة : استخدمت لحساب معامل صعوبة فقرات اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية . (علام،204؛251)
معادلة تمييز الفقرة :استخدمت لمعرفة القوة التمييزية لفقرات اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية. (الجلالي،2011؛44)
معادلة فعالية البدائل : استخدمت لحساب فعالية البدائل لفقرات الاختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية. (العزاوي،2008؛83)
معامل ارتباط بيرسون: لإيجاد ثبات اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية . (عبد الجواد ،2013؛173)
معادلة حجم الأثر : لمعرفة مقدار الأثر الذي يحدثه المتغير المستقل. (أبو حطب وآمال ،1996؛438)

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

أولا: عرض النتائج

لاجل التحقق من فرضيتي البحث تم تطبيق الاختبار التائي **t-test** لمعالجة البيانات ومعرفة الفروق في متوسط درجات الطلاب في اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية جموعتي البحث كما موضح في جدول (5)

جدول (5) نتائج الاختبار التائي لبيانات معنوية الفروق في اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية يين مجموعتي البحث

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	ت الجدولية	درجة الحرية	الدلالة الاحصائية
التجريبية	42	26.2	7.55	3.958	2	82	دالة
الضابطة	42	18.9	9.21				

يتضح من جدول (5) إن قيمة ت المحسوبة البالغة (2.874) هي اعلى من قيمة ت الجدولية البالغة (2) وهذا يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعتي البحث ولصالح المجموعة التجريبية .ولمعرفة حجم الأثر للمتغير المستقل استخدمت معادلة حجم الاثر كما موضح في جدول رقم (6).

جدول (6): حجم الاثر للمتغير المستقل في متغير اكتساب المفاهيم الفيزيائية

المتغير المستقل	المتغير التابع	قيمة حجم الاثر
استراتيجية الاصطفاف المنطقي	اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية	0.16

يتضح من جدول (6) ان قيمة حجم الاثر بلغت (0,16) ويعد مرتفعا .اذ ان قيمه حجم الاثر التي تفسر (0,15) فأكثر لاي متغير مستقل على المتغيرات التابعة يعد مرتفعا.
(ابو حطب وامال , 1996 : 443)

كذلك تم تطبيق الاختبار التائي **t-test**لمعالجة البيانات ومعرفة الفروق في متوسط درجات الطلاب في اختبار استبقاء المعلومات بين مجموعتي البحث , كما موضح في جدول (7).

جدول(7) :نتائج الاختبار التائي لبيان معنوية الفروق في اختبار استبقاء المعلومات بين مجموعتي البحث

المجموعة	المتوسط الحسابي	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت المحسوبة	ت الجدولية	درجة الحرية	الدلالة الاحصائية
التجريبية	42	24,5	9,25	4,191	2	82	دالة
الضابطة	42	15,4	10,53				

يتضح من جدول (7) ان قيمة ت المحسوبة البالغة (4,191) هي اعلى من قيمة ت الجدولية البالغة (2) وهذا يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعتي البحث ولصالح المجموعة التجريبية. ولمعرفة حجم الاثر للمتغير المستقل استخدمت معادلة حجم الاثر كما موضح في جدول (8)

جدول رقم (8): حجم الاثر للمتغير المستقل في متغير استبقاء المعلومات

المتغير المستقل	المتغير التابع	قيمة حجم الاثر
استراتيجية الاصطفاف المنطقي	اختبار استبقاء المعلومات	0,17

يتضح من جدول (8) ان قيمة حجم الاثر بلغت (0,17) ويعد مرتفعا.

ثانياً: تفسير النتائج

أظهرت نتائج البحث مايلي :

1 – وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين مجموعتي البحث التجريبية والضابطة في اختبار اكتساب المفاهيم الفيزيائية ولصالح المجموعة التجريبية.

ويمكن ان يعزى ذلك الى مجموعة اسباب منها:

- ان استراتيجية الاصطفاف المنطقي كان لها فاعلية في تطوير اكتساب المفاهيم الفيزيائية لدى الطلاب.
- اسهمت هذه الاستراتيجية في تنمية روح التعاون وتبادل المعلومات بين الطلاب.
- تعمل على مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب.
- تساعد هذه الاستراتيجية الطلاب في تحديد الموضوع بصيغة المفهوم الرئيسي وتعمل على تجزئته الى مفاهيم فرعية .
- تساعد على تحقيق التعاون بين الطلاب انفسهم والتعاون بين المدرس والطلاب.

2 – وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) بين مجموعتي البحث التجريبية والضابطة في اختبار استبقاء المعلومات ولصالح المجموعة التجريبية .

ويمكن ان يعزى ذلك الى مجموعة اسباب منها :

- ساهمت هذه الاستراتيجية في تنمية التفكير لدى الطلاب حيث اتاحة الفرصة امامهم ممارسته طرق التعلم ومهارته بانفسهم
- تركت هذه الاستراتيجية اثر في مشاركة الطلاب بصورة فاعلة في العملية التعليمية وذلك للحماس والاندفاع والاقبال نحو التعلم
- ان التدريس وفق هذه الاستراتيجية زاد استغلال الطالب لما لديه من معارف ومعلومات واساليب للحصول على المعرفة.
- ساهمت هذه الاستراتيجية في ادماج المعرفة وتكاملها للطلاب مما سهل استرجاع وانتقال الحقائق الى ذاكرتهم ثم تحقق استبقاء المعلومات لديهم.

- عرض المفهوم وعناصره ومميزاته وتطبيقه زاد من قدرة الطلاب على امكانية تذكر المعلومات والاحتفاظ بها لمدة اطول.

ثالثا: الاستنتاجات

أظهرت نتائج البحث مايلي :

1 – ان استراتيجية الاصطفاف المنطقي أدت الى زيادة اكتساب المفاهيم الفيزيائية لدى الطلاب.
2 – ان التدريس وفق هذه الاستراتيجية ادى الى زيادة استبقاء المعلومات لديهم.
3 – ساعدت هذه الاستراتيجية على زيادة حماس الطلاب وحرية الرأي مما زاد تشويقهم للدرس.
4 – اسهمت هذه الاستراتيجية في زيادة نشاط الطلاب ثم زيادة مشاركتهم والتفاعل فيما بينهم.
5 – ساعدت على حث الطلاب نحو التفكير من اجل الحصول الى المعرفة .

رابعا: التوصيات

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحثات مايلي :

1 – اعتماد استراتيجية الاصطفاف المنطقي في تدريس الفيزياء كما لها من اثر في زيادة اكتساب المفاهيم الفيزيائية واستبقائها.
2 – ضرورة تشجيع المدرسين والمدرسات على استخدام هذه الاستراتيجية الاصطفاف المنطقي في التدريس.
3 – تضمين كتاب مرشد الفيزياء في المرحلة المتوسطة على استراتيجية الاصطفاف المنطقي.
4 – ضرورة عقد دورات تدريبية لمدرسي الفيزياء على استخدام استراتيجيات تدريس حديثة .في دعم عملية التدريس وايصال المواد الدراسية الى اذهان الطلاب.

خامساً: المقترحات

استكمالاً للبحث الحالي يقترح الباحثات اجراء مايلي :

1 – اجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية على الطالبات وفق متغير الجنس.
2 – اجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية لمواد دراسية اخرى.
3 – اجزاء دراسة مماثلة للدراسة الحالية ولمراحل دراسية مختلفة .
4 – اجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية ولمتغيرات تابعة اخرى مثل التفكير العلمي او التفكير الناقد اوحب الاستطلاع او الدافعية نحو التعلم او التفضيل المعرفي .

المصادر العربية :

1) ابو حطب وفؤاد وامال صادق (1999) : مناهج البحث وطرائق التحليل الاحصائي في العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية , ط1 , مكتبة الانجلو , القاهرة .
2) السلطي , نادية سميح (2004):التعلم المستند إلى الدماغ، دار المسيرة، عمان.
3) الشمري , ماشي بن محمد (2011) , 101 استراتيجية في التعلم النشط , السعودية . ط1.
4) الجنابي , احمد طالب صبار (2013), اثر خرائط المفاهيم بواسطة عارض البيانات في اكتساب المفاهيم الفيزيائية لدى طلاب الصف الثاني المتوسط., رسالة ماجستير غير منشورة ,جامعة تكريت , العراق.
5) الحراشة , كوثر (2012) , اثر استراتيجية المماثلة في تدريس العلوم في اكتساب المفاهيم العلمية ومستوى اداء عمليات العلم الاساسية , دراسة شبه تجريبية على تلاميذ الصف الخامس الاساسي في الاردن , مجلة جامعة دمشق , 28(2) 411-451.
6) الزبيدي , صادق (2005) ,اثر دائرة التعلم في التحصيل العلمي وعمليات العلم الاساسي في الفيزياء لدى طلبة الصف الثامن الاساسي , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة صنعاء , اليمن .

7) بركات، زياد امين (2004):العلاقة بين التفكير التأملي والتحصيل لدى عينة من الطلاب الجامعيين وطلاب الثانوية العامة في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية ، جامعة القدس ، فلسطين
8) الدباغ ، فخري واخرون (1983): اختبار المصفوفات المتتابعة القياس ، ط 1 ، مطبعة جامعة الموصل ، الموصل.
9) شياع, صقر محمد(2017) : اثر استراتيجية الاصطفاف المنطقي في تحصيل تلاميذ الصف الخامس الابتدائي في مادة قواعد اللغة العربية والاحتفاظ به, رسالة ماجستير غير منشورة ,ديالى العراق.
10) ريان، محمد هاشم(2012): استراتيجيات التدريس لتنمية التفكير وحقائب تدريسية، ط2، مكتبة الفلاح، للنشر والتوزيع، الكويت.
11) زيتون , عايش محمود , (2001) النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم , ط1 , , دار الشروق , عمان .
12) الكبيسي ، وهيب مجيد (2010): الاحصاء التطبيقي في العلوم الاجتماعية ، ط1 ، مؤسسة مصر مرتضى ، بيروت.
13) عبد الامير , عباس ناجي , ازهار حنون ناصح , اثر استراتيجية الاصطفاف المنطقي (L.U.) في تحصيل مادة الرياضيات للتلميذات الصف الخامس الابتدائي, مجلة الفنون ,العدد 15. بغداد , العراق .
14) علام ، صلاح الدين (2011): القياس والتقويم في العملية التربوية ، ط2 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان.
15) عريفج , سامي سلطي (2005) , اساليب تدريس الرياضيات والعلوم , ط1 , دار صفاء , عمان.
16) عبد الرزاق ' عيادة محمد (2018) , أثر استخدام استراتيجيتي دورة التعلم **Learning Cycle**) (والتعلم التعاوني **Cooperative Learning** في اكتساب طالبات الصف الخامس العلمي المفاهيم الفيزيائية وتنمية مهارات عمليات العلم لديهن وميلهن نحو الفيزياء , **Route Educational** , العدد 5 .بعقوبة . العراق.
17) عبد الجواد ، مصطفى خلف (2013): الاحصاء الاجتماعي المبادئ والتطبيقات ، ط2 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان.
18) العياصرة, وليد رفيق (2011), التعليم والتعلم وعلم النفس التربوي , ط1 , دار اسامة للنشر والتوزيع , عمان , الاردن ,
19) العزاوي ، رحيم يونس (2008): القياس والتقويم في العملية التدريسية ، ط1 ، دار دجلة ، عمان.
20) ناصر, محمد طاهر , أثر استراتيجية الخرائط الذهنية في تحصيل واستبقاء المعلومات لدى طلاب الصف الرابع الأدبي في مادة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ,جامعة الكوفة, كلية التربية للبنات , العدد 1.العراق .
21) الكبيسي , وهيب مجيد (2010) الاحصاء التطبيقي في العلوم الاجتماعية , ط1 , مؤسسة مصر مرتضى , بيروت .
22) دندش ,نزار :2009,ماهو العلم ....رحلة في التفكير العلمي,ط1,دار الفارابي , بيروت.

المصادر الاجنبية :

1- Smith , Janet Aaker (2006) : 90 instruction strategies for the classroom , pieces of learning .

2- من الطالبِ الجامعيّ إلى الراشد القادر - النقدُ الذاتيُّ للنقطةِ العمياء

بقلم الدكتورة : إكرام مشموشي

كلية التربية/الجامعة اللبنانية

Imachmouchi10@gmail.com

الملخص

لا يُبنى التفكير العلميّ إلَّا بنقدٍ بنَّاءٍ للتفكير اللاعلمي(Bachelard)6, 1972، عبارةٌ شكلت محور هذه الدراسة، بعد قراءة التفكير اللاعلمي عند الطالب الجامعي، وابتعاده عن الممارسات العلمية. تهدف هذه الدراسة إلى حثّ الطالب الجامعي على النقد البناء للمعرفة العلمية: «النقطة العمياء»، أو معجمه العلمي في الاختصاص الجامعي، والأول: قراءتها وتحليلها في أو بعد النشاط البنائي وبالنواتج. فتبين أنّ المعرفة تتطور من خلال ثلاثة عوامل: 1) الاستقراء في أو بعد النشاط البنائي أو بالنواتج، 2) قراءة العلاقة التفاعلية بين المادة والأستاذ الجامعي والطالب، 3) وأثر الإدراك والوعي في التعلّم في النشاط المهني وبالنواتج.

كما تُبيِّن هذه الدراسة أيضاً أنّ التَّفكُر والتَّأمُل في المفاهيم الأساسية للمادة التعليميّة، يُعيد بِناء تفكيرٍ استراتيجيٍّ عند الطالب الجامعي، ويُمكنه من العلاقة المتلازمة بين المعرفة والقدرة على التصرف في النشاط. أما فيما يختصُّ بتحليل المنتج العلمي وقراءته للطالب الجامعي، فقد تمت ملاحظة حركةٍ معاكسةٍ: متغيرات عند الطالب الجامعي: (الجنس، التحفيز، الاهتمام، والقيم) والتي يمكن أنّ يُستدل، من خلالها، على الراشد القادر.

Résumé

Nous nous plaçons dans la perspective de Bachelard «la formation de l'esprit scientifique» d'une approche compréhensive du «point aveugle»: «concept utilisé et défini par la chercheuse, c'est l'ensemble des concepts scientifiques et des paradigmes», constitués au fil du cursus universitaire d'un étudiant universitaire. Dans cette étude, la chercheuse a suivi l'apprenant adulte en M2 management des établissements scolaires, sur trois ans consécutifs. Un essai pour identifier les éléments organisateurs du «point aveugle», les démarches de sa reconception par la réflexion sur et dans l'activité, pour constituer une démarche constitutive du pouvoir agir en action. En réfléchissant l'action, l'apprentissage l'étudiant constate quel a été développé selon trois dimensions: l'une est didactique, l'autre, dans cette étude, est le repérage de la dynamique interactionnelle entre professeur, étudiant et la matière avec les enjeux psychologiques, intersubjectifs que cela suppose de manière générale, que l'objet des échanges, en l'occurrence ici l'apprentissage des concepts de la planification en management d'administration, guide le déroulement de l'interaction de l'apprenant en action conceptuel. Dans l'analyse proposée, on repère un autre mouvement,

un mouvement inverse, qui engage des enjeux de personnes (genre, mo– tivations, intérêts, valeurs) que nous appelons les invariants du sujet et qui vont conduire à la conception de l'adulte capable.

المقدمة

شَكّل بناء التفكير العلمي للطالب الجامعي مُرتكزاً من مُرتكزات الدراسة التي عملت الباحثة على ملاحظتِها خلال مسيرتها في التعليم الجامعي، وعلى الرغم من فيض الأبحاث في التعليم والتعلُّم عند الراشدين، إلا أنها لم تتطرق إلى هذه النقطة العمياء، ولم تسلط الضوء على تكوّنها وتطوّرها، كما أنها لم تواكب الطالب الجامعي في قراءة معجمه وبناء تفكيرٍ علميٍّ استراتيجي.

وقد اعتُمد في هذه الدراسة على نظرية فرنيو (Vergnaud, 1990, 45) في سيرورة تكوّن البنيّة المعرفية، أو ما تم ترجمته في بعض الأبحاث العربية، خصوصاً في بلاد المغرب العربي، بِ«المخطط» عند الراشد، والتي أخذ مبادئها من النظرية البنائيّة المعرفيّة والاجتماعيّة عند بياجيه وفايغوتسكي. واعتُمد في هذه الدراسة أيضاً على نظرية (Rabardel,1995, 18) في الإنسان القادر، ومحاولة هذا الأخير مواكبة الراشد في التَّفكُر والتَّأمُل في تكوّن بنيته المعرفية والمفاهيم العلمية وربطها بالفعل–الممارس قبل، وخلال، وبعد القيام بنشاطٍ مهني. بالاستناد إلى ما سبق، تمَّت مواكبة الطالب الجامعي في بناء تفكيره الاستراتيجي من خلال التَّفكُر بالفجوة العلميّة بين المعجم العلمي المعرفي المكوّن خلال مساره التخصُّصي، والمعجم العلمي للراشد القادر خلال ممارسة نشاطٍ مهنيٍّ، وقراءة قدرة الطالب الجامعي على التَّمكُّن من العلاقة المُتلازمة بين المعرفة والقدرة في التصرُّف في نشاطٍ بنائيٍّ أو نشاطٍ بالنواتج، وأين هو من هذه السلطة المعرفيّة في التجربة؟

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في ملاحظة الباحثة ظاهرةَ الفجوة العلمية بين المعجم العلمي للطالب الجامعي في الاختصاص، والقدرة على الممارسة العلمية في بيئة العمل، وتقييمه اللاعلمي للمعرفة المُكتسَبة، وظاهرة غياب القدرة على تطوير معارفه خلال ممارسة عمله، أو قدرته على التصرف في وضعياتٍ مهنيةٍ مركَّبةٍ، وظاهرة اعتراف الطالب الجامعي بالتحدِّيات التي يواجهها خلال تعلُّمه والتي تحدُّ من قدرته على تطوير معارفه ومكتسباته عندما يتفكَّر ويتأمَّل بمعارفه العلمية في النشاط المهني.

وبالاستناد إلى تجربة الباحثة في التعليم الجامعي وإعداد الراشدين وممارسي المهن منذ أكثر من عشرين عاماً، تمت ملاحظة فجوةٍ علميةٍ بين المعرفة المُدَّرسة، والمعرفة المُكتسَبة والمعرفة المُطبَّقة، وتكوين الطالب الجامعي «للنقطة العمياء» التي تشكل دائرة تفكيره اللاعلمي، وتسيطر على ممارسته المهنيّة، وتحدُّ من قدرته على التَّفكُر والتأمُل في النشاط والمعرفة.

هل إن استقراء الطالب الجامعي «للنقطة العمياء» في معجمه اللاعلمي في المواد النظرية وقراءتها خلال الممارسة، تسهم في بناء تفكيرٍ علميٍّ استراتيجيٍّ في الممارسة المهنية للخرّيج الجامعيّ؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في استحداث جوانب جديدةٍ في قراءة التكوين المعرفي وتحليله عند الطالب الجامعي في الإدارة التربوية. وعلى الرغم من الغنى المعرفي في الأبحاث العلمية في هذا الموضوع، إلا أنها لم تتطرق إلى تَمَكُّن الطالب الجامعي من بناء تفكيرٍ علميٍّ من خلال قراءة «النقطة العمياء» وتحليلها، أو معجمه المفاهيمي العلمي في النشاط البنائي (النشاط التعليميّ)، وبالنواتج (تقاريره العلمية،

ملف الإنجاز أو الملف التتابعي)، ليطور تعلُّمه. وتُعتبر هذه النظرية من نظريات التيار التربوي «التعليمية في المهن»، الذي أخذ منبعه من «التعليمية في الاختصاص»، وطوَّرها في دراسة نشاط الراشد المهني. كما تكمن أهمية هذه الدراسة في تناول نظرية (Rabardel, 1995, 18) في الإنسان القادر الذي يقول: «أنا أعرف» قبل «أنا قادر»، بهدف مواكبة قراءة الطالب الجامعي «الفجوة العلميّة» بين ما يعرف، وما هو قادرٌ على القيام به، ومحاولة بناء تفكيرٍ استراتيجيٍّ في المسار الجامعي. لذا فقد اعتُمد، في هذه الدراسة على المصادر والمراجع الصادرة عن هذا التيار التربوي الفرنسي المنشأ، والذي وُلد في تسعينات القرن الماضي، ويُعتبر بيار باستري (Pastré, 1990, 134) الأب المؤسس للتعليمية في المهن، كما تمَّت الاستعانة أيضاً بمراجع من علم نفس العمل، والذي اعتُبر (Clot, 2008, 18) مؤسِّسها في فرنسا، ويُعتبر من التيارات التربوية الحديثة في العصر الحالي، المُستندة على علم النموِّ المعرفي لبياجيه Piaget.

فرضيات الدراسة

يبقى الطالب الجامعي متعلِّماً وإن تقدَّم في مساره التعلُّمي مراحل متقدمةً، وعليه، فإننا نفترض أن «النقطة العمياء» تسيطر على تفكيره، وتُشكل المعجم والمرجع العلميين اللذين يحدّان من نضجه الوظيفي، وممارسته المهنية العلمية.

لا ريب في أنّ الفجوة العلمية تُشكل بين المعرفة المُدرَّسة، والمُكتسبة، والقدرة على الممارسة المهنية، عقبةً في وجه تطور الطالب الجامعي العلمي، وتَحدُّ من قدرته على الوصول إلى النضج الوظيفي، والقدرة على التصرف.

فالإنسان القادر، بالاستناد إلى نظرية (1995, 2004, 2019 et le confirme en Rabar-del)، هو الطالب الجامعي القادر على السيطرة على العلاقة المتلازمة بين القدرة والمعرفة العلمية، وتطويع الثانية لخدمة الأولى، وتطوير الثانية في التجربة من خلال الأولى في ممارسة نشاطٍ بنائيٍّ أو بالنواتج.

وبناءً على ما سبق، فقد قُسِّمت الدراسة إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المفاهيم المفتاحية، وقراءة الأدبيات.

الفصل الثاني: التَّفكُر والتأمُل بالمكوّن المعرفي «النقطة العميّاء»: مضمونها، وعلميتها.

الفصل الثالث: من الطالب الجامعي إلى الراشد القادر.

ومن هنا أتتّ أسئلة الدراسة حول كيفيّة تكوّن «النقطة العميّاء» عند الطالب الجامعي.

كيف يطور الطالب الجامعي معرفته خلال ممارسته النشاط الإنساني؟

هل هناك فجوةٌ علميةٌ بين الطالب الجامعي والراشد القادر؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة:

1. لاعلمية المعجم المفاهيمي في الاختصاص للطالب الجامعي.
2. عدم تمكن الطالب الجامعي من العلاقة بين المعرفة والقدرة على التصرف في النشاط المهني.
3. تبيان أثر التعليم الجامعي على الطالب وقدرته ومهاراته في الوصول إلى الراشد القادر في المهنة.

إجراءات الدراسة

لاحظت الباحثة خلال مشاركتها في مباراة اختيار مرشدٍ اجتماعيٍّ في 15 شباط 2016، شارك فيها 32 طالباً لوظيفةٍ في مؤسسةٍ تربويةٍ في منطقة بيروت وضواحيها، ظاهرة عدم قدرة الطالب الجامعي على ربط العلاقة المتلازمة بين ما يعرف، وما يفعل في نشاطه المهني.

وقد قامت الباحثة في هندسة الإجراءات العلمية للدراسة بقراءة التقارير وتحليلها، والمقابلات مع طلابٍ جامعييّن (ماستر إدارة تربوية–سنة ثانية)، وعلى مدى ثلاثة أعوام (ت2 2016–تموز 2018)، وخلال الفصلين، تمّت ملاحظة ربط الطالب العلاقة بين ما اكتسب وما يطبِّق، ثم تمَّت مواكبتهم، من خلال أنشطةٍ بنائيةٍ بحثيةٍ في أبستمولوجيا، وأثر قراءة التطور العلمي للمفاهيم في البحث العلمي، كما تمَّ تحليل قراءة المفاهيم عبر استبيانٍ توجيهيٍّ حول المعرفة المكتسبة من النشاط النظري، وما تعلمه في التجربة الذاتية وربطه بها، وفي الأنشطة البنائية وبالنواتج واستنتاجاته. بناءً على ما سبق، تمَّ التوافق مع عيِّنةٍ من 80 طالباً قُسّموا بناءً على تجاوبهم وفعالية مشاركتهم في اللقاءات، إلى: 40 طالباً في العام 2016، 20 طالباً في العام 2017، و20 طالباً في العام 2018، وتم شرح موضوع البحث لهم، وأخْذُ موافقتهم على قراءة منتجهم العلمي، من أنشطةٍ صفيةٍ ولاصفيةٍ، والملف التتابعي، وأبحاثٍ إجرائيةٍ، وتحليله، وموافقتهم على المشاركة في التجربة خلال الأعوام 2019–2016، وجمع ملفات الإنجاز العلمي والتقارير للأنشطة البنائية، والأبحاث الإجرائية التي نوقشت، وتم قراءتها وتحليلها.

لكن، واجهت الباحثة صعوبة في التزام جميع الطلاب بشكلٍ مستمرٍّ في اللقاءات لأسبابٍ خاصةٍ ومتنوعة منها المشكلات الامنية والاجتماعية في البلاد.

منهج الدراسة وأدواتها

اعتُمد في هذه الدراسة المنهج الوصفيُّ التحليليُّ، الذي يُعتبر من المناهج الوصفية الأصيلة، والذي يقوم على وصف الظواهر عن طريق الملاحظة وأدواتٍ أخرى (Deketel, 2006)، وقد تم استخدامه في قراءة التطور الفكري عند الراشد من خلال تحليلٍ علميٍّ بناءً على مفاهيم التيار التربوي «التعليمية في المهن» لمضمون التقارير العلمية المُعدَّة من قِبَل الطالب في الصف، وفي المقررات النظرية «التخطيط التربوي»، وخلال إنجازه النشاط البنائي ونشاطاً بالنواتج. وقد استُنِدَ إلى المنهج الوصفي في قراءة النصِّ المكتوب وتحليله أو المنتج العلمي للطالب الجامعي: عمل صفي، عمل جماعي، ملف الإنجاز، واستقراء عملٍ مهنيٍّ في مكان العمل، من ثم وضع الطالب الجامعي في وضعيةٍ تعليميةٍ تمكنه من قراءةٍ علميةٍ تفصيليةٍ لظاهرة «النقطة العمياء»: «مخزونه العلمي في الاختصاص»، والفجوة العلمية بين المعرفة المُدرَّسة، والمعرفة المُكتسبة والقدرة على التصرف في الممارسة.

العينة العلمية

شارك في الدراسة 80 طالباً جامعياً، من اختصاص الإدارة التربوية (2016-2019)، حيث تفاعلوا في وضعياتٍ تعليميةٍ ومهنيةٍ حثَّتهم على التَّفكُر في معجمهم اللاعلمي خلال سيرورتهم التخصصية «النقطة العميّاء»، وقدرتهم على تطويع المعرفة لخدمتهم خلال ممارستهم النشاط بالنواتج أو البنائي. وتُعتبر عيِّنة الدراسة من العيِّنات المنتظمة، والتي تّم اعتمادها على مدى ثلاثة أعوامٍ، وقد تمّ اختيار الطلاب الجامعيين على أسسٍ علميةٍ تنظيميةٍ فيما بينهم: طالب جامعي، لاعلمية التفكير العلمي، التسرع في تقييم المعرفة والقدرة، والقدرة على التَّفكُر في التجربة واستقرائها في وبعد النشاط الإنساني وبالإستناد إلى معايير (Bachelard,1972). ويُشار إلى الطالب الجامعي في ماستر الإدارة التربوية، في هذه الدراسة، على أنّه مدير مؤسسةٍ تربويةٍ: مديرٌ إداريٌّ، معلمٌ وإداريٌّ، يمارس مهنةً اجتماعيّةً، مرشدٌ اجتماعيٌّ، منسِّق مادةٍ تعليميّةٍ تعلّميّةٍ، وخرِّيجٌ ليس لديه خبرةٌ في علم العمل، ثم تم وضعهم في وضعياتٍ تعليميةٍ تعلّميةٍ تهدف إلى قراءة النشاط البنائي، والتَّفكُر بالنشاط بالنواتج، بهدف قراءة لاعلمية تفكيره، وإعادة تطوير المعرفة العلمية.

أدوات الدراسة

اعتُمِد في هذه الدراسة على مجموعة أدواتٍ علميةٍ تدخل ضمن نطاق المنهج النوعي والمنهج الوصفي اللذين يهدفان إلى دراسة الظاهرة من حيث خصائصها، والعوامل المؤثرة فيها، ومن ذلك: الملاحظة: وهي وسيلة مراقبة الظاهرة موضوع البحث، وتُحدد النقاط الواجب قراءتها ومتابعتها، بعد ذلك تُحدد البيانات التي ستُجمع والتي تم تصنيفها رقمياً مع تدوين التفسيرات الإضافية. تم الطلب من ثلاثة طلابٍ -لتثبيت علمية جمع المعلومات- ملء ورقة الملاحظة «بهدف رصد ما تمت ملاحظته» خلال قراءة الطالب النشاط البنائي، وتم إرفاق الملاحظة بأسئلةٍ توجيهيةٍ (كيف، ماذا، لماذا، أين، ومتى)، تمنح المشارك وقتاً كافياً للتَّفكُّر والتَّأمل في إجابته في إطارٍ مريحٍ ومناسبٍ، واستقراء المفهوم العلمي مباشرةً بعد النشاط المهني، كما طُلب من العيِّنة أيضاً، قراءةً ذاتيةً نقديةً-عبر لائحةٍ من الأسئلة الموجهة: متى، كيف، أين، لماذا وماذا؟ لملف الإنجاز أو الملف التتابعي، بهدف قياس علمية المنتج العلمي، وتمت متابعة قراءة الطالب لتكوين المفهوم في نصٍّ منتجٍ علميٍّ مكتوب. في الخاتمة، تم جمع البيانات وقراءتها ومناقشة النواتج مع الطلاب، في وضعياتٍ بنائيةٍ حواريةٍ، واستقراء المعرفة من خلال أسئلةٍ جماعيّةٍ.

وقد وُضع الطالب الجامعي في وضعيةٍ تفكريةٍ تأمليةٍ بهدف توضيح مشكلاته في تكوّن المفاهيم، وربطها بالنشاط المهني، وقراءة صعوبات التعليم والتعلُّم الجامعي ومشكلاتهما، ومدى قدرة الطالب والأستاذ الجامعي في مواجهتها، وتبني التنمية المهنية المستدامة. كما اعتُمد في هذه الدراسة أيضاً على الملاحظة من خلال اللقاءات العلمية مع الطلاب، بهدف متابعة قراءتهم المعرفية العلمية والتَّفكُر بتطورها، وربط المعرفة المُدرَّسة بالمعرفة المُطبَّقة، وعلاقتها بالقدرة على التصرف في النشاط الإنساني.

المفاهيم المفتاحية: النقطة العمياء، التفكير الاستراتيجي، الطالب الجامعي، الراشد القادر.

الفصل الأول: تعريف المفاهيم المفتاحيّة وقراءة الأدبيّات العلميّة.

1. **المفاهيم المفتاحيّة للدراسة**

1.1 النقطة العمياء: هي المعجم العلمي للطالب الجامعي أو «المتعلم الراشد»، المكوّن خلال سيرورته في الاختصاص الجامعي بشكلٍ لاعلمي. واعتماداً على نظريّة, 45 1990 (Vergnaud),

في تكوّن البنية المعرفيّة le schéma: تتكوّن النقطة العمياء من بنياتٍ معرفيةٍ للمفاهيم العلمية، وهذا المعجم اللاعلمي يُعتمد كمرجعٍ نافذٍ في الشكل والمضمون في ذهن الطالب الجامعي خلال ممارساته اليومية للمفاهيم العلمية.

2.1 بناء التفكير الاستراتيجي العلمي: تُعنى هذه البيداغوجيا بقراءةٍ نقديةٍ للمعجم المفاهيمي، أو المخزون المعرفي «للنقطة العمياء»، المكون من فضاءاتٍ وبيئاتٍ ديناميكيةٍ مختلفة.

عرفت الباحثة البيداغوجيا، بالإرتكاز على قراءة (Bachelard, 1972)بمحاولة فهم ظاهرة تكوّن البُنى المعرفيّة عند الطالب الجامعي، وملاحظة الفجوة بين المعرفة وقدرة الطالب الجامعي في السيطرة على المعرفة، وتطويعها لخدمته خلال ممارسة نشاطٍ مهنيٍّ أو تعليمي.

فالتفكير العلمي لا يُبنى إلَّا بقتل التفكير اللاعلمي في التجربة العلمية، وحث الطالب الجامعي على التَّفكُر والتَّأمل في مفاهيمه المعرفية وربطها بالتطبيق.

وبالعودة إلى أفكار جان لوك

(Lock, 1693) مترجم من (حنا، 2016، 24): عندما يتأمل الإنسان بفكرته يُدرك أنه يقوم إما بإدراكٍ حسيٍّ، أو استدلالٍ، أو تمييزٍ وتفريقٍ ومقارنةٍ أو تذكرٍ، تقابلها عملياتٌ حسيةٌ نفسيةٌ تساعد في تثبيت الفكرة. ويذهب جان لوك في المرجع المذكور أعلاه إلى أنّ المفاهيم الذهنية المجردة لم تكن لتُوجد في الذهن لولا احتكاكه بالتجربة، ذلك لأن مصدر الأفكار عنده هو الإدراك الحسي والخبرة التجريبية، وأنّ المدركات الذهنية المجردة لا يمكن لها أن تُوجد داخل العقل لولا الاستعانة والاحتكاك بالتجربة».

2. قراءة الأدبيّات العلميّة

الطالب الجامعي هو في هذه الدراسة: كلُّ متعلمٍ جامعيٍّ يتابع دراسة الماستر المهني: منهم من يمارس مهنة مدربٍ متخصّصٍ، مدير مؤسسةٍ تربويةٍ، معلم، أستاذ تعليمٍ ثانوي، إداري، ومنهم الخريج الحديث الذي لا يملك خبرةً في العمل.

لقد أشار كلٌّ من (Pastré, Vergnaud & Mayen, 2006, 178) في دراستهما الأبستمولوجية في «التعليمية في المهن « إلى أنّ التعلُّم عند الراشد لا يأتي من العدم، ولا يتمكن الراشد من البدء في التعلُّم دون أن تنبثق في ذهنه تساؤلاتٌ عن أهداف التعلُّم ونواتجه، وتساؤلاتٌ تحاكي تجاربه السابقة: «أين أنا الآن؟»، «ماذا أعرف»، «هل أعمل بشكلٍ علميٍّ»، «بماذا وكيف أفكر خلال القيام بالنشاط؟». وقد حاول Pastré خلال مسيرته العلمية، أن يفهم كيف يُكوّن الراشد تفكيره العلمي، ويطوِّره في التجربة. واعتبر فرنيو(Vergnaud 1990, 45) في نظريته عن تكوّن البنية المعرفية أنّها تُشكل المرتكز العلمي في فهم مسار تكوّن البنيات المعرفية العلمية عند الراشد، كما عرفها في تعلم الراشدين في العام 1996 بقوله: «إنها متغيّرٌ ثابتٌ في النشاط الفكري العلمي يعتمد على متغيّراتٍ علميةٍ متحركةٍ يُعاد بناؤها في التجربة الديناميكية»، ولكن (Pastré, 83, 2011) اعتبر أنّ الإنسان لا يخزن خلال ممارسته النشاط المهني في التجربة إلَّا ما يحتاجه من المعرفة، ولا يكوّن إلَّا المعرفة التي لها علاقةٌ بنشاطه المهني، لأنه–وكما قال في كتابه «مقدمة صغيرة» (فايقة، حنا، 2015، 16)–يقوم بإدراكٍ حسيٍّ، وعملياتٍ ذهنيةٍ ونفسيةٍ، تساعده على بناء معرفته في التجربة وتطويرها.

ولعل أول من عرَّف نظرية الإنسان القادر هو رابرديل 1995 et le confirme en 2018, 9) (Rabardel,، فقال إنّه: «القادر على التَّمكن من المعرفة في التجربة»، وأعاد تأكيد تعريفه في(–

Café Pédagogique, 2019) وهو أول من حاول قراءة تكوّن البنية المعرفيّة في التجربة عند العامل أو الموظف في النشاط المهني، وميَّز في الفصل الأول من كتابه مع سامرسي ,Samurçay (2004, 24)) بين المتعلم الراشد والراشد العملاني أو البرغماتي والراشد القادر. كما ميَّز في تكوّن المعرفة بين النشاط بالنواتج والنشاط البنائي، معتبراً أنّ الطالب الجامعي ينتج المعرفة بالاستناد إلى العلاقة الجدليّة بين المعرفة ومسار تكوّنها العلمي في التجربة وتمكنه من القدرة على الممارسة الفعالة، والتي تهدف، من خلال النشاط بالنواتج، إلى تغيير الواقع، ويبقى تغيُّر الإنسان عرضيّاً. كما ناقش علاقة الفعل بالراشد وقدرة هذا الأخير على القيام بعملياتٍ ذهنيةٍ تواكب تطور معرفته علمياً وتُمكنه من المعرفة في التجربة المتنوعة، ومن السلطة في التحكم بها خلال قيامه بالفعل الفعال (الفعل الفاعل وآثاره على نشاط الإنسان).

هذا، وقد اتفق Rabardel, 1995, 15, 2004, 16)؛ Vergnaud, 1990, 45)؛ 1522011 Pastré,) على أنّ التمييز بين الطالب والراشد القادر لا يساعد في قراءة النشاط الإنساني، ومسار تكوين البنية المعرفية، إلَّا إذا تم الاستقراء مباشرةً بعد النشاط؛ بينما متابعة قدرة الإنسان من التمكن من العلاقة بين المعرفة والقدرة (المقصود بهذه العلاقة: المعرفة في خدمة القدرة خلال ممارسة الإنسان النشاط) في تطويعها، والتَّمكن منها في التجربة، تساعد في فهم مراحل بناء التفكير العلمي للراشد والعمليات الذهنية التي يقوم بها، وقدرته على الإنتاج وتغيير الواقع وذاته؛ والملاحظة أنه قد ميَّز بين نوعين من الأنشطة: النشاط المبني على النواتج والنشاط البنائي، فاعترض (Clot، 2008, 18) في العدد الأول من مجلة العمل والقدرة على الممارسة الفاعلة، على التمييز بين النشاطين، واعتبر أن التفريق بينهما يؤدي إلى عواقب وخيمةٍ تكمن في إغفال سيرورةِ تكوّن البنية المعرفية في النشاط المبني على النواتج، وبنى فرضيته على «تغيُّر الراشد نفسياً وعلمياً واجتماعياً في الوضعية المختلفة والمتنوعة، حتى لو تطابقت المكوّنات العلمية والعملانية».

أمّا باستري (Pastré 153 ,2011)، فإنه يذهب إلى أنّ دمج النشاطين ضرورةٌ، ويفضل الحديث عن مظهرين مكملين لبعضهما البعض في الوضعية المستهدفة، ولكنه يرى إمكانية الفصل بين النشاطين، معلِّلاً ذلك بأنّ النشاط المبني على النواتج لتغيير الواقع هو الهدف، وتطوير الذات هي النتيجة، وغالباً ما تكون هذه الأخيرة عرضيةً وغير مستهدفةٍ، بينما في النشاط البنائي الهدفُ هو تغيّر الذات والهدف المتوقع من الإنسان، والمهمة تصبح وسيلةً، كما أشار باستري(.Pastré, op cit.)، في وقتٍ لاحقٍ في الصفحة نفسها، إلى وجوب التمييّز بين فرضيتين: 1) التعبير في النشاط، التغذية الراجعة، والتوظيف للمعرفة، 2) اعتماد الإنسان القادر على العلاقة المتلازمة والمتزامنة بين المعرفة والقدرة. ولأجل تحليل ما قاله باستري (Pastré, Vergnaud et Mayen, 2006, 149) فإنه يمكننا العودة إلى ما نقله عن ريكور (Ricoeur) في تكوّن الهوية (Pastré, 2011, 15) في علم نفس العمل، ومقاربته الراشد وتكوينه ما يميز هُويته المهنية: «الإنسان كائنٌ حيٌّ، قادرٌ على مناقشة وجوده، وإظهار الصورة التي يريد عن نفسه، وليس بالضرورة الصورة الحقيقية، وهذه الصورة هي موضوع المناقشة». ويذهب كلو (Clot, 2008:26) إلى أن تطور الموضوع (الراشد) تدريجيٌّ بل هو تحويليٌّ بالاعتماد على الوظائف النفسية، النفسحركية.

أما (LePlat, 24 2008)، فقد لاحظ، خلال متابعته الأفقية لتعلم الراشد، أن هذا الأخير يطور تعلمه عندما يتفكر في النشاط في الوضعية المهنية، كما لاحظ أيضاً أن هناك اختلافاً في التغذية الراجعة بين ما قام به فعلياً وبين الأثر المكتوب، في أن الراشد يقوم بإجراءاتٍ وأفعالٍ أكثر مما يكتب في تقاريره الذاتية والرسمية؛ فالنشاط الفعلي إذن ليس فقط الفعل الممارَس، وإنما هو أيضاً ما كان الراشد ينوي القيام به، أو قام به ولم ينجح في تحقيقه، (Samurçay 252004,).

الفصل الثاني: التفكر والتأمل في النقطة العمياء

البند الأول: النقطة العميّاء

يلاحظ في المجتمعات العربية، وخصوصاً اللبنانية، السرعة البدهية عند الراشدين في القول «أنا قادرٌ»، ولا شك في أن ذلك يعطي الإنسان نفسه، في علم النفس، «المهارة والقدرة» على خوض كفاياته في مواقفة متنوعة ومختلفة، قبل التَّفكر بعلمية معرفته؛ فخريج البكالوريا قادرٌ على «مواجهة الحياة العملية، ودخول الجامعات، واختيار أي اختصاصٍ، فيتقدم الخريج على جميع الاختصاصات والكليات المتاحة له بناءً على معيار اللغة، والاختصاص: علمي أو أدبي، أو اقتصاد». مما سبق يمكن القول، إنّ الطالبَ طالبٌ، والخريجَ خريجٌ، ولا يصبح الطالب الجامعي قادراً إلَّا بالتَّفكُر والتأمل بـ«النقطة العمياء»، والفجوة العلمية بين ما يعرف وقدرته على تطويع المعرفة إلى خدمته خلال قيامه بالفعل في وضعيةٍ مهنيةٍ، وكما قال (Pastré, Vergnaud et Mayen, 2006, 157) في دراستهم الأبستمولوجيّة «للتعليمية في المهن»: لا تُكوَّن المعرفة العلمية إلا من خلال التطبيق العملي، ومن خلال التَّفكُر في المفهوم وممارستِه في وضعياتٍ مهنيةٍ وتعليمية»، وأضافوا القول: إنه لا يُكتسب من المعرفة العلمية إلا ما هو متعلقٌ بالحاجة المهنية أو بالمهارة، أي ما يستعمله (المتعلِّم) خلال ممارسة نشاطه».

أمّا سؤال الخريج الحديث – الحاصل على إجازةٍ جامعية، ولا يمتلك الخبرة العملية–عن معارفه العلمية، وقراءة مكتسباته المعرفية، فإن إجابته تُظهر فجوة المعرفة المعلمة، وما اكتسب، وما هو قادرٌ على القيام به، وقد استشفت الباحثة المشكلة من مقابلاتٍ تجريبيةٍ تشخيصيةً للظاهرة مع 15 خريجاً، تم اختيارهم بشكلٍ عشوائيٍّ من اختصاصاتٍ مختلفةٍ في كلية التربية، و15 خريجاً من معهد العلوم الاجتماعية–الجامعة اللبنانية، مرشحين للعمل في وزارة الشؤون الاجتماعية، وهم متطوعون للعمل في المدارس مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وقد تم سؤالهم عن المعرفة العلمية الأساسية المفترَضة عند الخريج الحديث، فتبيّن من المقابلات أن الطالب يتذكر المفهوم، وأنه سمع به، ولكنّه لا يتذكر التعريف العلمي، ولا يتمكن من ربطه بوضعيةٍ تعليمية. يقول باستري (Pastré, 2011, 153) خلال متابعته طلابه: «أنّ الطالب يطور تعلمه كلما استقرأ المفهوم في التجربة العلمية أو بعدها مباشرةً. ففي مقابلةٍ شفويةٍ للحصول على وظيفةٍ مؤقتةٍ، ولفترةٍ محددةٍ في الزمان والمكان، فإن الطالب الجامعي يعيش في هذه التجربة حالةً من القلق تؤثر سلباً على تذكره للمعرفة العلمية، أو إمكانية ربطها بقدرته على الإجابة العلمية عن «أنّ يقول ما يعرف وما هو قادرٌ على القيام به» في تجربةٍ تناقش «قدرته العلمية» والناتج المُتوقَع. إن القيام بمهام محدَّدةٍ ترتكز على المعرفة العلمية المكتسبة في الاختصاص يتأثر بالضغوطات النفسية، والاجتماعية والتعليمية التعلُّمية (ارتباك الطالب الجامعي في المقابلة للوظيفة، وربما خلال مساره التعلُّمي في الاختصاص الجامعي). وعلى افتراض أنّ الطالب الجامعي لم يتمكن من الإدراك والوعي الدائمين، والقيام بالعمليات الذهنية في النشاط البنائي: فإنه بطبيعة الحال لن يتمكن من الربط بين المعرفة والقدرة على التصرف في التجربة، خصوصاً أنّ العمليات الذهنية التي تخوِّله ربطَ العلاقة بين المعرفة والقدرة في التجربة، ترتكز على معجمه العلمي المُكوّن في الإجازة، ومدى تمكنه من المعرفة، ويقول(Clot, 2008, 59) : «إنّ أكثر ما يعاني منه الراشد غياب القدرة على التركيز الذهني لفتراتٍ زمنيةٍ في النشاط البنائي، وأثره على تذكر المعرفة المُكتسبة، وقدرته على استعمالها في مقابلةٍ لوظيفةٍ، أو في أيّة وضعيةٍ مهنيةٍ أخرى.

البند الثاني: قراءة النقطة العمياء وتحليلها بالإستناد إلى نواتج الطلاب

تشكل نظرية فرنيو (Vergnaud, 1990,134) في تكوين البنية المعرفية في ذهن الطالب

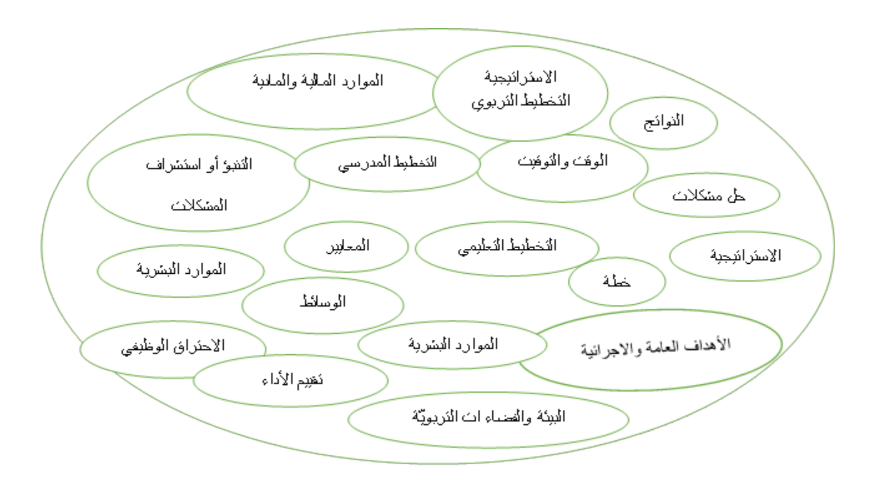
الجامعي الراشد: «المدير، الإداري، المعلم، المدرب، المسؤول الإداري، والخريج الحديث»، الإطار المرجعي لهذه الدراسة. ومن أجل قراءة المعرفة العلميّة عند الطالب الجامعي الراشد، ومواكبته في قراءة ما يعرف واستكشاف علمية معرفته، تم تطبيق تجربةٍ على طلاب «ماستر مهني إدارة تربوية» في مقرر التخطيط التربوي: «يُطلب مع بداية كل مقرر، تعريف المفاهيم الأساسية للمادة، ثم متابعة قراءة معارفه في مادة التخطيط التربوي خلال الأعوام 2016 - 2019».

تقنية التعليم: عرِّفْ مفهوم التخطيط:

1) بالمعنى والاصطلاح،

2) عصف ذهني،

3) ترتيب الأفكار وتجميعها مع ذكر المصدر والمرجع.



مستند رقم1: إعداد طلاب إدارة تربوية، 2019-2016 لمفهوم M2 التخطيط الأستراتيجي.

تبيَّن في المرحلة التشخيصية للمعرفة العلمية، أن الطالب يستحضر المعجم المفاهيمي كما اكتسبه، فيذكر المفردات والمفاهيم التي يعرِفُها حاضرةً في ذهنه، ويعتمدها بشكلٍ دائمٍ، ويعدِّد عناوين المقررات الجامعية، والمعرفة المُعلمة كما يستذكرها ويكررها بشكلٍ تلقائيٍّ وعشوائيٍّ، دون تفكُرٍ أو تأمُلٍ فيها وبالمعاني حتى لو رآها وقرأها، ويمزِج بين عنوان المقرر والبنود والفصول، أي أنّه يمزج بين الكل والجزء. كما تبيَّن أنه لا يملك مهارة التَّفكُر في النشاط البنائي، أو التعليمي، ويمكن قراءة ذلك من خلال المستند رقم1، فالطالب الجامعي يسرد ما يعرف دون تفكُرٍ بالمعنى العلمي.

كما يمكن قراءة أنّ التطور المعرفي عند الطالب مقرونٌ بالتطور المعرفي عند الأستاذ الجامعي، وذلك بإدخال مفاهيم جديدةٍ في المقررات الجامعية: فعلى سبيل المثال، قد تمَّ إدخال مفاهيم: الاحتراق الوظيفي، تقييم الأداء، المشروع المدرسي، والمشاريع التنموية. وإذا استندنا إلى مراحل تكوّن البنية المعرفية كما اعتمدها فرنيو (Vergnaud 1990, 45)، واعتباره أنّ الراشد يعتمد على التماثل والاستدلال والتواؤم بين المفاهيم في البنية المعرفية الواحدة، وخلال قيامه بالنشاط في تكوين مفاهيمه،

يمكن القول إن الطالب الجامعي استند إلى مقررات السنة الجامعية الأولى ليماثل أو يوائم بين مفاهيم إداريةٍ: منها إدارة الموارد الاجتماعية والنظريات في الإدارة التربوية، ربما اكتسبها في دوراتٍ تدريبيةٍ أو اختصاصاتٍ تابعها الطالب في كلياتٍ أخرى، مثل إدارة الأعمال العامة، أو في تدريبه العملي، سنة أولى، فصل ثان، وواءم أو ماثل المفاهيم وربطها بعضها ببعض دون نقدٍ ذاتيٍّ لمعرفته. وفي العودة إلى فرضية Leplat فإن تكوّن البنية المعرفية العلمية يختلف بين الراشدين في اختلاف الإدراك والوعي عند الراشد في الوضعية التعليمية، أو في الوضعية المهنية، ويختلف أيضاً في قدرته على فهم المعرفة المُدَّرسة واستيعابها ثم التَّفكُر فيها، وربطها بالفعل الممارَس، أو التحدث عنها خلال قيامه بالفعل، وعليه فإنّه يمكن القول: إن الطالب طالباً، وأن هناك تشابهاً في سِمات التكوين المعرفي ومراحله عند الأطفال والمراهقين والراشدين، وذلك بالاستناد إلى نظرياتPiaget et Vygotsky في النموّ المعرفي: «التي تفترض أن تطور الكائن البشري يستمر مدى الحياة من خلال التَّفكُر والتَّأمُل بنشاطه الإنساني»، فالطالب يقوم بعملياتٍ ذهنيةٍ تمكنه من التعلُّم، وتطوير معارفه بالتَّفكُر بما يعرف والتَّأمُل فيه، وكيف كوّنه، وأين تعلّمه، وبماذا ربطه.

الفصل الثالث: بناء التفكير الاستراتيجيّ العلميّ عند الطالب الجامعي

في مواكبة التَّفكُر الذاتي للطالب الجامعي في معارفه العلمية، يُطلب منه في مراحل مواكبة تطوره العلمي والمعرفي، نقدُ تكوين معجمه المعرفي، من خلال التَّفكُر الذاتي بما يعرف، القيام بإعداد لمحةٍ تاريخيةٍ عن تطور المفهوم العلمي، وتقسيم المراحل تبعاً لتقسيمها التاريخي والعلمي في التخطيط التربوي، بالاستناد إلى أبحاث Mintzberg, 2005; Michaud) 2013 (et Martinet, 2001.,

البند الأول: بناء التفكير العلمي

تم إنتاج ثلاثة جداول من المفاهيم المتعلقة بالتخطيط التربوي من الطلاب، تعتمد على التسلسل المعرفي الأبستمولوجي، كما على تعريف المراحل التاريخية لتطور المفاهيم ومكوناتها.

1) تعريف التخطيط الاستراتيجي في الكتب العلميّة.

2) التغيرات العلمية من 1990-1945.

3) التغيرات العلمية من 1990 حتى يومنا هذا.

وقد تَفكَر الطلاب وتأملوا في المستندات الثلاثة المُعدَّة من خلال البحث العلمي في المراجع والمصادر العلمية، وتطبيق المفاهيم على ثلاثة نماذج افتراضيةٍ من المدارس يُعمل عليها خلال الفصل الأول في مادة التخطيط. إضافةً إلى قراءةِ نظرية (Vergnaud, 1990, 45) ونظرية (Rabardel, 1955 et le confirme en 2018, 9) في التَّكوّن المعرفي في هذا الدراسة، يمكن إضافة قراءة بناء التفكير الاستراتيجي عند الطالب الجامعي، بالاعتماد على نظرية المراحل الأربع للتعلم المسندة إلى إبراهام ماسلو منذ العام 1972، وتظهر مفاهيم التعلُّم «عند الكبار، وولادتها، وآلية استعمالها. يقول إبراهام ماسلو (1972) بعد أن استند إلى تعريف مراحل التعلُّم عند برادويل (Broadwell, 1969, 32)[1] عندما يستكشف الراشد، ويعترف بلاعلمية معرفته، يبدأ بالتعلُّ

(1) C'est Martin M. Broadwell, qui a d'abord articulé le modèle dans ses « quatre étapes de l'enseignement » en février 1969. Plus tard décrit comme « quatre étapes pour apprendre toute nouvelle compétence », la théorie a été développée à Gordon Training International par son employé Noel Burch, les années 1970, Il a depuis été fréquemment attribué à Abraham Maslow, depuis 1972 bien que le modèle n'apparaisse pas dans ses œuvres majeures.

التخطيط على المدى الطويل 1945/1965	التخطيط الأستراتيجيّ 1955/1975	الإدارة الاستراتيجيّة 1975/1990	موت التخطيط 1990/200	موت أم تغيير في المقاربة 2001/2019	
• **استشراف على المدى الطويل** • **موازنة لخمس سنوات** • **خطة إجرائية مفصلة** • **الاستراتيجية الترافعيّة والشاملة**	• استراتيجية علاجية • استراتيجية SBU • الاستراتيجية الاستكشافية • التخطيط للتغيير السياسي والاجتماعي • محاكاة الاستراتيجية	• الإداري الناجح • المقاربة الموجهة للمهن والتدريب والتطبيق • إدارة الاستراتيجية • القيادة/ الإدارة		• أنشطة، الجودة، المعايير ، التطوير • استشراف • الرؤية، التحديات، التمويل • إدارة المشاريع micro macro • إدارة المخاطر • الخطة الاستراتيجية • القيم • الإداري المسؤول/ المواكب/ مواكب التغيير	المفردات
• **توقعات تكنولوجية** • **التخطيط لإدارة العناصر البشرية** • **مشروع الموازنة** • **فجوة الأداء** • **دراسة الفضاءات التربوية**	• التخطيط بالسيناريو • تقييم المخاطر السياسية والسياسة التربوية • التوقعات الاجتماعية • التخطيط للأنشطة في المؤسسات • مخططات التجارب/ Gantt PERT • إدارة المشاعر والمخاطر • مشروع موازنة "صفر"	• المعايير • سياسات وأهداف إدارة الأفراد • إدارة الموارد المالية والمادية • إدارة العناصر البشرية • ملمح الموظف/ ملمح الخريج • التدريب والتأهيل • الجودة، إدارة المعلومات		• أهداف عامة • أهداف إجرائية • أنشطة • مهام • أدوار	التقنيات

	• المركزية الإدارية • الخلاف والاختلاف بين النظرية والتطبيق • التنظيم العشوائي للمؤسسات • مقاربة تنظيم المهن	• تلائم مع المعايير • تقييم وتقويم المؤسسات • الاتصال والتواصل • افتقار للسياسات التربوية والاجتماعية		• الاستراتيجيات • المدى البعيد • افتراض/ توقع • مخطط نافذ/ مخطط تنبُّئي/ مخطط متوقع • التخطيط بالأزمة / لازمات • المشاريع الصغيرة المشاريع الفردية • كفاية التخطيط • كفايات المخطط • مشروع الموازنة	المشكلات والمراحل تختلف في إدارة المؤسسات التربوية

مستند رقم 2 تم إعداده والتصرف به من قبل طلاب ماستر2 خلال ثلاثة أعوام 2019-2016

المرجع الأصلي L’évolution de la planification de l’entreprise (Martinet, 2001, 180) بالتصرف من قبل طلاب الإدارة التربوية M22016/2019 في الجامعة اللبنانية- كلية التربية في مقرر التخطيط التربوي وبما يتلاءم مع مفاهيم الإدارة التربوية.

وسيعالج هذا الموضوع في نقطتين: بناء التفكير العلمي Bachelard، وإعداد الراشد القادر Rabardel,.

- تبيّن أنه من خلال إعداد الطالب الجامعي المستند رقم 2 وقراءته ما يعرف، وما يكتب ومقارنتهما، ومن ثّم مناقشة التطور الأفقي للمفهوم وتغيره العلمي، كما مواكبة تفكره بأسئلةٍ توجيهيةٍ (متى، وكيف استعمله، وماذا، ومن أين، ما هي التطورات التي لحقت به، وما هي النواتج؟)، فإنه يستنتج الآتي:
- استعماله للمعارف دون الاهتمام بالتسلسل الزمني في الدراسة العلمية؛
- استعمال المعرفة دون الربط بين المصدر والمستهلِك للمعلومة؛
- استعمال المعرفة دون ربطها بالأهداف والوضعية الدراسية في الدراسة الأصيلة؛
- استعمال المعرفة دون التمييز بين: الفعل، الوسيلة، التقنية والأسلوب؛
- استعمال المعرفة كما وردت على مواقع التواصل الاجتماعي، وعلى صفحات البحث الإلكتروني؛

استعمال المعرفة دون ربطها الزمني بنواتج البحث العلمي الأصيل.

- بناءً على ما سبق، وفي محاولة قراءةٍ علميةٍ لبناء التفكير الاستراتيجي للطالب الجامعي من خلال نظرية البنية المعرفية لفرنيو ونظرية الراشد Rabardel، تم حصر القراءة العلمية، في إجابات الطالب المصاغة والعلمية (الفردية ثم مناقشتها بمجموعات عبر وسائل التواصل، وإرسال المنتج النهائي للمجموعات عبر الايميل) للمستند رقم 2، وتفكرهم بتعريف وأسس ومصادر وابتستمولوجيا

المفاهيم، ثّم محاولة ربطها بالنص التنفيذي في لبنان، فأتت على الشكل الآتي:

- في مناقشة الفترة الزمنية 2000–1990 وما سُمِّي بالأبحاث العلمية «موت التخطيط»، ربط بين انتشارٍ كبيرٍ للمفاهيم في عالمي الاقتصاد والتربية عالمياً، وبين فكرة اللانتاجية العلمية، والتطور العشوائي اللاعلمي للمفهوم وظاهرة النقل المعرفي في الأبحاث؛ كما ربط بعضهم موت التخطيط بتكرار الخطط ومكوناتها ومبادئها، والانتشار المعرفي في اللغات الأجنبية المكرر وغياب التغيير. أما على الصعيد الوطني، في قراءته للتخطيط التربوي في لبنان في العام 1994 ربط الطالب الموت بولادة خطة النهوض التربوي، وما أثير حولها من انتقاداتٍ ومؤتمراتٍ؛ ومنهم من ربطها بما نشر حولها في الأبحاث اللبنانية، وقراءة جهاتٍ تربويةٍ عديدةٍ خطة النهوض التربوي كوثيقةٍ غير قابلةٍ للتنفيذ، والطرق التي تم التعامل معها من قبل الوزراء والاختصاصيين في التربية: من تجاهلٍ، اقتطاعٍ، اجتزاءٍ، وإغفالٍ؛ فربط الموت بالاستراتيجيات التسع المتتالية التي لحقت بها حتى يومنا هذا والاختيار العشوائي في التخطيط والمشاريع التربوية في الواقع الفعلي، فربط موت التخطيط كمفهومٍ بعشوائية التطبيق والتنفيذ والتقييم. فعند تفكره بأسباب ربطه الولادة الوطنية بالموت العالمي تمكن من إعادة التَّفكر بالمفهوم والمكونات والابتعاد عن الشخصنة والأحكام المسبقة.

- ناقش الطالب الجامعي الخطط الاستراتيجية والاستكشافية، فربط مفهوم تكنولوجيا التعليم والاستراتيجيات والمفاهيم التي نشأت عنه خلال الأعوام الأخيرة وولادة الاستراتيجيات العلمية وقصيرة المدى. كما ربط التخطيط الاستراتيجي وتطوره بالخطط وأنماطها ومكوناتها وحاول ربط بين البيئة على الصعيد الكلي (macro) والبيئة على الصعيد الجزئي (micro)، وعند ربط الجزء بالكل يكتشف الفرق بين الاستراتيجية والتخطيط، والتخطيط الاستراتيجي، عند إذن يناقش التغييرات وولادة المفاهيم زمنياً وعلمياً، فيماثل الطالب ثمّ يواءم بين المفاهيم فيكتشف أخطاءه فيتعلم. بعد ذلك حاول مقاربتها بمفاهيم الإدارة التربوية، من خلال ربطها بالبيئة المدرسية وفضاءاتها، التمهين البشري وانتشار مفاهيمها، بيداغوجيا تعليم الراشدين وولادة مدارس جديدةٍ، عند إذن ينتج معرفة علمية مختلفة عن ما سبق عندها يحاول استخلاص نواتج ولكنه يكتشف حاجته للبحث العلمي فيعود للمستند رقم2.

- ومنهم من ربط بين التغيير في استعمال مفاهيم «الخطط طويلة والقصيرة الأمد، والخطط المحددة بالفترات الزمنيّة. فناقشت مجموعةٌ أثر وتأثُر المؤسسات التربوية في التطور المعرفي للمفاهيم وتلقي المفاهيم وتطبيقاتها، كما غياب الدراسات الوطنية، المواكبة للتطورات العلمية، وأثرها على التطور المعرفي للمفاهيم وتطبيق النصوص المعمول بها في الدولة دون ربطه بالنص العلمي الأصيل وتبعات ذلك على التربية.

- بيّنت مجموعةٌ أخرى الفجوة العلمية بين التخطيط الاستراتيجي والإجرائي والتنفيذي، وانتشار المعرفة في التطبيق، ومحاولة ربطها بانتشار مفاهيم الجودة التي ظهرت في استراتيجية جودة التعليم 2015–2010 وولادة ملمح الخريج، فناقشت تلك المجموعة عشوائية التوصيفات والتصنيفات، بين النصوص المعمول بها في المؤسسات التربوية، وأثرها على التخطيط للمناهج التربوية والمؤسسة التربوية والخريج والقدرة الإنتاجية في مجال التربية، فربطتها بولادة بيداغوجيا التخطيط لحل المشكلات، والتخطيط للتربية والتعليم، والعلاقات بين التخطيط والاستراتيجيات، وعند إعادة قراءة المصطلحات والأبحاث العلمية تبيّن لهم انها لم تولد في الزمن الحاضر بل أعيد استعمالها لأغراضٍ بحثيةٍ أو تطويرية.

- كما قييمت مجموعةٌ من الطلاب قدرة قطاع التربية والتعليم وإمكانياته على مواكبة التطورات المفاهيمية المتسارعة، وأثر الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الإنتاجية، وقد لاحظوا فجوةً بين النصِّ العلمي والتطبيق الفعلي في القطاعين العام والخاص.
- وهناك من قرأ الفجوة العلمية بين ما يظهر في المستند رقم 2 وأرض الواقع، وبين ما يجري في لبنان على صعيد التطور في التربية والتعليم ومفهوم التخطيط على الصعيد العالمي؛ وقد تساءل الطلاب عن الواقع الفعلي للمؤسسات التربوية في لبنان والعالم وقدرتها على مواكبة الدراسة العلمية وتطور مفاهيمها في ظل اللغط بين المفاهيم ومكوناتها وأساليبها وتقنياتها.
- ومنهم من قرأ الواقع الوطني، وربط بين الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وتفشّي ظاهرة البطالة بين الطلاب، وولادة مفاهيم إدارة المخاطر والأزمات والمشاريع الصغيرة في الدراسات العلمية، وذهب أخرون إلى الربط بين تغيُّر مفاهيم القِيَم والأخلاقيات المهنية، وأثر هذا التغير على التخطيط لمعرفةٍ تتلاءم مع التغييرات الاجتماعية والسياسية.

لقد أظهر هذا النشاط التفكري، أنّ تفكُّر الطالب الجامعي ومقارنته بين الدراسة الأبستمولوجية وما يقوم به فعلياً، قد أنتج معرفةً ربط فيها، على الصعيد الوطني، بين البيئة الكلية والبيئة الجزئية، وربطها بالتطور العلمي العالمي للمفاهيم، وعلاقة التطورات بالفترات الزمنية، ولكنه لم يتمكن من الربط ذهنياً وعملياً، بين الاستراتيجيات والوضعيات المهنية الملائمة، ولا بين الناتج ومفاهيم التغيرات التي طرأت ومشتقاتها. كما أن الطالب الجامعي لم يربط في التقويم العام لأبستمولوجيا التخطيط وتطورها الزمني، بين نواتج الاستراتيجية العلاجية والاستراتيجية العامة للتغير، ولم يهتم بالعلاقة بين المخططات كأداةٍ مساندةٍ في تحقيق المنتَج. ويمكن القول أنه لم يتمكن من الوصول الى مرتبة الراشد القادر أو إلى النضج المعرفي. وإذا ما عدنا إلى نظرية ماسلو فإن تعلُّم الراشد يمر بمسارٍ استكشافيٍّ لغياب المعرفة العلمية أي الوعي والإدراك، وبعد ذلك يبدأ بمرحلة التَّفكُر والتعلُّم، وكلما أضاف تجربةً، استقراءً، تقييماً، إعادةَ تجربةٍ، يكتشف نقص المعرفة ويُنتج تعلُّماً.

من خلال مناقشة المستند رقم 2 يمكن استنتاج أن الطالب الجامعي يحلِّل المعلومة ويربطها بقدرته على ممارسة النشاط المهني أو التعليمي، أو بالنواتج في الوضعية المهنية المسموح له بها فعلياً في الكلية أو في المؤسسة التربوية، غير أنه يستنتج، من خلال مقرّر التخطيط ونشاط التخطيط للمدارس الافتراضيّة في النشاط البنائي، أنّ معجمه المعرفي «النقطة العمياء» لا علمي. ويُطلب منه استخدام المستند رقم 2، فيعيد التَّفكُر بعلمية مفاهيمه وربطها باحتياجاته في التخطيط، فيناقش المفهوم، والأسلوب، والتقنية مع أقرانه ويربطها بالوضعية المهنية والفترة الزمنية لولادتهم في البحث الإجرائي، فيختار بحذرٍ بين مفاهيم الوضعية المهنية الافتراضية والوضعية الواقعية، ويتفكر بالمفهوم والتجربة في البحث العلمي، ليتأكد من علمية المعرفة.

من جهةٍ ثانيةٍ، هناك من اكتشف بأنّه يقوم بأفعالٍ أكثر مما يكتب في تقاريره العلمية في سيناريو التخطيط، ويتعامل مع المفاهيم ويربط بينها دون تسميتها، أو يربط بينها وبين الفترات الزمنية لصدورها في الدراسة العلمية. وعند مناقشة مفهوم السيناريو في التخطيط، تبيّن له أنّه يستعمل تقنيةً من تقنيات التخطيط. وعند تعديل استعمالها فإنّه اكتشف أنّ لديه خبرةً تساعد على فهم العلاقة التسلسليّة بين المعرفة ومستلزماتها وتطوُّرها المنطقي في الأبحاث العلمية، وقد اكتشف ذلك خلال إعداده الجداول مع الأقران، ولكنه لم يربط بين المعرفة العلمية وخبرته في التخطيط، والوضعية المهنية، والأساليب والتقنيات، والتطور البنائي للمفهوم في التجربة، فأتى تعليقه: «خلال قراءة الجداول تبيّن لي أنّني أمزج بين المفاهيم، ولا أربط بعضها بالبعض الآخر، وربما كنت أمزج أو أقارب بين المفاهيم،...ولم أربط

يوماً بين ما أعرف والتسلسل الدراسي له في المدارس العلمية،...ولم أربط ولادة المفهوم بالتطور الزمني...، هل يمكن تصنيفنا بأننا لا نعرف المفهوم العلمي؟». يقول باشلار (Bachelard, 1972, 6)لا يموت التفكير اللاعلمي إلا في بناء التفكير العلمي؛ ونضيف بالاستناد إلى ماسلو (Maslow, 1954,72) لا يتطور التعلُّم عند الراشد إلا عندما يقول إنه لا يعرف، فيبدأ بالتعلُّم. ويضيف Pastré «إنّ الطالب الجامعي لا يأتي من العدم، ولا يمكن أن يتعلم دون أن تولد في ذهنه عملياتٌ فكريةٌ وذهنيةٌ ترتكز على تجاربه وخبراته، وتساعد في إعادة تكوين المعرفة».

البند الثاني: الأنماطُ التعلُّميةُ عند الطلاب وعلاقتُها بالتفكير الاستراتيجي

من خلال تفكُر الطالب الجامعي بالمستندين 1 و 2، توصلت الباحثة _ بالاستناد إلى ورقة معايير ارتكزت على: العمر، الجنس، الخبرة العلمية والمهنية، القدرة على ربطه بين النظرية والتطبيق، استعمال المفهوم في مواقف مختلفة ومتنوعة في ملفه التتبعي _ إلى ما توصل إليه باستري (Pastré, 2011, 134) من أنّ التطوُّر الفكري للطالب لا يتساوى بين الأفراد، أي إنه :»لا يتطوَّر الراشدون بالمستوى نفسه». هذا، وقد انقسم المتعلمون الراشدون إلى أربعة أنماطٍ، هي:

النمط الأول: المدرِك لِلاعلمية معرفته.

النمط الثاني: المتأكد من معرفته العلمية ولكنه لا يتحمل المسؤولية.

النمط الثالث: المشكك بمصداقية لاعلمية تفكيره.

النمط الرابع: الرافض وهو الطالب المتأكد من أنه يعرف ويرفض التَّفكُر، وهو الطالب الخرِيج الحديث.

وسنعرض لكل من هذه الأنماط على النحو الآتي:

1- النمط الأول: المدرِك لِلاعلمية معرفته: إنّه يُبدي الاستعداد للتطور المعرفي، فيفكر بمعجمه العلمي وينقده، ويعالج مشكلاته من خلال القراءة العلمية البناءة للمصادر، ففي الخبرة المهنية هو الطالب، المدير، معلمٌ وإداريٌ، معلِّمٌ لا تقل خبرته عن عشر سنواتٍ في التعليم وسنتين في الإدارة.

ومن خلال قراءة ملفات الطلاب التتابعية: الجنس والعمر والنضج العلمي، تبين أنّ الأعمار تتراوح بين العقد الرابع والخامس، وأن غالبيتهم من الإناث، 30/7 ذكور فقط صنِّفوا بالناضجين عمرياً، وقد استكشفوا غياب النضج العلمي من خلال نقدهم المعرفي الذاتي لمقرر التخطيط التربوي وقراءتهم للمفاهيم العلمية «لا أمتلك مهارة التخطيط الاستراتيجي»، وذلك على الرغم من نضجهم الوظيفي في مهنة التعليم، وخبرتهم في ممارسة التخطيط في وضعياتٍ مهنيةٍ في مؤسساتهم الوظيفية، ويحملون شهاداتٍ جامعيةً في الرياضيات والعلوم للمرحلة الثانوية، الإدارة العامة، وإثنان في الصحة.

وفي قراءة ملف الإنجاز أو الملف التتابعي، ومشاريع نهاية الفصل، يتبيّن أنّ الطالب حاول اختيار المعرفة الموائمة للجدول المُعد في المقرر النظري وللوضعيّة المهنيّة، وربَط الأهداف بالنواتج في التطبيق والتنفيذ. ولكنّه، في تحليل المعلومة، يستمد قراءته من نواتج الأبحاث العلمية وليس من نواتجه أو ما قام به فعلياً (لا يقرأ ما أنتج ويبرِّر: لا يُسمح لنا بإعداد أنشطةٍ فعليةٍ. تبقى مساهمتنا العملية محدودةً. لذا نقتبس من الآخرين ومن تجاربهم)، مما يُفشل تجربته. وخلال التَّفكُر، فإنه يعيد الجمعَ بين مقرّرات «الإحصاء التربوي»، لإنتاج معرفةٍ تساعده على تطويرِ تعلمه. ومن الطلاب من يقارن بين نواتجه ونواتج أبحاث التربويين، ويحاول المقارنة والمقاربة محمِّلاً نفسه اللومَ على تجارب صغيرةٍ أو محدَّدةٍ في المكان والزمان، ولا تتحمل النقاش أو الافتراضات لأسبابٍ متعددةٍ، منها كما يقول: «لا

يُسمح لنا بالقيام بتجارب تخطيطٍ إداريٍّ مؤسّساتيٍّ. لا نقوم بتجارب تخطيطٍ فعليةٍ». كما أنه يُغفل ما قاله(Pastré, 2011) : «إن الراشدين لا يتساوون بالتعلُّم»، فاختلاف ظروفهم والأعمال التي يقومون بها، والبيئة، والنشاط المهني والبنائي... كل ذلك يؤدي إلى اختلافٍ في نواتج التعلُّم عند الراشدين».

في الخاتمة، تبيّن في التغذية الراجعة أنّ هذا النشاط التعليمي يتطلب منه قراءة العلاقة التراتبية والتسلسلية بين السياسة العامة للدولة والسياسة التربوية للمؤسسة، أي قراءة المعلومات وتحليلها، خصوصاً المعلومات حول العنصر البشري والإمكانيات المادية والمالية المسموح بها.

2- النمط الثاني: المؤكدُ معرفتَه العلمية، ولكنه لا يتحمل المسؤولية: إنّه يناقش علمية النقطة العمياء ولاعلميتها، ويلقي اللوم على المدرسة والمجتمع والنظام، ويبحث في الأسباب المؤدية للتفكير اللاعلمي ولوم الآخر. وهو يعيد تكوين معارفه على أسسٍ علميةٍ في الوضعية التعليمية، ويحاول التطبيق في التدريب العملي، ولكنه يواجه مشكلاتٍ في الالتزام بالمطلوب علمياً، ويشكك في قدرته على تغيير نمط «تنفيذ اجتماع مدرسي» مثلاً، لأنّه لا يهتم بالاجتماعات وادارتها. إلا أنه عندما ينتقي التخطيط للتطوير «تكنولوجيا التعليم» يُعِدُّ للاجتماعات، ويطور في أدائه، ويكرر تجربته، وعند مناقشتها يلاحظ أنه يفعل ما لا يقول، ويعمل أكثر مما يقول. وعند رفضه إعادة التَّفكُر بتجربته الإجرائية من خلال التجارب السابقة، يعترف بمعرفته بوجود ثغراتٍ في منتجه العلمي وتكوينه المعرفي من خلال التماثل أو التواؤم والاستدلال بعملياتٍ أخرى، وعدم رغبته في الاعتراف بالعمليات الذهنية أو عدم التَّفكُر بها.

3- النمط الثالث: المشكك بمصداقية لاعلمية تفكيره: إنّه معلِّمٌ ذو خبرةٍ لا تقل عن خمس سنواتٍ، في مدارس لا تعتمد الدراسات العلمية في تطوير أدائها، ولا تتابع التطور المعرفي، فقد قال بعضهم: «نحن في مدرستنا، لا نعتمد التكنولوجيا والمختبرات، والتنمية المهنية، نتابع فقط ما يصدر عن المركز التربوي، ولكننا لا نتابع دوراتٍ، وما زالت مدرستنا تعتمد التعليم التقليدي». إذاً هو يسأل ويحاول المعرفة، ولكنه غير قادرٍ علمياً على نقد ما يعرف، وليس قادراً على تحديد ما يعرف، يستعمل معجمه العلمي ويشكك بحذرٍ في منتجه العلمي. وعلى سبيل المثال في موقف مهني، فإنّه يستعمل الوسائط وبيداغوجيا نشطةً ليبرر أنّه تابع التطور العلمي، ولكنه لا يعالج البيداغوجيا وأثرها في التطور المؤسساتي، ولا يفرق بين التخطيط بالسيناريو أو التخطيط الاستشرافي وغيرهما من المتغيرات العلمية، كالوقت، والموارد، والتمويل، ولا يختار التخطيط بالنواتج مستعملاً تبريراتٍ ومتغيراتٍ علمية: «التغيرات الاقتصادية، والسياسية والتربوية في لبنان».

4- النمط الرابع: الرافض، وهو الطالب أو الخريج الحديث المؤكد لمعرفته، والذي لا يملك خبرةً، حيث إنّه قد أنهى الإجازة والتحق بالماستر ليكمل دراسته الجامعية، وهو غير مستعدٍّ، وغير قادرٍ على نقد ما يعرف، لذلك نفترض أنه لا يدرك ما يعرف، ولا يعي أنه لا يعرف. وهو عند مناقشة ورقةٍ علميةٍ من إنتاجه، فإنه يبرر فشله بأسبابٍ متعارفٍ عليها عند المتعلمين: «لا يفهم المطلوب، ولا يعرف إعداد نشاطٍ، وعند وضعه في وضعيةٍ تعليميةٍ مع الأقران فإنه يتهرب من القيام بالفعل خوفاً من...».

البند الثالث: من الطالبِ الجامعيِّ إلى الراشدِ القادر

- عند نقد 30/80 من الطلاب الجامعيين لنشاطهم البنائي أو النشاط بالنواتج، وخلال تفكُرهم به ونقدهم انتاجهم في وضعياتٍ مهنيةٍ واقعيةٍ (بحث إجرائي، الملف التتابعي)، لوحظ مواءمة الطالب الجامعي ومماثلته بين التخطيط للمؤسّسات في مواقف افتراضية في الصف ووضعيات واقعية، وتمّ استنتاج الآتي:
- في الوضعيات الافتراضية، فإن الناتج محددٌ مسبقاً في ذهن الطالب الجامعي، إذ يعتمد المتعلم

على الجدول ويربط بين الفعل والهدف الإجرائي بالنواتج، ويحافظ على العلاقة المتلازمة بين النظريات والفرضيات في الأبحاث الإجرائية، ولكنه لا يتمكن من القيام بالعمليات الذهنية المواكبة للتغيرات خلال قيامه بالنشاط. بينما في الوضعية المهنية الواقعية فإن المكونات تختلف باختلاف الوضعية، كما أن العمليات الذهنية تختلف أيضاً باختلاف الوضعية المهنية والأفراد والمكونات، فيختلف تفاعل الطالب الجامعي مع موضوع النشاط المسموح له القيام به في مؤسسة التدريب العملي، فيختار على سبيل المثال، من بين المتاح له: تقييم المتعلم/التلميذ، تقييم عمل المكتبة، إعداد الاجتماعات المدرسية، إدارة الوقت. ويذكر أفراد العينة المستهدَفة الأسباب التي أثرت على نواتج المتعلمين، ومنها: صعوبة التدريب على الأعمال الإدارية، رفض تقييم أداء الهيئة التعليمية أو الهيئة الإدارية أو العمل المؤسساتي. مع أن الطالب يدخل المؤسسة كطالبٍ جامعيٍّ في الإدارة التربوية، فيختار في النشاط بالنواتج الغاية المبتغاة من البحث العلمي.

يقوم أيضاً الطالب الجامعي بإعداد جداول من التحليل الإحصائي يقيم من خلالها نتائج المتعلمين الصغار في المدرسة، ويختار مرحلةً من المراحل ويلاحظ نواتجها على فترةٍ زمنيةٍ محددةٍ، رغم أن موضوع نشاطه المهني هو: المكتبة المدرسية، التكنولوجيا الإدارية، العلاقة بين المدرسة والأهل، وغيرها من المشاريع المدرسية.

مما سبق يمكن الاستنتاج:

- أن اختلاف التجارب الواقعية في الأبحاث الإجرائية وتأثرها بالمكونات الخارجية مثل الفضاءات، وبيئة العمليات الإدارية، يؤثر تأثيراً سلبياً على عمليات الطالب الجامعي الذهنية، إذ يؤدي إلى غياب إدراك أو وعي أهمية ربط المعرفة المدرسة بالمعرفة المكتسبة، والتَّفكُر بالمقررات النظرية وربطها بالأنشطة التطبيقية وبالتدريب العملي والنشاط التنفيذي، أي بما يشكل حلقةً تفكُريةً نقديةً تساعد الطالب في إعادة بناء تعلمه.

- من تجارب تفكُر الطالب الجامعي في استعمال التماثل والتواؤم بين نشاطه البنائي الافتراضي في الصف ونشاطه البنائي أو النشاط بالنواتج في الملف التتابعي، والبحث الإجرائي، والاستدلال بالنتائج، أو في التَّحدث عن تجربتين مختلفين بنواتجهما ومعرفتهما، تبيَّن اختلاف التعلُّمباختلاف إدراك الطالب ووعيه في الوضعية المهنية، واختلاف نضجه العقلي باختلاف البيئة، والزمان، والمكان، والأفراد، وتفاعل المكونات بعضها مع بعض، وتوفر الإمكانيات خلال قيامه بالنشاط المهني.

- في أي نشاطٍ يقوم به الطالب فإنه يبحث في تغيير ذاته، ولكننا نرى، وفق ما قاله رابرديل (Rabardel, 1995, 18) أنّ التغيير في الواقع هو غالباً ما يكون الناتج من الدراسة العلمية ويتأثر فيه الطالب عرضاً، ولكنه ليس الغاية. كما نرى أن ربط قياس النواتج بالغاية، لا يعطي، في الواقع، الطالب الجامعي الطمأنينة بأنه أنتج وحلل نتاجه وتعلُمه، فالطالب القادر هو الذي يعي أنّ المعرفة والقدرة متلازمتان، فالأولى تُطَوِر الثانية، والثانية تستمدُ قدرتها من الأولى، وهما متلازمتان أيضاً في المسار.

- إنّ صياغة الأهداف تلعب دور المُتغير الثابت، لأنّها تربط، تلقائياً، الفعل بالناتج المتوقع من الهدف المصاغ، وبالتالي، فإن الطالب الجامعي إذا نجح بصياغة الأهداف والتمييز بين الفعل ومصدر الفعل، فإنّه يعتقد أنّه نجح في فعل التخطيط، ولكن عند قيامه بصياغة النواتج، فسيكتشف أنّه أيضاً، لا يستطيع شرح العلاقة بين الناتج والهدف المصاغ، والتمييز بين الفعل ومصدره وعلاقتهما بالناتج، كما يكتشف أنه يقول ما لم يقمْ به، وليس ما قام به. هذا ما ذهب

إليه كل من بياجيه Piaget وVygotsky في تجاربهما مع الأطفال والمثلث التعليمي. وقد استند إليهما باستري(Pastré, 2011,156) في تكوّن البنية المعرفية خلال قيام الراشد بالفعل أو بالنشاط. و إضافةً لما سبق، فإنه يمكن القول: إن الطالب الجامعي في الوضعية التعليمية المعقدة في التخطيط لمشروعٍ مدرسيٍّ، لم يتمكن من التعلُّم إلا بعد أنّ تمكن: 1) من فهم ما فعل ومناقشته، 2) من مناقشة ما قام به فعلاً (الفعل الفاعل) مع الأقران، وليس ما يعتقد أنه قام به خلال نشاطه التعليمي.

- فالطالب، إذاً، تكهّن بأنه تعلم بالفعل واكتشف قدرته على القيام بالفعل الفاعل أو الفعال، وأنه ينتج أو يطوِّر تعلُّماً جديداً. كما أنه ومن خلال مناقشة الطالب الجامعي نشاطه التطبيقي في ملفه التتابعي، فإنه سيكتشف أنّه يقول ما كان يريد أن يفعل، وليس ما فعل فعلاً.

كما أنه، وعند متابعة التَّفكُر العلمي ونقد النشاط بالنواتج، تمّت ملاحظةُ ظاهرةٍ تكّمن في وجود اختلافٍ في التميز بين البشر حسب الجنس، فقد تميزت نساءٌ في الفترة الزمنية 2019–2017، تراوحتْ أعمارهن بين الأربعين والخمسين عاماً، بتمكنهن من الربط بين المعرفة والقدرة على التحكم بها في التجربة، خصوصاً اللواتي يتمتعن بالنضج العمري والوظيفي. كما تمّت ملاحظة أنّ الأمهات– خصوصاً اللواتي تخطين العقد الرابع من العمر80/7، ومتزوجات بأعمارٍ صغيرة، يتمتعن بالنضج الوظيفي وبالقدرة على التعلُّم والتحليل وربط المفاهيم بمصادرها وبالتغييراتً، فيستطعن قراءة لاعلمية معرفتهن، ويقمن بربطها بالظرف والبيئة التعلُّمية (مشكلات عائلية واجتماعية، ضغوط في العمل)، والوضعية التعليمية، فتُماثلن وتُوائمن بينها وبين مشكلات الأطفال المتعلمين، وتربطن بين تجربتهن في التعليم وحلّ المشكلات التعلُّمية في الصف، فتطوِّرن معرفةً مستهدفةً، وتساعدن الأقران في الربط بين المصدر والمنتَج. وعند وضعهن في وضعيةٍ تعليميةٍ نقديةٍ لمعرفتهن وما أنتجته هذه المعرفة، تمكنَّ من السيطرة على الإدراك والوعي خلال المناقشة، وحدَّدنَ بناءهنَّ اللاعلمي للمعرفة وأعَدْنَ بناءها في وضعيةٍ تعليميةٍ ومهنيةٍ، وقُمْنَ بربطها بالوضعية المهنية وبما يحْتَجْنَهُ في حلِّ المشكلة وتطوير قدراتهن في القيام بالفعل.

البند الرابع: العامل النفسي وأثره على الانتقال من الطالب إلى الراشد القادر

قال كلو (Clot, 2008, 59): «في علم نفس العمل، إن دراسة عامل الوقت وعلاقته بقدرة الطالب الجامعي على الإدراك والوعي في الوضعية البنائية أو بالنواتج وعلاقتها بالوضعية التعلُّمية أو بتطوير معرفةٍ، تساعد في فهم كيفية تكوينه البنية المعرفية، وأنماط وأنواع المشكلات عند الراشدين». كما أنّه أشار إلى أنّ تكوّن البنية المعرفية تتأثر في عمليات الإنسان الذهنية في أو خلال قيامه بالنشاط، حتى إنّه لو تطابقت الوضعيات المهنية، فإنّ تكوّن البنية المعرفية يختلف باختلاف الفضاءات والبيئة والنشاط؛ فاختلاف البيئة الظرفية والزمنية للوضعيات التعليمية والمهنية يؤثر سلباً وإيجاباً على تكوّن المعرفة.

فعلى سبيل المثال: إن الطالب الجامعي يعمل في النشاط البنائي على أنماط الاستراتيجيات والعلاقة التراتبية والمتلازمة بينها وبين السياسة التربوية العامة للمؤسّسة، ويعمل على ربطها بالمنتج، ولكنّه يغفل هذه العلاقة لأسبابٍ متعدِّدةٍ، منها: نفسية، أو اجتماعية، أو بسببٍ : ظرفي، أمني، أو شخصي، أو عدم تمكنه من الربط بين المعرفة المُدرَّسة والمعرفة المُنفَّذة في النشاط التطبيقي، وفي البحث الإجرائي وملف الإنجاز، مما يؤدِّي إلى رفضه التعلُّم أو إعادة التَّفكُر بالمعرفة، واعتبار ما أنجز ليس إلا مرحلةً لا تمكنه من الممارسة العلمية. وعند سؤاله عن السبب، فإنه يعيده إلى طبيعة المادة التطبيقية، الوضعيات المسموح معالجتها والأدوات والوسائل التربوية والمهنية التي تم استعمالها أو تمكّن من استعمالها، ولكنه عند الربط بين الوضعية المهنية والوضعية التربوية فإنه يدرك أنه ينتج فجوةً بين الوضعيتين يعلِّلها باختلاف المعطيات والمهارات والقدرات والإمكانيات المتاحة في المؤسسات،

فيقيّم النشاط بالنواتج سطحياً، وبشكلٍ غير مناسبٍ وغير ملائمٍ للهدف، فهو لم يأتِ بالنواتج العلمية المتوقعة. على أنّه من الطلاب من يرفض ربط الوضعية المهنية والوضعية التربوية بالموقع الوظيفي فتقييم الطالب السيء لنشاطه بالنواتج: «الملف التتابعي لا يشبهنيّ، لا يظهر ما أنا عليه، فهو سيء»، يظهر بالعودة إلى(Clot, 1999, 13) : رفض الطالب الجامعي التعلُّم، كما يُستدل به لتأكيد الحاجة إلى إعادة تفكُر الطالب بمعرفته العلمية، وبقدرته على تطويعها لتطوير التعلُّم. كما أن هذا التقييم يشير إلى المشكلات التعلُّمية والتعليُمية التي يواجهها الطالب الجامعي خلال تخصصه وممارسته المهنة، ويمكن أيضاً أن يشير إلى نضجه التعلُّمي والوظيفي، فهناك وضعياتٌ سلبيةٌ وإيجابيةٌ يمكن التعلُّم من قراءتها. يقول كلو (Clot, 2002, 2): «على الراشد حصر إدراكه ووعيه في قدرته على مواجهة المخاطر خلال تعلُمه في النشاط، فتذكره ما يعرف وربطه بما يفعل وتحليله في النشاط، يدل على قدرةٍ في تملك المعرفة في التصرف، وقدرةٍ على إنتاج معرفةٍ جديدةٍ تتلاءم مع قدراته المعرفية وتطورها». نضيف إلى ذلك «أنّ في التجربة السَّيئة يتمّ التعُّم الإيجابي أيضاً، شرط أنّ يتمكّن الطالب من ربط المعرفة بالوضعية المهنية، ومن تحديد النقاط الإيجابية والنقاط السلبية، والمرور بالمراحل الأربعة للتَّفكُر في التعلُّم وتطورها(Kolb,1984)، كما في أنماط التعلُّم عند الكبار خلال التغذية الراجعة على الأثر المكتوب في الملف التتابعي أو البحث الإجرائي، ففي نقده الذاتي للفجوة بين ما يعرف وما هو قادرٌ على القيام به، يقيّم الطالب نتاجَه العلمي في الأثر المكتوب، ويطوِّر معرفته بالتعلُّم من تجربته السلبية، فيعيد ربط المكّنات بعضها ببعض.

ومنهم من طرح قدرة الإدراك والوعي عند الطالب الجامعي في الوضعيات التعليمية المختلفة والمتنوعة، وأثره على التعلُّم من خلال النقاط الآتية 1) البيئة السلبية للوضعية التعليمية: الوصول المتأخِّر، الإرهاق، الجوع، الضغط، البنية التحتية، الإنارة، التبريد والتكييف، العلاقة بين الأستاذ الجامعي والطالب الجامعي والمادة العلميّة وتمكُّن المدرب الجامعي من المادة العلمية، 2) البيئة السلبية للتدريب العملي: غياب المدارس التطبيقية، المجموعات المتنوعة والمختلفة في النضج العلمي والوظيفي، 3) الجهوزية لاستقبال التعلُّم، وتطويره في الوضعيات المختلفة، ووعيه الصعوبات العملانية والعلمية وإدراكها.

هذا يتوافق مع تحليل (Rabardel, 1995 et 2004) حول قدرة الراشد على متابعة تعلمه مدى الحياة، وتطوير تعلمه حتى لو امتلك القدرة على التصرف، فالعمل مهارةٌ وقدرةٌ متتاليةٌ يولد بعضها من بعض، مهما اختلفت الوضعيات، والتجارب السلبية والإيجابية وقدرته على السيطرة على وعيه وإدراكه في النشاطين البنائي وبالنواتج المتلازمين، والإصرار يتطلب الرشد.

كما أشار بعضهم إلى أنّ عملية الإدراك والوعي عند الراشد تتأثر بالبيئة والظرف، وتمكنه من السيطرة على أحاسيسه الفكرية والنفسية، وتمكنه من التصرف الواعي الراشد، رغم الظروف المحيطة بالوضعية التعليمية، وتطوير التعلُّم في التجربة.

استنتاجات الدراسة

من خلال ما تقدَّم، فإنّه يمكن استنتاجُ الآتي:

- لا يُبنى التفكير العلمي عند الطالب الجامعي إلا إذا كان التَّفكُر الذاتي بالنقطة العمياء معجمه العلميّ في التجربة، واستقراء المهارة، والمعرفة والقدرة على التصرف.
- مقارنة التجربة الذاتية بالتجارب العلمية تحث الطالب الجامعي على إعادة التَّفكُر بالقدرة على التصرف في النشاط.

- كلما تقدم الطالب الجامعي في النضج الوظيفي، كلما تمكن من نقد معرفتِهِ العلمية، وأعاد تكوين قدرته على التصرف على أسُسٍ علميةٍ من خلال التَّفكُر بالعلاقة بين المفهوم والتصرف العلمي.
- خلال التَّفكُر الذاتي بالممارسة، يستكشف الممارس الراشد أنّه يقول ما كان يريد أن يفعل وليس ما قام به فعلاً.

يبقى الخلاف والاختلاف في الوعي والإدراك بين الراشدين في التجربة واستقرائها، محط أنظار الباحثين في علم نفس العمل، وتبقى النساء المتزوجات والعاملات، واللواتي تملكن مسيرةَ حياةٍ صعبةٍ في النضال للتقدم، أقدر في السيطرة على الوعي والإدراك في التجربة، وإعادة التَّفكُر في "الفجوة العلمية" بين ما تعرفن وما تقمن به، وما هي قدراتهن على ربط القدرة بالتصرف خلال قيامهن بالفعل.

الخاتمة

عندما يقرأ الطالب الجامعي معرفته العلمية في الاختصاص، يقوم إما بإدراكٍ ووعيٍ حسيين، أو استدلالٍ في البُنى المعرفية والمفاهيمية ومقارنته بالتكوين المعرفي بين المفاهيم، ثمّ يبني عليه ليعمّم استعمالها؛ تقابلها عملياتٌ ذهنيةٌ تساعد على التَّفكُر في المعرفة المغلوطة وطرق تطوُّرها، وهذا ما ذهب إليه جان لوك ((Locke, 1693 ثم أكد عليه من بعده بياجيه وفايغوتسكي في نظرياتهم حول التكوّن المعرفي، وكلو (Clot, 1999, 67) في علم نفس العمل. وعليه فقد تبيّن، من خلال هذه الدراسة، أنَ قراءة الطالب الجامعي تكوُّنَ مفاهيمه المعرفية في النشاط التعليمي، كما أن تحليل الإدراك والوعي في النشاط البنائي بالنواتج، وربط ذلك بقدرته على التصرُّف، يطوّر تفكيره العلمي في التجربة الفاعلة، أو بالنواتج، ويمكنه من امتلاك القدرة على المقارنة بين ما يعرف، وبين ما هو قادرٌ على القيام به، أو التصرف من خلاله.

وقد تمّ في هذه الدراسة معالجة قراءة الطالب الجامعي معجمَه العلمي «النقطة العمياء» من خلال سيرورة عملياتٍ ذهنيةٍ وفكريةٍ تساعده في إعادة بناء تفكيرٍ علميٍّ استراتيجيٍّ بهدف تقليص الفجوة العلمية بين ما يعرف وما يقوم به، وما ينتجه فعلياً، خصوصاً في التقارير العلمية. ومن هنا اعتمدت نظرية(Rabardel, 1995, 18) في محاولة قراءة ولادة الهُوية لمهنةٍ في عهد التكوين، في إعادة تفكُر الطالب الجامعي في تكوّن معرفته، ونقد علميتها في التجربة ومقارنتها بما يعرف وما هو قادر على ممارسته خلال قيامه بالنشاط المهني، فالإنسان القادر هو من يربط المعرفة العلمية بما يقوم به فعلياً.

وقد تبين من خلال متابعة قراءة الطالب الجامعي «النقطة العمياء» أنّ الفعل يحدث قبل التعلُّم، والطالب يطوِّر معرفته المنتقاة، التي تتلاءم مع الوضعية المهنية في التجربة، ومن خلال فضاءاتٍ متقاربةٍ، فعلى الرغم من اختلاف الوضعيات وتنوعها، فإنّ المعرفة العلمية تتأثَّر بالعمليات الذهنية للمتعلم الراشد، ونضوجه الذهني والمعرفي، فيتّم التعلُّم من خلال مقاربة التجارب السلبية والإيجابية.

فالطالب يبقى متعلماً راشداً يطوّر معارفه في النشاط البنائي وبالنواتج مدى الحياة، وهذا ما ذهب إليه باستري (Pastré, 2011, 119) عندما قال «إنّ في التجربة تطوّر المعرفة عند الإنسان، إذا ما استطاع نقد تصرفه وتكوّن المعارف التنفيذية أو الاستشرافية في التجربة»؛ وعلاوةً على ذلك، فإن الطالب الجامعي كما المتعلم ينتقي المعرفة التي يود العمل عليها، والمتوائمة مع احتياجاته وإمكانياته في التجربة والوضعية، وقدرته واحتياجاته التنفيذية والاستشرافية.

على أنه ستبقى سمة التراكمية في التفكير العلمي إشارةً على أن الحقيقة في المعرفة العلمية في العلوم التربوية نسبيةٌ وأستنسابيةٌ، وثباتها العلمي يقترن بقدرة الطالب الجامعي على تطوير معارفه من خلال التجربة؛ وعلى فتراتٍ زمنيةٍ طويلةٍ ومتكررة. كما يفترض في ثبات علميتها تبني الدراسات والأبحاث

العلمية لها من خلال المدارس التربوية العلمية الثابتة، ونظريات التطوّر الفكري والمعرفي عند الراشد، ومتابعة قراءة نشاط الإنسان أفقياً بالارتكاز على المعرفة العلمية من خلال نظرية (Vergnaud, 1990)، ما يساند الطالب الجامعي في حل مشكلاته، وإعادة تفكُره وتأمله ببنياته المعرفية، والتوصل إلى الراشد القادر؛ ولكن، يبقى السؤال: هل كل طالبٍ جامعي هو طالبٌ قادرٌ؟ وهل المعرفة لا تتغير بتغير الوضعيات التعليمية والمهنية، ولا تتأثر بالتطوِّر العلمي والاجتماعي والثقافي؟

1. المراجع والمصادر باللغة العربية

2 دن، جان. (1997). فلسفة كانط Kant النقدية، تعريب أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. on Mar 09, 2019 Dr- ikram machmouhi. Date uploaded Uploaded by

1. فايقة، حنا جرجس. (2016). مقدمةٌ قصيرةٌ جداً لجان لوك، مترجم كتاب دن جان (John, 2003 (Dunn، هنداوي، PDF،

2. file:///C:/Users/User/Documents/criteres%20et%20dollar/فايقة%20جرجس%20حنا%20جان%20لوك.pdf

1. المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

2. Bachelard, (1972), La formation de l'esprit scientifique, 8ème édition, Paris, Vrin.
3. Clot, Y., (1999), La fonction psychologique de travail, Paris : PUF.
4. Clot, Y., (2008), Travail et pouvoir agir, Paris : PUF.
5. De Ketele, J.-M., Maroy, Ch., (2006), « Quels critères de qualité pour les recherches en éducation », in L. Paquay, M. Crahay, J.-M. De Ketele, L'analyse qualitative en éducation, Des pratiques de recherche aux critères de qualité, Bruxelles, De Boeck.
6. Kolb, D.A., (1984), Experiential learning: Experience as the source of learning and development, Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
7. Locke, J., (1693), Essai philosophique concernant l'entendement humain, Trad. M Cost, J. Vrain, Paris, Livre de Poche.
8. Leplat, J. (1997), Regards sur l'activité en situation de travail, Contribution à la psychologie ergonomique, Paris : PUF.
9. Leplat, J., (2008), « Formation et didactique professionnelle : un chemin psychologique dans l'histoire », in Travail et apprentissage, 1, pp.22-33.
10. Maslow, A., (1954), Vers une psychologie de l'être, édition Fayard, In English, Motivation and Personalty, Harper and Row.
11. Michaud, Y., (2013), Le management responsable, Paris, Eyrolles.
12. Mintzberg, H., (2005), Le management, Voyage au centre des organisations, Traduit par Jean Michel Bebar, Nathalie Tremblay, PIC., éditions d'Organisation.
13. Pastré, P., Vergnaud G. & Mayen P., (2006), "La didactique professionnelle", In Revue: Recherche en éducation, nº154, pp.145-198.
14. Piaget J., (1967-1992), Biologie et connaissance, Neuchâtel, Delachaux et Nestlé.
15. Pastré P.,2011)), La didactique professionnelle, Paris : PUF.

16. Pastré, P., (2011), Situation d'apprentissage et conceptualisation, Recherche en éducation, (12), pp.1225.

17. Rabardel, P. et Pastré, P. (dirigé par), (2005), Modèles du sujet pour la conception, Dialectiques activités développement, Toulouse : Octarès.

18. Rabardel, P., (1995), Les hommes et les technologies, Approche cognitive des instruments contemporains, Paris, Armand. Colin.

19. Rabardel, P., (2019), Des motifs et des buts, la question de l'expérience.

20. Vergnaud, G., (1985), « Concepts et schèmes dans une théorie opératoire de la représentation », In Psychologie francaise, 30, 3-4, pp.245-252.

21. Savoyant A., (2014), L'activité en situation de simulation : objet d'analyse et moyen de développement, In Apprendre par la simulation, De l'analyse du travail aux apprentissages professionnelle, Sous la direction de P. Pastré, édition Octarès, Collection formation, Toulouse, pp.41-54.

22. Samurçay, R. & Rabardel, P., (2004), « Modèles pour l'analyse de l'activité et des compétences : propositions », in R. Samurçay, P. Pastré (dir.), Recherches en didactique professionnelle, Toulouse : Octarès, pp. 163-180.

23. Vergnaud, G., (1990), La théorie des champs conceptuels, Recherches en Didactique des Mathématiques, 10, 2-3, pp.133-170.

24. Vergnaud, G., (sous la direction de), (2003), Compétences complexes dans l'éducation et le travail – Qu'est-ce-que la pensée ? Colloque de Suresnes : «qu'est-ce que la pensée ?» édité sur CD ROM, conception/réalisation D. Gilis.

25. Vergnaud, G., (2000), Pédagogue et penseur de notre temps, Paris : Hachette.

26. Vergnaud, G. & Merry, M., (coord), (2011), Question à Gerard Vergnaud, Vergnaud, Activité Humaine et conception, Paris : Hachette.

27. Vygotski, L. S., (1985), Pensée et langage, Paris : Messidor/éditions Sociales, http://www.philippeclauzard.fr/2018/11/avec-rabardel-pastre-question-experience.html

3- تكنولوجيا المعلومات لذوي الاحتياجات الخاصة في المؤسسات التعليمية العراقية

م. كريمة شافي جبر محمود

الجامعة المستنصرية/ مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

قسم المجتمع المدني وحقوق الإنسان

Summary :

The use of technology in human life or in many cases to facilitate the tasks and life and meet the needs of the least effort and effort and cost. As for the issue of education and rehabilitation of people with special needs, it represents a cultural challenge to nations and societies as a humanitarian issue, in which the disabled represent at least 15% of the population at the local and international levels.

In our country of Iraq, the lack of interest in this category still exists in terms of inadequate educational environments and the lack of appropriate educational resources and resources, equipment and educational programs, and almost without qualified educational technology specialists throughout the country in general.

This bad situation increases the frustration of people with disabilities in continuing their education and continuing their normal lives in society.

مقدمة :

تشير معظم الدساتير الى حق الانسان في العيش ببيئة جيدة تؤمن له حياة صحية سعيدة ويكفل المجتمع من خلال الدولة هذا الحق عن طريق تأمين الرعاية الصحية للفرد .

وأشارت منظمة اليونيسيف العالمية إلى وجود شحّ لقاحات وعدم توفرها لدى العراق ووجود اكثر من (6) ملايين طفل مهدد بعدم تأمين لقاحات حيث البرنامج يشمل اللقاح السادس والخامس والرباعي ولقاح الحصبة والثنائي الخاص بشلل الأطفال، وحذرت من هذه الكارثة وعدم السيطرة عليها نهاية عام (2016) ما يعد احد اخطر الامراض إذ يوجد لقاح له، هذا بالاضافة الى الازمة الامنية والارهاب الذي شمل نسبة عالية من السكان والذي لم يتم تداركه من قبل الجهات الحكومية ومعالجة الاوضاع. هذا بالاضافة الى عدم اتخاذ اجراءات بيئية وقائية صحية للحد من هذه المعاناة المأساوية والامراض التي اخذت تفتك بالاطفال والشباب والنساء والشيوخ وتخلق لديهم عاهات مستديمة .

وما لم يتم تداركه من وضع استراتيجيات خاصة وتحقيق اهداف هذه الاستراتيجية والمعونات من الامم المتحدة للعراق بتوصيل خدمات رعاية صحية والتركيز على شريحة الفقراء والسكان في المناطق النائية البعيدة عن المراكز الصحية والمؤسسات التعليمية التي تكفل لهم حق العيش .

وضع العراق في عقد التسعينات في الحصار الاقتصادي الذي خلق من هذا الجيل ضعف وتدهور صحي، وقد تراجع مستوى ونوعية الخدمات التي قدمتها الحكومة العراقية في تلك المؤسسات الصحية

والتربوية والتعليمية منذ عقد التسعينيات ولغاية هذا العام فهي تفتقر الى ابسط المستلزمات الصحية والعلاجية، وكذلك عدم توفر ابسط مستلزمات واحتياجات طلاب ذوي الاحتياجات الخاصة في المدارس والجامعات لمساعدتهم في قضايا القبول والتسجيل والتقييم والارشاد والدراسة .

وكذلك اهملت الحكومة توفير خطط علمية صحية لدعم الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة وتوفير الفرص لهم للمشاركة الفعالة في العملية التعليمية والتدريس في المؤسسات التعليمية والتربوية وعدم رصد المؤسسات الداعمة لهذه الشريحة بالموارد المالية التي تؤمن توفير مستلزمات ووسائل التعلم الخاصة للحصول على المعلومة عن طريق توفير المواد العلمية والاقراص المدمجة والاشرطة المسجلة او توفير مواقع خاصة على شبكة المعلومات مصحوبة بالصوت والصورة او توفير اماكن ومراكز توجيهيه وتحت اشراف متخصصين لتوفير فرص مشاركة المجتمع الفعالة لتلك الشريحة وخلق اجواء علمية حديثة بتقنيات وتكنولوجيا حديثة تسهل اندماج تلك الشريحة بالمحاضرات والمناقشات العلمية وتقديمهم على الاخرين بطرح كل ما يمكن مناقشته في الجامعات عليهم.

وقد تضمن البحث (4) مباحث؛ المبحث الاول :منهجية البحث وقد استخدمت فيه البحث المسحي، والمبحث الثاني : مفهوم ذوي الاحتياجات الخاصة وخدمات ووظائف تكنولوجيا التعليم لذوي الاحتياجات الخاصة وتقنيات التكنولوجية الحديثة في تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة، والمبحث الثالث : تضمن حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة ودور المنظمات الصحية العالمية، اما المبحث الرابع: فقد تضمن الجانب العملي واهم التوصيات والمقترحات .

المبحث الأول

منهجية البحث

المشكلة :

تمثل قضية تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة وتأهيلهم تحديا حضاريا للامم والمجتمعات لانها قضية انسانية بالدرجة الاولى يمكن ان تعوق تقدم الامم، باعتبار ان المعوقين يمثلون نسبة لا تقل عن 15% من مجموع السكان على المستوى المحلي والدولي وتشكل هذه الاعداد الكبيرة من ذوي الاحتياجات الخاصة فاقدا تعليميا يهدد الاقتصاد الوطني والعالمي.

وطبقا لبعض الاحصاءات المعلنة عبر الانترنت فإن عدد المعاقين في العالم يبلغ 600 مليون شخص، اكثر من 80 % منهم في الدول النامية.

ومهما اختلفت الاحصاءات وتضاربت الارقام فالمشكلة الاكبر تتمثل في ضآلة عدد الذين يحصلون على الخدمات والرعاية منهم في الدول النامية، اذ ان الذين يحصلون على الخدمات المطلوبة في هذا المجال يمثلون 1.9% فقط من ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث انها تحتاج الى مؤسسات سواء كانت حكومية ام غير حكومية، بالاضافة الى ان تكاليفها باهظة للغاية، كما يتطلب الامر تدريبا ومراكز وموظفين، مما يقضي بضرورة التعاون والتكاتف الاجتماعي بين جميع الفئات لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، مع البحث عن جهات مانحة لمحاولة ادخال هذه الفئات وغالبيتهم من الفقراء ومحدودي الدخل في عملية التنمية بدلا من ان يكونوا عالة عليها[2].

(2) – حسن الباتع عبد العاطي، التكنولوجيا التعليمية لذوي الاحتياجات الخاصة، 12/7/2010، انترنت، مجلة المعرفة Almarefh.net

1 – **هدف البحث** : تتبع اهمية البحث من خلال الاهداف التالية :

2 – التعرف على فئة ذوي الاحتياجات الخاصة من الطلبة الجامعيين (العدد، التخصص، والمستوى التعليمي) .

3 – التعرف على واقع خدمات المعلومات المقدمة لفئة ذوي الاحتياجات والجهات المقدمة لها .

4 – التعرف على الصعوبات. لتي يواجهها ذوي الاحتياجات الخاصة في مسار تقديم المعلومات .

الخروج باقتراحات لتطوير الخدمات المقدمة وتطوير الاداء لذوي الاحتياجات الخاصة .

اهمية البحث :

تكمن اهمية البحث في التعرف على الخدمات المعلوماتية المقدمة للافراد من ذوي الاحتياجات الخاصة وفي توصيلها، واعطائهم تكافؤ الفرص، وتحقيق مبدأ الدمج الكلي لذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع الاكاديمي والتعليمي مع باقي الطلبة ومن خلال المتطلبات والخدمات التقنية التي تتيح لهم مواصلة تعليمهم في الجامعات وكذلك توظيفهم مستقبلا ومنحهم ادوار تسلم القيادة لتعزيز ثقتهم بالنفس وابراز قدراتهم .

حدود البحث :

الحدود الموضوعية :

اولا : الوقوف على خدمات تكنولوجيا المعلومات لذوي الاحتياجات الخاصة في الجامعات العراقية .

ثانيا : امكانية اتاحتها والافادة منها ومدى جودتها .

ثالثا : الدراسة الميدانية من خلال التفاعل مع طلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في الحرم الجامعي، والخدمات المعلوماتية المقدمة في مراكز ذوي الاحتياجات الخاصة.

المبحث الثاني

مفهوم ذوي الاحتياجات الخاصة

لقد تطورت المسميات التي أطلقت على هذه الفئة، حيث أطلق عليها أسماء عديدة، منها فئة: المقعدين، والمعاقين، والعجزة، وذوي العاهات، مثل: الأعمى، والأعرج، والكسيح، والأطرش، والأخرس، والمجنون، وأصحاب العاهات، والعاجزين، وكل هذه المسميات منطلقة من مبدأ العجز، أي تنظر إلى الفرد ذي الاحتياجات الخاصة من جوانب ضعفه وقصوره فقط وتهمل جوانب قوته، ثم ظهر مصطلح الفئات الخاصة أو ذوي الاحتياجات الخاصة، وهو مصطلح أكثر قبولًا لما يحمل في طياته مراعاة للجوانب الإنسانية والنفسية، وينظر لهم من جميع الجوانب، ويستغل نقاط قوتهم للتغلب على نقاط ضعفهم(3).

والحاجة التعليمية في تكنولوجيا التعليم هي فجوة أو انحراف بين ما هو كائن (الوضع الراهن) وما ينبغي أن يكون (الوضع المرغوب)، وعلى ذلك يعرَّف ذوو الاحتياجات الخاصة بأنهم الأفراد الذين ينحرفون عن المتوسط في جانب أو أكثر من جوانب الشخصية سواء أكان جسديًا أم عقليًا أم نفسيًا أم اجتماعيًا يحول بينهم وبين تحقيق التوازن والسلوك العادي، مما يترتب عليه عدم القدرة على متابعة الترتيبات المدرسية أو الخدمات التعليمية، وهذا يتطلب تعليمهم من خلال برامج خاصة متضمنة وسائل

(3) – نفس المصدر .

تكنولوجية ملائمة لهذه القدرات، ويمكن تصنيف ذوي الاحتياجات الخاصة إلى عدة فئات كما يلي: الكفيفين وضعاف البصر، والصم وضعاف السمع، والإعاقات الجسدية والصحية، والتخلف العقلي، والموهوبين والعباقرة، والاضطراب النفسي، وصعوبات التعلم والتواصل، والاحتياجات المتعددة.

اما مفهوم تكنولوجيا تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة او مفهوم التقنيات التعليمية لذوي الاحتياجات الخاصة او الوسائل التكنولوجية المعينة فيعرف كما يلي: (أي مادة أو قطعة أو نظام منتج، أو شيء معدل أو مصنوع وفقًا للطلب بهدف «زيادة الكفاءة العلمية أو الوظيفية لذوي الاحتياجات الخاصة) او (كل أداة أو وسيلة معقدة أم غير معقدة يستخدمها معلمو التربية الخاصة بهدف شرح وتسهيل المادة التعليمية للتلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة) المعززة للتواصل، والوسائل المُعينة على التحكم في البيئة المحيطة، والآلات الحاسبة، وأجهزة التسجيل، والنظارات المكبرة، والكتب المسجلة على شرائط كاسيت، وغيرها من الوسائل المخصصة لهم[4].

خدمات تكنولوجية لذوي الاحتياجات الخاصة :

لأي مدى يمكن للتكنولوجيا ان تساعد المصابين بصعوبات التعلم في تحويل هذه الاعاقة الى مصدر للقوة والاعتزاز لديهم ؟

نظراً لان هذه التكنولوجيا – كسائر التكنولوجيات ومنتجات العصر الاخرى قد صممت وصنعت ووزعت من اجل الاشخاص العاديين – دون الاخذ بالاعتبار الاشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة، فقد ظل من الصعب حتى وقت قريب الاجابة من بعض الخبراء (عندما تتنوع الاعاقات فلا بد من تنوع الحلول)، وسعيا لايجاد الحلول الجديدة يلزم حثّ المعنيين على الاخذ بها واتاحتها لمن يحتاجها فقد عقد المؤتمر لمنظمة الصحة العالمية من المدة 13–15 تشرين الثاني 2007 وضم عددا من الخبراء المنشغلين لإيجاد حلول وافكار تعين وتمكن اصحاب الاعاقات المختلفة كغيرهم من مكتملي الحواس والاعضاء من الاستفادة من منتجات الثورة التكنولوجية في مجال المعلومات والاتصالات .

وقدّرت منظمة الصحة العالمية ان ما يقارب 15% من سكان العالم هم من ذوي الاعاقات. وفي اقليم الشرق الاوسط يمكن القول ان حوالي 40 مليون شخص هم من ذوي الاعاقات[5].

لقد ظلت التساؤلات حول كيفية استفادة ذوي الاحتياجات الخاصة بمستحدثات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هاجسا لخبراء تكنولوجيا الاتصال، واختصاص مكافحة الاعاقات واعادة التأهيل، وكذلك المبدعون في مجال الصناعات الالكترونية وكانت القناعة بانه لا بد من بذل الجهود من اجل تلبية حاجات الفئات الخاصة .

1 – وجاء المؤتمر الذي تضمن خطة عمل (2011–2006) الصادر عن منظمة الصحة العالمية تحت عنوان (عالم للجميع : الاعاقة واعادة التأهيل) تأكيدا على ان يعيش كل الاشخاص من ذوي العاقات بكرامة متساوين مع غيرهم في الحقوق والفرص، واشتمل المؤتمر توجهات وجهود تطوير خدمات التكنولوجيات المساعدة للمعاقين. وتعمل منظمة الصحة العالمية من جانبها على المحاور التالية :

2 – مساعدة الدول الاعضاء على تطوير سياسات وطنية خاصة بالتكنولوجيا المساعدة .

3 – مساعدة الدول الاعضاء في تدريب الكوادر على مختلف المستويات في مجال التكنولوجيا المساعدة ولاسيما التكنولوجيات البدائلية والتقويمية .

(4) – نفس المصدر .

(5) – emro.who.int , worlf health organization

تعزيز البحوث حول التكنولوجيا المساعدة وتسهيل نقل التكنولوجيا .

وعلى الصعيد التطبيقي هناك العديد من الانجازات في مجال تيسير التكنولوجيا للمستخدمين من ذوي الاحتياجات الخاصة، وهو وجود برمجيات تجعل من الممكن استخدام العين بدلا من لوحة المفاتيح لاصدار الاوامر والكتابة الالكترونية وامكانية تطويع اشكال لوحة المفاتيح لمناسبة من يعانون من عاقة حركية.

ووجود برامج خاصة لمن يعانون من صعوبات في القراءة وضعف الرؤية او عدم تمييز الالوان، هذا بالاضافة للعديد من الحلول والتطورات التي استعرضها المؤتمر. لكن الاكثر اهمية من الوصول للحلول هو اتاحتها لمن يحتاجونها .

يقول الدكتور نجيب الشربجي منسق ادارة المعرفيات بمنظمة الصحة العالمية المكتب الاقليمي الشرق الاوسط : (لقد ظلت التساؤلات حول كيفية استفادة ذوي الاحتياجات الخاصة من مستحدثات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هاجسا لخبراء تكنولوجيا الاتصال واختصاصي مكافحة العاقات واعادة التأهيل، وكذلك المبدعين في مجال الصناعات الالكترونية. وكانت القناعة بانه لا بد من بذل الجهود من اجل تلبية حاجات الفئات الخاصة).

وظائف تكنولوجيا التعليم واهميتها لذوي الاحتياجات الخاصة :

إن استخدام الوسائل التكنولوجية في حياة التلاميذ من ذوي الاحتياجات الخاصة لها عديد من الإيجابيات التي تعود عليهم سواء أكان ذلك من الناحية النفسية أم الأكاديمية أم الاجتماعية أم الاقتصادية. فقد أثبتت دراسات كثيرة أن استخدام بعض الوسائل التعليمية كالحاسب الآلي مثلاً له دور كبير في خفض التوتر. حيث تتوفر فيها كثير من البرامج المسلية والألعاب الجميلة التي تدخل البهجة والسرور في نفوس هؤلاء التلاميذ، وبالتالي تخفف كثيرًا من حدة التوتر والقلق النفسي لديهم، وبذلك يستخدم كثير من المعلمين هذه الوسيلة كمعزز إيجابي في تعديل سلوكهم، فضلا عن فاعلية الوسائل التعليمية في خفض سلوك النشاط الزائد وتحسن بعض السلوكيات المصاحبة له كتشتت الانتباه والاندفاعية وفرط الحركة.

ويمكن تلخيص أوجه الإفادة من تكنولوجيا تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة في النقاط التالية:

اولا – تسهم في علاج مشكلة الفروق الفردية بين ذوي الاحتياجات الخاصة.

ثانيا – تسهم في تكوين اتجاهات مرغوب فيها أي تساعد تكنولوجيا التعليم في تكوين اتجاهات موجبة لدى الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، مثل: (اتباع النظام والتعاون) مما يساعد الطفل على التكيف الاجتماعي.

ثالثا – تكوين وبناء مفاهيم سليمة: يؤدي تنويع استخدام وسائل تكنولوجيا التعليم المقدمة لذوي الاحتياجات الخاصة إلى تكوين وبناء مفاهيم سليمة لديهم.

رابعا – إكساب الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة المهارات الأكاديمية اللازمة لتكيفهم مع المجتمع المحيط بهم.

خامسا – تعالج اللفظية والتجريد أي تجنب نطقهم وكتابتهم للألفاظ دون إدراك مدلولها، ومن ثم تقلل من القدرة على التفكير المجرد للفئات الخاصة من خلال توفير خبرات حسية مناسبة.

سادسا – تقدم وسائل تكنولوجيا التعليم تغذية راجعة فورية ولاسيما برمجيات الكمبيوتر التي تمكن ذوي الاحتياجات الخاصة من معرفة خطأ أو صواب استجابتهم بشكل فوري، وتعزيز استجاباتهم.

سابعا – إمكانية تكرار الخبرات من خلال إتاحة الفرصة لذوي الاحتياجات الخاصة لاستخدام البرمجيات المختلفة وجعل الاحتكاك بينهم وبين ما يتعلمونه احتكاكًا مباشر فعلاً، ما يعد مطلبًا تربويًا تفرضه طبيعة الإعاقة.

ثامنا – تجعل الخبرات التعليمية أكثر فاعلية، وأبقى أثرًا، وأقل احتمالًا للنسيان وتفيد في تبسيط المعلومات المقدمة.

تاسعا – المساعدة في نمو جميع المهارات (العقلية والاجتماعية واللغوية والحسية والحركية) لدى ذوي الاحتياجات الخاصة.

عاشرا –المشاركة الفعالة بشكل كامل في الفصول التعليمية العامة، وإثراء المنهج، وزيادة الحافز أو الباعث، وتشجيع التعاون وزيادة الاستقلالية، والثقة بالنفس.

حادي عشر –تقليل الاعتماد على الآخرين، مع جعل هؤلاء الأطفال مندمجين مع مجتمعهم والتواصل معه من خلال المشاركة في الأنشطة الاجتماعية، وتنمية مهاراتهم الحياتية(6).

دور تكنولوجيا التعليم في تقديم حلول لذوي الاحتياجات الخاصة:

يتمثل دور التكنولوجيا الحديثة في تقديم الرؤى المستقبلية والخدمات والبرامج التعليمية الخاصة، والحلول الإبداعية المبتكرة لمشكلات التعليم، والتي تسهم في إعادة صياغة وتصميم المحتوى التعليمي المقدم لهم بشكل يساعدهم في الحصول على المعلومة بسهولة ويسر.

كم يتمثل في تقديم التطبيق والممارسة والتدريب والتجريب الفعلي من خلال الممارسات التربوية المتنوعة لتشكيل شخصيتهم وتنظيم تعلمهم واكتسابهم للمعارف والمهارات الاجتماعية للتواصل بفاعلية، وتقديم الخدمات التعليمية التي تسعى إلى تنشيط قدراتهم العقلية وتأهيلهم حتى لا يتعرضوا لمشكلات نفسية وتربوية، ولكي يندمجوا في المجتمع ويصبحوا أفرادًا منتجين لا عبئًا على أسرهم ومجتمعهم.

ويتلخص دور تكنولوجيا التعليم في تقديم حلول لذوي الاحتياجات الخاصة في المحاور التالية:

– حلول مادية: متمثلة في توفير الأجهزة والمواد والوسائل والمصادر التعليمية والبرمجيات.

– حلول فكرية: وتشتق من نظريات التعليم والتعلم وتحويلها إلى كفايات تعليمية لتوفير بيئة تعليمية مناسبة لهؤلاء الأفراد وإعداد الكوادر البشرية المدربة واللازمة.

– حلول تصميمية: تتمثل في مراعاة الأساليب التقنية عند تصميم وتطوير مصادر التعلم والبرامج والمواد التعليمية المنتجة أو الجاهزة التي تتناسب وطبيعة هذه الفئة من المتعلمين.

تقنيات تكنولوجيا التعليم لذوي الاحتياجات الخاصة السمعية والبصرية :

يمثل (المعوقون) ذوو الاحتياجات الخاصة في العالم العربي 15 % بناء على الاحصاءات الصادرة عن الامم المتحدة والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(7).

وقد شهد القرن العشرين تطورا كبيرا في الاهتمام بالمعوقين على المستوى العالمي تمثل في العديد من المواثيق التي صدرت عن هيئة الامم المتحدة، كان من ابرزها اعلان عام 1986 الدولي للمعوقين.

ولقد نشطت الدول ابان ذلك العام في تطوير برامجها في مجال المعوقين، لذا اعلنت الامم المتحدة

(6) – حسن الباتع، المصدر السابق .

(7) – أ. زكريا خليل الكيالي وفراس محمد عودة، بحث مقدم لمؤتمر (تنمية ثقافة الابداع)، ـ فلسطين، جامعة القدس، كلية التكنولوجيا والعلوم التطبيقية، 2013.

عقد الثمانينات عقدا دوليا للمعوقين[8].

ان حق الطلبة من ذوي الاحتياجات الخاصة ان يتمتعوا كأقرانهم الاسوياء برعاية كبيرة في مجال استخدام التكنولوجيا المتطورة في تعلمهم حقيقة لابد من العمل على ارسائها في المجتمع العربي، لاسيما أن اثر هذه التكنولوجيا التعليمية يمكن من الحصول على نفس نوعية التعليم التي يحصل عليها اقرانهم الاسوياء .

وان استخدام التكنولوجيا التعليمية لذوي الاحتياجات الخاصة يعتمد بصورة اساسية على درجة الاعاقة. فعندما تكون درجة الاعاقة البصرية خفيفة يمكن استخدام تكنولوجيا مساعدة تعتمد على حاسبة البصر باشكال مختلفة كالتكبير او تكنولوجيا توفر الصوت المصاحب للمادة البصرية. بينما عند بلوغ درجة الاعاقة حدها الاعلى لتصل الى اعاقة بصرية حادة يصبح استخدام التكنولوجيا المساعدة السمعية الحل الامثل لتقديم المادة التعليمية.

عوامل نجاح استخدام تكنولوجيا التعليم لذوي الاحتياجات الخاصة :

1. أن استخدام تكنولوجيا التعلم مع ذوي الاحتياجات الخاصة تتطلب الأخذ بعين الاعتبار عددا من العوامل التي قد تساهم في نجاح هذه التجارب، ومن الضروري ملاءمة التكنولوجيا لحالة الشخص الذي يستخدمها لكي تحقق الهدف المرجو منها. وهذه العوامل تعتبر أساسا في تحقيق الأهداف التعليمية وتعزيز عملية التعلم من خلال استخدام التكنولوجيا التعليمية الخاصة بذوي الاحتياجات الخاصة بما يلي:
2. أن لا يكون استخدام التكنولوجيا المساعدة من أجل التكنولوجيا نفسها بحيث لا يستخدمها الفرد من ذوي الاحتياجات الخاصة إذا كان بإمكانه القيام بالعمل دون استخدامها.
3. أن يكون استخدام التكنولوجيا المساعدة له أثر واضح في سد عجز أو نقص لدى المستخدم والذي بدون هذه التكنولوجيا لا يتمكن من سد هذا العجز أو النقص وبالتالي يكون الهدف من استخدامها كسر الحاجز بين ذوي الاحتياجات الخاصة بسبب إعاقتهم وتعلمهم.

أن لا يكون هذا الاستخدام عاملا مسببا لتشتيت الانتباه لمن يستخدم هذه التكنولوجيا. فالإكثار من المؤثرات الصوتية في البرامج الحاسوبية مثلا لا يساعد على التركيز أثناء عملية التعلم، وأن يكون استخدام التكنولوجيا المساعدة عامل تعزيز لقدراتهم على التعلم. فعند توفر برنامج يتيح الإعادة والتكرار للفرد من فئة بطيئي التعلم من الممكن أن يساعده ذلك في تحقيق الأهداف التعليمية المرسومة[9].

تصنيفات ذوي الاحتياجات الخاصة :

بالتأكيد يواجه الاشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة بعض المعوقات التي تحول دون ممارستهم لأنشطتهم بشكل طبيعي. وهذه المعوقات ظهر معها المتطلبات التي ينبغي الوفاء بها لمواجهة مثل هذه المعوقات[10].

1 – ويصنف ذوو الاحتياجات الخاصة الى التالي :

2 – المعاقون جسديا : من مقعدين واقزام ومبتوري الاطراف والمصابين بشلل الاطفال والشلل الدماغي وغيرهم .

---

(8) – القريوني واخرون، حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، غزة، 2001 .

(9) – http://www.alizuhdi.com

(10) – شركة الحاسبات المصرية، متطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة، Feedo.net.

3 – المعاقون حسيا : وهم المعاقون سمعيا وبصريا .

4 – المعاقون ذهنيا : ممن لديهم نقص في الذكاء عن المستوى الطبيعي من متخلفين عقليا ولديهم بطء في التعلم والتحصيل.

5 – المعاقون أكاديميا : من ذوي صعوبات التعلم والتأخر الدراسي .

6 – المعاقون تواصليا : من ذوي عيوب النطق والتخاطب والكلام .

7 – المعاقون سلوكيا : ممن لديهم تشتت في الانتباه ونشاط زائد وتوحد .

متعددي الاعاقة : الذين لديهم اكثر من اعاقة[11].

متطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة من تكنولوجيا التعليم :

إن متطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة من تكنولوجيا التعليم عديدة تصنف في تسع فئات، وفيما يلي شرح مبسط لهذه المتطلبات.

1– الدراسة والتحليل: حيث يجب قبل اتخاذ قرار بخصوص تكنولوجيا تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة إجراء الدراسات التي تستهدف تحليل مشكلات ذوي الاحتياجات الخاصة وتقدير احتياجاتهم التعليمية، وتحليل خصائص كل فئة، وتحليل البرامج والمقررات الدراسية الموجهة إليهم، وتحليل الموارد والمعوقات البيئية والتعليمية.

2– التصميم والتطوير: إن ذوي الاحتياجات الخاصة يحتاجون إلى تصميم وتطوير مصادر التعلم ومنظومات تعليمية مناسبة لهم، وتلبي احتياجاتهم وتحل مشاكل تعلمهم، وتنقل إليهم التعلم المطلوب بكفاءة وفاعلية وتطوير المصادر بطريقة سليمة.

3– تصميم وتوفير البيئات والأماكن التعليمية المناسبة: ومنها مراكز مصادر التعلم، والمكتبات المدرسية الشاملة، والمباني المدرسية .

4– الاقتناء والتزويد: يقصد به العمل على توفير مصادر التعلم المتعددة والمختلفة، وتحديثها وتزويدها بصفة مستمرة.

5– المتابعة والتقويم: وهي إنشاء إدارة متخصصة للمتابعة والتقويم من مهامها القيام بالوظائف التالية: متابعة وتقويم المصادر البشرية وغير البشرية، ومتابعة وتقويم وتوظيف المصادر واستخدامها من قبل المعلمين والمتعلمين، وتحديد احتياجات المدرسة أو المؤسسة التعليمية.

6– التدريب: ويشمل تدريب الفئات التالية: معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة، واختصاصيي تكنولوجيا التعليم، وأولياء أمور ذوي الاحتياجات الخاصة.

7– الإعداد الأكاديمي لمعلمي ذوي الاحتياجات الخاصة واختصاصيي تكنولوجيا التعليم.

8– التوعية والإعلام: وهي مطلب أساسي لزيادة وعي المعلمين واختصاصيي تكنولوجيا التعليم وأولياء أمور ذوي الاحتياجات الخاصة، ويتطلب ذلك اجراء المحاضرات والندوات والمؤتمرات وورش العمل، وتصميم مواقع على شبكة الإنترنت وكذلك انشاء قناة تعليمية لهم.

الدمج التربوي لذوي الاحتياجات الخاصة :

تعتبر عملية تثقيف وتوعية المجتمع بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة ومتطلبات دمجهم في المجتمع

(11) – حسن الباتع، المصدر السابق .

من المهمات التي تسعي لتحقيقها المؤسسات العاملة في هذا المجال، والدمج يعني التكامل الاجتماعي والتعليمي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والأطفال العاديين في الفصول العادية ولجزء من اليوم الدراسي علي الأقل، حيث يرتبط هذا التعريف بشرطين لابد من توافرهما وهما وجود الطالب في الصف العادي لجزء من اليوم الدراسي إلي جانب الاختلاط الاجتماعي المتكامل والذي يتطلب أن يكون هناك تكامل وتخطيط تربوي مستمر.

أما مفهوم الدمج فهو في جوهره مفهوم اجتماعي أخلاقي نابع من حركة حقوق الإنسان ضد التصنيف والعزل لأي فرد بسبب إعاقته إلى جانب تزايد الاتجاهات المجتمعية نحو رفض الوصمة الاجتماعية للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، فسياسة الدمج هي التطبيق التربوي للمبدأ العام الذي يوجه خدمات التربية وهو التطبيع نحو العادية في أقل البيئات قيوداً.

وإن سياسة الدمج تقوم على ثلاثة افتراضات أساسية تتمثل في أنها توفر بشكل تلقائي خبرات التفاعل بين ذوي الاحتياجات الخاصة وأقرانهم العاديين وتؤدي الى زيادة فرص التقبل الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة من قبل العاديين كما تتيح فرصا كافية لنمذجة اشكال السلوك الصادرة عن اقرانهم العاديين.

ومن اهم اهداف الدمج :

1- اتاحة الفرص لجميع الاطفال المعوقين للتعليم المتكافئ والمتساوي مع غيرهم من الاطفال.

2- اتاحة الفرصة للاطفال المعوقين للانخراط في الحياة العادية، والتفاعل مع الاخرين.

3- اتاحة الفرصة للأطفال غير المعوقين للتعرف على الاطفال المعوقين عن قرب وتقدير مشاكلهم ومساعدتهم على مواجهة متطلبات الحياة.

4- التخفيف من صعوبة انتقال ذوي الاحتياجات الخاصة الى مؤسسات ومراكز بعيدة عن بيئتهم وخارج اسرهم.

5- التقليل من الفوارق الاجتماعية والنفسية بين الأطفال أنفسهم وتخليص الطفل وأسرته من الوصمة التي يمكن أن يخلقها وجوده في المدارس الخاصة، وإعطاؤه فرصة أفضل ومناخا أكثر تناسبا لينمو نموا أكاديمياً واجتماعيا ونفسيا سليما إلى جانب تحقيق الذات عند الطفل ذي الاحتياجات الخاصة وزيادة دافعيته نحو التعليم ونحو تكوين علاقات اجتماعية سليمة مع الغير[12] .

المبحث الثالث

حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة على المجتمع:

الإنسانية الحقّة وعلى مرّ العصور كانت تدعو دائماً إلى ضرورة الاهتمام والعناية بالإنسان كفرد، أياً كان هذا الإنسان وبغضّ النظر عن جنسه أو لونه أو عرقه، والعمل بكافة الوسائل والطُرق على توفير الحياة الكريمة له والاستفادة الكاملة من مختلف أنواع الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية المُقدّمة، وكل ما من شأنه أن يُشعِر هذا الفرد بإنسانيّته والإحساس بوجوده في هذه الحياة، وإذا كان كل ذلك مطلوباً على هذا النحو للإنسان العادي السويّ، فإنه أكثر إلحاحاً في الطلب للإنسان الذي أبتلي بأي نقص أو قصور في أيّ جانب من جوانب النمو الإنساني كالجسمي أو العقلي أو النفسي (ذوي الاحتياجات الخاصة) .

(12) – الدمج التربوي لذوي الاحتياجات الخاصة، السكنية www.assakina.com

لذا فإن قضية ذوي الاحتياجات الخاصة (الإعاقة) من القضايا التي تتطلّب استنهاض الهِمَمَ من الجميع وحراكا عالميا من كافة القطاعات العامة والخاصة.

فهي قضية مجتمع بأكمله، ولا تحتمل أيّ شكل من أشكال التّهميش أو التقصير، لأنها قضية تعدّدت جوانبها واكتسبت أهمّيتها في الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ، وذلك نظراً لازدياد عدد الأفراد من ذوي الاحتياجات الخاصة على مستوى العالم.

وأولى الخطوات لمعالجة هذه القضية هي العمل على توفير وتسهيل الوسائل والآليات لمشاركتهم في الحياة العامة والانخراط فيها كأيّ فرد طبيعي في المجتمع، ويكون ذلك من خلال تأهيل وتعليم وتدريب كل شخص من ذوي الاحتياجات الخاصة حتى يتكيّف مع محيطه ومجتمعه، بالإضافة إلى إيجاد بيئة وظروف طبيعية قَدر الإمكان، بحيث تكون خالية من العوائق وشاملة لشتّى جوانب ومرافق الحياة العامة من مواصلات وتعليم وصحة وغيرها من الأمور التي تسترعي فائق الاهتمام لدى هذه الشريحة من المجتمع، وان لا نغفل عن وضع البرامج التربوية والإعلامية المُتكاملة لإزالة بعض الأفكار السلبية العالقة في أذهان المجتمع وأفراده تجاه ذوي الاحتياجات الخاصة، والتي تحول دون دمجهم ضمن مجتمعهم [13].

اتفاقية حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة الصادرة عن الامم المتحدة:

هي معاهدة دولية لحقوق الإنسان تابعة للأمم المتحدة تهدف إلى حماية حقوق وكرامة الأشخاص ذوي الإعاقة. يلتزم الأطراف في الاتفاقية بتعزيز وحماية وضمان التمتع الكامل بحقوق الإنسان للأشخاص ذوي الإعاقة وضمان تمتعهم بالمساواة الكاملة بموجب القانون.

أسهمت هذه الاتفاقية باعتبارها حافزا رئيسيا في الحركة العالمية في مشاهدة الأشخاص ذوي الإعاقة كمواضيع للصدقة والعلاج الطبي والحماية الاجتماعية نحو النظر إليهم كأعضاء كاملي العضوية وعلى قدم المساواة في المجتمع مع حقوق الإنسان. بل هو أيضا أداة للامم المتحدة الوحيدة لحقوق الإنسان ذات البعد للتنمية المستدامة الصريحة كانت اتفاقية المعاهدة الأولى من الألفية الثالثة لحقوق الإنسان.

اعتمد النص من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في 13 ديسمبر 2006 وفتح باب التوقيع عليها في 30 مارس 2007. بعد التصديق عليها من قبل 20 دولة دخلت حيز التنفيذ في 3 مايو 2008. اعتبارا من مارس 2015، صدق 153 طرفا ووقع 159 طرفا على المعاهدة بما في ذلك الاتحاد الأوروبي (الذي صادق عليها في 23 ديسمبر 2010 وفي ديسمبر 2012 صوت مجلس الشيوخ الأمريكي للتصديق عليها. ويتم رصد الاتفاقية من قبل اللجنة المعنية بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة [13].

موجهات الرعاية الأساسية الحديثة للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة وقبولهم في الجامعات:

1 – التركيز على استخدام التقنيات الحديثة في عملية التدريس كأجهزة عرض الشفافيات والسبورات الذكية، وبرامج الحاسوب Show Data المساندة مع أجهزة العرض المناسبة كمداخل لاستخدام الحواس المختلفة للمتعلم ولتوضيح المخطط العام للمحاضرات والقراءات المتصلة بها.

---

(13) – حسني الخطيب، الميادين، Almayadeen .

13– ويكيبيديا، امين عام الامم المتحدة، 2012.

14 – د. اسامة حسن محمد معاجيني، وكلية كلية التربية للدراسات العليا والبحث العلمي، حقوق الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة في مؤسسات التعليم العالي، www.kau.edu.sa

2 – تنويع وسائل الحصول على المعلومة عن طريق توفير المواد العلمية على أقراص مدمجة وأشرطة مسجلة، أو في مواقع خاصة على شبكة المعلومات مصحوبة بالصوت والصورة.

3 – إنشاء مكاتب رعاية خاصة لدعم الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة في الجامعة لمساعدتهم في قضايا القبول والتسجيل والتقييم والإرشاد والدراسة.

4 – توفير خطط المواد العلمية مطبوعة ومقروءة ومسموعة قبل بدء الدراسة بوقت كافٍ، ويفضل قبل عدة أسابيع من بدء الفصل الدراسي، وقد يكون من أفضل وجودها في مواقع الكليات أو الأقسام على شبكة المعلومات ويتم توجيه انتباه الطلاب إليها أثناء إجراءات القبول والتسجيل.

5 – توفير أدلة وإرشادات خاصة بكل فئة لكيفية الدراسة والمراجعة ضمن البرامج الإرشادية الجامعية الموجهة إلى هؤلاء الطلاب، مع ضرورة توفير أماكن وأوقات خاصة للمراجعة وتحت إشراف وتوجيه المتخصصين.

6 – توفير الفرص للمشاركة الفاعلة أثناء المحاضرات عن طريق المناقشات والمناظرات والمداخلات المختلفة وتقديم التقارير وأوراق العمل شفهياً .

7 – تزويد الطلاب بمتطلبات المواد والواجبات شفهياً وكتابياً وبواسطة التقنية الحديثة عبر البريد الإليكتروني أو رسائل الموبايل .

اطالة الفترات المخصصة للاجابة على اسئلة الامتحانات بالحاسوب المكتوبة ويفضل استخدام الاجابات الشفهية او المسجلة.

الجانب العملي :

جذبني موضوع ذوي الاحتياجات الخاصة وتكنولوجيا التعليم المقدّر توفيرها لهم من خلال مشاهدتي تقريرا عن المعاقين على احدى القنوات الفضائية (BBC العربية) في احدى مدارس المعاقين في فرنسا، ويتكلم عن قانون الدمج التربوي لعام 2005 وايضا يسمح بمشاركة ذوي الاحتياجات الخاصة او المعاقين لأقرانهم في المدارس الحكومية. ولكنه غير مفعل إلى حد الان من خلال كلام احد المدرسين في التقرير الذي قال: لا أجد أي معاق دخل المدارس الحكومية من خلال الدمج او شارك في ملاعب الرياضة مع اقرانه في المدارس الحكومية او الخاصة.

ولفت انتباهي في التقرير ان احدى مُدرسات الرياضيات في مدرسة خاصة بالمعاقين او ذوي الاحتياجات الخاصة طرحت سؤالا في الرياضيات عبارة عن معادلة ورسم هندسي وهم جالسون امام شاشات الحاسوب منهم الذي يلبس النظارات والذي لديه حُول شديد ومنهم من يجلس على كرسي متحرك او الذي ليس لديه القدرة على التحكم باصابع يديه ولديه تشتت ويمسك بالماوس ويحاول جهده لكي يسيطر على الارقام ومفاتيح الحاسبة، والذي كان جليس الكرسي وكانت لديه قدرة فائقة وسريعة في الاجابة على المعادلة الرياضية والرسم الهندسي الذي تحكّم به من خلال حركة اصابع يديه، وكانت الاجابات مختلفة للباقين، فالذي لديه تشتت لم يستطع الاجابة السريعة مع انه ممسك بالماوس ويحدث بالشاشة ومنهم من اجاب بخفة يديه على الرسم الهندسي والذي كتب المعادلة بصورة صحيحة رغم تأخره في الإجابة. اثنت المُدرسة والمشرفة عليهم على اجابتهم لتشجيعهم وعدم احباطهم مراعاة لنوع العوق الذي لديهم. من هذا يتبين ان المعاقين او ذوي الاحتياجات الخاصة لديهم قدرات خاصة يتمتعون بها رغم الاعاقات التي لحقت بهم وتوفر المدارس في العالم الخارجي لهم التقنية وتكنولوجيا متطورة، هذا اضافة للملاعب الرياضية وقاعات الرسم والمشرفين النفسيين والتربويين. ومع أن العراق

قد تزايدت فيه في السنوات الاخيرة هذه الاعاقات (ذوي الاحتياجات الخاصة) ومن خلال الحروب الاخيرة والوضع الامني المتردي والتفجيرات الاخيرة نجد أنه ما زالت منظمات حقوق الانسان والحكومة مخفقة في دعم مدارس ومراكز التأهيل للاطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، ووجدت الباحثة ذلك من خلال الزيارة التي قامت بها لاحدى الدور وهي (منظمة الصم والبكم للسلام) في بغداد / شارع فلسطين بوجود مترجم واحد ليفسر كلام الصم حيث وجدت صعوبة في طرح الاسئلة عليهم / وسألت المشرف على الدار: من أين يأتي الدعم المادي وما هي التقنية المتوفرة لذوي العاقات؟ فأجاب بأن الموارد محددة من منظمات حزبية فقط للمأكل والملبس ولإيوائهم في الدار. وجذب انتباهي وجود ماكنات خياطة للبنات وورش نجارة للشباب فاستفسرت من المشرف على الدار ؟ أجاب بأننا نريد ان نؤهلهم وندربهم على المهنة الملائمة لهم لكي يعتمدوا على انفسهم في المستقبل في الخياطة والتجارة .... وغيرها .

من هذا تبين ان التكنولوجيا التعليمية للاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة لم تدخل للعراق لحد الان لا في المدارس ولا حتى الجامعات في حين نجد ان دول الخليج ومنها الامارات ادخلت هذه التقنيات إلى مدارس ذوي الاحتياجات كل حسب اعاقته لتسهيل استمراره في الدراسة الجامعية.

التوصيات :

1 – خرجت الباحثة بأهم التوصيات الآتية:

2 – توفير الدعم المادي الذي يُمكّن من توفير مستلزمات ومتطلبات التعليم لذوي الاحتياجات الخاصة من مواد علمية سمعية وبصرية ومواقع خاصة ضمن الشبكة المعلوماتية.

3 – توفير اماكن ونواد ترفيهية ورياضية لهذه الشريحة الخاصة والتي تتطلب وجود اساتذة متخصصين ومشرفين علميين وباحثين نفسيين لدعم تلك الشريحة ومساعدتها.

4 – مشاركة ذوي الاحتياجات الخاصة في العملية التعليمية ما يكفل لهم حقوقهم التعليمية في المؤسسات الحكومية والاكاديمية، إذ ان الدستور يكفل حقهم بالعيش والتعلم بظروف صحية وبيئية سليمة.

5 – عمل دورات تأهيلية لكل فئة من المعاقين بما يناسب اعاقتهم بالاستفادة من التقنيات التكنولوجية الحديثة .

6 – تعزيز البحوث حول التكنولوجيا المساعدة وتسهيل نقل وتطوير التكنولوجيا بين المؤسسات التعليمية خدمة لذوي الاحتياجات الخاصة.

7 – توفير أدلة وارشادات خاصة بكل فئة من المعاقين لتوفير البرامج الارشادية لهم وتحت اشراف وتوجيه المتخصصين.

افتتاح تخصصات جديدة في الجامعات تسعى الى اعداد معلمين ومتخصصين قادرين على استخدام تقنيات تكنولوجيا المعلومات لتنمية ذوي الاحتياجات الخاص

الهوامش:

1 – حسن الباتع عبد العاطي، التكنولوجيا التعليمية لذوي الاحتياجات الخاصة، 12/7/2010، انترنت، مجلة المعرفة Almarefh.net

2 – نفس المصدر .

3 – نفس المصدر .

4 – emro.who.int , worlf health organization

5 – حسن الباتع، المصدر السابق .

6 – أ. زكريا خليل الكيالي وفراس محمد عودة، بحث مقدم لمؤتمر (تنمية ثقافة الابداع)، ـ فلسطين، جامعة القدس، كلية التكنولوجيا والعلوم التطبيقية، 2013.

7 – القريوني واخرون، حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، غزة، 2001 .

8 – http://www.alizuhdi.com

9 – شركة الحاسبات المصرية، متطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة، Feedo.net.

10 – حسن الباتع، المصدر السابق .

11 – الدمج التربوي لذوي الاحتياجات الخاصة، السكنية www.assakina.com

12 – حسني الخطيب، الميادين، Almayadeen .

13 – ويكيبيديا، امين عام الامم المتحدة، 2012.

14 – د. اسامة حسن محمد معاجيني، وكلية كلية التربية للدراسات العليا والبحث العلمي، حقوق الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة في مؤسسات التعليم العالي، www.kau.edu.s

4- أثر استراتيجية four (سجل، قلل، كرر، نظم) في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طالبات الصف الخامس الإعدادي

أ.د. مهاباد عبد الكريم احمد

كلية التربية/ابن رشد للعلوم الإنسانية - جامعة بغداد

com.yahoo@rahaf10.sh

The Effect of the four strategies (Register, Reduce , Repeat , organize) in acquiring the grammatical concepts of the fifth year preparatory Students.

Dr.Mahabad Abdul Kareem Ahmed

College Of Education /Ibn Rushd

Abstract

The research aims at identifying the Effect of the four strategies (Register, Reduce, Repeat, organize) in acquiring the grammatical concepts of the fifth year preparatory Students. The total number of Students is (58) male students distributed in to two groups, The First group is the experimental group which is taught by (using syntactical stories) and it is (29) students. The second group is the control group which is taught according to the traditional method of teaching and it is (29) students. The researcher has matched between the two groups by the following variables : the age , (in month's) their intelligence, their parents academic level of education The experiment lasted one semester which is the First academic course. The researcher has constructed a multiple choice test of (30) items. The reliability of The test has been calculated and it is (0,83). After processing The results statistically, (T-Test) has shown that there is a statistically significant difference infavour to the experimental group.

Key Word : Strategy , Acquisihin , grammatical concepts, fifth year prpartory Students

الفصل الأول

مشكلة البحث:

على الرغم من التقدم العلمي الذي شهده العالم اليوم، الا ان مشكلة دراسة النحو ما زالت قائمة، وكما يبدو فإن ضعف الطالبات شامل وعام، فهو لا يتحدد بمرحلة دراسية دون أخرى او صف دراسي دون آخر[14]. فالقواعد النحوية ليست غاية في ذاتها، وانما وسيلة لضبط اللغة وصيانتها من الخطأ، وإن تعلمها يستلزم تهيؤاً عقلياً خاصاً يمكّن الطالبات من الاستنباط والتحليل والبحث العلمي[15].

تعد مشكلة الضعف في القواعد النحوية التي تعاني منها الطالبات في المراحل التعليمية المختلفة من ابرز مشاكل تعليم اللغة الكردية مما ترك اثراً بالغا في حصيلتهم اللغوية واستيعابهم للمعرفة، ومرد ذلك الى مجموعة من اطراف العملية التدريسية هي المدرس وضعف التأهيل والمهارة في التدريس، والطالب الذي اصبح يهمل مادة القواعد ويعتمد على فروع اللغة الكردية الاخرى لتحقيق النجاح، وطرائق التدريس التقليدية والجافة التي لا تثير الطالبات ولا تحفزهم، وتعودهم على الحفظ والاستظهار [16].

لذلك لاحظت الباحثة بنفسها تدني مستوى الطالبات في قواعد اللغة الكردية من خلال عملها الميداني في التدريس، اذ وجدت ان الطالبات يحفظن القواعد النحوية ولا يحسن تطبيقها عملياً في دراستهن، والضعف يمثل واقع حال الكثير من الطالبات في دراستهن لقواعد اللغة الكردية في المرحلة الاعدادية، وقد اشارت كثير من الدراسات الى ضعف المتعلمين في القواعد النحوية منها دراسة (احمد) التي رأت أن ان المتعلمين يعانون من ضعف ظاهر في الموضوعات النحوية[17]. في حين يشير دراسة (امين) الى ان ضعف المتعلمين في النحو ونفورهم منه ادى الى نفورهم من اللغة وإعراضهم عن تعلمها[18].

ومن هنا تبرز الحاجة الى تطوير عملية تعليم قواعد اللغة الكردية للسير في تعليمها على وفق افضل الاساليب التي تيسرها وتساعد على النجاح في تدريسها. مما تقدم فإن الباحثة ترى ضرورة اعتماد اساليب حديثة في توصيل مادة قواعد اللغة الكردية لطالبات الصف الخامس الاعدادي مثل استراتيجية four ..

اهمية البحث والحاجة إليه:

اللغة ظاهرة انسانية وهي وسيلة اتصال بين الفرد ومجتمعه الذي يعيش فيه، وهي اداة لنقل الافكار والمشاعر والعواطف والخبرات، وبها تميز الكائن البشري عن بقية المخلوقات. [19]

وتعد اللغة اساس كل حضارة، اذ بها تبنى هذه الحضارة وتنقل بواسطتها ما ابدع من المعارف

---

(14)– مهارات في اللغة والتفكير، عبد العزيز ابو حشيش وآخرون، 2005، ص 312.

(15)– الاتجاهات المطورة في تعليم اللغة العربية، احمد بحر هويدي الراوي، 2010،ص 31.

(16)– المناهج الحديثة وطرائق التدريس، محسن على عطية، 2009، ص 23.

(17)– اثر طريقة حل المشكلات في تحصيل قواعد اللغة الكردية لدى طالبات الصف الرابع العلمي، مهامات عبد الكريم احمد، 2016، 1123- ص 1142.

(18)– اثر نموذج ويتلي في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طالبات الصف السابع الأساسي في مادة قواعد اللغة الكردية , فردوس علي امين ,2016،ص225.

(19)– صعوبات تعلم قواعد اللغة العربية في المرحلة الابتدائية من وجهة نضر معلمي المادة ومعلماتها، نجم عبد الله غالي الموسوي، 2009، ص 151.

والاكتشافات والاختراعات ولا تتحرك المجتمعات بدونها [20].

وتأتي اهمية قواعد اللغة الكردية من اهمية اللغة نفسها، فلا تكتب اللغة كتابة صحيحة الا بمعرفة قواعدها النحوية والاساسية، لأن القواعد النحوية هي الدرع الذي يصون اللسان من الخطأ، والزلل، وهي التي تضبط قوانين اللغة الصوتية، وتراكيب الكلمة والجملة، وهي ضرورية لا يستغنى عنها وإليها تستند الدراسة في كل لغة، وكلما نمت اللغة واتسعت زادت الحاجة الى دراسة هذه القواعد [21].

ووظيفة القواعد النحوية أنها وسيلة لضبط الكلام، وصحة النطق والكتابة، وليست غاية مقصودة لذاتها، وتعني استعمال اللغة استعمالاً صحيحاً سواء في الحديث، ام في القراءة ام في الكتابة، وهي وسيلة لعصمة اللسان من الوقوع في الزلل والقلم من الوقوع في الخطأ عند الكتابة، وإن المفاهيم النحوية تربي عند الطالبات مجموعة من الاتجاهات والقيم المرغوبة ومجموعة من مهارات التفكير والدقة وقوة الملاحظة والموازنة والتحليل والتركيب والاستنتاج [22]. لقد نال اكتساب المفاهيم اهتماماً متزايداً لمساعدة المتعلم على مواجهة تحديات الانفجار المعرفي المتسارع، لذلك فقد اصبحت عملية اكتسابها من الاهداف الرئيسة التي يسعى المربون لتحقيقها، لأنها تلخص المعلومات الكثيرة المتنافرة غير المترابطة، وتجمعها في ركائز المعرفة الحقيقية، وهي مفتاح الماضي والحاضر والمستقبل في حياة المتعلم[23].

استناداً الى ما تقدم، يلحظ ذلك الاهتمام بتعلم المفاهيم وتعليمها، وثمة مقترحات متعددة لاستراتيجيات وطرائق ونماذج التدريس الملائمة في كيفية تدريس الطالبات وإكسابهم للمفاهيم بنحو صحيح، حتى لا يحصل اي لبس او سوء فهم، والمتتبع للعملية التدريسية والمتطلع على الكتابات في هذا الجانب يرى تركيز التدريس على شيئين رئيسين هما: فهم المفاهيم، وفهم العمليات.

يجب مواكبة ما يستجد من نظريات وتطبيقات في مجال تعلم اللغة، لا سيما الاستراتيجيات التعليمية التي اثبتت امكانية استعمالها في تعليم اكتساب المفاهيم، وهذا ما اكدته عدداً من الدارسات السابقة، اذ تعد استراتيجيات التدريس من الادوات الفعالة والناشطة والمهمة في العملية التربوية، لما لها من تأثير اساس وفعال في تنظيم الحصة الدراسية وفي تناول المادة العلمية ولا يستطيع المدرس الاستغناء عنها، إذ من دونها لا يمكن تحقيق الاهداف التربوية للدرس.[24]

الهدف الرئيسي من استعمال اي استراتيجية تعليمية هو تحقيق تعلم هادف ذي معنى عند الطالبات، فإن من بين الاستراتيجيات التي لاقت قبولاً واستحساناً في هذا المجال استراتيجية four .

وترتكز استراتيجية four على افكار النظرية المعرفية التي تؤكد الدور النشط للطالب في بنائه للمعرفة من طريق خبراته السابقة. هي استراتيجية يستعملها المدرسون للربط بين الخبرات السابقة للطالبات والخبرات الجديدة ومحاولة ايجاد علاقة بين موضوعين[25]. ارتأت الباحثة اختيار استراتيجية four بوصفها استراتيجية تدريسية تعليمية ـ تعلمية لسهولة تطبيقه في داخل الصف ومتابعة الموضوع الدراسي ولأنه النشاط الذي تتفاعل به مجموعة من الطالبات.

---

(20)– اللغة و علم النفس، موفق الحمداني، 1982، ص 2.

(21)– اثر توظيف استراتيجية التعليم الجامعي في تحصيل طالبات الصف الثاني متوسط في مادة اللغة العربية،سناء حسون مشكور، 2013،ص7

(22)– تعليم اللغة العربية، مصطفى رسلان 2005، ص264.

(23)– البنية المعرفية لاكتساب المفاهيم لتعلمها وتعليمها محمد حمد الطيطي، 2004، ص23.

(24)– صعوبات تعليم قواعد اللغة العربية في المرحلة الابتدائية من وجهة نضر معلمي المادة ومعلماتها، نجم عبد الله غالي الموسوي، 2005، ص .16

(25)– استراتيجيات التدريس في القرن العشرين، ذوقان عبيدات وسهيلة ابو السميد، 2007،ص 151.

1 – وترى الباحثة ان اتباع استراتيجية four في تدريس مادة قواعد اللغة الكردية يعد أحد الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغة الكردية، ونقلها من حالة الجمود التي تعاني منها الى حالة الحيوية والنشاط والحداثة. تكمن اهمية البحث في الآتي:

2 – اهمية قواعد اللغة الكردية لأنها وسيلة لضبط الحديث والكتابة.

3 – استراتيجيات التدريس الحديثة، وما لها من اهمية كبيرة في تعلم واتقان اللغة الكردية وتطبيقها وفهم قواعدها.

اهمية المفاهيم النحوية اذ انها تعنى بحفظ اللسان من الخطأ وتحافظ على وحدة التركيب الإنشائي للتعبير عن الفكرة عند المتعلم.

هدف البحث: يرمي البحث الحالي الى تعرف أثر استراتيجية four (سجل، قلل، كرر، نظم) في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طالبات الصف الخامس الاعدادي.

فرضية البحث:

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0,05) بين متوسط درجات المجموعة التجريبية التي تدرس مادة القواعد والقراءة الكردية باستعمال استراتيجية) fourسجل، قلل، كرر، نظم) ومتوسط درجات المجموعة الضابطة التي تدرس مادة القواعد والقراءة الكردية بالطريقة التقليدية في اكتساب المفاهيم النحوية .

حدود البحث:

1 – يقتصر البحث الحالي على:

2 – طالبات الصف الخامس الادبي في المدارس الثانوية النهارية في المديرية العامة لتربية الرصافة الاولى / محافظة بغداد.

الفصل الدراسي الاول من العام الدراسي (2018 / 2019).

3 – عدد من موضوعات مادة (القواعد والقراءة الكردية) من كتاب (ڕێزمان و خوێندنەوەی کوردی).

1 – تحديد المصطلحات:

الأثر عرفه[26] (creswell ,John): «تحديد قوة النتائج المتعلقة بالفروق والتي تظهر خلال التجربة وتقاس بالتعرف على الزيادة او النقصان في متوسط درجاتهم»

2 – التعريف الاجرائي للأثر: مقدار التغيير الذي يتوقع حدوثه في اكتساب طالبات عينة البحث المتمثلة بطالبات الصف الخامس الاعدادي (المجموعة التجريبية) للمفاهيم النحوية بعد استعمال استراتيجية) fourسجل، قلل، كرر، نظم) ويقاس في اختبار اكتساب المفاهيم البعدي.

3 – الاستراتيجية: عرفها زاير وداخل (2013) «هي مجموعة الخطط الموضوعة والمستقاة لتطوير العملية التعليمية، وتوضع عادة لمدة طويلة قد تصل الى سنوات متعددة»[27]. التعريف الإجرائي للاستراتيجية: مجموعة من الاجراءات التدريسية التي تشمل الاساليب والانشطة والوسائل والطرائق

(26) 13–Educatimnal Resarch , Fourth Edilion,Pearsor , – creswell ,John W; Boston(2012)

(27) – الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغة العربية، سعد علي زاير وسماء تركي داخل، 2013، ص 126.

التعليمية التي تتبعها الباحثة للتفاعل مع طالبات مجموعتي البحث بغية تحقيق الأهداف ودراستها

استراتيجية four (سجل، قلل، كرر، نظم)

عرفه قطامي (2009) «عبارة عن ادوات تسهيل عمليات الحفظ والاستيعاب والتذكر، وهي تحدد الاساليب التي يتعامل بها الطالب مع الخبرات وتنقله من الروتين الى استعمال طرائق مثيرة ومغريه للتذكر والمعالجة «[28].

4 – التعريف الاجرائي: مجموعة من الخطوات المنظمة ـ المتتابعة، التي تستعملها طالبات الصف الخامس الاعدادي عينة البحث (المجموعة التجريبية) التي تتخذ من نقطة انطلاقة نحو تكوين افكار خارجة عن جانب (الحسية) الى افكار مجردة (غير حسية) في موضوع النحو، وتنفذ هذه الخطوات من خلال المجموعات الثلاث المصغرة، وذلك بإعطاء صورة لواحدة من هذه المجموعات.

الاكساب:

عرفه شحاته والنجار (2003): «الزيادة التي تحصل في افكار الفرد او معلوماته او تعليمه انماطاً جديدة للاستجابة او التغير في انماط استجابته القديمة، ويعني النمو في مهارة التعليم والنضج».[29]

التعريف الاجرائي للإكساب: قدرة طالبات عينة البحث على اكساب المفاهيم النحوية وتعريفها وتمييزها وتطبيقها، التي درست في اثناء مدة التجربة مقاساً بالدرجات التي تحصل عليها الطالبات في اختبار اكتساب المفاهيم النحوية التي اعدته الباحثة.

5. المفاهيم النحوية

هي مجموعة من المتغيرات التي لها خصائص مشتركة ومعان معينة ترتبط فيما بينها بروابط وعلاقات يطلق عليها اسم واحد، وهي متضمنة موضوعات قواعد اللغة الكردية المقرر تدريسها لطالبات الصف الخامس الاعدادي في العراق.

6. الصف الخامس الاعدادي: هو الصف الثاني من صفوف المرحلة الاعدادية الثلاثة. طالباتها من خريجات المرحلة المتوسطة، ومدة الدراسية في مرحلة الاعدادية ثلاث سنوات ووظيفتها اعداد الطالبات لمرحلة دراسية اعلى او الاعداد لممارسة مهنة في الحياة .

الفصل الثاني

جوانب نظرية

المبحث الاول: الاستراتيجية

تستند استراتيجية four (سجل، قلل، كرر، نظم) إلى النظرية المعرفية، ولكن لا توجد نظرية معرفية واحدة في التعلم. اهتم العلماء المعرفيون بجوانب متعددة تتعلق بالتعلم. بدأت النظرية المعرفية بعلماء الجشتالت امثال كوهلر، وكوفكا وفيرتيمر الذين وضعوا مبادئ التنظيم لمساعدة الفرد على إدراك المحيط من حوله، ويعتقدون ان الادراك يختلف من شخص الى آخر بحسب الطريقة التي ينظم بها الفرد الخبرة، وبحسب رؤيته للعلاقات التي تربط بين عناصرها المختلفة ليدركها ككل.[30]

(28)– نظريات التعلم و التعليم، نايفة قطامي، 2009،ص 345.

(29)– معجم المصطلحات التربوية و النفسية زينب شحاته وحسن النجار، 2003،ص 57.

(30)– سيكولوجية التعلم الصفي قطامي وقطامي، 2000،ص 93.

تستند النظرية المعرفية إلى مجموعة من الافتراضات هي :

1. ان التعلم عملية يتفاعل فيها المتعلم مع ما يواجه من خبرة او موقف.

2. ينمو المتعلم ويتطور في تفاعله نتيجة ما يقوم به من عمليات معرفية كالتنظيم والادخال والادماج والتخزين بحيث تصل الى تدريب خبرته الخاصة به التي تحدد اسلوب تعلمه وتفكيره[31]. وقد قدم كل من بياجيه وبرونر واوزبل، ونظرية معالجة المعلومات اسهامات كبيرة ساعدت في تطوير النظرية العرفية، حيث يفترض بياجيه ان الطفل يكون مخططات ذهنية منذ ولادته لكل حركة يقوم بها، وبمجموع هذه المخططات تتكون البنية المعرفية وتكون البنية من خلال التفاعل النشط بين المتعلم بين البيئة من حوله، وتختلف من فرد الى آخر، وعند الفرد نفسه من مرحلة الى اخرى[32].

تقوم النظرية المعرفية بالاعتماد على نشاط الطالب وحيويته من حيث تفاعله الدائم مع المواقف التعليمية، لتطوير البنية المعرفية ولإزاله الابنية المعرفية المشوهة، وهي بذلك تعمل على احلال انظمة معرفية اكثر نضجاً ونقله من المستوى الحسي الى المستوى المجرد والاكثر نضجا.

استراتيجية four (سجل، قلل، كرر، نظم)

1 – وهي احدى استراتيجيات المعرفية، وهي تعمل على تنشيط الذاكرة وتقوم على تحسين قدرة المتعلم على فهم المادة وتذكرها، والاحرف الاربعة للاستراتيجية اختصار للكلمات الآتية:

2 – سجل وتعني اكتب ملاحظات مستخدما أشباه جمل.

3 – قلل وتعني قلل الافكار للذاكرة ومعينات الذاكرة باختصارها الى كلمات مفتاحية، وتستخدم الذاكرة ومعينات للذاكرة مثل ألاحظ، مخطط.

4 – كرر وتعني كرر الكلمات المفتاحية التي تعطي ملاحظات عن اشباه الجمل.

نظم وتعني اعد تنظيم الافكار من الملاحظات باستخدام الخريطة المفاهيمية. واستخدم اقلاما ملونة وصورا ومخططات .

1 – الاهمية التربوية لاستراتيجية four

2 – تساعد المتعلمين على حفظ المعلومات وتذكرها.

3 – تنشط المعرفة السابقة لدى المتعلمين.

4 – تجعل المتعلمين اكثر قدرة على الوعي بتنظيم المعلومات الجديدة.

تزيد من قدرة المتعلمين على انتاج الاسئلة[33] .

المفاهيم

ازدادت اهمية المفاهيم في الوقت الحاضر اكثر من اي وقت مضى، لانفجار المعرفة واتساع فروعها، وذلك لصعوبة الالمام بجوانب اي فرع منها، لذا اصبح هم المدرس هو مساعدة الطلبة على الفهم والوعي ببنية المادة المفاهيمية والمنطقية مع ترك التفاصيل[34].

---

(31) – اساسيات التصميم التدريس، يوسف قطامي، 2005، ص 236

(32) – استراتيجيات حديثة في طرائق تدريس العلوم، صبحي حمدان ابو جلالة، 1999،ص 78.

(33) – الجودة الشاملة و الجديدة في التدريس، محسن علي عطية ، 2008، ص 161).

(34) – طرائق التدريس العامة محمد محمد الحيلة وتوفيق احمد مرعي، 2002،ص 221.

1 – خصائص المفاهيم: وهذه الخصائص هي:

2 – يشير المفهوم الى خصائص عامة حول الشيء الذي ينتمي اليه.

3 – يمكن ان يكون للمفهوم الواحد اكثر من مدلول من حيث طريقة الادراك، ودرجة التعقيد ومدى سهولة التعلم.

4 – لا تقتصر المفاهيم على الخبرة الحسية فقط، وانما قد تنتج من التفكير المجرد.

5 – المفاهيم قد تنتج من علاقة الحقائق ببعضها، او من علاقة المفاهيم ببعضها وهذا يطبق عليها اطار مفاهيمي.

المفاهيم تنمو وتسعى الى التكامل [35].

اكتساب المفاهيم :

ان عملية اكتساب المفاهيم تتم على مراحل متدرجة وبصورة بطيئة، وتبدأ هذه العملية قبل دخول الطفل للمدرسة، اذ انه يكتشف المفاهيم ويتعلمها من البيئة التي يعيش فيها، من طريق الادراك الحسي او الادراك العقلي، وبعد دخوله المدرسة ومواجهته المواقف التي يمر بها[36].

1 – العوامل المؤثرة في تعلم المفاهيم واكتسابها

2 – الفروق الفردية بين المتعلمين.

3 – القراءة العلمية الواعية.

الخبرات السابقة [37].

1 – انواع المفاهيم :

2 – مفاهيم مادية حسية: وهي المفاهيم التي تدرك بالحواس الخمس مثل مسجد، بحيرة، نهر، غابة.

3 – مفاهيم مجردة او معنوية : وهي تدرك بالقوى العقلية، ويعبر عنها بالكلمات او الرموز مثل الحرية، العدالة، المروءة.

مفاهيم معرفية : وهي المفاهيم التي ركبها الانسان بمعرفته في حياته المعيشية مثل النظام الاجتماعي، النظام الديمقراطي[38].

النحو : هو العلم الذي يدرس العلاقات السياقية بين الكلمات في الجمل، ويصنفها في مفاهيم يستدل عليها بسمات مخصصة متضافرة، والنحو والقواعد سلسلة متصلة كل منها غاية ووسيلة في الوقت نفسه، وذلك من حيث دراسة التراكيب والعلاقات التي تربط بين عناصر الجملة وتتعدى ذلك بما بين معاني الكلمات من علاقات [39].

---

(35) – استراتيجيات التعلم و التعليم، عبد الكريم اليماني، 2009، ص 251.

(36) – نحو المفاهيم العلمة للطفال، برنامج مقترح وتجارب الطفل ما قبل المدرسة زكريا الشربيني ويسريه صادق، 2000،ص 245.

(37) – تصميم التدريس، محمد عواد الحموز، 2004،ص 174 - 175.

(38)– اسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، محمد محمود الخوالدة، 2003،ص 310 - 312.

(39)– المسرح في تدريس اللغة العربية، ابراهيم عطا، 2005، ص268 .

اسس اختيار موضوعات النحو: ان اختيار موضوعات النحو يعتمد اساساً على آراء الخبراء والمتخصصين في المادة ولا يتم على اساس علمي موضوعي دقيق، فالأساس هو الخبرة الشخصية والنظرة الذاتية لأعضاء لجان وضع المناهج.

المبحث الثاني: دراسات سابقة

أ- دراسة احمد (2013):

اجريت هذه الدراسة في العراق وهدفت الى تعرف اثر طرقة حل المشكلات في تحصيل قواعد اللغة الكردية لدى طالبات الصف الرابع العلمي. تكونت عينة البحث من (58) طالبة تم توزيعهن عشوائياً الى مجموعتين؛ مجموعة تجريبية درست بطريقة حل المشكلات وتألفت من (29) طالبة ومجموعة ضابطة درست بالطريقة التقليدية وتألفت من (29) طالبة، كافأت الباحثة بين مجموعتي البحث في متغير العمر الزمني، التحصيل الدراسي للأب والأم والذكاء والقدرة اللغوية، واعدت اختباراً تحصيلياً مكوناً من (30) فقرة من نوع الاختيار من متعدد والمزاوجة والتكميل، واتسم بالصدق واستخرج ثباته بواسطة معامل ارتباط بيرسون وبلغ معامل ثباته (0،83) وعند تحليل النتائج تبين ان هناك فرقاً لصالح المجموعة التجريبية التي درست بطريقة حل المشكلات[40].

ب- دراسة امين (2016):

اجريت هذه الدراسة في العراق ورمت الى معرفة اثر نموذج ويتلي في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طالبات الصف السابع الاساسي في مادة قواعد اللغة الكردية. تكونت عينة البحث من (50) طالبة احداهما المجموعة التجريبية (أ) التي درست على وفق نموذج ويتلي بواقع (24) طالبة والاخرى الضابطة (ب) التي درست بالطريقة التقليدية بواقع (26) طالبة وكافأت الباحثة بين مجموعات البحث في متغيرات (العمر الزمني، الذكاء، درجات الكورس الاول) كما اعدت اختباراً في اكتساب المفاهيم النحوية وتألفت من (30) فقرة من نوع الاختيار من متعدد وبعد تحليل النتيجة احصائياً باستعمال الاختبار التائي اظهرت تفوق المجموعة التجريبية التي درست بأنموذج ويتلي على المجموعة الضابطة[41].

ج . دراسة الموسوي (2018)

اجريت هذه الدراسة في العراق وهدفت الى تعرف اثر استعمال استراتيجية four. تكونت عينة البحث من (60) طالبة بواقع (30) طالبة في المجموعة التجريبية التي درست باستراتيجية و(30) طالبة في المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة التقليدية، كافأت بعدد من المتغيرات بين المجموعتين في (العمر الزمني محسوباً بالشهور، درجات مادة اللغة العربية، واختبار مستوى الذكاء، التحصيل الدراسي للآباء والامهات). أعدت الباحثة اختباراً للمفاهيم النحوية بواقع (33) فقرة من نوع الاختيار من متعدد واستعملت الوسائل الاحصائية المناسبة لمعالجة البيانات، وتضح تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في اختبار اكساب المفاهيم النحوية، وتوصلت إلى عدد من الاستنتاجات منها ان تطبيق استراتيجية فور ولدت لدى الطالبات الدافعية والرغبة نحو الموضوعات النحوية والمشاركة في الدرس. [42]

(40)- اثر طريقة حل المشكلات في تحصيل طالبات الصف الخامس الاعدادي، مهاباد عبد احمد، 2016،ص 1123- 1143.

(41)- اثر نموذج ويتلي في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طالبات الصف السابع الاساسي في مادة قواعد اللغة الكردي، فردوس علي امين، 2016، ص212.

(42)- اثر توظيف استراتيجية four(سجل، قلل، كرر، نظم)في اكتساب المفاهيم النحوية عند طالبات الصف الثاني

1. جوانب الافادة من الدراسات السابقة :
2. اختيار متغيرات الدراسة والعوامل المؤثرة فيها وضبطها.
3. تحديد اهمية البحث وعينته ومرماه التي تروم اليها الباحثة في دراستها.

البدء بالتجربة الرئيسة وخطوات اجرائها والمستلزمات التي تحتاجها.

الافادة من الوسائل الاحصائية المعتمدة في الدراسات السابقة والمشابهة لوسائل هذه الدراسة في تحليل البيانات ومعالجة النتائج.

منهجية البحث وإجراءاته

أولاً: التصميم التجريبي:

اعتمدت الباحثة واحداً من تصاميم الضبط الجزئي ملائماً لظروف البحث الحالي وهو تصميم المجموعات المتكافئة، فجاء التصميم كما موضح بالمخطط(1).

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع	الاداة
التجريبية	استراتيجية four	اكتساب المفاهيم النحوية	الاختبار البعدي
الضابطة	–		

شكل (1) التصميم التجريبي للبحث

ثانياً: مجتمع البحث وعينته:

مجتمع البحث يقصد به جميع الافراد او الاشياء او الاشخاص الذين يشكلون مشكلة البحث[43]. يتطلب البحث الحالي اختيار مدرسة واحدة من بين المدارس النهارية الثانوية والاعدادية للبنات التابعة لمديرية تربية الرصافة الاولى على ان لا يقل عدد الشعب الصف الخامس الاعدادي فيها عن شعبتين.

عينة المدارس:

اختارت الباحثة عينة ممثلة قصدياً وهي ثانوية سومر للبنات التابعة لمديرية تربية الرصافة الاولى والمتمثلة بطالبات الصف الخامس الاعدادي اذ اختارتها الباحثة من بين مدارس مجتمع البحث بشكل قصدي وذلك للأسباب الاتية:

1 – ابداء ادارة المدرسة ومدرسات المادة التعاون مع الباحثة .

2 – احتواء المدرسة على اكثر من شعبة من شعب الصف الخامس الاعدادي.

3 – طالبات المدرسة من منطقة واحدة ومستواهن الاجتماعي والثقافي والاقتصادي متقارب.

4 – تتوافر في هذه المدرسة قاعة كبيرة ووسائل تعليمية متنوعة ومكتبة زاخرة بالكتب.

عينة الطالبات :

بلغ عدد افراد عينة البحث (61) طالبة بعد استبعاد (3) من الطالبات الراسبات، وزعن على

متوسط، سجى كريم الموسوي، 2018، ص 2ـ 81.

(43) – مدخل الى مناهج البحث في التربية وعلم النفس، محمد خليل عباس وآخرون، 2011،ص 217.

شعبتين بواقع (29) طالبة في شعبة (أ) و(29) طالبة في شعبة (ب)، ثم قامت الباحثة باستخدام طريقة السحب العشوائي بتحديد المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة للبحث، اذ اصبحت شعبة (أ) المجموعة التجريبية وشعبة (ب) المجموعة الضابطة، واستبعد (2) من الطالبات شعبة (ب) طالبة (1) من شعبة (أ) لأنهن كن راسبات.

ثالثاً: حرصت الباحثة قبل الشروع ببدء التجربة على تكافؤ طالبات مجموعتي البحث احصائياً في بعض المتغيرات التي تعتقد انها تؤثر في سلامة التجربة، هذه المتغيرات هي: العمر الزمني، الذكاء، درجات مادة اللغة الكردية في الكورس الاول، بلغ متوسط اعمار طالبات المجموعة التجريبية (187.03) شهراً، وبلغ متوسط اعمار طالبات المجموعة الضابطة (184.96) شهراً، وعند استعمال الاختبار التائي (T–test) لمعرفة الفرق بين اعمار طالبات المجموعتين عند مستوى (0,05) كانت القيمة التائية المحسوبة (0.09) هي اقل من القيمة التائية الجدولية البالغة (2.000) وبدرجة حرية (56) مما يدل على تكافؤ للمجموعتين البحث احصائياً في العمر الزمني.

جدول (1) نتائج الاختبار التائي للمجموعتين التجريبية والضابطة في العمر الزمني محسوباً بالأشهر

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
تجريبية	29	187,03	12,598	56	0,09	2,000	غير دالة احصائياً
ضابطة	29	184,96	9,411				

أما بالنسبة للذكاء فقد بلغ متوسط ذكاء المجموعة التجريبية (38.655) درجة ومتوسط ذكاء المجموعة الضابطة (37.896) درجة. وبعد معالجة البيانات احصائياً باستعمال الاختبار التائي (T–test) لمعرفة الفرق في درجات الذكاء بينهما عند مستوى دلالة (0,05) كانت القيمة التائية المحسوبة (0.173) وهي اقل القيمة التائية الجدولية البالغة (2.000) وبدرجة حرية (56) مما يدل على تكافؤ المجموعتين في هذا المتغير.

جدول (2) نتائج الاختبار التائي لطالبات المجموعتين التجريبية والضابطة في درجة الذكاء

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
تجريبية	29	38.655	69.035	56	0.173	2,000	غير دالة احصائياً
ضابطة	29	37.896	59.535				

اما بالنسبة لدرجات مجموعتي البحث في مادة اللغة الكردية في الكورس الاول فقد بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية (13) درجة، وبلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة (11.896) درجة وعند استعمال four الاختبار التائي (T–test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق الاحصائية، اتضح ان الفرق ليس بذي دلالة احصائية عند مستوى (0,05) اذ كانت القيمة التائية المحسوبة (1.79) اقل من القيمة التائية الجدولية (2,000) وبدرجة حرية (56) مما يدل على تكافؤ المجموعتين في هذا المتغير. جدول (3)

نتائج الاختبار التائي لطالبات المجموعتين التجريبية والضابطة في درجات مادة اللغة الكردية

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
تجريبية	29	13	13.965	56	1.79	2,000	غير دالة احصائياً
ضابطة	29	11.896	13.571				

رابعاً: تحديد المادة العلمية:

حددت الباحثة المادة الدراسية التي ستدرسها لمجموعتي البحث وهي سبعة موضوعات من مادة القواعد والقراءة الكردية المقرر تدريسها لتلاميذ الصف الخامس الاعدادي والموضوعات هي (وشه لەڕووی ڕۆنانەوەو ناوەڕۆکەوە، جۆرەکانی ناو،جۆرەکانی ئاوەڵکار، ئاوەڵناوی نیشانە وجێناوی نیشانە،ئەرکی ناو لە ڕستەدا، ناو لە ڕووی هەبوونەوە،بەرکاری راستەوخۆو بەرکاری ناڕاستەوخۆ).

خامساً: صياغة الاهداف السلوكية:

صاغت الباحثة اهدافا سلوكية خاصة في ضوء محتوى المادة العلمية المقرر تدريسها خلال مدة التجربة، فبلغ عددها (60) هدفاً سلوكياً اعتماداً على الاهداف العامة ومحتوى الموضوعات التي ستدرس في التجربة، موزعة على المستويات الثلاثة الاولى من تصنيف بلوم (التذكر، الفهم، التطبيق). وبغية التثبت من صلاحيتها فقد عرضتها على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في المناهج وطرائق التدريس والقياس والتقويم، لبيان آرائهم في سلامة صياغتها وشمولها للمادة العلمية ودقة تصنيفها، وفي ضوء آرائهم ومقترحاتهم اجريت التعديلات على صياغة بعض منها.

سادساً: الخطط التدريسية

اعدت الباحثة الخطط التدريسية لموضوعات التجربة المقرر تدريسها على وفق استراتيجية four لطالبات المجموعة التجريبية والطريقة التقليدية لطالبات المجموعة الضابطة، وقد عرضت نماذج من هذه الخطط على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في اللغة الكردية وطرائق التدريس لاستطلاع آرائهم وملاحظاتهم لغرض تحسين صياغة تلك الخطط، واجريت التعديلات اللازمة بناءً على ملاحظات الخبراء واصبحت جاهزة للتنفيذ ملحق (2).

سابعاً: اعداد اداتي البحث

طبيعة البحث الحالي واهدافه تتطلب توافر اداة لقياس اختبار اكساب المفاهيم النحوية بمادة قواعد اللغة الكردية لطالبات الصف الخامس الاعدادي وفيما يأتي لإجراءات اعداد هذه الاداة.

اختبار اكساب المفاهيم: يتطلب البحث الحالي بناء اختبار اكساب المفاهيم النحوية لطالبات المجوعة التجريبية والضابطة، لعدم وجود اختبار جاهز يتصف بالصدق والثبات. ارتأت الباحثة ان تعد فقرات الاختبار من نوع (اختيار من متعدد)، لانه من اكثر انواع الاختبارات مرونة، ويمكن ان يستعمل في تقويم الاهداف التعليمية.

اجراءات تطبيق الاختبار :

أ . تحديد الهدف من الاختبار : الهدف من الاختبار هو قياس اكساب طالبات مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) المفاهيم النحوية بعد الانتهاء من التجربة ولمعرفة اثر التدريس على وفق

استراتيجية four في اكساب المفاهيم النحوية.

ب . تحديد مستويات المفاهيم التي يقسها الاختبار :

يشمل اختبار اكساب المفاهيم قياس المستويات الثلاثة لاكتساب المفهوم وهي (تعريف، تمييز، تطبيق) وذلك لملاءمتها لطبيعة النمو المعرفي لطالبات الصف الخامس الاعدادي ج . تحديد نوع فقرات الاختبار : اعدت الباحثة فقرات الاختبار لإكساب مفاهيم قواعد اللغة الكردية من نوع الاختبارات الموضوعية من نوع (اختيار من متعدد)، لأنها تتلاءم مع المستوى التعليمي للطالبات.

د . صياغة فقرات الاختبار: صاغت الباحثة فقرات الاختبار من نوع الاختيار من متعدد، وضم (30) فقرة توزعت بين المفاهيم، اذ اعدت لكل مفهوم ثلاث فقرات (تعريف، تمييز، تطبيق).

ثامناً: صدق الاختبار: عرضت الباحثة فقرات الاختبار مع المحتوى المراد قياسه والمادة الدراسية لمجموعة من الخبراء والمتخصصين بمجال طرائق التدريس والقياس والتقويم واللغة الكردية، وفي ضوء آرائهم وملاحظاتهم عن كل فقرة عدلت صياغة بعض الفقرات، وبذلك استبعدت الفقرات جميعها في الاختبار بصيغته النهائية [(44)].

تاسعاً: الثبات: يعد الثبات احد المستلزمات الاساسية في بناء الاختبارات، استعملت الباحثة معادلة كيودر ريتشاردسون كون معامل الثبات المستخرج بهذه الطريقة هو معامل ثبات داخلي، حيث بلغت معامل الثبات(0،83) وهو معامل ثبات عال جداً[(45)].

عاشراً: التحليل الاحصائي لفقرات الاختبار

لأجل التحقق من خصائص فقرات الاختبار طبقت الباحثة الاختبار على عينة مماثلة لعينة البحث تكونت من (70) تلميذاً من تلاميذ الصف الخامس الاعدادي في مدرسة (الانتصار) ولتسهيل الاجراءات الاحصائية فقد حصلت الباحثة على (27%) من الاجابات يمثلون المجموعة العليا و(27%) يمثلون المجموعة الدنيا، وتم حساب معامل صعوبة الفقرات وتميزها وفعالية البدائل الخاطئة على النحو الاتي:

أ- مستوى صعوبة الفقرات: عند حساب معامل الصعوبة لكل فقرة من فقرات الاختبار وجد أنها تتراوح بين (0.66-0.34) وهي نسبة مقبولة وبذلك تعد جميع الفقرات مقبولة من حيث الصعوبة. [(46)]

ب- قوة تميز الفقرات: بعد ان حسبت الباحثة القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار وجدت انها تتراوح بين (0.69-0.25) اذ تشير الادبيات الى ان الفقرة اذا حصلت على قوة تمييزية اكثر من (0.20) تعد فقرة جيدة.[(47)]

ت- فعالية البدائل الخاطئة: باستعمال معادلة فعالية البدائل الخاطئة لجميع الفقرات التي هي من نوع (الاختبار من متعدد) والبالغة (20) فقرة، ظهرت ان البدائل الخاطئة لفقرات الاختبار التحصيلي البعدي قد جذبت اليها عدد من تلاميذ المجموعة الدنيا اكبر من تلاميذ المجموعة العليا، لذا تقرر

---

(44)- 31-Essentialrs of Education and Measurement,2nd,Robert Eble , new jeresu,pretice Hall(1972),p566

(45) - مبادئ القياس و التقويم و التقييم التربوي للطالب الجامعي و المعلم العربي سبع محمد ابو لبدة، 1979،ص 261.

(46)- 33- Hastings,J.T and M madaus G .F Hand Book on Formative and Summative Evalu(ation of student Larning , - Bloom and others. B.s. ,New york iMc Grow – Hill (1971)

(47) - القياس و التقويم في التربية الحديثة، ميخائيل امطانيوس، 2011،ص 100.

الابقاء على الفقرات دون حذف او تعديل[48].

تم تطبيق التجربة وتم تدريس المجموعتين وفق التصميم التجريبي الذي اعدته الباحثة، وقد تولت معلمة مادة (القواعد والقراءة الكردية) بتدريس المجموعتين وفق الخطط التدريسية المعدة للتجربة.

الفصل الثالث

اولاً: عرض النتيجة:

تعرض النتيجة في ضوء فرضية البحث وعلى النحو الاتي:

للتثبت من الفرضية الصفرية، وتعرف دلالة الفرق بين درجات الاختبار لاكتساب المفاهيم النحوية، استعملت الباحثة الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين. اظهرت نتائج التحليل الاحصائي ان هناك فرقاً ذا دلالة بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية. اظهرت نتائج التحليل الاحصائي ان هناك فرق ذا دلالة بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية، اذ بلغ (29,275) ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اذ بلغ (27.793). ان القيمة التائية المحسوبة كانت (3.180) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (2.000) عند مستوى دلالة (0,05) بدرجة حرية (56) مما يعني رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة، وهذا يعني طالبات المجموعة التجريبية اللائي درسن على وفق استراتيجية تفوق على طالبات المجموعة الضابطة اللائي درسن بالطريقة التقليدية في اكساب المفاهيم النحوية والجدول (4) يوضح ذلك.

جدول (4) المتوسط الحسابي الانحراف المعياري والقيمة التائية في درجات الطالبات في اختبار اكساب المفاهيم النحوية للمجموعتين التجريبية والضابطة.

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
تجريبية	29	29.275	5.505	56	3.180	2,000	دالة احصائياً عند مستوى (0,05)
ضابطة	29	27.793	4.515				

ثانياً: تفسير النتيجة:

يمكن ان تعزى اسباب تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة للأسباب الاتية:

1 - ان دراسة التلاميذ قواعد اللغة الكردية على وفق القصص النحوية ساعدتهم على معرفة كيفية تكوين الجملة والربط بين جملة واخرى.

2 - ان استخدام اسلوب القصص النحوية اثار تشويق التلاميذ للمادة وانتباههم لها، لانهم كانوا يرون شيئاً جديداً في طرح المادة.

3 - فاعلية اسلوب القصص النحوية جعل التلاميذ في موقف ايجابي متفاعل مع الدرس اعتماداً على الاصغاء الجيد بدلاً من الموقف السلبي الذي تعتمد فيه على المعلمةُ.

---

(48) - القياس و التقويم في العملية التدريسية احمد سليمان عودة، 1998،ص125.

ثالثاً: الاستنتاجات

1 – ان التدريس مادة القواعد باستراتيجية four تبعث في نفوس الطالبات الحماسة والحيوية واشاعة روح التعاون والتفاعل وحب المشاركة في اثناء الدرس.

2 – ان استخدام استراتيجية four ساعد على استيعاب المادة النحوية وذلك لجذب انتباه الطالبات وتشويقهن للدرس.

3 – تدريس مادة القواعد باستراتيجية four اثبت ان له نتائج ايجابية وفاعلة ضمن حدود الدراسة.

رابعاً: التوصيات

1_ ضرورة اقامة دورات وندوات تعريفية للمدرسين والمدرسات في ثانويات العراق لاطلاعهم على مزايا استعمال استراتيجية fourوتشجيعهم على الاعتماد عليها.

2– حث المدرسين والمدرسات على استعمال استراتيجيات حديثة في التدريس .

3– العمل على تزويد المكتبات المدرسية والجامعية بالكتب والمراجع التي تتضمن الاستراتيجيات الحديثة، ومنها four واستعمالها في مجال طرائق التدريس التي يحتاج اليها المدرسون في تدريسهم.

خامساً: المقترحات

1 – اجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية في مراحل مختلفة.

2 – دراسة اثر استراتيجية four في متغيرات اخرى مثل (اكتساب المفاهيم، الاتجاهات).

3 – اجراء دراسة تجريبية حول اثر توظيف استراتيجية four في تحصيل الطلبة لفروع اللغة الكردية الأخرى.

المصادر

1 – الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغة العربية، سعد علي زاير وسماء تركي داخل، ط1، دار المرتضى، بغداد، العراق (2013).

2 – الاتجاهات المطورة في تعليم اللغة العربية احمد بحر هويدي الراوي، بغداد، العراق(2010).

3 – اثر انموذج ويتلي في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طالبات الصف السابع الاساسي في مادة قواعد اللغة الكردية، فردوس علي امين مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد (160) (2016).

4 – اثر التحضيرين القبلي والبعدي في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة اللغة العربية والاحتفاظ به، ضياء عزيز الموسوي، (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية التربية، جامعة بغداد، (2005).

5 – اثر توظيف استراتيجية التعليم الجامعي في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة قواعد اللغة العربية، سناء حسون مشكور (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية التربية الأساسية، جامعة ديالى، 2013.

6 – اثر استراتيجية four (سجل، قلل، كرر، نظم) في اكتساب المفاهيم النحوية عند طالبات الصف الثاني المتوسط، سجى كريم المولى الموسوي(رسالة ماجستير غير منشورة) كلية التربية الاساسية، جامعة المستنصرية (2018).

7 – اثر طريقة حل المشكلات في تحصيل قواعد الغة الكردية لدى طالبات الصف الرابع العلمي، مهاباد عبد الكريم احمد، بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات، المجلد (24)، ع4، لسنة (2016).

8 – اساسيات تصميم التدريس، يوسف قطامي، ط1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الاردن (2008).

9 – استراتيجيات التدريس في القرن العشرين، ذوقان عبيدات سهيلة ابو السميد، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن (2005).

10 – استراتيجيات التعلم والتعليم، عبد الكريم علي اليماني، زمزم ناشرون، عمان، الاردن (2009).

11 – استراتيجيات حديثة في طرائق تدريس العلوم، صبحي حمدان ابو جلالة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت (1999).

12 – اسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، محمد محمود الخوالدة، ط2 دار المسيرة للنشر والتوزيع (2007).
13 – البنية المعرفية لاكتساب المفاهيم تعلمها وتعليمها، محمد حمد الطيطي، دار الامل للنشر، عمان، الاردن (2004).
14 – تصميم التدريس، محمد عواد الحموز، ط1، دار وائل، عمان، الاردن (2004).
15 – تعليم اللغة العربية، مصطفى رسلان ، دار الثقافة للنشر، مصر، القاهرة (2005) .
16 – المناهج الحديثة وطرائق التدريس، محسن علي عطية، دار المناهج للنشر، عمان، الاردن (2009).
17 – سيكولوجية التعلم الصفي، قطامي قطامي و نايفة قطامي، ط1، دار الشروق، عمان، الاردن (2000).
18 – صعوبات تعلم قواعد اللغة العربية في المرحلة الابتدائية من وجهة نظر معلمي المادة ومعلماتها، نجم عبد الله غالي الموسوي، مجلة دراسات تربوية، العدد 54 (2009).
19 – طرائق التدريس العامة، محمد محمود الحيلة وتوفيق احمد مرعي، ط1، دار المسيرة، عمان، الاردن(2002).
20 – القياس والتقويم في التربية الحديثة، ميخائيل امطانيوس، مطابع نقابه المعلمين، دمشق، سوريا(2011).
21 – القياس والتقويم في العملية التدريسية، احمد سليمان عودة، ط2، دار الامل، عمان، الاردن (1998).
22 – اللغة و علم النفس، موفق الحمداني، دار الكتب للطباعة و النشر، جامعة الموصل،(1982).
23 – مبادئ القياس والتقويم التربوي للطالب الجامعي والمعلم العربي، سبع محمد ابو لبدة، ط1، مطابع التعاونية، عمان، الاردن(1979).
24 – مدخل الى مناهج البحث في التربية وعلم النفس، محمد خليل عباس وآخرون، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن. (2009)
25 – المسرح في تدريس اللغة العربية، إبراهيم عطا، مركز اصحاب للطباعة والنشر، مصر، القاهرة(2005).
26 – معجم المصطلحات التربوية والنفسية، زينب شحاته حسن النجار، ط1، الدار المصرية، مصر، القاهرة، (2003).
27 – المناهج الحديثة وطرائق التدريس، محسن علي عطية، دار المناهج للنشر، عمان، الاردن (2009).
28 – مهارات في اللغة و التفكير، عبد العزيز ابو حشيش واخرون، دار المسيرة للنشر والتوزيع والاعلان،عمان، الاردن (2003).
29 – نحو المفاهيم العلمية للأطفال، برنامج مقترح وتجارب الطفل ما قبل المدرسة، زكريا الشربيني ويسرية صادق، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، (2000).
30 – نظريات التعلم والتعليم، نايفة قطامي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والاعلان، عمان، الاردن(2005).
31- Educatimnal Resarch, Fourth Edilion,Pearsor, – creswell ,John W; Boston(2012)
32- Essentialrs of Education and Measurement,2nd,Robert Eble , new jeresu,pretice – Hall (1972)
33- Hastings,J.T and M madaus G .F Hand Book on Formative and Summative Evaluation of student Larning , – Bloom and others. B.s. ,New york iMc Grow – Hill (1971)

باب التاريخ:

1- المكتبات ودورها في حفظ التراث والذاكرة التاريخية في العراق القديم

Libraries and their role in preserving the heritage and historical memory of ancient Iraq

د.م. خمائل شاكر أبو خضير/ الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

ا.م.د انتصار ناجي عبد / جامعة الكوفة/ كلية الآثار

com.hotmail@dream2011_kh

Abstract

Mesopotamia celebrated many cultural achievements that had a great impact In the march of civilized construction witnessed by the country, one of the most important of these achievements was .It has that cultural, cultural and historical influence that has contributed greatly to the preservation of the heritage. Cultural and historical memory of Mesopotamia is the archiving system (library and record-keeping system).

The origin of the library system, the role of records and the art of preserving them (archives) goes back to Mesopotamian civilization, as evidenced by the many groups of mud boards Found in famous cities such as Nafar, Warka, Borspa, Nineveh and others. The emergence of libraries and the role of records was an expected consequence of the naturality of the biblical material.

that the scribes used in ancient Iraq and by that we mean the clay that was the main material For writing with the use of stone, obelisks and monuments, the mud board, no matter how large it is, The largest tablet found does not exceed 50*50 cm and does not accommodate written texts. It's lengthy, but it's suitable for his book. And economic and various trading currencies.

In the case of lengthy literary texts Such as the famous Epic of Gilgamesh (which contains more than 3000 lines of poetry), the legend of the Caliph and other historical and literary texts, it was impossible to write down on One board they even write on a series of mud boards (the epic Gilgamesh, for example, has 12 boards, and the babylonian myth of creation is on 7 boards and they number each board. From those strings and they put the title of the series or the literary text was the title of an epic Gilgamesh, for example, (he saw something)

(In Babylonian Shankaba Amoro, the forms of Gilgamesh) and the title of the Babylonian myth of creation when in Ala, (i.e. Nama Elish) and the title of the epic similar to the story of Ayub in the Torah (for The Lord of Judgment). This is similar to archiving in libraries today or indexing, i.e. the ancient Iraqis were the first to draw up the law of archiving and indexing in the world.

Through our research papers, we try to trace the most important first systems that he followed, written in the organization, arrangement and preservation of records, which played a major role in preserving the literary and historical cultural heritage of Mesopotamia and its transmission through generations. Moreover, we try to track and find out the most important indexing marks that have contributed. In the case of the systematic and written sequence of many records and documents, which to this day are still one of the most important systems used in the arrangement and indexing of libraries.

التمهيد

الكتابة: ظهورها، وأهميتها في بلاد الرافدين

اكدت التقنيات الأثرية التي اجريت في مدن العراق الجنوبية ان أقدم الرقم الطينية التي تحمل العلامات الكتابية كانت في بلاد سومر إذا اكتشفت في حرم معبد إيانا (Eanna) في الطبقة الرابعة من موقع الوركاء، وقد مرت العلامات الكتابية بمراحل ثلاث اكتمل في اثنائها نظام التدوين منذ مطلع العصور التاريخية في حدود 3000 ق.م[49]. لقد اعطانا نظام الكتابة عند السومريين صورة واضحة عن الطريقة التي طورت رسم الصور البسيطة الى لغة المكتوبة ومنظمة ومن خلالها اطلعنا على ماهية التأثير الذي نجم عن استعمال ادوات معينة على هيئة وأسلوب الأشكال المكتوبة ذاتها.

وإن انتشار الكتابة المسمارية على نطاق واسع بين شعوب الشرق الادنى يعود الى عاملين رئيسيين هما :

1- **العامل السياسي** :ان الكتابة انتشرت بين شعوب الشرق القديم بسبب التوسع العسكري الاكدي وتأسيس اول امبراطورية في العالم على يد سرجون الاكدي.

2- **العامل الاقتصادي** : ادى اتساع التبادل التجاري بين شعوب الشرق القديم الى ازدياد انتشار الكتابة المسمارية واستخدامها في تدوين المعاملات التجارية.

قام السومريون بالكتابة على ألواح من الطين الرطب ثم قاموا بفخرها لتصبح صلبة مما ساعد في العثور على كميات كبيرة جدا من تلك الالواح وهي في حاله سليمة[50]. إن أقدم الالواح للكتابة المسمارية كانت عبارة عن سجلات تتعلق بإدارة المعبد اذ انها تقدم لنا لمحة سريعة عن مجتمع الرافدين المزدهر الذي عرف معنى الاستقرار. كما تقدم لنا هذه الالواح قضايا تأجير واستئجار الاراضي وإدارة

(49) – عامر عبد الله الجميلي , الكاتب في بلاد الرافدين القديمة , رسالة ماجستير غير منشورة ,جامعة الموصل–كلية الاداب ,2001 م, ص 13.

(50) – دونالد جاكسون , تاريخ الكتابة في بلاد الرافدين، ترجمة:محمد علام خضر،(دمشق: ، 2007م), ص18.

الاعمال كما تبين الالواح التي اكتشفت في المعابد طريقة تدوين الحسابات المالية المنظمة والدقيقة[51].

إن صفات الصلصال الطري بوصفه إحدى الوسائل الكتابة لتبقيه لينا لفترات طويلة وهذا ما جعل اللجوء لتدوين بعض الملاحظات السريعة وجمعها حتى تتوفر منها كمية لا بأس بها، اذ اعتمد المؤرشف على اسلوب التدوين على مرحلتين هي : تدوين الحسابات الاسبوعية على رُقم طينية بسيطة وهي بمثابة مذكرات يومية ثم ينتهي به المطاف الى تدوينها ضمن رُقم الحسابات الشهرية. وقد تم العثور على آلاف من هذه المذكرات المؤقتة، وجاءتنا رُقم عديدة ذات نص واحد استخدمت لتعليم التلاميذ الكتابة اذ نجد فيها كتابة المعلم على طرف اللوح وتقليد الطفل للكتابة على الطرف الاخر منه.[52]

وقد مرت الكتابة المسمارية بعدة مراحل اذ كانت معظم الاشكال في المراحل الاولى من الكتابة عبارة عن سلسلة من الصور المترابطة كان الغرض منها سرد قصة من القصص لتقرأ رسالة او كسجل من المعلومات ومرجع للاستخدام في المستقبل، وقد استخدم العراقيون القدماء الطين الطري كمادة للكتابة بالدرجة الاولى الى جانب الحجر كما كتبوا على العاج و المعدن وربما الخشب لكن بحدود ضيقة، وعرفت الالواح الطينية قبل الباحثين باسم (الرقم الطينية) وتختلف الرقم الطينية المكتشفة من حيث الشكل والحجم فمنها الصغير الذي لا يتجاوز سنتيمترا مربعا ومنها الكبير الذي قد تصل قياساته الى (50 × 50 سم) ومنها المربع والمستطيل او القرصي او المثلث الشكل وفيها ما هو مجسم على شكل أسطوانة او منشور ذي اضلع عدة او مكعب او كروي او على هيئة حيوان او عضو من اعضاء الحيوان او الانسان وكان لكل فتره زمنية اشكالها الخاصة[53].

اما بالنسبة للكتابة على الحجر فقد ضمت الكتابة على الالواح وعلى المنحوتات الجدارية والتماثيل والمسلات وغيرها وينطبق نفس الشيء على الكتابة على المعدن او العاج .

والمراحل التي مرت بها الكتابة المسمارية هي الصورية والصوتية و الرمزية، ففي المراحل الاولى للكتابة كان الكاتب يرسم الشيء المادي الذي يريد التعبير عنه مستخدما قلما مدببا يغرسه في الطين الطري، كما ابتدع الانسان طريقة اخرى للتعبير عن المزيد من المفردات فاستخدم العلامة الصورية الواحدة للرمز فأصبحت العلامة الخاصة بالقدم[54]، مثلا لا تعني القدم حسب الطريقة الصورية فقط بل غدت تدل على المشي والركض والوقوف وكل ما له علاقة بعضو القدم، وبعد ذلك جاءت مرحلة الطريقة الصوتية او المقطعية وهي عبارة عن استخدام القيمة الصوتية لأي علامة صوتية ورمزية وكان الكاتب يكتب العلامات على الطين بضغط نهاية القلم ذي المقطع المثلث او المستطيل فيترك طبعة تتألف من خط افقي هو ضلع المقطع ينتهي بمثلث صغيرة وزاوية المقطع وبعد ذلك اصبحت العلامة عبارة عن مجموعة من العناصر المؤلفة من خط ينتهي بمثلث اي يشبه المسمار أو الوتر ومن هنا جاءت تسمية (الكتابة المسمارية)[55].

استخدمت الكتابة المسمارية في العراق القديم منذ اختراعها في حدود 3500 ق.م وحتى .. الالف الأول ق.م (حدود 500 ق.م) حيث كانت الكتابة الرسمية والشائعة في بلاد الرافدين[56]،ومن ثم بدا

---

(51) – خزعل الماجدي , الحضارة السامية المبكرة ,(بيروت:دار الرافدين للطباعة والنشر ,2019 م , ص126.

(52) – دونالد جاكسون , المرجع السابق ,ص18.

(53) – عامر سليمان , العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ السياسي) , (الموصل : دار الكتب للصباعة: 1993م)، ج1 , ص110.

(54) – المرجع نفسه , ص110.

(55) – المرجع نفسه ,ص111.

(56) – دونالد جاكسون , المرجع السابق , ص23.

استخدامها يتقلص تدريجيا. وكان اخر الرقم المدونة بالمسماري من القرن الاول الميلادي.

اولاً: الكاتب ودوره في حفظ الذاكرة

1- نشأة الكاتب في بلاد الرافدين

ورد اسم الكاتب في اللغة السومرية بهيئة (DUB.SAR= دب- سار) ويرادفه في اللغة الاكدية كلمة (atupŠrru= طوب- شارو)(57)، التي تقترب من كلمة طبشور في اللغة العربية وهذه الكلمة مشتقة من مصدر (Šataru)(58)، شطارو بمعنى يُسَطِر اي يرتب السطور بمعنى يكتب وقد ورد في القرآن الكريم (ن والقلم ومات يسطرون..) (59).اي القلم وما يسطرون بمعنى يكتبون في التسطير بالقلم بمعنى الكتابة به.

- نشأة الكتاب

لقد وردتنا معلومات من النصوص المسمارية عن تعليم الكتبة وإعدادهم منذ الالف الثالث ق.م لفنون الكتابة ومبادئها وعن وجود نظام دقيق لتدريب الطلاب ليكونوا كتبة المستقبل اذ كان من الطبيعي على التلميذ ان يحفظ اعداداً كبيرةً من العلامات المسمارية و العبارات والجمل و المصطلحات الفنية والقانونية لكي يصبح كاتبا مقتدرا، ولأن الكتابة المسمارية هي كتابة مقطعية وليست ابجدية، وانها استعملت العلامات الرمزية بكثرة، فقد كان المعلمون يهيئون لتلاميذهم قوائم بالعلامات المسمارية مسلسلة حسب بساطتها لتعلم البسيط منها اولا ثم يتدرجون معهم بتعليم العلامات الاكثر صعوبة ثم يتدرب بعد ذلك التلاميذ بعد ذلك على العبارات والجمل الفنية بالأسلوب نفسه. وقد تم العثور على اعداد كبيرة من النصوص المدرسية التي تضمنت مثل هذه العلامات والعبارات والجمل وكان المعلمون يقومون بتصنيف المفردات اللغوية الى مجموعات استنادا الى شكل كتابتها او استنساخها كما كان الطلبة يتدربون على استنساخ التآليف الأدبية المهمة وترجمتها، وكانت المدارس الاولى ملحقة بالمعبد حيث كان المعبد هو المدرسة الاولى وكان الكهنة هم المعلمين الاوائل في تلك المدارس(60).

- انواع الكتبة في بلاد الرافدين

هناك اصناف كثيرة من الكتبة اذ كان هناك كاتب المعبد والكاتب العسكري وكاتب الملك وكاتب القصر وكاتب البلاد وكاتب المدينة وكاتب القضاة وكاتب العقد اضافة الى كاتب التقارير السرية (الاستخبارات) وكاتب المساحات وكاتب الفلك والتنجيم وكاتب المدونات التاريخية والكاتب الناسخ. نستعرض اربعة اصناف من الكتبة في بحثنا هذا وهم كاتب الملك وكاتب القصر وكاتب المدونات التاريخية وكاتب الناسخ. هناك عدةِ عوامل لظهور التخصصات في اصناف كتبة بلاد الرافدين منها. كان لقدرات الطالب والمامه بفن كتابات العلامات وأساليبها اللغوية أثر مع التخصص بأحد اصناف الكتابة فقد كانوا يبدأونً دراستهم في سن مبكرة وكان الكاتب يعد متفوقا اذا ما اتقن تخصصه جيدا(61).

1- كاتب الملك (DUB-SAR .lu.GAl) (tupsar-sarri) اختص هذا الكاتب بتدوين الحوليات

---

(57) – عامر سليمان وآخرون، قاموس العلامات المسمارية، ط5 ص99، رقم العلامة 138.

(58) – Jermy Black, And Others , Aconcise Dictionary of Akkadian , CDA, Printing2, Otto , Harrassowitz , Wiesbaden , 1999.2000, p.364 ga.

(59) – القرآن الكريم، سورة القلم، اية 3

(60) – عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري)، (الموصل: دار الكتب للطباعة، 1993م)، ج2،ص 266.

(61) – جورج كونتينو، الحياة اليسومية في بلاد بابل واشور، ترجمة: سليمان طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي(بغداد: منشورات وزارة الثقافة والاعلام، 1979م)، ص301؛ عامر عبدالله، المرجع السابق، ص54.

الملكية اذ كان يرافق الملك في كافة اسفاره العسكرية والإدارية لكتابة وتدوين اعماله اليومية[62]، وكان كاتب الملك يعمل كأمين سر الملك اذ يكتب أوامره والقابهُ ومآثرهُ وغيرها[63].

وكان في بلاط كل ملك طاقم من الكتبة يرأسهم شخص يطلق عليه باللغة السومرية (DUB–SAR MAH) وباللغة الاكدية (tupsar–rabe) بمعنى (رئيس كتبة الملك)[64]، وقد وردت أسماء بعض كتبة الملوك مع النصوص السومرية منهم الكاتب السومري (دودو) كاتب الملك (اورنانشة) والكاتب (كاب–ايلان–ايرش) كاتب الملك الآشوري (توكلتي –لاننورتا الثاني) (884–890 ق.م) وابنه الملك (اشور ناصر بال الثاني) (859–883 ق.م) [65].

وقد عد هذا الصنف من الكتبة بأن لهم دورا كبيرا جدا لتحقيق الدعاية الملكية لكونه يضطلع بدور مهم في تمجيد مآثر المملكة والإشادة بأعمال الملك وصفاته لنيل احترام الرعية واثبات شرعيته في الحكم[66]، ونتيجة لهذا الدور المهم لهذا الصنف من الكتبة فقد اصبحوا من الموظفين ذوي المستوى الرفيع واعتبروا من اقرب الموظفين للملوك فقد ذكر احد الباحثين بان كاتب الملك كانت له مكانة مرموقة بحيث صار احد الاعضاء البارزين الذين شكلوا عضوية رفاق مائدة الملك[67].

2– **كاتب القصر:** ويطلق عليه باللغة السومرية اسم (DUB–SAR .E.GAl) وباللغة الاكدية (tupsar–ekalli) اذ اختص هذا النوع من الكتبة بأرشيفات المراسلات الملكية واستنساخ النصوص التي يقبلها الملك والمحافظة على كل الوثائق التي تتعلق بالحوادث اليومية ذات العلاقة بالإدارة الملكية فضلا عن فهرست جميع الرسائل الواردة الى القصر وترتيبها بعد الانتهاء منها، ومن ثم تدوينها كنصوص الحوليات الملكي[68].

كما اختص هذا الصنف من الكتبة بجمع الضرائب وادارة المباني التابعة للقصر مثل المخازن باعتبارهم مستشاري الملوك، ومن واجبات كتبة القصر المحافظة على التقاليد العلمية والأدبية في تدوين الوثائق والمراسلات التي كانوا يكتبونها[69].

3– كاتب المدونات التاريخية : ورد في الكثير من النصوص التاريخية اشارات تفيد بأن سكان بلاد الرافدين القدماء هم أول من دون الاحداث التاريخية اي ان التدوين التاريخي في بلاد الرافدين قام على اساس ما نسميه (بالحس التاريخي) وهذا يتضح من خلال اهتمام أولئك الكتبة بأحداث الماضي وتدوينها وتفسيرها والمحافظة عليها عبر الأجيال , وقد حاول بعض الكتبة المؤرخين تتبع اصول الأنظمة الاجتماعية و السياسية ومعرفة اصل الانسان وحضارته، فقد عبروا عن هذه الاشياء بواسطة الكتابة في الاساطير ورموزها[70].

4– الكاتب الناسخ: يرد مصطلح الكاتب الناسخ في اللغة السومرية (–DUB–SAR.GESTU,

---

(62) – شعلان كامل اسماعيل، المرجع السابق، ص86؛ عامر الجميلي، المرجع السابق، 58.

(63) – عامر الجميلي، المرجع السابق، ص58.

(64) – المرجع نفسه، ص59.

(65) – علي ياسين الجبوري، الادارة، موسوعة الموصل الحضارية(الموصل: دار الكتب للطباعة،1991م)،ج1، ص250–249.

(66) – الخوري بولس الفضالي, المدخل الى الكتابات المقدسة, (منشورات المكتبة البوليسيه,1994م),ج1,ص392

(67) – علي ياسين الجبوري، المرجع السابق,ص249

(68) –Wieseman .D.J , Assyrian Writing Boards, Iraq, Vol.XVLL.London, 1955, p.7.

عامر الجميلي،المرجع السابق، ص59.

(69) – عامر الجميلي،المرجع السابق، ص62.

(70) – طه باقر,عبدالعزيزحميد, طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار , الموصل ,1980م ,ص18.

LA) وفي اللغة الاكدية (سكّكو zazakku). إن الكاتب الناسخ هو الموظف الكبير أي الكاتب او الناسخ الكبير[71],او الكاتب المقلد وهو الكاتب الناسخ الذي يقوم بتدوين نسخة عن نسخه بدون املاء واحد وكان الناسخون يمتازون بصفات خاصة وهي اجادتهم للقراءة والكتابة بخط واضح وجميل و أيضا امتازوا بالأمانة العلمية اذ حرصوا على استنساخ الاعمال الأدبية من مصادرها الأصلية القديمة كما حرصوا على مطابقتها وتدقيقها اذ كان الناسخ يذيل ما يستنسخ بالعبارة المأثورة (كتبت ودققت النسخة الأصلية) ثم يذكر اسمه وأحيانا اليوم والشهر الذي اتم فيه الاستنساخ ولأمر من قام به[72].

وكان الكتاب الناسخون يقومون باستنساخ الالواح القديمة حتى التي اصابها التلف او التي توجد منها نسخ قليلة مثل النصوص الأدبية والدينية وكانوا يكتبون في اسفل نهاية الرقيم عبارة (هكذا سمعت من فم السيد فلان بن فلان) وإذ كان اللوح مكسورا يدون عليه عبارة (كسرة رقيم قديمة) وعندما يقرؤون جملة غير واضحة كانوا يكتبون عليها عبارة (ال اد ul – idi) اي لا تفهم[73].

المكتبات تعريفها وأنواعها:

قدر للإنسان في بلاد الرافدين قبل آلاف السنين ان يدون ملاحظاته بواسطة الرسم على جدران المغارات والكهوف فحفظ بذلك لنا شيئا من مظاهر الحياة التي كانت تحيط به، وعندما تطورت الكتابة اخذ الانسان يستنبط وسائل اكثر موافقة لتسجيل تاريخه، ثم كان من البديهي ان يعنى بجمع هذه الوثائق التي دونها ويهتم بالمحافظة عليها في مكان خاص [74]. كانت هذه الرسائل والوثائق تحفظ في جرار فخارية او صناديق فخارية وسلال معمولة من القصب والطين وتعرف هذه الطريقة باللغة السومرية باسم (PISAN– DUBبيسان –دب) وفي اللغة الاكدية عرفت باسم (=girginakkuكركناكو)، ويبدو ان هذا الاسم الذي اطلق على طريقة حفظ الوثائق والسجلات نفسه اطلق على مكان حفظها او ما يعرف في وقتنا الحالي باسم المكتبات اي اطلق عليها اسم (كركناكو)[75]، كما نجد تسمية باللغة السومرية اطلقت على المكتبة وهي (IM–GU–LA)[76].

انواع المكتبات

أ- مكتبات المعابد

كانت المعابد أول ما اكتشفه المنقبون عن المكتبات اذ ان المعابد الكبيرة كانت تحتاج مع اعمالها الى فهارس واسعة وقوائم و مستنسخات، وكانت تجمع هذه الوثائق و الفهارس وكل السجلات المتعلقة بشؤون المعبد كقوائم املاك المعبد وحاصلاته وواردات وكانت توضع تلك السجلات في خزانة خاصة لحفظ هذه الالواح[77] فضلا عن النصوص المدرسية او النصوص بالطقوس والتراتيل الدينية فقد كانت هي الاخرى تحفظ في المعابد اذ عثر على مجاميع منها في معبد الاله أي- زيدا المكرس لعبادة الاله نابو (اله الكتابة والمعرفة) في مدينة نينوى، وكذلك في معبد نابو- شا – خارى في بابل([78]).

(71) – انظر : عامر سليمان واخرون، مرجع سابق، ص99، رقم العلامة 138.

(72) –محمد جاسم محمد علي, حمورابي والمملكة العراقيه الموحدة الثانية، ط1,بغداد,2012م,ص158

(73) – جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان (بغداد:د.م، 1984م)، ص478.

(74) – كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق، (بغداد: د.م، 1948م)،ص42

(75) – رينه لابات، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة الاب البير ابونا واخرون(بغداد:/ مطبعة المجمع العلمي، 2004م)، ص185؛ رياض عبد الرحمن الدوري، اشور بانيبال (سيرته ومنجزاته)،(بغداد: دار الشؤون الثقافية، 2001م)، ص169.

(76) – رينه لابات، المرؤجع السابق، ص185.

(77) – كوركيس عواد، المرجع السابق، ص43؛ رياض عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص183.

(78) – بهيجة خليل اسماعيل، الكتابة، كتاب حضارة العراق(بغداد: دار الحرية للطباعة،1985م)،ج1، ص268.

ومن المحتمل ان الكاهن هو خازن لكتب المعبد اذ من واجباته العناية بحفظ الالواح والاستعانة عن الالواح المهشمة او ذات الكتابة غير الواضحة بأخرى جديدة اي استنساخها بألواح جديدة و بخط واضح[79]، وقد كان كهنة المعابد ملزمين بالحفاظ على الشعائر الدينية ويقوم هؤلاء الكهنة ايضا بالحفاظ على المدونات المدرسية اذ عهد الى كتبة كل المعابد تدوين التفاصيل الضرورية وذلك للحفاظ على لتقاليد الدينية من جيل لجيل.

ومكتبات المعابد كانت عبارة عن حجرة او حجرات ملحقة بكل معبد لتضم الرُقم الطينية المختلفة الاحجام والتي تعالج الموضوعات الدينية التي تقرأ في المعابد وأخبار الآلهة والأساطير وكان الكهنة يشرفون على هذه الرُقم، كما كان في هذه المعابد غرف صغيرة خاصة لتلاميذ الكهنة للدراسة وكانت تعلق على ابوابها الواح تعرف باسم (خزانة كتب مدرسية)[80].

اما طريقة حفظ الرُقم في المعبد فكانت تتم عن طريق وضعها على رفوف موازية للجدران اذ تم العثور في التل الابيض في عقرقوف على مجموعة من الرُقم منضدة على الرفوف الواحدة بجانب الأخرى، وبعضها الآخر موضوعة، الواحدة فوق الاخرى (على غرار نظام المكتبات في عصرنا الحاضر) وكانت هذه الرفوف تغطى او تطلى بطبقة من القار لمنع تسرب الرطوبة الى الالواح، وعثر ايضا في احدى الغرف في الموقع الاثري في مدينة سبار على صفوف من الرُقم الطينية وضعت على رفوف وربطت معها بطاقات تعريفية بواسطة حبل مبروم معمول من بعض الالياف النباتية وهذا الحال ينطبق على المكتبات المكتشفة في كل من الوركاء وكيش وفارة وغيرها[81].

ب- المكتبات الحكومية

ورد في النصوص المسمارية ذكر لبعض البيوتات او المواقع التي كان يحفظ فيها ارشيف الرقم الطينية عرفت باسم (بيت الوثائق). لربما كانت هذه الاماكن تشبه مراكز او قسم حفظ الوثائق في وقتنا الحاضر وكان يقوم بإدارتها موظف عرف باللغة الاكدية باسم (Šandabakku) اي امين الارشيف (الوثائق)[82]

وهناك نوع اخر من المكتبات تعنى بحفظ صناديق الرقم في ذمة شخص لقاء مبالغ يدفع له باسم (رئيس او مدير صندوق الرقم)، ومن المحتمل ان هذه الصناديق استخدمت مقام الخزانات الأضابير او السجلات المستخدمة في وقتنا الحالي، وهذه الصناديق ذات اغطية ومدونٌ عليها من الخارج عنوان الرقم والبعض الآخر يضم بطاقات تعريفية بمحتوياتها [83].

اما المجاميع الكبيرة من الرقم فكانت تحفظ في اماكن خاصة سميت باللغة السومرية (اي- دبا E-DUB-BA) وباللغة الاكدية (bit tuppi) وتعني بيت الرقم او بيت الالواح وهو نفس الاسم الذي كان يطلق على المدرسة [84].

وتوجد مثل هذه المكتبات ايضا في اشو وهي عبارة عن مكان لحفظ السجلات الحكومية مثل مصادر الواردات ورواتب الجند والتشريعات والتفسيرات القانونية وكانت تسمى (بدور السجلات) وهي بارة عن مجموعة من الرقم الطينية ذات الحجم الكبيرة كانت تصف على شكل صفوف أفقية على رفوف

(79) - W. Budge, Babylonian life and history,London,1925,P201

(80) - خالد ابودية، المكتبات في العصور القديمة، مجلة رسالة النجاح الالكترونية، العدد 18، 1984م.

(81) - بهيجة خليل اسماعيل، المرجع السابق، ج1،ص268.

(82) - المرجع نفسه، ص267.

(83) - المرجع نفسه، ص267.

(84) - المرجع نفسه، ص267

مصنوعة من الطين اذ لم يكن هناك نظام معين ثابت لترتيب الرقم فيها فكانت بعض هذه الرقم حسب حجمها او موضوعها او حسب ارقام تسلسلية وكانت تحمل الاسم الناسخ او الكاتب[85].

ويمكن وصف مكتبة اشور التي هي عبارة عن غرف صغيرة غير مضاءة تتم الدراسة بها في النهار. اما شبابيكها فكانت صغيرة لغرض التهوية، أما بناء المكتبات الحكومية فكانت على شكل أبنية منفصلة او حجرات متصلة بأبنية أخرى[86].

ج . المكتبات الشخصية

وأهمها مكتبات الملوك اذ كشف المنقبون عن أقدم بناء مستقل استعمل كمكتبة في التاريخ وذلك على أنقاض مدينة اور (جنوب العراق) اثناء حكم الملك اورنمو (2095–2112ق.م)، وكانت المكتبة قد خصصت لتكون مكانا لخزن سجلات الدولة مخططاتها، وقد اضيف اليها جناح كامل ليكون مكتبة حقوقية[87]. وهذه المكتبات غالبا ما كانت تشغل مكانا داخل قصر الملوك اذ كان كل قصر يحتوي على ديوان او دار للسجلات على غرار المعابد تجمع فيه كل ما يتعلق بالقصر من حسابات ورسائل واردة للقصر وغيرها[88].

ومن المكتبات الشخصية التي تم العثور عليها هي مكتبات ملوك اشور وإن اقدم الملوك الاشوريين الذين سعوا الى تكوين مكتبة خاصة بهم هو الملك الاشوري سرجون الاشوري (705–722ق.م) اذ عثر على الواح طينية تعود الى عهده وعليها ختم مكتبته([89])، ومن ثم عمل ابنه الملك سنحاريب على اضافة العديد من الرقم الى مكتبه ابيه، وهذا ما فعله ايضا الملك اسرحدون اذ عمل على اضافة رقم والواح طينية تمثل الثقافة القديمة ولاسيما الاشورية منها[90].

ثم جاءت مكتبة الملك اشور بانيبال وكانت فيها أربع مجموعات من الرقم[91]:

1– مجموعة يغلب عليها الطابع الديني.

2– مجموعة المحفوظات والسجلات الحكومية.

3– مجموعة من سجلات الاعمال المنظمة احتفظ بها رجال الاعمال لأداء اعمالهم التجارية.

4– مجموعة شجرات الأنساب.

خزائن الكتب

كانت خزائن الكتب عبارة عن مجموعة من المدونات الرسمية والنصوص الأدبية وما يتعلق بالشراء والبيع وكانت هذه المدونات تجمع في مواضع معلومة مثل (المعبد) والقصور الملكية وبعض الدور الخاصة ويطلق عليها (دور السجلات)، وقد وضع سكان العراق القدماء هذه البيوت تحت حماية الإله

---

(85) – خالد ابودية، المرجع السابق.

(86) – المرجع نفسه.

(87) – يسرى صادق جلال، امل صبحي فاضل، الثقافة العراقية والمكتبات الشخصية، المجلة العراقية للمعلومات، العددان 2014،2–1م، ص80.

(88) – كوركيس عواد، المرجع السابق، ص43.

(89) – A.T Olmstead , History of Assyrian , London ,1960, p.270.

رياض عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص173.

(90) – المرجع نفسه، ص173.

(91) – المرجع نفسه، ص173.، يسرى صادق، وامل صبحي، المرجع السابق، ص80.

(خاني hani)[(92)]. ومن هذه الخزانات:

1- خزانة نفر

خزانة نفر وتعرف في المصادر الأجنبية باسم (نيبور) nippur وهي مدينة تقع على بعد 100 ميل جنوب بابل وقد نقب فيها بيترس مع مجموعة من علماء الامريكان. بدأ بالتنقيب فيها سنة 1889 م وقد عثروا على (ألفين وخمسمائة) من ألواح الطين وفي سنه 1890 استأنفت أعمال الحفر فعثروا على 8000 لوح وفي عام 1893 م عثروا على (20,000 لوح) وبعد ذلك سنه 1896 اكتشف (هينس) (خزانة كتب معبد الاله انليل) شملت على (3000 لوح) تعود للتاريخ (2700 -2100) ق.م واحتوت خزانة نفر على كل ما كان للدروس والتأليف العلمية ولوحات ذات محتوى ديني وكتب مختلفة للمراجعة[(93)].

ومن المكتشفات في هذا الباب الالواح الرياضية وألواح علم الفلك والطب والتاريخ واللغة وكذلك ضمت عددا من التسابيح والصلوات والأدعية والتعاويذ والنصوص الاسطورية والتنجيمية، ومن ابرز المدونات التي اكتشفت في هذه الخزينة الجداول التاريخية الثمينة التي تذكر اسماء الملوك وما جرى من حوادث مهمة في كل سنة [(94)].

2- خزانه دريهم

دريهم تصغير (اسم درهم) وهو تل صغير يقع على نحو(3 اميال) جنوب نفر بالقرب من هور عفك واسم هذا التل حديث اذ لا يعرف ما كان اسمه في الأزمنة القديمة وقد اسفرت التنقيبات في هذا التل عن كشف عدد من لوحات الطين المطبوخ والمنقوشة بالكتابة المسمارية وتعتبر هذه اللوحات (كخزانه كتب) مكتبة من الطراز القديم واحتوت على مواضيع مختلفة منها العبادات والتقاويم وغيرها وكانت مؤرخة ب(2155- 2100 ق.م)، وقد عثر على الكثير من النصوص تعود لهذه الخزانة واتضح من قراءة تلك النصوص ان (دريهم) كانت دارا اقيمت على نهر الفرات لتكون مستودعا للنذور والهبات التي كانت تقدم لمعبد الاله انليل (enlil) وهو من المعابد الكبرى في نفر وكان من ضمن هذه النذور هي الحبوب والمواشي والفواكه وأشياء متنوعة اخرى[(95)].

3- خزانة نينوى

كان اقدم ملوك اشور الذين سعوا إلى جمع خزانة الكتب الملك سرجون (705-721 ق.م)، وقد وجدت الواح في عهده وعليها ختم خزانته كما مر سابقا، وتعد هذه الخزانة من اقدم خزائن كتب الملوك في وادي الرافدين وقد جمع محتوياتها الملك اشور بانيبال واودعها في عاصمة (نينوى) التي تقع اطلالها قبالة مدينة الموصل شرق نهر دجلة. ازدهرت في عهد اشور بانيبال فقد وجد في نقش على أسطوانة من عهده ما معناه **(انا اشور بانيبال قد اختزنت في قصري حكمة (نبو) واستوعبت ما في الألواح المدونة وكل ما في ألواح الطين من خفايا ومشاكل)[(96)].**

وقد كان هذا الملك يشرف بنفسه على عمل النساخ وكان عدد من النصوص يقرأ بحضرته قبل

(92) – الاله خاني :هو اله من اصل حثي وربما أصلا من بلاد وادي الرافدين وقد اخذه الحثيونعن استيلائهم على بابل عام 1590 ق.م في عهد حاكمهم مورسيلس الأول واتخذوا الها لهم .(انظر: جورج رو,العراق القديم,ترجمة : عيسى سلمان وسليم طه التكريتي،(بغداد: م.د،1986م)،ص342).

(93)- E.A.W. Budge, The Rise and Progress of Assyrioloy,London,1925,p249

(94) – كوركيس عواد، المرجع السابق، ص47.

(95) – المرجع نفسه، ص47.

(96) - Olmstead , Op.cit , p.270.

الموافقة على إيداعها في الخزانة، وقد احتوت هذه الخزانة مختلف العلوم والمعارف فكانت بمثابة (دائرة معارف)[97]، وقد نسخت هذه الكتب بالكتابة الأشورية وكان كل كتاب يتألف من ألواح متعددة بهيئة معلومة وقطع واحد وهامش ولم تكن تخلو من التخيلات والتصحيحات، وقد كشف عن هذه الخزانة من قبل الرحالة الآثاري الإنكليزي (السرهنري لايرد) سنة 1851-1852 م في قصر اشور بانيبال بنينوى فقد عثر على حجرتين صغيرتين تغطي احداهما الاخرى ووجد فيها آلاف من الواح الطين كما عثر على الواح اخرى في الممر المؤدي من الحجرتين الى جانب النهر[98].

4- خزانه سبار

تعرف الآن باسم (ابوحبه) وتقع على نحو(20 ميلا) جنوب غرب بغداد [99]، وقد نقبت فيها بعثه انكليزية سنة 1878 برئاسة (هرمز سام الموصلي) وقد تم الكشف عن عشرات الآلاف من الالواح وعدد من اللقى الأثرية وكانت هذه المدينة تحتوي على خزانة تتألف من آلاف الالواح الطينية، وتعرض الكثير منها للتلف وبقي القسم الاخر منها حيث كشف عنه المنقبون ونقلت الى المتحف البريطاني وقد وجد فيها الواح هشة غير مفخورة ووجدوا اواني صغيره مختومة تحوي على الواح مكتوبة من الطين المفخور حيث يبلغ طول اللوح الواحد 10 سم، ووجد في احدى الغرف على صفوف من الواح اكبر حجما منضدة فوق رفوف من الحجر وهذه المستندات او الختوم كانت متصلة بحبل مصنوع من نوع من النسيج النباتي، وقد اشتملت خزانة سبار على الكثير من الالواح فيها تمارين كتابية وجداول وعلامات الكتابة وجداول مقاييس وألواح فلكية وأدعية دينية [100].

5- خزانة الجمجمة

وهي قرية تقع على الضفة اليسرى لشط الحلة في الجزء الجنوبي الغربي من مدينه بابل و قبل البدء بأعمال التنقيب قام سكان القرية باستخراج كميات كبيرة من رقم الطين المفخور من الاراضي المجاورة لقرية الجمجمة ثم باعوها الى تجار الاثار ثم انتقلت الى المتاحف العالمية، وكانت تلك الرقم تؤلف خزانة كتب من عهد الملك نبوخذ نصر(561-604 ق.م) وقد كانت تضم كتبا في الادب واللغة و الدين والاساطير وغيرها[101].

6- خزانة كيش

تقع كيش على بعد (9 اميال) شرق بابل وسماها العرب ب (تل الاحيمر) ذلك لان لون التل مائل للأحمر ونقب فيه سنة 1923، وقد اشتهرت هذه المدينة كونها اول سلالة حكمت بعد الطوفان بحسب اثبات الملوك السومرية [102]، ومن خلال عمليات التنقيب كشف عن (خزانه كتب) عبارة عن مجموعة أدبية من رقم الطين فقد عثر أحد العمال فيه على رقيم من الطين المفخور يتضمن وثيقة تجارية من عهد (نبوخذ نصر)، وبعد ذلك وصل المنقبون الى طبقة غنية بالرقم الأدبية، كما توصلوا الى بناء واسع تكتظ حجره بألواح كثيرة وكانت الخزانة الأساسية تقع تحت مبان متأخرة تعود الى العصر البابلي الحديث، وهي تعود الى عصر البابلي القديم وبناؤهما من اللبن القائم الزوايا و الالواح الكثيرة التي عثر عليها في هذا التل يغلب على مواضيعها علم النحو واللغة ونصوص مدرسية ([103]).

(97) - كوركيس عواد، المرجع السابق، ص49.

(98) - a.h.Layard, discoveries in the ruins of Nineveh and Babylon,London,1853,pp344-345

(99) - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986م)،ج1،ص364.

(100) - كوركيس عواد، المرجع السابق، ص51.

(101) - المرجع نفسه،ص60.

(102) - طه باقر، المرجع السابق، ج1، 269.

(103) - كوركيس عواد، المرجع السابق، ص61

7- خزانة تلو (لجش)

وهي موقع مهم في العراق وهي المدينة السومرية المهمة التي تقع في جنوب العراق داخل حدود محافظة الناصرية وعلى بعد 24كم شرق مدينة الشطرة [104]، ويذهب بعض الباحثين الى ان اسم(تلو) مشتق من (تل لوح) المخفف من (تل اللوح) غير ان الباحث العراقي (يعقوب سركيس) فند هذا الرأي واثبت ان (تلو) مخفف من (تل هوارة)[105]، وعثر الحفارون العرب عام 1894م على (خزانة كتب) في هذا الموقع واتضح لهم انه لا بد ان يكون في احدى رواجي (تلو) قاعة او قاعات مملوءة بألواح مكتوبة عبارة عن سجلات وتقارير وجداول للضرائب وقد تم الكشف في احدى التلال على سلسلة من الغرفة المحتوية على الواح الطين المشوي ذات الكتابة المسمارية يقدر عددها بـ(35000 -40000) لوح وقد كانت كثير من القطع مكدسة فوق بعضها والبعض الاخر منها كان منضدا فوق الرفوف، اما القطع الصغيرة فكانت مكومة في الاواني[106].

8- خزانة نوزي

وهي من المواقع الاثرية المهمة في العراق وتقع على الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة كركوك على بعد 22كم، وقد نقبت في هذا الموقع البعثة المشتركة بين المتحف العراقي والمدرسة الامريكية للأبحاث الشرقية في عام 1926-1925م اذ اكتشفت هذه البعثة ما يقارب 550 لوحا طينا، ثم استؤنف التنقيب في هذا الموقع من عام 1931-1927م من قبل جامعة هارفرد الامريكية فعثرت على بقايا بيوت سكنى خارج التل وقصر ومعابد في التل، ووجدت مجموعة كبيرة من الالواح الطينية التي ضمت نصوصا اقتصادية ووثائق قانونية، وقد دلتنا تلك كتابات على ان نوزي كانت مستوطنة حورية كبيرة في منتصف الالف الثاني ق.م[107]. من هنا تأتي اهمية هذه الخزانات المكتبية من خلال ما تحفظه من معلومات مهمة نستطيع من خلالها معرفة ماهية المدينة وطبيعة حياتها ومن هم سكانها وأصلهم من خلال كتاباتهم المحفوظة.

9- خزانة أدب

وهي مدينة تقع في منتصف الطريق بين تلو ونفر، وان تل بسماية هو موقع مدينة ادب التي شملتها التنقيبات غير الناجحة لفترة قصيرة قام بها أي.جي بانكس عام 1904-1903م، وتم العثور على الواح طينية تعود الى فترة ما قبل سرجون حتى العهد البابلي، وان بعض هذه الالواح نشر والبعض الاخر لم ينشر[108].، وقد عثر على هذه الالواح مكدسة في ارض غرفة واسعة تحت مترين من التراب وبعد التنقيب عثر على رفوف هذه الخزنة، ولكن لسوء الحفظ فإن هذه الالواح كانت مدفونة بصورة ركام ولا اثر للعناية بتنسيقها ولا تبويب محتوياتها فكانت الكبيرة بجانب الصغيرة بينها المستديرة الشكل والمربعة وبعضها رقيقة وغيرها ثخينة وغيرها غير متقن الصنع وهكذا، ولكن استطاع المنقبون الحصول على بعضها وقراءتها ووجدت انها ضمت نوعا من الصكوك وسندات البيع والشراء، وأخرى كانت مجموعة من الرسائل ولا اثر للقيود التاريخية ولا للترانيم والمزامير والقصص والأمثال كما هو الحال في باقي الخزانات بسبب ما تعرضت له خزانة أدب من سرقة مخطوطاتها الكبيرة والثمينة وترك

(104) – هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، (فرنسا : 1979)، ص 64؛ ليو وينهايم، بلاد مابين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق(بغداد: اتحاد الناشرين العراقيين،2013م)،ص476.

(105) – كوركيس عواد، المرجع السابق، ص62.

(106) – المرجع نفسه، ص63.

(107) – طه باقر، فؤاد سفر، الرحلة الرابعة (بغداد-السليمانية)، كتاب المرشد الى مواطن الاثار والحضارة (بغداد: دار الارشاد للطباعة،1962م)،ص11.

(108) – ليو وينهايم، المرجع السابق،ص458.

التي عثر عليها لقلة اهميتها في عالم التاريخ [109].

10- **خزانة الوركاء**

وهي من المدن المهمة في العراق وتقع جنوب مدينة بابل(تسمى اونوك باللغة السومرية واورك في الكتاب المقدس، ووركاء في الوقت الحاضر) [110]، ويوازي تاريخها تاريخ العراق منذ بداياتها التاريخية الى اخر مرحلة من مراحل تاريخها الحضاري وهي من المدن الغنية بالوثائق السومرية التي نشرت وترجمة من قبل (أي.فالكشتاين)، تظهر في شكلها المدون من بدايتها والواح الطين القانونية والتعليمية التي تعود الى فترات مختلفة([111])، كما عثر فيها على بعض السجلات ما يحملنا على الاعتقاد أن هذه المدينة كانت موطن الالواح لوجود جملة من المعابد وكانت هذه الألواح تتضمن وثائق ادارية وقانونية وتجارية وصلوات وأدعية، فقد كانت مدينة الوركاء زاهرة بالألواح وهذه الالواح جزء منها محفوظ الان في المتاحف العراقي والقسم الاخر مبعثر في متاحف الغرب [112].

11- خزانة تل حرمل

وتقع غرب معسكر الرشيد شرق بغداد. نقب فيها سنة 1940م وعثر فيها على اكثر من (1500 لوح) [113]، من مختلف انواع الاحجام وهذه الرقم جميعها من الطين ومن خلال هذه الالواح والرقم يمكن ان نستدل على ان هذه المدينة كانت تحتوي على دار سجلات ضمت الكثير من الالواح المنقوشة بالكتابات المسمارية [114].

الخطوات التي اتبعت في ارشفة وتصنيف الكتب في وادي الرافدين

كان حفظ الرقم يتم في سلال مصنوعة من الطين والقصب ويضعون عنوان السلسلة او النص الادبي في اعلى كل لوح او في آخره، وجرت العادة انهم يختارون لعناوين تلك السلال اول عبارة من النص المكتوب [115]، اذ كان يتم نقلها الى مسافات بعيدة بواسطة هذه السلال حيث جاء في احدى الرسائل التي تم العثور عليها في اشور والعائدة الى التاجر الاشوري (انليل لأني) الذي كان مقيما في كانيس في الاناضول المرسلة الى اخته ان تبعث له جميع الرقم العائدة له الخاصة بالصفات التجارية الى مقر أقامته وبالفعل تم نقلها من اشور الى كانيس بواسطة تلك السلال[116].

كما كانت الرقم تحفظ في داخل جرار فخارية، وقد عثر في كيش على جرار مكسورة مرتين حول جدران بعض الطرف وفي داخل البعض منها مجموعة من الرقم صنفت حسب مضامينها فعرفه مخزن حفظ الرقم هذا باسم (جرة رقم) وسمي الموظف المسؤول عنها باسم (ابن جرة الرقم)[117]، كما تم العثور على الكثير من الرقم الطينية محفوظة في داخل صناديق ذات اغطية مدون عليها من الخارج عنوان الرقم وفي البعض الاخر صنعت بطاقة تعريفية بمكوناتها ومواضيعها وكانت هذه الصناديق تودع في

---

(109) – كوركيس عواد، المرجع السابق، ص56-55.
(110) – ليو وينهايم، المرجع السابق،492.
(111) – المرجع نفسه، 492.
(112) – كوركيس عواد، المرجع السابق، ص66.
(113) – سليمان ,عامر ,اللغة الاكدية,الموصل,1991,ص172
(114) – كوركيس عواد، المرجع السابق، ص66.
(115) – طه باقر واخرون، تاريخ العراق القديم(بغداد: مطبعة جامعة بغداد،1980م)،ج2،ص165.
(116) – عامر سليمان، جوانب من حضارة العراق القديم، العراق في التاريخ(بغداد: دار الحرية للطباعة، 1983م)، ص224؛ بهيجة خليل، المرجع السابق، ص268.
(117) – بهيجة خليل، المرجع السابق، ص268.

ذمه شخص مقابل مبالغ تدفع له عرف باسم (رئيس او مدير صندوق الرقم) [118].

اما الرقم الكبيرة الحجم التي كان من الصعوبة حملها بيد الكاتب فكانت توضع على مسند يكون لوحا او طاولة من الخشب [119]، كما في مسلة حمورابي التي نقشت على ارتفاع مترين وربع ومحيط قاعدتها (متر و 90) سم مصنوعة من الحجر الاسود (الديوريت) [120]، وفي اواخر القرن السابع ق.م حفظت الرقم الخاصة بالشؤون التجارية في المصارف ومنها المصرف التجاري المعروف باسم (اكيبي وأولاده) كما كان يتم حفظ الرقم في البيوت السكنية ومنها بيوت الكهنة والكتاب والتجار [121].

وقد اتبع الكتبة طريقة لا زالت متبعة في بعض كتبنا في الوقت الحاضر وتتضمن وضع عنوان السلسلة، او النص في اعلى كل لوح، او في اخره. فقد كانوا يختارون لعناوين تلك السلاسل او عبارة منها مثلا كان عنوان ملحمة كلكامش (هو الذي رأى) وهي اول عبارة في الملحمة وعنوان قصة الخليفة (حينما في العلى) وكانت مثل هذه النصوص المطولة تحفظ في رفوف او صناديق او سلاسل خاصة بها ويوضع معها بطاقة تعريفية هي عبارة عن رقم صغير يشير الى عنوان التأليف وكان يقوم على تنظيم هذه النصوص وحجمها موظفون مختصون[122]، وقد اشتهرت المدن الكبيرة باحتوائها على مكتبات كبيرة تم الكشف عنها من خلال التنقيبات ومن اشهرها وأبرزها مكتبه اشور بانيبال في القرن السابع قبل الميلاد وعندما تصل الرقم الطينية الى العاصمة الآشورية كان يجري استنساخها بالخط المسماري الدقيق إلا ان عددا من النصوص ربما جرى استنساخه بالنص حرفيا، وكثيرا ما تصادَف نصوص تتخللها فراغات جمل او كلمات تعذرت قراءتها في النص الاصلي وهو ما حتم على المستنسخ اضافة تعليقاته الخاصة اليها وتذيل هامشها بعبارة (ال ادي)(لم افهم)او(هيبو لايبرو) بمعنى كسر قديم وفي بعض الاحيان لم يكن الكاتب يستنسخ النص على الرقم الطينية بل على سطح من الشمع المنشور فوق الواح خشبية او عاجية يجري ربط عدة الواح منها تشكل معا قطعة واحدة قابلة للطي بما يشبه الكتاب [123].

كما وجد في مكتبة نينوى نوع من التصنيف للرقم الطينية يدعى (التصنيف الملكي)، حيث خصصت اماكن للألواح المهمة فوق ابواب المدخل ونقشت عليها قائمة من محتويات تلك الألواح بحسب ترتيبها على الرفوف او في اوعية او صناديق او جرار كبيرة [124]، وكانت مكتبة اشور تحتوي فهارس و تواقيع على الواحها، فضلا عن ختم المكتبة واسم صاحبها و بعض الملاحظات الاخرى فبهذا هي تختلف عن المكتبات الاخرى سواء كانت حكومية او مكتبات معابد اذ كانت هذه المكتبات خالية من تلك المعلومات التي وجدت في مكتبه اشور[125]، وقد تم نقل جميع الرقم العائدة لمكتبة اشور بانيبال الى المتحف البريطاني في لندن، اما النصوص المدرسية او الخاصة بالطقوس والتراتيل الدينية فكانت تحفظ في المعابد والمدارس حيث عثر على مجموعة منها في معبد الاله أي- زيدا المكرس لعبادة الاله (نابوا) (اله الكتابة والمعرفة) في مدينة نينوى وكذلك في معبد(نابوا شا كاري) في بابل اذ حفظت الرقم في رفوف موازية للجدران حيث تم العثور في (عقرقوف) على مجموعة من الرقم منضدة على الرفوف الواحدة بجانب الاخرى والبعض الاخر مصنوعة فيه الواحدة فوق الاخرى على غرار نظام

---

(118) – ادوردكييرا,كتبوا على الطين,ترجمة محمود حسين الامين,بغداد,1962,ص200
(119) – بهيجة خليل، المرجع السابق، ص268.
(120) – عبدالرضا الطعان,الفكر السياسي في العراق القديم,بغداد,1981,ص541
(121) – بهيجة خليل، المرجع السابق، ص267.
(122) – عامر سليمان,جوانب من حاضرة العراق، ص325-324
(123) – رياض عبد الرحمن الدوري,المرجع السابق,ص175
(124) – المصدر نفسه، ص175.
(125) – كوكيس المرجع السابق,ص54-53

المكتبات في الوقت الحاضر اذ كانت تغطى الرفوف بحصير او تطلى بطبقه من القار لمنع تسرب الرطوبة إلى الألواح كما ذكرنا سابقا.

دور المكتبات في حفظ الذاكرة التاريخية

لقد ادت المكتبات في بلاد الرافدين الدور الكبير في حفظ الذاكرة التاريخية وذلك من خلال ما تم الكشف عنه، مما خلفه لنا الاقدمون سواء من ادب او حكم وقوانين او حسابات او نصوص دينية وغيرها، فقد وصلتنا الاشعار السومرية في اغلب الاحيان على شكل اجزاء مبعثرة على كسر عديد مكتوبة باللغة السومرية والأكدية في معظم الاحوال وفي احيان كثيرة لم تصل الينا عناوين القصائد التي وجدت في (جداول كتب ضمتها مكتبات المعابد)، ونتيجة لذلك فإن العدد الكلي للاعمال الشعرية السومرية التي نعرفها اليوم كبير جدا [126]، كما عثر على الالواح الطينية كاستنساخات لقوانين حمورابي في مكتبة بيت الكاهن في اشور وهذه الاستنساخات هي التي حفظت لنا موروثنا الحضاري القديم من الضياع لتنقل عبر الأجيال [127]، كما وصلتنا الكثير من نماذج المؤلفات الأدبية والتاريخية والشعرية مدونة على رقم الطين بالخط المسماري باللغة السومرية والاكدية ومن خلالها تعرفنا على اهم الوحدات التاريخية والحضارية والنتاجات الفكرية و الشعرية و الدينية والطقوس و الالهة من خلال مدونات حفظت في مكتبات بلاد الرافدين قديما، فقد اهتم الحكام والملوك والكهنة بجمع النصوص المسمارية والتآليف الدينية والادبية وتنظيم المكتبات وأهمها مكتبة (آشور بانيبال) التي تضمنت أعدادا كبيرة من الرقم حملت مضامين ومواضيع متنوعة من مختلف العلوم والمعارف كالطب، والفلك، والسحر والرياضيات، والنصوص التاريخية، والدينية وغيرها من العلوم الإنسانية. فهذه المكتبات هي التي حفظت لنا الذاكرة التاريخية والمنجزات الحضارية لبلاد الرافدين [128].

الاستنتاجات

يعد ظهور الكتابة والتدوين من اهم المنجزات الحضارية التي قدمها ابناء الرافدين للعالم والتي ساهمت في حفظ وتوثيق ذاكرتهم الثقافية والحضارية والتاريخية، كما اسهم ظهور وظيفة الكاتب التي هي من اهم الوظائف في بلاد الرافدين في استنساخ العديد من الرُقم الطينية بكل مواضيعها الدينية والأدبية والسياسية والقانونية والمعاملات التجارية والجداول اللغوية وبخاصة ما عثر عليه في مدينة الملك الاشوري آشور بانيبال التي ضمت اكثر من 25 الف رقيم طيني بمختلف المواضيع وعدت هذه المكتبة من اقدم المكتبات ذات التنظيم الدقيق في مجال عملية التصنيف والارشفة.

لقد عني سكان بلاد الرافدين بمسألة حفظ السجلات وترتيبها وتبويبها بشكل منظم من خلال الطرق التي تم ذكرها سابقا ولم يكتفوا بوضع تلك الوثائق والمدونات في مكان واحد او دار سجلات واحد بل صنفوها حسب اهميتها وحجمها لذلك نجد في كل مدينة من مدن بلاد الرافدين دار للسجلات تفرقت بين المعابد والقصور وخزانات الكتب المهمة وبطرق تحافظ عليها فترة اطول.

اتبع العراقيون القدماء طريقة الارشفة المنظمة للكتب من خلال وضع بطاقات تعريفية ضمت عناوين وموضوعات الالواح وما تضمنتها، وهذه الطريقة تعد من الطرق المهمة والمنظمة والتي لا تزال إلى وقتنا الحالي متبعة في اغلب المكتبات، وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على مدى التقدم والرقي الذي وصل اليه سكان بلاد الرافدين في عملية حفظ وتنظيم الوثائق والمدونات الخاصة ب

(126) – فوتيك زاما رومشكي, في البدء كانت سومر ,ترجمة: احمد حسان,ط1,(دمش: د.م,2015م),ص279

(127) – بهيجة خليل، المرجع السابق,ص275

(128) – طه باقرواخرون، المرجع السابق، ج2، 166.

2- العلاقات الثقافية بين أنطاكية والعالم الإسلامي، الأندلس نموذجا(17 هـ - 422هـ)

أ.د خزعل ياسين مصطفى

جامعة الحمدانية / العراق

dr.khazalyasen63@hotmail.com

Abstract

The Islamic cities that have adopted the scientific movement in the Islamic civilization are the main pillar in building the Arab and Islamic identity and have had a course in the formation of a bright image in the structure of human civilization. Intellectual independence and freedom of movement contributed to the acceptance, digestion and assimilation of the old and contemporary ideas and sciences. The world in scientific research and the desire for scientific development contributed significantly to raising the level of education and the state in turn adopted to a large extent to encourage and support those activities, which led to provide a favorable atmosphere in the growth of a scientific renaissance movement, that these data contributed to Remote cultural relations between Islamic cities and opened prospects and hopes for scientists to satisfy those desires and ambition in the knowledge of science and scientific centers in Muslim countries, and Antioch was one of the cities that received a lot of attention for self-reasons will be presented at the time taking advantage of the geographical location of the city and go out to the Islamic world to interact with The civilized society scientifically, materially and culturally and the scientists of the city's role in enriching the Arab civilization, Islamic and human

المقدمة

تمثل المدن الإسلامية التي تبنت الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية الركيزة الأساسية في بناء الهُوية العربية والإسلامية وكان لها مسارها في بلورة صورة مشرقة في بنيان الحضارة الإنسانية، وساهمت الاستقلالية الفكرية وحرية الحركة في تقبل الأفكار والعلوم القديمة والمعاصرة لها وهضمها واستيعابها. إن امتلاك العلماء روحيةَ العالم في البحث العلمي والرغبة في التطور العلمي ساهم إسهاما ملحوظًا في رفع المستوى التعليمي، وقد تبنت الدولة . إلى حد بعيد . تشجيع تلك النشاطات ودعمها؛ مما أدى إلى توفير الأجواء الملائمة لنمو حركة نهضوية علمية. إن تلك المعطيات ساهمت في بناء علاقات ثقافية بين المدن الإسلامية وفتحت آفاقًا وآمالا أمام العلماء لإشباع تلك الرغبات، والطموح في الاطلاع على العلوم والمراكز العلمية في بلاد المسلمين، و كانت أنطاكية من المدن التي نالت قسطا من الاهتمام، لأسباب ذاتية سوف نعرضها في حينها مستغلين الموقع الجغرافي للمدينة والخروج إلى العالم الإسلامي ليتفاعلوا مع المجتمع المتحضر علميا وماديا وحضاريا وكان لعلماء المدينة دورهم في إغناء الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية.

أنطاكية:

تقع مدينة أنطاكية شمال مدينة حلب في بلاد الشام وعلى ساحل البحر المتوسط، وهي من المدن القديمة التي عاصرت مراحل مهمة من الحضارات الإنسانية التي ظهرت في المشرق وآسيا الصغرى، وتعود هذه المدينة إلى عصور قديمة موغلة في القدم، ومن حيث التأسيس يعود بناء المدينة إلى الإمبراطور اليوناني بطليوس بن هيفلوس، وهي محصنة بالأسوار وأبراج المراقبة، والنصارى يدعونها بيت الله أو بيت الملوك، ولأهمية المدينة في الحارة من ناحية الموارد المائية التي جعلت منها مدينة زراعية تمتلك ثروات هائلة من مختلف البساتين المثمرة والأشجار، ونظرا للموقع الجغرافي للمدينة فقد أدت أدوارًا مرموقة في تقبل الحضارات المتعاقبة على المدينة من الحضارة اليونانية والإغريقية والمسيحية إلى الإسلامية، فكانت المدينة تتواكب مع المعطيات الحضارية التي تعم المدينة سواء برغبة أهلها أو رضوخها للأمر الواقع بأن تكون تابعةً لأحدى الإمبراطوريات أو الدول التي تحكمها «1».

وهناك مَن يذهب إلى أبعد من ذلك بأن يعد مدينة أنطاكية من أهم المدن في العالم القديم قاطبة ؛وذلك لما تمتلك المدينة من مميزات، فضلا عن الموقع الجغرافي، لتنال هذه المكانة المعروفة لدى المؤرخين «2».

دور أنطاكية الحضاري :أدت هذه المدينة دورًا حضاريًّا متميزا لأسباب معروفة لدى الباحثين، ويمكن اختصارها بالاتي :

الأهمية الجغرافية : إن للموقع الجغرافي لهذه المدينة الدور في الربط بين الشمال والجنوب وبين العالم القديم والمشرق، وكانت المدينة على مر العصور ممرا آمنا للوفود والقوافل التجارية والسفرية والحجاج القادمين إلى بيت المقدس، فكانت بوابة الحضارة اليونانية والإغريقية والبيزنطية باتجاه الحضارة الإسلامية. أما بلاد وادي النيل والحضارة المصرية فقد كان يجمعهم بأنطاكية البحر المتوسط، وكان لأهل أنطاكية مصالح والمام كامل بالحضارة المصرية ودورها الحضاري في المنطقة «3»، فهي المدينة التي سهلت للقوافل التجارية بكل يسر ان تسير في الطرق الآمنة ذهابا والعودة بكل سهولة ؛على الرغم من أن هذه الرحلات كانت تتأثر بالعوامل السياسية والصراعات بين الدولة البيزنطية والعالم الإسلامي، فإنّ أهل المدينة كانوا لا يفرطون في مصالحهم الاقتصادية إنما استمروا في التعاطي مع كل مستجد على الساحة السياسية.

المكانة الدينية : انطاكية كانت من المدن التي تبنت الديانة المسيحية منذ بداية ظهورها وهي المدينة التي اتخذ المسيحيون لقبهم(بالمسيحيين) وساهمت بسرعة انتشارها وتقبل أهلها للتغيرات العقائدية مما دفع الأسقف القديس بطرس بإنشاء أول أسقفية في المدينة مما جعلهم يقدسون المدينة وأصبح لها شأن ديني متميز «4».

وعندما فتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن خطاب (رض) أصبحت المدينة مركزا مهما للمؤسسة الدفاعية للحدود الشمالية، فقد اهتمت الدولة بها وبحصنها ودعمها بالجنود والأموال والأسلحة لتأخذ دورها في مراقبة الحدود والدفاع عنها «5»، ولما غزا معاوية بن أبي سفيان عمورية سنة 25 هـ وجد أن أنطاكية خالية من الجند فأسكن فيها جمعًا من الجند من أهل بلاد الشام وقنسرين والجزيرة وميزهم في العطاء وبنى مسجدا في المصيصة وهي إحدى نواحي أنطاكية «6»، وبما أن المدينة كانت مركزا حضاريا وممرا للعلوم اليونانية إلى الشرق فقد اهتمت أيضا بالعلوم الإسلامية من مختلف الجوانب فأدت دورا مهما في ترجمة الكتب اليونانية والإغريقية واللاتينية إلى العربية وبالعكس، فأضافت العلوم لها أدوارا جديدة في توجهاتها الفكرية، حتى غدت المدينة مقصد العلماء لتلقي العلوم العقلية ومنها الطبية التي كانت للمدينة علماؤها في مجالات المعرفة المختلفة«7».

الأهمية التجارية:

لم تتأثر تجارة مدينة أنطاكية بالأزمات العسكرية التي شهدتها الصراعات بين الدولة البيزنطية والخلافة الإسلامية؛ لأن التجارة كانت العمود الفقري في عيش واستقرار السكان من مختلف القوميات والأديان، فكان لابد من الاستمرار في التجارة بل على العكس فإن تجار الحروب استغلوا تجارة الجواري والغلمان التي كانت رائجة حتى في الأزمات والحروب واختصر ميناء أنطاكية الطرق البحرية والمسافات للمسافرين والرحالة عن طريق البحر المتوسط إلى مصر، ومن ث مإلى بلاد المغرب ومنها إلى الأندلس، أو عن طريق جزيرة صقلية وجزر ميورقة ومنورقة، وثم إلى الأندلس، وساهمت أيضا في تخفيف أعباء السفر في حالة الأسفار التجارية من خلال الرحلة عن طريق البر باتجاه مصر والمغرب، حتى غدت مدينة أنطاكية من المراكز التجارية العربية وموانيها أسوة بالمدن العربية الأخرى ولا سيما في القرن الثالث الهجري.

أنطاكية في ظل الخلافة الإسلامية :

إن فتح مدينة أنطاكية جاء نتيجة ملاحقة الجيش الإسلامي للفلول المنهزمة من الجيش البيزنطي باتجاه الشمال حتى وصول المسلمين إلى أسوار المدينة، حيث فتحت بعمليات عسكرية تكاد تسكت عنها المصادر التاريخية؛ لمحدودية تلك العمليات ولوجود مهام عسكرية أكثر تأثيرا على المستوى العسكري خاصة في الجبهات الشرقية التي كانت تدار فيها عمليات كبرى لإلحاق الهزيمة بالدولة الفارسية، حيث فتح المدينة القائد أبو عبيدة الجراح سنة (15 هـ / 636 م) واستمرت الحملات العسكرية باتجاه أنطاكية لتعزيز الوجود الإسلامي، ودرء خطر البيزنطيين الذين كانوا يشكلون خطرا حقيقيا على وجود المسلمين قريبين من العاصمة القسطنطينية فكانت المخاطر قائمة ؛لأن الدولة البيزنطية كانت تعد بلاد الشام جزءا مهما من أراضيها ولا يمكن التخلي عنها مهما كانت العواقب، واهتم الولاة والخلفاء بهذه المدينة حيث أسكنوا مسلمين من مختلف الولايات لدعم استقرارها، وأقطعوا لهم القطائع وأجزلوا لهم العطاء، ومنهم من رابط في سبيل الجهاد، ومنهم من ارتضى أن تكون مصدر رزقه هناك لغناء المدينة بالموارد الزراعية والتجارية، وفي سنة (358 هـ) استولى عليها البيزنطيون وبقي المسلمون يعيشون فيها على الرغم من موافقتهم على دفع الجزية، ولم يغادروها«8»، وأدت فكرة استقرار المسلمين في أنطاكية إلى إنشاء فئة من المسلمين المرابطين في الثغور والعارفين علوم الدين و الشريعة الإسلامية لتصبح المدينة حاضنة للعلوم المختلفة، وذكر ياقوت الحموي (626هـ/1288م) أن المدينة كانت زاخرة بأهل العلم والذكر وترجم لهم مع ذكر رحلاتهم الى المراكز العلمية في الشام والعراق والجزيرة العربية ومصر والمغرب و الأندلس «9»، والمدينة اشتهرت بعلم الفلك وبناء مراصد فلكية فيها، وأصبحت من المعالم الحضارية، وازدهرت فيها العلوم المختلفة التي نقل علومها المسلمون إلى الشام ومصر. وكانت بلاد الأندلس لها الحظوة في تلقي هذه العلوم من طلاب العلم الأندلسيين وغيرهم من علماء المشارقة الذين دخلوا الأندلس «10».

يعد الاستقرار الذي ساد المدينة وانتعاش جوانب الحياة المختلفة والحياة العلمية من أروع الأمثلة التي ضربها أهلها في التعايش السلمي والتقدم العلمي إذ أصبحت المدينة مقصد العلماء باعتبارها البيئة التي ورثت علوم الإغريق واليونان، وتبنت ترجمة الكتب والمعارف وتبادل العلوم وتدريسها في حلقات ومدارس خاصة في المدينة، وبعد استقرار الأوضاع السياسية في المدينة لمصلحة الخلافة الإسلامية عاد قسم كبير من النصارى ليسكنوا في أنطاكية وينعموا بالإسلام مع المسلمين، وظلوا جزءا من المجتمع الإسلامي في المدينة «11»، مما أدى إلى ظهور مجموعة من العلماء فيها تبنوا دمج الأفكار والعلوم وحملها إلى المدن الإسلامية المعروفة بالحلقات الدراسية منها دمشق وطرابلس وبغداد ومكة المكرمة والمدينة المنورة وحتى الأندلس؛ لذلك نجد هناك مجموعة كبيرة من العلماء الذين

يحملون لقب الأنطاكي ينتشرون في المدارس الإسلامية للتدريس والسماع وخاصة دمشق التي تبنت احتضان علماء المدينة وهي الأقرب اليهم، ومن ثم استغلال الحلقات الدراسية في دمشق للتعريف بعلماء المدن الأخرى التي تهتم بالعلوم.

دمشق امتداد لأنطاكية : تعد مدينة دمشق من المدن الإسلامية التي اشتهرت بالحلقات الدراسية والاهتمام بالعلم والعلماء، ويصف الرحالة ابن جبير من زيارته إلى مدينة دمشق مدى اهتمام أهلها بالعلم والعلماء وحلقات الدرس ونظم التعليم في المراحل المختلفة مما جعل من مدينة دمشق مقصد العلماء ولأهل أنطاكية خاصة للاستقرار والدراسة «12».

ولعل من أبرز العلماء الذين يحملون لقب الأنطاكي هو الشيخ إبراهيم بن عبد الرزاق الأزدي العجيلي، أحد القراء المشهورين في المدينة، الذين عاشوا في دمشق وسمعوا من مشايخها وله مؤلف في القراءات يشمل القراءات الثماني، وتوفي بأنطاكية سنة(339 هـ/950 م)، وإلى جانبه كان هناك الكثير من العلماء الذين اشتهروا بالقراءات إلا أن إبراهيم كان عالما كثير الرواية في القراءات السبعة «13».

أنطاكية عند الأندلسيين:

من المعروف لدى الباحثين والدارسين للتاريخ الأندلسي اتباع أهل الأندلس في علومهم الشرق في دراستهم ومذاهبهم الفكرية لأسباب تتعلق بأصولهم المشرقية وإيمانهم بأن العلوم في الشرق و مدارسه، فضلا عن أن الفاتحين الذين استقروا في الأندلس كانوا يحملون عددا من العلوم الدينية والشرعية، إلا أن الاستقرار كان يتطلب السير مع العصر واللحاق بركب العلم، وعرفوا بحبهم للعلم وأهله، والإكثار في طلبه والتغرب من اجل زيادة المعرفة والتبحر في العلوم «14»، ووصفهم ابن غالب الأندلسي «15» (بأنهم هنديون في فرط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وهم أشد الناس بحثا عليها وأصحهم ضبطا وتقيدا ورواية لها وخاصة لكتاب الله وسنة نبيه (ص))، وقد حرصوا على طلب العلم بالجهد وبذل الأموال فكان الذي لا يتفوق بالعلم عليه ان يبذل جهده في الفنون الأخرى، فالعالم مكرم بين أقرانه وأهل الأندلس، ولذلك كانوا يرون أن العلمَ طريقٌ للوصول إلى مراتب في الدولة وأن صاحبه ينال الاحترام والتقدير من الأمراء والعامة من الناس وشمل هذا الاهتمام كل المدن الأندلسية فكانت مدن الأندلس تتفاخر فيما بينها بعدد العلماء في مدينتهم فمدينة البيرة كانت تتفاخر باجتماع سبعة رواة للحديث في مدينتهم «16» وقد تأثرت الحركة العلمية في الأندلس بالشرق وذلك لعوامل عديدة منها الوفود التي كان يرسلها الخلفاء الأُمويون إلى المشرق لأسباب عديدة والرحلة في طلب العلم من قبل العلماء الأندلسيين فكانوا يحملون العلوم المختلفة والعادات والتقاليد المشرقية التي يهواها الأندلسيون باعتبار مقر الخلافة الإسلامية في بغداد، وكذلك دخول العديد من العلماء الى الأندلس والاستقرار فيها لمكاسب مادية ومعنوية ومكانة اجتماعية، فضلا عن التجارة التي أغنت الأسواق الأندلسية بالكتب والعلوم المروية على ألسن العلماء أو التجار الذين استغلوا التجارة في مكاسب علمية لرواج أسواقها في الأندلس ونشر المؤلفات المشرقية في الحلقات الدراسية ودور العلماء والمكتبات، ولا ننسى دور الأمراء وتشجيعهم للعلماء وشراء الكتب منهم وتأسيس مكتبة أموية في العاصمة قرطبة وهي من أكبر المكتبات التي احتوت على أمهات الكتب من مختلف العلوم «17» .

وقد ساهمت الرحلات العلمية في تنشيط الحركة العلمية في الأندلس. ومنذ توجههم نحو طلب العلم واعتماد الطلبة الأوائل على الرحلات العلمية بشكل كبير وبدخول القرن الثالث الهجري اتسعت الرغبة لتشمل معظم أبناء الأندلس وتطلعوا إلى المراكز العلمية في بلاد المسلمين والمدن التي سبقت الأندلس في طلب العلم «18»، فكانت الرغبة جامحة عندهم في إكمال دراستهم والاطلاع على العلوم

والمعارف وقد أدت تلك المراكز أدوارا معينة وباتجاهات مختلفة، مما أثر في طلابها ومنهاج دراستهم ومن خلال عدة عوامل منها أهم العلوم ونوعيتها التي انعكست بدورها على الحركة العلمية وكذلك العلماء الذين تتلمذوا على أيديهم وأفكارهم وعلومهم والمؤلفات التي حملوها أو اشتروها في المراكز العلمية «19» .

واستغل أهل الأندلس حرية الرحلة والتنقل في الخلافة الإسلامية وعدم وجود ما يمنعهم من التنقل من مدينة إلى مدينة والبحث عن العلماء والعلوم المتيسرة، ولقاء ابرز الشيوخ، ولعل من أبرز المدن التي قصدوها في رحلاتهم العلمية القيروان ومصر والإسكندرية ودمشق وطرابلس والمدينة المنورة ومكة المكرمة وبغداد والبصرة والكوفة والموصل واينما يوجد عالم يتم شد الرحال إليه للسماع منه، وكانت أنطاكية من المدن التي اشتهرت في اهتمامها بالعلوم العقلية إلى جانب العلوم الدينية، فقد تتلمذ مجموعة من العلماء المهتمين بعلم الطب بالرحلة إلى مناطق أنطاكية ونواحيها لتلقي تلك العلوم «20» .

فقد سمع محمد بن عيسى البياني الأندلسي من أبي عمران موسى بن القاسم الأشيب بالمصيصة (*) وهي مدينة بين أنطاكية وبلاد الروم وهو من العلماء الذين تنقل بين المدن الإسلامية ومنها خرسان «20» ، وسمع محمد بن وضاح القرطبي من يعقوب بن كعب الأنطاكي ولم يبين ما اخذه بن وضاح منه من العلوم «22»، وسمع محمد بن عبد الله بن محمد البهراني المؤدب من أبي الحسن الأنطاكي «23»، وسمع محمد بن محمد بن خيرون المقرئ في مصر من علي بن محمد الأنطاكي «24»، وسمع عبيد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي في طرابلس من محمد بن يحيى المصيصي «25»، وفي طرابلس سمع محمد بن عبد الملك بن ضيفون بن مروان اللخمي القرطبي من يحيى بن دحمان المصيصي «26»، ومن خلال المعطيات هذه يبدو واضحا أن مدينة أنطاكية حازت على المكانة العلمية بين المدن الإسلامية وفي استقبال الطلبة من كل حدب وصوب وكان تركيز الطلبة على العلوم العقلية من الفلسفة والطب والفلك بعد انشاء المراصد الفلكية فيها «27»، وبما أن المدينة هي من المدن الرومانية فقد كانت زاخرة بالعلوم وهي تعد من المدن التي ورثت بقايا علوم الرومان واليونان والإغريق، وأضاف أهل أنطاكية إلى معارفهم ما تلقوه من خلال رحلاتهم نحو المراكز العلمية في الشام والعراق والجزيرة العربية ومصر والمغرب و الأندلس «28» .

وكان من العلماء الذين يحملون اللقب الأنطاكي حيث ترك أثرا علميا في التواصل الحضاري بين الأندلس وأنطاكية علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشير ابو الحسن التميمي

ولد فيها سنة (299 هـ) وترعرع ونشأ نشأة علمية بين الحلقات الدراسية المختلفة فكانت أمامه خيارات عديدة في تلقي العلوم حيث تعلم العربية وعلوم القرآن والحساب «29»، ودرس على يد أمهر العلماء إلا أنه اهتم بالعلوم الدينية وخاصة علم القراءات متأثرا بأستاذه الشيخ إبراهيم بن عبد الرزاق الأزدي العجيلي، أحد القراء المشهورين في المدينة وهو أحد أعلام أنطاكية في علم القراءات سكن مدة زمنية في دمشق وأخذ منه علماء علومه وتوفي في أنطاكية سنة (339 هـ/950 م) وأخذ عنه علوما جمة واختص برواياته في القراءات ورواها في حلقاته المختلفة سماعا منه وكذلك أخذ عنه علم الفقه على مدرسة الشافعي «30» .

ومكث في مدينة أنطاكية كاسبا قوته على العمل في الغزل وعاش على ما جناه من بيع الغزول في الأسواق «31»، وبعد إكمال دراسته في أنطاكية انطلق باتجاه المدن الإسلامية المشهورة بمدارسها العلمية منها بغداد ودمشق ومدن أخرى متخصصا بالقراءات حاملا روايات أستاذه في القراءات إبراهيم الأنطاكي الذي لازمه ما يقارب ثلاثين عاما متخذا من رواية ورش عن نافع بن نعيم المدني * في

القراءات أساس علمه واهتمامه وأخذ عنه جماعة ما حمله من تلك الروايات «32»، ودرس في دمشق وسمع من رجالها ثم غادر باتجاه مصر باحثا عن علومها ومصادر الرزق هناك ونال الشهرة بمصر في علم القراءات برواية ورش الشهيرة لدى أهل مصر والمغرب العربي والأندلس «33»، وبما أن مصر كانت ممرا للأندلسيين الرحالة باتجاه المشرق فقد اصبحت مقرا مهما علميا لاستقبال طلاب العلم من كل مكان، و كان الأندلسيون يجدون فيها مقاصدهم العلمية، وشاءت الاقدار ان بعض طلبة العلم ، من الأندلسيين الذين سمعوه، نقلوا خبر أبي الحسن الأنطاكي المقرئ إلى الخليفة الحكم المستنصر وكانت الساحة الأندلسية آنذاك بحاجة إلى علماء في علم القراءات مما اهتم بأمره وأرسل مبعوثا إليه يطلب منه القدوم إلى الأندلس والاستقرار، ووعده بمكانة لائقة به، بديلا عن أحمد بن عمر بن أبي الشعري الذي توفي سنة (350هـ)، فكان لابد من الاهتمام به «34» ولا ننسى أن الأندلس كانت تعيش في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي عصرا ذهبيا من حيث الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي وكان عدد غير محدود قد توجه نحو الأندلس باحثا عن المكانة والعيش الرغيد في كنف الخلفاء الأمويين في الأندلس فهناك مجموعة من العلماء المشارقة استقروا في الأندلس ونالوا الحظوة من قبل المجتمع الأندلسي وأصحاب القرار في قرطبة «35» .

شد أبو الحسن الأنطاكي الرحال نحو الأندلس بعد إقناعه من قبل الأندلسيين للتوجه نحو الأندلس حاملين رسالة من الخليفة الحكم المستنصر متضمنة الوعود والعهود بالمكانة والرفعة في مجالسه والحياة الكريمة في الأندلس «36»، ساهم أبو الحسن في نشر علم القراءات وعلوم القرآن من خلال ما كان يحمله من مرويات عن أستاذه إبراهيم بن عبد الرزاق الأنطاكي الذي لازمه في أنطاكية ودمشق ما يقارب ثلاثين سنة ورى عنه كل ما كان يحمله من القراءت وعلم الفقه على المدرسة الشافعية ويبدو أن ساحة الأندلس العلمية كانت آنذاك بحاجة إلى علماء مشهورين يحملون علم القراءات بكل الروايات المشهورة عن القراء السبعة المعروفين في المراكز العلمية، وتمكن من خلال سنوات معدودة أن يحظى بمكانة مرموقة فسمع منه جمع غفير من القراء الأندلسيين وأصبح هو المقصد الرئيسي في السماع دون تحمل أعباء السفر إلى المشرق للسماع فقد وجدوا عنده ما كانوا يبحثون عنه في المشرق، فضلا عما لمسوه منه من صدق الرواية والثقة مما جعل الحكم المستنصر يهتم به بعد الزيارة التي قام بها للحلقة الدراسية في قرطبة «37» .

وكان من ثمرة جهوده في الأندلس المؤلفات الخاصة به في علم القراءات إذ ألف مصنف (الأصول في قراءة ورش) ويعد من المصنفات المفقودة التي لم تصل إلينا، فضلا عن علمه في الفقه الشافعي وكان له طلابه في الرواية عنه «38»، فقد أخذ عنه كل من محمد بن عبد الله المقرئ المتوفى سنة (448 هـ/ 1056م) ويعد أحد المقرئين الذين عاشوا طويلا وسمع الناس عنه وخاصة مصنفه (رواية ورش) ، كذلك أخذ عنه أحمد بن عبدالله بن أبي عيسى بن المعافري المقرئ المتوفى في سنة (329هـ/ 940 م) «39»، وأخذ عنه ايضا عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن ابو المطرف الأنصاري القرطبي الفقيه المالكي ما كان يملكه في علم القراءات «40»، ومن خارج قرطبة أخذ عنه كل من أحمد بن عبد القادر بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الأموي المتوفى سنة (420هـ/ 1029 م) أخذ عنه القراءات «41»، وأحمد بن سعيد بن عبد الله بن خليل الأموي !!المكتب!! المتوفى سنة (428هـ/ 1036 م) «42»، ومحمد بن عيسى بن محمد بن عيسى الأموي، و حكم بن أحمد بن عيسى الطالقي «43»، أما ابن الفرضي وهو عبد الله بن محمد يوسف الأزدي الذي ترجم له في كتابه تاريخ علماء الأندلس قسم الداخلين إلى الأندلس فقد كتب عنه بشكل مفصل وذكر ما أخذ عنه من العلوم «44» .

لم يكن أبو الحسن مهتما بعلوم القرآن والقراءات فقط، بل كان ملما بكثير من العلوم العقلية ومنها

الحساب التي كان قد اطلع عليها في أنطاكية فقد جلس لتدريسه وأخذ عنه عدد غير قليل من الأندلسيين ، وكذلك اهتم بالعربية فقد كان ملما بها وجلس ليسمع الطلبة من ما يحمله من الأشعار والأدب المشرقي وله نظم في الشعر بين ثنايا الكتب الأدبية ويشار إلى أنه كان ينظم الشعر ويحفظ الروايات الكثيرة «45» .

عاش أبو الحسن الأنطاكي في الأندلس واستقر فيها إلى أن توفي سنة (377هـ/ 987م) تاركا مجموعة من الطلبة الذين حملوا عنه علومه في القراءات والحساب والعربية والشعر إلا أننا لم نجد له صدى في علم الفقه على الرغم من أنه كان له اهتمام في الفقه الشافعي ولا نستغرب عدم نشر علمه في الفقه إلى تبني أهل الأندلس المذهب المالكي مما !!احترم!! توجهات أهل الدار والسلطة التي كانت تدافع عن المذهب المالكي بكل قوة وتمنع من تعليم الفتيه غير المذهب الرسمي للدولة ولا نستبعد انه نقل الكثير من العادات والتقاليد الأنطاكية إلى الأندلس مما وجد أهل الأندلس في ثقافته وعلمه جانبا من التميز والاختلاف ونال الحظوة والمكانة خلال المدد التي عاشها في الأندلس «46».

الخلاصة: مما لاشك فيه أن الحضارة الإسلامية كان لها نصيب في بناء الحضارة الإنسانية، وكانت المدن الإسلامية الجزء الفاعل في توضيح الصورة، فقد ساهمت في إيجاد فرص العمل للعاملين في سلك التعليم وبناء المدارس في الأحياء والمساجد لتبني صرحا علميا بارزا، وقد ساهمت مدينة أنطاكية بدورها بنصيب من العلوم التي فتحت أبوابها أمام طلبة العلم لينالوا من العلوم المشرقية والبيزنطية واليونانية والإغريقية، وسخروا العلوم الإسلامية في خدمة العلوم والعلماء حتى أضحت مدينة أنطاكية مركزا علميا في المحافل الدولة في عصور مختلفة، وخرجت جموع علماء المدينة لينتشروا في المدن الإسلامية علومهم، والدراسة على أيدي علماء آخرين لتطوير إمكانياتهم وأصبحوا رسل السلام والحضارة ليجمعوا بين الأضداد في الحلقة الدراسية الواحدة .

الهوامش

1/ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984 :ص39 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، مجلد 1 :ص 266 .

2/ راغب السرجاني، التاريخ الإسلامي دون تشويه أو تزوير، مقالة https://islamstory.com/ar/artical/20202/

3/ الحميري، الروض المعطار، ص : 39 ؛ إسماعيل ياغي، أثر الحضارة الإسلامية في الغرب ، مكتبة عبيكان، الرياض، 17+19 : ص 27

4/ السرجاني، التاريخ الإسلامي :ص 1 https://islamstory.com/ar/artical/20202

5/ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987: ص 223- 228

6/ المصدر نفسه : ص 225

7/ أحمد بن قاسم ابن أبي اصيبعة، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار الحياة، بيروت، 1965، ص 171 و ص 323

8/ الحميري ، الروض المعطار : ص 38 ؛ السرجاني، مرجع سابق : ص1

9/ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد 1 ص 227.

10/ يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة وحسين مؤنس، دار الثقافة، القاهرة، 1968، ص334 .

11/ محمد بن علي الخوارزمي، مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق القاهرة، ص 368.

12/ محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت، ص 244- 245/ ؛ السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، ص 159.

13/ أبو الوليد عبدالله بن محمد ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة 1989،ج1 ص361.

14/ شمس الدين بن أحمد المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق ذي غوبة، ليدن، 1906 : ص 236

15/ محمد بن ايوب بن غالب الأندلسي، فرحة الانفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1955، مج 1: ص 281
16/ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1 ص18–17 ؛ وينظر مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، بيروت 1983، : ص18
17/ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة، 1986: ص321
18/ صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، تحقيق محمد بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، 1967، ص : 84
19/ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت : ص 541.
20/ ابن صاعد، طبقات الأمم، ، ص 171 و ص 323
21/ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1 : ص 712 ؛ الحموي، معجم البلدان، 4 : ص 558.
22/ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1 : ص 651.
23/ المصدر نفسه : ص 781
24/ المصدر نفسه : ص 799
25/ المصدر نفسه : ص 573
26/ المصدر نفسه : ص 797
27/ ابن أبي أصيبعة، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، 1965 : ص 171 و ص 323.
28 / فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص334 .
29/ ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج1 ص361 ؛ الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، ، طبقات الشافعية، بغداد، مطبعة الرشاد، 1970، ج1 ص 66 .
30/ ياقوت الحموي، معجم البلدان مج1 ص215 ؛ شمس الدين الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج براجستراسر، بيروت، 1980 :ج1 ص 16.
31/ السبكي، مصدر سابق ج2 ص 313.
/ رواية ورش : هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان، ولقبه الذي اشتهر به ورش. شيخه هو الإمام نافع وهو الذي لقبه بورش، ويقال أن نافع لقبه بالورشان وهو طائر معروف، مأخوذ من https://ar.wikipedia.org/wiki.
32/ علي بن الحسين ابن عساكر ، تاريخ دمشق، تحقيق علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث، بيروت، 2001، ج5 ص 76 و ص226 ؛ السبكي، مصدر سابق، ج1 ص 564 ؛ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، تحقيق فوائد السيد، الكويت، 1961؛ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العرب، بيروت (د.ت)، مج 4 ص205 ومج 5 ص226 ؛ المقري، نفح الطيب ج4، 141 ؛ السبكي، مصدر سابق، ج1 ص 564 ؛ الذهبي، العبر، ج 3 ص5 ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، مج 4 ص205 ومج 5 ص226 ؛ أحمد بن محمد المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج 4 ص: 141
33 / ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1 ص 361؛ الجزري، غاية النهاية، ج1 ص 564؛ الإسنوي، مصدر سابق، ج1 ص 66 ؛ صلاح الدين المنجد، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، بيروت، 1963، ص57
34/ أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ج2 ص 541 ؛ ابن الابار، محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ج1 ص202.
35/ ابن الفرضي، مصدر سابق، ج1 ص 361 ؛ الجزري، غاية النهاية، ج1 ص 564 ؛ الإسنوي، مصدر سابق، ج1 ص 66 ؛ المنجد، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، ص57
36/ ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج1 ص 361 ؛ الذهبي، العبر، ج3 ص5
37/ ابن عساكر، المصدر السابق، ج46 ص106 ؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، المكتبة العربية، دمشق، 1959، ج7 ص 184 ابن بشكوال، الصلة، ج1 ص29.
38/ ابن الآبار، التكملة، ج1 ص9 ؛
39/ شمس الدين أحمد بن محمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتب، بيروت، 1987، ج28 ص 322
40/ ابن بشكوال، مصدر سابق، ج1: ص 79.
41/ المصدر نفسه، ج1 ص 80 .
42/ ابن بشكوال، مصدر سابق، ج1 ص: 240 وج3 ص: 783 .

43/ ابن الفرضي، مصدر سابق، ج1 ص 361؛ ابن حيان، المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب، بيروت، 1973، ص 10 – 12.

44/ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص69 ؛ عبد الملك بن محمد الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، تحقيق مفيد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج1 ص 357

45/ ابن الفرضي، مصدر سابق، ج1 ص 36

ثَبَتُ المصادر والمراجع :

1- ابن الابار، محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1963

2- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن قاسم، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار الحياة، بيروت، 1965

3- الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، ، طبقات الشافعية، بغداد، مطبعة الرشاد، 1970

4- ابن بشكوال،، ابن القاسم خلف بن عبد الملك، كتاب الأصلة، تحقيق إبراهيم الابياري، القاهرة، 1989

البغدادي، أحمد بن علي الخطيب، تاريخ بغداد، دار الكتاب العرب، بيروت، (د.ت) 5-

6- البَلاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله انيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987

7- الثعالبي، عبد الملك بن محمد، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، تحقيق مفيد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983

8- الجزري، شمس الدين، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج براجسترابر، بيروت، 1980

9- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت

10- الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، **1984**

11- ابن حيان، المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي،، ، دار الكتاب، بيروت، 1973

12- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار الفكر، بيروت

13- الخوارزمي، محمد بن علي، مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق القاهرة

14- الذهبي، شمس الدين أحمد بن محمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتب، بيروت، 1987

15- السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة، 1986

16- السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، دار المعارف ، بيروت

17- السرجاني، راغب، التاريخ الإسلامي دون تشويه او تزوير، مقالة https://islamstory.com/ar/artical/20202/

18- الشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسي، بيروت، 1983

19- ابن صاعد، صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، تحقيق محمد بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، 1967

20- الضبي، أحمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967

21- ابن عساكر، علي بن الحسين، تاريخ دمشق، تحقيق علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث، بيروت، 2001

22- ابن غالب، محمد بن أيوب الأندلسي، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1955.

23- ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة 1989

24- فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة وحسين مؤنس، دار الثقافة، القاهرة، 1968.

25- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت.

26- المقدسي، شمس الدين بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق ذي غوبة، ليدن، 1906.

27- المنجد، صلاح الدين، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، بيروت، 1963.

28- ياغي، إسماعيل، أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، مكتبة عبيكان، الرياض صحيفة الرياض (السعودية)، العدد 15824, 21 آذار تشرين الأول 2011.

29- صحيفة الشرق الأوسط (طبعة لندن) , العدد 14251، 4 كانون الأول، 2017.

3-مراحل تطور اتجاهات الوعي القومي العربي في بلاد الشام حتى عام 1920

م. د منير عبود جديع/ جامعة الأنبار/ كلية الآداب-قسم التاريخ

com.gmail@munerabood76

المستخلص

ظهر جليا مراحل تطور الوعي القومي العربي خلال اواخر القرن التاسع عشر في الوقت الذي كان فيه العرب في المشرق والمغرب لم يندمجوا في هذا الوعي. كان هناك اسباب جعلت لبلاد الشام اسبقية في هذا التقدم لان المغرب العربي كان منشغلا بحركات التحرر من السيطرة الفرنسية آنذاك، اما المشرق العربي فقد كان تحت السيطرة العثمانية ولمدة طويلة مع ظهور تنافس دولي وانقسام املاك الدولة العثمانية. وهنا ظهرت فكرة التطلع في المطالبة بالإصلاح والاستقلال.

مرت مراحل تطور الوعي السياسي في بلاد الشام بعدة مراحل. كانت المرحلة الاولى من عام 1880م الى 1914 م تبلورت متأثرة بما جرى في أوربا من تطورات سياسية مهمة منها تطور التعليم والثورة الصناعية، وانتج هذا ظهور بعض الجمعيات السرية في مقدمتها جمعية بيروت التي تأسست عام 1880م والتي اسهمت في تطور الوعي الفكري والثقافي السياسي العربي إذ اقدمت على ارسال بعض الرسائل الى القنصل البريطاني آنذاك، وعلى الرغم من دورها غير الكافي الا انها كانت الحركة الاولى والصوت باتجاه استنفار الحركة العربية، وما طرحته كان تطورا كبيرا في وضعها السياسي آنذاك، أما المراحل الاخرى ومساراتها فكانت تمثل ايضا تجربة فريدة باتجاه تطور الوعي القومي العربي. وكانت هذه الاسباب وراء اختيار هذا البحث الذي يتناول حقبة مهمة من تاريخ نشوء الحركة السياسية والوطنية في بلاد الشام.

تم تقسيم البحث إلى عدة محاور. ضم المحور الاول التتبع التاريخي لبلورة الفكر واتجاهات الوعي العربي وصولا الى مراحل متقدمة ولاسيما في المراحل الاولى من السيطرة العثمانية وصولا الى السيطرة الأجنبية. اما المرحلة الثانية فتمثل ما بعد السيطرة الاجنبية وظهور عدة جمعيات ومنتديات استقطبت الرموز المهمة وتناولت الكثير من القضايا العربية.

Abstract

The stages of the development of Arab national awareness during the late nineteenth century appeared clearly at the time when the Arabs in the Levant and the Maghreb did not merge in this awareness. There were reasons that made the Levant take precedence in this progress because the Arab Maghreb was preoccupied with the liberation movements from French control at the time. Al-Arabi was under Ottoman control for a long time and the emergence of international competition and the sharing of the property of the Ottoman Empire, and here the idea of aspiration to demand reform and independence emerged.

The stages of development of political awareness in the Levant passed through several stages. The first stage was from 1880 to 1914, crystal-

lized by its impact on important political developments in Europe, including the development of education and the industrial revolution. This produced the emergence of some secret societies, particularly the Beirut Association, which was established in 1880, which contributed to the development of Arab intellectual and cultural political awareness, as it proceeded to send Some of the messages to the British consul at the time, despite its inadequate role, but it was the first movement and voice towards mobilizing the Arab movement and what it presented was a great development in its political situation at that time. As for the other stages and their paths, they also represented a unique experience towards the development of the Arab national consciousness.. These reasons were behind the choice of this research, which deals with an important era in the history of the emergence of the political and national movement in the Levant

The research has been divided into several axes that represent the first axis, the historical tracking of the crystallization of thought and the trends of Arab awareness, up to advanced stages, especially in the early stages of Ottoman domination and up to foreign domination. As for the stage it represents after foreign domination and the emergence of several associations and forums that attracted important symbols and addressed many issues Arabic

المراحل الاولى لتطور الاتجاهات القومية

المرحلة الاولى من تطور الوعي القومي في القرن التاسع عشر هي مرحلة السيطرة العثمانية على الوطن العربي وكانت بلاد الشام منها[129]، فقد كان العرب في المشرق والمغرب غير مندمجين في هذه المرحلة لاسيما المغرب، نتيجة نظالهم ضد الاحتلال الفرنسي اذ احتلت فرنسا الجزائر عام 1830م و تونس 1918م و المغرب 1912م، واحتلت ايطاليا ليبيا عام 1912، وسيطرت بريطانيا على مصر عام 1882م[130].

وبقي المشرق العربي تحت السيطرة العثمانية، وبعد خسارة الدولة العثمانية الحرب برز التنافس الاستعماري على تركة الدولة العثمانية والخلاف على تلك التركة، وان تطلع العرب إلى مطالبة السلطات العثمانية بالاصلاحات المهمة والمطالبة بالحكم والاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية كان في مقدمة العوامل الخارجية، فقد اتجه العرب صوب بريطانيا وفرنسا اعتمادا على ان هذه الدول سوف تساعدها في التخلص من الحكم العثماني، ومما تقدم فان المشرق كان امام اتجاهات متباينة

(129) كان المماليك الجزء الغربي من المشرق العربي ويضم بلاد الشام ومصر والحجاز واتجه العثمانيون بعد انتصارهم على الدولة الفارسية في موقعة جالديران 1514 إلى التوسع على حساب المماليك وتهديدها لحدود الاخيرة , سيطرة العثمانيين على بلاد الشام بعد معركة مرج دابق 1516. ينظر للتفاصيل عبدالكريم رافق, بلاد الشام ومصر , منذ الفتح العثماني حتى حملة نابليون بونابرت , دمشق 1968, ابراهيم خليل احمد , تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916 , دار ابن الاثير للطباعة والنشر , الموصل , 2005 , ص52-34

(130) ينظر التفاصيل، جلال يحيى المغرب العربي والاستعمار القاهره 1966، ص 33 - 82.

تمثلت في البداية بظهور الوعي القومي الذي اتجه صوب بريطانيا وفرنسا من اجل الاستقلال عن الدولة العثمانية ومقاومة سياساتها وقد تنبه الوعي القومي العربي الى الاخطار الاجنبية في المغرب فقد اسهمت التنافسات الاستعمارية في المشرق في زياده الوعي القومي العربي حيال الاخطار الخارجية وقد اختلف الوضع القومي بين المشرق والمغرب نظرا لاختلاف الاوضاع بين المشرق والمغرب، وكان للهيمنة الخارجية والمحاولات الاستعمارية اثر واضح في تطور الفكر القومي العربي في منتصف القرن التاسع عشر وهذه هي البذور الاولى والاصول للفكر القومي العربي. ان المتتبع لفكرة القومية العربية من عام 1880 الى 1914 يجد انها مرت بمراحل وعي متباينة، فضلا عن ذلك فإنها تاثرت بالتطورات الداخلية في اوروبا فقد انتشر التعليم في اوروبا وظهرت الثورة الصناعية وكانت الملامح الاولى لهذه الاتجاهات تاسيس جمعية بيروت العربية عام 1880 التي كان لها الاثر في التقدم الفكري، وقد ترجم هذا التقدم عن طريق الرسائل التي ارسلت الى القنصل البريطاني في ذلك الوقت فضلا عن المنشورات الثورية التي وجهت الى الشعب العربي[131] وعلى الرغم من الاختلاف في تاسيس هذه الجمعية الا انها تعدت حالة تنبيه افرزتها الحركة العربية كونها اقدم واول جمعية عربية. كان الهدف السياسي غايتها الاولى وما ضمنته من تهديد بقيام ثوره مسلحة اذا اقتضت الضرورة في وقت لم تكن فيه الامة مهيأة لوحدة الكلمة والصف في تلك المرحلة [132] حيث اسهمت النهضة الثقافية والاجتماعية التي ظهرت من خلال حركة الاحياء العربي فقد خرجت الجمعية من محيطها الضيق وحصلت على جانب كبير من التأييد والزخم مستفيد من أوضاع 1860 ومستغلة العوامل والظروف الروحية غير متاثرة بالمطالب الاقتصادية والسياسية وأخذت هذه الحركة قسما من افكارها من محيطها وامضت فيه وقتا قبل ان تتوجه الى الغرب باستعارة المبادئ والنظريات السياسية هناك[133]. رافق هذا الجهد حملة من التوعية الاعلامية في الصحف. كان في مقدمة هذه الصحف ابو الهول والمنار والكرمل وفلسطين و المقتبس والاقدام وغيرها من الصحف العربية المنتشرة في العراق وبلاد الشام ومصر ولم تقتصر التوعية على نشر مقالات بل اتجهت نحو تأليف كتب تناولت فيها خطورة هجرة الحركة الصهيونية على الامة العربية ودعت الى ايجاد مواقف موحدة، وكان في مقدمة هذه الشخصيات نجيب عازوري [134] فقد الف كتابه يقظة الامة العربية في اسيا التركية الذي نشر عام 1905 ودعا فيه الى بناء دولة عربية قومية تمتد من الفرات ودجلة مرورا بقناه السويس الى البحر العربي، اما الكتاب الاخر فكان اسمه الصهيونية حيث دعا الى وجود جبهة موحدة وقوية امام الخطر الصهيوني، وقد سار في الاتجاه نفسه شخصيات اخرى في مقدمتهم عبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده و جمال الدين الافغاني، و بدأ تاسيس جمعيات واحزاب سرية وعلنية للوقوف امام المشاريع اليهودية، ولا يخفى ان الدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر مرت بحالة ضعف وبذلك فتح الباب امام تنافس واطماع بين الدول الاوروبية من اجل تقسيم الاجزاء الاستراتيجية المهمة من تلك الدولة، وكان هذا واضحا عن طريق الاستيلاء على مصر و اجزاء من المغرب العربي والقرم وكان ضعف الدولة العثمانية في هذه المدة واخفاقاتها الادارية عاملا مهما أدى الى تاسيس حركة قومية عربية هدفها ايجاد بعد تنظيمي في الولايات العربية

(131) – جورج انطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العربي القومية، ت ناصرالدين الاسد واحسان عباس، ط8، دار العلم للملاين، بيروت ، 1987 , ص71 ؛ ابراهيم خليل احمد ، المصدر السابق ، ص404 .

(132) – ليلى الصباغ , المجتمع السوري في مطلع العهد العثماني , دمشق , 1973 ,ص87–10 .

(133) - جورج انطونيوس , المصدر السابق ,ص114 .

(134) – نجيب عازوري ولد في بيروت 2016–1881 تولى عدة مناصب منها وكيل متصرف القدس. عزل من وظيفته وسافر الى باريس حيث عمل ضد الدولة العثمانية وسعى الى الاستقلال العربي وأسس جمعية جامعة الوطن العربي 1904 انضم إليها عدد من العرب والاحرار المثقفين في باريس هدفها تحرير بلاد الشام والعراق من السيطرة العثمانية , ينظر للتفاصيل ابراهيم خليل احمد , المصدر السابق , ص400–399 .

[135] و هناك عدة مؤشرات في القرن العشرين تعطي دلائل على ازدياد ملحوظ في اتجاهات مظاهر الوعي العربي.

ومما زاد حفيظة العرب سياسة جمعية الاتحاد والترقي التي عزلت السلطان عبد الحميد وانتجت الطورانية و سياسة التتريك، ان السياسات قد دعت الى وعي جديد عن طريق ظهور جمعيات القومية العربية التي تعمل سرا وتدعو الى المطالبة بحق العرب في حكم انفسهم عن طريق نظام لامركزي مرتبط بالدولة العثمانية لاسيما بعد انتقال مهمة التوعية القومية الى مجمل الاديان في نهاية القرن التاسع عشر. كان المسلمون قسما من هذا التاثير وفي مقدمتهم عبد الرحمن الكواكبي وغيره من المنظرين الذين اسسوا جمعيات سرية وعلنية في نهاية الامر[136].

تشكلت عدة جمعيات لا سيما بعد وصول جمعية الاتحاد والترقي الى حكم الدولة العثمانية عام 1908 مما زاد عداء العرب لسياسة الاتحاد والترقي في انتهاج السياسة الطورانية لاسيما في ظل تزايد نشاط اليهود في فلسطين عن طريق الهجرة واقامة المستوطنات[137].

تضافرت اسباب وعوامل ادت الى انتقال العرب من الاطار التعبوي الاعلامي والنظري الى الاطار العملي الذي يعبر عن اتجاهات جديدة من الوعي وفي مقدمة هذا الانتقال تاسيس جمعية الاخاء العربي في الاستانة عام 1908 وجمعية منتدى العربي التي تاسست عام 1909، وقد تشكلت هذه الجمعية من مجموعة من الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في الاستانة وهدف هذه الجمعية توثيق عرى الاخاء بين العرب على اختلاف اديانهم واجناسهم ومن مؤسسي هذه الجمعية شكري قوتلي وسيف الدين خطيب وجلال الدين بخاري من دمشق واحمد عزة الاعظمي من بغداد ونسيم البيطار قاضي القدس الشرعية، اما الجمعية القحطانية فقد تاسست سنة 1909، في اسطنبول وهي من الجمعيات السرية ولها برامج ومطالب جزئية فقد طالبت باستقلال البلاد العربية مع الاحتفاظ بالولاء للدولة العثمانية وقد اعدم احمد جمال باشا معظم اعضاء هذه الجمعية[138]، فضلا عن الجمعية العربية الفتاة في باريس ثم في سوريا عام 1912، وجمعية العلم الاخضر في الاستانة، وجمعية بيروت الاصلاحية والجمعية البصرة الاصلاحية وجمعية العهد في الاستانة 1913م، والرابطة العربية في القاهرة عام 1915 وحزب اللامركزية في مصر الذي نظمه مجموعة من الشخصيات من بلاد الشام ومؤتمر منتدى الشباب العربي في باريس عام 1913. ان تصاعد السياسة الطورانية بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وتاثرهم بالمد الاوروبي وسوء تصرف العثمانيين تجاه القوميات العربية دفع الى تسارع انماء الروح القومية وتبني الفكر القومي بكل مفاهيمه عن طريق الجمعيات التي انطلقت بسرعة مطورة افكارها عن طريق المراحل والادوار التي خرجت بها من عام 1908 – 1916 وقد طالبت باللامركزية و ايجاد اتحاد بين العرب والاكراد والدعوة بالانفصال عن الدولة العثمانية، ولا يكفي ان هذه المطالب عبرت عن مدى الوعي القومي الذي وصلت الية تلك الجمعيات، وقد دعا عبد الكريم خليل رئيس المنتدى الادبي الى الاخاء بين العرب في مختلف اديانهم[139]. ويتضح ان اجواء التعبئة ضد الدولة العثمانية بدأت تظهر بشكل واضح نتيجة سياستها اولا وتطور اتجاهات الوعي القومي العربي وتنافس دولي سبق الحرب العالمية الاولى وهذا ما خلق فتورا وفجوة في العلاقات العربية العثمانية،

(135) - سليمان موسى , الحركة العربية , سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة 1924-1908 , دار النهضة , بيروت , 1970 , ص32-29 .

(136) – أحمد امين , زعماء الاصلاح في العصر الحديث , القاهرة , 1965 , ص72-13.

(137) – ارنست رامز ور , تركيا الفتاة والثورة عام 1908 , ت صالح احمد العلي , بيروت , 1960 , ص117-97.

(138) - محسن الجابري، علم الثوره العربية، بيروت، 2000، ص 12 – 42.

(139) – اميل توما , جذور القضية الفلسطينية , دار الكتب , فلسطين 1997 , ص91-82؛ ابراهيم خليل احمد , المصدر السابق , ص407.

و زادت الامور تعقيدا بعد تولي احمد جمال باشا الذي حكم الشام، وهذا عد بداية اتساع التوتر بين الطرفين لاسيما في المدن التاريخية الحساسة التي وجهت فيها الجهود للدفاع عن الاراضي العثمانية، وقد اظهر جمال باشا حزب الاتحاد والترقي بأسوأ صورة عندما وضع مجالس عسكرية في الشام واعتقل عددا كبيرا من الشباب العرب و نفذ بهم حكم الاعدام و كانت هذه السياسة من العوامل الرئيسية التي زادت الخلاف والنقمة على السياسة العثمانية وجيشها لا سيما عند معسكر الجيش العثماني الرابع بقيادة احمد جمال باشا في دمشق[140]. لغرض عبور قناه السويس ونقل ساحة العمليات الى افريقيا فقد كانت البلاد غير جاهزه سياسيا واقتصاديا لاستقبال الجيش الذي ينعكس سلبا على الواقع الاقتصادي وهذا ادى الى انتشار الفقر والمجاعة بسبب مصادرة الجيش للبضائع والمواشي واستخدام موارد البلاد و استخدام الفلاحين لحفر الخنادق ضمن المجهود الحربي وان الاستغلال السيئ للسلطات المطلقة على اثر اعلان الاحكام العرفية والغاء الاستقلال الجزء لجبل و فرض سياستة بالقوة كانت مقدمات قوية لزيادة النقمة على العثمانيين وعلى جيشهم فضلا عن اسباب اخرى منها التدخلات الاجنبية التي ألبت العرب ضد هذه السياسة واعطتهم الوعود اذا ما ثاروا على العثمانيين. كل هذا شكل عاملا مهما في اتجاه فكرة تطور الوعي القومي من الحالة النظرية الى ترجمة فعلية عن طريق سلوك الثوره ضد العثمانيين[141].

ملامح الحركة القومية واهدافها قبيل الحرب العالمية الاولى حتى عام 1920

تمخضت الحركة القومية العربية في بلاد الشام منذ تجمع سحب الحرب العالمية الاولى عن مجموعة من المطالب للسلطة العثمانية اهمها الاعتراف بالعرب كونهم امة لها تأثير وحيز في الحياة، ومناهضة الاحتلال، والمطالبة بحقوق العرب، والقيام بخطوات دستورية عن طريق تحقيق اللامركزية او الحكم غير المركزي، وقد ظهرت هذه المطالب بشكل واضح وملموس في محاور مؤتمر باريس عام 1913م، كل هذا ادى الى استيقاظ الحركة القومية في المغرب العربي لا سيما في الجزائر وتونس وليبيا فضلا عن مصر اذ بدأت هذه البلدان تتطلع الى المشرق العربي الذي منعها من تنافس هذه الدول على السيطره وخلافاتها على التقسيم فقط، فقد طالبت الحركة القومية بالاصلاح والحكم غير المركزي او اللامركزية في الحكم[142].

بدأت التطورات السياسية بالتسارع الى الحرب، وقد استغلت الدول الاستعمارية الخلاف العربي العثماني وهذا الخلاف سببه ما ارتكبه احمد جمال باشا من سياسات وحشية ضد الحركة الوطنية اذ بدات هذه البلدان تطالب بالاستقلال عن العثمانيين بل ذهبت الى اكثر من ذلك فقد اعلنت الثورة من الحجاز ضد الدولة العثمانية والمشاركة في الحرب الى جانب دول الحلفاء فقد تكونت القومية العربية والاتجاهات الحديثة بسبب سياسات الدولة العثمانية بعد نجاح ثورة عام 1908م او الانقلاب العثماني فقد تكونت القومية العربية كونها رد فعل ضد السياسة العثمانية وقد كانت مطالب الحركة القومية العربية السابقه عبارة عن وعي قومي عربي له سماته الذي حسن الموقف العربي وجذب انتباه العثمانيين لضمان حقوق العرب في الدوله العثمانية[143].

ان المطالبة بالاستقلال عن العثمانيين جاءت بعد السياسة العثمانية فقد كانت الدولة العثمانية تستطيع ان تجد الحلول لكثير من المشاكل التي واجهت الولايات العربية وهذا يعد مسوغا للثورة العربية في

(140) – حورج انطونيوس، المصدر السابق، ص69.

(141) – سليمان موسى، المصدر السابق، ص 103-101 ؛ جور انطونيوس، المصدر السابق، ص70.

(142) – اميل توما، المصدر السابق، ص93 ،جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص73.

(143) – مصطفى عبد القادر النجار، فكر الثورة العربية لعام 1916م واستقلال العرب، تطور الفكر العربي، بغداد، 1986م، ص140.

بداية الحرب العالمية الاولى فضلا عن ذلك سلوك السلطات العثمانية وسياساتها حيال الشريف حسين امير الحجاز كونه رمزا معنويا لاسيما بعد وصول معلومات لعزله وتعيين شريف اخر بدلا عنه. كل ذلك ادى الى بلورة فكرة الثورة لدى الشريف حسين الذي بدأ بالبحث عن تحالفات واجراءات اخرى، وقد اثمرت هذه الاجراءات بالتقاء الامير عبد الله بن الحسين في شباط عام 1914م باللورد كتشنر المعتمد البريطاني في مصر موضحا له اسباب الخلاف بين الشريف حسين والدولة العثمانية واسباب سخط العرب، وتطرق في حديثه الى السياسة الطورانية وتصرفات جمعية الاتحاد والترقي ملوحا بامكانية قيام ثورة في حال عزل الشريف حسين عن الحجاز، واظهر عدم جدوى العرب في اقناع العثمانيين في حقوقهم وقد تم استعمال دعاية قوية لاقناع العرب باتباع نهج الشريف حسين بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وكان ينظر له كرجل الوحدة الاسلامية، وكان من ركائز هذه الدعاية استناده الى الدعاية القومية والدين معا وقد استطاع الشريف حسين بهذا كسر شعار العثمانيين الذي رفعه في الحرب العالمية الاولى وهو الجهاد المقدس، وقد استثمر الشريف حسين الموقف العربي الغاضب حيال المجازر التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي لا سيما ما قام به جمال باشا في الشام فلم يستجب جمال باشا لنداءات الشريف حسين لمنع احكام الاعدام التي صدرت في حق قيادات عربية وقضت بشنق احد عشر رجلا في بيروت ودمشق في اب 1917م كان من بينهم قضاة وادباء(144).

كان قيام الامير فيصل باحتلال العقبة بداية فعلية لعمل سياسي على الارض خارج الحجاز هدفها استمالة عرب سوريا الى صفوف الحلفاء واستغلال سلوك جمال باشا حيال الشام فضلا عن إضعاف الموقف العثماني، وبذلك تكون قضية الحلفاء والاستقلال العربي قضية واحدة في اتجاهات الوعي القومي العربي وهذا ما تناولته اتفاقيات حسين- مكماهون التي أبرزت عمل القوات البريطانية التي تتقدم شرق قناة السويس عام 1916م واستغلها هذا التحالف في سبيل استمالة شيوخ العشائر عن طريق رسائل سرية، فقد حمل الرسل السريون رسائل الشريف حسين لهذه العشائر يطلب بها الانضمام الى جانب الجيش البريطاني، وقطع الامدادات عن الجيش العثماني، وقد نجح المبعوثون للامير فيصل بن الحسين فضلا عما قام به الطيران البريطاني في نشر الرسائل يوصي بها عدم البقاء الى جانب الجيش العثماني والانضمام الى الامير فيصل و القوات البريطانية. كل ذلك كان له تاثير واضح على معنويات الجيش العثماني(145).

مما تقدم يظهر ان الثورة العربية انتقلت بشكل واضح من الحجاز الى بلاد الشام، واخذ الشباب بالانضمام الى الثورة وبدأوا ينشدون استقلال العرب عندما احتل الثائرون بقيادة الامير فيصل ميناء العقبة عام 1917م وكانت هذه اشارة واذنا لتحول الثورة من الحجاز الى بلاد الشام إذ كانوا متطلعين الى قيام دولة عربية مستقلة، وقد التحقت بالثورة قبائل من شرق الاردن ثم من فلسطين وسوريا واصبح جيش الثورة يمثل الجناح الايمن للحلفاء المتوجه من مصر الى فلسطين، وكان المتطوعون العرب منظمين في جيش الثورة بدافع نزعتهم الاستقلالية والاطمئنان الى وعود الخلفاء، ولا يخفى على احد ان الثورة العربية كانت استقلالية غير اقليمية شارك فيها ثوار من العراق وسوريا ولبنان(146)، ومن سير احداث الحرب العالمية الاولى تبلور الوعي القومي العربي بصورة واضحة اذ اصبح العرب الى جانب الحلفاء بعد الثورة العربية، لهذا عمل العرب بكل الوسائل والسبل لاجل التخلص من الحكم العثماني، وان ظهور الاطماع الصهيونية المهددة لمستقبل البلاد العربية وظهور وعود متناقضة كان بدايتها اتفاقية سايكس بيكو الذي احتج العرب عليه والتقسيمات الاستعمارية بين بريطانيا وفرنسا وانتشار خبر

(144) – ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص408، جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص183.

(145) – مصطفى عبدالقادر النجار، المصدر السابق ص 140؛ ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص410.

(146) – رافت غنيمي، تاريخ العرب الحديث، القاهرة، 1975م، ص 42 – 53 ؛ جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص 412.

وعد بلفور الذي اعطته بريطانيا للصهيونية من اجل اقامة وطن قومي لليهود ادى الى الانتقال الى مرحلة جديدة تتطلب وعيا سياسيا منظما للمقاومة والاحتجاج، ويمكن ان يحدد هذا الاتجاه عن طريق الجمعيات التي تشكلت في بداية عام 1918م التي عدت من اهم مظاهر الوعي السياسي المنظم لمقاومة وعد بلفور ايضا، وقد ضمت هذه الجمعيات المسلمين وغير المسلمين واوصدت الابواب امام بريطانيا التي ادعت ان الشعب الفلسطيني ومقاومته جاءت لاسباب دينية فقط، محاولة خلق فجوة بين صفوف المجتمعات العربية [147]، وكانت هذه الجمعيات منذ بداية تاسيسها وتنظيمها السياسي تمثل الشعب الفلسطيني وسعي هذه الجمعيات الى الاستقلال الوطني والدفاع عن حقوق العرب واماكنهم المقدسه، وبذلك وضعت حجر الاساس لنظام سياسي واع ومنظم وكانت تمهيدا لارضية مناسبة لعقد مؤتمرات وطنية كان في مقدمتها المؤتمر الفلسطيني الاول الذي عقد في القدس عام 1919 وحضره 27 شخصية من كل المناطق والمدن الفلسطينية وخرج هذا المؤتمر بمذكرتين الاولى دعت الى مؤتمر الصلح في باريس لتفنيد كل المزاعم اليهودية و ادعاءاتهم بالسيطرة على فلسطين، اما المذكرة الثانية فقد دعت الى رفض كل ما جاء في وعد بلفور، وعقد مؤتمر اخر في دمشق بعنوان المؤتمر السوري العام وحضره من كل مناطق سوريا و افتتح الجلسة في هذا المؤتمر الامير فيصل، وقد اتخذ هذا المؤتمر مجموعة قرارات قدمت الى اللجنة الامريكية وهذه القرارات هي رفض جميع الوصايا السياسية والاعتراف الرسمي باستقلال سوريا ومن ضمنها فلسطين، والمطالبة بحكومه ملكية مدنية نيابية ليكون فيصل بن الحسين ملكا على سوريا والغاء اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور وعقد مؤتمر فلسطين الثاني في ايار عام 1919م، وعقد المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث وجاء في هذا المؤتمر قرارات ومطالب مماثلة للمؤتمرات الاخرى السابقة وكان في مقدمة هذه المطالب الاستقلال التام ورفض الانتداب و وعد بلفور وقف استملاك الاراضي وبيعها لليهود ووقف الهجرة الصهيونية[148] وكانت مخططات بريطانيا لاحتلال فلسطين لابعاد النفوذ الفرنسي عن بلاد الشام فقد احتلت فرنسا بلاد الشام عام 1882م وكانت خطط بريطانيا تقوم على اسكان اليهود ليكونوا حاجزا بشريا بين نفوذ فرنسا في بلاد الشام ونفوذ بريطانيا في مصر، وبعد ان حددت الحركة الصهيونية هدفها في اقامة وطن قومي في فلسطين اصبحت مشتركات بريطانية صهيونية في سلخ فلسطين عن الدولة العثمانية اولا وابعاد فلسطين عن النفوذ الفرنسي واعطائها لليهود بشكل نهائي[149].

السياسة الاستعمارية واثرها في الاتجاه القومي

بعد نهاية الحرب العالمية الاولى وما تبعها من نتائج، وخسارة الدولة العثمانية في تلك الحرب، تبينت خيانة بريطانيا وعدم تنفيذها للوعود التي قطعتها على نفسها ويتضح ذلك عن طريق اتفاقية سايكس – بيكو عام 1916م التي نصت على تقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا وهذه الاتفاقية تحول دون قيام دولة عربية موحدة وواحدة فضلا عن ذلك يعد وعد بالفور 1917 مشكلة إضافية إذ نص على التزام بريطانيا لليهود بانشاء وطن قومي لهم[150]، فضلا عن ذلك مؤتمر سان ريمو عام 1920 الذي تقرر فيه وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي والعراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني على ان تلتزم بريطانيا بوعد بلفور. ومما تجدر الاشارة اليه ان البيان الذي اذاعته بريطانيا في تشرين الثاني عام 1918 طمأنت فيه بريطانيا وفرنسا العرب بانهما خاضتا الحرب من اجل كبح جماح المطامع الالمانية وهما تسعيان الى مساعدة الاهالي في العراق وسوريا في اقامة

(147) - حسني ادهم جرار، شعب فلسطين امام التآمر البريطاني والكيان الصهيوني، عمان 1999م ص 26 – 29.

(148) - محمد عماره، العرب والتحدي، الكويت، 1980م، ص 66 – 100؛ ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص197.

(149) – حسني ادهم جرار، المصدر السابق، ص 30؛ رافت غنيمي، المصدر السابق، ص 122.

(150) – اكرم زعيتر , القضية الفلسطينية , دار المعارف , القاهرة , 1995 ,ص53.

حكومات وطنية ومساعدة تلك الحكومات في هذه البلاد في المشاريع الاقتصادية والعمرانية، ولم تلتزم بريطانيا وفرنسا بتلك الوعود، ان التطورات السياسية التي شهدتها بلاد الشام على وجوه الخصوص والوطن العربي على وجه العموم قبيل الحرب العالمية الاولى ادت الى التحول في السلوك القومي العربي حيال بريطانيا وبدأ الحراك القومي واضحا جليا في نيسان عام 1915، فقد رفض هذا الحراك سياسة بريطانيا، فقد احتج مفتي القدس كامل افندي حسيني على خطبة رئيس البعثه الصهيونية فقد القى رئيس البعثة الصهيونية (ستروزال) الخطبه في القدس في حضور الحاكم العسكري البريطاني، اظهر فيها نوايا الصهيونية بتنفيذ وعد بلفور وقد احتج عرب فلسطين وقدموا احتجاجات الى الجنرال رونالد ستورز نتيجه للاحتفال اليهود بالذكرى الاولى لوعد بلفور، وقدموا ايضا مذكرة احتجاجية الى الجانب البريطاني للسبب نفسه[151] ويعد تبلور الحركة الوطنية الفلسطينية عام 1917 مؤشرا قويا على تنامي الوعي القومي تجاه المخاطر البريطانية والصهيونية، فقد قامت الحركة الوطنية الفلسطينية بمظاهرة النبي موسى، فضلا عن احتجاج الامير فيصل على مقررات مؤتمر سان ريو عام 1920م، وقد اجريت تعديلات على اتفاقية سايكس بيكو فقد قدم الامير فيصل مذكرة احتجاج الى الحكومه البريطانية، ثم ارسلت بعد ذلك الى باريس للتفاهم مع الجانب الفرنسي، الا ان الحقوق العربية اهملت في مؤتمر الصلح عام 1919 نتيجة السياسة البريطانية الفرنسية الاستعمارية، وعلى الرغم من الامكانيات المتواضعة للحركة العربية القومية بدأ العمل الشعبي المنظم ضد المواقف البريطانية ونتج عن ذلك قيام حركة وطنية فلسطينية ومرت هذه الحركة بمراحل تدرج، فقد بدأت الحركة بالمطالبة بالاستقلال عن الدولة العثمانية مرورا بالوعود بريطانيا الكاذبة، كل ذلك عزز الوعي القومي العربي بشكل مباشر، و هذا بدأت المطالبة بالاستقلال عن العثمانيين عن طريق الحملات الصحافية بارسال برقيات احتجاج الى اسطنبول او إلى ممثلي القناصل الاجنبية والضغط على رجال الدولة في اسطنبول عن طريق النواب في البرلمان، فقد اشار النائبان شكري العسلي نائب دمشق وروحي الخالدي نائب القدس في مجلس المبعوثان (البرلمان)، محذريْن مجلس البرلمان من الخطر الصهيوني وخطورته في سوريا والعراق وفلسطين، اما الاتجاه الاخر فقد عقد المؤتمرات حيث القيت الخطب في المساجد وتشكلت الجمعيات السرية والعلنية[152].

الخاتمة

مما تقدم يمكن القول بان المراحل الاولى من بروز الاتجاهات القومية في بلاد الشام كانت جزءا من بلورة الهوية الوطنية غير المتساوية في جميع البلدان العربية، ففي مصر والمغرب انهمكوا في مقاومة الاستعمار وتجاوزوا مرحلة القومية وبرزت ثقافة المقاومة وما سمي بالوطنية وازدهرت الهوية في العراق وسوريا بشكل أكبر على شكل وعي قومي ثم جاء التحول الى الهوية الوطنية. اما اسباب هذا التسارع فيعود الى استعمار يهودي واحتلاله لفلسطين ما دفع الى تنامي الوعي القومي بشكل متقدم في فلسطين حيث نجدهم ايدوا الثورة العربية التي حدثت في مصر والسودان على سبيل المثال، كذلك الصحافة والجمعيات السرية والعلنية كانت تعبيرا عن الوعي ايضا إذ كان لها الصدى والتأثير في بلاد الشام.

(151) - خيرية قاسميه مواقف عربيه من التفاهم مع الصهيونية 1914-1913 , شؤون الفلسطينية , العدد31 , د ت, ص129 ؛ اميل توما المصدر السابق , ص95

(152) - اميل توما، المصدر السابق، ص130-120؛ سليمان موسى، المصدر السابق، ص267.

قائمة المصادر

1 – ابراهيم خليل احمد , تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516–1916 , دار ابن الاثير للطباعة والنشر , الموصل , 2005.
2 – أحمد امين , زعماء الاصلاح في العصر الحديث , القاهرة , 1965.
3 – ارنست رامز ور , تركيا القتاة والثورة عام 1908 , ت صالح احم العلي , بيروت , 1960.
4 – اكرم زعيتر , القضية الفلسطينية , دار المعارف , القاهرة , 1995.
5 – اميل توما , جذور القضية الفلسطينية , دار الكتب , فلسطين 1997.
6 – جلال يحيى , المغرب العربي والاستعمار , القاهرة, 1966.
7 – جورج انطونيوس , يقضة العرب تاريخ حركة العربي القومية, ت ناصرالدين الاسد واحسان عباس , ط8 , دار العلم للملايين , بيروت , 1987.
8 – حسني ادهم جرار , شعب فلسطين أمام التأمر البريطاني والكيان الصهيوني , عمان , 1999.
9 – خيرية قاسميه مواقف عربيه من التفاهم مع الصهيونية 1913–1914 , شؤون الفلسطينية , العدد31 , د ت.
10 – رأفت غنيمي , تاريخ العرب الحديث , القاهرة , 1975.
11 – سليمان موسى , الحركة العربية , سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة 1908–1924 , دار النهضة , بيروت، 1970.
12 – عبدالكريم رافق, بلاد الشام ومصر , منذ الفتح العثماني حتى حملة نابليون بونابرت , دمشق 1968,
13 – ليلى الصباغ , المجتمع السوري في مطلع العهد العثماني , دمشق , 1973.
14 – محسن الجابري , علم الثورة العربية , بيروت ,2000.
15 – محمد عمارة , العرب والتحدي , الكويت , 1980.
16 – مصطفى عبدالقادر النجار ,فكر الثورة العربية لعام 1916 واستقلال العرب, التطور الفكري العربي, بغداد, 1986.

4 - البصرة في كتب الرحالة الأوروبيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين (نماذج مختارة)

Basra in European Travelers' Books during Seventeenth and Eighteenth Centuries AD

(Selected Models)

م.م وجدان كارون فريح التميمي

قسم الدراسات التاريخية/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي/ جامعة البصرة

wijdaniq04@gmail.com

الملخص

ركز البحث تحديداً على ما كتبه أربعة رحالة اوروبيين اثناء تواجدهم في البصرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين من جانب سياسي واقتصادي واجتماعي، فضلاً عن وصفهم للمدينة وفق رؤيتهم آنذاك، لاسيما ان البصرة شهدت في هذه المدة نشاطاً ملحوظاً سياسياً واقتصادياً انعكس على واقعها الاجتماعي، فغدت مطمعاً للدول المتنافسة سواء الاوروبية او بلاد فارس او الدولة العثمانية؛ لتشهد تلك المدة احداثاً سياسية كان من اهمها محاولات ولاة الدولة العثمانية اخضاع والي البصرة الافراسيابي لحكم السلطان في النصف الثاني من القرن السابع عشر، والزحف الفارسي الى البصرة وحصارها عام 1775. كما ركز البحث على غايات واهداف أصحاب الرحلات الذين تناولتهم الدراسة لفهم طبيعة رحلاتهم، واسباب مرورهم بالبصرة التي كانت وقتذاك وبشهادة اغلب المصادر الأوروبية صاحبة حظوة تاريخية بين مدن العالم جميعها.

الكلمات المفتاحية: البصرة، الرحالة الأوروبيين، الاب فنشنسو، جان دي تيفينو، ابراهام بارسونز، صموئيل إيفرز.

ABSTRACT

The research focuses specifically on what is written by four European travelers as they were in Basra in the seventeenth and eighteenth centuries AD on the political, economic and social aspect. Moreover, describing the city according to their vision at the time, especially that Basra witnessed during this period a remarkable political and economic activity that was reflected in its social reality. Basra became a target for the greed of competing countries, whether European, Persia, or the Ottoman Empire. Therefore, that period witnessed the most important political events of which were the attempts of the rulers of the Ottoman Empire to subjugate the governor of Basra, Ephesia, to the rule of the Sultan in the second half of the seventeenth century, as well as the Persian siege of Basra in 1775.

The research also focuses on the goals of these travelers to understand the nature of their trips. The reasons behind their passage through Basra,

which was at that time has a prominent status among all the cities of the world, with testimony of most European sources is also taken into consideration.

Keywords: Basra, European travelers, F. Vincenzo, Jean de Thévenot, Abraham Parsons, Samuel Evers

المقدمة

تعد كتابات الرحالة الاوروبيين عموماً مصدراً مهماً في دراسة تاريخ العراق الحديث، وتعود أهميتها لغزارة مادتها التي صورت الكثير من جوانب الحياة اليومية الاجتماعية والاقتصادية والدينية في العراق، فضلاً عن دراستها لجوانب مختلفة والتي تعد ثروة تاريخية لها قيمتها في توضيح اغلب الاحداث، ان لم تكن المصدر الوحيد لبعضها الا ان عدداً من الرحالة صوروا جوانب حيّة عن الحياة اليومية تصويراً عبر عن وجهات نظرهم، وأحيانا كانت آراؤهم غير دقيقة وغير محايدة، وأحيانا أخرى مبالغاً فيها أو تشوبها عبارات حاقدة أو غير واقعية، ولا سيما عند الحديث عن المسلمين والإسلام عموماً. كما ان بعض الرحّالة الاوربيين كانوا يقعون في أخطاء تاريخية عندما يحاولون تقديم معلومات تتعلق بتاريخ العراق، أو تتعلق بأسماء مدن العراق، ولعل سبب تلك الأخطاء يرجع إلى تأثر أولئك الرحالة بما قرأوه في كتبهم التاريخية والدينية عن تاريخ العراق وحضارته.

وعكست الرحلات الأوروبية بغض النظر عن الأهداف والدوافع الحقيقية لها الاهتمام الأوروبي بالبصرة تحديداً منذ مطلع القرن السادس عشر، أي بعد بدء التنافس الأوروبي للسيطرة والتوسع في العالم العربي والإسلامي، فتعددت الرحلات الأوروبية وتعدد أصحابها ما بين برتغالي وفرنسي وايطالي وانجليزي والماني وهولندي. واخذت البصرة حيزاً كبيراً في كتب الرحلات الاوروبية لان اغلب من زار العراق والخليج العربي والهند وبلاد فارس كان لزاماً عليه ان يمر بها لموقعها الاستراتيجي ولمكانتها الاقتصادية والسياسية في الدولة العثمانية والامبراطورية الفارسية، فضلاً عن الدول الأوروبية.

ولكثرة الرحالة الذين زاروا البصرة، ولكثرة الدراسات الاكاديمية التي تناولت موضوع الرحلات الى البصرة ارتأت الدراسة اختيار نماذج محددة من الرحالة الاوربيين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين؛ تكاد الدراسات الاكاديمية تكون قليلة البحث عنها، فضلاً عن اختلاف توجهاتهم.

تأتي أهمية هذه الدراسة من الأهمية التاريخية للبصرة ودورها السياسي المثقل بالاحداث والتي شهدت تحولات كبيرة على الأصعدة جميعها، كما تعود أهمية الدراسة الى أهمية كتابات الرحالة التي جاءت متأثرة بالأوضاع السائدة وقتذاك.

اما الهدف من هذه الدراسة فهو الوصول الى الحقيقة التاريخية المتعلقة باوضاع البصرة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في القرنين مجال الدراسة. ومن خلال المقاربة بين كتابات الرحالة تحاول الدراسة الوصول الى الحدث التاريخي الصحيح، فضلاً عن معرفة الأهداف والغايات الحقيقية لهؤلاء الرحالة (موضوع الدراسة) وراء كتاباتهم.

عانى تاريخ البصرة من صراعات داخلية وخارجية اثرت في البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمدينة، لذا ستكون إشكالية البحث متمثلة بالسؤال التالي: هل استطاع الرحالة الأوروبيون إعطاء صورة تاريخية واضحة ودقيقة عن البصرة بالإمكان الاستفادة منها تاريخياً؟

وبطبيعة الحال فإن الصعوبات التي واجهت الدراسة هي عدم الحصول على الكتابات الاصلية

للرحالة، وان تواجدت فالحصول على الترجمة الدقيقة غاية في الصعوبة بسبب اللهجات القديمة التي كتبت بها كتب الرحالة، فضلاً عن كثرة الأخطاء الإملائية.

اتخذت الدراسة من البصرة النطاق المكاني للدراسة، ومن القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين النطاق الزمني لها.

استخدم في الدراسة منهج الوصف التاريخي مع المنهج التحليلي والتركيبي. ومن اجل الوصول الى الأهداف المرجوة من الدراسة قسمت الى خمسة مباحث، فضلاً عن مقدمة وخاتمة واستنتاجات وقائمتي الهوامش والمصادر. تناول المبحث الأول دوافع الرحالة الأوروبيين، وجاء المبحث الثاني لوصف البصرة، وبين المبحث الثالث الأوضاع السياسية في البصرة، ودرس المبحث الرابع الأوضاع الاقتصادية في البصرة، وتطرق المبحث الخامس الى الأوضاع الاجتماعية في البصرة.

المبحث الأول

دوافع الرحالة الأوروبيين

اختلفت دوافع الرحالة الاوروبيين الى الشرق الأوسط، ما بين سياسية او اقتصادية تجارية او استكشافية او تبشيرية او جميعها. وبالرغم من اختلاف الدوافع فإن الرحالة وفروا معلومات تفصيلية ودقيقة ومهمة لدولهم، ساعدت الى حد بعيد في توجيه سياسة تلك الدول نحو الشرق بصورة عامة، والعالم العربي والإسلامي بصورة خاصة، بل عدت احياناً الخطوة الأولى للاستعمار والهيمنة.

❁ رحلة الاب فنشنسو (F. Vincenzo Maria di S. Caterina de Siena)(153)

بدأت رحلة الاب فنشنسو عام 1656، وكان عضواً في وفد ارسل الى الهند برئاسة الاب سبستياني (Sebastiani)(154)، بهدف الوصول الى الهند الشرقية في مهمة دينية رسمية. وخلال الرحلة كتب مدونات عن مشاهداته، ونتيجة لإلحاح الأصدقاء والرهبان الذين كانت تستهويهم اخبار الشرق، ونزولاً عند رغبتهم نشر كتابه عام 1672 بالرغم من عدم تفكيره بنشره مسبقاً، وكان بعنوان: «رحلة الى الهند الشرقية للاب فنشنسو–مارية دي سانتا كاترينة دي سيينا–وكيل الكرمليين الحفاة العام» ونشر الكتاب بثلاث طبعات. يعترف صاحب الرحلة ان في الشرق «**قوى غنية تجذب المشاعر**»، ولكن لا توجد في كتاباته أي تعبير عن انجذابه او حبه للشرق؛ اذ كانت رؤيته سلبية لمدن الشرق التي مر بها مرور

---

(153) – **الاب فنشنسو مارية دي سانتا كاترينة دي سيينا (1679–1625)**، إيطالي الأصل، انخرط منذ صغره في سلك الرهبنة الكرملية، واحتل مكانا مرموقاً في رهبنته، واكتسب ثقة رؤسائه حتى عهد اليه تدبير بعض اديار الكرملين. ارسل مع وفد الى الهند، وبعد عودته الى إيطاليا ترأس دير الكرمليين في مقاطعة لومباردية، وأسس ديراً في فاريزي عام 1677، له بعض المؤلفات منها رحلته الى الهند، ورسائل توجيهية لتلاميذه الكرمليين وزملائه. توفي عام 1679 وعمره 54 عام. للمزيد ينظر: بطرس حداد، رحلة الاب فنشنسو الى العراق، القسم الأول، مجلة مجمع اللغة السريانية، المجلد الأول، بغداد، 1975، ص181–179.

(154) – **الاب جوزيبه دي سانتا ماريا الكرملي (1689–1623)**: هو هيرونيموس سبستياني ولد في إيطاليا وانخرط في السلك الرهباني لدى الآباء الكرمليين الحفاة عام 1641 في روما واتخذ اسماً جديداً وهو الأخ جوزيبه دي سانتا ماريا. انتدبته الكنيسة الكاثوليكية في روما للذهاب الى الشرق في مهمة رسمية الى الهند بصفة مفتشا رسوليا لدراسة أحوال النصارى في ولاية كيرالا الحالية عام 1656، وهو لا يعرف اية لغة شرقية، ورافقه رهبان من ديره، وعاد الى أوروبا نهاية عام 1658 بعد اكمال المهمة التي أسندت اليه. عاد الى الشرق مرة أخرى عام 1660 للغاية نفسها، ومر بالعراق اربع مرات 1656 و1658 و 1660 و 1664، وترك وصفاً لرحلاته في مجلدين طبعت بالايطالية. للمزيد ينظر: سبستياني، رحلة سبستياني الاب جوزيبه دي سانتا ماريا الكرملي الى العراق سنة 1666م، ترجمة بطرس حداد، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2006، ص12–9.

الكرام كرؤية السائح اللامبالي، ووصفه بارد لا روح فيه، الا انه صاحب قلم سيال ولغة متينة وأسلوب مشوق وانشاء سليم(155).

يتضح ان دافع الرحلة كان دينياً رسمياً، وبما انها تحمل الصفة الرسمية كان لا بد من تدوين معلومات تخص المدن والمجتمعات التي مرت بها وصولاً الى غايتها، وكانت البصرة ضمن المدن الرئيسة التي توقف فيها الوفد.

❀ الرحالة جان دي تيفينو (Jean de Thévenot)(156)

تعد رحلة جان دي تيفينو «رحلة الى الشرق 1667-1663» من اهم الرحلات الفرنسية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، اذ احتوت على معلومات جغرافية واقتصادية واجتماعية قيمة، ونوادر متنوعة، فضلاً عن حقائق تاريخية مهمة([157]).

وعرف عن تيفينو بانه رحالة صادق محب للسفر، لم يسافر من اجل مهمة محددة [158]، بل كانت غايته من رحلاته اشباع رغبة شخصية في الاطلاع على الشرق راغباً في اكتشاف اسراره والتمتع بسحره، فلم يكن دبلوماسياً او راهباً مبشراً او تاجراً، فكان يتنقل من مكان الى اخر يساعده في ذلك حالته المادية الجيدة. وكان يطيب له الاختلاط بالناس لذا اتسمت مدوناته بطابع البساطة، واحتوائها على معلومات تاريخية ثمينة [159].

فلم يكن لهدف الرحلة ابعاد سياسية او اقتصادية او تبشيرية كبقية الرحلات التي اتسمت بها تلك الحقبة التاريخية التي بدأت فيها حركة التبشير الأوروبية تسيطر على عقول الرحالة المبشرين الأوروبيين التابعين للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وبالرغم من ان حركة التبشير الأوروبية انعكست بشكل واضح على عقلية صاحب الرحلة وسلوكه، الا ان حبه للسفر كان هدفه الحقيقي لرحلاته جميعها [160].

---

(155) - بطرس حداد، المرجع السابق، ص180.

(156) - **جان دي تيفينو (1667-1633)**: ولد في باريس من عائلة على شيء من اليسر وبحبوحة العيش؛ ترعرع في احضان عمه ملكيصاداق الذي كان يكن للشرق حباً واعجاباً عظيمين، فتأثر جان بعمه، ونمت في نفسه رغبة اكتشاف اسرار الشرق، تلقى تعليمه في كلية نافار. لغوي بارع، يتقن اللغات العثمانية والعربية والفارسية، فضلاً عن براعته في العلوم الطبيعية لاسيما علم النبات، واثناء تواجده في الهند جمع مجموعات مختلفة من النباتات. عرف بجديته ودقة الملاحظة، واتسم بشخصية مثيرة للاعجاب، ولا زالت كتاباته محترمة. بدأت أولى رحلاته في أوروبا عندما غادر فرنسا عام 1652، زار خلالها إنجلترا وهولندا وألمانيا وإيطاليا وفيها التقى بالمستشرق الفرنسي دا هيربلو (D'Herbelot) الذي دعاه لمرافقته في رحلته الى بلاد الشام. سافر الى تركيا والشرق الأوسط، وانطلق من فلسطين ومصر وايران وانتهى الى الهند. عاد الى فرنسا وبقي اربعة أعوام في بلاده ثم ابحر مرة أخرى من فرنسا الى الشرق عام 1663 ليزور مصر وبلاد الشام، ثم عبر بلاد الرافدين الى الموصل وبغداد ومندلي، ومنها توجه الى بلاد فارس، وواصل سفره حتى وصل البصرة، وابحر منها الى الهند، وفي طريق عودته وافاه الاجل في مدينة ميانا بارمينيا. وان تيفينو اول من ادخل استعمال القهوة في فرنسا؛ وكان يعرف بانه كان يشعر بلذة عظيمة عند احتساء ذاك المشروب الأسود الحار المجهول في فرنسا، أي القهوة. للمزيد ينظر: بطرس حداد، مقتطفات من رحلة تيفينو الى العراق (القرن السابع عشر)، مجلة بين النهرين، العدد 8، السنة الثانية، دار نجم المشرق الثقافي للنشر والتوزيع، بغداد، 1974، ص388-387؛
Encyclopedia Britannica 1911, GEOGRAPHICAL NAMES, Jean De Thevenot, www.theodora.com/encyclopedia

(157) - جان دي تيفينو، رحلات جان دي تيفينو في الاناضول والعراق والخليج العربي (1665-1664)، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2013، ص7.

(158) - سعيد رخا، رشيد في عيون الرحالة والمستشرقين (خلال القرون 19-16م)، ط1، مؤسسة الامة للنشر والتوزيع، مصر، 2019، ص39.

(159) - بطرس حداد، مقتطفات من رحلة تيفينو الى العراق (القرن السابع عشر)، المرجع السابق، ص388.

(160) - جان دي تيفينو، المرجع السابق، ص7.

❁ الرحالة ابراهام بارسونز (Abraham Parsons)(161)

كتب بارسونز في مقدمة كتابه ان مهنة قائد لسفن تجارية، هي المهنة التي «**تناسب رجلاً مولعاً بكل ما هو غريب بالفطرة**»(162). وعلى هذا الاساس اعطى بارسونز تصوراً بان رحلاته كانت بدافع الفضول لكل ما هو غريب، وان عمله كقنصل وتاجر جعل من سفره وتنقلاته بين الدول والبلدان مسألة حتمية. ونتيجة لولعه بكل ما هو غريب، والاحداث التي عاشها خلال رحلاته دون مخطوطه.

اما محرر كتاب بارسونز؛ جون باين بيرجو (John Payne Pergo) فذكر ان الدافع الأساس لنشر الكتاب كان تلبية لرغبة والد جون وأصدقائه (163).

وفي ضوء ذلك يكون دافع الرحلة تجارياً واقتصادياً يعود لصالح شركة الليفانت اثناء عمله كقنصل للشركة، وتاجر، فضلاً عن حب المغامرة.

❁ الرحالة صموئيل إيفرز(Samuel Evers)(164)

كان دافع رحلة ايفرز «من البصرة الى البحر المتوسط سنة (1779)» تسجيل لمذكرات رحلته التي

(161) – **ابراهام بارسونز (1785)**: اسكتلندي الأصل، ابن نقيب تجار، كان ضابطاً بحرياً في حياته المبكرة وقائداً لسفن تجارية زار خلالها عدد من البلدان، الا انه لم ينجح بممارسة التجارة في مدينته بريستول. عينته شركة الليفانت التركية عام 1767 قنصلاً ووكيلاً بحرياً لها في ميناء الاسكندرونة السوري، وظل في المنصب لمدة (6) اعوام ثم تقاعد بسبب رداءة الجو هناك من الناحية الصحية. بدأ بين الأعوام 1774–1772 رحلات عدة في تركيا لعقد صفقات تجارية، وبعدها سافر من الاسكندرونة التي بدأ منها بتدوين رحلته الى حلب، وعبر بادية الشام توجه من حلب الى بغداد، ومنها عبر نهر الفرات الى الحلة ثم البصرة، ومنها توجه بارسونز الى الخليج العربي في طريقه الى الهند، ومن بومبي توجه الى عدد من المدن الواقعة على الساحل الغربي لشبه القارة الهندية وصولاً الى ميناء غوا. وعن طريق البحر الأحمر عاد بارسونز من الهند عام 1778، وزار ميناء مُخا على الساحل الجنوبي لليمن، ومنها الى مصر. وفي العام ذاته عاد الى أوروبا وتقاعد في ليغورن وتوفي عام 1785. دون بارسونز رحلته في مخطوط انتقل بعد وفاته الى نسيبه جون بيرجو، ثم الى ابنه الوحيد جون باين بيرجو محرر المدونات، وصدر الكتاب عام 1808 في لندن بعنوان: «رحلات في اسيا وافريقيا، بضمنها رحلة من الاسكندرونة الى حلب، ومنها الى بغداد والبصرة عبر الصحراء؛ ورحلة من البصرة الى بومبي». صدر الكتاب بعد اكثر من ثلاثين عاماً من تأليفه بسبب انشغال المحرر بتدقيق المخطوط، وتصحيح لغته، وحذف بعض العبارات الخاصة بحياة المؤلف، للمزيد ينظر: ابراهام بارسونز، رحلة ابراهام بارسونز من حلب الى الخليج العربي (1775–1774)، ترجمة وتعليق: انيس عد الخالق محمود، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2013، ص12–10؛ ج.ج لوريمر، دليل الخليج، ج4، القسم التاريخي، قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو امير دولة قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، (د.ت)، ص 1855.

(162) – ابراهام بارسونز، المرجع السابق، ص10.

(163) – المرجع نفسه، ص11.

(164) – **صموئيل ايفرز (1787–1764)**: ينتمي صموئيل ايفرز الى عائلة ميشيل الإنكليزية الثرية التي ورث منها ملكية في مدينة ساسكس بانكلترا. لا يعرف الكثير عن المرحلة المبكرة من حياته سوى انه دخل المدرسة بين عامي 1769 او 1771. ذهب الى الهند للعمل في شركة الهند الشرقية، وبسبب تدهور أوضاعه المالية في الهند ترك عمله في شركة الهند الشرقية عام 1779 وكان برتبة ملازم، وقرر العودة الى اوروبا بالطريقة الصعبة، فغادر الهند عن طريق البحر حتى وصل البصرة ومنها الى بغداد ثم الى حلب عبر طريق البادية، ومنها الى اللاذقية والبحر المتوسط حتى إيطاليا. وواجه بعد عودته الى بلاده مشاكل مالية لانه وجد املاكه محتجزة، مما ادى الى تراكم ديونه حتى اضطر للعمل بصفة كاتب بسيط لدى احد المحامين. وفي عام 1784 بذل قصارى جهده لدفع كتابه الذي دونه خلال رحلته من البصرة الى إيطاليا للنشر. وانتحر فجأة عام 1787، بسبب خيانة خطيبته له. ومن الجدير بالذكر ان حياة الرحالة تكاد تكون مجهولة بالكامل، ولم يترك الرحالة سوى كتاب رحلته النادر «**رحلة من البصرة الى بغداد: عبر الصحراء الصغرى، الى حلب، وقبرص، ورودس، وزانته، وكورفو؛ ثم اوترانتو، بايطاليا، في سنة (1779)**». للمزيد ينظر:

Brian Slyfied, Samuel Evers: from India, through Arabia, to Horsham–and an Early Death, The Horsham Society Newsletter, November 2001, p146–147

كتبت بدافع التسلية، ونشرت نزولاً عند رغبة أصدقائه بعد توسلاتهم له، فكانت الأثر الوحيد له [165].

الا ان رحلة صموئيل تعد رحلة ذات فائدة بشكل خاص للبريطانيين، كما جاء في كتاباته: «**امل ان لا أكون مغروراً بهذه الإضافة، وان تكون المعلومات المنقولة ذات فائدة استثنائية للبريطانيين الذين بدأت تجارتهم مع العالم الشرقي تحتل الآن أهمية حقيقية**» [166]، وأشار ايفرز الى اهمية شركة الهند الشرقية [167] المتزايدة في الشرق نسبة الى بقية الشركات التجارية الأخرى. ويواصل ايفرز القول: «**اصبح الطريق البري الى الهند الان اكثر ارتياداً من السابق، وفي اغلب الأحيان يفضل على الطريق البحري الممل والطويل جداً. وكل طريق يسهل السفر يثير اهتمام الجمهور**» [168].

وبذلك، تعد رحلة صموئيل دليلا عمليا على اهمية الطريق البري التجاري للبريطانيين. ولو فرض جدلاً ان هدف الرحلة منذ بدايتها كان مغامرة وتسلية، الا ان نتيجة لمشاهداته وتوثيقه لاهم الاحداث، أعطاه دافعاً آخر كان لفائدة ومصلحة الحكومة البريطانية سياسياً واقتصادياً.

المبحث الثاني

وصف مدينة البصرة

غالباً ما يبدأ الرحالة كتاباتهم بوصف المدن التي يزورونها، لاسيما المواقع التي تلفت الانتباه مثل الطبيعة، والعمران، والملابس. ومن اجل الوصول الى وصف دقيق لما كانت تتمتع به البصرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، سيسلط هذا المبحث الضوء على ما جاء في كتب

(165) – صموئيل إيفرز، رحلة صموئيل إيفرز من البصرة الى البحر المتوسط سنة (1779)، ترجمة وتعليق: انيس عبد الخالق محمود، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2013، ص13.

(166) – Brian Slyfied, op.cit, p147.

(167) – **شركة الهند الشرقية:** تأسست الشركة كمشروع تجاري صغير يديره مجموعة من تجار مدينة لندن، حتى مُنحت في 31 كانون الثاني 1600 احتكار التجارة الإنجليزية في مناطق آسيا جميعها والمحيط الهادئ. تمكنت الشركة من امتلاك نفوذ اقتصادي هائل وتأثير سياسي خطير حتى قامت بأدوار رئيسة في احتلال الهند، وتدمير الصين ونهب البصرة وبندر عباس، بعد ان اصبحت البصرة مقراً لنشاط شركة الهند الشرقية البريطانية التجاري منذ عام 1643، كما اخضعت لهيمنتها مدناً واصقاعاً عدة في اليابان وسنغافورة وغيرهما من البلدان. كانت عمليات الشركة تُدار بنظام «الوكالة»، فعندما تعود السفن إلى أوروبا كان وسطاء يُعرفون باسم «الوكلاء» التجاريين يبقون في محطات تجارية للتفاوض مع التجار المحليين على بيع المخزون الحالي من السلع وشراء البضائع الجديدة لرحلات العودة. أشرفت على أعمال الشركة إدارة مركزية في لندن، وكانت الشركة ترسل تعليماتها التجارية والسياسية والإدارية على متن سفنها إلى المجالس التي تم تأسيسها في مستعمراتها الرئيسة في آسيا، وكانت هذه المجالس مسؤولة بدورها عن إدارة الوكالات التابعة لها والتي كان من بينها بندر عباس والبصرة. تطور وضع الشركة من كونها فقط مؤسسة تجارية عندما اندلعت الحرب بين بريطانيا وفرنسا وطالت الهند في منتصف أربعينيات القرن الثامن عشر. فتفوقت الشركة عسكرياً على الشركات التجارية الأوروبية المنافسة والحكام المحليين، وبلغت ذروة هذا التفوق عام ١٧٥٧ بسيطرتها على إقليم البنغال. وعزز الاستحواذ على المزيد من الأراضي في الهند في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر انتقال دور الشركة من كونها مجرد شركة تجارية إلى قوة سيادية هجينة. استمرت الشركة في دورها الاستعماري حتى عام ١٨٥٨ عندما نقل قانون حكومة الهند الصلاحيات الممنوحة لها إلى مكتب الهند التابع لوزارة الخارجية في أعقاب التمرد العسكري والمدني الذي وقع في شمال شبه القارة الهندية. وتم حلّ شركة الهند الشرقية نهائياً في 1 حزيران ١٨٧٤، بعد أن حصل المساهمون على تعويض من البرلمان. للمزيد ينظر: نك روبينز، الشركة التي غيرت العالم: كيف بنت شركة الهند الشرقية الإمبراطورية البريطانية وقدمت المؤسسة العابرة للقارات، ترجمة كمال المصري، تقديم احمد بهاء الدين شعبان، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2009؛ عبد الحكيم عجيل عبد الرزاق السعدون، البصرة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر دراسة في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1989، ص65.

(168) – Brian Slyfied, op.cit, p147.

الرحالة من وصف للمدينة.

❁ **رحلة الاب فنشنسو**

وصلت الرحلة الى مكان التقاء نهر دجلة بالفرات وتكوين نهر شط العرب في 5 أيلول 1656 عند مدينة تدعى المنصورية (169). وشط العرب –بحسب وصف فنشنسو– تجري فيه مياه نهري دجلة والفرات ولكن كلّ على جهة، أي بالإمكان ملاحظة مياه الفرات النقية في الجهة اليسرى من الشط بينما يلاحظ المياه العكرة على الجهة اليمنى، وان شط العرب عريض جداً «**يكاد ان يكون بحيرة عظيمة**». ويوجد في الارض الواقعة عند ملتقى النهرين قلعتان قريبتان من ضفاف الفرات، تتمتعان بمظهر القوة والحصانة لكثرة الأبراج العالية والجدران العديدة فوق الاسوار، فهما تصلحان لمقاومة هجمات البدو لافتقارهم الى المدافع والأسلحة النارية، الا انهما لن تقفا امام الأسلحة الحديثة. كما توجد قلعتان أخريان في الطريق الى مدينة البصرة وهما: قلعة المدينة (El Medina)، والفتار (Elphatar). ومن المواقع التي مرت بها الرحلة قبل الوصول الى البصرة قرية العين، وبالرغم من انها فقدت اهميتها الا ان اراضيها لا تزال خصبة وصالحة الى الزراعة لكثرة المياه، وبعض ابنيتها لا تزال قائمة. وتقابل القرية جزيرة صغيرة عليها ابنية واشجار كثيرة، وقيل ان الوالي يأتي الى هذا المكان طلباً للراحة وممارسة الصيد لكثرة الغابات فيها. اما الأراضي الواقعة على ضفتي النهر فهي بغاية الجمال والخصوبة، ويكثر فيها أنواع البقول والرز، فضلاً عن أشجار النخيل الذي يتناول الأهالي ثمره الطيب المذاق طيلة أيام السنة، ومن ثمر النخيل يُصنع العَرق وهو شراب كحولي قوي جداً (170).

قدم فنشنسو اسباباً عدة لشهرة مدينة البصرة، فهي تعد من اقدم المدن في المنطقة العربية، وموطن رجال مشهورين «**كابن سينا** (171) **مثلا**»، ومحطة مهمة على الخليج العربي وقبلة الكثيرين من القوميات المختلفة، ولها أهمية كبيرة في نظر المسلمين «**لانها من أوائل المدن التي خضعت للفتح الإسلامي**» (172).

---

(169) – **المنصورية**: احدى الجزائر المتكونة من سواعد شط العرب، وكانت الجزائر تشتمل على قرى عديدة معمورة، وطوائف كثيرة، ووعرة المسالك كثيرة المياه. للمزيد ينظر: علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ البصرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2017، ص81.

(170) – الاب فنشنسو، رحلة فنشنسو الى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة وتعليق بطرس حداد، مجلة المورد، العدد الثالث، المجلد الخامس، العراق–بغداد، 1976، ص83–82.

(171) – **ابن سينا (427–370هـ/ 1037–980م)**: هو ابو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، ولد في قرية والدته أفشنة بالقرب من بخارى (في اوزبكستان الحالية)، وابوه من مدينة بلخ (في افغانستان الحالية) وكان والياً لأفشنة في دولة السامانيين (389–261هـ/ 999–875م)، لذا نشأ ابن سينا نشأة هانئة، وعهد به والده الى كبار رجال العلم في بخارى ليتلقى علوم القرآن ثم الفلسفة والمنطق والاداب والعلوم الشرعية والهندسة والفلك وعلم النفس والاجتماع والرياضيات والموسيقى، الا انه ولع بالطب وتعلم الطب النظري والعملي ومارس مهنة الطب حتى اصبح علم اعلام الطب في عصره، وعند عمر الثانية والعشرين غادر الحسين بخارى الى مدينة جرجانية –عاصمة خوارزم وتقع على الجانب الشرقي من بحر قزوين– وبعد عشرة أعوام في جرجانية غادرها الى جرجان على بحر قزوين. اخذ الامير شمس الدولة معه الحسين الى همدان وعينه رئيساً للوزراء على همدان، ثم لاسباب سياسية نفي من همدان واتجه الى مدينة دهستان وهناك اصابه المرض وعاد الى جرجان ثم غادرها الى همدان لعلاج اميرها وعاد رئيساً للوزراء، وبعد مدة هرب الى اصفهان وتفرغ للتأليف وبقي فيها حتى اصبح عمره (55) عاماً فأصابه مرض الام المعدة والقولون، وغادر اصفهان الى همدان واشتد عليه المرض وتوفي فيها. ترك الحسين الكثير من المؤلفات بلغ عددها اكثر من (100) كتاباً في شتى المجالات اهمها القانون في الطب. ولقب بالقاب كثيرة منها الطبيب الحاذق، والشيخ الرئيس، وامير الاطباء. للمزيد ينظر: عاطف محمد، علم اعلام الطب ابن سينا، ط1، اشهر العلماء في التاريخ، 8، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص24–3؛ عباس محمود العقاد، ابن سينا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013، ص17–10؛ https://online.library-books/

(172) الاب فنشنسو، المرجع السابق، ص83.

ومن سيرة حياة ابن سينا نجد انه لم يطأ ارض البصرة، فلا نعلم لماذا او كيف استنتج فنشنسو ان موطن ابن سينا هو البصرة، وهنا ربما يقصد اسماً اخر ولم يترجم بالصورة الصحيحة او قصد ابن سينا وبذلك فكلامه غير صحيح.

وعن موقعها فالبصرة تقع بالقرب من خط الاستواء، على حدود المملكة الإيرانية من جهة، والأرض الخاضعة لامير قطيف من الجهة الأخرى. اما عمارتها فليس فيها ما يجذب النظر، وليست على جانب كبير من العظمة، وتتناثر دورها بين غابات النخيل. وعن خيرات البصرة قال فنشنسو: «**مما يزيد من أهمية موقعها هو النهر، خيراتها وافرة نظراً لوجود البحر، حدائقها كثيرة، حقولها شاسعة، نخيلها وفيرة، تأتيها البضائع من مختلف البلاد: من بلاد العرب ومن فارس وتركية، ومن الهند بنوع خاص، اذ تصلها السفن محملة بمختلف منتوجات الهند. وتكثر في البصرة أنواع المأكولات، وهي من احسن الأنواع واطيبها**» [173].

الا ان فنشنسو ذكر مأخذاً واحداً على البصرة وهو الحر الشديد «**الذي يعذب سكانها**»، والرمال المحيطة بالمدينة والتي تهب عليها مع هبوب الرياح الشرقية، وعند تعكر صفاء الجو يلجأ الكثيرين الى السباحة في النهر تخلصاً من الحر والرمال، ولولا النهر الذي يسقي الحقول لاحترقت الأرض. اما في فصل الشتاء فالبصرة شحيحة الامطار التي تهطل ثلاث مرات فقط خلال اشهر الشتاء، الا انها قوية جارفة تهدم المنازل المشيدة بالجص واللبن. وعند مصب شط العرب في الخليج يوجد العديد من الجزر تسمى احداها باسم «ابينا» يعقوب، وان سبب تسميتها بذلك بحسب ادعاء الأهالي ان يعقوب سكن فيها لفترة من الزمن [174].

الرحالة جان دي تيفينو

تقع مدينة البصرة الى الجنوب بمسافة يومين عن مكان اندماج نهرا دجلة والفرات على ضفاف شط العرب، وتبعد (18) فرسخاً [175] عن البحر، وتقع على خط العرض (30) او (31) درجة، وتبعد يومين براً عن بغداد، وتستغرق المسافة من بغداد الى البصرة بين (16-15) يوماً بالنهر، اما من البصرة الى بغداد فتستغرق السفن ما بين (60-50) او حتى (80) يوماً في هذه الرحلة اذ يسحبها الرجال فقط. وصف تيفينو البصرة بانها مدينة كبيرة ومحاطة باسوار ترابية، ويبلغ محيطها نحو (5) ساعات سيراً على الاقدام، الا انها تضم الكثير من المساحات الخالية التي لا توجد فيها بيوت او بساتين. وللبصرة بوابتان وهما بوابة الشرق، وبوابة الغرب او بوابة بغداد لانها البوابة التي يتوجهون منها الى بغداد. ومن وجهة نظر تيفينو فان موقع البصرة ملائم جداً وبالامكان ان تكون اغنى مدن العالم واجملها اذا ما تم الاعتناء ببنائها، وزراعة الحدائق على امتداد ضفة القناة القادمة من شط العرب التي تخترق المدينة كلها، كما ان لها تربة رمادية خصبة جداً لو سمدت وزرعت بالنخيل «فأعتقد» انها ستنتج أي شيء لاسيما ان مياه النهر ترطبها مرتين باليوم عند ارتفاع مناسيب مياه البحر الذي يبعد (4) أيام ونصف اليوم عن البصرة. وينمو النخيل بكثرة في البصرة في الأراضي الملحية لاسيما الأراضي المحيطة بها اكثر مما هو عليه في أي بلد في العالم. ويفند تيفينو ملوحة أراضي البصرة

---

(173) – المرجع نفسه، ص84.

(174) – المرجع نفسه، ص84، 86.

(175) – **الفرسخ**: كلمة فارسية معربة وتعني (3) اميال هاشمية، والطولى منه (12.000) ذراع. او (4) كيلو متر، وحوالي (5555) متر. للمزيد ينظر: المفتي السيد محمد عميم الاحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية –معجم يشرح الالفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والاصوليين وغيرهم من علماء الدين رحمهم الله تعالى، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ص163، 223؛ تعريف ومعنى فرسخ في القواميس والمعاجم www.almaany.com/ar/ar-ar/dict

بأكملها لانها تنتج فضلاً عن النخيل انواعاً كثيرة من الأعشاب مثل السبانخ والهندباء وغيرها من الخضار وذلك في شهر تشرين الثاني وصاعداً. وطوال شهري حزيران وتموز ينمو المشمش اللذيذ جداً في بساتين كثيرة، ويكثر العنب في شهري تموز وآب، وينمو الرمان والليمون والبطيخ والرقي في شهر تشرين الأول، الا انه بسبب الرياح الجنوبية التي تهب خلال الموسم الحار الرطب لا يمكن حفظ تلك الفواكه. وفي البصرة أماكن كثيرة جميلة وعامة، من بينها الميدان الذي يقع مقابل قصر الوالي، ويكون واسعا جداً، وفيه (12) مدفعاً وضعت فوق حمالات بالقرب من القصر. كما كان في البصرة الكثير من الأسواق الجميلة [176].

يشتد الحر في هذه المدينة بشكل لا يطاق طوال اشهر تموز وآب وأيلول، لاسيما عند هبوب الرياح الجنوبية الشرقية فيصبح التنفس في المدينة امراً صعباً للغاية. ويذكر تيفينو ان في شهر تموز قبل وصوله الى البصرة مات (4.000) شخصاً بسبب رياح السموم خلال (20) يوماً، فخلال أوقات الحر ينام الناس فوق سطوح المنازل وليس لديهم ادراك بالمخاطر التي يسببها الهواء في ذلك الوقت، ويضطرون الى شرب الماء في كل لحظة، والماء ضار وكريه الطعم لانه من مياه القناة الضيقة التي تخترق المدينة قادمة من شط العرب وهي مياه موحلة جداً ومليئة بالاتربة. وليس بإمكان الأهالي الحصول على المياه الا من تلك المياه الرديئة. واقترح تيفينو حاجة المدينة لتنظيف الضفاف من الاتربة في أماكن مختلفة لجمع المياه في برك صغيرة ليتمكن السقاؤون من الحصول على المياه في أي وقت، اذ ان القذرين يقضون حاجاتهم ويغسلون ملابسهم في القناة فتكون المياه ضارة جداً فضلاً عن قذارتها. اما عند انتهاء الحر الشديد في البصرة نهاية شهر ايلول يصبح الهواء خطراً لذلك يجب على المرء ان يتدثر جيداً عند النوم في الهواء الطلق، اذ ترى افواه الكثيرين قد اعوجت بسبب ان ابتداءً من نهاية تشرين الاول حتى كانون الثاني يكون الجو بارداً ليلاً ويستمر حتى الصباح الى ما بعد شروق الشمس بساعتين او ثلاث [177].

ربما يؤدي الحر الى وفاة الكثير من الأهالي نتيجة رياح السموم والمياه الموبؤة، فضلاً عن عدم الادراك وقلة التوعية، الا ان الرقم الذي ذكره تيفينو للوفيات خلال 20 يوماً يعد عدداً مبالغاً فيه.

❁ الرحالة ابراهام بارسونز

قام ابراهام برحلته من حلب حتى الخليج العربي خلال الفترة 14 اذار 1774-15 نيسان 1775، ودخل القرنة في 10 تشرين الثاني 1774 التي تبعد من خليج البصرة الى مصب النهر العظيم –شط العرب– في الخليج العربي [178] نحو (40) فرسخاً، ووصفها بارسونز بانها: «مدينة كبيرة تقع عند اخر نقطة لبلاد ما بين النهرين، فتكون على ضفاف كلا النهرين، الفرات ودجلة. وهي النقطة التي تقابل «النهر العربي العظيم» الذي يسمى بهذا الاسم نتيجة اتحادهما عند هذه النقطة. وعلى هذه النقطة تم بناء دار للكمارك... وهذا الموقع جميل جداً، ويعتقد الاتراك حق الاعتقاد ان هذه النقطة هي المكان الذي كان يعيش فيه والدانا [179]... وجميع الأشجار والاعشاب هنا خضراء، ولا يبدو ان هناك مكاناً في الأرض اجمل من موقع القرنة هذا؛ فليس من الغريب ان يعتقد الاتراك انها كانت الجنة، لانني انا تصورت ذلك، مقارنة مع كل الأماكن التي رأيتها لحد الان... اما من ناحية المؤن، فلا توجد أماكن

(176) – Jean De Thevenot, Suite du Voyage de Levant; dans laquelle... il est traité de la Perse... et aussi des antiquitez de Tchehelminar et [...], seconde partie, publié par François Pétis de La Croix et le sieur de Luisandre, Paris, 1674, p309-310.

(177) – Ibad, p312-313.

(178) – التسمية من الباحثة، فالرحالة اطلق على الخليج العربي بـ «الخليج الفارسي».

(179) – حواء وادم عليهما السلام.

تضاهي هذا المكان الا القليل، سواء في الجودة او رخص الأسعار..» [180]. كانت كتابات بارسونز شديدة الدقة، حتى انه كتب عن مستوى الماء في شط العرب، وكيف يتأثر بالمد والجزر ولم ينسَ عمر القمر، فضلاً عن سرعة الرياح. وعند مصب خليج البصرة الذي يبعد عن الوكالة التجارية الإنجليزية في المدينة (3) اميال، كان يوجد في النهر طرادات او سفن حربية تابعة لشركة الهند الشرقية، وهي كل من فرقاطة «ريفينج» (Reving) المزودة بـ (26) مدفعاً، والطراد «إيجل» (Eagle) ويحمل (16) مدفعاً، والطراد «سكصس» (Success)، وكان يوجد سفينتان اخريان تحمل كل منهما (14) مدفعاً يقودهما ضابط صف بحري يعمل موظفاً في الشركة، ويتكون طاقمها من الاتراك وعدد قليل من البحارة الانجليز الا انها تحمل الرايات البريطانية، وهاتان السفينتان تم تشيدهما في بومباي لصالح باشا بغداد. وكان يوجد سفينتان تجاريتان انكليزيتين من البنغال، ومراكب قليلة تعود لمسقط وأجزاء أخرى من الخليج العربي [181].

وتعد مشاهدات بارسونز تلك ذات فائدة للباحثين والمهتمين بالسفن الحربية المتواجدة في مصب الخليج، اذ اعطى ملامح ما تمتلكه شركة الهند الشرقية من سفن وطرادات حربية في البصرة.

تقع البصرة على ارض منبسطة تبعد نحو (3) اميال عن ضفاف النهر العظيم لشبه الجزيرة العربية الذي يجري منه داخل المدينة خليج صغير صالح لملاحة سفن تبلغ حمولتها في أعالي البحار ما بين (60–50) طناً. وتقع البصرة «على خط عرض 30 درجة و45 دقيقة شمالاً، وخط طول 47 درجة شرقي لندن، وتبعد نحو مئة ميل من الخليج الفارسي الذي يصب فيه النهر، ونحو تسعين ميلاً عن القرنة، اقصى نقطة في بلاد ما بين النهرين، حيث يتحد نهرا دجلة والفرات» وأضاف: «يحيط المدينة سور وخندق عميق وواسع، ولها اربع بوابات وميناء للسفن، والاسوار مبنية من الطين، ويبلغ عرضها ما بين (25–20) قدماً، وفيها متاريس امامية عالية ذات فتحات صغيرة للبنادق والسهام (فالعرب ماهرون برمي السهام)، ولا تحيط هذه الاسوار المدينة من جهة اليابسة فحسب، وانما من جوانب الرافد ايضاً... وكل طرف يحميه حصن وبوابة تبعد عن المدينة ثلاثة اميال. وتنتشر في المسافة الممتدة بين البوابة والمدينة عدة الاف من النخيل وغيرها من الأشجار المتداخلة مع الرز في التربة، ويبلغ محيط الاسوار نحو (12) ميلاً. ومع ان نصف ما بداخل الاسوار غير مبني، الا ان المدينة كبيرة، وكانت مكتظة بالسكان قبل طاعون سنة 1773»[182]. وللبصرة بوابتان رئيسيتان كبيرتان على جهة اليابسة، وهما: بوابة بغداد، وبوابة الزبير، ويوجد خندق لا يحمي أي واحدة من البوابات بل يبعد عن كل جانب كثيراً، وعند فيضان خليج البصرة يمتلئ الخندق ويغمر الماء أساس الاسوار المبني من الاجر المفخور، عندئذ يسمح للماء بالدخول الى الخندق فتحبسه بوابات الفيضان. وللمدينة ساحة كبرى او الميدان؛ وهو كبير جداً يستخدم كسوق كبيرة للحبوب اذ تباع فيه الحنطة والبذور والحبوب بكل أنواعها بالجملة، كما تستخدم الساحة لتدريب الخيول، ويقع السراي او قصر الحاكم على احد جوانب الميدان، وهو واسع جداً الا ان بناءه ليس فخماً جدا [183].

جو البصرة حار جداً يفوق حر جو بغداد خلال (4) اشهر من العام، وغالباً درجة حرارته بين (116–112) فهرنهايت [184]. ويكون الجو خلال شهري كانون الأول وشباط بارداً جداً «**فيحلو للناس ان يجلسوا بالقرب من نار هادئة**». وتشيع الحمى في البصرة في الأشهر الحارة، بسبب الهواء

(180) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص117–115.

(181) – المرجع نفسه، ص118–117.

(182) – المرجع نفسه، ص121–119.

(183) – المرجع نفسه، ص126.

(184) – أي ما يساوي (46.67–44.44) درجة مئوية. والفهرنهايت هو وحدة لقياس درجة الحرارة ويرمز له بالرمز (F) سمي باسم منشئه العالم الفيزيائي الألماني دانيال غابرييل فهرنهايت(Daniel Gabriel Fahrenheit) عام 1724.
fahrenheit/temperature/ar/com.convertworld.www

المشبع بالروائح الكريهة المنبعثة من المياه الراكدة ومن الطين في الخندق التي لا تجف ابداً، فضلاً عن المستنقعات. وبانتهاء تيار المد وعندما يدفأ الجو فإن رافد البصرة يبعث رائحة كريهة ونتنة([185]).

❁ الرحالة صموئيل إيفرز

اكد صموئيل إيفرز الذي وصل البصرة عام 1779 ان التقاء نهري دجلة والفرات هو موقع جنة عدن فيقول: «تؤكد الروايات القديمة على ان هذا المكان هو موقع الجنة، وان احد المؤلفين المشهورين، بعد وصف مختلف الآراء السائدة الخاصة بموقع الجنة الأرضية، يقدم هذه الإشارة من خلال الملاحظة التالية: الفرضية الثالثة التي تبدو محتملة جداً تضع عدن على موضع التقاء نهري دجلة والفرات، الذي يسميه العرب «شط العرب»، أي «نهر العرب»....» [186].

يقصد ايفرز بأحد المؤلفين المشهورين شارلس ثومبسون (Charles Thompson) الذي رجح بعد دراسته لفرضيات عدة ان الجنة الأرضية او جنة عدن تقع عند التقاء نهري دجلة والفرات، والذي يسميه العرب شط العرب او نهر العرب، وبعد حوالي (5) فراسخ ينقسم مرة اخرى الى قناتين تصبان في الخليج العربي[187]، وتبعد نقطة القاء نهري دجلة والفرات رحلة يومين عن مدينة البصرة، وهكذا فان شط العرب هو النهر الذي يخرج من عدن والذي يصب في الخليج العربي[188].

واكد الرحالة توماس هربرت (Thomas Herbert) الذي زار العراق عام 1628، بعد توضيح الكثير من الفرضيات عن الجنة الأرضية، ان نهري دجلة والفرات كانا يسقيان جنة عدن، من خلال منابعهما الكثيرة يتفرعان الى أربعة فروع احدهما نهر الكرخة في فارس، والآخر نهر الكارون، ليختلطا معاً في الخليج العربي مقابل البصرة [189].

وبالعودة الى ايفرز؛ فإنه يصف شط العرب عندما كان في طريقه من البصرة الى القرنة، قائلاً: «نهر جميل جداً، ضفتاه مزدانتان بانواع جميلة من النخيل. والمنطقة كلها ذات جمال أخاذ» [190]، ويصف القرنة: «المكان الذي توسط نهري دجلة والفرات؛ فالجانب الشرقي يغسله نهر دجلة، بينما يغسل نهر الفرات الجانب الجنوبي الغربي منه، فيتشكل «شط العرب»، الذي يجري جنوباً حتى البصرة، التي تبعد عن هنا نحو (70) ميلاً»، واضاف: «تبدو هذه المدينة]القرنة[مكتظة بالسكان ومحصنة بسورين من الطين، وخندقين. وهي في حالة خراب تام حالياً، ولا يتجاوز عدد سكانها (500) شخص. ومن اسوار المدينة القينا نظرة فاحصة نحو الصحراء» [191].

ويتضح ان ايفرز وصل البصرة والقرنة بعد حصارها واحتلالها من الفرس –سيأتي ذكره في المبحث القادم– لذلك فانه لم يشاهد سوى الخراب، وهذا ما قصده بـ «حالياً»، ولم يعط اكثر من هذا الوصف.

---

(185) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص123.

(186) – صموئيل إيفرز، المصدر السابق، ص24.

(187) – جاء في المصدر باسم الخليج الفارسي.

(188) – تعد هذه الفرضية الأكثر احتمالًا، وايدها بعض المؤرخون والرحالة والاساقفة والغواصون.
Charles Thompson, The Travels of the late Charles Thompson, Efq; Containing his Obser–.vations on…, vol. III, London, 1767, p21–23

(189) – توماس هربرت، العراق وملاحظات شرقية في رحلة توماس هربرت سنة 1628، ترجمة وتعليق، انيس عبد الخالق محمود، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2013، ص64–59.

(190) صموئيل ايفرز، المصدر السابق، ص22.

(191) المصدر نفسه، ص24.

المبحث الثالث

الأوضاع السياسية في البصرة

❁ رحلة الاب فنشنسو

ان المنطقة –كما وجدها فنشنسو عام 1656– بعد ان خضعت لحكم السلطان [192] اصبح يعين حكام لادارتها كيفما يشاء وحسبما تتطلب مصالحه، الا ان بعد المنطقة عن إسطنبول جعلها في حالة قلقة باستمرار، وكان السلطان يخشى فقدها، ولأن ولاة البصرة يتمنون إدخالها تحت سيطرتهم، اسند الباب العالي ولاية البصرة الى شخص عربي يتوقع منه الولاء والخضوع، وبقي هذا الوالي موالياً وخاضعاً ويؤدي الرسوم المقررة في مواعدها لفترة طويلة من الزمن، الا ان طموحه ورغبته في السلطة كان ينمو في داخله حتى استقل في ادارتها بسبب ظروف الحكم العثماني في البصرة، وحث عرب المنطقة له على الاستقلال، ووعد البرتغاليين له بمساندته، فضلاً عن مساعدة العاهل الإيراني لتحقيق رغبته في السلطة. واستطاع خلفاؤه من بعده حفظ الاستقلال [193].

قصد الاب فنشنسو الحديث عن افراسياب [194] وكيف انتقلت السلطة السياسية في البصرة اليه والى أبنائه من بعده الذين حافظوا على استقلال البصرة. وهذه الاحداث بطبيعة الحال كانت قبل مجيء فنشنسو الى البصرة، لذلك كانت لديه بعض الهفوات منها ان افراسياب اشترى امارة البصرة ولم تعط

(192) – خضع العراق لحكم الدولة العثمانية عام 1534، والبصرة عام 1546، في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني (1566–1520). ينظر: ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط5، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، (د.ت)، ص41–35؛ علي ظريف الاعظمي، المصدر السابق، ص80–79.

(193) – بطرس حداد، المصدر السابق، ص84.

(194) – **افراسياب باشا:** افراسياب باشا بن احمد بك بن حسين جلبي بن فرجشاد بن افراسياب بن سنادست التركي السلجوقي، وكانت امه من أهل البصرة من الدير واليها نسب مؤسس هذه الأُسرة افراسياب الديري. كان كاتباً للجند المحافظ (آغا سكماني) في البصرة، استطاع من شراء امارة البصرة من الوالي العثماني انذاك علي باشا بالف قرش، وأسس في البصرة امارة بصرية عربية مستقلة ملقباً نفسه بأمير البصرة على ان لا يقطع الخطبة باسم السلطان – محمد الثالث (1603–1595)–. اما علي باشا الذي باع حكومته تم اعدامه فور وصوله القسطنطينية. وبالرغم من عد افراسياب متمرداً في نظر الحكومة التركية فإنها تحملته وجاملته وكانت تساعده لانه كان قديراً في تدبير المدينة وسياستها. ومن جهة ثانية كان يعترف بها ظاهرياً، وحتى لا تفقد خضوعه الاسمي لها، ولم يكن من السهل معاقبته او عمل شيء لتبديل الأمور في البصرة فهي منطقة نائية عن إسطنبول قريبة من الأعداء، أخيراً كانت كلمته مسموعة في المدينة. استطاع افراسياب ان يوسع حكمه ويوطد دعائم النظام في خارج المدينة وضواحيها، وعم المدينة النظام والطمأنينة، وصار للامير علاقات بامم اجنبية مختلفة، واستمر والياً على البصرة لمدة سبع سنوات حتى وفاته نهاية عام 1624 او بداية 1625، ليخلفه ابنه علي باشا الذي استولى على الحكم بالقوة قبل ان يلفظ ابوه أنفاسه الأخيرة، وثبته السلطان في باشوية البصرة في 13 أيار 1625. ازدهرت البصرة تجارياً في عهد الامارة الافراسيابية فضلاً عن قيام امرائها بتوسيع مدينة البصرة. اذ عم الاستقرار في عهد علي باشا بعد مقاومته للخطر الإيراني مرتين، وبسيطرته على القبائل العربية المنتشرة في الاهوار (منطقة الجزائر) وقرب الأنهار، واصبح بلاطه يقاس ببلاط هارون الرشيد فازدهرت الفنون والاداب والعلوم برعايته، ووجد المعلمون عنه ملجأ وملاذ، وادى الاقتصاد الحكيم والعدل المصون الى الاستقرار الذي أدى الى مزاولة النشاط التجاري في البصرة بكل امان بقدوم التجار الى البصرة من مختلف البلاد. واستمرت الامارة الافراسيابية في البصرة حتى عام 1669. للمزيد عن آل افراسياب ينظر: محمد الخال، تاريخ الامارة الافراسيابية او حلقة مفقودة من تأريخ البصرة، المجمع العلمي العراقي، العراق، 1961، ص4–3؛ ديللافاليه، رحلة ديللافاليه الى العراق (مطلع القرن السابع عشر)، ترجمة بطرس حداد، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2006، ص122؛ جان بابتيست تافرنييه، رحلة الفرنسي تافرنييه الى العراق في القرن السابع عشر 1676، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006، ص72–71؛ لوريمر، المصدر السابق، ص1764؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص153–126.

له من قبل السلطان.

اما حاكم البصرة «الحالي»[195]؛ فيقول الاب فنشنسو عنه انه كانت له طريقته الخاصة لتقوية استقلاله ودعم مركزه، اذ رأى ان من مصلحته كسب الأطراف جميعها من اجل حمايته؛ الشاه الإيراني، البرتغاليين والسلطان العثماني، فكان يرسل هدايا الى أصحاب الكلمة النافذة في إسطنبول من وزراء وغيرهم، كما كان يبعث الهدايا الى الشاه الإيراني لاظهار الولاء له دون الخضوع. وعن سياسته في الداخل ذكر الاب فنشنسو ان امير البصرة كان سيّئ السيرة والإدارة والسمعة، وكان الأهالي يشتكون منه لاسيما بعد حملة مرتضى باشا على البصرة، الذي كان واليا على بغداد، وأشار عليه الباب العالي بالتوجه الى البصرة في حملة تأديبية لاسيما ان أهالي البصرة كانوا يشتكون من اميرها، فأعد جيشاً قوياً سلك طريقين: الأول البري والآخر في دجلة والفرات، واستطاع مرتضى باشا هزيمة امير البصرة حسين باشا منذ الهجوم الأول، فقرر البقاء في البصرة والاحتفاظ بها تحت سلطته لاسيما بعد رؤيته للناس وهم يسرعون الى خدمته، وهطول الأموال عليه بغزارة، الامر الذي أدى فيما بعد الى مطالبة الأهالي بعودة حسين باشا الذي رفض الخضوع للغريب وأعد العدة للرجوع، وقام بشن هجمات أجبرت مرتضى باشا الى التقهقر والانسحاب خائباً. وبعد عودته الى البصرة تذرع حسين باشا بمختلف الحيل والوسائل من اجل انتزاع الأموال لاستيلاء الطمع عليه، ووضع ضرائب جديدة مختلفة لحاجته الى الأموال ليبذلها في كسب ولاء الشيوخ، وعقد صداقات جديدة، والاستعداد لحملات قادمة من اجل توطيد دعائم حكمه، بل «**وقاده طمعه الى القيام بامور لا تليق بمنزلته**» [196].

❁ الرحالة جان دي تيفينو

تحدث تيفينو عن والي البصرة –حسين باشا–، الذي لا يتم تغييره مثل بقية الولاة في الدولة العثمانية كل ثلاثة أعوام وانما يتغير بشكل وراثي، وكل وال يشتري حق الوراثة لابنه من خلال تقديم الهدايا الثمينة. وكان السلطان الأعظم –السلطان محمد الرابع (1687–1648)– طوال الأربع سنوات الماضية يرسل له حق وراثة الولاية لابنه [197] عن طريق «القبوجي» [198]، وكان حسين باشا يدفع سنوياً (1000) قرشاً [199] الى الباب العالي، لانه لا يستطيع ضمان وضعه الا عن طريق

(195) – أي عام 1656 كان الحاكم في البصرة حسين باشا بن علي باشا بن افراسياب، تولى البصرة بعد وفاة والده عام 1650، له شخصية قوية وطموح كبير، وحاذقاً وحسن التدبير، الا انه كان عنيفا وجائراً، ولم تكن لديه كياسة والده، وادى تساهله مع التجار الأجانب والأقليات النصرانية الضعيفة الى نفر أبناء بلاده. لكنه استطاع من توسيع البصرة اذ مد اسوار المدينة حتى النهر، وازدهرت التجارة في عهده باطراد، كما تحالف مع امم غريبة عدة اذ اصبح يرحب بكل من يأتي اليه. وكانت المدينة من الامن والحرية ما يجعل التجوال في شوارعها طوال الليل غير خطر. واستطاع من ارضاخ الكثير من القرى العائدة الى باشوية بغداد، حتى أصابه الغرور لغناه الطائل. وكان قوياً لدرجة مكنته من طرد القوات التركية المتقدمة نحو البصرة مرات عدة، وعندما لم يستطع الاستمرار والمقاومة فضلا عن زيادة الموالين لعدوه ترك ولايته نهائياً وفر الى ايران. واستطاع العثمانيون إعادة البصرة الى الحكم العثماني المباشر عام 1667 بعد دخولهم البصرة وقضائهم على الامارة. للمزيد ينظر: كارستن نيبور، رحلة نيبور الكاملة الى العراق، ترجمة سعاد هادي العمري ومصطفى جواد ومحمود حسين الأمين، مراجعة سالم الالوسي، ط1، دار الوراق للنشر، بيروت، 2012، ص50–48؛ ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص139.

(196) – الاب فنشنسو، المصدر السابق، ص85–84.

(197) – كان ابن حسين باشا حاكماً على مدينة القرنة. لوريمير، المصدر السابق، ص1769.

(198) – **قبوجي:** بمعنى البواب او حارس الباب، اسم يطلق عموماً على بوابي القصر، ورئيس البوابين يطلق عليه قبوجي باشي. للمزيد ينظر: حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004، ص108.

(199) – **القرش او الغرش:** عملة فضية عثمانية استعملت في اوائل القرن الثالث عشر الميلادي وتتراوح قيمتها بالدرهم بين 6 و8 و 4 و 5 و 1، و100 قرش يساوي ليرة ذهبية واحدة، كما اختلف وزنها. وهناك القرش المحمودي والقرش الصحيح (الصاغ) للمزيد ينظر: عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية من سنة 656هـ–1258م

الهدايا فكان يُنفق القسم الأكبر من تلك الضريبة الى السلطانات ورئيس الخصيان والرجال المهمين في القصر بهدف المحافظة على علاقات وثيقة معهم، وبالرغم من ذلك ولعدم اطاعته السلطان، فان الأوامر أرسلت مرات عدة لوالي بغداد ليلتحق مع ولاة اخرين لعزل حسين باشا، ولأنه اضعف من ان يشن حرباً ضدهم اشترى السلام لنفسه، اذ ليس من السهل عليه مقاومة الولاة المجتمعين ضده لعدم ثقته بقواته التي كان اغلب الجنود فيها من الفارين الاتراك من حلب وبغداد وكانوا يتحينون الفرصة لعودتهم الى بلادهم، او من العرب الذين سرعان ما يفسدهم المال((200)).

يتحدث تيفينو انه قبل (14) عاماً ذهب اثنان من اعمام حسين باشا بعد مقتل اخيهما –علي باشا افراسياب– الى القسطنطينية طالبين من السلطان ولاية البصرة وولاية القطيف والاحساء((201))، ولبى السلطان طلبهما، وامر مرتضى باشا والي بغداد بعزل حسين باشا وتنصيب هذين الاخوين احدهما على ولاية البصرة والآخر على ولاية القطيف والاحساء. فتقدم في الحال مرتضى باشا الى البصرة واستقبل فيها استقبالاً مفرحاً، وعندما ادرك حسين باشا ان شعبه تخلى عنه نتيجة استبداده فر الى مدينة دورق الفارسية، واصبح مرتضى باشا دون قتال سيد البصرة. الا انه –بحسب ما يذكر تيفينو– لو احسن التصرف لكان بمقدوره ان يكون ملكاً، اذ انه بعد وصوله وتنصيب احد الاميرين العربيين والياً، قام باصطحابهما الى خارج المدينة وشنقهما، الامر الذي اثار استياء شديدا لدى الأهالي، ولم يقدم تفسيراً لذلك او الاكتفاء بقتل هذين الرجلين، وانما استدعى اعيان ووجهاء المدينة وامر بشنق (15 او 20) تاجراً منهم علناً، والاستيلاء على ممتلكاتهم، مما أدى الى غضب الجنود الذين ثاروا ضده، فاضطر الى الفرار بسرعة حاملاً معه ما يمكن حمله من ثروات البصرة. وبعد مدة قصيرة قام الرعايا باستدعاء الوالي الشرعي فعاد واستقبله الأهالي، وقيل ان الشاه الفارسي كان ينوي ارسال جيش مع الوالي لتنصيب نفسه على المدينة الا ان الامر وصل متأخراً بأنتهاء الامر ومغادرة الباشا وعودته الى البصرة((202)).

وفي تتمة الحديث عن الحياة السياسية في البصرة يذكر تيفينو ان وضع والي البصرة كان مهما جداً، اذ تمتد سلطته الى الجانب الفارسي لتشمل منطقتا قيبان جميعها التي تحد البصرة، ودورق التي تبعد ثلاثة أيام عن البصرة، وهي آخر مدينة فارسية على تلك الجهة، كما يسيطر على الجزيرة التي تبعد يومين شمالي البصرة، ويلتقي نهرا دجلة والفرات عند نقطة في تلك الجزيرة عند مكان فيه قلعة متينة البناء وهي القرنة التي تتحكم بحركة نهري دجلة والفرات، ونظراً لان القلعة وكل ما على تلك الجهة خاضع لوالي البصرة، فهو نسبياً بمأمن من مباغتات والي بغداد الذي لا يستطيع مهاجمة البصرة ان لم يسيطر على الجزيرة اولاً، الى جانب ذلك تمتد سلطة والي البصرة الى ميناء القطيف ومدينة الاحساء في بلاد العرب السعيدة، اذ احتل ميناء القطيف منذ (12) عاماً عندما كانت خاضعة للدولة العثمانية، اما مدينة الاحساء فأرسل لها شيخ عربي كبير مع كثير من العرب((203)) وعند وصولهم الى الاحساء فر الوالي وتركهم يدخلون المدينة بحرية، ونهبوها. الا ان الشيخ العربي استهزأ فيما بعد من والي البصرة واستدعى والي الاحساء وسلم المدينة له مقابل مبلغ من المال دفعه له والي المدينة، قائلاً

الى سنة 1335هـ–1917م، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1958، ص148–146.

(200) – Jean De Thevenot, op. cit, p314.

(201) – احمد بك وفتحي بك هما اعمام حسين باشا، وكانت القطيف والاحساء تابعة انذاك لامارة البصرة اسمياً. ستيفن هيمسلي لونكريك، المرجع السابق، ص140.

(202) – Jean De Thevenot, op. cit, p314–316.

(203) – ارسل قوة قبلية من بني خالد ورئيسهم –شيخهم– الامير براك لاحتلال الاحساء، وهم من العشائر الكبيرة في الاحساء. عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني الثاني (1048هـ – 1638م/ 1163هـ – 1750م، مج 5، الدار العربية للموسوعات، لبنان، (د.ت)، ص88

انه لم يحتل المدينة من اجل والي البصرة وانما لنفسه هو، لكن والي البصرة ارسل في شهر تشرين الثاني 1664 جيشاً بواسطة السفن عدده –كما قيل لتيفينو– ما بين (5,000) او (6,000) رجلاً مع بعض المدفعية، الا ان الانباء التي انتشرت تؤكد ان عدد الجيش كان سبعة او ثمانية اضعاف الرقم المذكور. نزل الجيش عند ميناء القطيف وسار من هناك الى الاحساء التي تبعد عنه (3) أيام فقط، واستطاع السيطرة عليها دون مقاومة. فر والي الاحساء الى القسطنطينية شاكياً حاله الى السلطان الذي امر وعلى الفور ولاة كل من حلب، اورفا، ديار بكر، الموصل، وبغداد فضلاً عن ولاة اخرين وعددهم (8) بطرد والي البصرة من الاحساء وحرمانه من كل شيء وإعادة والي الاحساء الى ولايته، وبالرغم من ذلك كله فلم يخف والي البصرة، وتحسباً لهذا الموقف حصن الاحساء بارسال عدد كبير من المدافع، وفي الوقت ذاته ارسل رسائل الى الباب العالي لابلاغ السلطان بأن لا يشغل نفسه بهذا الغزو لانه على استعداد لدفع الضرائب عن مكتسباته الجديدة مساوية للضرائب التي كان يتلقاها سابقاً. ويقول تيفينو ان هذا الوالي سيتمادى في غزواته ولن يكتفي باقل من السيطرة على مسقط[204].

من الأمور التي أشار اليها تيفينو انه في طريقه الى البصرة من بندر ريق في فارس؛ وصلت سفينتان من البصرة تحملان الى الحاكم رسائل من الوالي –حسين باشا– يطلب منه ارسال (12) سفينة محملة بالجنود للدفاع عنه ضد الولاة السبعة الذين كانوا ينوون مهاجمته باوامر من السلطان لعدم امتثاله لبعض الأوامر، وبالرغم من انزعاج تيفينو ومن كان معه من هذه الاخبار الا انهم قرروا الذهاب الى البصرة مهما كلف الأمر[205].

وهنا لا بد من الإشارة إلى ان عدد الولاة قد تضارب عند تيفينو، الا ان عددهم كان (7) ولاة زحفوا بقواتهم الى البصرة في تشرين الثاني 1665، واستطاع حسين باشا من مقاومتهم الا انهم وبعد اتفاق استطاعوا من اعادة والي الاحساء، وبقاء حكومة البصرة بيد الاسرة نفسها على ان تنتقل من حسين الى ابنه افراسياب، وينسحب حسين باشا الى مكة، واخذ مبالغ مالية من حسين باشا الى السلطان. فنجا حسين باشا للمرة الثانية بفضل دهائه ومتانة سياسته ورجع الى البصرة في حكم ابنه الصغير اسمياً [206].

اما عن عائدات والي البصرة فيذكر تيفينو ان عائداته هائلة، وتأكد انها تبلغ ما لا يقل عن (800) الف قرش، بالرغم من انه ليس متعسفاً في فرضها. فدار الجمارك في البصرة تدر عليه مبلغاً محترماً، فهو يكلف مسؤولاً او كما يسمونه شاهبندر (Schah–Bender) –رئيس التجار– ويدفع له راتباً ليكون مسؤولاً عن كل ما يستلم. ويفرض على كل نخلة نصف شاهية في العام وهذا القسم من عوائده يعهد به الى رجل يدفع له (50) الف قرش سنوياً، كما يحصل الوالي من الفرس الذاهبين الى مكة على مبلغ كبير سنوياً، لانهم يمرون عبر البصرة فيبيع لهم الجمال بالسعر الذي يريده، ويدفعون له (35) جيكينا [207] للشخص الواحد ليرسل معهم (300) جندياً لحمايتهم تنتظرهم هذه القوة عند مكة وتعود بهم الى البصرة بهدف حمايتهم من اللصوص العرب لذا فإنهم يدفعون المال طوعاً. وعند عودة الحجاج الى البصرة يشتري الوالي جمالهم بسعر منخفض ويبيع لهم الخيول بسعر مرتفع جداً لاعادتهم الى منازلهم.

---

(204) – Jean De Thevenot, op. cit, p316–318.

(205) – جان دي تيفينو، المصدر السابق، ص123.

(206) – ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص145؛ عباس العزاوي، موسوعة العراق بين احتلالين، مج 5، المصدر السابق، ص102–91.

(207) – الجيكين: عملة ذهبية سابقة لجمهورية البندقية ظهرت عام 1284، كما تعرف باسم زكينو (zecchino) وبالعربي سكة وتعني سك النقود المعدنية، واستخدمت في فرنسا باسم(sequin) أي الترتر لان هذه العملة استخدمت فيما بعد في تزيين ملابس النساء، والترتر قرص زخرفي صغير لامع. www.treasurerealm.com/coinpapers/dictionary

كما يأخذ من التجار المبلغ ذاته الذين يشترون الخيول منه اثناء الموسم لنقل بضائعهم، ولا بد لهم من شراء الخيول بالسعر الذي يروق له، لانه خلال ذلك الوقت بيع الخيول يكون ممنوع لاي شخص مهما كان، فضلاً عن انهم لا يجرؤون على بيع أي شيء في أي وقت اخر دون رخصة منه التي لا يمكن الحصول عليها من دون هدية .

الا ان والي بغداد قام بمحاولة سيئة وغير ودية، فمن خلال الرسائل دعا الفرس الراغبين بالتوجه الى مكة المجيء والمرور عن طريق بغداد واعداً بمنحهم حرية المرور بأمان مقابل (25) جيكيناً للشخص الواحد. ومن اجل توفير (15) جيكيناً توجه قسم كبير منهم عن طريق بغداد، ولم يذهب عن طريق البصرة الا نفر قليل(208).

ويمتلك والي البصرة بيوتا ريفية جميلة كثيرة، من بينها بيت يقع مقابل فتحة القناة الصغيرة للبصرة على الجانب الاخر من شط العرب (209).

❁ الرحالة ابراهام بارسونز

تناول بارسونز الحياة السياسية في البصرة اثناء تواجده فيها وبين كيفية تعيين اهم رجالات السلطة في المدينة، فيتم تعيين الحاكم او المتسلم وحاشيته القبطان باشا والمفتي والقاضي وآغا الانكشارية وشيخ العرب، ومدير الجمارك، أي الذين يشكلون حاشية المتسلم كلها بأمر من باشا بغداد (210). وتصدر أوامر تعيين المناصب الدينية للجوامع (والكنائس) (211) من دائرة المفتي. ويقوم القاضي بصفته رئيس العدالة بمراقبة وتفحص سلوك القضاة في المدينة وضواحيها. اما زعيم العرب او الشيخ فيقوم بترؤس الدعاوى المدنية والجرائم الصغرى التي تحدث بين مواطنيه. وتحال الجرائم الكبرى والاعتداءات الى المتسلم ومجلسه للتحقيق فيها، ويحدث ان يحكم على شخص بالاعدام بأمر المتسلم دون محاكمة (212).

أورد بارسونز معلومات تاريخية مهمة وتعد نادرة عن الحصار الفارسي للبصرة عام 1775، وتعود أهميتها لكون الرحالة شاهد عيان للاحداث، وتناوله للموضوع بدقة اذ لم يترك شاردة او واردة خلال تلك الاحداث لم يذكرها. وفي الصفحات التالية سنحاول ايجاز ما كتبه الرحالة عن الحصار الفارسي للبصرة.

وقبل الدخول في احداث الحصار لا بد هنا من بيان ما ذكره بارسونز عن اسوار البصرة: يوجد للبصرة (8) متاريس (213) نصبت على كل منها (8) مدافع نحاسية تزن كل اطلاقة منها (12) رطلًا، كما يوجد (50) مدفعاً نحاسياً تزن كل اطلاقة منها ما بين (9–6) رطل، وتحمل هذه المدافع عربات نصبت حول الاسوار، لكنها تبدو غير صالحة للاستخدام، الا ان المتسلم (214) هم باصلاحها بحماسة

(208) – جان دي تيفينو، المصدر السابق، ص162–161.

(209) – Jean De Thevenot, op. cit, p323.

(210) – باشا بغداد اثناء رحلة ابراهام بارسونز هو حماد باشا اصبح حاكما عام 1774 وبقي سنوات عدة، وكان يهمل الأمور العامة وينصرف الى لهوه وحياته الخاصة. للمزيد ينظر: لوريمر، المصدر السابق، ص1840.

(211) – الاقواس من وضع صاحب الرحلة. والواضح انه استغراب لتعيين المناصب الدينية في الكنائس من قبل دائرة الإفتاء المسلمة.

(212) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص127–126.

(213) **المتراس:** جمعه متاريس وهو ما يستتر به من العدو وتحصن ورائه لاطلاق النار. وهو خشبة توضع خلف الباب لدعمه. جبران مسعود، الرائد، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص709.

(214) – تسلم سليمان اغا المملوكي البصرة في 22 شباط 1750، وساد البصرة في عهده الامن والهدوء والسكينة. وتسلمها مرة أخرى للفترة من 1768–1765، ومن 1768 حتى 1769 وعزل اثر احتجاجات قدمتها شركة الهند الشرقية بسبب سلوكه غير المرضي تجاه المسيحيين والبريطانيين، وتولى البصرة للمرة الثالثة في 1771 حتى 1776. لوريمر، المرجع السابق، ص1801–1800.

بعد وصول انباء اقتراب الجيش الفارسي من المدينة، كما امر بزيادة القذائف والبارود الذي يتم تصنيعه في المدينة. ويذكر بارسونز ان المدينة لا تستورد البارود ابداً بل يجهزون الأماكن الأخرى به؛ اذ يتم تصنيعه محلياً لوجود كميات كبيرة من الملح الصخري في المنطقة المجاورة. واقتصرت التحصينات على جوانب مصب الرافد على المتاريس الثمانية، فضلاً عن بطرية مكونة من (12) مدفعاً نحاسياً موزعة على مقرات القائد العسكري التابع للباشا، وتبعد اكثر بقليل من (100) ياردة جنوبي مصب الرافد [215].

وصلت في 15 كانون الثاني 1775 انباء من العاصمة الفارسية شيراز تفيد ان جيشاً يزيد على (50.000) رجلاً بقيادة صادق خان [216] غادر شيراز في طريقه الى البصرة لاحتلالها، مما أدى الى هلع الأهالي. وبعد وصول طليعة الجيش الفارسي في 16 اذار 1775 الى مصب شط الحويزة على جهة بلاد فارس في مدينة اسمها السويب تبعد (60) ميلاً عن البصرة ارسل القائد العام الفارسي مبعوثاً يحمل رسائل الى المتسلم والوكيل الإنجليزي هنري مور (Henry Moore) والشيخ درويش زعيم العرب، والى زعماء الأرمن واليهود، طالباً ان يرسل كل واحد منهم ممثلاً عنه للتفاوض بشأن دفع دية المدينة، الا ان المبعوث عاد دون إجابة من أي شخص.

كان في مقابل الجيش الفارسي جيش المراقبة بقيادة الشيخ عبد الله وهو امير عربي قوي، مهمة هذا الجيش كانت لعرقلة نزول الفرس على الجانب الاخر من النهر، وكان منظره فخماً ويضم عدداً كبيراً من الخيول، وخيامه نصبت بشكل منتظم، ويبلغ قوامه (15.000) رجلاً او اكثر جميعهم من المتطوعين. الا انه في يوم 17 اذار غادر جيش الشيخ عبد الله موقعه، الامر الذي أدى الى عبور الجيش الفارسي النهر بصورة غير منتظمة واستمروا بالعبور على مهل عبر عوامات لعدم وجود جيش يعيقه. وبرر بارسونز سماح المتسلم بنقل الجيش دون اعتراض مع استغراب الأهالي؛ ان المتسلم لم يكن يثق كثيراً في ضباطه او المقربين له بعيداً عن عينيه، كيلا يتخلوا عنه ويلتحقوا بالعدو، فاذا كان زعيم عربي مستقل ترك موقعه دون اطلاق طلقة واحدة، فماذا يتوقع من مرتزقة معظمهم مأجورون ومجبرون على أداء الخدمة العسكرية، ولا يملكون شيئا في المدينة او سواها، بل يتمنون التخلص من حبسهم داخل الاسوار في اقل إجازة للطعام. ووصف بارسونز متسلم البصرة بأنه شجاع ونشط ويقظ الا ان ضباطه لم يؤازروه من صميم اعماقهم، كما ان باشا بغداد كان متراخيا عديم المسؤولية تجاه التحذيرات والنجدات التي كان يطلبها متسلم البصرة لمواجهة الجيش الفارسي المكون من (60.000) رجلاً واغلبهم رجال قليلو الخبرة وغير مدربين، مع العلم ان باستطاعة الباشا ارسال جيش مكون من (20.000) رجلاً من اكفأ الرجال قادر على هزيمة الجيش الفارسي، الا ان باشا بغداد غير مدرك بأن اهل بغداد سرعان ما سيهجرون المدينة دون تجارة مفتوحة مع البصرة. اما حامية البصرة فتتكون من (1500) رجلاً وتعتمد كلياً على قوة بحرية بسيطة في النهر، ولو كانت تحت قيادة مناسبة فستكون كافية جداً لاعاقة اية احتياطات او تعزيزات ترسلها بلاد فارس عبر الشط وبذلك لا يستطيع جيشهم الصمود لمدة أطول لاسيما ان الوكالة تتحكم بالملاحة في النهر [217].

ومن الحقائق التاريخية التي ذكرها بارسونز تواطؤ بني كعب مع الفرس، ففي 22 آذار توجه (14) مركباً من مراكب قبيلة بني كعب الى اعلى النهر دون ملاحظة طرادات الوكالة الا بعد وقت

(215) – ابراهام بارسونز، المرجع السابق، ص122.

(216) – **صادق خان:** شقيق كريم خان الزندي (1779–1750) مؤسس الدولة الزندية (1794–1753) الكردية في فارس، ولدا في منطقة ملاير، وينتسبان الى قبيلة لك الكردية التي هي احد افخاذ قبائل اللر. ينظر: حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ ايران السياسي، مج 3، من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2008، ص140–135.

(217) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص133–131.

طويل، وبالرغم من الخلاف الدائم بين الفرس وبني كعب، الا انهم تغاضوا عن خلافاتهم هذه المرة بهدف تقاسم نهب مدينة البصرة الغنية. كان يوجد على ظهر سفن بني كعب الذخائر والمؤن، ويستطيعون حمل مدافع الفرس الثقيلة والخيول والخيام عبر النهر، وكل ما ستسنح لهم الفرصة بحمله خلال الحصار دون ادنى مضايقة تحت حماية البطريات التي نصبها الفرس على ضفاف النهر وهي كافية لمنع القوة البحرية الصغيرة التابعة للوكالة من عرقلتهم او مضايقتهم. اما الطرادات الانجليزية وزوارق الباشا فكانت تحاول التعرض لمراكب بني كعب من خلال مطاردتها ومواجهتها واستطاعت من الاستيلاء وحرق بعضها والحاق الضرر بمراكب أخرى قبل وصولها الى المعسكر الفارسي الذي يبعد نحو (60) ميلاً عن البصرة. ولان هذه المرحلة كانت حرجة بالنسبة للوكالة التجارية فقد قرر الوكيل التجاري مغادرة المدينة الى الطراد «إيجل»، كما أُرسلت الكنوز والنفائس عليه لانه مكان أمن اكثر من الوكالة التجارية [218].

وفي محاولة اخرى لافتداء البصرة طلب القائد العام الفارسي في 23 اذار من الوكيل البريطاني (20) لكاً [219] من الروبيات مقابل عدم اقتحام المدينة في غضون (5) أيام، الا انه وللمرة الثانية لم يحصل على جواب [220].

أبلغ الشيخ طعمه [221] المتسلم بانه في حال بقي الفرس مصممين على الزحف لحصار المدينة سوف يقوم بقطع ضفاف النهر وسيعرقل اية مجموعة مُغيرة من التسلل الى المنطقة بهدف التزود بالمؤن، ومن المعروف عن الشيخ طعمه انه يستطيع تنفيذ وعوده. وفي 2 نيسان عاد الشيخ عبد الله مع (15.000) عربي مع أسلحة و (300) رجل وفارس الى الزبير، من اجل الدفاع عن المدينة ومساعدة المتسلم بدلاً من اغراق المنطقة بالماء، وكان برفقته صديقه ونسيبه زعيم عرب البصرة الشيخ درويش. وفي 3 نيسان وصل من بغداد حوالي (200) انكشاري، حاملين معهم رسائل من باشا بغداد الى المتسلم بانه سيرسل تعزيزات كافية قريباً جداً لطرد الفرس [222]. وبعد يومين ارسل صادق خان احد ضباطه للتفاوض مع زعيم العرب الشيخ درويش. وخلال يومي 7-6 نيسان استطاع الجيش الفارسي الوصول على بعد نحو (3) اميال عن بوابة بغداد ونصب خيامه وعسكر بالقرب من المقر الريفي للوكيل في المعقل وقاموا بنهبه، وبدا المنزل مطوقاً بالخيام التي غطت رقعة من الأرض عرضها نحو (3) اميال، وطولها نحو (5) اميال، الا انه لم يتم تخمين عدد افراده، وبعد وصول الجيش بساعتين توجه الوكيل وصاحب الرحلة ابراهام الى الطراد «ايجل». اما بداية الاعمال العدائية بين الفرس والأتراك فانها بدأت منتصف النهار يوم 7 نيسان عندما قتل الاتراك (4) من الفرس اقتربوا من

---

(218) – المرجع نفسه، ص134.

(219) – **اللك:** الصلب المكتنز من اللحم. وهو صبغ احمر تفرزه بعض الحشرات على بعض الاشجار في جزر الهند الشرقية، يذاب في الكحول فيتكون منه دهان للخشب. وفي العدد (عند اهل ايران والهند واليمن) مائة الف، وعند (المولدين عشرة ملايين. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الادارة العامة للمعجمات واحياء التراث، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص837.

(220) – ابراهام بارسونز، المرجع السابق، ص135.

(221) – امير عربي قوي يسكن مع قبيلته ذات العدد الهائل عند حدود النهر الى بضعة اميال فوق المنطقة التي خيم فيها الفرس على الجانب العربي.

(222) – تذكر بعض المصادر ان باشا بغداد لم يرسل الى البصرة أي مدد، بل كان المتسلم يبعث الامل ويقوي القلوب ويخبر بان الدولة أرسلت جيشاً سيصل عن قريب، ويقول مخاطباً لجيشه: «**ثابروا على الدفاع. ان بغداد بعثت كذا مقداراً من الجيش لمعاونتكم وانه واصل لا محالة**». للمزيد ينظر: عباس العزاوي، موسوعة العراق بين احتلالين حكومة المماليك 1162هـ-1740م/ 1247هـ-1831م، مج 6، الدار العربية للموسوعات، (د.ت)، ص63؛ الكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، ج2، دار ميسلون للنشر، العراق، (د.ت)، ص166.

الاسوار متظاهرين بالشجاعة. كانت معنويات الأهالي مرتفعة سواء العرب ام الاتراك، وكان الرجال جميعهم يحملون بنادق ومسدسات ورماحاً، فلا احد يمشي او يأكل او ينام الا وسيفه ودرعه بيده. اما اسوار المدينة فكانت مجهزة بالرجال والمراقبة بشكل جيد، ولم يسمح لاي قادر على حمل السلاح بالانصراف سواء اثناء النهار او في الليل، وبالقرب من الاسوار نصبت خيام واكواخ حول المدينة باسرها، فضلاً عن استعداد القوة البحرية البريطانية لمواجهة السفن الفارسية كما وعد المتسلم بذلك. وكانت النسوة تملأ الاكواخ والسقائف القريبة من الاسوار بكل أنواع المؤن والفواكه للبيع، وكن يجهزن الرجال بالطعام نهاراً ويعدن الى بيوتهن ليلاً، ونصبت الخيام للبعيدين عن المكان ليناموا بالقرب من الاسوار. وعلى مسافة قليلة داخل الاسوار يوجد خيام الأرمن واليهود الأغنياء المزودين بالمستلزمات المطلوبة ومسلحين طوال النهار والليل، وكان اباء الدير التابع للرهبان الكراملة المبجلين مصممين على مقاومة الفرس بأقصى قوتهم [223].

انقض الفرس على الاسوار فجر يوم 9 نيسان واستمر الهجوم (3) ساعات متواصلة. ومن الاحداث التي عاشها بارسونز خلال هذا الهجوم هي محاولته التوجه صوب مصب الشط للبقاء على ظهر احد الطرادات، وخلال مسيرته من الوكالة التجارية حتى مصب الشط تعرّض ومن معه لهجوم النسوة اللواتي كن يلقين الطوب والاحجار عليهم من سطوح المنازل ظناً منهن انهم فرس «**مع اننا طلبنا منهم بالعربية ان يكفن، واننا انجليز. فأجبنا: كذابون، انتم عجم بملابس انجليز**»، وتلقوا نتيجة هذا النزال ضربات بقيت اثارها أيام عدة. كما شاهد استعدادات الباشا وجنوده والأهالي وإجراءاتهم لمنع وصول الفرس من دخول الشط، وبقائهم صامدين حتى ازاحوا العدو. وبعد فشل الهجوم الفارسي عاد بارسونز ليتجول في المدينة عندها سمع من العرب والأتراك الذين التقى بهم «**كانوا يلعنونني ويلعنون رفاقي الانجليز، قائلين ان الوكيل الإنجليزي هو السبب الوحيد لكل مشكلاتهم الحالية**»، ولم يفسر بارسونز سبب تذمر الأهالي من الانجليز، بل استمر بالقول ان معنوياتهم كانت عالية ودافعوا دفاعاً باسلاً، ويركز على ان المسيحيين واليهود والأتراك اشتركوا في مواجهة الهجوم. ويذكر انه لم يتم التأكد من عدد القتلى الفرس لانهم قاموا بنقل قتلاهم قبل طلوع النهار، اما المدافعون فلم يتجاوز عدد القتلى منهم والجرحى (30) شخصاً. ومن المناظر المثيرة للذعر «**والقرف ان ترى الوحشية والبربرية**» التي عوملت بها رؤوس (21) قتيلاً من الفرس، اذ تم وضع (12) رأساً على بوابة بغداد، والبقية على بوابة الزبير، واغلب المارة يقوم بغرز رمحه في تلك الوجوه مع السباب والاهانات «**التي لا تجدها الا لدى أصحاب العقول المتدنية في معاملة عدو مهزوم مغلوب على امره**» [224].

من الاحداث المهمة الاخرى التي جرت اثناء الهجوم الفارسي؛ هروب الشيخ عبد الله من موقعه بعد سماعه انباء الهجوم الفارسي تاركاً خيمته منصوبة والجمال التي تستخدم لنقلها واعداد كبيرة من الماشية والاغنام والماعز، فضلاً عن كميات كبيرة من الحبوب، والآلاف من الخراف والحملان والماعز، والمئات من رؤوس الماشية والجمال التي كانت محملة بالحنطة والشعير والتبن والخيام والاكسية والمفروشات واثاث المطبخ، وقبل ان يشيع خبر فراره استطاع الفرس الاستيلاء على ما تركه الشيخ عبد الله والتي تعد مكسباً لهم، اذ حصلوا على امدادات كبيرة من المؤن التي كانت ستكفي أهالي المدينة ما لا يقل عن شهرين، ونقلت هذه المؤن الى معسكر الفرس على مرأى الناس المتواجدين على اسوار البصرة. وعد امر مجيئه الى الزبير بجيشه ومؤنته امراً متفقاً عليه مسبقاً بينه وبين الفرس([225]).

وفي النهر استمر القتال بين الفرس والقوة البحرية البريطانية التابعة للوكالة ولباشا بغداد خلال المدة

---

(223) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص142–138، 147–146.

(224) – المصدر نفسه، ص145–143.

(225) – المصدر نفسه، ص146.

10-12 نيسان، اذ خاض الاسطول الفارسي[226] معارك متفرقة ضد الطرادات الانجليزية لاسيما شمال المدينة، مع استمرار وصول السفن المحملة بالمؤن للجيش الفارسي، الا انه لم تسقط ضحية واحدة من جانب المدافعين عن البصرة[227].

يرجح بارسونز ان سبب الحصار الفارسي على البصرة والنية في انتزاع المدينة يعود الى عام 1773 عندما أبقت الوكالة التجارية في بوشهر على القليل من الاعمال التجارية[228] لان السفن القادمة من الهند لم تكن تتوقف بشكل مستمر في بوشهر في طريقها الى البصرة كما اعتادت ان تفعل ذلك، ويرجع سبب التغيير الى وكيل الشركة في البصرة الذي اصدر أوامره الى ربابنة السفن جميعهم القادمين من الهند الى البصرة بعدم وضع اية بضائع على شاطئ بو شهر، وقد علم كريم خان بذلك وكان مغتاظاً جداً من الإنجليز، وعن طريق تبادل رسائل بين الوكيل والخان تم التغاضي عن كثير من المشاحنات، الا ان الوكيل لم يستطع إرضاء الخان الذي اعلن انه سينتقم بتدمير البصرة لانها تحتضن تجارة الهند مع الانجليز –وتستثني بلده–، فاخذ كريم خان يعد العدة منذ عام 1773 لتنفيذ تهديداته. وسعى لاغراق الأسواق بالسلع لينتقم لفقراء البصريين الذين هجروا المدينة لصالح من كان واجبهم ومصلحتهم مساعدتهم بأقصى ما يستطيعون. ويقول بارسونز عنهم: «**فلو تآزروا، ما كان بإمكان قوة فارس كلها انتزاع المدينة**»[229].

ولعل من المناسب ذكر بعض الاسباب الأخرى التي أدت الى الاحتلال الفارسي للبصرة، منها: رفض أهالي البصرة مشاركة الاسطول الفارسي الهجوم على عُمان لرغبة كريم خان اخضاع عمان التي كانت لها تجارة واسعة مع البصرة[230]. فضلًا عن اندحار جيش كريم خان في شمال العراق ووقوع قائده علي مراد خان اسيراً في أيديهم. وكما اسلفنا فإن عملية اخضاع البصرة ستؤدي الى احباط السياسة البريطانية والتي تهدف الى مقاطعة الموانئ الفارسية وجعل البصرة مركزاً رئيساً للتجارة. ومن العوامل الأخرى اتساع عوائد مدينة البصرة وتزايد أهميتها بعد تحول التجارة الهندية اليها وانسحاب بريطانيا من ميناء بوشهر؛ فتركزت التجارة في البصرة وازدهرت. ونتيجة للتذمر الذي ساد بعض قوات كريم خان أراد اشغالهم عن طريق اعلان الحرب على البصرة. وكأسلافه حكام فارس فالسياسة التوسعية كانت احد أسباب احتلال البصرة[231].

اما حجة كريم خان لتبرير عمله فكانت سوء المعاملة التي كان يتلقاها الزوار الفرس في العتبات المقدسة في العراق ومصادرة اموالهم، وتعذيب جماعة من سكان الكاظمية الفرس وضربهم بالعصيّ الامر الذي أدى الى وفاة احدهم[232]. فطالب برأس عمر باشا والي بغداد لإساءته معاملة التجار الفرس[233].

---

(226) – تألف هذا الاسطول من (30) سفينة غير كبيرة، سار هذا الاسطول بطريق البحر نحو مصب شط العرب في الوقت نفسه الذي تحرك فيه الجيش براً. ينظر: الكسندر اداموف، المصدر السابق، ص165.

(227) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص150-147.

(228) – اغلقت شركة الهند الشرقية الإنجليزية مركزها التجاري في بندر بوشهر عام 1768 ونقلت نشاطها التجاري باجمعه الى البصرة وكان هذا احد اهم الأسباب التي أدت الى الاستيلاء على البصرة. ينظر الكسندر اداموف، المصدر السابق، ص163.

(229) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص156.

(230) – كان في نية كريم خان الاستيلاء على منطقة عمان وسواحلها ليتخلص من هجماتهم على السفن التجارية الايرانية، وعندما هاجم صادق خان البصرة هب العمانيون للدفاع عنها، وبعد قتال بين الطرفين اندحر العمانيون وانسحبوا الى عمان. حسن كريم الجاف، المصدر السابق، ص166.

(231) – للمزيد ينظر: عبد الحكيم عجيل عبد الرزاق السعدون، المرجع السابق، ص26-25.

(232) – عباس العزاوي، موسوعة العراق بين احتلالين، مج 6، المرجع السابق، ص64-63.

(233) – عبد الحكيم عجيل عبد الرزاق السعدون، المرجع السابق، ص26.

وعند العودة الى حصار البصرة؛ فانه بالرغم من شجاعة المتسلم وثباته في الواجب للدفاع عن المدينة، فإن الحصار الفارسي استمر (14) شهراً تعرضت المدينة خلالها الى القحط الشديد واكل الأهالي فيها لحوم الكلاب والقطط وهلك الكثير من الناس[234]. دخل الفرس المدينة يوم 16 نيسان 1776، وأرسل صادق خان المتسلم سليمان آغا وبقية المفوضين العثمانيين اسرى حرب الى كريم خان في شيراز. وظلت البصرة تحت سلطة الاحتلال الفارسي حتى عام 1779 عندما ترك صادق خان المدينة بسرعة وعاد مع قواته الى فارس بعد موت أخيه كريم خان لامله في الاستيلاء على العرش[235]، وبعد رجوع سليمان آغا ولبلائه المشهور في الدفاع عن البصرة أُنعم عليه بالباشوية وتمت اعادته لعمله السابق على ان يكون خاضعاً للباب العالي مباشرة لا لباشوية بغداد، وفي العام ذاته قام الانكشارية بعزل باشا بغداد حسين باشا واستطاع سليمان باشا بمعاونة البريطانيين ان يحصل على منصب باشا بغداد والبصرة [236]. وهكذا عادت المدينة الى حوزة السلطان العثماني دون بذل أي جهد من العثمانيين.

واخيراً غادر بارسونز البصرة في 13 نيسان 1775 قبل الاحتلال الفارسي للبصرة، قائلاً: **«وبالنتيجة، سيتمكن الفرس من الاستيلاء على البصرة لو ثابروا»** [237].

المبحث الرابع

الأوضاع الاقتصادية في البصرة

❁ رحلة الاب فنشنسو

وعن الأوضاع الاقتصادية في البصرة خلال القرن السابع عشر الميلادي وتحديداً عام 1656 تحدث فنشنسو انه ما بين القرنة والبصرة عند مدينة تدعى تورنيس (Tornes) أوقفت الرحلة عن السير لمدة يوم كامل لدفع أنواع الضرائب والرسوم التي تجمع لوالي البصرة. وهي مدينة واسعة «لا بأس بها» مربعة التخطيط، ولها سور يحيط به فرع من النهر غزير الماء، يحتوي السور على (15) برجاً من كل جانب. وعند وصول الرحلة الى المرفأ كان يرسو في الشط سفن إنكليزية وبرتغالية وهولندية وعثمانية، وهذا الامر كما يصفه فنشنسو افرح الوفد جداً لوجود سفن تقلهم الى الهند. وعند الوصول الى القنال وبسبب الجزر كان لابد من النزول من المركب ومرور كل شخص مع امتعته امام مركز لجباية الرسوم[238].

وهنا لا يعرف سبب فرح الوفد كما وصفه الاب فنشنسو عند رؤيتهم السفن، فمن المؤكد وجود سفن في مرفأ البصرة وهو القائل ان البصرة **«طبقت شهرتها الافاق لاسباب عديدة... هي قبلة الكثيرين من مختلف القوميات لانها محطة مهمة على الخليج العربي»**[239] ونستنتج من ذلك ان هناك تناقضا في كتاباته.

يتجمع في البصرة سنوياً في موسم الحج قوافل الحجاج لينطلقوا منها الى مكة المكرمة، ويأتي الكثيرون من ايران والهند، فضلاً عن أبناء المنطقة، ويدفع كل واحد منهم الى الأمير رسماً مقدماً قدره

(234) – عباس العزاوي، موسوعة العراق بين احتلالين، مج 6، المصدر السابق، ص64.
(235) – الكسندر اداموف، المصدر السابق، ص 167 – 168
(236) – لوريمر، المصدر السابق، ص1881–1880.
(237) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص150.
(238) – الاب فنشنسو، المصدر السابق، ص83.
(239) – المصدر نفسه، ص83.

قطعتان من «زكيتو»[240]، في مقابل المحافظة على حياتهم وارسال جنود لحراستهم في الصحراء. وصادف الاب فنشنسو احدى تلك القوافل وكان عدد افرادها كبير جداً، وقُدر عدد الحجاج بأكثر من (50.000) حاجّ. ومن ملاحظات الاب فنشنسو عن قوافل الحجاج انها كانت تضم اعدادا من المقعدين والشيوخ والمرضى، وخمن بان الكثيرين منهم سيفارق الحياة اثناء السفر، لكن علامات الفرح كانت مرسومة على وجوههم استعداداً لملاقاة ربهم، وهم يعدون من يموت اثناء طريقه الى الحج سعيداً. وفضلاً عن رسوم التجارة والحج تدخل على الأمير أموال طائلة تجمع من الرسوم والضرائب العادية، والهدايا الكثيرة التي يرسلها المريدون الخاضعون له[241].

ويتضح من خلال عدد الحجاج الهائل في القافلة، قيمة المبالغ الواردة سنوياً التي يجنيها الأمير من قوافل الحجاج فقط.

من مشاهدات الاب فنشنسو في مرفأ البصرة، وصول قافلة تحمل صبيانا وفتيانا من اليونان وروسيا وبولندا والمجر، جمعهم الاتراك لعرضهم وبيعهم في سوق النخاسة في البصرة، وحضر الكثير الى السوق لرؤية هذه البضاعة، وأضاف: «**ويشترون ما يريدون ويساومون على الثمن وكأنهم في سوق الغنم..**»[242].

ربما كان سبب امتعاضه ان الرقيق أوروبيون الا انه من الواضح ان سوق البصرة كان سوقاً نشطاً لكل أنواع البضائع حتى الرقيق الأبيض.

ومن الجدير بالذكر ان الدولة العثمانية لم تلغ تجارة الرقيق الأبيض الا في أوائل القرن التاسع عشر، لكن تجارة الرقيق الأسود استمرت قائمة حتى أواخر عهد الدولة العثمانية، ويفيد بعض المؤرخين أن تجارة الأماء استمرت قائمة حتى عام 1908.

❁ الرحالة جان دي تيفينو

ان مدينة البصرة كما رأها تيفينو يمكن ان تكون اغنى مدينة في العالم بسبب التجارة التي يمكن ان تتم فيها مع ارجاء المعمورة، فلديها ميناء جيد وآمن جداً يبعد عن البحر بدءاً من مياه شط العرب (12) فرسخاً، وهو عريض وعميق جداً تدخله السفن الضخمة دون خطر عليها. وتأتي الى ميناء البصرة السلع الأوروبية جميعها عبر البحر المتوسط عن طريق حلب ثم الى بغداد وتنقل منها الى البصرة خلال (15 او 16) يوماً عبر نهر دجلة. اما البضائع القادمة من بلاد فارس فتصل عبر ميناء كمرون[243] وكنج[244] (Comron & Congo)[245]. اما البضائع الهندية فتصل البصرة عبر الخليج

---

(240) – وهي العملة التي اشير اليها سابقا باسم زكينو.

(241) – الاب فنشنسو، المصدر السابق، ص85.

(242) – المصدر نفسه، ص86.

(243) – هو ميناء بندر عباس الحالي مركز تجاري ومرفأ مهم عند مدخل الخليج العربي على مضيق هرمز. عرفه الاوروبيون منذ القرن السادس عشر باسم «جمبرون» او «كومارون»، واطلق عليه البرتغاليون هذه التسمية على سبيل السخرية فهي تعني في لغتهم برغوث البحر (الروبيان)، الا ان هناك من يربط هذه التسمية بالكلمة الفارسية «جميوك» التي تعني ضرائب جمركية او بيت الجمارك. وكمرون مشتق من الفارسية والتركية. للمزيد ينظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج4، دار رواد النهضة، لبنان، 1995، ص198–197؛ http://www.–iranicaon line.org/articles

(244) – **بندر كنج**، بندر كنگ بالفارسية:يقع على ساحل الخليج العربي الشرقي جنوب ايران. ينظر: محمود العوضي، سواحل ايران المطلة على الخليج عربية الهوية والتاريخ، جريدة ايلاف اليومية الالكترونية، تاريخ النشر 22/4/2011، www.elaph.com/Web/news

(245) – هكذا وردتا في النص الاصلي الفرنسي.

العربي[246]. وتشحن البضائع القادمة من البحر الأحمر وبلاد العرب السعيدة من ميناء القطيف الذي يبعد عن البصرة (8) أيام. وبذلك، يتم تبادل أنواع البضائع من بلد لآخر في ميناء البصرة فيحل رخاء لا حدود له في المدينة. ومع ان الوضع الحالي ليس على هذا النحو –يقصد في الفترة التي وصل فيها البصرة وهي نهاية شهر تشرين الأول– الا انه يرسو الكثير من السفن هناك لاسيما بعد تدمير ميناء هرمز[(247)]، يذكر تيفينو ان السفن تأتي البصرة خلال الموسم –بحسب تسمية اهل المنطقة– والذي يبدأ من شهر تموز وتبقى هناك حتى نهاية شهر تشرين الأول، وبانقضاء الموسم لا تستطيع السفن بعد ذلك الخروج من النهر بسبب الرياح المعاكسة لاسيما في الموسم الذي تبدأ فيه حركة الإبحار الى الهند وتستمر حتى بداية شهر أيار[248].

أما عن بعض البضائع التي تنقل من البصرة بحسب مشاهدات تيفينو عند وصوله البصرة؛ فقد كان هناك (15) مركباً بعضها هولندية وبعضها –اسلامية– تحمل التمر بكميات كبيرة لتجهز به انحاء الهند كافة فيحققون بها ارباحاً طائلة. كما تحمل بعض الخيول التي يتاجرون بها في الهند والتي تدر مبالغ نقدية طائلة[249].

تطرق تيفينو الى الاوزان في البصرة فهي «البطمن» ويعادل (10) «منات تبريزي»، و«العطاري» الذي يساوي ثلث البطمن او (4) منات تبريزية، و«الكيل» ويسمى «المك» ويساوي (48) اوقية. اما النقود في البصرة فاعلاها قيمة الجيكين البندقي يساوي (7.5) عباسيات الا انه نادر جداً ويشتريه بهذا السعر الراغبون بالسفر الى الهند او يرسلون اموالهم الى هناك. وهم يرغبون بشراء القروش او الريالات القديمة منها او الجديدة. فالقديمة بـ (3.5) عباسيات، والجديدة بـ (3) عباسيات. كما يوجد «قرش ابو كيل» وهو نادر ايضاً ويعادل (15) «شاهياً بصرياً». اما العملة الاكثر تداولاً فهي فئة الخمسة شاهيات الفارسية وتعادل (5.5) شاهي بصري، وهذه الشاهيات قطع نقدية فضية رقيقة جداً سكها الوالي الى جانب سك قطع من فئة «شاهيتين»، واخرى من فئة «نصف شاهية» وهما ايضاً من الفضة، كما قام بسك «المانجور» وهي عملة نحاسية قيمة كل (30) منها شاهٍ واحد، وكل ستة تعادل بارة واحدة وكل (5) منها تعادل شاهياً واحداً. كما يوجد عملات نحاسية قيمتها (3) مانجور[250].

وعن الوكالة التجارية الهولندية في البصرة [251]؛ فيذكر تيفينو انه قبل وصوله البصرة بيومين احرق الهولنديون كمية كبيرة من القرفة في وكالتهم التجارية لان التجار امتنعوا عن اعطائهم السعر الذي طلبوه عن القرفة، مما اثار غضبهم واعلنوا بانهم سيحرقونها، وبالفعل التهمت النيران كمية كبيرة منها، اذ كانت رائحة القرفة تشم من المناطق المجاورة كلها[252].

غادر تيفينو البصرة في 6 تشرين الثاني 1665 على ظهر سفينة محملة بصبغة النيلة والاقمشة والسلع الهندية التي لا يمكن ان تباع في البصرة، فضلاً عن التمور و(10) خيول وبعض صناديق

---

(246) – وردت في النص الفرنسي باسم الخليج الفارسي.

(247) – ازدادت الاهمية التجارية للبصرة بعد انهيار النفوذ البرتغالي وسقوط هرمز عام 1622، اذ صفى البرتغاليون اعمالهم تماماً في فارس وبدأوا ينقلون بضائعهم الى البصرة، والحق هذا الطريق التجاري اضراراً بالغة بفارس الامر الذي ادى بهم الى مهاجمة البصرة عام 1625. للمزيد ينظر: لوريمر، المصدر السابق، ص 1761–1759.

(248) – Jean De Thevenot, op. cit, p310–311.

(249) – Ibid, p311–312

(250) – جان دي تيفينو، المصدر السابق، ص148.

(251) – استطاع الهولنديون منذ عام 1640 الحصول على اتفاق مع السلطة المحلية في البصرة لتأسيس مقيمية تجارية، فضلاً عن تأسيس معمل لإصلاح السفن. اسماعيل نوري الربيعي، ميناء البصرة واهميته في الاستراتيجية البريطانية (1)، جريدة ايلاف الالكترونية، تاريخ النشر 1/6/2006، www.elaph.com/Web/ElaphWriter

(252) – جان دي تيفينو، المصدر السابق، ص164.

الزجاجيات وبعض المرايا البندقية الكبيرة واكياس كبيرة عدة من النقود. ودفع ثمن رحلته من البصرة الى سورات (40) عباسياً او (10) قروش ريال للشخص الواحد، كما استأجر حجرة صغيرة بسعر (40) عباسياً[253].

❁ الرحالة ابراهام بارسونز

اوضح بارسونز ان موقع البصرة كان سبباً لتصبح ذات موقع تجاري مهم لوجود الميناء وتوافد الكثير من التجار، اذ قال: «**وبسبب موقعها الملائم أصبحت محلاً لتجارة عظيمة، لان التجار يستطيعون هنا شراء منتجات معظم أجزاء الهند وبلاد فارس وشبه الجزيرة العربية؛ اذ تقوم سفن تلك البلاد بنقل حمولاتها الثمينة من منشأها، او من مصانعها، الى هذا الميناء**». وأضاف «**ونتيجة لهذه المزايا يتوافد الى هنا الكثير من التجار الأرمن واليهود، فضلاً عن الاتراك والمسيحيين، مواطنين وأجانب..**»[254].

وكان القبطان باشا أو سيد ساحل البحر من جهة الخليج العربي تابع لباشا بغداد لشؤون القوات البحرية والنهرية من البصرة الى بغداد على نهر دجلة، ومن البصرة الى الحلة على نهر الفرات. وتدفع السفن التي تتاجر من البصرة وإليها عدا الانجليزية لقبطان باشا ضريبة عن كل طن عند الوصول وعند المغادرة، كما تدفع له قوارب الصيد ضرائب شهرية عالية جداً[255].

استطاع بارسونز من خلال مشاهداته إيصال معلومات دقيقة عن التعامل التجاري الذي يتم في البصرة وميناءها بين التجار الأجانب والمحليين من حيث المضاربة والتقدير والعمولة، واوقات البيع والشراء، وأهم طرق النقل البرية والبحرية التي تنقل فيها البضائع من والى البصرة، ونوع البضائع وقيمتها.

فيذكر ان التجار كانوا يشترون على أساس العمولة، او على حسابهم الشخصي بالمضاربة والتقدير، وفي أوقات معلومة للشراء يعيدون البيع مرة ثانية للتجار الأجانب الذين يأتون الى المدينة. اما عن العملة التي يتداولها التجار فغالباً ما كانت تستخدم الجيكنات الذهبية او الفضية التركية او الفارسية او البندقية. الا ان التجار القادمين من حلب يجلبون بضائع أوروبية للبيع، ويعودون ببضائع ثمينة من شبه الجزيرة العربية وبلاد فارس، وتنقل من البصرة الى حلب عبر قوافل الجمال بالطريق المباشر او عن طريق البحر الى بغداد اولاً ومنها الى حلب عن طريق الجمال. وترسل السلع التجارية من بغداد الى سميرنا [256] والقسطنطينية. الا ان معظم الادوية ترسل الى الاسكندرونة وتشحن الى لندن والبندقية وامستردام ومرسيليا وليغون، ما عدا البضائع التي تحملها القوافل مباشرة من البصرة الى حلب بعد استهلاك كمية قليلة منها في البصرة. اما البقية وهي كميات هائلة فتذهب الى بغداد اولاً ومنها الى دمشق فالقسطنطينية –عن طريق ارضروم– وطرابزون في البحر الأسود، باستثناء ما يستهلك في بغداد وتوابعها[257].

اما عن الرسوم الجمركية، فكان باشا بغداد يتأكد دائماً من استلام تلك الرسوم التي تؤخذ مرتين؛ تدفع

(253) – المصدر نفسه، ص173–171.

(254) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص119.

(255) – المصدر نفسه، ص126.

(256) – **سميرنا:** اسم يوناني معناه «مر»، وهي مدينة في غرب آسيا الصغرى، تقع على بحر ايجة، وهي الان مدينة ازمير التركية وثاني اكبر ميناء تركي بعد استنبول، عرفت باسم سميرنا في القرن الاول ق.م. للمزيد ينظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج6، (د.ن)، لبنان، 1996، ص284؛ بطريركية انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس، www.antiochpatriarchate.org

(257) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص121–119.

الأولى في البصرة والثانية في بغداد عن البضائع المرسلة من البصرة بنسبة قدرها 3% من الفرنجة (الأوروبيين)، وبنسبة 8% من الاتراك او الرعايا الاتراك او الفرس او غيرهم من الاسيويين. ويقدر قيمة السلع بما تساويه من قيمة عند وصولها لاي مكان. اما البضائع التي تنقلها القوافل مباشرة من البصرة الى حلب فانها لا بد ان تدفع ضريبتين واحدة عند الوصول والأخرى عند المغادرة. ولا يمكن لاية قافلة ان تغادر من البصرة الى حلب دون تصريح من باشا بغداد، ليأخذ نسبته البالغة 6% من الفرنجة، و16% من سواهم، ونصف هذه الضريبة على ما تم استهلاكه من بضائع في البصرة [258].

تغادر القوافل المتجهة الى حلب عبر بوابة الزبير التي تشكل الجزء الغربي من المدينة، وعندما يصلون الى مدينة الزبير التي تقع على بعد (12) ميلاً من البصرة تنزل الحمولات من الجمال بانتظار وصول القافلة بأكملها، وعند وصول كل مجموعة يقوم موظف في دار الجمارك بعد البالات والرزم الأخرى ومقارنتها مع العدد والكمية التي دخلت الجمارك، لانه يملك نسخة طبق الأصل من اعدادها وعلاماتها، ثم يقرر الضريبة المترتبة عليها. وعند الشك بحجم أي رزمة او بان مجموعة الرزم تحتوي على اكثر مما هو مثبت في حسابه فمن حقه فتحها وفحصها واذا كانت شكوكه في محلها تكون العقوبة الدفع عن تلك البالات ضريبة مضاعفة. وعند وصول القافلة بأكملها الى الزبير ترتب البضائع على الأرض بطريقة تسهل عملية عدها. وعندما يصل مدير الجمارك الى خيمته «وسط مظاهر التفخيم والتعظيم»، تُعد الرزم مرة أخرى بهدف الحصول على هدية من أصحاب البضائع، وتقدم الى مدير الجمارك الذي يأخذها ويسلمها الى احد الخدم بلا مبالاة ودون ان يعدها. ويطلع فيما بعد على الحساب العام لمحتويات القافلة بأكملها التي يكون مشاركاً فيها ويسلمها الى شيخ القافلة، وعندئذ تترك له حرية المغادرة متى شاء. وعند وصول احدى القوافل القادمة من حلب الى الزبير فلابد ان تنتظر وصول الموظفين لعد الرزم ثم يرافقون القافلة الى دار الجمارك في المدينة [259].

وعن الوكالة التجارية لشركة الهند الشرقية في البصرة يذكر بارسونز بانها تقع على ضفة الرافد، وبنايتها كبيرة ومريحة، وعلى الجانب المقابل للشط حديقة جميلة تعود للوكالة، وعلى بعد (5) اميال من بوابة بغداد يقع منزل وكيل الشركة في المعقل، والمنزل ريفي بسيط ومنظره جميل عند الدخول الى النهر العظيم والخروج منه، اذ يبعد عن ضفافه نصف ميل تقريباً. وعند بوابة الوكالة التي تبعد عن مصب ضفة الرافد (3) اميال تقوم سفن حمولة كل منها (80) طناً بتحميل وتفريغ البضائع. والبضائع التي تجلبها سفن إنجليزية تدفع ضريبةً ومكساً([260]) لشركة الهند الشرقية قيمته 6%، متجاوزةً الضريبة التي تدفع الى باشا بغداد. وبما ان البضائع الهندية جميعها تأتي على سفن إنجليزية فانها تدر مبلغاً ضخماً سنوياً. وكانت تأتي قهوة مخا([261]) الى البصرة غالباً عبر سفن عربية تعود لمسقط، فضلًا عن اللُبان والأدوية الأخرى في شبه الجزيرة العربية، واحياناً تقوم سفن انجليزية بنقل حمولة من القهوة من مخا الى البصرة. اما البضائع الفارسية فكانت تأتي دائماً الى البصرة عبر سفن فارسية. وفضلاً عن التجارة العظيمة لمدينة البصرة فان معظم البضائع الثمينة تُشترى من البصرة ومن المستورد ذاته، اذ ان معظم اللؤلؤ المستخرج من مصائد المحار في جزر البحرين سنوياً يأتي عبر وكلاء البصرة الى

(258) – المصدر نفسه، ص121.

(259) – المصدر نفسه، ص128-127.

(260) – **المكس**: جمعها مُكُوس، وهي ضريبة تؤخذ عن أشياء معينة عند بيعها او عند إدخالها المدن. ينظر: جبران مسعود، المرجع السابق، ص763.

(261) – **ميناء مخا او موكا**: بلدة وميناء على البحر الاحمر، كانت احد اهم المدن اليمينة واكثرها شهرة وعمراناً عندما كانت تزرع البن وتصدره، وكان الاجود في العالم والاطيب مذاقاً، ويعود اكتشاف البن اليمني الى اكثر من خمسة قرون مضت، وكان ميناء موكا مركز تصديره ومصدراً لثراء اليمن، لكن منذ اواخر القرن السابع عشر بدء يقل هذا الازدهار عندما قام الفرنسيون والهولنديون والانجليز بجلب غرسات من موكا وزراعتها في بلادهم. للمزيد ينظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج 20، الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، 2004، ص501.

المنطقة وينقل اليها مباشرة [(262)].

يتضح من خلال ما تم ذكره ان البصرة كانت في القرن الثامن عشر الميلادي من الموانئ التجارية العالمية للبضائع المختلفة، تحط فيه السفن رحالها من بقاع الأرض المختلفة، لتنقل عن طريق البر الى بغداد ومنها الى حلب والى دول أوروبا وبالعكس تنقل البضائع الأوروبية براً من الاسكندرونة حتى البصرة، ومنها تنقل بحراً الى موانئ العالم المختلفة. ولشركة الهند الشرقية حصة من الضرائب تفوق حصة باشا بغداد منها.

اما المؤن والأغذية في البصرة فيصفها بارسونز بانها من الأنواع الجيدة جداً ومعقولة الاسعار، واهمها: لحم البقر، لحم الضأن، لحم الجمال الذي يفضل العرب منها الصغار تحديداً، الزبدة وكان المسيحيون الأجانب (مثل الإنجليز وغيرهم) «**مولعين جداً بأسنمة ثيران البيسون، التي تنمو في اعلى الجزء الخلفي من رقابها بين عظمي الكتف**». وتنتشر الجمال في هذه المناطق باعداد كثيرة جداً، اذ يتم ارسال بضعة الاف منها سنوياً للبيع في حلب وغيرها من أجزاء الدولة العثملنية. كما يوجد في البصرة بعض الأصناف الجيدة من الاسماك النهرية، الا انها ليست وافرة جداً، وافضل الأنواع سمك «البُنّي» الكبير. وعن التمور قال بارسونز: «**فهي متوافرة في هذه المدينة وضواحيها اكثر من وفرتها في أي أجزاء أخرى من العالم، وهي الغذاء الرئيس لاعداد هائلة من السكان الذين يعملون في جمعه وتعليبه ونقله الى أي ميناء ومكان في الخليج العربي والهند. وليس للفقراء غذاء افضل من التمور، فهي مادة مغذية جداً**»، وان المنطقة الشرقية من البصرة عبارة عن غابة كاملة من النخيل. وبصفته سيداً على هذه الأرض فان باشا بغداد يأخذ ضريبة على التمور تبلغ اكثر من مئة الف تومان[(263)] سنوياً. ومن التمور الفائقة الجودة يصنع العَرَق وسعره زهيد جداً، وتنتشر في البصرة مطاحن لطحن نوى التمر ويصنع منها الزيت، ويطعمون الأغنام والماشية بالعجينة المتبقية منها. كما أشار بارسونز الى طرق حفظ التمور في البصرة قبل اكلها وبيعها، وهي طريقتان، والاكثر استخداماً كانت: «**تترك معلقة على النخلة حتى تنضج تماماً.. ثم تكبس في زنابيل**[(264)] **حتى تندمج مع بعضها لتصبح مثل العجينة او قطعة الحلوى. حينذاك تقدر بسعر اعلى، وتصبح حلويات غالية الثمن**»[(265)].

والحقيقة أن ابراهام بارسونز لم يترك ادق التفاصيل خلال مشاهداته في البصرة لم يذكرها او يصفها بدقة متناهية.

❁ **الرحالة صموئيل إيفرز**

قدم صموئيل في مدوناته فكرة عن العملة النقدية المستخدمة في البصرة عام 1779، وهي التومان، والقرش، اذ قال: «**استأجرنا مشحوفاً كبيراً بثمانية «تومانات» وعشرة قروش، لنقلنا الى لملوم التي تبعد نحو ستة أيام اعلى النهر....**»[(266)].

المبحث الخامس
الأوضاع الاجتماعية في البصرة

❁ **رحلة الاب فنشنسو**

جمعت البصرة في القرن السابع عشر الميلادي اقواماً مختلفة من العرب والفرس والأتراك واليهود

---

(262) – للمزيد ينظر: ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص124–123.

(263) – **التومان:** نقد ذهبي من النقود الإيرانية التي عرفت أيام العثمانيين، وهو شائع الاستخدام ويساوي (50) قرشاً صحيحاً، وعرف على ما ضرب من دينار ذهباً، وعلى المضروب من فضة. للمزيد ينظر: عباس العزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، المصدر السابق، ص173–172.

(264) – **الزنابيل:** مفرده زنبيل وهو وعاء، جراب، قفة. ينظر: جبران مسعود، المصدر السابق، ص421.

(265) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص125–124.

(266) – صموئيل ايفرز، المصدر السابق، ص24.

والغرباء والارمن والصابئة([267])، والنصارى من الطوائف المسيحية المختلفة، ويمارس الجميع شعائرهم الدينية بحرية. اما الأمير -حسين باشا- فانه يميل الى الاوروبيين بصورة خاصة، واظهر شعوره هذا في مناسبات عدة، وكان ينظر الى الآباء الكرمليين نظرة احترام وود ويعاملهم على قدم المساواة كالدراويش المسلمين، ويلبي طلباتهم، وكان دائم الزيارة الى الدير، ورئيس الدير على علاقة جيدة بالامير الذي اوصاه الا يمر أسبوع دون ان يزوره، واذا زاره كان الامير يستقبله ببشاشة واحترام، ويجلسه الى جانبه، ويفتح له قلبه ويسره في الأمور التي تشغل فكره ويطلب رأيه فيها. وخلال عودة الاب فنشنسو مع الوفد الى البصرة مرة أخرى في النصف الأول من شهر اب 1658؛ زار حسين باشا الدير وامر بشق ترعة على حسابه من النهر الى الدير لملاحظته لقلة الخضار في بستان الدير نتيجة قلة الماء ([268]).

كان هذا التصرف من قبل الوالي حسين باشا بطبيعة الحال ناتجا عن خشيته من فقدانه لامارة البصرة، فكان تقربه الى الكرمليين ومن ورائهم الدول الأوروبية حفاظاً على مصالحه ولاستمرار بقائه في منصبه، فهو يعلم جيداً بالدور الاوربي في المنطقة.

كان حسين باشا يعيش على اعصابه ويخشى ان تنتزع الامارة منه، وطلب اكثر من مرة وضع تخطيط للمدينة، وطريقة لتحصينها جيداً، والاستفسار عن مدى مقاومة التحصينات لعساكر السلطان، وكان يريد تحصين القرنة وتقويتها ليعيش فيها بسلام وامان. وباشر فعلاً بناء مخططين للمدينة بالقرب من النهر لكن توقف عن البناء لقلة الجص[269].

ذكر فنشنسو انه كان ينتشر في البصرة قبل قرون عدة بيوت الصابئة او نصارى القديس يوحنا[270]، على نحو (100) ميل طولاً، واقل من ذلك بقليل عرضاً، وتتكون المنطقة من جزر متعددة، «**يقطنها الى اليوم جمع غفير من أبناء هذه الطائفة. يتكلمون لغة قديمة خاصة بهم**»، والصابئة لا يخضعون لاحد عن طيب خاطر بل كانوا ينشدون الحرية، لهذا كان يتبدل ولاؤهم أينما وجدوا فائدة اكبر. اما العرب المجاورون للصابئة فكانوا يميلون الى السلطان العثماني اكثر منه الى الحكم الايراني[271].

فتحت البيوت العامة في البصرة باذن من حسين باشا وهي بيوت الطرب والغناء والرقص والأمور المشينة باختلافها، الامر الذي أدى الى ان تسوء سمعته جداً عند الأهالي، فهو ينافي تقاليد «الرب»، الا انه وفي الوقت نفسه كان يتذرع بالتقوى «المزيفة»، اذ شيد الامير مسجداً كبيراً على نفقته الخاصة ويذهب اليه كل يوم في محاولة منه لتغطية اعماله الشريرة بتعبد مزيف مليء بالرياء وتقوى كاذبة. وتجدر الإشارة الى ان الجامع الذي شيده الأمير واسع الارجاء وتزينه الزخارف والنقوش الفارسية. ومن الأمور الاخرى التي اثارت انتباه الاب فنشنسو قلة الجص الذي يجلب من اطراف الخليج، والافتقار الى الحطب الذي يشعل لفخر اللبن، لذا فان الناس في هذه الجهات يجمعون روث الحيوانات ويخلطونه بالتبن، ويعرض للشمس حتى يجف، ليستعملونه بعد ذلك كوقود لطبخ الطعام[272]. الا انه لم يذكر نوع

---

(267) – **الصابئة:** ورد هذا الاسم في القرآن الكريم، واشتق مصطلح الصابئة من الكلمة المندائية الارامية صبا يصبوا والتي تعني التعميد وبالاستفادة من كلمة صبا اطلق العرب على الصابئة الذين تتم مراسيم تعميدهم دائماً في الماء الجاري اسم صبه ويعني المعمدين. للمزيد ينظر: سليم برنجي، الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين، ترجمة جابر احمد، دراسات اجتماعية -1، دار الكنوز الادبية، بيروت، (د.ت)، ص50.

(268) – الأب فنشنسو، المصدر السابق، ص86-85.

(269) – المرجع نفسه، ص85.

(270) – أورد الاب فنشنسو فصلاً كاملا عن الصابئة، وتم ترجمته من قبل الاب بطرس حداد وهو الفصل الحادي والثلاثون: الصابئة او نصارى القديس يوحنا، لكن اسرة تحرير مجلة المورد ارتأت حذف هذا الفصل -بحسب هامش المجلة- لانطوائه على مردود طائفي يخدش عقائد المندائيين وعواطفهم. ينظر: المصدر نفسه، ص86.

(271) – المرجع نفسه، ص84.

(272) – المرجع نفسه، ص86-85.

المادة المستخدمة في بناء البيوت آنذاك عند قلة الجص واللبن.

❁ الرحالة جان دي تيفينو

يعيش في البصرة رعايا من العرب والصابئة، فضلاً عن بعض الفرس والهنود الذين يعيشون في عاصمة الولاية ولهم فيها معابد. يذكر تيفينو ان في البصرة لا يعيش أي افرنجي ما عدا الآباء الكراملة المبجلين الذين لهم دير يعلوه شعار الصليب، وفي الدير كنيسة تقدم خدماتها فضلاً عن الفرنجة الى الارمن والنساطرة الذين يرتادون المدينة خلال الموسم ويذهبون لاداء الصلاة، الا انهم لا يرتلون القداس فيها. ويحصل والي البصرة دائماً على بعض الهدايا من اولئك الرهبان «الطيبين». يرى تيفينو ان الفرنجة الآخرين كالبرتغاليين والهولنديين والانجليز لا يأتون الى البصرة الا خلال الموسم، ويغادرون بسفنهم عند نهايته[273].

لا يعقل ان تكون البصرة خالية من الاوروبيين الا في موسم النشاط التجاري، وهو القائل ان في البصرة وكالة تجارية هولندية[274]، فمن غير الممكن ان تغلق الوكالة ابوابها في البصرة بانتظار الموسم. والحال كذلك بالنسبة للانجليز.

يذكر تيفينو انه خلال اشهر الموسم –يقصد بذلك اشهر الموسم التجاري وهي تموز، اب، ايلول، تشرين الاول– ترتفع اسعار البيوت في البصرة الى معدلات اعلى من اسعارها خلال الاشهر الاخرى من العام، لان البصرة في ذلك الوقت تمتلئ بالاجانب القادمين من الهند بحراً، والقادمين من بغداد لشراء البضائع الهندية، اما الاشهر البقية فلا يبقى فيها احد سوى السكان المحليين[(275)]. ويلقى الفرنجة والاجانب الاخرين في البصرة خلال الموسم استقبالاً جيداً، ولا يجرؤ الاهالي على مضايقتهم او الاساءة اليهم، ويرتدي كل واحد منهم عمامة بيضاء او خضراء اياً كان دينهم، وبعد انتهاء الموسم غالباً ما يُبتز الفرنجة الذين لم يغادروا[276].

يمنع في البصرة الخمر او البراندي وتترتب على صنعه عقوبات صارمة بالرغم من كثرة العنب في المناطق المحيطة. ولكن من وقت لاخر يسمح الوالي للآباء الكراملة بصنع القليل منه مقابل مبالغ مجزية للحصول على الترخيص وهذا سبب عدم صنع كميات كبيرة منه، فيجلبونه من شيراز عند الاحتفال بعيد القداس ولترفيه عن الفرنجة المقيمين معهم[277].

خلال اشهر تموز، اب، وايلول –أي في موسم الحر– يستفحل في البصرة مرض شائع بظهور نوع من انواع الدمامل او الاورام الخبيثة التي تصيب الانسان بين الافخاذ والرقبة واجزاء كثيرة من الجسم؛ فما ان تشفى في مكان حتى تظهر في مكان اخر مرات عدة. ويعتقد تيفينو انه احد انواع الطاعون الا ان الاهالي اكدوا له انه لم يمت أي شخص بسبب هذا المرض، ومعظم الذين اصيبوا به نتيجة تناول التمور بافراط لاسيما الفقراء. لكن قبل ان يصل تيفينو بشهر واحد الى البصرة توفي قبطان يوناني لدى الاباء الكراملة بالقرح او الدمامل عندما ظهرت له في حنجرته واخذت تنمو نحو الداخل بدرجة كبيرة حتى خنقته[278].

---

(273) – جان دي تيفينو، المصدر السابق، ص164.

(274) – بقيت تمارس نشاطها التجاري في البصرة حتى عام 1752، عندما طرد البارون كينغاوزن (Kinghausen) من الميناء واغلقت المقيمية من بعده نتيجة لتخاصمه مع عدد من تجار البصرة والسلطات العثمانية. للمزيد ينظر: محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن، 2005، ص242.

(275) Jean De Thevenot, op. cit, P312.

(276) – جان دي تيفينو، المصدر السابق، ص164.

(277) – Jean De Thevenot, op. cit, p312.

(278) – Ibid, p312.

اسهب تيفينو في الحديث عن الصابئة في البصرة والذين يسمون «مسيحيي القديس يوحنا»[279]احياناً، فيقول تيفينو ان هذه التسمية خطأ فادح[280] لانهم اقرب الى الكفار منهم الى المسيحية، واكد له احدهم ان الصابئة مزيج من المسيحيين والاتراك –أي المسلمين– واليهود والكفار. واطلقت عليهم تسمية مسيحيين بسبب التعميد الذي يقومون به لاحياء ذكرى تعميد القديس يوحنا لمخلصنا –يقصد عيسى (عليه السلام)– اما طريقة التعميد فيقول تيفينو: انهم يعتقدون ان التعميد لا يتم الا بالماء الجاري وبناءً على ذلك فانهم يعيشون دائماً بالقرب من الانهار ولا يسكنون الاماكن الخالية من الانهار، وعند تعميد طفل فإن رجلاً يحمله الى ضفة النهر بصحبة احد كهنتهم، وعندما يصلان الى ضفة النهر يتلو الكاهن هذا الدعاء: «**باسم الحي العظيم؛ البركة لجميع المؤمنين؛ ولجميع المندائيين المصبوغين في الماء الحي، الذين للحي يشهدون؛ والاعمال الصالحة يعملون؛ وبمنداهيتي يعترفون؛ وللثلاثة ابناء جيل الحي المتألق يخشعون**»[281]. ثم يرش قليلا من الماء على رأس الطفل الرضيع ويردد الدعاء ذاته مرة اخرى، ويرش الماء مرة ثانية على رأس الطفل ويردد بعدها الدعاء للمرة الثالثة، ويرش الماء على رأس الطفل للمرة الثالثة، وبعد اتمام ذلك يحمل الطفل ويغطسه في النهر (3) مرات، وهذا كل ما يخص التعميد. كما انهم لا يكتفون بالتعميد مرة واحدة في حياتهم، بل يكررون هذه الطقوس سنوياً في خلال (5) ايام، فكل شخص يتعمد ويكرر التعميد كبيراً كان ام صغيراً، شاباً او كهلاً، ذكراً او انثى. اما اسرارهم المقدسة فهي فضلاً عن التعميد، القربان، الرهبنة والزواج، ولا يعترفون بالتوثيق ولا بمسحة الزيت المقدس ولا بالتوبة. وفيما يخص سر القربان المقدس فهو قربان بالاسم، فلا يرددون عبارات التكريس على خبز القربان المقدس الا بعض الادعية، ويصنعونه بنقع الطحين بالخمر والزيت، ويستخدمون خمر النذور المستخرج من العنب المجفف المنقوع بالماء، وبعد عصره يستخدمونه لإبلال الطحين الذي يصنعون منه القربان. اما الرهبنة فلديهم طبقة دنيا وطبقة عليا من الكهنة، لا يقيمون طقوساً كبيرة لترسيمهم لان الابناء يتبعون ابائهم في الكهانة بشرط بلوغهم (16 او 17) عاماً، وفي حال فشل الابناء يأتي اقرب الاقرباء، ويكفي ان يتلو عليه الكاهن بعض الادعية ليصبح كاهناً. اما زواج الصابئة فليبارك الكاهن على الزواج يأخذ قَسَم العروس بانها عذراء بحضور امرأة تستدعى لهذا الطقس، فتجعلها تُقسم بما يشاء، وزوجة الكاهن لا بد ان تتقصى وتقدم تقريراً عنها، ثم يقوم الكاهن بتعميد العريس والعروسة ويجعل كلاً منهما يدير ظهره نحو الاخر مردداً عليهما بعض الادعية، فيعقد الزواج. وعلى كل رجل ان يتزوج امرأتين سواء اكان من العلمانيين او من الكهنة، ويجب ان تكون نساء الكهنة جميعهن عذارى عند الزواج[282].

لا يعرف الصابئة الانجيل، وقداسهم عبارة عن بعض الصلوات، وتناول خبز القربان المقدس المصنوع بطريقتهم، وتناول الخمر المصنوع من العنب المجفف. ولا يتلى القداس في البصرة لعدم وجود كنيسة فيها لهم، ولا يعملون في ايام الاحاد، ولديهم (3) اعياد في العام؛ الاول في مطلع العام

(279) – **القديس يوحنا:** هو يحي بن زكريا عند العرب والمسلمين، ويوحنا المعمدان كما عرف بالادب المسيحي نقلًا عن الارامية، و يهانا او يهيايهانا كما ورد في الادب المندائي، واقترن اسمه بالتعميد الذي كان يجريه في نهر الاردن لليهود وغير اليهود. ينظر: عزيز سباهي، اصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، ط1، دراسات المدى 18، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، 1996، ص113.

(280) – تعود هذه التسمية الى القرن الاول الميلادي حينما كان يرى دعاة المسيحية الى اتباع يوحنا المعمدان كمسيحيين، بالرغم من ان واضعي الاناجيل كانوا يلمسون الموقف المناوئ للمسيحية عند تلامذة يوحنا، الا ارادوا بذلك اقناع اليهود عامة بالدعوة المسيحية، فضلاً عن اقناع اتباع يوحنا المعمدان بالذات الذين كانوا يبدون معارضتهم لاعتبار يسوع هو المسيح الموعود. لذلك كل من وفد على البصرة في القرن السادس عشر كانوا يحسبون الصابئة مسيحيين من اتباع يوحنا المعمدان. للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص121.

(281) – جان دي تيفينو، المصدر السابق، ص165.

(282) – المصدر نفسه، ص167–165.

الجديد بمناسبة خلق ادم ويستمر (3) ايام، والثاني بداية الشهر الرابع وهو عيد القديس يوحنا ويستمر كذلك (3) ايام، ويكون العيد الثالث في بداية الشهر السابع بمناسبة تعميد القديس يوحنا لمخلصنا ويستمر (5) ايام يتعمد خلالها الصابئة جميعهم مرة واحدة في كل يوم، ويسمون العيد الاخير بنجيا (Pendgia)[283]. اما اعتقادهم فهم لا يعترفون بالقديسين الاخرين الا بالقديس يوحنا ووالده القديس زكريا ووالدته القديسة أليصابات، وان يسوع المسيح (عليه السلام) خادم للقديس يوحنا. اما العالم الاخر فلا يعترفون بالاعراف بل بالجنة والنار فقط، ويقولون ان الاشرار بعد موتهم سيمرون فوق صراط ضيق تحرسه الاسود والثعابين وحيوانات اخرى مفترسة ستلتهمهم، بينما سيمر الاخيار عبر الطريق ذاته مباشرة الى الجنة مجتازين تلك الحيوانات، وانهم يتخيلون الجنة مثل الاتراك –المسلمين– بانها مادية، وبحسب ما يرى تيفينو انهم استعاروا من الاتراك الكثير من الخرافات التي تشكل جزءاً كبيراً من معتقدهم[284].

يأكل الصابئة لحم الحيوان الذي يذبحه الصابئي فقط، وإذا مسه شخص من غير دينهم يعد نجساً فلا يأكلونه، والكهنة هم الذين يقومون بذبح الدجاج والخراف والسمك، وعند قيامهم بذلك يخلعون ملابسهم ويرتدون زوجاً من السراويل الداخلية البيضاء ويمرر خلالها حزام من الحبال ويلف الجسد بقميص داخلي ابيض فيه حبل ايضاً، وعمامة بيضاء يتدلى طرفها على الكتف الايسر، ومنشفة بيضاء حول الرقبة على شكل وشاح، وشريط قماش خشن وممزق تصنع منه عصابة تشبه العصابات التي تستخدم للتضميد لربط الذراع، وهي سبع قطع. بعد ارتداء هذه الملابس وعندما يريدون ذبح الدجاجة يتم غسل قدميها ومنقارها لانها تأكل الوساخة وتمشي عليها، الا انهم لا يغسلون الخراف لانها تأكل العشب فقط وليس الوساخة. وعند الذبح يقال دعاء بلغتهم. ويمتد القيام بتلك المهمة الى ابناء الكهنة عندما يبلغون (16 او 17) من العمر، بشرط ان يكون آباؤهم مارسوا تلك الوظيفة وبخلافه لا يسمح لهم بممارستها. ويذكر تيفينو انه دفعه الفضول لمشاهدة هذا الطقس السار. ومن معتقدات الصابئة ان كل شخص ليس من دينهم هو مدنس لذلك يحرص هؤلاء القوم على عدم الشرب من الاناء الذي يشرب منه غير الصابئي، بل يكسرونه اذا وقع بايديهم لكي لا يتلوث احدهم لو شرب به. وعندهم خرافة غريبة اخرى وهي بغضهم اللون الازرق؛ كبغض اليهود لحم الخنزير لسبب تافه جداً. ويقولون ان اليهود عندما علموا من خلال كتبهم بان التعميد سيهدم شريعتهم لجأوا الى الحيلة بالقاء كمية كبيرة من صبغة النيلة في نهر الاردن لافساد الماء حينما علموا ان القديس يوحنا بصدد تعميد «سيدنا»، ولكن الرب ارسل ملاكاً يحمل اناء مليئا بالماء النقي من مكان اخر في نهر الاردن فقام القديس يوحنا بتعميد «سيدنا» عنده، وهذا رأي العامة، لكن احدهم اطلع تيفينو بان السبب الحقيقي وراء بغضهم للون الازرق هو ان غائط الكلب يستخدم في صنع تلك الصبغة والكلب يعد عندهم حيواناً نجسا [285].

يعمل معظم الصابئة صاغة، الا ان جميعهم فقراء، ويعيش عدد كبير منهم في البصرة على طول القناة، ويعيش بعضهم في قرى الجزاير، لكن القسم الاعظم يعيشون في هرويز وشوشتر، والمدينتان خاضعتان لملك فارس في اقليم خوزستان، وتبعد المدينة الاولى عن البصرة (4) ايام ويرويها نهر الكرخة الذي يصب في نهر دجلة فوق مكان التقائه بنهر الفرات بقليل، ومدينة شوشتر هي المدينة الرئيسة في خوزستان وتبعد (8) ايام عن البصرة ويرويها نهر الكارون. والصابئة جهلة بشكل متطرف، وحكماؤهم لم يدرسوا الدين بإمعان، ولديهم كتابان تم تدوينهما قبل مدة ليست طويلة، الا انهم يذكرون

(283) – هكذا وردت الكلمة في النص الفرنسي.
عيد پنجه: يسمى بالعيد الخماسي حيث يتساوى فيه الليل والنهار ويستمر لمدة (5) ايام واسمه من لفظه الفارسي أي خمسة. عبد الرزاق الحسني، الصابئة قديماً وحديثاً، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1931، ص49.
(284) Jean De Thevenot, op. cit, p325–326.
(285) – Ibid, p326–327

ان تاريخهما يعود الى عصر ادم. يذكر تيفينو انهم اغبياء ودليله على ذلك انهم لا يعرفون عدد الاشهر في سنتهم عندما سألهم عنها واجابوه ان عليه ان يسأل شيخهم، ويعقب تيفينو ان هذ الجواب ينطبق على أي شيء اخر. ومع ذلك فانه في شهر تشرين الثاني «من العام الحالي» 1665 عندما شاهد قربان الدجاج طرح عليهم الكثير من الاسئلة حتى علم في النهاية ان عامهم يتكون من (366) يوماً، أي (12) شهراً وكل شهر (30) يوماً، الى جانب (6) ايام اضافية، وان يوم 2 تشرين الثاني هو الـ 20 من شهرهم الاول، فسنتهم تبدأ في 13 تشرين الاول، وان عيدهم الاول يبدأ في هذا العام، والعيد الثاني بعد (3) اشهر، وبعدها بـ (3) اشهر يبدأ العيد الثالث. اما اعمارهم فلم ينجح تيفينو في معرفة أي شيء عنها بالرغم من انه عمل ما بوسعه [286].

❁ الرحالة ابراهام بارسونز

يتراوح عدد سكان البصرة وغالبيتهم من العرب ما بين (90–80) الف نسمة، رجالاً ونساءً واطفالاً، بعد ما كان عددهم (300,000) نسمة، ويعود سبب انخفاض عدد السكان الى مرض الطاعون الذي أصاب الأهالي في البصرة منذ شهر نيسان حتى أيلول عام 1773، اذ سقط الكثير ضحايا لضراوته، فضلاً عن هروب (12) الفاً [287]. ونتيجة لشدة المرض الذي أصاب المدينة انذاك ترك الوكيل وموظفو الوكالة التجارية البصرة مستقلين طرادين تابعين للشركة بهدف الذهاب الى بومبي[288].

اما مساجد البصرة وبيوتها فكانت مبنية من الاجر المفخور، ولم تكن فخمة جداً الا بيوت التجار والاعيان فهي كبيرة ومريحة ذات طابق ارضي وعلوي، تحتوي على مستودعات ومخازن لخزن البضائع، كما تحتوي البيوت على قاعة كبيرة مقابل الباب وهي اهم جزء في البيت صيفاً، اذ تجتمع العائلة لتناول العشاء، وتستخدم كممر او كشيء من هذا القبيل شتاءً. وبسبب تواجد الماء على عمق (6) اقدام في انحاء المدينة جميعها لا يستخدم أهالي البصرة السراديب مثل اهل بغداد[289].

كان يسكن البصرة الأرمن واليهود فضلاً عن دير تابع للرهبان الكراملة، ويذكر بارسونز ان هذه الطوائف من ضمن الأهالي التي قاومت الحصار الفارسي[290].

الخاتمة والاستنتاجات

توصلت الدراسة إلى ان الرحالة الأوروبيين أعطوا صورة تاريخية عن البصرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر واضحة ودقيقة نتيجة لتدوينهم ادق التفاصيل والحوادث التاريخية، كما انها تركت بصمة في التاريخ الحديث لا يمكن اغفالها وانما عدها من اهم المصادر التي تناولت البصرة في التاريخ الحديث، وبغض النظر عن اهداف وغايات الرحلات والرحالة، فان البصرة احتلت مكانة بارزة في رحلاتهم ومدوناتهم بسبب موقعها الاستراتيجي، ومكانتها التجارية المهمة.

اعتمدت الباحثة على نماذج محددة من الرحالة الذين زاروا البصرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، لقلة الدراسات الاكاديمية عنهم وعن رحلاتهم، ولاختلاف أهدافهم وغاياتهم التي بسببها زاروا البصرة، ولاختلاف اصولهم ودولهم، بهدف الوصول الى الحقيقة التاريخية نتيجة لاختلاف الثقافات والرؤى لديهم اولاً؛ ولاثبات ان التوافد الى البصرة لم يكن حكراً على فئة معينة او لغاية محددة.

كما توصلت الدراسة الى ما يلي:

(286) – Ibid, p327–328.

(287) – ابراهام بارسونز، المصدر السابق، ص124، 126، 141.

(288) – المرجع نفسه، ص154.

(289) – المرجع نفسه، ص122.

(290) – المرجع نفسه، ص146.

1 – إجماع أصحاب الرحلات على ان مدينة البصرة هي مدينة جميلة لاسيما مكان التقاء نهري دجلة والفرات والقرنة وشط العرب، بل اكد بعضهم حينما تم اجراء بعض الدراسات ان جنة عدن الأرضية هي مكان التقاء نهري دجلة والفرات. وأعطى اغلبهم وصفاً دقيقاً عن البصرة وتحديداً موقعها، جوها الحار والرطب، بساتينها، انهارها، غابات النخيل، اسوارها، مصبها في الخليج العربي، وميناءها.

2 – أصبحت البصرة امارة مستقلة ولم تستطع الدولة العثمانية فرض حكمها على المدينة بل أصبحت اكثر امنا واستقرارا وازدهارا في عهد الاسرة الافراسيابية والتي انتهت بفساد آخر امرائها وتكاتف الولاة على انهائها. اما اهم الاحداث السياسية التي تعرضت لها البصرة هو الحصار الفارسي عام 1775 واحتلال البصرة الذي كان احد اهم أسبابه النشاط التجاري للمدينة، وخيانة بني كعب وبعض شيوخ البصرة، الا ان اغلبية الأهالي تكاتفوا مع الوالي للدفاع عن البصرة والحيلولة دون احتلالها من الفرس.

3 – عاشت البصرة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر فترة من الازدهار الاقتصادي، اذ قصدها التجار من مختلف الدول لاسيما الانجليز والهولنديين والبرتغاليين والأجانب الذين مارسوا الاعمال التجارية في المدينة، وتحسن وضع البصرة خلال القرنين استراتيجياً، وبالرغم من منظر المدينة الكئيب الذي أشار اليه اغلب الجوالة والرحالة الا ان ثروتها فاقت المدن اذ كانت مركزاً تجارياً دولياً لبيع وشراء ونقل السلع التجارية المختلفة. كان نشاطها التجاري بريا وبحريا وتحديداً التجارة البحرية اذ كانت تصل ميناء البصرة لاسيما في الموسم سفن لا حصر لها سواء أوروبية او فارسية او عربية، بل أصبحت محط الأنظار ومطمع الدول الأخرى عندما اخذت شهرتها تتعدى الموانئ الفارسية بعد إيقاف العمل في ميناء أبو شهر الفارسي، فتعرضت المدينة لحصار فارسي واحتلال دام لاعوام عدة. الا ان البصرة بقيت المرفأ التجاري ولم تقتصر شهرتها على السلع التجارية بل كانت مكان تجمع وانطلاقة الحجيج الى مكة المكرمة من ايران والهند. وليس بالإمكان ان نذكر البصرة ولا يذكر الى جانبها النخيل والتمور والتي كانت الأولى في زراعة بساتين النخيل والمصدر الأول عالمياً للتمر. استفاد الولاة والامراء سواء العرب او الترك او المماليك من توليهم البصرة من خلال حصولهم على نسبة من الضرائب والمكوس التي تؤخذ على البضائع، وكانت تتخذ قررات اغلبها لصالحهم. كان في البصرة دائرة للجمارك لاستيفاء الضرائب على السلع التجارية الواردة للمدينة والخارجة منها.

4 – ونتيجة لتمتع البصرة بالاستقرار السياسي والانتعاش الاقتصادي لم يكن أهالي المدينة من العرب المسلمين فقط بل كان فيها الأرمن واليهود والمسيحيين والصابئة فضلاً عن الترك، وشجع ولاتها الأقليات غير المسلمة على القيام باعمالهم التجارية واعطائهم الحرية في ممارسة معتقداتهم الدينية، اذ كانت الأقليات الدينية تمارس طقوسها الدينية بكل حرية وبدون أي مضايقات من السلطة المحلية في البصرة، لذا كان في البصرة جامع ودير ومعبد وتساوى الجميع في العيش في البصرة بامان واستقرار، بل كان دير الرهبان الكرمليين ذا نفوذ. كان هناك قاض يمارس الاحكام القضائية العدلية ويعين من قبل والي البصرة أيام حكومة افراسياب لا من الباب العالي.

المصادر

اولاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

1 – السعدون، عبد الحكيم عجيل عبد الرزاق، البصرة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر دراسة في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1989.

2. ثانياً: الكتب العربية والمعربة

1 – أداموف، الكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، ج2، دار ميسلون للنشر، العراق، (د.ت).
2 – الاعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ البصرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2017.
3 – ايفرز، صموئيل، رحلة صموئيل إيفرز من البصرة الى البحر المتوسط سنة (1779)، ترجمة وتعليق: انيس عبد الخالق محمود، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2013.
4 – بارسونز، ابراهام، رحلة ابراهام بارسونز من حلب الى الخليج العربي (1775-1774)، ترجمة وتعليق: انيس عد الخالق محمود، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2013.
5 – برنجي، سليم، الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين، ترجمة جابر احمد، دراسات اجتماعية

-1، دار الكنوز الادبية، بيروت، (د.ت).
6 – تافرنييه، جان بابتيست، رحلة الفرنسي تافرنييه الى العراق في القرن السابع عشر 1676، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006.
7 – تيفينو، جان دي، رحلات جان دي تيفينو في الاناضول والعراق والخليج العربي (1665-1664)، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2013.
8 – الحسني، عبد الرزاق، الصابئة قديماً وحديثاً، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1931.
9 – الخال، محمد، تاريخ الامارة الافراسيابية او حلقة مفقودة من تأريخ البصرة، المجمع العلمي العراقي، العراق، 1961.
10 – ديلافاليه، رحلة ديلافاليه الى العراق (مطلع القرن السابع عشر)، ترجمة بطرس حداد، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2006.
11 – رخا، سعيد، رشيد في عيون الرحالة والمستشرقين (خلال القرون 19-16م)، ط1، مؤسسة الامة للنشر والتوزيع، مصر، 2019.
12 – روبينز، نك، الشركة التي غيرت العالم: كيف بنت شركة الهند الشرقية الإمبراطورية البريطانية وقدمت المؤسسة العابرة للقارات، ترجمة كمال المصري، تقديم احمد بهاء الدين شعبان، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2009.
13 – سباهي، عزيز، اصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، ط1، دراسات المدى 18، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، 1996.
14 – سبستياني، رحلة سبستياني الاب جوزيبه دي سانتا ماريا الكرملي الى العراق سنة 1666م، ترجمة بطرس حداد، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2006.
15 – العزاوي، عباس، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية من سنة 656هـ-1258م الى سنة 1335هـ-1917م، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1958.
16 – العقاد، عباس محمود، ابن سينا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013.
17 – لوريمير، ج.ج، دليل الخليج، ج4، القسم التاريخي، قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو امير دولة قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، (د.ت).
18 – لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط5، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، (د.ت).
19 – محمد، عاطف، علم اعلام الطب ابن سينا، ط1، اشهر العلماء في التاريخ، 8، دار اللطائف للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.
20 – نيبور، كارستن، رحلة نيبور الكاملة الى العراق، ترجمة سعاد هادي العمري ومصطفى جواد ومحمود حسين الأمين، مراجعة سالم الالوسي، ط1، دار الوراق للنشر، بيروت، 2012، 39.
21 – هربرت، توماس، العراق وملاحظات شرقية في رحلة توماس هربرت سنة 1628، ترجمة وتعليق، انيس عبد الخالق محمود، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2013.

3. ثالثاً: المصادر الاجنبية

1- Slyfied, Brian, Samuel Evers: from India, through Arabia, to Horsham-and an Early Death, The Horsham Society Newsletter, November 2001.
2- Thevenot, Jean De, Suite du Voyage de Levant; dans laquelle… il est traité de la Perse… et aussi des antiquitez de Tchehelminar et […], seconde partie, publié par François Pétis de La Croix et le sieur de Luisandre, Paris, 1674, p309-310.
3- Thompson, Charles, The Travels of the late Charles Thompson, Efq; Containing his Observations on…, vol. III, London, 1767.

4. رابعاً: الموسوعات

1 – 1البركتي، المفتي السيد محمد عميم الاحسان المجددي، التعريفات الفقهية –معجم يشرح الالفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والاصوليين وغيرهم من علماء الدين رحمهم الله تعالى، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.
2 – الجاف، حسن كريم، موسوعة تاريخ ايران السياسي، مج 3، من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2008.

3 – الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج 20، الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، 2004.
4 – ـــــــــــ، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج4، دار رواد النهضة، لبنان، 1995.
5 – ـــــــــــ، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج6، (د.ن)، لبنان، 1996.
6 – شاكر، محمود، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن، 2005.
7 – العزاوي، عباس، موسوعة العراق بين احتلالين حكومة المماليك 1162هـ–1740م/ 1247هـ–1831م، مج 6، الدار العربية للموسوعات، لبنان، (د.ت).
8 – ـــــــــــ، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني الثاني (1048هـ – 1638م/ 1163هـ – 1750م، مج 5، الدار العربية للموسوعات، لبنان، (د.ت).
9 – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الادارة العامة للمعجمات واحياء التراث، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.
10 – مسعود، جبران، الرائد، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992.
11 – المصري، حسين مجيب، معجم الدولة العثمانية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004.

خامساً: البحوث المنشورة في الدوريات العلمية:

1 – الاب فنشنسو، رحلة فنشنسو الى العراق في القرن السابع عشر، ترجمة وتعليق بطرس حداد، مجلة المورد، العدد الثالث، المجلد الخامس، العراق–بغداد، 1976.
2 – حداد، بطرس، رحلة الاب فنشنسو الى العراق، القسم الأول، مجلة مجمع اللغة السريانية، المجلد الأول، بغداد، 1975.
3 – ـــــــــــ، مقتطفات من رحلة تيفينو الى العراق (القرن السابع عشر)، مجلة بين النهرين، العدد 8، السنة الثانية، دار نجم المشرق الثقافي للنشر والتوزيع، بغداد، 1974.
4 – الربيعي، اسماعيل نوري، ميناء البصرة واهميته في الاستراتيجية البريطانية (1)، جريدة ايلاف الالكترونية، تاريخ النشر 1/6/2006، ElaphWriter/Web/com.elaph.www
5 – العوضي، محمود، سواحل ايران المطلة على الخليج عربية الهوية والتاريخ، جريدة ايلاف اليومية الالكترونية، تاريخ النشر 22/4/2011، news/Web/com.elaph.www

سادساً: المواقع الالكترونية

1 – بطريركية انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس، org.antiochpatriarchate.www
2 – تعريف ومعنى فرسخ في القواميس والمعاجم ar–ar/dict/ar/com.almaany.www
3 – Encyclopedia Britannica 1911, GEOGRAPHICAL NAMES, Jean De Thevenot, .www encyclopedia/com.theodora
4 – online.library–books.www
5 – fahrenheit/temperature/ar/com.convertworld.www
6 – articles/org.iranicaonline.www
7 – dictionary/coinpapers/com.treasurerealm.www

5- وصف المرقد العلوي الشريف من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشر الميلادي

الأستاذ الدكتور إلهام محمود كاظم المدرس المساعد لبنى محمد عباس

جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

ilham.aljader@gmail.com

Summary

The holy city of Najaf has emerged as one of the most famous Islamic civilized cities, and has gained its historical and religious significance over time from containing its riches the remains of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him).A large number of travelers traveled to the city from various European countries, according to their different directions .

This study clarified the historical value of European travel books in terms of reliance on them to describe the Holy Al-Sharif in Najaf during the nineteenth century AD, and the extent of The interest of European travelers in describing what is inside the Noble Sanctuary and conveying a clear picture of it. The scientific value of the trips is that it contains a lot of information and reports A clear picture was depicted in the description of the holy upper shrine and its cupboards.

المقدمة

تعد كتب الرحلات مصدرا لا غنى عنها بالنسبة لدارس التاريخ لاسيما تاريخ النجف الاشرف وذلك لأنهم جاؤوا الى المدينة في أوقات لم يدون معظم تاريخها كما أنهم وفدوا من ثقافات متعددة، واشتملت على موضوعات اجتماعية واقتصادية، فضلا عن أن كل رحالة رصد مشاهداته وانطباعاته عن المجتمع أثناء مروره واقامته في المنطقة، كما أنهم ينظرون الى مجتمعاتنا من زاوية مختلفة، ولذا فهم يتمكنون من رصد ملاحظات ربما ينظر إليها غيرهم من أهل البلاد على أنها أمور عادية لا تستحق الرصد.

ويختلف الرحالة في أصنافهم، فهناك السياحة الداخلية التي يقوم بها في البلد الواحد عبر زيارة كل أقاليمه، وهناك الرحلة العلمية التي تقصد لذاتها، وهناك رحلة دينية لدى المسلمين لتأدية فريضة الحج الى مكة المكرمة، والأماكن المقدسة في العراق من كربلاء والنجف وما فيها من الأماكن التي يتوجه إليها الشيعة المسلمون لأداء فريضة الزيارة.

ان كتب الرحلات ذات أهمية كبيرة إذ سعت الى تحديد ميزتين بارزتين، الأولى القيمة العلمية والثانية القيمة الأدبية، إذ تأتي الأولى لما تحتويه معظم هذه الرحلات من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما يدونه الرحالة تدوين المعاين في غالب الأحيان، من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة والناس و بالحياة، بمعنى أنه ينقل ما يراه ليضعه بين أيدي الجغرافيين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع والاقتصاد فهو بذلك يوفر المادة التي تدخل ضمن التاريخ، ويعد جزءا منها، أما

أسلوب الكتابة فيضيف إليها قيمة أدبية [291]. زار العديد من الرحالة الأوربيين المدن المقدسة بالعراق لاسيما النجف وكربلاء وكتبوا عنها وعن توابعها وضواحيها، فقد أعطت رحلاتهم إلى هذه المدن صورة عنها في الأوقات التي زاروها، ومن ذلك التدوين الذي لم يهتم به أهل المدن المقدسة ولا حتى العراقيون والعرب إلا الندر اليسير الذي دون ما أمكنه ذلك، ولكن الأجانب كانوا يحملون منهجية تجعلهم ينفذون الى أعماق الواقع ونقله بدقة وتفصيل[292]،ان الرحالة الذين زاروا العراق لاسيما النجف الاشرف كانت لديهم دوافع واهتمامات مختلفة، لكنها تصب في جانب واحد والتي كانت ستارا لأهدافهم السياسية والاستخبارية، ومن أهم الأهداف التي دفعت الرحالة الى القيام برحلاتهم هي: الأهداف السياسية والاستعمارية، الأهداف العلمية، الأهداف الدينية (التنصيرية)، الأهداف الاقتصادية، الأهداف السياحية والثقافية.

المبحث الأول

التعريف بالرحالة الأووربيين والهدف من رحلاتهم والقيمة العلمية لمؤلفاتهم

تكتسب كتابات الرحالة مكانة خاصة في المكتبة الثقافية والتاريخية بشكل خاص، وذلك لما تحتويه من معلومات قيمة وما تتضمنه صفحاته من وصف لواقع مرئي، اطلع الرحالة عليه وعاصروا أحداثه وسجلوه في سجلات خاصة، عكست ثقافة الرحالة وانطباعاته وأفكاره عدت مصدراً مهماً عن ذلك العصر الذي يفتقد للكتابات العربية والإسلامية الموثقة.

وتجدر الإشارة الى ان اختلاف جنسيات الرحالة، أفاد في اختلاف نظرتهم وتعددها، فهناك الانكليزي والألماني والفرنسي والروسي والبرتغالي، ومن الطبيعي أن تختلف اهتمامات كل واحد منهم على وفق أهداف الرحلة ومعطياتها السياسية والاقتصادية، زار العراق بشكل عام والنجف الاشرف بالتحديد عدد غير قليل من الرحالة الأوربيين، وذلك لأنها من المراكز الدينية التي ترنو إليها الأبصار في مشارق الأرض ومغاربها ويقصدها الزائرون من كل حدب وصوب فكان يزورها من المسلمين وغير المسلمين الذين كانت تدفعهم السياحة وحب الاستطلاع، أو التجارة والمصالح المادية والسياسية والاقتصادية، وبالرغم من أن الرحالة الأوربيين قدموا معلومات عن النجف الاشرف فقد رسموا صورة عامة للحياة آنذاك وأضافت كتاباتهم الكثير من المعلومات عن طبيعة المجتمع النجفي والزوار، لذلك سنستعرض ابرز الرحالة الأوربيين الذين زاروا النجف الاشرف والهدف من زياراتهم والقيمة العلمية لكتاباتهم.

ومن ابرز الرحالة الأوربيين

1-رحلة أدريان دوبريه (Adrian Dumbre) (رحلة دوبريه الى العراق) 1809-1807.

رحالة فرنسي، زار العراق في مطلع القرن التاسع عشر(1807)، كانت غايته من الزيارة خدمة المصالح التجارية الفرنسية، وكان يتكلم العربية مع السكان المحليين وذلك تبين من خلال ما ذكر في رحلته من الأوزان والمكاييل والمواد والسلع المتوفرة في أي مكان يصل إليه، وطبع رحلته الخاصة بالعراق عام1819وسافر إلى بلاد فارس واطلع على تاريخها وطبيعتها وسكانها، وسميت رحلته «رحلة في فارس» [293].

(291) – سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا)، (القاهرة: دار غريب للطباعة، د.ت)، ص7- 8.

(292) – عبد الصاحب ناصر ال نصر الله، كربلاء في ادب الرحلات، (بيروت – لبنان: مؤسسة البلاغ،2013)، ص10.

(293) – صلاح السعيد، النجف الاشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة، (الحلة: دار الفرات للثقافة والاعلام، 2016)، ص57.

الهدف من الرحلة: اقتصادي وجغرافي إذ من خلال قراءة مضمون الرحلة والمقدمة التي أعطاها المؤلف قبل البدء في رحلته يتبين ان الهدف اقتصادي وجغرافي، فيقول في بداية مقدمته: «واني لم أنشر ذلك إلا من اجل إفادة القراء في الأمور الجغرافية ومن ثم التجارية، وقد لاحظت باهتمام كبير في رحلتي في الأمور الآتية: مناسيب المياه ومجاريها، اتجاه الجبال، حالة الأمان في الطرق، ضرائب الجمارك والمكوس وتكاليف النقل... وأكرر القول إن غايتي في عملي هي خدمة الجغرافية والتجارة...»[294].

القيمة العلمية للرحلة: تكمن أهمية رحلة دوبريه في ما ذكرته من معلومات خاصة بالنجف، وزار بلاد فارس وكتب رحلته المعنونة بـ(رحلة الى بلاد فارس) بمجلدين تكلم فيهما عن بلاد مابين النهرين في الجزء الأول وطبع في باريس عام 1819، و قام الأب بطرس حداد في ترجمتها، وذلك لرغبة الباحثين واهتمامهم في الاطلاع على تاريخ العراق في القرن التاسع عشر لكن بدقة وضمن اقتباسات صحيحة، فترجمت هذه الرحلة عام 2011، من قبل دار الوراق وهي التي الاعتماد عليها في الدراسة([295]).

2- رحلة وليم كنت لوفتس (William Kent Loftus) (سياحة تنقيب في كلدة و السوس) عام 1853.

رحالة بريطاني ولد في 13 تشرين الثاني عام 1820م، تلقى تعليمه في مدرسة نيوكاسل النحوية، عمل لفترة كسكرتير للجمعية في التاريخ الطبيعي، أولى اهتمام كبير في الجيولوجيا، وكان عضوا دوليا في لجنة ترسيم الحدود الدولية وتثبيتها بين العراق وبلاد فارس وقد رافقه درويش باشا العضو العثماني في اللجنة وطاهر بك الحاكم العسكري في الحلة مع ثلة من الجنود العثمانيين. ومن خلال هذا المنصب كانت له الزيارة الأولى للعراق إذ كان لوفتس من العلماء الآثاريين نقب في بلاد بابل ونينوى وهو الذي اكتشف مدينة أور في العراق عام 1840م، تمكن من جلب بعض الأثريات القديمة والثمينة الى المتحف البريطاني في لندن، وفيما بعد تم تعينه في المسح الجيولوجي للهند، ولكنه أصيب بالحمى، مما أدى الى تدهور أوضاعه الصحية، لدرجة كبيرة، توفي على متن الباخرة التي كانت متوجهة من الهند الى بلاده عام [296]1858.

الهدف من الرحلة: سياسي، التنقيب عن الآثار، حيث كان يعمل في لجنة تحديد الحدود العثمانية . الفارسية بين عامي (1849- 1852) بصفة جيولوجي، ضمن الوفد الذي ترأسه الميجر جنرال (وليم فويلياينس) ((W.fwilliains، إذ اتجه للعمل في التنقيبات الأثرية.

القيمة العلمية للرحلة: تكمن أهميتها في كونها أعطت وصفا دقيقا للنجف الاشرف من حيث موقعها ومرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وترجم في كتاب تاريخ النجف الاشرف لمؤلفها جعفر الدجيلي وكتاب موسوعة العتبات المقدسة في الجزء السادس لمؤلفها جعفر الخياط والذي نشر عام 1987من قبل مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، وراجعت الباحثة الكتاب الأصلي وتأكدت من النص والترجمة، وأهميتها تكمن في القسم الخاص بالنجف الاشرف لما يحويه من معلومات.

3- رحلة لكيلاما أينهولت (Voor Mira inholt) (رحلة اينهولت الهولندي الى العراق) في عام 1866- 1867.

---

(294) – ادريان دوبريه، رحلة دوبريه الى العراق (1807-1809)، ترجمة: بطرس حداد، (بغداد: بيت الوراق، 2011)، ص13- 14؛ AdrienDupre,voyage en persefaitdans les annees1807- qentraversant le Natalie et le mesoptamie,(paris,1819).

(295) – ادريان دوبريه،مصدر سابق، ص10.

(296) - http;/en.wikpedia.ory.

رحالة هولندي ولد في مدينة بيبرواغ (piperwag عام 1837)، درس في هولندا وسويسرا، وبدأ ارتحاله الى ألمانيا وايطاليا وشمال أفريقيا ومالطة، ودرس اللغة العربية، بعدها سافر الى الشرق عن طريق برلين وبطرسبرغ، وقف في مدينة تفليس وتعلم اللغة الفارسية، وفي عام 1865 قام بزيارة الى روسيا والقفقاس وبلاد فارس والعراق وسوريا وفلسطين والدولة العثمانية، حيث طبعت رحلاته بأربع اجزاء وكتبها باللغة الفرنسية التي كان يجيدها، وخصص الجزء الثالث عن العراق، الذي ذكر فيه كيف وصل إليه عبر طريق البصرة، وذكر المغادرة من العراق عام 1867عن طريق خانقين وقصر شيرين الى كرمنشاه، ووصوله الى أوربا، وقام بنشر رحلاته حيث لاقت اهتماما كبيرا. توفي اينهولت عام [297]1900.

الهدف من الرحلة: سياسي ودبلوماسي، عند قراءة أحد نصوص الرحلة حين وصوله الى النجف قال: «أرسلت القواص أمامنا ليعلن قدومنا لقائم مقام النجف وتلك مجاملة إجبارية كانت تؤدى دائما بفضل توصية الباشا الى أحسن استقبال...» ويبدو انه كان مرسلا من قبل الحكومة الهولندية وبمهمة سياسية ودبلوماسية.

القيمة العلمية للرحلة: تتضح أهميتها من خلال دراسة الفصل الثالث من الرحلة الذي خصص لدراسة تاريخ العراق بشكل عام والنجف بشكل خاص، كتبت رحلته بأربعة اجزاء باللغة الفرنسية وطبعت عام [298]1873 وتم الاعتماد عليه في الدراسة المترجم من قبل مير البصري والذي طبع عام 2012من قبل دار الوراق للنشر في بيروت.

4- سر أرنست. بدج Sir Ernest. Pudge (على ضفتي النيل ودجلة) في عام 1886.

رحالة وعالم آثاري بريطاني ولد في كونول (conol)، عام 1857، بدأ منذ العاشرة من عمره رغبة قوية في دراسة اللغات وذلك عندما انتقل للمعيشة مع جدته وعمته فباشر دراسة اللغتين السريانية والعبرية عندما بلغ الثانية عشرة بمساعدة شخص متطوع عمل معه في شركة خاصة في لندن، وفي عام 1872درج على الذهاب الى المتحف البريطاني حيث أبدى رغبة بتعلم اللغة الأشورية درس بدج في جامعة كمبردج واخذ شهادة الدكتوراه وتخصص في الدراسات الآشورية والعبرية، وحصل على شهادة أخد الدكتوراه من جامعتي أكسفورد ودرم، عرف بحبه وسعة اطلاعه على الآثار البابلية والآشورية القديمة والمصرية بتصانيفه، عين أمينا على قسم الآثار الآشورية والمصرية في المتحف البريطاني، ووظيفته هذه أخذت تدفعه لإجراء تنقيب في مصر ونينوى والدير في بلاد الرافدين 1888، و في السودان عام 1898، توفي الرحالة البريطاني عام 1935([299]).

الهدف من الرحلة: التنقيب عن الآثار واستخباراتي، إذ كان موظف في المتحف البريطاني الذي أرسلته الحكومة لمعالجة القطع الأثرية المستخرجة من العراق الى أوربا عام 1888، فقد نجح بالفعل بنقل كميات من الألواح، واستطاع أيضا كسب بعض المتعاونين المحليين الذين باعوه الكثير من المخطوطات النادرة([300]).

القيمة العلمية للرحلة: تعد رحلة بدج من أمتع ما كتب عن العراق، وأكثر الرحلات فائدة، حيث صنفت

---

(297) – أينهولت الهولندي، رحلة اينهولت الهولندي الى العراق عام 1867-1866، ترجمة: مير البصري، (بيروت: دار الوراق، 2012)، د.ص.

(298) – المصدر نفسه، د. ص.

(299) – سر وليس بدج،رحلات الى العراق، ترجمة: فؤاد جميل،ج1، (بغداد: مطبعة دار الزمان، 1966)، ص7.

(300) – جاسم الرويعي، اهداف الرحالة الاوربيين وتوجهاتهم الى العراق , القادسية للعلوم الانسانية , (مجلة), مج 15 , العدد 2 , 2012، ص146.

في مجلدين مابين عامي 1886و 1912 وعدد صفحاتها تسعمائة، وطبعت بأصلها الانكليزي، ثم ترجمت الى العربية من قبل فؤاد جميل ووضع كل ما يخص العراق في جزأين تحت عنوان (رحلات الى العراق)، فقد كان الجزء الثاني يتكلم عن مدينة النجف وأهميتها الدينية[(301)]وتم الاعتماد عليها في الدراسة، الطبعة المنشورة عام 1966من قبل مطبعة الزمان في بغداد.

5- رحلة وليام تويدي (William Tweed) (تقرير رسمي مفصل في مناطق بابل وأشور وبلاد مابين النهرين) في عام 1886- 1887.

رحالة بريطاني، القنصل العام والمقيم السياسي لحكومة الهند في بغداد.

الهدف من الرحلة: سياسي بالدرجة الأولى، إذ استغل وظيفته كقنصل عام في بغداد وقام بجولة في أنحاء متفرقة من شمال ووسط العراق ومن ضمنها مدينة النجف الاشرف.

القيمة العلمية للرحلة : تكمن أهميتها في كونها كتبت كتقرير سياسي للحكومة البريطانية ونقلت بدقة تامة حيث كان عنوان التقرير العام (الجزء العربي من البلاد العثمانية) والذي حمل عنوانا ثانويا آخر ألا وهو (تقرير رسمي مفصل في مناطق بابل وأشور وبلاد مابين النهرين)، وتبرز أهميتها في كونها غير مترجمة وترجمت أول مرة فقط الجانب المتعلق بمدينة النجف الاشرف وذكر مركز النجف الديني والمرجعية الدينية ووصف المرقد العلوي المطهر إذ وصف النجف من كافة النواحي وترجم الى العربية من قبل الأستاذ كريم راهي حيث نشرت عام 2019 في جريدة دليل النجف العدد 170 السنة السابعة[(302)].

6-رحلة ادوارد نولده ((Eduard von Nolde) (رحلة في الجزيرة العربية وكردستان وارمينا) في عام (1893).

رحالة أصله من الألمان البلطيقيين لكنه روسي التبعية مبعوث من قبل الحكومة الروسية الى البلاد العربية عام 1893.ولد في 6 نيسان عام 1849م في مدينة كاليتي بمقاطعة كورلان في لاتفيا لعائلة المانية، لقي تعليما خاصا، وعندما بلغ السادسة عشرة التحق بمدرسة ثانوية في مدينة ريغا، وفي عام التحق بكتيبة أولان العسكرية التابعة للحرس الملكي البولندي، لكنه تركها بعد سنة ونصف، ثم شارك كمتطوع في الحرب الكارلية الثالثة في اسبانيا (1876-1872) اثر انضمامه لصفوف فرسان كارلوس الإسبانية، انضم بعدها الى الخدمة المدنية الروسية عام 1879، وأصبح عضو شرف في الجمعية التقنية في بطرسبورغ . وفي عام 1888م بدأ رحلاته الى الشرق بدءا من استانبول ومنها الى أفريقيا وشبه الجزيرة العربية مطلع عام 1893م ومنا الى دمشق فالجوف وحائل والقصيم، ثم عاد بعد اداء مهمته الاستخباراتية عبر العراق وكردستان الى استانبول.

أنهى نولده حياته وهو في السادسة والأربعين من عمره اذ توفي منتحرا في لندن في 11 آذار 1895م تاركا مخطوطة تصف رحلته الى الجزيرة العربية سلمها الى الجغرافي الألماني ريتشارد أندريه الذي سلمها بدوره للسفارة الروسية بناء على وصيته.

الهدف من الرحلة: سياسي، استخباراتي وذلك كونه من المبعوثين الروس الى البلاد العربية ومن ضمنها العراق ولاسيما النجف الاشرف. وكانت رحلته هادفة الى خدمة المصالح الروسية في المنطقة العربية.

---

(301) – سروليسبدج، مصدر سابق، ج1، ص4 – 5.

(302) – وليام تويدي، تقرير استخباراتي للقنصل البريطاني العام عن النجف لسنة 1887، ترجمة: كريم راهي، دليل النجف (جريدة)، العدد170، السنة السابعة، 2019، ص3.

القيمة العلمية للرحلة: تكمن أهميتها في كونها ذكرت أحداثا سياسية هامة لم يذكرها غيره، وأشار الى النجف من حيث الموقع والدفن والدخول الى الحرم العلوي المطهر، وصدر هذا الكتاب عام 1895م. نشره الجغرافي الألماني ريتشارد أندريه بعد أشهر قليلة من وفاته، وترجم هذا الكتاب للمرة الأولى من قبل عوض البادي وقد ترجم الجزء المتعلق بنجد والخليج العربي دون ترجمة الجزء المتعلق بمدينة النجف، لذا سعى الأستاذ كريم راهي الى ترجمة القسم المتعلق بالنجف في هذه الرحلة، حيث اعتمد على النسخة المترجمة الى الألمانية وقام بترجمتها ونشرت في جريدة دليل النجف في العدد 169 في عام 2019 السنة السابعة [303].

المبحث الثاني

أولا : وصف المرقد العلوي الشريف من خلال كتابات الرحالة الأوربيين

على الرغم مما ذكره الرحالة الأوربيون من وصفهم للصحن الحيدري الشريف لكن كل ما وصفه الرحالة نتيجة ما رأوه من بعيد أو سمعوا احدا وصف لهم ما هو موجود داخل الصحن الحيدري من الزينة وما فيه من الزخارف والفسيفساء وما في داخله من الهدايا والأشياء الثمينة، وغالبا ما نرى في كتابات الرحالة سمعت أو قال لي احد من السكان ذلك، لأنهم كانوا يحرمون الدخول أو الولوج داخل الصحن الحيدري من غير المسلمين باعتباره من غير ديانتهم، ويذكر الرحالة لوفتس عن مدى عدم تقبل المسلمين للمسيحيين الأوربيين، قائلا في هذا الصدد: «إنه كان من النادر أن تسنح لأي مسيحي الفرصة للدخول الى أماكن عبادة المسلمين ولاسيما في مكان مقدس مثل مشهد الإمام علي ولما مرت جماعتهم بالسوق المؤدي الى الصحن كان الناس ينهضون للتحية، فيردونها لدرويش وطاهر لكنهم كانوا ينظرون شزرا الى (الإفرنج)...» [304]، وعندما حاول الرحالة فريزر التقرب من المرقد الشريف ليرى ما فيه قائلا: «وكنت أمل ان أتقرب الى مسافة كافية من باب المسجد الشرقي كي أرى القاشاني الملون الموجود على المنارة الثالثة والجدران، لكن حسنا شهد ان المارة لاحظوا (كلب النصارى)، لذلك أصر على ان نستأنف الطريق ونعود من حيث جئنا، وعلى ذلك قفلنا الى المضارب راجعين دون ان يمسنا ضر....» [305].

نلاحظ من خلال كتابات الرحالة أنهم يمتلكون فكرة مسبقة عن حظر دخولهم للصحن الحيدري الشريف، ويشير الرحالة بدج بأنه أراد التقرب والدخول لكن التقاليد الدينية للمسلمين منعته من ذلك وقام بمشاهدة مرقد الإمام علي (عليه السلام) من بعيد ووصفه ونقل ما أمكنه رؤيته [306].

أما الرحالة الروسي ادوار نولده فيبين ذلك قائلا: « وبما أن الدخول الى مسجد علي المقدس محظور على غير المؤمنين بطبيعة الحال، لذا لم أبذل أي جهد للقيام بذلك، ناهيك عن أن ذلك سيحقق لذة الانتصار في القدرة على منعي»، فهنا الرحالة اظهر سبب عدم تقبل المسيحي في الدخول الى الحرم العلوي فضلا عن ذلك لم يقبل على الدخول أصلا خشية تشمت الفرس من منعه للدخول الى مرقد الأمام علي (عليه السلام)، وهذا يبين مدى الحساسية بين الفرس والأوربيين بالتحديد، ويكمل حديثه بعد ذلك قائلا: « ومع ذلك فان السلطات التركية(العثمانية)، ومن تلقاء نفسها ولإظهار حسن النية، أرادوا مني أن أطلع على أكبر قدر ممكن من المسجد. لذا، وعند مدخل البوابة، كان هناك ترتيب لنوع من منابر الضيافة حيث قدمت لي القهوة. أنا الان في أمان وتحت حماية جميع

(303) – ادوارد نولده، النجف في مشاهدات مبعوث روسيا الى البلاد العربية عام 1893، ترجمة: كريم راهي، دليل النجف (جريدة)، العدد169، السنة السابعة، 2019، ص3.

(304) –(Loftus, W. K, Travels In Georgia Persia, Armenia, Anaiet Babylonia, (London, 1822).

(305) – بدج، مصدر سابق،ج2، ص183.

(306) – المصدر نفسه، ص182- 183.

السلطات والأشخاص الذين تمت دعوتهم لهذه الغاية، فضلا عن الحرس الرئيسي التركي (العثماني) القريب»[307]، وهنا يظهر من كلام الرحالة انه تمكن من الوقوف على بوابة المرقد العلوي الشريف لكن هذا تم بعد ان عرضت عليه السلطات العثمانية هذا الأمر، وتحت حراسة مشددة.

يقع الحرم العلوي (الروضة الحيدرية) وسط الصحن تقريبا، وهو مبني مربع الشكل طول ضلعه 13,30م وتبلغ مساحته 176,89م وارتفاع جدرانه 12,5، وتعلو الحرم القبة التي تستند إلى أربع ركائز تحصر بينها أربعة عقود أو أواوين كبيرة مرتفعة تحيط بالضريح المقدس من الجوانب الأربعة[(308)]، أما بالنسبة الى عمارة المشهد العلوي الشريف فقد كانت العمارة الأولى في عهد هارون الرشيد إذ أمر ببناء قبة مثبتة، بأربعة أبواب، وبقي الى أيام السلطان عضد الدولة، فجاء وأقام في ذلك الطرف قريبا منه هو وعساكره، فجاء بالصناع والأساتذة من الأطراف، وقامت تلك العمارة وصرف أموالا كثيرة، وعمر عمارة حسنة[(309)]، أما العمارة الثالثة التي قام بها نقيب الطالبين في الكوفة عمر بن يحيى بن حسين بن أحمد بن عمر فيذكر في مستدرك الوسائل: «بنى قبة جده أمير المؤمنين من خالص ماله»[(310)]، والعمارة الرابعة التي قام بها عبد الله بن حمدان[(311)] والد سيف الدين فقد ورد ذلك في أعيان الشيعة: قال وحكي بعض المعاصرين عن صاحب فريدة العجائب انه قال: «وفيها قبة عظيمة يقال أنها قبر علي بن أبي طالب، والقبة من بناء أبي العباس عبد الله بن حمدان في دولة بني العباس»[(312)].

أما العمارة الخامسة فقد قام بها عضد الدولة البويهي وهو أبو شجاع فناخسرو فقد ذكر في كتاب (فرحة الغري): «قال ابن طحال: ان عضد الدولة تولى عمارته وأرسل الأموال، وتاريخ فراغها مكتوب على حائط القبة مما يلي الرأس الكريم...» [(313)]، والعمارة السادسة كانت بعد ما تعرضت العمارة السابقة الى الحرق فقد قاموا بترميمها من جديد لكن لم يذكر اسم من قام بهذا العمل[(314)]، وبعد ذلك أمر الشاه صفي ألصفوي بهدم بعض جوانب الصحن الشريف وتوسيعه، وتوسيع ساحة الحرم العلوي المطهر [(315)]، وبقيت هذه العمارة حتى زمن السلطان نادر شاه إذ قام بأعظم المشاريع العمرانية والفنية في تاريخ المرقد العلوي الشريف إذ قام بتذهيب القبة العلوية المطهرة[(316)].

---

(307) – ادوار نولده، مصدر سابق، ص3.

(308) – جعفر باقر ال محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ج1، (بيروت: دار الاضواء، 1986م)،ص70.

(309) – الحسن بن أبي الحسين محمد الديلمي، مصدر سابق، ج2، ص342.

(310) – حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ج1، (بيروت: مؤسسة ال البيت لإحياء التراث، 2008م)، ص298؛ جعفر الشيخ باقر ال محبوبة، مصدر سابق، ج3، ص43؛ عبد الرزاق كمونة الحسيني، موارد الاتحاف في نقباء الاشرف، ج2، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، 1968م)، ص90 – 91؛ محمد علي جعفر التميمي، مشهد الامام علي، ج1، (النجف: مطبعة الحيدرية، 1955م)، ص172.

(311) – هو ابو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي، رواي ومصنف شيعي تضاربت اراء الشيعة فيه بين من ينتسب اليه العقائد المخالفة للتشيع، وبين من يعده من النصيريه، وبين من يمتدحه ويوثقه، ومن مصنفاته: كتب الاخوات، والمسائل، وتاريخ الائمة، واسماء النبي، واسماء الائمة، والروضة في الفضائل والمعجزات، ينظر: محسن الامين، اعيان الشيعة، ج5،(بيروت: دار التعارف، د.ت)، ص491–490.

(312) – المصدر نفسه،ج1، ص536.

(313) – عبد الكريم بن طاووس الحسني،عبد الكريم بن طاووس الحسني، فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي، (د.م، مركز الدراسات الاسلامية، 1998م)، ص151– 152.

(314) – هاشم الميلاني، مكتبة الروضة الحيدرية جهود وجهاد، (النجف الاشرف: الغدير للطباعة والنشر، 2008)، ص22.

(315) – جعفر باقر ال محبوبة، مصدر سابق،ج1، ص48.

(316)– رسول كاظم عبد السادة، من تاريخ قبة المرقد العلوي المطهر، (د.م: د.مط، د.ت)، ص33.

وجاء ذكر المرقد على لسان الرحالة أينهولت الهولندي قائلا: «فكان حسبنا الإعجاب بالمدخل الجميل والقباب البديعة، وهي كرؤوس المنائر مكسوة بالذهب الخالص، بفضل سخاء الفرس وسائر الشيعة العلويين المهيمنين في هذه القبة»((317))، وهنا يقصد الرحالة ما قام به الملك نادر شاه من تذهيب القبة الشريفة، وأيضا أكد في موضع آخر:» عني الفرس بوجه خاص وفي كل زمن بتزيين مشهد النجف وإغنائه وان غلاف الضريح البديع المصنوع من النحاس المذهب على النار هو من عمل نادر شاه نفسه»((318))، لم يقم نادر شاه بتذهيب القبة فقط وانما أضاف إليها تعميرات أخرى أهمها، بنى المنائر المقدسة بالذهب الإبريز، وعمر الصحن المقدس((319)). وأثارت القبة المذهبة الرحالة بدج بقوله: «القبة الذهبية التي تعلو مرقد (الإمام علي) رائعة جدا. وتراءت المئذنتان، القائمتان على الجانب الشرقي من الصحن، كتلة من الذهب الخالص...» ((320)).

وينظر الرحالة لوفتس بدقة الى الصحن الحيدري وما فيه من الزينة التي يتعجب عند ذكره قائلا: «أنه لايمكن ان يصف الشعور الذي يخالج الناظر الى جميع ما كان داخل الجامع من زينة في البناء وتناسق في الألوان، لان ما يراه كان لابد من أن يولد انطباعا خالدا في نفسه...»، ويصف بعد ذلك الضريح المقدس بقوله: «والضريح المطهر الموجود في وسطه، مشيرا الى زينة القاشاني المحتوية على الرسوم المتناسقة للطيور والأوراق النباتية والكتابات المذهبة وتحتوي أركانا ثلاثة من أركان الصحن كانت تقوم فوقها مآذن ثلاث كسيت الاثنتان الأماميتان منها بالأجر المغلف بالذهب الذي يكلف تذهيب الواحدة منه مبلغ تومان واحد، أو ما يعادل بأونين إسترلينيين. وهذه القبة كانت تؤلف منظرا فخما يعجز عنه الوصف. وكانت القبة الكبرى المكسوة بالذهب وهي تتوهج في نور الشمس تبدو للرائي من بعيد وكأنها تل من الذهب يقوم من البراري الممتدة من حول كما كانت توجد بين يدي الضريح المطهر بركة من النحاس تزيد في جمالها أشعة الشمس المتراقصة فوق سطحها الصقيل اللامع الذي يكاد يحاكي سطح القبة نفسه في بهائه وتلألئه..».

ويضيف لوفتس ان الصحن كانت تباع فيه أشياء وحاجات كثيرة ويقارن ذلك بالمعبد في بيت المقدس الذي دخل إليه السيد المسيح (عليه السلام) وقد لفت نظره طيور الحمام الكثيرة في الصحن.

ولقدسية النجف كان يقصدها الزوار الشيعة من جميع الأنحاء على حد قوله، وعلى هؤلاء كانت تعيش البلدة بأجمعها، ويقدر معدل عدد الزوار الذين كانوا يفدون عليها في كل سنة بمقدار (80) ألف شخص. ثم يذكر الرحالة ان توارد الزوار على مرقد الإمام علي (عليه السلام) بكثرة قد أغناها غناء غير يسير من تلك الأيام، كما يستدل من التوسع الذي طرأ عليه وعلى المدينة والسور الجديد الذي أنشئ لها، وكذلك يشير الى أنه وجد نهرا كان يحفر لإيصال الماء الى البلدة من الفرات وحل مشكلته، والى فضول أهالي النجف وتجمعهم حول الأجانب القادمين من الخارج الى حد ان البعض كان يأتي بأهله ونسائه للتفرج عليهم ((321)).

ويصف الرحالة دوبريه ان الفرس يهتمون بمشهد الإمام علي (عليه السلام) بشكل كبير ويؤيد كلام الرحالة السابقين عن الاهتمام البالغ قائلا: «هناك دفن ابن عم الرسول واسمه علي الذي يبجله الفرس

(317) اينهولت، مصدر سابق، د.ص.

(318) المصدر نفسه،د.ص.

(319) رسول كاظم عبد السادة، من تاريخ قبة المرقد العلوي المطهر، مصدر سابق،ص33: كاظم الحلفي، اضواء على تاريخ النجف، ج2، (النجف: مطبعة الغري الحديثة، 1977)، ص5 – 16.

(320) بدج، مصدر سابق،ج2، ص183.

(321) loftusi,op.cit,p.74.

وقد شيدوا إكراما له جامعا جميلا تعلوه قباب ومآذن مغطاة بالنحاس المغشى بالذهب..» [322]، أما القبة المذهبة وما كان فوقها من علامة أو رمز فقد أشار إليها الرحالة , وكان هذا الكف الذي وصفه الرحالة من ضمن التذهيب والعمارة التي قام بها نادر شاه ومن ضمن البناء هي القبة إذ بعد الانتهاء من عملها سألوا نادر شاه عن ما يكتب في الكف الذهبي فقال: «اكتبوا يد الله فوق أيديهم، فاخبروا بذلك الوزير المرافق له فتعجب وأنكر ان يكون هذا الالتفات منه ثم قال سلوه مرة أخرى عما قال: فأجابهم هو ما قلته أولا ولا اذكره» [323]، ويصفها الرحالة البريطاني وليام تويدي بوصف في غاية الروعة فيقول : «حين كانت المسافة على مبعدة عشرين ميلاً تماماً، صارت القبة المذهبة لضريح علي، تمسك بشعاع الشمس مثل شراع أبيض لمركب في البعيد، مشيرة الى البقعة التي يرقد (أمير المؤمنين) تحت ثراها. وبمرأى هذه القبة، فان كل شيعي يترجل ثم يصلي مظهراً علامات الجزع والورع، ومبدياً حمده لما يفترض أن يكون تحقيقا لأمنيات القلوب.» وعندما رآها عن قرب وصفها قائلا:» ومن منظور أقرب، فان رؤية القبة تشكل بحد ذاتها، مكافأة كبرى .قطعة من الجمال «[324]، ويصفها الرحالة الروسي ادوارد نولده قائلا: « بقدر ما أستطيع أن أرى من مقعدي، وكما هو مطابق للوصف، فأن الثروة الحقيقة لمسجد علي، الى جانب القبة الذهبية هائلة جداً، منها صفائح من الذهب المطعم»[325].

خزائن المشهد العلوي:

منذ ظهور مرقد أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أنشئت بلدة النجف المقدسة، صار كل ذي منصب أو ذي شأن عظيم يقصد ذلك المكان المنيع ويقدم أنفس ما لديه من التحف والنفائس تذكاراً وإذعانا بعظمة تلك الذات المقدسة،ويحتوي المرقد العلوي المطهر على خزائن لا تقدر بثمن، أهديت محتوياتها في فترات مختلفة منذ القدم .

ويرجع تاريخ أقدم الهدايا التي قدمت الى الصحن العلوي الشريف الى القرن الرابع الهجري عندما أهدى عضد الدولة البويهي عام (365هـ/975م)،غطاء لقبرالامام علي (عليه السلام) مصنوعا من الحرير والدمقس يعد آية من آيات فن النسج والتطريز والزخرفة والتناسق، إضافة الى (447) تحفة منسوج كثير منها بخيوط من الذهب ومرصع بالأحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والفيروز والماس واللؤلؤ، ومن جملة هذه التحف النادرة ستارتان منسوجتان مطرزتان بالكلبدون واللؤلؤ منقوشة حوافيها بأبيات من الشعر الفارسي وهي مهداة من السلطان ناصر الدين شاه. و توالت الهدايا على المشهد العلوي المقدس إذ يوجد عدد كبير من التحف في خزانة مبنية في جدار الروضة الحيدرية في الرواق الجنوبي من الحرم الشريف، ويبلغ عددها (2020) تحفة موزعة على الوجه الآتي منها: (مصاحف مخطوطة 550مصحفا اثريا، التحف المعدنية (240) تحفة معدنية مرصعة بالجواهر المتعددة الألوان والأحجام، و (448) قطعة من النسيج، السجاد (325) سجادة، تحف زجاجية (126) قطعة من الزجاج بمختلف الأشكال، تحف خشبية وعددها (156) قطعة، وعدد كبير من القناديل والهدايا التراثية)[326].

بينما تذكر سعاد ماهر في كتابها (مشهد الامام علي ومابه من الهدايا والتحف) بان هناك مجموعة من الأحجار الكريمة من زمرد وماس وياقوت وفيروز ولؤلؤ من خواتم فضية وذهبية على

---

(322) دوبريه، مصدر سابق، ص169.

(323) محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء، ج3، (النجف الاشرف: مطبعة الاداب، 1965)، ص191.

(324) وليام تويدي، مصدر سابق، ص3.

(325) ادوارد نولده، مصدر سابق، ص3.

(326) سعاد ماهر، مشهد الامام علي ومابه من الهدايا والتحف، (مصر: دار المعارف، 1969م)، ص195- 198.

أحجار من الماس الكبير[327]، وأيضا من الهدايا التي وفدت الى الحرم العلوي مما لايوصف لجمالها وروعتها الكثير وهو ما عرض خزائن الروضة الحيدرية الى محاولات عدة للاستيلاء عليها ففي عام 1807م هاجم الوهابيون النجف الاشرف هجمة عنيفة لكن لم تصب بأذى وذلك لمقاومة أهلها لهم، بعد ذلك أعادوا الكرة اذ قاموا بتسلق أسوار النجف وقد كانت من ضمن حركتهم السلب والنهب[328]، وعندما عرفت المراجع الدينية في النجف عما قامت به هذه العصابات المنظمة من الوهابيين من سرقة وقتل، وأعمال منكرة بحق الأضرحة المقدسة في كربلاء وما عرفت عليه من التوجه للقيام بجرائمها البشعة، أمرت المرجعية التي كانت متمثلة في ذلك الوقت بشخصية الشيخ جعفر كاشف الغطاء[329]، بمعونة الشرطة العثمانية بنقل هذه النفائس من النجف الى الكاظمية في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع الميلادي، خوفا عليها من الوهابيين، وبقيت في الكاظمية أربع سنوات يقوم عليها الحرس وقد حملها أربعة طوابير من الجنود العثمانيين ولعلهم أول جنود للعثمانيين دخلوا النجف ثم أعيدت تلك الذخائر كلها[330]، وذلك لتفادي السلب والنهب الذي يقوم به الوهابيون وخشية اعادة ما فعلوه في كربلاء من اعتداء على العتبات المقدسة[331]،وذلك قد وضحه الرحالة الفرنسي جان بايست قائلا: «لم تكن (مدينة الإمام علي أقل شهرة من (مدينة) الإمام الحسين من حيث وفرة الأشياء الثمينة التي أهداها الشيعة للأمام وتجمعت في خزائن (ضريحه)، ولكن بعد نهب المدينة الأخيرة نقلت جميع الثروات التي تجمعت فيها الى (قرية) الإمام موسى القريبة من بغداد لإنقاذها من جشع الوهابيين وعلى الرغم من الإجراء الاحترازي»، ويضيف قائلا:» لم يمنع قطع الطريق هؤلاء من معاودة الظهور عدة مرات أمام (مدينة) الإمام علي بقصد نهبها، سواء كانت في مسجد الإمام قوة متخفية ومستقرة دوما، كما يزعم الفرس، أو كانت إجراءات الوهابيين غير مدروسة بشكل جيد، فأنهم لم يتمكنوا من بلوغ هدفهم إطلاقا»[332]، وأشار الرحالة الهولندي اينهولت الى الوهابيين قائلا: «وفي سنة 1806 اقتحم الوهابيون، وهم فرقة سلفية قوية منتشرة في بلدة النجف بعد أن اجتاحوا مكة والمدينة، لكن الآهلين تمكنوا من صدهم بعد أمد قصير، ويزعم أن في هذا العهد خشية هجوم جديد لم يحدث بعد ذلك لان الوهابيين ردوا على أعقابهم بعد أن دمرهم محمد علي والي مصر وابنه ابراهيم باشا، وقد نقلت الكنوز التي كانت

---

(327) سعاد ماهر، المصدر السابق، ص198.

(328) المصدر نفسه، ص40.

(329) هو الشيخ الاكبر جعفر بن الشيخ خضر بن الشيخ الجناحي النجفي ولد في النجف عام 1744م، وهو شيخ الطائفة في عصره عند الامامية في الأقطار الاسلامية عامة وبلاد فارس والعراق خاصة، اذ شهد العلماء المعاصرون بخصاله الحميدة وبموافقه المشرفة في الدفاع عن اهل النجف والمجاورين من غارات اعراب البوادي لاسيما الغارات التي شنها سعود الوهابي. كان الشيخ جعفر معروفا بالزهد والعلم والتقوى، من ابرز مؤلفاته (كشف الغطاء)، وقد اهداه الى السلطان (فتح علي)، الشاه القاجاري وكتاب كبير في الطهارة شرحا على طهارة الشرائع، ورسالة عملية في مناسك الحج والقواعد الجعفرية وغيرها من المؤلفات، توفي الشيخ في النجف عام 1813، لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد حرز الدين، المصدر السابق، ج1، ص153؛ باسم خيري خضير، الدراسات النحوية عند ال كاشف الغطاء،(بيروت: مؤسسة كاشف الغطاء العامة،2013م)، ص18- ص19؛ خير الدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج2، (بيروت: دار العلم للملايين،2002م)، ص117؛ محسن الامين، المصدر السابق، ج15، ص306؛ جعفر باقرمحبوبة، المصدر السابق، ج3،==ص131؛ اغا بزرك الطهراني، طبقات اعلام الشيعة،ج10، (بيروت: دار الاحياء التراث العربي، 2009م)، ص248؛ اغا بزرك الطهراني، المصدر السابق، ج1، ص98، ج3، ص133.

(330) كوركيس عواد، المعرب من كتب الرحلات الاجنبية الى العراق، اقلام (مجلة)، ج1، السنة الاولى، ص146، علي هاشم، شد الرحال الى ديار علي والحسين (b)، (النجف الاشرف: دار الامين، 2011م)، مج1، ص53- ص54 .

(331) جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية، (بيروت – لبنان: دار الرافدين، 2005م)، ص194.

(332) جان بايست جاك الوي روسو، وصف باشوية بغداد، ترجمة: خالد عبد اللطيف، (بغداد: بيت الحكمة، 2012م)، ص62.

تزين مشهد الإمام علي (عليه السلام) الى مشهد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) قرب بغداد»[333].

ثانيا: مراسيم الزيارة وتقديس مشهد الإمام علي(عليه السلام) والكوفة وما فيها من الأماكن المقدسة في كتب الرحالة الأوربيين.

1- زيارة الإمام علي (عليه السلام):

ان الزيارة في اللغة هي الحضور عند المزور، ولكن عرفت عند الشيعة بالحضور في أحد المساجد المقدسة والطواف به وتكون غالباً في سائر الأيام، وان للزيارة مراسيم وأدعية خاصة، ويقوم الزائر عند وصوله الى الحرم العلوي الشريف وقبل دخوله بخلع نعليه في محل مخصص يسمى (الكشوانية) وبعد ذلك يدخل الحرم، ففي الباب الأول من الحرم يجد رقعة كتب عليها تحية النبي المصطفى (صل الله عليه واله وسلم) والإمام المرتضى (عليه السلام)، وفي الباب الثاني يجد رقعة أخرى كتب عليها عبارات من التحية والولاء وبعدها استئذان الدخول الى المرقد، ثم الى الشباك وقراءة الزيارة الخاصة بـ الإمام علي (عليه السلام) [334]، وقد ورد عن أهمية الزيارة عدة روايات أهمها: ورد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قائلا: «بظهر الكوفة قبر لا يلوذ به ذو عاهة الا شفاه الله»[335].

وورد عنه(عليه السلام) أيضا: « الى جانب كوفان قبر ما أتاه مكروب قط فصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات، إلا نفس الله كربته وقضى حاجته، قال الراوي: قلت قبر الحسين بن علي (عليهما السلام)؟ فقال لي برأسه لا: فقلت قبر أمير المؤمنين (عليه السلام): فقال: نعم»[2]، وانطلاقاً من هذه الروايات التي ذكرها أئمة الاثني عشرية عن فضل زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فكانت تتوافد الناس الى مرقد الإمام علي(عليه السلام)، بكثرة لقضاء حوائجهم أو للعبادة والراحة النفسية وكثيرة هي الروايات التي تذكر فضل زيارة الإمام علي(عليه السلام).

إذ تذكر في هذا الجانب الرحالة الليدي ان بلنت التي وصفت تقديس الناس لمرقد الإمام علي (عليه السلام) كقدسية الناس لمكة المكرمة [336]، وان لقدسية وأهمية هذا المكان يتوافد إليه الناس من جميع أنحاء العالم فيقول الرحالة لوفتس في هذا الشأن: «لقدسية النجف هذه كان يقصدها الزوار الشيعة من جميع الأنحاء...» [337].

ويذكر الرحالة الروسي جيريكوف عن الزوار التي تقصد مرقد الإمام علي (عليه السلام) من جميع الجنسيات قائلا: «تشتهر هاتان المدينتان كربلاء والنجف عند الشيعة باسم (عتبات الأئمة تتوجه الى هنا ومن جميع البقاع التي يسكنها الشيعة وبدون انقطاع قوافل الحجيج (الزوار) التي لاتعدو ولا تحصى،...»[338]، في حين تذكر الرحالة مدام ديولافوا عن منزلة الإمام علي (عليه السلام)، عند الشيعة وأعطت نبذة عن تنصيبه للخلافة وما حدث الى ان وصلت الى الزيارة والتقديس فتشير الى ذلك قائلة:» والحق أن هذه المسالة واضحة وجليه لا تحتاج الى نقاش أو جدال، لذلك أرى احترام الإيرانيين

(333) لكيلامااينهولت، المصدر السابق، د.ص.

(334) طالب علي الشرقي، النجف الاشرف عاداتها وتقاليدها، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، د.ت)، ص250-253.

(335) ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الاحكام المقتنعة للشيخ المفيد، ج6، (تهران: دار الكتب الاسلامية، 1962م)، ص34.

(336)الليدي ان بلنت، رحلة الى نجد مهد العشائر العربية، ترجمة: أحمد ايبش، (سوريا: دار المدى للثقافة والنشر، 2005م)، ص 360 .

(337) loftus,Op.Cit,p.51.

(338) جيريكوف، دفتر مذكرات سفرى.ا.جيريكوف، ب.مدانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الاوسط، ترجمة: معروف خزنه دار، (العراق: دار الرشيد، 1981م)،ص274.

وأجلهم، لأنهم يؤمنون بحق علي في الخلافة، ويعدونه زعميهم، ومثالهم المقدس، كما أنهم ينزلون أولاده من أنفسهم منزلة التمجيد والحب حتى إنهم يعدون زيارة مراقدهم في العتبات المقدسة في بلاد مابين النهرين فريضة وواجبا عليهم كما هو الحال عند فريق الهنود الذين يكابدون مشاق ومتاعب في زيارة تلك ألاماكن المقدسة أيضا...»(339) أما الرحالة فونتانيه الذي زار النجف عام 1824 فيصف وفود الناس عندما كان في بغداد قائلا: «أصبحت بغداد مجمعا للمسلمين نظرا لوجود ضريح الإمام علي على مسافة منها، لاشك أن وجوده يدعو شيعته الى زيارته والقدوم إليه...»(340)، ويذكر الرحالة جان بايست الوي عن ما يلقبون الإمام علي (عليه السلام)، أي من باب الاحترام والتقدير لشأنه فيقول: «ويصفوه بأنه المرتضى ويلقبونه بالقوي أو أسد الله...»(341).

على الرغم من أن زيارة الإمام علي (عليه السلام) كانت في سائر الأيام، لكن هناك أياماً محدودة يتوافد فيها الناس لكسب ثواب الزيارة بشكل مضاعف، ففي السابع والعشرين من شهر رجب ويسمونها زيارة المبعث أي اليوم الذي بعث به النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم)، والمناسبة الثانية يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول ويسمونها زيارة المولد وهو اليوم الذي ولد فيه النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم)، أما المناسبة الثالثة هو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة وهو اليوم المعروف بيوم الغدير(342)، إذ يعد عيد الغدير من أعظم أعياد المسلمين الشيعة لانه في هذا اليوم نصب رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، خليفة له وأمير للمؤمنين من قبل الله تعالى(343).

غالبا ما تطورت هذه الزيارة الى شبه حج قائم على مدار السنة كما وصفها الرحالة في كتاباتهم والسبب في ذلك ان اغلب الحجاج الفرس يجمعون بين رحلتهم الى مكة المكرمة وبين زيارتهم الى مراكز الحج العراقية في النجف الاشرف وكربلاء، ففي النجف يزورن ضريح الإمام علي (عليه السلام)، وبعد ذلك الى كربلاء لزيارة الإمام الحسين وأخيه أبا الفضل العباس (عليهما السلام)، ونظرا للتقارب الجغرافي، كان هناك على الأرجح حجاج فرس في النجف الاشرف وكربلاء أكثر مما كان في مكة المكرمة((344))، فلذلك يطلق على الزيارة الى المراقد المقدسة في العراق بالحج، وقد ذكر هذا المصطلح كثير من رحالة الأوربيين الذين قدموا الى النجف الاشرف وأبرزهم مدام ديولافوا والليدي ان بلنت والرحالة جيريكوف، ويذكرها الرحالة كوبر لفظة الحج فيقول: «من الغريب أثناء تقدمنا بالسير شاهدنا أحدث اختزع بالعالم الغربي أو أكبر عمل يتعلق بأحد معتقدات الإسلام كان على احد جوانب الخط التلغرافي الممتد منه مجاميع الحجاج من بلاد فارس والهند والخليج جمعيها متجه نحو مراقد مشهد علي ومشهد الحسين التي يأتي إليها بالنسبة للمسلمين الشيعة بالمرتبة الثانية بعد حج مكة»(345).

2- الدفن عند مرقد الإمام علي (عليه السلام):

---

(339) مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا الى كلده – العراق سنة 1881م، ترجمة: علي البصري، (بغداد: مطبعة اسعد، 1958م)، ص131.

(340) V.Fontanier – vayanierdansl, Endeetle go lfepere siq,Op.Cit,p.10.

(341) جان بايست الوي جاك روسو، المصدر السابق، ص61.

(342) طالب علي الشرقي، المصدرالسابق، ص250.

(343) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، ج42، (طهران: المطبعة الاسلامية، 1969)، ص105؛ محمد الحسيني الشيرازي، عيد الغدير أعظم الاعياد في الاسلام، ط2، (بيروت: مؤسسة المجتبى، 2003م)، ص43.

(344) ثريا فاروقي، حجاج وسلاطين الحج ايام العثمانيين، ترجمة: ابو بكر أحمد باقادر، (بغداد: منشورات الجمل، 2010م)، ص228.

(345) أ.جسوانس كوبر، رحلة في البلاد العربية الخاضعة للاتراك، ترجمة: صادق عبد الركابي، (عمان: الاهلية، 2004م)، ص226- 227.

ان دفن الموتى في الأماكن المقدسة كانت شعيرة ثابتة في الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام، ففي [346].

يعود تاريخ الدفن في النجف الاشرف الى العصر الراشدي (661–632م)، أو قبيل ان تتشرف أرض الغري بجسد أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد اعتاد الكوفيون الدفن في ارض الثوية [347]، كما اعتاد أهل الحيرة من قبل الدفن في بانيقيا أي في النجف، وقد احتضنت أرض النجف أجساد الأنبياء والصالحين والصحابة والتابعين، فقد كانت منطقة (ظهر الكوفة) مدفنا لهؤلاء، ومن ثم انحصر الدفن بجوار مرقد الإمام علي (عليه السلام) [348]، و بوصفها الأرض الصالحة لدفن المؤمنين فيها الذين كانوا يطمحون إلى قضاء الفترة الممتدة بين الموت والانبعاث قرب أمامهم، كان تطور هذه الممارسة يجسد مخاوف بني البشر من الآخرة، وكان يعكس فكرة المؤمنين الشيعة من الموت وصورتهم عن الأئمة بصفتهم قادرين على الشفاعة [349]، وهذا حسب ما ورد في الروايات الشيعية من أهمية الدفن الى جانب الإمام علي(عليه السلام)، فقد: «روي عن أمير المؤمنين علي أنه أراد الخلوة بنفسه فأتى الى طرف الغري فبينما هو ذات يوم يشرف على النجف إذا برجل قد أقبل من البرية راكبا ناقة وقدامه جنازة، فحين رأى عليا وصل إليه وسلم عليه وقال: من أين؟ قال: من اليمن، قال: وما هذه الجنازة ؟ قال: جنازة أبي جئت لأدفنه في هذه الأرض، فقال له علي: لما لا تدفنه في أرضكم؟ قال: أوصى أبي بذلك، وقال انه يدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر، فقال له علي: أتعرف ذلك الرجل؟ قال: لا، فقال له: والله ذلك الرجل انا، قم فادفن أباك»[350]، وأيضا من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الدفن في النجف: «ما أحسن منظرك، وأطيب قعرك، اللهم اجعل قبري فيها...»[351].

وان من أسماء النجف الاشرف (وادي السلام) وكانت تسميتها بهذا الاسم لأنها ارض الطمأنينة والراحة[352]، وقد حدد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) موضع وادي السلام فقال: «ما من مؤمن يموت في شرق الأرض وغربها إلا وحشر الله جلا وعلا في وادي السلام» قيل: وأين وادي السلام؟ قال: (بين وادي النجف والكوفة)[353]، وتسمية لما ورد من الأخبار عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في فضيلة الدفن في النجف أكثر من حديث ومجاورة الإمام علي(عليه السلام)، ورجاء شفاعته يوم القيامة، بذلك أخذت الناس تنقل موتاهم الى هذه البقعة من مختلف المناطق [354]، ويشير الرحالة اينهولت قائلا: «ولقد رغب الكثيرون من أبناء الشيعة ان يكون مدفنهم في جنب مثوى الإمام العظيم

(346) ابراهيم الموسوي الزنجاني، عقائد الامامية الاثنى عشرية، ط2، (بيروت: د. مط،1977م)، ج2، ص256.

(347) هي جزء من هضبة مترامية الاطراف، تمتد من خارج الحيرة والكوفة الى كربلاء وتتجاوزهما باتجاه الغرب، وسميت بهذا الاسم اذ تشير الروايات التاريخية بان النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان قد بناها==سجنا فمن دخله ثوى به، لذلك سميت بالثوية، وسميت ايضا ببقيع الكوفة، ولمزيد من التفاصيل ينظر: صلاح مهدي الفرطوسي، الثوية بقيع الكوفة، ج1، (بغداد: دار الكتب والوثائق، 2013م).

(348) حسن عيسى الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الاشرف، ج3، (قم المقدسة: شريعت، 2006م)، ص141.

(349) اسحاق نقاش، شيعة العراق، ترجمة: عبد الاله النعيمي، (سوريا: دار المدى للثقافة والنشر، 1996م)، ص342.

(350) ابراهيم الموسوي الزنجاني، المصدر السابق، ج2، ص256.

(351) محمد باقر المجلسي، المصدر السابق، ج24، م14، ص129.

(352) محسن مظفر، وادي السلام في النجف من اوسع مقابر العالم، (النجف: مطبعة النعمان،1964م)، ص48.

(353) أبو محمد الحسن بن محمد الديلمي، ارشاد القلوب، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ص306 – 307؛ محمد باقر المجلسي، مصدر سابق، ج،234ص100؛ عباس القمي، سفينة البحار، تحقيق: مجمع البحوث الاسلامية، ط3، ج2، (مشهد: مجمع البحوث الاسلامية، 2008م)، ص572.

(354) شيماء فاضل علي بيك، البعد التأريخي للنجف والحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها، المصدر السابق، ص467.

الذي يعدونه خليفة النبي الشرعي، فيؤتى كل يوم بالجنائز من البلاد البعيدة لدفنها هناك...»[355].

ويقدر الرحالة لوفتس عدد الجنائز التي كان يؤتى بها للدفن بشيء يتراوح بين (5) آلاف و(8) آلاف جنازة في السنة [356].

وقد وضحت لنا الرحالة الفرنسية مدام ديولافوا عن الجنائز التي كانت تصل وأنها رأت ذلك بعينها فتصف قائلة: «ولفتت نظري أشياء مركومة بعضها فوق بعض فتقدمت منها أتفحصها وما كدت أمد يدي حتى ارتدت إلي كأنه قد مسها تيار كهربائي واضطربت أشد اضطراب كانت هذه الأشياء المخرمة المركومة جثث موتى بعضها قد لفت في سباط أو سجاد وحزمت بحبال وبعضها في توابيت خشب[357] يبدو من بين شقوقها اللحم الجامد المسود لهؤلاء الموتى « , وأضافت قائلة :»والواقع أن دفن الموتى منذ أوائل الإسلام أي بعد استشهاد الإمام الحسين بن الخليفة علي (عليهم السلام) في كربلاء... واليوم يجلب أكثر أفراد الطائفة الشيعية جثث موتاهم من أبعد المناطق كالهند وإيران (بلاد فارس) الى مدينة كربلاء والنجف لدفنها بقرب مراقد هؤلاء الأئمة الذين ينزلوهم من نفوسهم منزلة التقديس»[358]، ولكن الرحالة ديولافوا كانت قد ذكرت بان الدفن بدأ منذ مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذا خطأ إذ ان الدفن يرجع الى زمن بعيد كما اشرنا الى ذلك مسبقا، في حين نرى ان الرحالة ان بلنت كانت قد وضحت اعتقاد المسلمين الشيعة في الدفن عند الإمام علي (عليه السلام) قائلة: «وفي اعتقادهم الديني ان أي مسلم يدفن على مقربة من العتبة سينال النجاة والمغفرة وكان من نتيجة ذلك أن الشيعة، من العالم كله ومن إيران (بلاد فارس) خاصة، يأتون الى النجف ليموتوا فيها، كما وترسل أعداد هائلة من الجثث لتدفن ها هنا»[359].

الخاتمة

برزت مدينة النجف الأشرف كواحدة من أشهر المدن الحضارية الإسلامية، واكتسبت أهميتها التاريخية والدينية عبر الزمن من احتواء ثراها رفاة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). وتوافد الى المدينة أعداد كبيرة من الرحالة من مختلف الدول الأوربية باختلاف توجهاتهم.

ووضحت هذه الدراسة القيمة التاريخية لكتب الرحلات الأوربية من حيث الاعتماد عليها في وصف المرقد العلوي الشريف في النجف الأشرف خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ومدى اهتمام الرحالة الأوربيين في وصف ما في داخل الحرم العلوي الشريف ونقل صورة واضحة عنه، حيث تكمن القيمة العلمية للرحلات في احتوائها على كثير من المعلومات والتقارير التي رسمت صورة واضحة في وصف المرقد العلوي الشريف وما فيه من الخزائن.

---

(355) لكيلامااينهولت، المصدر السابق، د.ص.

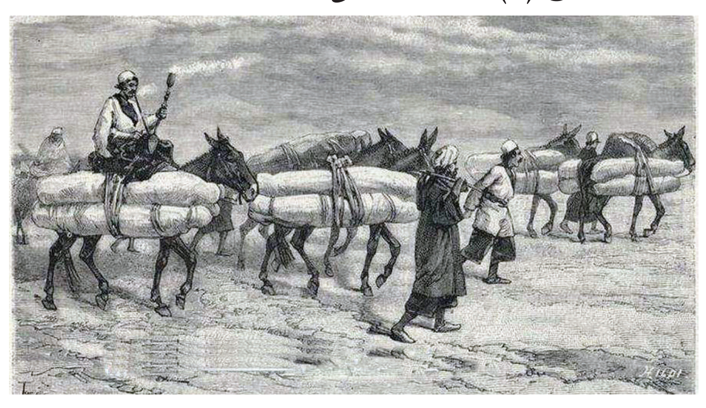
(356) loftus,Op.Cit,p.51

(357) ينظر ملحق (1).

(358) مدام ديولافوا، المصدر السابق، ص128 – 129.

(359) الليدي ان بلنت، المصدر السابق، ص226.

ملحق (1) نقل الجنائز الى مدينة النجف الاشرف



ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا الى كلده – العراق سنة 1881م، المصدر السابق، ص129

المصادر

***القرآن الكريم**

اولاً : كتب الرحلات المترجمة :

1 – أ.جسوانس كوبر، رحلة في البلاد العربية الخاضعة للاتراك، ترجمة: صادق عبد الركابي، (عمان : الاهلية، 2004م).

2 – الليدي ان بلنت، رحلة الى نجد مهد العشائر العربية، ترجمة : أحمد أيبش، (سوريا: دار المدى للثقافة والنشر، 2005م).

3 – أينهولت الهولندي , رحلة اينهولت الى العراق عام 1866-1867 , ترجمة : مير البصري , (بيروت: دار الوراق , 2012م) .

4 – جان بايست جاك روسو، وصف باشوية بغداد، ترجمة: خالد عبد اللطيف، (بغداد : بيت الحكمة، 2012م).

5 – جيريكوف، الرحالة الروس في الشرق الاوسط، ترجمة: معروف خزنه دار، (العراق: دار الرشيد، 1981م).

6 – دوبريه، رحلة دوبريه الى العراق (1807 – 1809م)، ترجمة: بطرس حداد، (بغداد: بيت الوراق، 2011م).

7 – ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا الى كلده – العراق سنة 1881م، ترجمة : علي البصري، (بغداد : مطبعة اسعد، 1958م).

8 – سروليس برج , رحلات الى العراق , ترجمة : فؤاد جميل , ج1 , ج2 , (بغداد : مطبعة دار الزمان, 1966) .

2. ثانياً : كتب الرحلات المترجمة

1 – AdrienDupre,voyage en persefaitdans les annees1807– qentraversant le Natalie et le mesoptamie,(paris,1819).

2 – Loftus, W. K, Travels In Georgia Persia, Armenia, Anaiet Babylonia, (London, 1822).

3 – V. Fontanier–Vayanierdamsl, endeehe go lfeperesiq.

3. ثالثاً : المصادر والمراجع العربية

1 – ابراهيم الموسوي , عقائد الامامية الاثنا عشرية , ط2 , (بيروت : د .مط , 1977م).

2 – ابو محمد الحسن بن محمد الديلمي , ارشادالقلوب, (بيروت: دار الفكر, د. ت) .

3 – ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الاحكام في شرح المقتنعه للشيخ المفيد، (تهران: دار الكتب الاسلامية، 1905م).

4 – اغا بزرك الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، (بيروت: دار الاضواء،1983م).

5 – الحسن بن أبي الحسين الديلمي، ارشاد القلوب، تحقيق : هاشم الميلاني، مج2، (ايران: دار الاسرة،2003م).

6 – باسم خيري خضير، الدراسات النحوية عند ال كاشف الغطاء، (بيروت : مؤسسة كاشف الغطاء العامة،2013م).

7 – جعفر باقر ال محبوبة , ماضي النجف وحاضرها , ج1 , ج2 , (بيروت : دار الاضواء , 1976م) .

8 – جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية،(بيروت– لبنان، دار الرافدين،2005م).

9 – حسن عيسى الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الاشرف، ج3،(قم المقدسة : شريعت،2006م).

10 – حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرك الوسائل،تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث،ج1، (بيروت: مؤسسة ال البيت لاحياء التراث،2008م).

11 – رسول كاظم عبد السادة، من تاريخ قبة المرقد العلوي المطهر، (د.م: د. مط، د.ت).

12 – سعاد ماهر، مشهد الامام علي ومابه من الهدايا والتحف، (مصر: دار المعارف،1969م).

13 – سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا)،(القاهرة: دار غريب للطباعة،د.ت).

14 – صلاح سعيد، النجف الاشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة، (الحلة: دار الفرات للثقافة والاعلام،2016م).

15 – صلاح مهدي الفرطوسي، الثوية بقيع الكوفة، ج1، (بغداد: دار الكتب والوثائق، 2013م).

16 – طالب علي الشرقي، النجف الاشرف عاداتها وتقاليدها، (النجف الاشرف: مطبعة الاداب،د.ت).

17 – عباس القمي، سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار، تحقيق : مجمع البحوث الاسلامية،ج2، (مشهد : مجمع البحوث الاسلامية،2008م).

18 – عبد الرزاق كمونة الحسيني، مشاهد العترة الطاهرة واعيان الصحابة والتابعين،(النجف الاشرف: مطبعة الاداب،1968م).

19 – عبد الصاحب ناصر ال نصر الله، كربلاء في ادب الرحلات، (بيروت – لبنان : مؤسسة البلاغ،2013م).

20 – عبد الكريم بن طاورس الحسني، فرحة الغري في تعين قبر امير المؤمنين، (د.م: مركز الدراسات الاسلامية، 1998م).

21 – لي هاشم، شد الرحال الى ديار علي والحسين (عليهما السلام)،مج1، (النجف الاشرف: دار الامين، 2011م).

22 – كاظم الحلفي، اضواء على تاريخ النجف، ج2،(النجف :مطبعة الغري الحديثة،1977م).

23 – محسن الامين، اعيان الشيعة، ج5، (النجف الاشرف : مطبعة الآداب، 1968م).

24 – محسن مظفر، وادي السلام في النجف من اوسع مقابر العالم،(النجف : مطبعة النعمان،1964م).

25 – محمد الحسيني الشيرازي، عيد الغدير أعظم الاعياد في الاسلام،ط2، (بيروت: مؤسسة المجتبى،2003م).

26 – محمد باقر المجلسي،بحار الانوار، مج 42،(طهران : المطبعة الاسلامية، 1969م).

27 – محمد حرز الدين، معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء،ج3،(النجف الاشرف: مطبعة الآداب،1965م).

28 – محمد علي جعفر التميمي، مشهد الامام علي، ج1،(النجف : مطبعة الحيدرية، 1955م).

29 – هاشم الميلاني، مكتبة الروضة الحيدرية جهود وجهاد، (النجف الاشرف : الغدير للطباعة والنشر، 2008م).

4. رابعاً : المصادر المعربة :

1 – اسحاق نقاش، شيعة العراق، ترجمة: عبد الاله التميمي،(سوريا: دار المدى للثقافة والنشر،1996م).

2 – ثريا فاروقي، حجاج وسلاطين ايام العثمانيين، ترجمة: ابو بكر أحمد قادر،(بغداد: منشورات الجمل،2010م).

5. خامساً : البحوث والدراسات :

1 – ادوارد نولده، النجف في مشاهدات مبعوث روسيا الى البلاد العربية عام 1893، ترجمة: كريم راهي، دليل النجف (جريدة)، العدد169، السنة السابعة، 2019.

2 – جون اشر، مشاهدات جون اشر في العراق، ترجمة: جعفر الخياط، سومر (مجلة)، ج1،مج 21، 1965م

3 – حيدر جاسم الرويعي، اهداف الرحالة الاوربيين وتوجهاتهم الى العراق،، القادسية للعلوم الانسانية (مجلة)، مج 15، العدد 2، 2012م.

4 – كوركيس عواد، المعرب من كتب الرحلات الاجنبية، اقلام (مجلة)، ج1، السنة الاولى.

5 – وليام تويدي , تقرير استخباراتي للقنصل العام عن النجف لسنة 1887م , ترجمة : كريم راهي , دليل النجف (جريدة) , العدد 170 , السنة السابعة , 2019م.

6. سادساً : المعاجم والموسوعات :

1 – خير الدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين،ج3،ج6،ط5،(بيروت: دار العلم للملايين،2002م).

2 – مركز تراث كربلاء، موسوعة تراث كربلاء،(كربلاء المقدسة: دار الكفيل،2016م).

سابعاً : شبكة المعلومات الدولية الانترنيت :

1 – موقع العتبة العلوية المقدسة، (http://imamali.in)

2 – الرحالة وليم لوفتس , (http;/en.wikpedia.ory).

باب الجغرافيا:

1-دور الجغرافيا في توجية ديانات الشعوب

بقلم كل من الباحثين: ا.د.محمدعباس حسن العبيدي

و ا.د.عبدالكريم رشيدعبداللطيف

جامعة سامراء/ العراق

الملخص:

الجغرافية علم طبيعي مهم وله دور كبير في رسم تفاصيل حياة الانسان على سطح الكرة الأرضية، ذلك لانها وكما تفسر من قبل الكثير من الجغرافيين والمهتمين في هذا المجال العلمي المهم حلقة الوصل الذي بين المظاهر الجغرافية الطبيعية مثل المناخ وعناصرة والسطح ومظاهرة والموارد المائية مع الانسان او الانشطة البشرية المختلقة .

لذا فإن للجغرافية واضح الاثر على الانسان نفسة شكلا وحجما ويتضح هذا من خلال ملاحظة تباين سكان المعمورة وحسب القارات الارضية المختلفة فهنالك الجنس الاسود الافريقي او الاصفر الاسيوي والابيض الاوروبي وغيرها، ولها دور كبير في جوانب حياة الشعوب البشرية المختلفة بما فيها الجانب الديني موضوع البحث الذي سيتناول دور العامل الجغرافي مثل المناخ وعناصره في ظهور ديانة او معتقد ونوعه او سمته في مكان او اقليم معين على حساب مكان اخر .

وسيتم تقسيم البحث الى عدة محاور اهمها:

- مقدمة عن الجغرافية وعلاقتها بالدين .

وسيتم تحت هذا المحور تناول الجغرافية وظواهرها البشرية والطبيعية، واثرها على الدين وكيف قاوم الانسان هذة القوى الطبيعية او عمل على استرضائها لخدمته في حياته اليومية.

- اثر الجغرافية في ديانة الحضارتين العراقية والمصرية .

وهنا وتحت هذا العنوان سيوضح الدور الجغرافي الذي وجه نظر الانسان في هذه الاماكن صوب الافلاك والكواكب والنجوم والرياح وتأليهها بعد طول مراقبة لها ترقبا لسقوط الامطار لاستخدامه في الري والزراعة.

-اثر الجغرافية في ديانة الحضارتين الهندية والصينية.

من خلال هذا العنوان سنتعرف على دور العامل الجغرافي في تحويل نظر المستوطن من السماء الى الارض بعد اعطته السماء حاجته من الماء بسبب غزارة الامطار واتجه نحو الارض والاشجار والحيوان والانسان. .

-موجز عن اثر الجغرافية في الدين الاسلامي.

وسيختم البحث بالاشارة الى دور العامل الجغرافي في اداء او اقامة بعض فروض الدين الاسلامي واختلافاتها من اقليم الى اخر حيث تكون شاقة وصعبة في مكان وهينة وميسرة في مكان آخر وحسب نوع المناخ او طبيعة السطح.

المقدمة:

يعنى علم الجغرافيا بدراسة وتحليل الظواهر الطبيعية والبشرية المختلفة، فهو يتناول كافة العناصر المادية للطبيعة كالمناخ والأرض، ويبحث في تأثير التفاعلات الجارية بين هذه العناصر بعضها ببعض، أو ذلك الناتج عن الأنشطة البشرية، كما يتطرق إلى القضايا الخاصة بالنوع البشري فيدرس المواقع التي تسكنها المجتمعات الإنسانية والتغيرات الحاصلة فيها مكانياً وزمانياً. لذا تبرز اهمية البحث من خلال ابراز دور العامل الجغرافي المتمثل بالموقع الجغرافي او الفلكي او المناخ وغيرها في توجية نظر المستوطن الى بعض الظواهر الفلكية وتاليهها او تاليه الحجارة وغيرها من المظاهر المختلفة .فمن المعلوم ان اتجاه الانظار في الحضارات الشرقيه القديمة مثل الحضارة العراقية او الحضارة المصرية نحو النجوم والكواكب السيارة الاخرى وتاليهها لم يكن من غير دافع معين, ولم يكن اعتباطيا بل بسبب الجفاف والمناخ الصحراوي الذي كان يسيطر ولا يزال على تلك الاقاليم مما وجه انظار السكان الى السماء لمتابعة النجوم والافلاك وتقلبات الجو والمناخ لملاحظة او توقع اوقات سقوط الامطار لتهيئة الارض للزراعة و تخزين المياة للشرب, بينما نجد العكس في الحضارتين الهندية والصينية اللتين اتخذتا من الحجارة آلهة لها بسبب عامل الرطوبة الذي كان ولا زال يسيطر على مناخ تلك الاقاليم والجهات الارضية بسبب غزارة الامطار وارتفاع كميات التساقط بكل انواعة فضلا عن توفر المياة السطحية ممثلة بالانهار الممتدة في تلك الجهات لهذا لم يكن الانسان بحاجة الى مراقبة الافلاك والنجوم او متابعة التقلبات الجوية المختلفة .

ينظر علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى الدين على أنه مجموعة من الأفكار المجردة، والقيم أو التجارب القادمة من رحم الثقافة. على سبيل المثال، وبطبيعة المبدأ، جوهر الدين لا يشير إلى الاعتقاد في «الله» أو أنه متعال بل ان مطلق جوهره يعرف بأنه «بنية أو ثقافة مباشرة أو بنية لغوية للحياة بشكل كامل، والاعتقاد بأنه، مثل لغة، يسمح بوصف الواقع، وصياغة واختبار المعتقدات والمشاعر والأحاسيس الحميمة .وبموجب هذا التعريف، الدين هو رؤية لا غنى عنها في العالم تحكم الأفكار الشخصية والأعمال.

لذا ستكون المشكلة التي سيحاول البحث الكشف او الاجابة عنها هي:

هل للعامل الجغرافي دور في ظهور الديانات في الشعوب القديمة ؟

اما فرضية الدراسة فانها ستدور حول الاجابة عن ذلك التساؤل كما يلي:

للجغرافية دور فعال في ظهور او تحديد نوع او سمة او ماهية الالهة .

اما لناحية منهجية الكتابة فيعد المنهج النظامي هو المنهج الامثل لتركيز البحث على الجوانب الجغرافية الطبيعية التي لعبت دورا كبيرا في هذا المجال مستبعدا الجوانب البشرية لضعف دورها في توجية او تحديد معالم او سمات او نوع الالهة .

وسيتم اعتماد المنهج الاستنباطي للوصول الى الحقائق من خلال الوقوف على الروابط والعلاقات التي كانت قائمه بين الانسان او المستوطن والظواهر الطبيعية ممثلة بالمناخ والافلاك والمظاهر السطحية والكونية في تلك الفترة.

مقدمة عن الجغرافية وعلاقتها بالدين

الدين هو نظام اجتماعي–ثقافي من السلوكيات والممارسات المعينة، والأخلاق، والنظرات العالمية، والنصوص، والأماكن المقدسة، أو النبوات، أو المنظمات، التي تربط الإنسانية بالعناصر الخارقة

للطبيعة، أو المتعالية، أو الروحانية. ومع ذلك، لا يوجد إجماع علمي حول التعريف الدقيق للدين. الدِين أو الدِيانة من دان خضع وذل ودان بكذا فهي ديانة وهو دين، وتديّن به فهو متديّن، إذا أطلق يراد به: ما يتديّن به البشر، ويدين به من اعتقاد وسلوك؛ بمعنى آخر، هو طاعة المرء والتزامه لما يعتنقه من فكر ومبادئ. أما الدين من الناحية اللغوية في اللغة العربية: فهو العادة والشأن. والتدين: الخضوع والاستعباد، ينبني على الدين المكافأة والجزاء، أي يجازى الإنسان بفعله وبحسب ما عمل عن طريق الحساب. ومنه صفة الديّان التي يطلقها الناس على خالقهم؛ وجمع كلمة دين: أديان. فيقال: دانَ بديانة وتدين بها، فهو متديّن، والتديّن: إذا وكل الإنسان أموره إلى دينه.

وتعاونت عدة عوامل على خلق العقيدة الدينية، فمنها الخوف من الموت، ومنه كذلك الدهشة لما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة أو الأحداث التي ليس في مقدور الإنسان فهمها، ومنها الأمل في معونة الآلهة والشكر على ما يصيب الإنسان من حظ سعيد، وكان أهم ما تعلقت به دهشتهم وما استوقف أنظارهم بسره العجيب هما الجنس والأحلام، ثم الأثر الغريب الذي تحدثه أجرام السماء في الأرض والإنسان؛ لقد بهت الإنسان البدائي لهذه الأعاجيب التي يراها في نومه، وفزع فزعا شديداً حين شهد في رؤاه أشخاص أولئك الذين يعلم عنهم علم اليقين أنهم فارقوا الحياة؛ لقد دفن موتاه بيديه ليحول دون عودتهم؟ لقد دفن مع الموتى ألوان الطعام وسائر الحاجات حتى لا يعود الميت من جديد فيصبّ عليه لعنته، بل كان أحيانا يترك للميت الدار التي جاءه فيها الموت، وينتقل هو إلى دار أخرى، وفي بعض البلدان كان الإنسان البدائي يُخرج الجثة من الدار خلال ثقب في الحائط، لا من بابها، ثم يدور بها حول الدار ثلاث دورات سريعة، لكي تنسى الروح أين المدخل إلى تلك الدار فلا تعاودها أبدا. مثل هذه الأحداث التي كانت تصادف الإنسان البدائي في حياته، أقنعته بأن كل كائن حي له نفَس أو حياة دفينة في جوفه، يمكن انفصالها عن الجسد إبان المرض والنوم والموت؛ جاء في كتاب من كتب «بوبانشاد» في الهند القديمة: «لا يوقظنَّ أحد نائماً إيقاظاً مفاجئاً عنيفاً؛ لأنه من أصعب الأمور علاجا أن تضل الروح فلا تعرف طريقها إلى جسدها» وليست الروح[360].

وثمة تفسير آخر هو ما يمكن أن نطلق عليه التفسير النفسي (السيكولوجى) لنشأة الدين يقدمه كل من فرويد ويونج من علماء النفس المحدثين؛ إذ يرى فرويد أن الدين ينبع من عجز الإنسان عن مواجهة قوى الطبيعة في الخارج والقوى الغريزية داخل نفسه، وينشأ الدين كما يضيف فرويد في كتابه «مستقبل وهم» في مرحلة مبكرة من التطور الإنساني عندما لم يكن الإنسان يستطيع أن يستخدم عقله في التصدي لهذه القوى الخارجية والداخلية، وكان الدين في رأى فرويد تكرارا لتجربة الطفل حيث يتعامل الإنسان مع القوى المهددة له بنفس الطريقة التي تعلم بها وهو طفل، وعلى هذا اعتبر فرويد أن الدين وهم، بل وخطر لأنه يميل إلى تقديس مؤسسات إنسانية سيئة تحالف معها على مر التاريخ. ويعتقد فرويد أن الدين يستمد فاعليته من الانفعالات الداخلية المتولدة من حالة الكبت الجنسي في مرحلة الطفولة فيما يطلق عليه فرويد «عقدة أوديب»؛ فالاعتقاد بالله يعكس ميولاً ورغبات كامنة في اللاشعور تظهر على شكل حاجة إلى أب سماوي يملك قدرة، كبيرة لحماية الإنسان، كما كان الطفل يشعر بالحاجة للأب لحمايته في مرحلة الطفولة. وعلى هذا الأساس فالدين يمثل حالة نفسانية ناشئة عند الإنسان من أوهام وآمال ورغبات نفسية في أعماق وجوده[361].

الجغرافية علم طبيعي مهم وله اثر فعال في رسم تفاصيل حياة الانسان على سطح الكرة الأرضية،

(360) ويليام جيمس ديورَانت,قصة الحضارة,تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر,ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين,دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس, 1988 م, ص100.

(361) مصطفي النشار ,مفهوم الدين وتصنيف الاديان بين التحليل النفسي والرؤى الفلسفية,مجلةالعقيد,العدد 15,شهر جمادى الثانية ,2018م ,ص7

ذلك لان الجغرافية وكما تفسر من قبل الكثير من الجغرافيين والمهتمين في هذا المجال العلمي المهم هي الجسر الذي يربط المظاهر الجغرافية الطبيعية مثل المناخ وعناصرة والسطح ومظاهرة والموارد المائية مع الانسان او الانشطة البشرية المختلقة .

لذا فإن للجغرافية دور كبير في حياة المجتمعات البشرية المختلفة بما فيها الدين موضوع البحث فنرى هذا التاثير واضح على شكل الانسان نفسة وحجمه من حيث شكل الشعر ولونه وشكل الجمجمة وحجمها وشكل الوجه والانف والشفاه وغيرها من التفاصيل الخلقية التي يتميز بها الانسان من مكان الى اخر وبحسب الموقع الجغرافي ,سواء كان من جانب دوائر العرض او حسب البيئة الجغرافية التي يسكنها السكان سواءكانت بحرية ام قارية او سهلية ام جبلية. وقد اقر ذلك انصار الحتم البيئي من خلال قولهم بان سكان البيئات الجبلية تكون ارجلهم أقوى من اياديهم لاعتمادهم عليها في الحركة بين المرتفعات صعودا ونزولا,بينما يتميز سكان المناطق البحرية بقوة عضلات الذراع وذلك لاعتمادة على اليدين في السباحة وممارسة حياتة اليومية والتنقل عبر هذة البيئة الجغرافية .

وكما تختلف التربة والموارد الغذائية من مكان الى اخر وكذلك اختلفت اللغات والثقافات والحضارات والعلوم وغيرها من الموروثات البشرية فقد اختلفت الاديان والمعتقدات البشرية للمجتمعات وخاصة القديمة منها، ويرجع ذلك وحسب الادلة المبينة الى موقع تلك المجموعة البشرية من الكرة الارضية سوا كانت قارية ام بحرية اي مطيرة ام جافة.

اثر الجغرافية في ديانة الحضارتين العراقية والمصرية

تعد حضارة العراق السومرية أولى الحضارات البشرية الأصيلة وهي أساس لجميع حضارات العراق القديم فيما بعد, نشأت الأصول الأولى للحضارة السومرية في وادي الرافدين حيث يطلق عليها حضارة ما قبل السلالات أو فجر السلالات، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنّ حضارة العراق السومرية لم تقتصر على جنوب العراق فحسب, فقد عُثر على آثار هذه الحضارة في شمال العراق أيضاً, إذ وجدت بعض الأدوات الحجرية التي صنعت بطريقة التشظية أي إنها أدوات من الشظايا من بينها أدوات ذات حدّين وفؤوس حجرية يدوية مصنوعة على هيئة القلب وبعضها لوزية الشكل[362].

كان الدين في العراق القديم تمامًا كما كان في مصر، من حيث خضوعه للتأثيرات السياسية بالمقام الأول، وكان يمثل درجة عالية من التعليمات والالتزامات الأخلاقية، وكان له عند العراقيين والمصريين على حد سواء المكان الأول في حياتهم العامة والخاصة. كما كان للعامل الجغرافي والاجتماعي تأثيرهما مثل بداية الديانة المصرية والإغريقية، إذ كان لكل مقاطعة من المقاطعات العراقية آلهة تحرسها، ولكل إله اسم خاص في كل مقاطعة من تلك المقاطعات، ففي مدينة أريدو كان الإله الأعلى يُسمى «أيا– أو– أنكي»، وفي نيبور «أنليل أو– بعل»، وفي أور «سن»، وفي لكش «نين جيرسوا». الآلهة في بابل ترجع من جهة أصلها إلى قوى الطبيعية، كمثيلاتها عند المصريين، حيث اختار العراقيون أهم الظواهر الطبيعية التي كان لها أثر قوي في حياتهم، وشخصوها على هيئة آلهة الدين في العراق القديم، وبذلك فإن معتقد الألوهية كان عندهم يخضع للتفريد وليس التوحيد، فكانوا يفضلون إلها عن الآخرين، دون تركهم، حيث كانت مكانة آلهتهم متفاوتة، تبعًا لتفاوت المقاطعات السياسية ولسيطرة بعض المقاطعات على الأخرى نتيجة الحروب التي كانت تدور بينها وبالتالي ترتفع مكانة إله المقاطعة المنتصرة.

افترض السومريون لكل ظاهرة طبيعية ربًّا أو ربة، وافترضوا لأربابهم صورًا بشرية مضخمة وحياة تماثلها حياة البشر، تزاوجوا فيها وتناسلوا، وتحابوا وتخاصموا، لولا أنها كانت حياة سرمدية ذات مقدرة

(362) طه باقر, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ط1, دار دجلة, بغداد, 2009, ص187

مطلقة. واستقرت لأربابهم الكبار عبادات رئيسية في مدن بعينها. فاستقر أكبر مراكز عبادة آن في مدينة أوروك حيث عرف معبده فيها باسم «أي – أنا»، وقد أطلق اسمه على حي بأكمله. واستقر أكبر مراكز عبادة إنليل في مدينة نيبور «نفر» وسُمي معبده فيها «إكور» ربما بمعنى البيت الجبلي.

غير أن ذلك لم يحل دون انتشار عبادة مثل هذين الربين مع غيرهما من الأرباب في معابد صغرى بمدن أخرى كثيرة، وهنا قد يلقب المعبود بلقب جديد، أو ينسب إلى الحي الذي يوجد معبده فيه، على نحو ما لقب إينورتا. أحد أرباب الأعاصير والسحب المسطرة ورعاة الحرب، وابن إنليل في مدينة لجش، لقب بلقب «نين جيرسو» أي سيد جيرسو، وكانت جيرسو هذه ضاحية مقدسة تجاور لجش «وسمي معبده فيها إنينو».

وعلى نحو ما تصور السومريون لمظاهر الطبيعة أربابًا عديدين فقد أطلقوا على كل منهم صفة «دنجر» بمعنى إله، تخيلوا لوجوه حضارتهم أربابًا ابتدعوها ورعوا أصحابها، مثل «نابو» رب الكتابة. وردوا إلى أولئك الأرباب فضل إنشاء مدنهم وتنظيمها ووضع شرائعها ثم جمعوا إلى هؤلاء وهؤلاء أربابًا صغارًا يشبهون الأولياء والقديسين، اتخذهم الأفراد رعاة شخصيين وحماة وشفعاء لهم لدى الأرباب الكبار الذين تخيلوهم بعيدين عن مستوى دنياهم، بعيدين عن آفاق عقولهم ولم يكن أحدهم يجد بأسًا من أن يعتبر معبوده الخاص «أو معبود أسرته» «راعيه الموكل به» و»ربه وأباه المقدس الذية أنجبه»[363].

تحتل مصر الركن الشمالي الشرقي لأفريقيا وتشغل الحوض الأدنى لنهر النيل، وهي عمومًا عبارة عن وادٍ منبسط تحف به الصحارى من الجانبين: الشرقي والغربي, ولولا وجود النهر ``1لأصبحت هي الأخرى جزءًا من الصحارى المحيطة بها؛ ولذا وصفها هيرودوت بعبارته الشهيرة: «مصر هبة النيل». وقد هيأت ظروفها الطبيعية للجماعات التي استقرت بها فرصة للنهوض والرقي؛ ففي الشمال يوجد البحر المتوسط الذي لم يكن من اليسير عبوره إلا بعد أن تمكن الإنسان من ركوب البحر إلى مسافات بعيدة، وفي الشرق والغرب صحارى واسعة يصعب اجتيازها، وفي الجنوب توجد منطقة صحراوية صخرية تعد من أجدب بقاع العالم, وتعترض النهر فيها جنادل وصخور تجعل الملاحة فيه متعذرة غير يسيرة، وهكذا كفلت البيئة المصرية الأمن والهدوء لأهلها[364].

أخذت الديانة المصرية حين نشأتها وفي مراحل طويلة من تاريخها بتعدد المعبودات شأنها في ذلك شأن مثيلاتها من الديانات الوضعية القديمة. ولكنها ظلت أغنى من غيرها في وفرة نصوصها، ووضوح قضاياها، وثباتها على مبادئها، ثم رقي تطوراتها التي انتقلت فيها من عقائد التعدد إلى صور مختلفة من أفكار التوحيد.

ورد المصريون الأوائل كل ظاهرة حسية تأثرت دنياهم بها إلى قدرة علوية أو علة خفية تحركها وتتحكم فيها وتستحق التقديس من أجلها، الأمر الذي أفضى إلى تعدد ما قدسوه من العلل والقوى الربانية المتكلفة بالرياح والأمطار وظواهر السماء، وبجريان النيل وتعاقب الفيضانات، وتجدد خصوبة الأرض ونمو النبات، وخصائص الخصب النوعي في الإنسان والحيوان، بل والمتسببة فيما اتصفت به كل بيئة محلية في أرضهم من صفات، والمقدرة لما تميزت به حضارتهم في مجملها من خصائص سمت بها عن بقية الحضارات، كمزايا التبكير بالكتابة والحساب والحكمة والفنون وما يشبهها من آيات أكبروها فردوا خلقها ورعايتها إلى قدرات علوية سامية فاقت قدرات البشر .وربط المتدينون بين تصوراتهم

(363) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق,عبد العزيز صالح, مكتبة دار الزمان, ص393–392.

(364) محمد أبو المحاسن عصفور ,معالم تاريخ الشرق الأدني القديم, دار النهضة العربية –بيروت– لبنان, ص50.

العقائدية الذهنية وبين علامات كثيرة من عالم الواقع والمحسوسات، فرمزوا إلى كل قوة عليا وعلة خفية تخيلوها برمز حسي يعبر عن سر من أسرارها ويحمل صفة من صفاتها، والتمسوا أغلب رموزهم هذه فيما عمر بيئتهم من حيوانات وطيور وأشجار وزواحف، لاحظوا أنه يتأتى عن بعضها كثير من الخير ويتأتى عن بعضها كثير من الشر، ويظهر أثر البعض منها في جهات بعينها وفي ظروف بعينها أكثر مما يظهر أثر بعضها الآخر، وهو الأمر الذي لم يكن يخلو من إعجاز كبير في نطاق تصوراتهم القديمة التي كانت في عصورها الأولى لا تزال قليلة التجارب محدودة الآفاق. وبوحي هذه التصورات رمزوا بحيوية الكبش الطلوق إلى بعض أرباب الإخصاب الطبيعي والنوعي، ورمزوا بقوة الفحل إلى شيء من ذلك وإلى قوة البأس في مجملها. ورمزوا بنفع البقرة ووداعتها إلى حنو السماء وأمومتها، ورمزوا بقسوة السباع واللبوءات إلى أرباب الحرب ورباتها، ورمزوا بفراسة القرد واتزان طائر أبي منجل إلى إله الحكمة. ورمزوا بالحيات والضفادع إلى أرباب الأزل، ورمزوا بخصائص الصقر إلى رب الضياء وحامي الملكية.

ويتضح هنا اثر عامل المناخ الجاف في هذه الاقاليم ودورها في تحويل انظار المستوطن الى السماء راجيا منها اغاثته بالامطار بعد ان اجدبت الارض وقلت المياه فيها بسبب عامل الجفاف وارتفاع درجات الحرارة فضلا عن قلة المياة السطحية وخاصة في المناطق البعيدة عن الانهار والمسطحات المائية مما دفع الناس في هذه الجهات الى تاليه هذه القوى الطبيعية محاولا استرضاءها لكي تمده بالمياه للاستفادة منها بالشرب او ري المحاصيل الزراعية انذاك.

اثر الجغرافية في ديانة الحضارتين الهندية والصينية

الهنود فرق كثيرة، قال الشهرستاني: ومن فرقهم الباسوية الذين زعموا أن لهم رسولاً ملكاً روحانياً، نزل بصورة البشر، فأمرهم بتعظيم النار والتقرب إليها بالطيب والذبائح، ونهاهم عن القتل والذبح لغير النار، وسن لهم أن يتوشحوا بخيط، يعقدونه من مناكبهم الأيامن إلى تحت شمائلهم، وأباح لهم الزناء، وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها، ويتضرعون في التوبة إلى التمسيح بها.

قال ومنهم اليهودية ومن مذهبهم أن لا يعافوا شيئاً، لأن الأشياء جميعها صنع الخالق، ويتقلدون بعظام الناس، ويمسحون رؤوسهم وأجسادهم بالرماد، ويحرمون الذبائح والنكاح، وجمع الأموال، ومنهم عبدة الشمس وعبدة القمر، ومنهم عبدة الأصنام، وهم معظمهم. ولهم أصنام عدّة، كل صنم لطائفة، ويكون لذلك الصنم شكل غير شكل الصنم الآخر، مثل أن يكون أحدها بأيد كثيرة، أو على شكل امرأة ومعه حيات، ونحو ذلك.

ومنهم عبّاد الماء ويقال لهم الجلهكينية، ويزعمون أن الماء ملك، وهو أصل كل شيء، وإذا أراد الرجل عبادة الماء تجرد وستر عورته، ثم دخل الماء حتى يصل إلى وسطه، فيقيم فيه ساعتين أو أكثر، ويأخذ مهما أمكنه من الرياحين فيقطعها صغاراً ويلقيها في الماء وهو يسبح، ويقرأ، وإذا أراد الانصراف، حرّك الماء بيده ثم أخذ منه، فنقّط على رأسه ووجهه، ثم يسجد وينصرف.

ومنهم عباد النار ويقال لهم الإكنواطرية، وصورة عبادتهم لها أن يحفروا في الأرض أخدوداً مربعاً ويؤججوا النار فيه، ثم لا يدعون طعاماً لذيذاً ولا شراباً لطيفاً ولا ثوباً فاخراً ولا عطراً فائحاً ولا جوهراً نفيساً إلا طرحوه في تلك النار، تقرّباً إليها. وحرموا إلقاء النفوس فيها، خلافاً لطائفة أخرى.

ومنهم البراهمة أصحاب الفكرة وهم أهل العلم بالفلك والنجوم، ولهم طريقة في أحكام النجوم تخالف طريقة منجمي الروم، والعجم، وذلك أن أكثر أحكامهم باتصالات الثوابت، دون السيارات، وإنما سموا أصحاب الفكرة لأنهم يعظمون أمر الفكرة، ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول،

ويجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الفكر عن المحسوسات، فإذا تجرد الفكر عن هذا العالم، تجلى له ذلك العالم، فربما يخبر عن المغيبات، وربما يوقع الوهم علي حي فيقتله، وإنما يصرفون الفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة المجهدة، وبتغميض أعينهم أياماً، والبراهمة لا يقولون بالنبوات وينفونها بالكلية.

قال: ويلي مملكة المانكير، مملكة القنوح وهي مملكة بلادها الجبال، وهي منقطعة عن البحر، وكل من ملكها يسمى نوده، ولأهل هذه المملكة أصنام يتوارثون عبادتها، ويزعمون أن لها نحو مائتي ألف سنة.

قال ويجاور هذه المملكة مملكة قمار وهي التي ينسب إليها العود القماري، وهي على البحر، وأهل هذه المملكة يرون تحريم الزناء من بين أهل الهند، قال ابن سعيد ورواه عن المسعودي أن الذي يملكها يسمى زهم، قال ويحاربه من جهة البحر ملك الجزر المعروف بالمهراج.

قال وآخر ممالك الهند من جهة الشرق مملكة بنارس وهي تلي بلاد الصين، وهي مملكة طويلة، وعرضها نحو عشرة أيام، وجزائر بحر الهند في نهاية الكثرة، وهي في البحر قبالة هذه الممالك [365].

الظاهر أن أقدم ديانة نعرفها عن الهند، تلك الديانة التي وجدها الغزاة الآريون بين « الناجا « والتي لا تزال قائمة في الأجناس البشرية البدائية التي تراها هنا وهناك في ثنايا شبه جزيرة العظيمة، هي عبادة روحانية طموطمية لأرواح كثيرة تسكن الصخور والحيوان والأشجار ومجاري الماء والجبال والنجوم، وكانت الثعابين والأفاعي مقدسات- إذ كانت آلهة تعبد ومثلا عليا تنشد في قواها الجنسية العارمة، كذلك شجرة «بوذي» المقدسة في عهد بوذا كانت تمثل تقديسهم لجلال الأشجار الصامت، وهو تقديس صوفي لكنه سليم: وهناك من آلهة الهنود الأولين ما هبط مع الزمن إلى هنود العصور التاريخية، مثل «ناجا» الإله الأفعوان، و «هاتومان» الإله القرد، و «ناندس» الثور المقدس، و «الياكشا» أو الآلهة من الأشجار؛ ولما كان بعض هذه الأرواح طيبا وبعضها خبيثا، فلا يستطيع حفظ الجسم من دخول الشياطين فيه وتعذيبه في حالات المرض أو الجنون، تلك الشياطين التي تملأ الهواء، إلا مهارة عظيمة في أمور السحر، ومن ثم نشأت مجموعة الرقى في «فيدا أثارفا» أي «سفر الإلمام بالسحر»، فلا بد للإنسان من صيغ سحرية يتلوها إذا أراد الأبناء أو أراد اجتناب الإجهاض، أو إطالة العمر، أو دفع الشر، أو جلب النعاس، أو إيقاع الأذى أو الارتباك بالأعداء[366].

اما البوذية فانتشرت أفكارها وأدبها وفنها في سيلان وشبه جزيرة الملايو في الجنوب، وفي التبت وتركستان في الشمال، وفي بورما وسيام وكمبوديا والصين وكوريا واليابان في الشرق؛ وعلى هذا النحو امتصت كل هذه الأصقاع- ماعدا الشرق الأقصى- ما استطاعت امتصاصه وهضمه من المدنية؛ بنفس الطريقة التي امتصت بها أوربا وروسيا الحضارة من الرهبان الرومانيين والبيزنطيين في العصور الوسطى؛ فمعظم هذه الأمم قد بلغ ذروة ثقافته بحافز من البوذية؛ ولقد لبثت «أنورا ذابورا» في سيلان من منذ عهد أشوكا حتى انحلال البوذية في القرن التاسع، إحدى المدن الكبرى في العالم الشرقي، وظل الناس هناك ألفي عام يعبدون شجرة التين المقدسة عند البوذيين، وكان المعبد القائم على قمة جبال كاندي كعبة يحج إليها مائة وخمسون مليونا من البوذيين في آسيا[367]

كانت النزعة المسيطرة على كنفوشيوس هي تطبيق مبادئ الفلسفة على السلوك وعلى الحكم فقد كان يتجنب البحث فيما وراء الطبيعة، ويحاول أن يصرف عقول أتباعه عن كل الأمور الغامضة أو

---

(365) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل , المختصر في أخبار البشر,ط1,ج1,المطبعة الحسينية المصرية,ص95-93

(366) ويليام جيمس ديورَانت,مصدر سابق, ص30

(367) المصدر نفسه , ص201-200

الأمور السماوية. صحيح أن ذكر «السماء» والصلاة كان يرد على لسانه أحيانا، وأنه كان ينصح أتباعه بألا يغفلوا عن الطقوس والمراسم التقليدية في عبادة الأسلاف والقرابين القومية، ولكنه كان إذا وجه إليه سؤال في أمور الدين أجاب إجابة سلبية جعلت شراح آرائه المحدثين يجمعون على أن يضموه إلى طائفة اللا أدريين. فلما أن سأله تزه– كونج، مثلا: «هل لدى الأموات علم بشيء أو هل هم بغير علم؟ « أبى أن يجيب جوابا صريحا. ولما سأله كي –لو، عن «خدمة الأرواح» (أرواح الموتى) أجابه «إذا كنت عاجزا عن خدمة الناس فكيف تستطيع أن تخدم أرواحهم؟ «. وسأله كي– لو: «هل أجرؤ على أن أسألك عن الموت؟ « فأجابه: «إذا كنت لا تعرف الحياة، فكيف يتسنى لك أن تعرف شيئا عن الموت». ولما سأله فارشي عن «ماهية الحكمة» قال له: «إذا حرصت على أداء واجبك نحو الناس، وبعدت كل البعد عن الكائنات الروحية مع احترامك إياها أمكن أن تسمي هذه حكمة»[368].

و بلاد الصين فطويلة عريضةْ، طولها من المشرق إلى المغرب أكثر من مسيرة شهرين، وعرضها من بحر الصين في الجنوب إلى سد يأجوج ومأجوج في الشمال. وقد قيل: إن عرضها أكثر من طولها، ويشتمل عرضها على الأقاليم السبعة، وأهل الصين أحسن الناس سياسة، وأكثرهم عدلاً، وأحذق الناس في الصناعات، وهم قصار القدود، عظام الرؤوس، وهم أهل مذاهب مختلفة، فمنهم مجوس، وأهل أوثان، وأهل نيران.مدينتهم الكبرى يقال لها جمدان يشقها نهرها الأعظم. وأهل الصين أحذ

خلق الله تعالى بالنقش والتصوير، بحيث يعمل الرجل الصيني بيده ما يعجز عنه أهل الأرض، والصين الأقصى ويقال له صين الصين، هو نهاية العمارة من جهة الشرق، وليس وراءه غير البحر المحيط، ومدينته العظمى يقال لها السيلي[369].

فكما ان الهند أرقى بلاد العلم في الاديان، وعلم ما وراء الطبيعة، فكذلك الصين أرقاها في الفلسفة الانسانية غير الدينية، اذ لا يكاد يوجد في الادب الصيني كله كتاب ذو شأن في علم ما وراء الطبيعة غير تلك الوثيقة العجيبة التي يبدأ بها تاريخ التفكير الصيني المدون، وهي الوثيقة المعروفة بإسم إي– جنج، أو «كتاب التغيرات». وتقول الرواية المأثورة إن هذا الكتاب قد كتبه ون وانج، أحد مؤسسي أسرة جو في سجنه، وان أبسط مبادئه مستمدة من فوشي الذي عاش قبله بزمن طويل. وهم يقولون لنا ان هذا الامبراطور الاسطوري قد اخترع «الجوات» الثماني أو التثاليث الرمزية التي ترى علوم ما وراء الطبيعة عند الصينيين أنها تنطبق على قوانين الطبيعة وعناصرها. وهم يقولون أن كل واحد من هذه التثاليث يتألف من ثلاثة خطوط بعضها متصل ويمثل عنصر الذكورة أو اليانج وبعضها متقطع ويمثل عنصر الأنوثة أو الين.

وكان الصينيون يتخذون كتاب التغيرات كتابا يدرسون فيه طرق التنبؤ بالغيب، ويعدونه أعظم تراثهم الأدبي، ويقولون أن كل من فهم ما فيه من توافيق يدرك جميع القوانين الطبيعية. وقد نشر كنفوشيوس هذا الكتاب بنفسه، وجمله بما علق عليه من الحواشي، وكان يفضله على كل ما عداه من كتب الصينيين، ويتمنى أن يخلو لنفسه خمسين عاما يقضيها في دراسته.

ولا يتفق هذا السفر العجيب مع روح الفلسفة الصينية، وهي الروح الايجابية العملية، وان كان يلائم غموض النفس الصينية ونحن نجد في الصين فلاسفة في أبعد الازمان التي وصل إلينا تاريخها، ولكن كل ما حفظه التاريخ لهم قبل أيام لو– دزه، لا يعدو أن يكون قطعة مبتورة من هنا وهناك، أو مجرد اسم من الاسماء، وقد شهد القرنان السادس والخامس في بلاد الصين، كما شهدا في الهند وفارس

---

(368) ويليام جيمس ديورَانت,قصة الحضارة,ج4,تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر,ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين,دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس, 1988 م,ص52

(369) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل .مصدر سابق, ص96.

وبلاد اليهود واليونان، عاصفة قوية من العبقرية الفلسفية والأدبية، بدأت كما بدأت في بلاد اليونان بعصر من «الاستنارة» العقلية[370].

لذا فقد كان اتجاة الانسان في حضارتي العراق ومصر نحوالسماء بسبب الجفاف وقلة الامطار لمراقبة الافلاك والاجرام السماوية واتخذوها الهة وعبدوها فقد عبدوا الشمس والقمر والافلاك والنجموم والرياح طمعا ورجاء لسقوط المطار للاستفادة منها للشرب والزراعة وبقية المتطلبات اليومية وخاصة في الجهات البعيدة عن المياة الجارية او الانهار ,بينما اتجهت الانظار في حضارتي الهند والصين نحوالارض فقد اتخذوا من الحيوان والاشجار والانسان الهة وعبدوها بسبب بيئتهم الرطبة الممطرة لانها من المناطق الموسمية الامطار مناخيا فضلا عن توفر الانهار الجارية ومثلوا الهتهم وصنعوها من الحجارة وعبدوها لذا اتجهوا نحو الارض اكثر من السماء .

اثر الجغرافية في الدين الاسلامي

تعد الجغرافيا مقياساً يمكن ان يقاس به ازدهار واضمحلال الامة وذلك ان تطورها او تاخرها يتوافق مع نمو واضمحلال النفوذ السياسي والاحوال الاقتصادية للامة، ونادراً ما يذكر لنا التاريخ امثلة عن ان الجغرافية كما نفهمها في الوقت الحاضر قد تطورت كعلم بمعزل عن تلك الظروف، وذلك ان العرب والرومان والمغول على حد سواء قد شجعوا واهتموا بالجغرافية لاغراض ايجابية سياسية ونادراً ما عمل الباحثون في الجغرافية من اجل تطوير المعرفة في حد ذاتها بما في ذلك المستكشفون في القرن التاسع عشر وانه في العصر الحديث فقط نرى ان هذا العلم قد نما واحتل مكانه مرموقة مع تطور العلوم الاجتماعية والطبيعية[371].

وجاء الاسلام ليشرق بنوره على الارض العربية لتظهر مرحلة جديدة ومؤثرة على الحياة بصفة عامة وعلى الحضارات بصفة خاصة ولتتبلور على السطح حضارة جديدة لعبت على مسرح الجغرافيا اجتماعياً وطبيعياً ومزجتها بالروح والاسلوب تلك هي الحضارة الاسلامية واثر هذا العامل الحاسم لتدخل الجغرافيا في العصور الوسطى مرحلة جديدة وكانت هذه الفترة من ابهى واروع ما انتجته الحضارة على مر العصور التاريخية وامتزجت فيها عوامل البناء الانساني من مادي وروحي وبرزت مع ظهور الاسلام حضارات اتجهت اتجاهاً خاطئاً في معظم الاحيان ودخل الناس في دين الله افواجاً وانظم تحت راية الاسلام امم كثيرة وحضارات متنوعة تنتج عنه بالضرورة اتجاه نحو التفكير باسلوب جديد للحياة وبصفة عامة تفاعلت شعوب الشرق والغرب في بوتقة واحدة وانكب العلماء على الدراسات المتنوعة وظهرت جهود متعددة وكانت الجغرافيا احد هذه الفروع [372].

إنّ الدين الإسلامي جاء ليحرر الناس من رقبة الوثنية وترسيخ عقيدة التوحيد والايمان بالله ونشر التعاليم الاسلامية، والقرآن الكريم فيه كثير من الإعجاز والحقائق العلمية والذي يحث فيه الله (عز وجل) عباده على السير في الأرض وأخذ العبر من الأمم التي سلفت والتطلع الى ما خلقه ربنا تبارك وتعالى وطلب العلم. كذلك حث ربنا تبارك وتعالى على الترحال والتطلع على الأماكن سواء كان لأخذ العبر من الأمم التي سبقت أو زيادة المعرفة لدى الإنسان عن بيئته التي يعيش فيها والتأمل في الكون ومعرفة عظمة الخالق. ولا تجد ديناً من الأديان اهتم بالعلم وحث على طلبه مثل الإسلام وفي ظله ازدهرت سائر أنواع المعرفة بصفة عامة والجغرافية بصفة خاصة، ذلك ان كثيرا من العبادات في

(370) ويليام جيمس ديورَانت,مصدر سابق ,ص28–27

(371) س.م.ضياء الدين علوي، الجغرافية العربية في القرنين الثالث والرابع الهجري، تعريب عبد الله يوسف غنيم، د. طه محمد جاد، سلسلة علمية تصدر عن وحدة البحث والترجمة، الجمعية الجغرافية الكويتية، 1980 .ص11

(372) عبد الله حميد الحقيل، «اهمية دراسة تراثنا الجغرافي، دراسة ميدانية» مجلة الدارة، العدد الاول السنة العاشرة، الرياض، يونيه 1984، ص77

الاسلام ترتبط بتحديد الأوقات مثل الصلاة والصوم التي تتطلب معرفة الاتجاهات الأصلية لتحديد القبلة مما دفع المسلمين إلى ابتكار وتحسين الوسائل والأجهزة المتنوعة اللازمة لذلك، وقد ساعد الحج على تلاقي الشعوب الإسلامية وتبادل المعرفة الجغرافية، وأدت حركة الفتوح الإسلامية وما تطلبه ذلك من إنشاء جهاز البريد ومد شبكة الطرق والمواصلات إلى ظهور كتب عديدة تعالج موضوع المسالك والممالك مثل كتب ابن خرداذبة والاصطخري وابن حوقل [373].

كما استخدم الجغرافيون المسلمون خطوط الطول والعرض لتعيين المواقع الجغرافية للمناطق التي يريدون تحديدها؛ سواء بالنسبة إلى القبلة في مكة، أو أي بقعة أخرى. وقد توصلوا إلى تحديد عرض الأماكن عن طريق قياس ارتفاع النجم القطبي أو الشمس. وقد كان من النتائج المباشرة لجهودهم في تحديد خطوط العرض أن تمكنوا من إنشاء المزاول الشمسية لضبط الزمن.

لعل أشهر الرحلات الجغرافية التي تكاد تطغى على ما سواها من الرحلات الأخرى، سواءً في الشرق أم الغرب، رحلات ابن بطوطة (ت 779هـ،1377 م) وكان الدافع لرحلاته دينياً كذلك وهو أداء فريضة الحج. وقد بدأ هذه الرحلات الثلاث

من مدينة طنجة عام 725 هـ / 1325 م استمرت أولاها نحو 25 عامًا زار ووصف فيها الساحل الشمالي لإفريقيا ومصر والشام والحجاز والعراق وعُمان والبحرين وخراسان وأفغانستان والهند والصين وسومطرة وجزيرة سرنديب (سريلانكا الآن) وعاد إلى فاس عام 750 هـ، 1349 م. أما الرحلة الثانية فقد توجه فيها صوب الشمال نحو بلاد الأندلس وأقام بغرناطة ثم عاد إلى المغرب. وفي الرحلة الثالثة خرج عام 753 هـ، 1353 م إلى وسط إفريقيا فزار الممالك الإسلامية فيها كمملكة مالي وغانا وعاد عام 754 هـ، 1354 م. وقد قام بتدوين مشاهدات ابن بطوطة محمد بن جزي الكلبي بإملاء من ابن بطوطة، وسمّى السّفر الذي كتبه **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**.

لذا فان من اهم اسباب نشوء وازدهار هذا العلم هو الدين الاسلامي نفسه حيث دفعت بعض فروضه الى دراسة الجغرافية، فإن علم الفلك الذي كان يتطلب تعيين خطوط الطول والعرض لكل موضع في الارض كان له اثره العلمي في هذا المجال وإن تجار المسلمين كانوا قد وصلوا الى جزيرة زنجبار (مدغشقر) واقاصي شواطئ افريقا جنوباً وتوغلوا الى روسيا شمالاً ولم تصدهم غرباً الا امواج بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) وكان طبيعي حين يعود التجار الى اوطانهم ان يقصوا الاخبار عما شاهده في اسفارهم فتثير في نفوس الشعب عامة الرغبة الى التعرف على احوال البلدان والشعوب الغريبة([374]).

وهكذا لازمت العلمية في الفلك العرب منذ انتشار الدين الاسلامي فقد كانت حاجتهم الدينية الى تعيين الاوقات للصلاة ومعرفة الاهلة (اوائل الشهور القمرية) للصيام والعيدين تقوي تلك النزعة العلمية حتى اشتهر به كثير من علماء المشرق الاسلامي والمغرب على السواء كما اولع به واولاه اهتمامه كثير من خلفاء المسلمين وامرائهم ابتداء من الرشيد الى سلاطين السلاجقة ثم المغول والدولة التيمورية ثم بنيت المراصد في جميع المدن الاسلامية مثل سمر قند وبغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة واصبحت للفلك مدارس مشتهرة[375].

ان معرفة العرب بالفلك قبل العصر العباسي كانت مقتصرة على رصد بعد الكواكب وحركاتها

---

(373)محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي،، ط3، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض،1999.، ص.

(374)محمد رشيد الفيل، اثر التجارة والرحلة في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1979، ص9-8.

(375)بدري محمد فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، بغداد، 1988، ص146-145.

وعلاقاتها بالكسوف والخسوف وكذلك بالطالع والمستقبل وبعض الامور الاخرى التي كانت مرتبطة بحياة الفرد وكذلك علاقتها بالحرب والسلم والظواهر الطبيعية وكانوا يسمون هذا الفن (علم التنجيم) ان اول من عني بالتنجيم ايام الدول العباسية هو الخليفة ابو جعفر المنصور ثم الاخرون واصبح له شأن كبير عندهم بالرغم من ان الدين الاسلامي نهى عنه وبين فساد الاعتقاد به، وكان المنجمون جزءاً من موظفي الدولة لهم رواتبهم وارزاقهم وكان الخلفاء يستشيرونهم بكثير من الامور السياسية والادارية ومعالجة المرضى كما صاروا يتخوفون من الكوكب الغربي ذي الذنب (مذنب هالي)[376].

قائمة المصادر

1 – ويليام جيمس ديورَانت,قصة الحضارة,تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر ,ترجمة:الدكتورزكي نجيب محمُود وآخرين,دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس, 1988 م.

2– مصطفي النشار ,مفهوم الدين وتصنيف الاديان بين التحليل النفسي والرؤى الفلسفية,مجلةالعقيد,العدد 15,شهر جمادى الثانية ,2018م ,ص7 طه باقر , مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ط1, دار دجلة, بغداد, 2009

3– طه باقر , مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ط1, دار دجلة, بغداد, 2009

4– الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق,عبد العزيز صالح, مكتبة دار الزمان, ص393–392.

5– محمد أبو المحاسن عصفور ,معالم تاريخ الشرق الأدني القديم, دار النهضة العربية ,بيروت,لبنان

6– أبو الفداء عماد الدين إسماعيل , المختصر في أخبار البشر,ط1,ج1,المطبعة الحسينية المصرية.

7– ويليام جيمس ديورَانت,قصة الحضارة,ج4,تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر ,ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين,دار الجيل، بيروت, لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس, 1988 م

8– س.م.ضياء الدين علوي، الجغرافية العربية في القرنين الثالث والرابع الهجري، تعريب عبدالله يوسف غنيم، د. طه محمد جاد، سلسلة علمية تصدر عن وحدة البحث والترجمة، الجمعية الجغرافية الكويتية، 1980 .

9– عبد الله حميد الحقيل، «اهمية دراسة تراثنا الجغرافي، دراسة ميدانية» مجلة الدارة، العدداﻻول السنة العاشرة، الرياض، 1984.

10– محمد رشيد الفيل، اثر التجارة والرحلة في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب، الجمعيةالجغرافية الكويتية، الكويت، 1979.

11– بدري محمد فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، بغداد، 1988.

12– حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، 1987.

13– محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي،، ط3، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض،1999.

(376) حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، 1987، ص185

2- دور المرأة الريفية في تحقيق الاستدامة البيئية دراسة تطبيقية في ولاية نـهر النيل

بقلم: د.انصاف ابراهيم خليفة محمد والدكتور محمد فتح الله النتيفة، جامعة الخرطوم كلية علوم الجغرافيا والبيئة

khalifainsaf@yahoo.com

Abstract:

This study aims to examine the contribution of rural women to the environmental sustainability of the Nile River State in Sudan and the problems and difficulties facing the role of rural women in environmental sustainability and review the implications of their economic, social and environmental role in the State. Several research approaches have been implied, including historical, descriptive and analytical methods. The study concluded that environmental sustainability can be achieved through harmonized economic and social development. Some crops productions provides jobs for some women, which helps the stability of families and improve their standard of living. The main findings, these are: rural women have a major role in agricultural and pastoral production and food for her family, especially in the difficult economic situations. **Keywords:** Rural Women - Environmental Sustainability - Nile River State - Sudan

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مساهمة المرأة الريفية في الاستدامة البيئية بولاية نهرالنيل في السودان، والمشاكل والصعوبات التي تواجه مساهمتها في استدامة البيئة، وكذلك دراسة أنشطتها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية. استعانت الدراسة بالمنهج التاريخي والمنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وخلصت إلى أن الاستدامة البيئية يمكن تحقيقها من خلال التجانس في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، كما أن عمل المرأة في إنتاج بعض المحاصيل ساعدتها في الاستقرار الأسري، وأدت إلى التحسن في مستوى حياتها. توصلت الدراسة إلى نتائج جوهرية منها: أن للمرأة الريفية بالولاية دورا أساسيا في الإنتاج الزراعي والرعوي مكنتها من الحصول على حاجة أسرتها من الغذاء، خاصةً عند الظروف الاقتصادية الضاغطة.

المقدمة:

ارتبطت المرأة ارتباطا وثيقا علي مر العصور بالبيئة، حيث مجدت المرأة في بعض الثقافات باعتبارها رمزا معنويا من رموز الطبيعة. كما اعطتها البيئة الحيوية الصفات الانثوية كالرعاية والانتاج والحياة. وبالرغم من ذلك نجد انه من النادر ان يتم توثيق مشاركة المرأة في الحفاظ علي البيئة و تعاونها مع الرجل في ادارتها و ذلك على مدار تاريخ العديد من الشعوب (نورة عبود /2017). يتميز الإنسان بمكانة خاصة بين سائر الكائنات، ولأنه كائن متميز تقع على عاتقه مسؤولية كبيرة في حماية الإطار الذي يعيش فيه مع غيره من الكائنات ولا سيما ان البيئة بمختلف انظمتها الطبيعية والبيولوجية

تحيط بالمجتمع والانسان الذي تشكل المرأة نصفه ولأنها شريك في الحياة البشرية فهي ايضا شريكة بواجبات هذه الحياة مثل الرجل. يعتبر الاعتراف بحق المرأة في حماية الطبيعة من الظواهر الاكثر اهمية في الآونة الاخيرة والتي انعكست في العديد من الاتفاقيات الدولية بما في ذلك قمة ريو للبيئة و التنمية عام 1992 والتي تؤكد بدورها علي مركزية مشاركة المرأة الكاملة لتحقيق الاستدامة. كما تم الاعتراف بأهمية المساواة و تمكين المرأة في مؤتمر الامم المتحدة للتنمية المستدامة عام 2012 كما اعتبرت مشاركة المرأة امرا مهما لتحسين فعالية استخدام الموارد و ادارة البرامج البيئية. المصدر:

(WWW.AMANJORDAN.ORG/ANEWS/WMVIEW.PHP/ARTLD:)

تحاول الدراسة أن تطرح دور المرأة باعتبارها ربة منزل و مديرة لشؤون الاسرة و تربية الاطفال فضلا عن ادوارها العامة الاخرى، حيث أن المرأة الريفية في اغلب الاحيان هي التي تدير الشئون الاقتصادية المنزلية مثل جلب الماء وإعداد الطعام، ومتى ما وعت المرأة اهمية و محدودية الموارد سيكون ذلك مهما في الحد من الاسراف و كل ما من شأنه ان يؤدي إلى مخلفات في البيئة، و لذلك يمكن اعتبار المرأة ربة البيت مسؤولة عن الحد من استنزاف الموارد مثل الطاقة والمياه، و تقوم بدور تربوي بيئي اكثر اهمية ألا وهو تنشئة الأبناء على الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية مثل توصية الاطفال لاتباع الاسلوب السليم للاستفادة من المياه و عدم اهدارها و ترشيدها. والمرأة مسؤولة اولا عن صحة الاجيال من بداية نشأتهم ومرورا بالمراحل العمرية المختلفة فهي تقوم بدورها في رفع المستوي الصحي للابناء علي النحو السليم الذي يحميهم من الامراض و يجعلهم يتمتعون بصحة جيدة في حياتهم. فإن الابناء يكتسبون وعيا بأساليب الصحة و التغذية مما يؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في تفاعلهم مع البيئة. كما ان المرأة تملك حدسا يجعلها الاقدر على تحسس الاخطار البيئية المحيطة منحتها اياها الطبيعة من اجل الدفاع عن اطفالها لضمان بيئة سليمة و نظيفة يعيش فيها ابناؤها خالين من المرض و مؤمن عليهم ضد عوز الفاقة.

(http://www.amanjordan.news/wmivew.php?artid:160

الإطار المفاهيمي:

يقصد بالاستدامة البيئية بقاء النظم الحيوية وتنوعها غبر الأزمان. هذا المفهوم اتخذ نطاقا واسعا حيث أنه يتعلق بكل وجوه الحياة على سطح الأرض، بدايةً بالمستويات المحلية، وانتهاءً بالمستويات الدولية والعالمية (برنامج الأمم المتحدة للبيئة والتنمية:1987).

مشكلة الدراسة:

تطرح الدراسة السؤال المحوري: **ما هو دور المرأة الريفية في الاستدامة البيئية بالسودان؟** كمشكلة تحاول الإجابة عنها، وتتفرع منه أسئلة ثانوية مثل: الى اي مدي يمكن ان تساهم المرأة الريفية في الاستدامة البيئية بولاية نهر النيل؟. ما هي المشكلات و الصعوبات التي تواجه دور المرأة الريفية في الاستدامة البيئة في الولاية؟. ما هي الاجراءات و الاستراتيجيات المطلوب اتخاذها لتعزيز دور المرأة الريفية في الاستدامة البيئية في السودان؟

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من أنها تناقش موضوعاً حيوياً يتعلق بدور إحدى أهم الشرائح الاجتماعية بالريف وهي المرأة الريفية خاصةً في ولاية نهر النيل التي تشكل المرأة فيها أغلبية سكانية واضحة. والدراسة بهذا العنوان تعتبر من الدراسات القليلة التي تحاول أن تسلط الضوء على تمكين المرأة الريفية وتعزيز

دورها وإبراز جهدها المُقدر في استدامة البيئة والدعم الأسري نحو الاستقرار الاجتماعي.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1- التعرف على دور المرأة الريفية في تحقيق الاستدامة البيئية في السودان.

2- معرفة المشكلات والصعوبات التي تواجه دور المرأة الريفية في تحقيق الاستدامة البيئية في ولاية نهرالنيل.

3- التعرف على الاثار الناجمة عن الادوار التي تقوم بها المرأة الريفية في تحقيق الاستدامة البيئية بالولاية.

4- توعية نساء ريف الولاية بمعرفة دورهن وأهمية مشاركتهن في مختلف الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية و البيئية والتعليمية.

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة الفرضيات الآتية:

1- للمرأة الريفية اثر واضح في تحقيق الاستدامة البيئية في السودان.

2- حققت المرأة الريفية في ولاية نهرالنيل نجاحاً كبيراً في التنمية الزراعية بمفهومها الواسع و بالتالي في الاستدامة البيئية

منهجية الدراسة:

لتحقيق أهدافها وسبر غور مشكلتها استعانت الدراسة بالمنهج الوصفي، وهو منهج لا غنى لجغرافي عنه في وصف وتسجيل الوقائع، والمنهج التأريخي لرصد الأحداث السابقة ورسم صورة للمستقبل من خلال التعرف على دور المرأة الريفية بالولاية في الاستدامة البيئية ماضياً وحاضراً، ثم المنهج التحليلي لتحليل بيانات الدراسة واستخلاص النتائج والتوصيات.

مصادر معلومات الدراسة:

تم جمع معلومات الدراسة من مصادر أولية وثانوية. الأولية شملت الملاحظة والمشاهدة والمقابلات الشخصية مع المسؤولين والمختصين والمستهدفين والمعنيين بالأمر. أما الثانوية فشملت الكتب والتقارير الرسمية ذات الصلة.

حدود منطقة الدراسة:

تقع ولاية نهر النيل بين دائرتي عرض 16 و 22 درجة شمالا و خطي طول 30 و 32 درجة شرق، و بذلك تكون واقعة في المنطقة المدارية الجافة. و لهذا الموقع تأثيرات كبيرة على دور المرأة الريفية في تحقيق الاستدامة البيئية لما لها من نمط حياة وأنشطة اقتصادية محدودة، عاصمتها مدينة الدامر، وتحد عددا من الولايات السودانية، ومن الشمال جمهورية مصرالعربية، خريطة رقم(1). تتشكل إدارياً من سبع محليات، جدول رقم(1).

جدول (1) يوضح مساحات محليات ولاية نهر النيل بالكيلومتر المربع :

محلية عطبرة	38
محلية الدامر	32
محلية شندي	14.596
محلية بربر	14.7
محلية المتمة	12
محلية ابو حمد	38
محلية البحيرة	47
المجموع	161.396

المصدر مساحة ولاية نهر النيل 2017

ولموقع الولاية الجغرافي أبعاد اقتصادية مهمة، فهي تمثل حلقة وصل بين ميناء السودان الرئيس « ميناء بورتسودان»، والولايات الأخرى عبر الطريق البري الخرطوم، عطبرة، حلفا، بورتسودان.



خريطة رقم (1) حدود منطقة الدراسة

المصدر: https://www.alnilin.com/12713294.htm

الحدود الزمانية

البيانات والمعلومات التي تشتمل عليها الورقة تمتد من 2015 – 2018 .

المساحة:

تبلغ مساحة الولاية 124000 كلم^2 تقريباً، وتعادل مساحتها حوالى 16,6% من المساحة الكلية للسودان « 1,882,000 كلم^2 » وهي السادسة من حيث المساحة بعد: الولاية الشمالية، شمال دارفور، البحر الأحمر، شمال كردفان وجنوب دارفور (هيئة المساحة بولاية نهرالنيل: 2017). تتميز ولاية

نهر النيل بامتداد طولي، خريطة رقم(1)، يمتد نحو الجنوب إلى ولاية الخرطوم. لهذا الامتداد أبعاد اقتصادية انعكست إيجاباً على الولاية حيث يتماشى مع امتداد نهر النيل الذي يعتمد عليه الولاية اقتصادياً، خاصةً الأنشطة الزراعية التي تعلب فيه المرأة الريفية دوراً مهماً.

الخصائص الطبيعية لمنطقة الدراسة:

تعتبر دراسة الخصائص الطبيعية ركيزة اساسية تعرف من خلالها امكانيات ومقومات المنطقة. و تأتي أهمية المقومات الطبيعية في أن الإنسان يستخدمها لاشباع حاجاته (طه: 1993)

التركيب الجيولوجي:

من اهم الملامح الجيولوجية الاقتصادية في ولاية نهر النيل صحراء بيوضة المصدر الاساسي لخام الاسمنت، وهي من اهم المستودعات المعدنية بالسودان حيث يوجد بها الذهب والحديد والرخام .

مظاهر السطح:

تنحدر الولاية باتجاه عام من الجنوب للشمال، و يمكن ان تقسم تضاريسيا إلى:

حوض نهر النيل: يعد نهر النيل اهم ظاهرة جيومورفولوجية بل الظاهرة الاكثر بروزا حيث يشق طريقه عبر البيئة الصحراوية مستفيدا من انحدار عام جنوبي شمالي ومن العوامل التي شكلت المجرى الرئيسي :

1- الحركات الباطنية : خاصة منطقة الاخدود الافريقي العظيم.

2- الحركات الرأسية : حيث تبعه طغيان و انحدار للمياه.

3- التغيرات المناخية : و يتبع ذلك تغيرات في عناصر المناخ خاصة الامطار.

4- التغيرات الهيدوجغرافية : وهي دخول نظم صرف جديدة او انفصال نظم صرف اخرى (سعيد :2001 ص 65).

الامطار:

مناخ الولاية صحراوي و شبه صحراوي و تتراوح الامطار من (150) ملم جنوبا الي (25) ملم شمالا، و يبلغ متوسط المطر السنوي (113-5) ملم حيث تزداد معدلات الامطار في جنوب الولاية و تتناقص شمالا و تكاد تنعدم في أقصى الأجزاء الشمالية (محطة ارصاد ابو حمد)

الموارد المائية:

تشمل المياه السطحية والجوفية و يمثلها نهر النيل و نهر عطبرة، بالاضافة الي الاودية و المياه الجوفية حيث يبلغ مخزون الحوض الجوفي النوبي (300) مليار متر مكعب، تستهلك منها سنوياً (80) مليون متر مكعب من مياه الامطار و فيضانات نهري النيل و عطبرة (مدير ادارة الموارد. ولاية نهر النيل –مقابلة شخصية).

المحاصيل الزراعية في ولاية نهرالنيل:

يكتسب الاستثمار الزراعي في الولاية اهمية نابعة من خصوصية القطاع نفسه اذ يحتل هذا القطاع موقع الصدارة في الاقتصاد الولائي بين القطاعات المختلفة. يوفر القطاع الزراعي سبل العيش ل70 % من السكان في السودان، و تحظى البلاد بمساحات شاسعة تقدر بحوالي 200 مليون فدان يقدر المستغل منها

بحوالي 20% فقط معظمها في القطاع المطري(36مليون فدان) والمتبقي (4 ملايين فدان) بأنظمة الري كما يتمتع السودان بمساحات شاسعة من الغابات تقدر بحوالي 12 مليون فدان و له نصيب من مياه النيل حددته اتفاقية مياه النيل لسنه 1959م بنحو 20.5 مليار متر مكعب. بجانب كميات مقدرة من مياه الامطار و الانهار الموسمية و الوديان والمياه الجوفية، و يمتلك السودان (132) رأسا من الماشية تعتمد اساساً على المراعي الطبيعية، كما تعتبر مستودعاً مهما للحياة البرية متنوعة الاجناس و الانواع – يضاف الى هذه المميزات موقع السودان الجغرافي وقربه من الاسواق العربية والاوروبية والافريقية.

هذه الموراد الطبيعية اذا حسن استخدامها لن تلبي حاجات السودان كلها فحسب بل سوف تسهم في تلبية حاجات جيرانه في العالمين الغربي و الافريقي كما سوف تسهم في التجارة العالمية (ابو صلاح 2004)

جدول (2) يوضح ترتيب السودان في خريطة الانتاج العالمي و المنتجات الزراعية :

المحصول	الانتاج بالطن المتري	الترتيب العالمي
البامية	256.000	الأول
فواكه طازجة مختلفة	480.00	الثاني
سمسم	248.00	الثالث
الذرة البيضاء	2.610.000	الرابع
فول سوداني	762.000	الخامس
تمر	431.000	السادس
حبوب زيتية	60.000	السابع
جوز	20.000	الثامن
جريب فروت	183.000	التاسع
الدخن	471.000	العاشر
بازلاء جافة	34.000	الحادي عشر
الليمون	228.000	الثاني عشر
البصل الجاف	11.160.000	الثالث عشر
البطيخ	525.000	الرابع عشر
حمص	131.400	الخامس عشر
بذور زيت خروع	1000	السادس عشر

بذورة زهرة الشمس	247.000	السابع عشر
باذنجان	76.000	الثامن عشر
مانجو و جوافة	185.963	التاسع عشر

المصدر :المجلس القومي للتخطيط الاستراتيجي خطة الاستراتيجية القومية ربع القرنية 2007- 2013

جدول رقم (3) الانتاج و مساهمة القطاع الزراعي في الناتج المحلي :

السنة	نسبة المساهمة
1999	9.8
2000	4.4
2001	3.1
2002	5.1
2003	5.2
2004	4.4
2005	2.1
2006	1.8
2007	0.8
2008	0.0
2009	0.8
2010	0.2
2011	1.5

المصدر : بنك السودان المركزي 2018

من الجدول يتضح ان هنالك تباينا في مساهمة القطاع الزراعي في الناتج المحلي حيث بلغت اعلي نسبة 9.8 في العام 1999. بينما في 2008 لم يساهم القطاع الزراعي في الناتج المحلي القومي في السودان نسبة لقلة هطول الامطار في العام 2008. تزخر ولاية نهر النيل بإنتاج وفير يكفي الاستهلاك المحلي وحاجة السوق من الخضر والفاكهة والبامية وقريب فروت والليمون والبصل والبطيخ والمانجو والجوافة، وبذلك فهي تشارك ولايات السودان الأخرى بالمساهمة في الناتج المحلي.

دور المرأة الريفية في الانشطة الاقتصادية و تحقيق الاستدامة البيئية في الولاية:

أهم نشاط اقتصادي للمرأة الريفية بالولاية هو الزراعة. ومن مميزات القطاع الزراعي خصوبة التربة،

ووفرة الاراضي الزراعية ومياه الري، و نجد ان تنوع المناخ ادى الى تنوع المواسم الزراعية وخلو المنطقة من امراض الحيوان، و استقرار السكان و ملايين الماشية و خبرة مزارع الولاية ووجود مُقدر لمحاصيل الصادر خاصة البستانية و صلاحية النيل لقيام تربية و مصائد للاسماك النيلية. تتوافق مناطق التركز الزراعي مع مناطق تركز السكان حول نهر النيل. تمثل الزراعة (نباتي +حيواني) النشاط الاقتصادي الرئيسي، و يعتمد عليها 80% من سكان الولاية، وهي المحرك الاول للانشطة الاقتصادية و الخدمية الاخرى في الولاية، و تركز ولاية نهر النيل على البستنة الزراعية و تلعب المرأة الريفية في المنطقة دورا كبيرا خاصة في زراعة المانجو و الموالح و النخيل، كما و تزرع مساحات متعددة من المحاصيل الشتوية كالقمح والفول المصري والبقوليات. لقد تم التركيز اخيرا و التوسيع في زراعة الاعلاف للصادر كزراعة البرسيم. و قد قامت نماذج متطورة في مجال الاستثمار الزراعي بالولاية خاصة الاستثمار العربي و من اهم المشاريع الاستثمارية الحديثة :

الشركة العربية لانتاج و تسويق الاعلاف:

تتبع للشركة العربية لانتاج المحاصيل و هو مشروع زراعي بمحلية عطبرة بمساحة (20.000) فدان برأس مال (5.000.000) دولار امريكي. يقع المشروع شرق مدينة عطبرة ويوفر الامن الغذائي و يعمل في مجال زراعة الاعلاف باستخدام تكنولوجيا الري المحوري لإنتاج مكعبات العلف لاغراض الصادر.

شركة (اكيشيا الزراعية):

تم انشاؤها عام (1993) تهتم بزراعة اشجار النخيل و الليمون بمزارع شركة اكيشيا و تملكه الشركة الماليزية الافريقية تبلغ المساحة (1500) فدان و قد تمت زراعة (1025) فدان من المشروع بالنخيل بمساحة (750) فدان لعدد (43.314) نخلة تم استجلابها من العراق، ويستخدم المشروع وسائل الزراعة العضوية حيث قام بجلب عدد (54000) متر مكعب من المخلفات الحيوانية تم تحويلها لسماد عضوي و استخدامها بارض المشروع، يقوم المشروع بادوار اجتماعية خيرية في عدة مجالات منها حفر الابار الجوفية للمياه، تنفيذ شبكات لمياه الشرب و دعم المستشفيات .

مشروع شركة تالا الزراعية (2003):

و هو استثمار سعودي زراعي بمحلية شندي في مساحة (299.391) فدان، ويرأس مال يقدر ب (7.5) مليون دولار امريكي.

مشروع الراجحي الزراعي (الكفاءة):

يقع هذا المشروع في ولاية نهر النيل، مدينة بمنطقة القرواب شرق محلية بربر، والتي تقع شمال مدينة عطبرة بحوالي (37) كيلومترا على الطريق الرئيسي الرابط بين مدينتي عطبرة و ابوحمد، و تأسس المشروع في عام (2006) بحفر الترع و محطة النيل و المواسير و انتهي العمل به في نوفمبر (2009) بزراعة القمح و تقدر المساحة الكلية للمشروع (100.000) فدان مقسمة على مرحلتين (50.000) فدان لكل مرحلة. صاحب المشروع هو سليمان عبدالعزيز الراجحي منطقة القصيم بالسعودية حائز على جائزة فيصل العالمية عام (2012) و تدار بطريقة التكامل البيئي بحيث يتم الاستفادة من كل المخرجات و اعادة استخدامها في ادارة العمل بشكل يخدم البيئة و يزيد من جودة الانتاج .

تشارك المرأة الريفية في منطقة الدراسة زوجها المزارع بالعمل معه كتفاً بكتف، حيث تزرع و تحرث

و **تحصد، وتساعد بصورة** كبيرة في نظم الري السائد والتي تتمثل في:

الري بالآلات الرافعة:

تستغل مياه نهري النيل و عطبرة عن طريق استخدام الآلات الرافعة المختلفة الاحجام في ري المساحات التي تزرع سنويا بالمحاصيل المختلفة و يعد هذا النوع من الري الافضل و المستمر طوال العام .

الري الفيضي:

يشمل ري الجزر و الاراضي المنخفضة حول نهر النيل الحياض وهي تشمل احواض ود حامد وغيرها. وتختلف المساحات التي تروي بالري الفيضي من عام إلى آخر حسب مناسيب الفيضانات.

الري المطري:

هنالك بعض المناطق في جنوب و شرق الولاية تتمتع بمعدلات امطار اكثر نسبيا حيث تزرع الاودية في موسم الخريف. وقد تم حفر بعض الحفائر بهذة المناطق كمورد للمياه لقطاعات واسعة من الرحل و حيواناتهم و المزراعين المرتبطين بالاودية وهي في مجملها حفائر اهلية قديمة و يوجد بالولاية حوالي (321) حفير باحجام مختلفة للمياه. يرتبط التصريف المائي بمظاهر السطح فالانحدار هو الذي يتحكم في الجريان المائي.

الري السطحي:

تتمثل المياه السطحية في منطقة الدراسة في نهر النيل و نهر عطبرة بالاضافة الي بعض الاودية و الخيران الموسمية التي تمثل مناطق تجمع السكان، حيث تستفيد المرأة الريفية منها في الزراعة. و تكمن اهمية مياه النيل في المنطقة لوقوعها في الاقليم الصحراوي و شبه الصحراوي، و يعني ذلك ان صورة الجريان النيلي تكون علي جانب كبير من الاهمية لانه يكاد يكون وحده الذي يعول الحياة علي جوانبه و سهوله الفيضية (الشامي 1997 ص 197). كذلك من مصادر المياه السطحية الاودية و الخيران الموسمية و معظم مصادر الاودية الكبري خارج الولاية حيث معدل الامطار اكبر .و تعتبر هذة الاودية ذات اهمية قصوي للسكان وتحديداً المرأة الريفية التي تزرع البرسيم و الخضروات اضافة، الي مساعدة زوجها في الحرث لان زراعة بعض المحاصيل مثل البقوليات و التمر تعتبر من الزراعات الموسمية التي لها فترة معينة خلال اشهر السنة. يعتمد سكان المناطق النائية على الأودية كمصادر دائمة للمياه و خاصةً الرحل اذ انها تمثل مركز لتجمعاتهم و يعتمدون عليها في الزراعة و رعي وسقاية حيواناتهم.

الية النهوض بالمرأة في ولاية نهر النيل:

ينطبق محاولات النهوض بالمرأة في ولاية نهرالنيل ما ينطبق على مثيلاتها في ولايات السودان الأخرى. بدأ ظهور المناداة بتنمية المرأة في السودان و الرقي بها منذ اربعينيات القرن الماضي، حيث بدأ الشيخ بابكر بدري بنداء التعليم الذي انطلق من رفاعة علي المستوي المحلي. بدأت البرامج بالتثقيف الصحي، برامج تغذية النساء المرضعات و الحوامل، محو الامية و اخيرا تنمية المهارات اليدوية حسب الخلفيات لديهن، تم توفير المواد الخام اللازمة لهن كمراكز الخياطة اليدوية و تدريب النساء علي مناشط وبرامج جديدة يمكن ان تزيد من دخلهن و تشمل البرامج : تطوير المرأة و جعلها عنصرا فعالا في زيادة دخل الاسرة، وتدريبها علي ادارة المشروعات الصغيرة و تمويلها. لقد بدأت إدخال فكرة تنمية المرأة بمؤتمر نيروبي عام 1991 الذي اوحي بتكوين مكاتب للمرأة في كل من

السودان و اثيوبيا و الصومال لمحاربة الجهل و سوء التغذية. كما ركزت استراتيجية نيروبي في الفقرة 55 و الفقرة 57 علي ضرورة اقامة و تعزيز مؤسسات و وضع اجراءات فعالة لرصد حالة المرأة و تحديد العقبات المتصلة بالتميز و رسم سياسة جديدة و انشاء جهاز حكومي مناسب لرصد حالة المرأة و تحسينها .

المرأة والتنمية في السودان:

يقع السودان في مؤخرة الدول العربية في مجال أمية النساء اذ تزيد نسبة الامية في الريف عن 85% بينما تبلغ هذة النسبة 55% للرجال. و تبلغ هذة النسبة في المدن 35% للرجال و 60% للنساء مما يعني بأن هذة النسبة عالية حتي في المدن، الامر الذي سيؤثر علي دور النساء في المجتمع كما يؤثر علي مستقبل الاجيال القادمة. تشكل البنات نسبة 30% من مجموع الدارسين في التعليم الاساسي و الثانوي بينما تبلغ هذة النسبة حوالي 90% في كل من البحرين و قطر و الاردن، فيما يختص بنسبة التعليم الابتدائي و البنات في السودان كانت في العام 1975، 61 بنت من كل 100 ولد، في الاعوام 1987-1985، 68 بنت لكل 100 ولد. اما التعليم الثانوي فقد كانت النسبة فيه مهولة وفي عام 1975 39 بنت من كل 100 ولد. اما التعليم الجامعي كانت نسبة البنات عام 1980 :27% وفي العام 1990 41% اما في مجال دراسة الطب كانت نسبة البنات 43%. وفي العام -1992 1993 قامت وزارة التربية السودانية بالتعاون مع اليونيسيف بعملية مسح لتعليم النساء فوجد نسبة الدوام الدراسي منخفضة وسط الصغار ولا زالت نسبة الامية مرتفعة (حسن عبدالعاطي و اخرون :2003).

اهداف برامج تنمية المرأة في الريف السوداني تجربة الهلال الاحمر السوداني:

تهدف البرامج الي تطوير قدرات المرأة اداريا : في ادارة المشروعات الصغيرة واكاديميا : كعمل فصول تعليم محو الامية و الارشاد و التثقيف الصحي، وتحسين الاوضاع الصحية للاسر : باقامة برامج التحصين والارشاد الصحي، تدريب الكوادر : بادخالهم في الاسعافات الاولية و التطوع، برامج زيادة الدخل و التدريب علي الاعمال اليدوية من خياطة – تطريز – صناعات صغيرة، المساهمة في تحسين الوضع الاقتصادي و الاجتماعي و يعمل البرنامج علي تحقيق اهدافه من خلال، والتدريب عن طريق ورش العمل و السمنارات لمنسقي و رؤساء اللجان الفرعية و المتطوعات ببرنامج تنمية المرأة، و الدورات التدريبية و هي عبارة عن كورسات اكاديمية خاصة بالمتطوعات ويقوم بالاشراف عليها مشرفات مركز تنمية المرأة، و اعداد محاضرات و اوراق عمل التي تعني بتنمية المرأة مع كثير من الجهات التي تختص بنفس المجال، والاسهام في المجال الصحي بانشاء مكتبل لتدريب الكوادر الصحية (قابلات-زائرات صحيات) للمتطوعات اللاتي يعملن لنشر الوعي للفئات المستهدفة. وتعتمد مشروعات زيادة الدخل علي الخبرة الفنية البسيطة باقامة ورش عمل للمستفيدات و تزويدهن بالمواد الضرورية الي جانب انشاء مراكز تسويق و معارض المنتجات .(جمعية الهلال الاحمر السوداني). لقد استفادت المرأة الريفية بولاية نهر النيل كغيرها في ولايات السودان الأخرى من هذه البرامج.

اتفاقية التمييز ضد المرأة:

في ديسيمبر 1979م اتخذت اهم اتفاقية وهي اتفاقية القضاء علي جميع اشكال التمييز ضد المرأه و تدعو الاتفاقية الى كفالة الحقوق المتساوية للمرأه بصرف النظر عن حالتها الزوجية في جميع المناشط الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية و المدنية، و تم التوقيع على هذه الاتفاقية و القضاء على التمييز ضد المرأه في مارس 1980م و وافقت عليها 20 دولة دون التقييد باحكام و قد اتفقت هذه الدول على أن مصطلح التمييز ضد المرأة يعني: اي تفرقة او استعباد او تقييد يتم علي اساس الجنس و يكون من اثاره و اغراضه النيل من الاعتراف بالمرأة وألا تستجيب الدول الاعضاء لجميع انواع التمييز ضد المرأة، وان تعمل علي تطوير المرأة و تقدمها في جميع الميادين السياسية-الاجتماعية-الاقتصادية، وان تتخذ تدابير خاصة للمساواة الفعلية بين الرجل و المرأة. التزمت الدول الموقعة علي

الاتفاقية علي تحقيق ما يلي : ة لسلوك الرجل و المرأة يهدف للقضاء علي التحيزات و العادات و الاعراف وكل الممارسات الدونية .التفهم السليم للامومة بوصفها وظيفة اجتماعية والاعتراف بمسئولية المرأة و الرجل (مسئولية مشتركة) في تنشئة الاطفال. مكافحة اشكال الاتجار بالمرأة و الاستغلال السيئ للمرأة (المصدر اتفاقية التمييز ضد المرأة مارس 1980).

إتفقت هذه الدول على مشاركة المرأة في الحياة السياسية : التصويت في الانتخابات و الاستفتاء، والمشاركة في الوظائف الحكومية العامة، والمشاركة في جميع المنظمات و الجمعيات غير الحكومية، ومشاركة المرأة مع الرجل في فرص التمثيل في العمل الحكومي و اعمال المنظمات الدولية، و ان تمنح المرأة في الحصول علي الجنسية بصورة متساوية مع الرجل في الاحتفاظ بجنسيتها او تغييرها بحيث اذ تزوجت بأجنبي ان لا يترتب عليها تغيير جنسيتها تلقائيا حسب جنسية زوجها، وان يكون لها حقاً مساويا للرجل فيما يتعلق بجنسية اطفالها، وان تتمكن من الحصول علي التعليم والدرجات العلمية بما في ذلك الالتحاق بالمدارس و التعليم التقني. وتشجيعها على التعليم المشترك وعدم التخلي عن المدرسة قبل الاوان لاتاحة فرص لبرامج التعليم المتواصل (تعليم الكبار و محو الامية الوظيفية). والحق في المساواة في الاجر و الضمان الاجتماعي .(المصدر تقرير التنمية البشرية 2000)

ولضمان حق المرأة تتخذ الدول التدابير المناسبة التالية :حماية المرأة اثناء فترة الحمل ضد الاعمال التي تؤذيها صحيا .الرعاية و الصحة عن طريق توفير التغذية الكافية اثناء الحمل و الرضاعة .حل مشكلة المرأة الاقتصادية، و لا سيما في المناطق الريفية التي تتطلب عمل المرأة في قطاعات الاقتصاد وذلك للاستفادة من مميزات الضمان الاجتماعي و المشاركة في مشروعات التوطين الريفي و التمتع بظروف معينة ملائمة ولا سيما فيما يتعلق بالاسكان والصحة و خدمات الكهرباء-الماء-النقل-الاتصالات.

حق المرأة في الزواج و يتضمن :حرية اختيار الزوج حيث يتم زواجها برضائها الكامل .التمتع بحقوقها كاملة اثناء الزواج و عند الطلاق .مسؤوليتها كوالدة في الامور التي تتعلق بالاطفال و مصلحتهم .كفالة حرية المرأة في تحديد عدد الاطفال و طول الفترة بين كل طفل و اخر .الحرية في ملكية و حيازة الممتلكات و التصرف بها .ضمان ضبط تعدد الزوجات بحيث لا تضار المرأة من ذلك و ان يكون تسجيل الزواج في سجل رسمي امرا الزامي (تقرير التنمية الانسانية العربية 2004).

في السابق كانت المرأة السودانية وخصوصاً الريفية تعاني عدم الإيفاء بحقوقها، ومازال نساء الريف في شتى أنحاء البلاد وخاصة في مناطق الحروب والنزاعات يتعرضن لانتهاكات جسيمة، وبما أن ولاية نهر النيل ليست بينها، فإن المرأة الريفية فيها تتمتع بحقوق أفضل من غيرها.

العنف ضد المرأة:

يعتبر العنف ضد المرأة مشكلة عالمية تعاني منها كل المجتمعات وتتخذ اشكالا مختلفة باختلاف درجة التطور الاقتصادي و الاجتماعي. ازداد الاهتمام بهذة المشكلة منذ الثمانينات عالميا. وفي عام 1993م اعتمدت الجمعية العامة للامم المتحدة اعلان القضاء على العنف ضد المرأة. يمارس العنف ضد المرأة من قبل الزوج او الاب ويتخذ اشكالا مختلفة مثل:العنف اللفظي بالشتم والاهانة .العنف الجسدي بالضرب والجرح .العنف بتقييد حرية المرأة في الحركة خارج المنزل .الاكراه على الزواج و خاصة من المسنين و الزواج المبكر .العنف الاجتماعي : المطاردة و المقابلة التي يمكن ان تتعرض لها النساء في الشارع و التحرش الجنسي بالمرأة العاملة والتخويف في مكان العمل .

1. العنف في اطار الدول نتيجة الحروب و تداعياتها و الامتلاك حيث تتعرض لذلك اللاجئات و المهاجرات و النازحات و الاسيرات و السجينات و المعتقلات (E.ESCWA.SD 1996).

ولاية نهرالنيل ليست استثناءً، إذ تتعرض المرأة الريفية فيها لأنواع مختلفة من العنف، ولكنها أقل حدةً من تلك التي توجد بمناطق الحروب والصراعات والنزاعات والكوارث الطبيعية المختلفة.

النتائـج:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:على ضوء الفرضيات، تأكد ان للمرأة الريفية أثرا في تحقيق الاستدامة البيئية في ولاية نهر النيل. فقد دورها في تحقيق التنمية الزراعية و زيادة الانتاج الزراعي بصورة مستمرة و متتالية .ساعدت المرأة الريفية في الولاية في تحقيق الاستدامة البيئية من خلال دعمها المستمر ومشاركتها في الأنشطة والبرامج التي تستهدف تحقيق التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و الزراعية. فمن الناحية الاقتصادية زرعت وحصدت المنتجات الزراعية من قمح و ذرة شامية و بعض البقوليات، و الاشجار المثمرة الزراعية، بالاضافة الى المساهمة في زراعة وإنتاج و تصدير منتج البرسيم الذى يجلب عملة صعبة للدولة. اما من الناحية الاجتماعية فقد ساعدت في زراعتها لبعض المحاصيل على توفير فرص عمل لبعض النساء مما ساعد على الاستقرار المادي بالولاية و تحسين مستوى المعيشة.

3- حققت المرأة الريفية بالولاية نجاحاً كبيراً في التنمية الزراعية، و ذلك لأن ولاية نهر النيل تمتلك اراضي خصبة تقدر بأكثر من 47,000 كلم^2 و مياها جارية و متوفرة ومواعين تخزين في شكل حفائر وسدودا مما مكن المرأة الريفية من النهوض بالولاية قدر استطاعتها.

التوصيات:

المرأه في الولاية لها دورها الكبير في الانتاج الزراعي و الرعوي و توفير الغذاء لاسرتها خاصة بعد تفاقم الوضع الاقتصادي لتوالي الكوارث الطبيعية و غير الطبيعة(كالحرب) مما زاد العبء الملقى على عاتق المرأه الريفية خاصة في المناطق الزراعية، ولتعزيز دور المرأة الريفية بولاية نهرالنيل نحو تحقيق استدامة بيئية توصي الدراسة بالاتي :تمكين المرأه الريفية لسد الفجوة بين الرجال والنساء في الريف و الحضر بالاستفادة من الارشاد الزراعي و الحيواني وتمييزها في الحصول على القروض الصغيرة للتمويل الاصغر.رفع الوعي الصحي و البيئي و الثقافة الغذائية و التعليمي للمساهمة في خفض معدلات التسييب من التعليم خاصة بين الاناث في الريف.تعزيز الاليات المؤسسية و منظمات المجتمع المدني بالتنسيق مع كافة القطاعات لتنمية المرأة الريفية و تمكينها اقتصاديا و اجتماعياً و محاربة الفقر، ودعمها مادياً ومعنوياً.إنشاء مراكز بحثية و تدريبية متخصصة للمرأه الريفية لتدريبها وتأهيلها في مجالات الحياكة و الرسم و الفنون و الاعمال اليدوية و غيرها.ادراج المفاهيم و التقنيات الحديثة التي تستهدف تمكين المرأة الريفية ضمن مناهج كليات العلوم الانسانية و التربية بمراحل التعليم المختلفة.تنشيط و تبادل الخبرات بين النساء الريفيات عن طريق عقد الندوات و اللقاءات الدورية. تطبيق السبل الكفيلة و التقانات المناسبة لتدريب المرأه الريفية في كيفية المحافظة على البيئة، وسن القوانين و اللوائح نحو بيئة مستدامة لضمان حياة نقية غير ملوثة.

الخاتمة:

تناولت الدراسة دور المرأة الريفية في الاستدامة البيئية. إنها دراسة تطبيقية على ولاية نهر النيل وفق منهج اساسه التتبع والملاحظة كأقرب منهج لمعايشة و الوصف الدقيق من خلال المقابلات الشخصية. واحتوت الدراسة على المقدمة التي تناولت مشكلة البحث و الاهداف و الأهمية و الفرضيات. وشرحت دور المرأة الريفية في الأنشطة الاقتصادية المهمة بمنطقة الدراسة، واستعرضت علاقة المرأة الريفية بولاية نهرالنيل بالاستدامة البيئية. وتوصلت إلى أنها جزء أصيل من الاستدامة من خلال دورها الجوهري في البرامج المختلفة لحماية البيئة وتعزيز مفهوم الاستدامة. والدراسة وبهذا العنوان هي محاولة لتحليل واقع المرأة الريفية بولاية نهرالنيل وتمكينها وتعزيز دورها لتحقيق ودعم مفهوم الاستدامة البيئة للمحافظة على فعالية وكفاءة النظم الحيوية، وهي خطوة نعتقد أنها على الطريق الصحيح، وهي بداية ونأمل أن يُكمل آخرون المشوار.

مصادر و المراجع:

1. عبدالحميد بلة النور (2005) الجغرافيا الزراعية جامعة السودان المفتوحة، برنامج التربية الخرطوم.
2. علي علي البنا، الجغرافيا التطبيقية، دار النشر 2005
3. عيسي محمد عبداللطيف، المنظور البيئي للتنمية في السودان الخرطوم 1993
4. محمد سيد غلاب، محمد صبحي عبدالكريم، السكان ديموغرافيا و جغرافيا، طح،مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1967
5. محمد السيد غلاب، بشري الجوهري، الجغرافيا التاريخية 1975
6. محمد قبلي عبدالرازق، السودان سلة غذاء العالم العربي دمشق سوريا 2006
7. محمد محمود ابراهيم الديب، الجغرافيا الاقتصادية .مكتبة الاكاديمية .الطبعة الاولي 2002
8. المجلس القومي للسكان .السودان .الخرطوم 2016
9. المجلس القومي للسكان .السودان.الخرطوم 2017
10- المجلس الاعلي للبيئة و الموارد الطبيعية .السودان.الخرطوم 2015
11- المجلس الاعلي للبيئة و الموارد الطبيعية .السودان.الخرطوم 2018
12 - وزارة الضمان و التنمية الاجتماعية .الادارة العامة للمرأة .المشروع القومي لتنمية المرأة الريفية 2018
13 - المرأة و البيئة في المنطقة العربية .الكاتبة نورة عبود 2017
14 - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
15 - مجلة العلم والمجتمع، البحث العلمي و الاهداف الاجتماعية. العدد السابع و الثلاثون 1980 سلسلة مطبوعات اليونسكو
16 - د.بشري حامد .رئيس المجلس الاعلي للبيئة 2017
17 - حاج عطوة تاج السر. ولاية نهر النيل صحيفة الرأي العام 2018
18 - - undeputy secretary-generals call to action 2013 sanitation c1ef/une sco (bio-sphere).fao (national forest programme facility)ifad.(brasil) unesco www.un.org/millennium goals median @un.org
19 - التقريرالسنوي للاعلام التابعة للامم التحدة 2013
20 - تقرير مستقبل الاستدامة في العالم العربي باريس web.report.sustainallt

المقابلات الشخصية

1. أحمد عبدالحفيظ .مدير مشروع الباوقة الزراعي 1/11/2018
2. عبدالقادر بلال .رئيس اللجنة الشعبية بمنطقة بربر 1/12/2018
3. ياسر حسن .مدير المشروعات بمشروع الراجحي الزراعي 1/1/2019

التقارير:

1. المجلس القومي للتخطيط الاستراتيجي الخطة الاستراتيجية القومية الربع قرنية (2007-2013) جمهورية السودان
2. هيئة الانماء و الاستثمار الزراعي .السودان الخرطوم 2016
3. تقرير اداء ولاية نهر النيل 2013
4. دائرة الاستثمار .ولاية نهر النيل 2017
5. وزارة الزراعة .ولاية نهر النيل 2017
6. هيئة الارصاد الجوي .ولاية نهر النيل 2017
7. الهيئة العامة للمساحة .ولاية نهر النيل 2017
8. دائرة الاستثمار .ولاية نهر النيل 2017

الرسائل الجامعية:

1. عمر ادم عبدالله بليلة -التنمية الزراعية و مهددات استدامتها في البيئات الجافة و شبه الجافة -جامعة امدرمان الاسلامية -السودان
2. اقبال محمد احمد وراق -الاثار البيئية لاستخدامات الطاقة الشمسية بولاية شمال كردفان -رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الخرطوم-معهد الدراسات البيئية 2005
3. مرزوق،خلود-دور المرأة في حماية البيئة -رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الخرطوم 2016
4. نهي عوض الكريم -دور المرأة الريفية في ولاية شمال كردفان -جامعة الخرطوم كلية الجغرافيا و البيئة 2015

3- الملاءمة المكانية لتوزيع السكان والخدمات الصحية في مدينة الموصل باستخدام RC&GIS

د. م. محمد نوح محمود عدو جامعة كركوك/ كلية الآداب قسم الجغرافية التطبيقية ونظم المعلومات

والباحث. علي إبراهيم علي السبعاوي جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم الجغرافيا

mohamedadoo80@gmail.com

Abstract

The research is concerned with studying the spatial relationship between the distribution of population and the spread of health center services by building a spatial model that shows that relationship, consistent with the principle of geography that is concerned with the distribution of phenomena and find the relationship between them, to diagnose spatial imbalance in the distribution, if it is not possible to distribute the population equally A certain area of land, especially in cities, where these spatial distributions vary because of the size of the population and the occupied area of the population, which can be measured and represented using the formula of population density, and for the spread of services better among the population can develop spatial plans Suitable for the size of the population of this region and others through programs and plans that lead to spatial development working to deliver services of any kind to a group of population, but this requires choosing a spatial plan that leads to the largest number of population with the largest area, has been able Investigate the diagnosis of disturbance areas by identifying areas of health deprivation that were outside the coverage of health services provided, while extracting health levels representing the situation enjoyed by the population using spatial analysis tools in the program (Arc Map Gis10.7) as follow the road map analysis or what is known as algebraic analysis For maps by gm Layers representing the perimeter of each center with different weights for each type of health centers (sub, main, model). Thus, two models were created, the first represents the population distribution and density using point representation and the second is a spatial model representing the health levels of residential neighborhoods. And come up with one model represents the desired relationship in the research goal and the proportion of population per level with the proportion of the area occupied by this level of health

المقدمة

إن الجغرافيا تدرس كل ما يوجد على سطح الارض من ظواهر طبيعية وانشطة بشرية، وطبيعة البيئة السائدة، وهذا ما يميز الجغرافيا عن غيرها من العلوم الاخرى في انفرادها بدراسة البعد المكاني بكل عناصره ومكوناته الطبيعية والبشرية , وصحة الانسان تتأثر بطبيعة المكان وما يمارسه الانسان من انشطة تؤثر بشكل مباشر او غير مباشرة على صحته, وعليه اهتم الجغرافيون بدراسة الجغرافيا الطبية كونها تركز على العوامل الطبيعية والانشطة البشرية التي تؤثر على الانسان في كل مكان , وتعد احد فروع الحديثة للجغرافيا الاجتماعية, ويمثل هذا التخصص احد الفروع المهمة في مجال الجغرافيا البشرية لعلاقتها بصحة الانسان وما يتعرض له من مشاكل تنعكس على صحته، ومن ثم على قدراته وكفاءة اداء اعماله, وقد كان لموضوع الدراسة الاهمية العلمية الكبيرة في تمثيل هذه الاختلافات المكانية المتمثلة في تباين انتشار السكان يقابله تباين انتشار «المراكز الصحية الاولية» وكان لا بد من انشاء نموذجين؛ الاول يمثل كثافة توزيع السكان اي ايجاد علاقة السكان بالأرض وكيف يتوزعون. اما النموذج الثاني فقد تمثل في انتشار المراكز الصحية مع بيان مستوى هذا الانتشار من خلال اتباع خطوات تحليلية ممنهجة باستخدام برنامج Arc Map gis v10.7, و امكانية مطابقة النموذجين وبدء القراءة المكانية و توضيح نتائج التطابق بخرائط مدركة توضح اماكن الخلل, من خلال تشخص اماكن الحرمان الصحي في المدينة واماكن الضعف الصحي و اخرى تمتعت بنوع من الخدمة الصحية المتوسطة او الجيدة، اي ان النتائج لم تلتزم حدود الاحياء في النموذج الثاني بل عملت على ان يكون سطح المدينة واحدا وهذا ساعد على معرفة ان مقدمات الاحياء قد تكون اوفر خدمة صحية من نهاياتها او ان الاحياء القريبة من مركز المدينة قد تكون فرص الخدمة الصحية فيها اكثر من الاحياء في اطراف المدينة.

1-2 **مشكلة البحث:** تحديد اماكن الحرمان الصحي واماكن اخرى تعاني نقصا في الخدمات الصحية ومدى تباين هذه الاختلافات في مستوى الخدمة مع ايجاد علاقتها بالسكان وانتشارهم حسب نموذجي كثافة السكان وكثافة الخدمات الصحية.

1-3 هدف **البحث:** يهدف البحث الى ابراز العلاقة المكانية لتوزيع مراكز الخدمات الصحية من خلال ربطها بتحليل الكثافة السكنية والحكم عليها فيما اذا كانت تتناسب مع الحجم السكاني للمدينة، إذ عمد البحث الى بناء انموذج مكاني متمثل في خرائط مدركة لتحديد الكثافة السكانية وأنموذج ثان متمثل في الكثافة الصحية ومطابقتهما وصولا الى انموذج نهائي، وتوضيحها مكانيا من خلال تصنيف الاحياء السكنية حسب مستوى الخدمة الصحية المقدم اعتمادا على معيار المساحة والسكان.

1-4 فرضية البحث

- لا تتوزع الخدمة الصحية بشكل متساو على الاحياء السكنية لمدينة الموصل.
- تعاني من نقص صحي اضافة الى عجز في الخدمة في بعض الاحياء وخاصة الحديثة منها.
- تعاني منطقة الدراسة من عجز في الخدمات المراكز الصحية معا ما يقابلها كثافات سكانية عالية.
- كلما ارتفعت الكثافة السكانية انخفض مستوى الخدمة الصحية وبالعكس.

5 -1 **منهجية البحث:** اتبع البحث المنهج الاستقرائي الذي يعمد الى تحليل الجزيئات للوصول الى الكليات اي البدء بشكل متدرج وتصاعديا في حل مشكلة ومن ثم تفسيرها وتحديدها مكانيا وصولا الى النتائج النهائية.

6 – 1 **المواقع والمساحة للمنطقة الدراسة** : تقع مدينة الموصل في الجزء الشمالي الغربي من العراق وتقع فلكياً بين دائرتي عرض 18 36 و 25 36 شمالاً وخطي طول 20 43 و 14 43 شرقاً[377](1). ينظر الخارطة (1). تعد مدينة الموصل إحدى المدن المليونية في العراق، إذ تحتل المرتبة الثانية بعد العاصمة بغداد بعدد سكانها الذي يصل الى (1263390) نسمة، أي بنسبة تساوي 38,6 % من مجموع سكان محافظة نينوى البالغ 3,269,688 نسمة سنة 2014 م. وقد بلغت المساحة الكلية لمدينة الموصل (142كم2)، هذا ويتوزع سكان المدينة على جانبي المدينة اذ يقسمها نهر دجلة الى قسمين: الاول يسمى الجانب الايسر اما الثاني يسمى الجانب الأيمن، لكن هذا لا يعني ان المدينة منقسمة بل هي واحدة على اعتبار ان الانهار ليست عامل فصل بل عامل وصل حسب مفهوم الجغرافية السياسية.

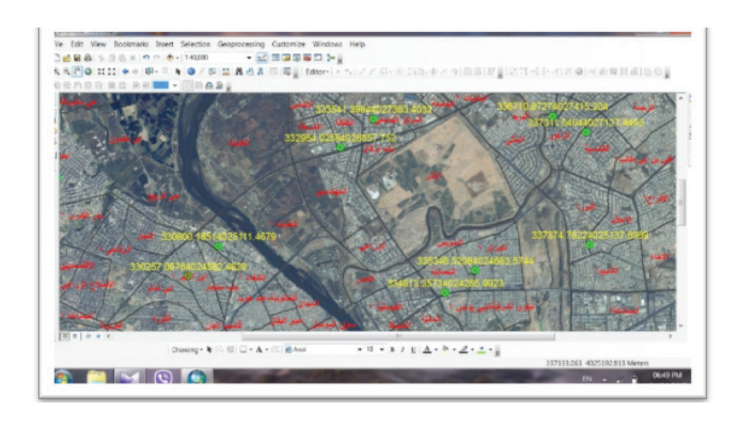
7–1 البيانات المعتمدة: اعتمد البحث على نوعين من البيانات:

أ– البيانات المكانية:

- بيان فضائي لمدينة الموصل لسنة 2017 تم الاستفادة منه في عدة امور وهي التأكد من مواقع المراكز الصحية اضافة الى الاحياء وتحديد المناطق المبنية فعلا (Building) داخل كل حي سكني، وهذا ساعد في إجراء عملية استخراج الكثافة السكانية في المناطق التي يسكنونها.
- مخرجات جهاز تحديد المواقع العالمي (Gps) : يمثل اهم البيانات التي استندت إليها الدراسة كون استخدام هذه التقنية تساعد على التوزيع الجغرافي حسب الاحداثيات مكانية (x y) صحيحة. وعلى هذا الاساس يتم إنشاء قاعدة معلومات اكثر فائدة يستفاد منها في تحديد المسافات ما بين هذه المواقع ورسم أنطقتها اعتمادا على معايير حكومية، وبهذه الامكانية استطاع البحث من توزيع ظاهرة الدراسة والمتمثلة (34 مركز صحياً) كل حسب مواقعة الصحيح [378]. شكل (1) يوضح توقيع الاحداثيات المكانية (xy) للمراكز الصحية وهي موقعة على صورة فضائية للتأكد من صحة التوقيع المكاني .

شكل (1)

توقيع الاحداثيات المكانية (XY) لمراكز الصحية في مدينة الموصل اعتماداً على الصورة الفضائية



(377). صبيح يوسف طاهر، تحليل جغرافي لملاح الاستقطاب الحضري في إقليم مدينة الموصل، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، العدد 26، 1991م، ص156.

(378) دائرة صحة نينوى، شعبة H gis .

ب- البيانات الوصفية

تمثل اعداد السكان في كل حي سكني في مدينة الموصل والتي انتظمت على شكل جداول في قاعدة المعلومات داخل البرنامج المعتمد، اضافة الى بيانات من ملفات اكسل من دائرة صحة نينوى في القطاعين الايمن والايسر متمثلة في عدد المراكز الصحية وعدد الاحياء التي يخدمها كل مركز وعدد السكان المخدومين وعدد المراجعين لكل مركز صحي.

2 - مفهوم النمذجة المكانية (Spatial Modeling) :

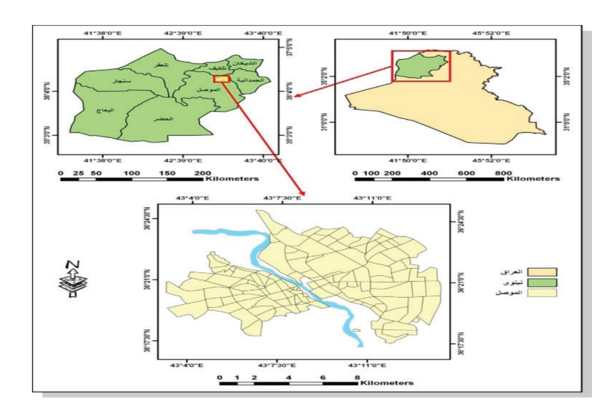
وهي سلسلة من عمليات التحليل المكاني تتناول العلاقات المتبادلة بين توزيع خدمة المراكز الصحية وخدمة الكثافة السكانية والمتغيرات الجغرافية الأخرى [379](1)، او هي تدل على كيفية بناء نماذج تبين لنا كيف «يعمل» العالم وتساعد في حل المشكلات الحقيقة التي نواجها. والنماذج المكانية قد تشمل نماذج مكانية على مستوى التفاصيل المتاح في قاعدة البيانات المستخدمة، وهوما يطلق عليه درجة الوضوح المكاني (Spatial modeling), وأيضا تعتمد عملية النمذجة على درجة الوضوح المؤقتة (resolution temporal) وهي التي تدل على أقصر فترة زمنية تمت عند رصد تغيرات الظاهرات الجغرافية، فبعض النماذج المكانية تكون ديناميكية لنمذجة التغيرات الزمنية لظاهرة للتنبؤ بتغيراتها المستقبلية. وكلا درجتي الوضوح «المكانية والمؤقتة» تتحكم أيضا في التكلفة الاقتصادية لعملية النمذجة. يتم بناء النماذج لعدة أسباب، فالنموذج قد يستخدم لعملية اتخاذ القرار التي يريد المستخدم فيها إيجاد حل لمشكلة مكانية بناء على أفضل السيناريوهات الممكنة. ثانيا، يمكن للنموذج أن يقدم للمستخدم التجريب والتعامل مع نموذج يحاكي العالم الحقيقي وهذا عندما تكون تكلفة عمل التجارب الحقيقة عالية أو عندما يكون الحصول على النتائج من النموذج أسرع[380].

2-1 المركز الصحي: وهي عبارة عن مؤسسات تقدم الخدمات الصحية ولكن بمستوى اقل عن المستشفيات فهي مؤسسة مصغرة لذا تمتاز بأنها أكثر انتشارا في المدن والقرى والأرياف وبعض المناطق النائية لتقديم الخدمات الصحية الأولية وتتضمن طبيبا واحدا او طبيبا للأمراض الباطنية وطبيب اسنان وطبيب أطفال وصيدلية لصرف الأدوية والعلاجات الأولية فقط دون وجود لصالات العمليات والتدخلات الجراحية لذلك يتم تحويل الحالات المرضية إلى المستشفى لإكمال العلاج النهائي[381].

(379)). ناصر بن مرشد الزير، التحليل المكاني لمواقع مراكز الرعاية الصحية الأولية بغربي الرياض وبناء نموذج لاختيار المواقع الأنسب لها دراسة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، المجلد الثامن، العدد1، 2007م(1438هـ)، ص70.

(380) جمعة محمد داود، مبادئ علم نظم المعلومات الجغرافية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، النسخة الاولى، 2014، ص172، ص177.

(381) مازن عبد الرحمن الهيتي، جغرافيا الخدمات أسس ومعايير، كلية التربية، جامعة الانبار، الطبعة الأولى، لسنة 2013، ص85.



خارطة (1)

الموقع الجغرافي و الفلكي لمنطقة الدراسة من العراق و محافظة نينوى

2-2 المعايير العامة لتخطيط و انشاء المراكز الصحية في العراق

تشكل الخدمات الصحية المقدمة من قبل المراكز الصحة العامة جانباً مهما في النظام الصحي لأي دولة، باعتبارها واحدة من الحاجات الأساسية التي لا بد من توفرها بشكل يتناسب مع كثافة السكان بشكل متوازن في توزيعها المكاني وكفاءة خدماتها، إذ تمثل المدينة مكاناً لحياة اجتماعية قد يتجاوز تأثيرها إلى خارج أقاليمها، من خلال مستوى خدماتها المجتمعية لا سيما الخدمات الصحية بغض النظر عن نوعها ورتبها [382](1). وتقسم المراكز الصحية الاولية حسب نوعها الى ثلاثة اقسام لكل نوع منها خصائص مساحية وحجم سكاني مختلف حسب الجدول (1) الذي يتضمن معايير حسب السكان و المساحة.

جدول (1) المعايير الكمية لفتح و انشاء المراكز الصحية اعتماداً على الحجم السكاني و المساحة

نوع المركز	مساحة التغطية/م2	الحجم السكاني/نسمه
مركز صحي فرعي	500	2500-5000
مركز صحي رئيسي	1000	10000-20000
مركز صحي نموذجي	3000	20000-50000

المصدر : مديرية صحة نينوى قسم التخطيط الهندسي و المشاريع

3 - الحجم السكاني و انتشار المراكز الصحية:

إن دراسة حجم السكان وتطوره يؤثر بصورة مباشرة على الخدمات الصحية والخدمات الاخرى في المدن وبشكل يحقق الكفاءة والكفاية من هذه الخدمات بما يلائم طبيعية الحاجة منها وسهولة الوصول اليها وكيفية الرقي بالمستوى الصحي [383](2). ويتوزع سكان المدينة على (132) حياً سكنياً بحجم سكاني كلي بلغ (1109001) لسنة 2014 يخدمهم (34) مركزاً صحياً ويتباين هذا التوزيع للمراكز

(382). الجغرافيا الطبية، مصدر سابق، ص882.

(383). صفا رحيم مفتن العبودي، التحليل المكاني للخدمات التعليمية والصحية في مدينة البصرة، رسالة ماجستيرة (غيرة منشورة)، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، لسنة 2015، ص9.

من حي لآخر ومن قطاع الى آخر ومن جانب الى جانب اخر من حيث الكثافة السكانية التي يغطيها وعدد الاحياء التابعة. فمن خلال الدراسة الميدانية تبين أن هناك ضغطا كبيرا على المراكز الصحية من حيث عدد الاحياء التابعة لها في الجانب الايسر بعدد كلي بلغ (656097) والجانب الايمن بعدد سكاني كلي (452904)، وإن هذا الضغط يولد ضعفاً في خدمات المراكز الصحية من حيث توفير العلاج والادوية وكذلك بعض اللقاحات الضرورية وخدمات رعاية الأمومة والنساء الحوامل. كما أن هناك علاقة متبادلة بين السكان وخدمات المراكز الصحية يؤثر كل منها في الاخر بصورة مستمرة حيث ان نمو بشكل لا ينسجم مع خدمات المراكز الصحية سوف يؤدي الى انخفاض الحالة الصحية للفرد وتدني المستوى الصحي للأسرة، فالتوزيع الناجح للسكان يستند على توزان توزيع الخدمات في المدينة [384](1).

1-3 توزيع السكان حسب الكثافة السكانية :

وحسب الخارطة رقم (2)

2-1-3- إقليم الكثافة العالية جداً: شمل هذا الإقليم بعض الأحياء التي شملت أعلى كثافة سكانية في منطقة الدراسة وبلغت من 460-209 هكتارا، فهي تمثلت في (حي الجزائر، حي النبي يونس، حي الاصلاح الزراعي، حي شيخ فتحي، وادي حجر)، إذ يتركز في هذه الاحياء على مساحة لا تتناسب مع أعداد السكان مما يشكل ضغطاً كبيراً على مساحتها، الأمر الذي يؤدي إلى تقليل فرصة توفر الخدمات الصحية فيها بالشكل الذي يتلاءم مع الحجم السكاني وبالتالي سوف يشكل هذا الضغط السكاني تناقصا ملحوظاً في طبيعة توزيع الخدمات الصحية.

4-1-3-إقليم الكثافة السكانية العالية: تراوحت كثافة السكان العامة في هذا الإقليم ما بين (208-111) نسمة/كم^2 وقد تمثلت هذه المجموعة بـ الاحياء التالية(القدس، الكرامة، عدن، الزهراء، التحرير، النعمانية، النبي يونس، الاعلام، التأميم، النور، الافراح، القاهرة، الرحمة، البلديات، الرشيدية، النجار، باب سنجار، ابي تمام، الاقتصاديين، العروبة، المغرب، النداء، نابلس، موصل جديدة، اليرموك، الرافدين، وادي حجر، تل رمان، اغادير، المأمون، الا زدهار).

5-1-3- إقليم الكثافة السكانية المتوسطة: تتراوح الكثافة السكانية في هذا الإقليم من (42-110) نسمة \هكتار، ونلحظ أن هذا الإقليم شمل عدداً من الاحياء وهي كالتالي (سومر، الوحدة، دوميز، فلسطين، يونس السبعاوي، البتول، الانتصار، الاخاء، الاعلام، النور، القادسية، الزهور، النهضة، الكندي، البريد، المصارف، القيروان، الرشيدية، الاندلس، الثقافة، الشرطة، المهندسين، الزراعي، الشفاء، السويس، الشفاء، ابن خلدون، بر الكبرى، الرفاعي، الثورة، المنصورية، باب البيض، النبي شيت، الدواسة، الصفاء، قضيب البان، الطيران) وهذه الاحياء بعكس الإقليمين الأول والثاني .

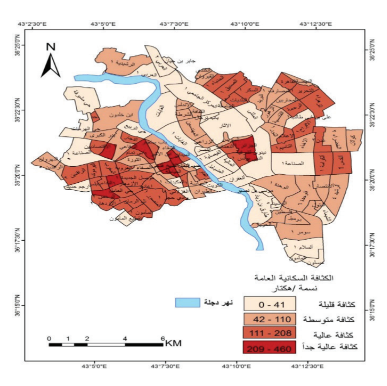
6-1-3- إقليم الكثافة السكانية الواطئة: وفي هذا الإقليم تقل الكثافة السكانية العامة حتى تصل(41-0) نسمة/هكتار. وقد ضم هذا الإقليم الاحياء التالية (جابر بن حيان، العربي، الغابات، الصناعة، مركز الجامعة، الاثار، الفيصلية، المالية، الغفران، طارق بن زياد، موسى بن نصير، الضباط، ميسلون، السلام، الشيماء، مشيرفة، رجم حديد، تقطيع المأمون، الهرمات، صناعة الايمن، ملا عثمان الموصلي).

---

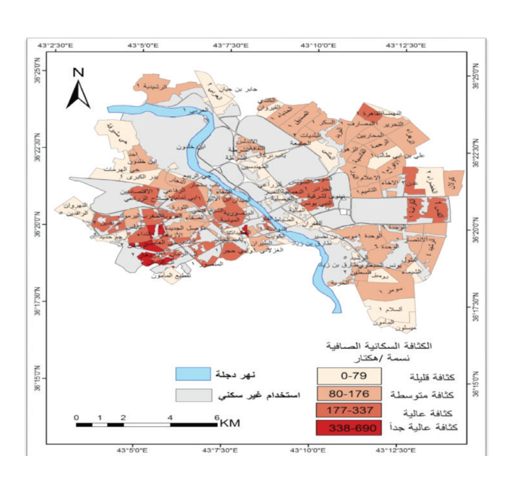
(384) ماهر ناصر عبدالله، واقع التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية في مدينة السماوة وكفاءتها، مجلة آداب الكوفة، العدد(5)، لسنة 2008، ص39

2-3- الكثافة الصافية

وهي الكثافة التي يتم احتسابها بقسمة عدد السكان على مساحة المسكونة فعلاً او على المساحة المعمورة المبنية في المدينة. او على المساحة المعمورة المبنية في المدينة ويتطلب ذلك استبعاد الاراضي الفارغة غير السكنية او اي مسطحات مائية سواء كانت بحيرات او مجاري مائية او خلجانا بحرية ويتطلب ذلك استبعاد كافة انواع الاستعمالات للأراضي غير السكنية داخل المدينة[385](1). وتم استخدام معادلة الكثافة الصافية من خلال تطبيقها مكانياً ورياضياً داخل برنامج Arc Gis اذ تمثل الكثافة الصافية حجم السكان / المساحة المشغول فعلاً، ولتطبيق هذه المعادلة مكانياً تحديد مناطق البنيان (Building) داخل كل حي سكني اي مناطق المبنية فعلاً وعزلها عن المساحات الفارغة كما هو موضح في خارطة (3). وقد بلغت المساحة الكلية للمناطق المعمورة او المسكونة حسب مخرجات البرنامج المعتمد (8683)هكتار وبهذا بلغت الكثافة الصافية في المدينة (127) نسمة في الهكتار الواحد.



خارطة(2) الكثافة السكانية العامة لسنة 2014



خارطة (3) الكثافة الصافية لسنة 2014

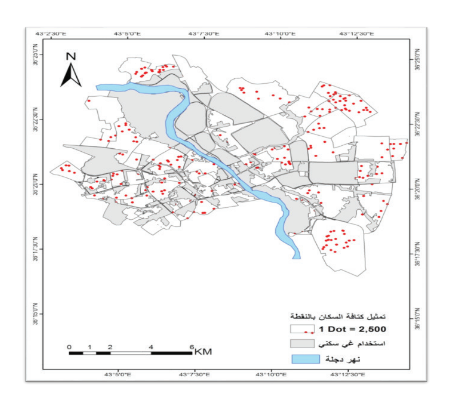
(385) صبري فارس الهيتي، صالح فليح حسن، جغرافية المدن، طبعة الثانية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، لسنة 1986، ص246.

3-3- التمثيل بالنقط:

تعتبر طريقة التوزيع بالنقط من الطرق الشائعة الاستخدام في تمثيل او توزيع السكان على الخارطة، ومن خلالها يمكن تمثيل علاقة وجود السكان بالموقع الجغرافي في قطر من الاقطار او قارة من القارات العالم ككل [386](1)، وقد اعتمد البحث اسلوب التمثيل بالنقطة (dot) الذي يتناسب مع اهداف البحث المتمثل في توزيع السكان حسب مناطق تواجدهم لغرض بناء انموذج مكاني يمكن مطابقتة مع انموذج مستوى الكثافة السكانية للخدمة المراكز الصحية. وتمثل كل نقطة (2500) نسمة اذ تم اختيار هذا الرقم ليكون مطابقا لمعيار وزارة الصحة المتفق عليه وهو (2500- 50000) نسمة لأقل مركز صحي فرعي في منطقة الدراسة يخدم كحد اقصى من السكان، وفق هذا المعيار فإن الحي السكني الذي يقل عدد سكانه عن الحد الادنى سيتم تجاهله من قبل البرنامج ولا يمثل بنقطة اي انه خارج معيار انشاء او فتح مركز صحي، وكلما تضاعف العدد يزداد عدد نقاط للحي وبهذا سيكون مدركا من النظرة الاولى ومدى حاجة الحي السكني للخدمة الصحية او لا. كما هو موضح في خارطة (4).

1- التوزيع المكاني للمراكز الصحية

عني الجغرافيون بدراسة التوزيعات المكانية للظاهرات وتحديد مواقعها على سطح الأرض، ولا سيما المستقرات البشرية، وتوزيع الخدمات داخل الحيز المكاني، وتعاملت بعض الدراسات مع نشاطات الانسان على الأرض ودرجة الارتباط بين فعالياتها المكانية. فضلا عن المتغيرات المكانية (الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية)، التي تتنوع في نسيج منتظم داخل الاطار المكاني، وانفردت الجغرافية بدراسة البعد المكاني عن غيرها من العلوم، إذ ركزت على الظاهرة الجغرافية وتوزيعها وموقعها وانتظامها المكاني [387](2). لذا فإن دراسة التوزيع المكاني لمراكز الرعاية الصحية وتحليله تعد من الامور المهمة التي ينبغي اخذها بالاعتبار عند التخطيط الصحي الذي ينصب اهتمامه على تطوير الخدمات الصحية وزيادة كفاءتها واعادة توزيعها بعدالة اجتماعية لأكثر عدد من سكان المدينة، مع ضرورة توفير سهولة الوصول الى تلك المراكز.



خارطة (4)

(386) فلاح شاكر اسود، الخرائط الموضوعية، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، لسنة 1991، ص191.

(387) اسراء هيثم احمد صالح العبيدي، التباين المكاني للخدمات الصحية في محافظة ديالى، اطروحة (غير منشورة)، جامعة ديالى، كلية التربية، 2013، ص54.

هذه الكثافة الفعلية لسكان مدينة الموصل باستخدام اسلوب التمثيل بالنقطة، وهذا ما اكدته مؤتمرات منظمة الصحة العالمية عام 1977م بالسعي لتوفير الخدمات الصحية لجميع السكان لتحقيق الهدف الاساس بتكوين حياة أكثر فاعلية للإنسان [388](1). كما وتعد المراكز الصحية الاولية إحدى اهم حلقات الوصل بين الانسان وصحته داخل المدينة على اعتبار انها مراكز خدمية تعمل على مراقبة الحالة الصحية للسكان والتنبؤ بحدوث أي وباء كما أنها مراكز وقائية تعمل على نشر الوعي الصحي وتقدم اللقاحات الضرورية التي تخص الاطفال والحوامل [389](1). وتوجد في منطقة الدراسة (34). تتوزع هذا المراكز على جانبين المدينة (19) في الجانب الأيسر (16) في الجانب الأيمن كما توجد اربع مراكز منهن نموذجية (3) في الجانب الايمن. اما باقي المراكز فهي كلها مراكز رئيسية باستثناء مركزين فرعين وهما يقعان في الجانب الايسر، وهذه المراكز تختلف فيما بينها من ناحية الخدمة والمساحة وكثافة السكان التي يغطيها والكادر الطبي حسب معايير وزارة الصحة العراقية فالنموذجي يختلف عن الرئيسي والرئيسي يختلف عن الفرعي وهكذا، وخارطة (5) توضح التوزيع الجغرافي للمراكز الصحية، التي اظهرت أن (96) حيا في مدينة الموصل غير مخدومة من قبل المراكز الصحية الاولية ويبدو جلياً ان هناك احياء سكنية لا تتوفر فيها هذه الخدمة إما لأنها لا تتفق مع معيار فتح او انشاء مركز صحي او قد يعود السبب لقلة التخصيصات المالية من قبل الحكومة، وقد حددت وزارة الصحة معايير لإنشاء المراكز الصحية في المدن، وقد ركز البحث على معيار السكان والمساحة التي تم ذكرها انفا.

4-1 نطاق الخدمة للمراكز الصحية

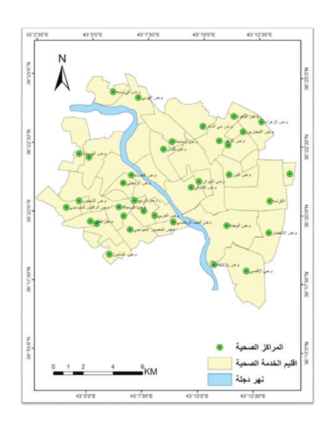
يمثل المنطقة المخدومة من قبل المراكز الصحية فيها او مقدار المسافة التي تصل إليها خدمة هذه المراكز الصحية وتعرف ايضا بالحواجز (buffer) في نظم المعلومات الجغرافية بأنها الحدود التي تحيط بإحدى الظواهر الجغرافية[390](2). وقد ركزت اغلب الدراسات العالمية على تطوير نماذج لتحديد النطاقات المثلى للخدمات المراكز الصحية ام غيرها من خدمات بشرط ان يكون عامل السكان وتوزيعهم المكاني هو الاساس و المحدد لمواقع الخدمات بشرط ان يحقق هذا النطاق اكبر مساحة لأكثر عدد من السكان بوقت اقل للوصول [391](3)، وعند تطبيق معيار المساحة في مدينة الموصل وجد ان خدمة المراكز الصحية تغطي 109كم2 من مساحة المدينة البالغة 142كم2 وهذا يعني ان 77% من مساحة المدينة مشمولة بالخدمة الصحية مع شمول 33% من المساحة المتبقية بالحرمان الصحي لكن تبقى هذه النسب عبارة عن نتائج خام او نتائج اولية ولم تخضع بعد الى النمذجة المكانية التي ستغير مفهوم الخدمة الصحية من خلال استخراج مستوى الخدمة الصحية باعتماد عمليات، تحليلية اخرى عالية المستوى من خلال بناء انموذج مكاني لتحديد مناطق الضعف الصحي والمناطق ذات الخدمة المتوسطة والجيدة، والخارطة (6) تمثل تطبيق المعيار الوزاري للمساحة الصحية , والمناطق التي تظهر خارج الخدمة اما انها مشمولة بالنقص الصحي او انها مناطق غير سكنية تجارية، صناعية او زراعية.

(388) ضرغام خالد عبد الوهاب ابو كلل، ولقع توزيع الخدمات الصحية ومستويات كفاءتها في مدينة النجف الاشرف دراسة في جغرافية الصحة، اطروحة اه، كلية الاداب، جامعة البصرة، 2012، ص .

(389) احمد جارالله احمد، التباين الاقليمي للخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية، الجمعية الجغرافية الكويتية، رسائل جغرافية، 200.

(390) دعاء محمد جاسم، مصدر سابق، ص33.

(391) احمد جارالله احمد، التباين الاقليمي للخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية، الجمعية الجغرافية الكويتية، رسائل جغرافية، 200.



خارطة (5) التوزيع الجغرافي للمراكز الصحية الاولية في مدينة الموصل

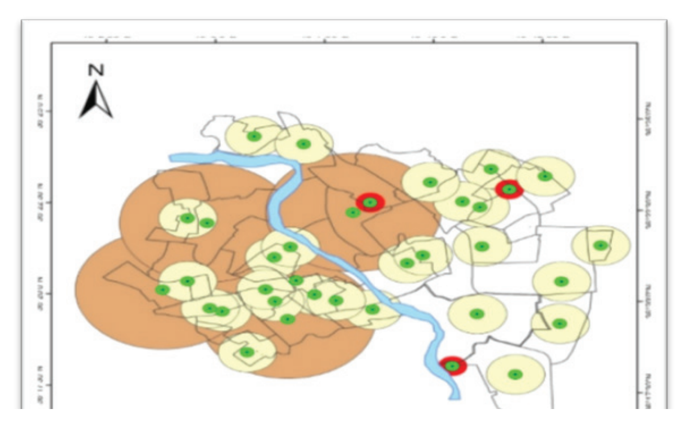
الانموذج المكاني (Spatial Modeling) لاستخراج مستوى كثافة خدمة الصحية

ان توفير الخدمات للسكان يمثل تحدياً كبيراً وخاصة في الدول النامية، اما توزيعها بما يناسب وجود السكان حسب حجومهم وكثافاتهم فيعد أحد تلك التحديات، وهذا ما يحاول الجغرافيون المستخدمون تقانات نظم المعلومات الجغرافية الوصول اليه ومعالجته من خلال تحليل مواقع هذه الخدمات وتحديد المساحات المشغولة فعلاً بالسكان التي تغطيها الخدمات، ومن ثم إعادة تخطيطها حتى تكون اكثر فاعلية واختيار المواقع الأنسب لإنشاء خدمات جديدة تشمل المساحات السكانية خارج أنطقة الخدمات، وقد وفرت برامج (Gis) هذه الامكانات التحليلية المتمثلة في تحليل العلاقات المكانية باستخدام عدد من الأدوات التحليل المكاني والخروج بنتائج أقرب الى الواقع قدر الامكان وصولاً الى توفيرها لمعظم السكان وبدرجة عالية من الكفاءة العادلة بين الاقاليم السكانية (1. وقد تم اعتماد تقانات جغرافية عالية المستوى باستخدام برنامج (Arc map gis v10.7) متمثلة بإنشاء انموذج مكاني لمستوى خدمة المراكز الصحية، اذ عمد البحث بتباع اسلوب خرائطي تحليلي يعرف «بالجبر الخرائطي» وهو اسلوب قائم على جمع الطبقات مع بعضها على اساس وزن معين لكل طبقة , اذ تم اعطاء وزن معين لكل نوع من انواع المراكز الصحية على اعتبار ان لكل واحد منها له قدرات وامكانات صحية تختلف عن الاخر و على هذا الاساس تم توزيع الاوزان و حسب ما يأتي :-

- ✓ المركز الفرعي اخذ قيمة رقمية (1)
- ✓ المركز الرئيسي اخذ قيمة رقمية (2)
- ✓ المركز النموذجي اخذ قيمة رقمية (3)،

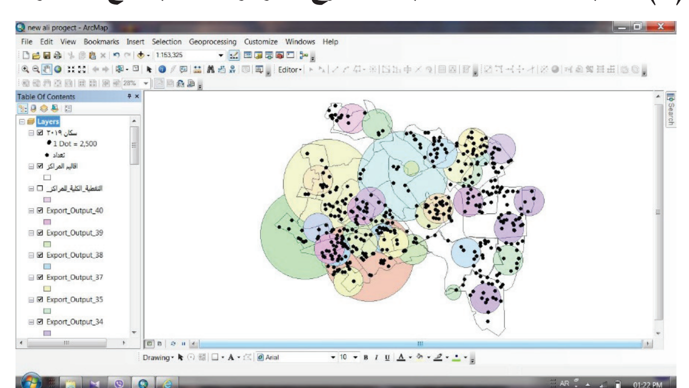
وكما ذكرنا سابقاً فقد تم انشاء قطر مساحي حول كل مركز صحي حسب نوع المركز مع مطابقة توزيع انتشار السكان كما في الشكل (2) وهو عبارة عن المعيار المساحي المتفق علية من قبل وزارة الصحة العراقية. وبهذا تم انشاء (34) قطر او حرم مكاني حسب عدد المراكز الصحية للمدينة، وبجمع هذه القيم الرقمية مع بعضها من خلال الامكانيات المتوافرة في البرنامج المستخدم تم فتح حقل جديد في قاعدة المعلومات تحت عنوان «الوزن» اي ان وزن الطبقة الاولى تجمع مع وزن الطبقة الثانية وجمع الاولى والثانية مع الثالثة، وهكذا تم جمع (34) طبقة مع بعضها، وهنا بدأ البرنامج بحساب المناطق التي حصل فيها تداخل للطبقات كما هو موضح في شكل (3) يوضح آلية احتساب الطبقات مع بعضها ضمن مصفوفه عددية لتظهر النتيجة ضمن حقل جديد اخر تم فتحه في قاعدة

المعلومات بعنوان « التكرار»، وقد وصلنا الى نتيجة تكرار الخدمة التي كانت من (12-1) اي ان هناك مناطق حصل فيها تداخل للخدمة اكثر من مرة، وعلى هذا يمكن القول ان المواطن يتمتع بخيارات متعددة للمناطق المخدومة صحياً بشكل جيد مما يساعد على انخفاض كثافة المراجعين وبالتالي تخفيف الضغط على الخدمة بعكس المناطق التي شهدت تكرار قليل للخدمة، وخارطة (7) تمثل ناتج النمذجة المكانية التي اظهرت مستويات الخدمة الصحية للمدينة، والتي تشير الى عدد من النتائج ابرزها.



خارطة (6) مساحة التغطية للخدمة للمراكز الصحية الأولية

شكل (2) تحديد الخدمة المساحية لكل نوع للمراكز الصحية مع انتشار السكان

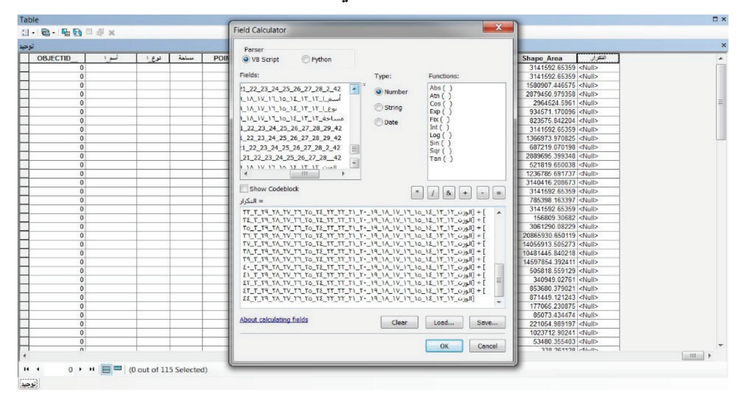


- ✓ ان مناطق الحرمان الصحي اقتصرت على الجانب الايسر من المدينة وشكلت نسبة بلغت 15% من المجموع الكلي للخدمة الصحية البالغة (123 كم2).
- ✓ تمتع الجانب الايمن بتكرار الخدمة ذات المستوى الجيد جداً حتى وصل في بعض أحيائها الى(12-9) تكرارا بنسبة بلغت 2% من مجموع الكلي للخدمة الصحية.
- ✓ ان المستوى الصحي كان في الغالب يحمل تكرار (3-1) وهو ضمن تصنيف الخدمة الصحية الضعيفة وقد شكل نسبة وصلت الى 54%.

- ✓ بلغ المستوى الصحي المتوسط ذات التكرار من (4–6) نسبة 20% من المجموع الكلي للخدمة الصحية.
- ✓ اما نسبة المستوى الصحي الجيد الذي حمل تكرار (7–8) نسبة 9% من المجموع الكلي للخدمة الصحية.

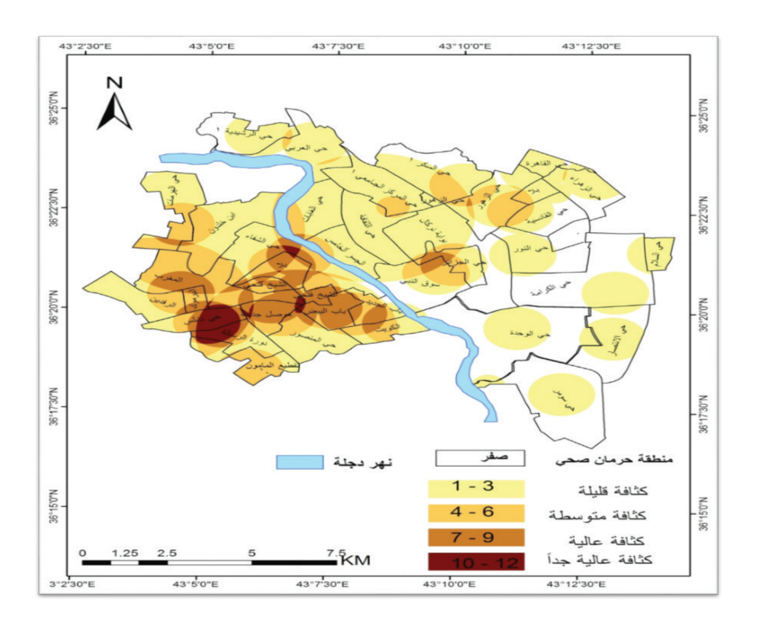
وكما ذكرنا في هدف البحث فإننا نهدف الى بناء نموذجين؛ الاول يمثل كثافة السكان والثاني يمثل مستوى الخدمة الصحية، وبعد انجاز هذا الهدف وصلنا الى هدفنا النهائي وهو مطابقة النموذجيين والخروج بنموذج نهائي , والخارطة (10) تمثل الناتج الكارتوكرافي لهذه العلاقة المكانية التي اظهرت المستوى الصحي لسكان المدينة وقد توزعوا على خمسة مستويات كما يأتي:

شكل (3) يوضح بناء المصفوفة العددية بطريقة الجبر الخرائطي لحساب تكرار للخدمة للمراكز الصحي

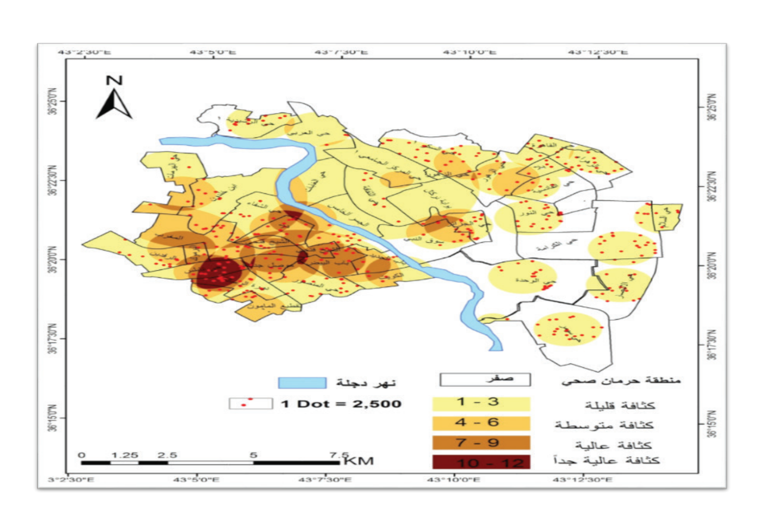


- ✓ 69% من عدد السكان كان ضمن الحرمان الصحي والخدمة الضعيفة.
- ✓ 15% من السكان كان ضمن الخدمة المتوسطة.
- ✓ 12% من السكان كان ضمن الخدمة الجيدة.
- ✓ 4% من السكان كان ضمن الخدمة الجيدة جداً .

وبهذه النتائج يمكن القول ان سكان المدينة يعانون من نقص حاد في مستوى الخدمة الصحية من خلال مراكزها الصحية الاولية وهذا يفسر لنا مدى الزخم الحاصل للزائر الصحي في المراكز التي مشاهدتها اثناء الزيارة الميدانية لهذه المراكز اذ شهد مركز الكرامة زخما كبيرا حيث إن الحي واقع ضمن الحرمان الصحي وذو مستوى ضعيف لناحية الخدمة الصحية وترافق هذا مع ارتفاع الكثافة السكنية في هذا الاقليم من المدينة , اي يمكن القول ان ارتفاع الكثافة السكانية مع قلة كثافة انتشار الخدمة الصحة يسبب انخفاض المستوى الصحي لهذا الاقليم , وقد ينطبق نفس القول على باقي الأقاليم.



خارطة (7) النمذجة المكانية لاستخراج المستويات الصحية للاحياء



خارطة (8) العلاقة المكانية بين الكثافة السكانية ومستويات الخدمة الصحية للاحياء

الاستنتاجات والتوصيات

1 – يفتقر عدد من احياء منطقة الدراسة لخدمات المراكز الصحية وخاصةً الاحياء الحديثة النشأة او التي تقع في اطراف المدينة، هذا بالنسبة للجانب الأيمن كما يوجد عدد من الاحياء في الجانب الأيسر تفتقر لهذه الخدمة.

2 – ضعف الاهتمام من قبل صانعي القرار في منطقة الدراسة في الاهتمام بالقطاع الصحي، حيث

تعاني بعض المراكز الصحية من ضغط نتيجة تأخير تأهيل المستشفيات الحكومية التي تضررت بالعمليات العسكرية الاخيرة.

3 – تعاني بعض المراكز الصحية من نقص بكوادرها الطبية والادوية كغياب صالات الولادة وعدم وجود طبابة الاسنان وأجهزة السونار والاجهزة الطبية الضرورية، مما أجبرَ بعض السكان من المرضى والمراجعين الى زيارة العيادات الخارجية للأطباء والمستشفيات الأهلية.

4 – هناك عدد من المراكز الصحية لا تتوافق مع مساحتها من حيث عدد السكان وخدمة المركز والمعيار المطلوب مما يؤثر على نصيب الفرد من تلك الخدمات.

5 – تغطي الخدمات الصحية في منطقة الدراسة بمساحة 123كم2 ولكنها موزعة بشكل غير متساوي وليس بمستوى واحد لنفس الخدمة.

المصادر

1. احمد جارالله احمد، التباين الاقليمي للخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية، الجمعية الجغرافية الكويتية، رسائل جغرافية، 200.

2. اسراء هيثم احمد صالح العبيدي، التباين المكاني للخدمات الصحية في محافظة ديالى، اطروحة (غير منشورة)، جامعة ديالى، كلية التربية، 2013.

3. جمعة محمد داود، مبادئ نظم المعلومات الجغرافية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2014.

4. صبري فارس الهيتي، صالح فليح حسن، جغرافية المدن، طبعة الثانية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، لسنة 1986.

5. صبيح يوسف طاهر، تحليل جغرافي لملاح الاستقطاب الحضري في إقليم مدينة الموصل، مجلة الجمعيية الجغرافية العراقية، العدد 26، 1991م .

6. صفا رحيم مفتن العبودي، التحليل المكاني للخدمات التعليمية والصحية في مدينة البصرة، رسالة ماجستيرة (غيرة منشورة)، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، لسنة 2015.

7. ضرغام خالد عبد الوهاب ابو كلل، توزيع الخدمات الصحية ومستويات كفاءتها في مدينة النجف الاشرف دراسة في جغرافية الصحة، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة البصرة، 2012.

8. فلاح شاكر اسود، الخرائط الموضوعية، مديرية دار الكتب للطباعة، جامعة الموصل، 1991.

9. مازن عبد الرحمن الهيتي، جغرافيا الخدمات أسس ومعايير، كلية التربية، جامعة الانبار، 2013.

10. ماهر ناصر عبدالله، واقع التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية في مدينة السماوة، مجلة آداب الكوفة، العدد(5)، لسنة 2008.

11. ناصر بن مرشد الزير، التحليل المكاني لمواقع مراكز الرعاية الصحية الأولية بغربي الرياض وبناء نموذج لاختيار المواقع الأنسب لها دراسة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، المجلد الثامن، العدد1، 2007م(1438هـ).

باب الإدارة والاقتصاد

1- التميز وأثره على الخدمة السياحية دراسة تطبيقية في فندق المنصور- بغداد

Excellence And Its Impact On Tourism Service

Applied Study in Mansour Hotel - Baghdad

بحث مقدم من قبل الأستاذ المساعد الدكتورة آمال كمال حسن البرزنجي

الجامعة المستنصرية-كلية العلوم السياحية

dr.abaraznji@yahoo.com

Abstract

Excellence is one of the main pillars of the success and building of organizations, because the guest touches stability and meets his expected and current needs, and reveals the reason for his brilliance in the field of business and his stay in the world of competition and providing distinct services to society in general, the research included two theoretical topics and the third is practical to show the impact and existence of the relationship between the two variables.

المقدمة

يعد التميز ظاهرة انسانية وحدث منذ خلق الله سبحانه وتعالى البشرية، إذ كان الانسان يبدع ويخترع كل جديد، وليس حكراً على أحد، وبدأ الاهتمام به منذ بداية الحرب العالمية الثانية في ثلاثينيات القرن الماضي، إذ اصبح موضوعا رئيسياً في علم النفس، وانه استعداد فطري قابل للنمو والتطوير يمكن تعلمه والتدريب عليه مثله مثل اي مهارة اخرى، الأمر الذي يتطلب توفير فرص للتمييز لدى الفرد لكي يتكيف مع الظروف والمستجدات والمتغيرات المحيطة به، وعلى مستوى المنظمات العامة منها أو الخاصة على ان تكون على درجة عالية من الكفاءة والفاعلية التي لا تتحقق إلا بجهود متميزة، وعليها الاعتماد على الافكار الابداعية والتميز في تقديم خدماتها لتستمر في الاسواق المنافسة، وإن درجة نجاحها يتوقف على مدى استجابة أفرادها في الإدارة والقدرة على زيادة الانتاجية، وتميزها عن غيرها من المنظمات في نفس قطاع الاعمال (منتجات او خدمات)، وطبيعة الموارد المتاحة لديها وتحقيق الميزة التنافسية وتستطيع الاستمرارية وتقديم منتجات وخدمات أفضل التي يصعب تقليدها ووجود خطة للاعمال وتحديد المنتجات أو الخدمات والسمعة التجارية وبناء رأس المال الاجتماعي المتميز، ومعرفة السوق والخبرات الريادية والتعاون والعمل على رفع القدرات المعرفية في العلاقة مع الزبائن يؤدي بدوره الى التكامل في العمل من خلال التطور التكنولوجي والمنظمي.

منهجية البحث

أولا: مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث بشكلها الآتي:

- هل تحقق منظمات الاعمال ومنها السياحية التميز لعامليها ليساهموا بتقديم خدمات ترضي ضيوفها.

ثانيا: أهمية البحث

- زيادة المعرفة لدى الادارات لتحقيق التميز لدى عامليها.
- تقديم خدمات أفضل.

ثالثاً: أهداف البحث

تسليط الضوء على مفهوم التميز لما له الاثر الكبير في نجاح المنظمات من خلال تقديم الخدمات تتناسب مع حاجة السوق.

- العمل بروح الفريق الواحد للتعرف على القدرات والمهارات المتعددة والمتنوعة لتخصصات العاملين واستغلالها لصالح خدمة المنظمة والمجتمع ككل.
- الاهتمام بأسلوب تقديم الخدمات وجودتها تتفق مع بروتوكولات التنظيم في العمل.

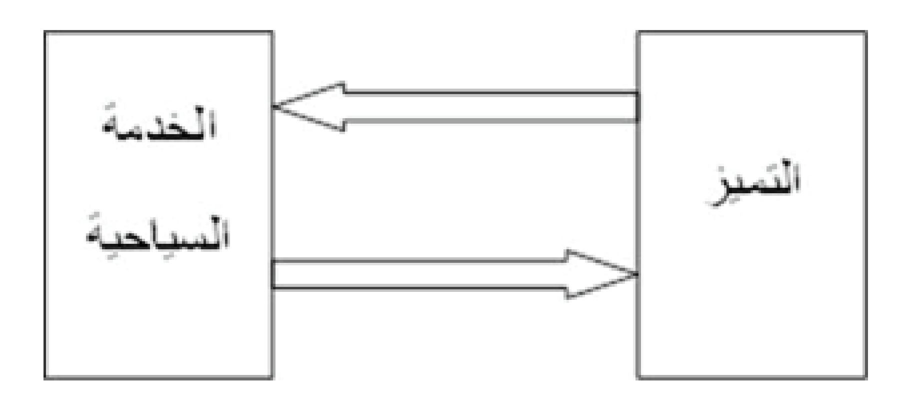
رابعاً: مجتمع وعينة البحث

- تم اختيار مجتمع البحث فنادق الدرجة الاولى ببغداد وتم توزيع الاستبانة على (60) لضيوف فندق المنصور وكانت العينة عشوائية.

خامساً: فرضيات البحث

- الفرضية الرئيسة الاولى: توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين التميز والخدمة السياحية.
- الفرضية الرئيسة الثانية: هناك تأثير ذو دلالة معنوية بين التميز والخدمة السياحية.

أنموذج البحث



عداد الباحث

المبحث الاول: التميز

اولا- مفهوم التميز

تقوم منظمات الاعمال بإتيان اعمال جديدة ومختلفة ومميزة عن بقية منظمات الاعمال الاخرى، سواء بطرق الانتاج، (منتجات جديدة او طبيعة الخدمات التي تقدمها، وكذلك الموارد التي تمتلكها سواء كانت بشرية ام مالية ام تكنولوجية ووسائل واساليب تقديم الخدمات للضيوف، (السكارنة،2011، ص120). ويعرفه علماء النفس والعديد من المدارس والنظريات على انه اصطلاح يطلق على الاشخاص ذوي القدرة والموهبة دون تحديد نوعها او درجة التميز فيها، وهو حالة من الابداع والتفوق التنظيمي تحقق مستويات عالية غير عادية من الاداء والتنفيذ للعمليات الإنتاجية والمالية وغيرها في المنظمة بما يتيح عنه نتائج وانجازات تتفوق على ما يحققه المنافسون ويرضى عنه الضيوف واصحاب المصلحة كافة في المنظمة، (غازي،2014،ص34). تبرز المنظمة تميزاً في ادائها وعندما تحقق ذلك ستعزز من فرص بقائها نشطة في عالم الاعمال، فالنمو والتميز وجهان لعملة واحدة بما ان التميز في مفهوم الادارة المعاصر ليس مجرد شعار يرفع في الحملات الاعلانية بل هو نظام متكامل يضم كل فعاليات الادارة الحديثة وتقنياتها بهدف رفع مستوى الادارة والانجاز الى درجات عالية تتفوق بها، اي ان التميز لا يأتي صدفة ولا يتحقق بالتمني بل من مجمل جهود العاملين في المنظمة المعاصرة على كافة المستويات، (السلمي،1999،ص77). ويعد مفهوما شاملا متكاملا لا يتجزأ وانعكاسا لفكرة الادارة وتطويرها وقد نشأ للتعبير عن الحاجة الى مدخل شامل يجمع عناصر ومقومات بناء المنظمات على أسس تحقق لها قدارت فائقة في مواجهة التغييرات والاوضاع الخارجية المحيطة بها من ناحية كما تكفل لها تحقيق الترابط والتناسق الكامل بين عناصرها ومكوناتها الذاتية واستثمار قدراتها المحورية والتفوق، وعليه يعرف بأنه تلك الممارسات المتأصلة في ادارة المنظمة وتحقيق النتائج التي ترتكز جميعها على مجموعة تتكون من تسعة مفاهيم جوهرية تتمثل في التوجه بالنتائج والعمل والقيادة وثبات الهدف والادارة من خلال العمليات والحقائق وتطوير ومشاركة الافراد والتعلم، (الفاعوري،2012،ص25). وهو سعي المنظمات الى استغلال الفرص الحاسمة التي يسبقها التخطيط الاستراتيجي الفعال والالتزام لادراك رؤية مشتركة يسودها وضوح الهدف وكفاية المصادر والحرص على الاداء، (الضلاعين، 2010، ص73). ويرى (العديلي، 2009، ص36)، بأنه الريادة والابداع في تقديم الخدمات وتحقيق نتائج باهرة ترضي الضيوف والمساهمين والعاملين، من ذلك تبينت مفاهيم التميز بالآتي:

1 – القيادة وثبات الغاية: وهو يعبر عن سلوك القادة فهو الداعم لجميع منهجيات التميز، اذ يتم توضيح اتجاه قيم وغاية المنظمة من خلال سلوكهم وتشجيعهم لعامليهم في السعي لتحقيقه.

2 – التميز المستمد من الضيوف: تؤكد كل مداخل التميز ان الضيف هو مصدر الحكم الاخير على تميز الخدمات ونوعية المنتجات، وفهم الاحتياجات الحالية والمستقبلية للضيوف الحاليين والمحتملين يعد افضل وسيلة لتحقيق ولاء الضيف والاحتفاظ به، فصوته يكون حاسما في تصميم العمليات او عرض الخدمات التي تؤثر عليهم.

3 – التوجه الاستراتيجي: جميع منهجيات التميز تؤكد على اهمية التوجه الاستراتيجي وتبني خطط التطوير الاستراتيجي في المنظمة وتحقيق التنسيق والتكامل في كل اجزاء التنظيم.

4 – التعلم والتحسين المستمر: يعد التعلم والتحسين المستمر عنصرين حاسمين في منهجيات التميز، فتحفيز التعلم والتحسين تسهم في توفير بيئة مناسبة للابداع والابتكار من خلال تحقيق المشاركة

الفعالة للمعرفة.

5 – التركيز على الافراد: مستوى العاملين يعد عنصرا مهما في اطار التميز، فنجاح المنظمة يعتمد اعتمادا كبيرا على تنمية مستوى المعرفة، والمهارات والابداع لدى عامليها، ومقدرة هؤلاء تكون افضل من خلال القيم المشتركة التي تدعمها ثقافة الثقة والتمكين في المنظمة، (Harrington, 2008,p.56).

ثانيا – أهمية التميز

حددت دواعي اخذ المنظمات لمبررات التميز نظراً لاهميته لها من خلال ما يأتي:

1. وسائل وطرق للتعرف على العقبات التي تواجهها حال ظهورها.
2. وسيلة لجلب المعلومات التي تتمكن من اتخاذ القرارات الهامة بخصوص الموارد البشرية.
3. تطوير أعضائها بصفة مستمرة سواء كانوا مديرين أو موظفين حتى يستطيعوا المساعدة في جعل المنظمة اكثر تميزاً في الاداء قياساً مع المنظمات المنافسة.
4. توفر المهارات اللازمة لصانع القرار سواء كان فرداً او مجموعة، والتمعن في حساسية الدور الذي يقوم بها وأهميته في تحقيق الابداع والتميز في المنظمات، (hatten,2006,p.45).

ثالثا– اهداف ومزايا التميز

يحقق التميز أهدافا ومزايا كثيرة للمنظمة منها:

1 – البقاء والنمو والتفوق على المنافسين في بيئة الاعمال المحلية، وايضاً المنافسة في السوق العالمي.

2 – تحقيق الجودة والكفاءة والإبداع وسرعة الاستجابة للضيوف.

3 – الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة وتفعيل مصادر القوة التنافسية، بما يحقق الجودة والميزة النسبية عن المنافسين.

4 – تحقيق عوائد ومنافع متوازة لمختلف المنافع، وتنمية العلاقات معهم واستثمارها وتوظيفها.

5 – السعي نحو التطوير والتحسن المستمر.

6 – التركيز على القدرات المحورية والاستراتيجية في المنظمة.(جاد الرب، 2013،ص116).

رابعا – خصائص التميز

ان المنظمات التي تحقق تميزا تتمتع بمجموعة من الخصائص المهمة وهي:

1 – قبول الاعمال الصعبة يعد من اهم مصادر التميز، حيث تتوفر فيه فرص النمو والتعلم السريع للمنظمات وتحسين العمليات. 3

2 – توفر القيادة الكفوءة التي تعتبر كقدوة لها دور بارز في التحفيز للتميز والتشجيع عليه.

3 – تحمل المصاعب، تكشف مستويات قدرة المنظمات، اذ ان ارتكاب الاخطاء وتحمل المنظمة للازمات ومواجهتها يسهم في صقل قدرات المنظمة وتميزها.

4 – ان المنظمات المتميزة يتوفر لديها الخبرات في خدمة المجتمع التي تقدم العديد من الفرص

لاكتساب التميز في الاداء.

5 – برامج التدريب التي تعزز من تميز المنظمات.

6 – الدقة، ويقصد بها تعزيز دقة النظام التنبؤ الخاص بها، من خلال اختيار افضل الاساليب لتأدية المهمات، وبناء مناخ داخلي يؤكد اهمية ذلك باعتباره يؤثر على تميزها. (النسور، 2010،ص33).

وكذلك من خصائصه: (العديلي،2009،ص96)

1 – أفراد تتوافر لديهم دوافع النجاح والتميز.

2 – مستوى عال من الرضا والتقدير للذات.

3 – التواجد الدائم والحيوي والمتنامي في السوق.

4 – التميز في تقديم الخدمات او المنتجات عن المنظمات المماثلة.

5 – تحقيق الانجازات التي تضع المنظمة في مصاف المنظمات ذات الاسهم عالية القيمة.

خامسا – أنواع التميز

1 – التميز القيادي

القيادة العليا لها القدرة للتميز، وذلك من خلال تنمية قدرات الافراد، وتشجيعها لهم بالتوجه نحو الابداع، وذلك من خلال تميزها بالمهارة القيادية وعلاقات العمل الفعالة، والقدرة على التفكيرالمتجدد الذي يبتعد عن التقليد، وكذلك اهتمامها بتشجيع المنافسة بين الافراد للتوصل الى افكار جديدة، كما انها اذا تبنت استراتيجية الباب المفتوح ودعم الاتصالات المباشرة بينها وبين الافراد فإن ذلك يتيح تبادل المعلومات المتعلقة بفاعلية المنظمة والقدرة على مناقشتها، والوصول الى اقتراحات وابتكار حلول جديدة لمشاكلها، وهناك مجموع من النشاطات التي يجب ان يقوم بها القادة لتصبح منظمة متميزة في السوق المنافس، فنظام اللامركزية في العمل داخل المنظمة يسهل انسياب المعلومات والافكار الابتكارية بين العاملين والقيادة العليا مباشرة دون حواجز بيروقراطية، كذلك فان القدرة الابتكارية لدى الافراد تتأثر بنمط القيادة الديمقراطية. ان القائد المتميز يستطيع رؤية كثير من المشكلات في الموقف الواحد، فهو يعي الاخطاء ونواحي النقص والقصور، ويحس بالمشكلات، ولا شك ان الاشخاص الذين تزداد حساسيتهم لادراك اوجه القصور والمشكلات في المواقف كافة، تزداد فرصتهم لخوض غمار البحث والتأليف فيها، فإذا قاموا بذلك، فإن الاحتمال سيزداد امامهم نحو التميز (Borghini, 2005,p.25).

2 – التميز بتقديم الخدمة

إن فئات الضيوف كافة يُعتبرون بمثابة مستهلكين للسلع والخدمات، وعندما يتم الحصول ولا تلبي حاجات فئات الضيوف أو تزيد من توقعاتهم فإنهم يلجؤون الى المنافسين للتعامل معهم. إن اللجوء الى هذه النتائج يعد مؤشرا على ان شيئا ما يتم خطأ في اسلوب تقديم الخدمة التي ادت لإنتاج هذه الخدمة، وهذه الأعراض تفضي الى خطة عمل لتصحيح وتشخيص نواحي القصور ولا شك ان استخدام المدخل الهيكلي لحل المشاكل يجعل بالامكان التحرك المستمر نحو التحسين المستمر، (النعيمي وآخرون، 2008، ص43).

وعليه هناك مجموعة من القواعد التي تعمل على تطوير آلية تقديم الخدمة للضيوف، ومنها:

وضع الضيف بالدرجة الاولى وتشمل الارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة لتقابل توقعاته كما تشمل محاولة فهم رغباته ومحاولة تقديمها على الوجه الامثل.

1 – بناء علاقة طويلة الامد وذلك من خلال مد يد العون والمساعدة للضيف بعد ان تتم عملية البيع والتأكد من انه راض بما قام بشرائه.

2 – التعرف على امكانات المنظمة ونقاط الضعف لديها والعمل على تعزيز امكاناتها وذلك في سبيل تقديم الخدمة للضيوف بصورة افضل.

3 – التواصل مع الضيوف من خلال الاستماع إليهم، والتعرف على احتياجاتهم وآليات التحسين في تقديم الخدمات المستقبلية.

4 – عدم القاء اللوم على الموظفين أمام الضيوف بل القيام بتحليل الموقف والاعتذار وتعويضهم بصورة لائقة وهادئة.

5 – العمل على تعزيز مفهوم جودة الخدمة لدى العاملين من خلال الخدمات للضيوف. (Hughes,2003,p.22).

سادسا – معايير التميز

في الواقع لا يوجد معايير دولية موحدة لقياس التميز، بل هناك معايير وطنية تطبقها بعض الدول كاليابان والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وتحذو حذوها بعض الدول الاخرى في تطبيق هذه المعايير حتى ان هذه الدول اصبحت تمتلك جوائز للتميز (جائزة ديمنج اليابانية، جائزة بالدريج الامريكية، جائزة التميز الاوروبي) تمنحها للمنظمات المحلية او الخارجية التي تلتزم بمعاييرها. (بن عبود، 2009، ص12).

المبحث الثاني: الخدمة السياحية

نتيجة التطورات التي حدثت في مجال تقنيات تقديم الخدمات السياحية وتنوع أشكالها، حصل ازدياد في الحاجة إلى الاهتمام بكيفية تحديث وسائل تقديم الخدمة السياحية كجزء من متطلبات النهوض بالقطاع السياحي في البلد، مما دفع المتخصصين والعاملين في هذا القطاع الحيوي إلى الاهتمام برسم السياسات والخطط العلمية والعملية لتطويره وكجزء من تلك السياسات هي كيفية تطوير كفاءة أداء العاملين في مجال تقديم الخدمة السياحية، لذلك كان من الضروري التطرق في هذا المبحث إلى مفهوم الخدمة السياحية والتعرف على خصائصها وانواعها التي تتميز بها ليتسنى معرفة كل ما يتعلق بها.

أولا – مفهوم الخدمة

تعرف بأنها (منتجات غير ملموسة يجري التعامل بها في أسواق معينة تهدف إلى إشباع حاجات ورغبات المستهلك وتحقق له المنفعة بحيث لا تقترن هذه الخدمات ببيع منتجات أخرى). ووفقا» لهذا التعريف لا تشمل الخدمات تلك التي يقدمها المنتجون أو التجار مع المنتجات المباعة للمستهلك كخدمات النصب والتشغيل والصيانة، وإنما تشمل الخدمات التعليمية، والصحية والثقافية والاستشارية والاجتماعية والسياحية والمعرفية وغيرها، (المساعد،1998:239). اما الخدمة السياحية فقد عرفها (أبو رحمة، 13:2001) بأنها النشاطات التي تكون غير مادية أو غير ملموسة والتي يمكن تقديمها بشكل منفصل أو مستقل وتوفر إشباع الرغبات والحاجات، وليست بالضرورة ان ترتبط مع بيع منتج أو خدمة أخرى، وعند تقديم الخدمة قد لا يتطلب ذلك نقل الملكية، يقوم

مستهلك الخدمة بحيازة أو استخدام مؤقت للمستلزمات التي تتطلبها إنتاج الخدمة (غرفة في فندق، إيجار، سيارة، رحلة سياحية) ولكن بدون ان يمتلكها هذا المستهلك. لقد عرفت الخدمة السياحية بتعاريف عديدة، فقد عرفها البعض على أنها مجموعة من الأعمال التي تؤمن للسياح الراحة والتسهيلات عند شراء واستهلاك الخدمات والبضائع السياحية خلال وقت سفرهم أو خلال إقامتهم في المرافق السياحية بعيدا عن مكان سكنهم الأصلي. كذلك يمكن تعريف الخدمات السياحية على أنها عناصر غير ملموسة، تتطلب توفير بيئة ملائمة وتظافر فرص عمل سياحية متعددة تعمل على تنسيق جهودها لتقديم مستوى لائق ومقبول من الخدمة كما يريدها المستفيد تماما. كما يمكن تعريف الخدمة السياحية على أنها مجموعة الخدمات والتسهيلات التي تقدم للسياحة والزوار على حد سواء وبما يتوافق مع حاجاتهم ورغباتهم وبالشكل الذي يؤدي الى تقديم الصورة الذهنية التي تهدف الخدمة السياحية رسمها وتعزيزها في أذهان الزوار أو السياح وبما يجعل المجتمع مكانا يسعد السائح أو الزائر بمشاهدته وتزكيته لزملائه وأقربائه، (الطائي،2003،ص16).

ثانيا - خصائص الخدمة السياحية

يمكن إبراز خصائص الخدمات السياحية بشكل خاص وذلك لتمييزها عن بقية الخدمات الأخرى وكما يأتي (مقابلة،1999:145):

1 - الخدمات السياحية خدمات غير ملموسة، حيث لا يمكن رؤيتها أو لمسها أو الإمساك بها، ومن ثم فإنها تحتاج إلى قدرات ومهارات خاصة لإقناع السائح بها.

2 - الخدمة السياحية هي خدمة متكاملة في ذاتها، حيث يصعب تقسيمها أو تجزئتها، فالبرنامج السياحي من اجل ان ينجح بفاعلية كاملة يجب التأكد من تكامله وترابطه وانسجام أجزائه بعضها ببعض واعتمادية كل منها على الأخرى.

3 - يعد العامل البشري اكثر العوامل تأثيرا على تقديم الخدمة السياحية، لذلك فإن الخدمة السياحية تعتمد على عنصر التسويق الشخصي، لذلك لا بد ان يتصف مقدم الخدمة السياحية بقدرات خاصة تمكنه من التعامل الجيد مع السائح أو الزائر والرد المناسب على جميع أسئلته، وكيفية إقناعه باتخاذ قرار إيجابي في التعامل مع الخدمة السياحية التي يقوم بتقديمها.

4 - الخدمات السياحية غير قابلة للخزن، ففي حالة عدم الاستفادة من نتائج الخدمات السياحية فإنه لا يمكن تخزين تلك الخدمات، وذلك بسبب ما يترتب عن ذلك من خسائر كبيرة لمنتجي هذه الخدمات وذلك لعدم الاستفادة الكاملة من إمكانياتها في كل مرة تؤدى فيها الخدمة، فعلى سبيل المثال في حالة وجود غرف شاغرة في فندق أو دور سياحية فإنها تتحمل الخسارة نتيجة عدم استغلال طاقتها بصورة كاملة.

5 - تذبذب حجم الطلب على الخدمات السياحية ويتضح ذلك من خلال بعض الخدمات التي تشهد ازدياد الطلب عليها في مواسم معينة حيث يزداد الطلب عليها خلال فصل الصيف وينخفض خلال فصل الشتاء، والسبب في ذلك يعود إلى عامل المناخ والعطل المدفوعة ووقت الفراغ، كل ذلك يساعد في تنمية الحركة السياحية (الضمور،2002،ص22).

6 - الخدمات السياحية غير قابلة للنقل، وهذا يعني انه لا يمكن نقل معظم الخدمات السياحية إلى حيث وجود السائح وإنما يتطلب الأمر الحضور الشخصي إلى المكان المطلوب.

بما ان رغبات واحتياجات السائح متنوعة ومتعددة ومختلفة باختلاف قدراتهم المادية أو الجسمانية،

لذلك فإنها تحتاج إلى مدى واسع من الخدمات السياحية وذلك لاختلاف احتياجات السياح أو الزوار، لذلك فان كافة الشركات السياحية دائما تسعى إلى تصميم وإعداد مجاميع متنوعة من البرامج السياحية لكي تنسجم مع الاختلافات في الميول والقدرات والتفضيلات لدى هؤلاء السياح لكي يمكن جذب اكبر عدد ممكن منهم، ومن ثم ضمان حجم مناسب من التعاقدات التي تضمن ربحية عالية لأعمالها واستمرارها، وفي الوقت نفسه تضمن إيجاد مجموعة متكاملة ومتنوعة من الخدمات السياحية التي تكفل تحقيق اكبر إشباع ممكن للسياح باختلاف رغباتهم السياحية وقدراتهم المادية.

7 – صعوبة قياس الخدمات السياحية، حيث ان المنظمة السياحية تعتقد بأن ما تقدمه للسائح هو الأفضل، فالسائح قد يفضل خدمة منظمة سياحية معينة اكثر من غيرها من المنظمات الأخرى وذلك لمعايير لا يأخذها بنظر الاعتبار سائح آخر، وحتى هذا السائح نفسه قد يصعب الحكم على خدمات جهة معينة إلا بعد التجربة ومقارنة الخدمة مع خدمة أخرى متماثلة لجهة سياحية أخرى (اوسو، 16:1996) .

8 – احتياج بعض الخدمات السياحية إلى دعم من قبل القطاعات الأخرى كالقطاع الزراعي والصناعي لتلبية احتياجات السياح بشكل افضل.

9 – اعتماد الخدمة السياحية على عنصر التسويق (البيع الشخصي)، إذ يعد العامل البشري اكثر العوامل تأثيرا في ترويج الخدمة، لان الضيف لا يتعامل مع ماكنة آلة عندما يتعاقد على الخدمة أو البرنامج السياحي، بل انه يتعامل مع إنسان ومن هنا يتعين ان يكون هذا الإنسان ذا مواصفات وقدرات خاصة تؤهله لهذا التعامل والرد على أسئلة الضيف بصدق ولباقة وكياسة، فضلا عن مهمة إقناعه باتخاذ قرار إيجابي تجاه الخدمات المعروضة سواء أكان هذا الإنسان من قوة البيع الخاصة أو وسيطا (الخيرو، 57–56:2001).

ثالثا – أنواع الخدمات السياحية

يتفق جميع الكتاب والباحثين على تصنيف الخدمات السياحية، فجميعهم يركزون على الخدمات التي تعمل على إشباع حاجات ورغبات السائح او الزائر عند قيامهم بالرحلات أو الجولات السياحية أو الزيارات الدينية، لذلك بالإمكان تصنيف الخدمات السياحية بما يأتي:

أ – خدمات النقل، وذلك بجميع ما تشمله هذه الخدمات من النقل البري والبحري والجوي.

ب – خدمات السكن، والتي تشمل الفنادق بأنواعها والقرى والمدن السياحية وبيوت الشباب وغير ذلك.

ج – خدمات الأطعمة والمشروبات، وتشمل جميع ما يلبي حاجة السياح من الطعام والشراب.

د – خدمات التسلية والترفيه، وتشمل الخدمات الرياضية والثقافية والاجتماعية وغيرها.

هـ – الخدمات المساعدة الأخرى وتشمل خدمات الماء والكهرباء والهاتف والخدمات الصحية والدفاع المدني والصيانة والخدمات المصرفية وغسل الملابس ومستلزمات الأمن والطمأنينة وتوفير مواقع السيارات وخدمات الحلاقة والتصوير والمرافق الصحية والإشارات التوضيحية (James,1997:50).

المبحث الثالث (الجانب العملي والتحليل الاحصائي)

في هذا المبحث مجموعة من الاساليب والمقاييس الاحصائية المستخدمة في عملية تحليل البيانات وصولاً إلى تحقيق أهداف البحث المرجوة، وكما يأتي:

أولاً – مجتمع وعينة البحث :

تمثل مجتمع البحث بـ (العاملين) في فندق المنصور ببغداد، وتم اخذ عينة منهم حيث وزعت (60) استبانة، وبعد ان تم تأشيرها من قبل أفراد العينة، تم استرجاع (57) استمارة فقط وتفريغها بالشكل الذي يخدم مشروع البحث.

ثانياً – الأدوات المستخدمة

تم اعتماد الأدوات الآتية لأغراض جمع البيانات وتحليلها :

1. **المراجع النظرية:** اعتمدت المصادر العربية والأجنبية (كتب، دوريات، مجلات، بحوث، رسائل جامعية) المتوفرة بالمكتبات العامة والجامعية، فضلا عما وفرته شبكة الانترنت من مقالات وكتب حديثة ذات صلة بموضوع البحث .
2. **الاستبانة:** حُددت مجموعة أسئلة مترابطة بشكل يحقق الهدف الذي يسعى له البحث في اطار المشكلة المختارة، لغرض الحصول على البيانات والمعلومات والحصول على نتائج رقمية فيها قياس متغيرات البحث، وتم استخدام واعتماد مجموعة من المقاييس بعد ان تم ترتيبها وفق متطلبات واتجاهات البحث، واعتُمِد مقياس (Likert) الثلاثي كمعيار لبناء استبانة البحث، ولإبراز اتجاه الاستجابة فقد استند الباحث على الوسط الفرضي البالغ (2) والذي يمثل الحد الفاصل بين الاتفاق وعدم الاتفاق. وضمت الاستمارة قسمين، القسم الاول ضم فقرات التي تعبرّ عن المتغير المستقل (التميز) بمجموع كلي (8) فقرات. والقسم الثاني تضمن الفقرات الرئيسة والتي تعبر عن المتغير التابع (الخدمة السياحية)، وبمجموع كلي (7) فقرات.

أ- اختبار صدق المحتوى وكفاية العينة: يقصد بصدق المحتوى قدرة الاستبانة للتعبير عن الهدف الذي صممت من أجله أو أن يقيس الاستبيان ما وضع لقياسه وان يعكس المحتوى المراد قياسه وفقاً لأوزانه النسبية وان السؤال او العبارة الموجودة في الاستبيان تقيس ما يفترض البحث قياسه بالفعل، وللتحقق من شرط (كفاية العينة ووجود علاقات الارتباط بين المتغيرات) سيستخدم مقياس: (KMO) (Kaiser- Meyer- Olkin measure) وتتراوح قيمته بين الصفر والواحد الصحيح وذلك يدل على مصداقية عالية والعكس صحيح.

يلاحظ من الجدول (1) ان قيم KMO)) لكل من متغير التميز والخدمة السياحية بلغت **(0.623)**، **(0.543)** على التوالي وكلاهما أكبر من 0.50، ليؤكد ان شرط كفاية العينة متوفر.

أما بخصوص وجود علاقات الارتباط بين متغيرات البحث فسيطبق اختبار (Bartlett) فاذا كانت القيمة الاحتمالية تساوي صفرا، دل ذلك على اجتياز متغيرات البحث الاختبار. وبالتالي تحقق شرط وجود علاقات الارتباط بين المتغيرات وكما موضح في الجدول (1) الذي يشير الى قيم مربع كاي لمتغيري البحث اذ سجلت (98.417، 73.491) أي اجتياز الاختبار .

الجدول (1) اختبار شرط كفاية العينة ووجود علاقات الارتباط بين متغيرات البحث

متغيرات البحث الاختبارات		التميز	الخدمة السياحية
مقياس (KMO)		0.623	0.543
Bartlett Test	Chi-Square	98.417	73.491
	Sig.	000.	000.

المصدر : اعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات البرنامج الاحصائي SPSS الاصدار 20

ب- **ثبات الاستبانة:** هو تحقق الأدوات والمقاييس نتائج ايجابية وأن يعطي نفس النتائج اذا اعيد تطبيقه عدة مرات متتالية واذا كرر الباحث القياس يحصل على نفس النتائج، ولغرض التأكد من ثبات تلك التقديرات يتم اعادة اختبار أفراد عينة الدراسة بأوقات مختلفة لتعطي نفس النتائج، وقد تم احتساب الثبات بطريقة معامل ألفا كورنباخ Alpha –Cornbach اذ يتم استخدام عينة تجريبية لإجراء الاختبار، فاذا كان معامل الثبات أقرب للواحد، فهذا يعني ان ذلك ملائم للبحوث والدراسات التي تكون فيها الاستبانة بفقراتها اداة معتمدة وبعد تطبيق الاختبار، كانت النتائج كما يأتي:

الجدول (2) نتائج اختبار الثبات

متغيرات الدراسة	قيمة معامل ألفا كورنباخ Alpha Cornbach	التفسير
التميز	0.652	تجتاز الاختبارين
الخدمة السياحية	0.792	تجتاز الاختبارين
مجمل فقرات الاستمارة	0.773	تجتاز الاختبارين

ثالثاً – أساليب وصف البيانات وتحليلها

تستخدم الوسائل والأساليب الاحصائية المختلفة للحصول على النتائج أثناء إجراء البحث والتي يتم من خلالها اختبار الفروض لغرض فهم المشكلات والاجابة عن التساؤلات التي طرحت في البحث، ومن هذه الأساليب الاحصائية الآتي: (التوزيع التكراري، النسب المئوية، الوسط الحسابي، الانحراف المعياري، معامل ارتباط الرتب لسبيرمان، معامل الانحدار الخطي البسيط، اختبار F (F-test)، معامل التحديد (R^2).

رابعاً – أهمية متغيرات البحث

ان اجابات أفراد العينة والبالغ عددهم (57) فرداً حول محتويات أسئلة الاستبانة والمتعلقة بالمتغير المستقل (التميز)، والمتغير المعتمد (الخدمة السياحية) توضح اتجاهاتهم لكل فقرة من فقرات المتغيرين،

اذ استخدِمتْ الأوساط الحسابية والانحراف المعياري والأهمية النسبية لها، وكالآتي:

1 – التميز

تضمنت استبانة البحث في محورها الخاص بقياس التميز (8) أسئلة، لايجاد مدى توافر مقومات التميز في فندق المنصور (عينة البحث)، ويتضح من الجدول (3) أن قيمة الوسط الحسابي لهذا المتغير بلغت (**2.506**) وهي أكبر من قيمة الوسط الفرضي البالغة (2)، وهذا يعني أن اجابات العينة متجهة نحو الاتفاق وبانحراف معياري (**0.677**)، ما يشير الى مدى تجانس في اجابات عينة البحث بخصوص هذا المتغير، في حين سجلت الأهمية النسبية (**83.542**) وهي نسبة عالية تؤكد اتفاق عينة البحث على معظم فقرات التميز.

الجدول (3) وصف اجابات العينة لفقرات التميز

الفقرات	الأوزان 1	2	3	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
	النسبة المئوية للاجابة ٪					
1	–	26.3	73.7	2.74	0.444	91.233
2	22.8	19.3	57.9	2.35	0.834	78.367
3	7.0	17.5	75.4	2.68	0.602	89.400
4	14.0	22.8	63.2	2.49	0.735	83.067
5	14.0	26.3	59.6	2.46	0.734	81.800
6	12.3	36.8	50.9	2.39	0.701	79.533
7	10.5	31.6	57.9	2.47	0.684	82.467
8	10.5	31.6	57.9	2.47	0.684	82.467
اجمالي التميز				2.506	0.677	83.542

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج التحليل الاحصائي SPSS الاصدار 20

وللمقارنة بين فقرات (التميز) من حيث الأهمية النسبية يلاحظ أن الفقرة (1) حصلت على أعلى مستوى أهمية نسبية بواقع (**91.233**)، تليها الفقرة (3) بواقع (4)، ثم الفقرتين (7 و 8) بأهمية نسبية شكلّت (**82.467**)، ثم سجلت الفقرة (2) أدنى مستوى لها بواقع (**78.367**).

يتبين من خلال قياس مستوى الاهمية والوسط الحسابي والانحراف المعياري للمتغير المستقل (التميز) بأن الحصة الأكبر من الاجابات لعينة البحث كانت للفقرة (1)، وهذا يدل على أهمية (وضع رؤى مستقبلية للظروف التي تحيط بالمنظمة) لتحقيق التميز، وكذلك (منح المكافآت والحوافز للأفراد

العاملين في حالة تقديمهم للأفكار المتميزة) من خلال (استقطاب العاملين ذوي القابليات المعرفية والافكار الابداعية)، ثم (اعتماد المنظمة السياحية على الجودة العالية كأساس لتحقيق التميز)، و(التركيز على برامج التدريب لتحقيق الاداء الأفضل في المنظمة الفندقية) لتطوير أفكار الادارة واستثمارها لتحقيق أهدافها المرسومة.

2- الخدمة السياحية

تضمنت استبانة البحث في محورها الخاص بقياس الخدمة السياحية (7) أسئلة لايجاد مدى توافر مقومات الخدمة السياحية في فندق المنصور (عينة البحث)، ويتضح من الجدول (4) أن قيمة الوسط الحسابي لهذا المتغير بلغت (**2.467**) وهي أكبر من قيمة الوسط الفرضي البالغة (2) وهذا يعني بان اجابات العينة متجه نحو الاتفاق وبانحراف معياري (**0.676**)، والذي يشير الى مدى تجانس في اجابات عينة البحث بخصوص هذا المتغير، في حين سجلت الأهمية النسبية (**82.200**) وهي نسبة عالية تؤكد اتفاق عينة البحث على معظم فقرات الخدمة السياحية.

الجدول (4) وصف إجابات العينة لفقرات الخدمة السياحية في فندق المنصور

الفقرات	الأوزان 1	2	3	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
	النسبة المئوية للاجابة ٪					
1	5.3	36.8	57.9	2.53	0.601	84.200
2	15.8	33.3	50.9	2.35	0.744	78.367
3	19.3	24.6	56.1	2.37	0.794	78.933
4	3.5	15.8	80.7	2.77	0.501	92.400
5	1.8	36.8	61.4	2.60	0.530	86.533
6	19.3	35.1	45.6	2.26	0.768	75.433
7	19.3	22.8	57.9	2.39	0.796	79.533
اجمالي الخدمة السياحية				2.467	0.676	82.200

المصدر: اعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات البرنامج التحليل الاحصائي SPSS الاصدار 20

وللمقارنة بين فقرات(الخدمة السياحية) من حيث الأهمية النسبية يلاحظ أن الفقرة (4) حصلت على أعلى مستوى أهمية نسبية بواقع (92.400)، تليها الفقرة (5) بواقع (86.533)، ثم تليها الفقرة (1) وبواقع (84.200) وسجلت الفقرة (6) ادنى مستوى لها شكلّت (75.433).

يتبين من خلال قياس مستوى الاهمية والوسط الحسابي والانحراف المعياري للمتغير المعتمد (الخدمة السياحية) أن الاهتمام كان حول (سعي المنظمات السياحية لتقديم الخدمات للضيوف بشكل يفوق توقعاتهم ويلبي كل تطلعاتهم)، من خلال (تلبية رغبات الضيوف بتقديم الخدمة السياحية وبأسعار

مناسبة) و(اعادة هندسة الوظيفة وتحليل الهيكل التنظيمي بغية تحقيق أفضل الخدمات السياحية)، ثم (استقطاب العاملين الأكفاء لجعل المنظمة السياحية متميزة على جميع الاصعدة)، وهذا يدل على أن المنظمة الفندقية تحاول تحقيق أهدافها ووجودها واستمرارها بين المنظمات الفندقية.

خامساً : اختبار فرضيات البحث

تم استخدام معامل الارتباط (سبيرمان Spearman) لغرض معرفة العلاقة بين متغيرات البحث واختبار تأثير المتغير المستقل في المتغير المعتمد باستخدام أنموذج الانحدار الخطي البسيط، واستخدام اختبار F (F–test) لمعرفة معنوية تأثير المتغير المستقل في المتغير المعتمد وكذلك تم استخدام معامل التحديد R^2 لمعرفة نسبة تأثير ومساهمة المتغير المستقل في المتغير المعتمد.

1. اختبار فرضيات الارتباط

لاختبار فرضيات العلاقة الارتباطية بين التميز وابعاده مع الخدمة السياحية وابعاده، تم استخدام معامل الارتباط لـ(Spearman)، فاذا كانت قيمة معامل الارتباط محصورة بين (0.50) و (1) الصحيح دلّ ذلك على قوة العلاقة الارتباطية، وظهور العلامة (*) في نتائج برنامج التحليل الاحصائي SPSS ليؤكد معنوية العلاقة الارتباطية بين المتغيرين عند مستوى دلالة (0.05)، وكانت النتائج كالآتي:

وجود علاقة ارتباط طردية ضعيفة ذات دلالة معنوية بين التميز والخدمة السياحية في فندق المنصور، اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (0.427) مما يشير الى وجود العلاقة الارتباطية بين المتغيرين ولكنها ضعيفة.

2. اختبار فرضيات التأثير

تم تطبيق اختبارF (F–test) لمعرفة معنوية التأثير للمتغير المستقل (التميز) في المتغير المعتمد (الخدمة السياحية)، فإذا كانت القيمة الاحتمالية (Sig.) أقل من مستوى المعنوية البالغ (0.05) يدل ذلك على وجود تأثير ذي دلالة معنوية، والعكس صحيح، واذا كانت القيمة المحسوبة أكبر من قيمتها الجدولية الاحتمالية يدل على وجود تأثير ذي دلالة احصائية والعكس صحيح، وكذلك تم استخراج قيمة معامل التحديد R^2)) التي تبين نسبة تفسير(التميز) لمتغير (الخدمة السياحية). ولمعرفة تأثير **متغير** (التميز) في **المتغير** (الخدمة السياحية) تم اجراء الاختبار فكانت النتائج كالآتي:

كانت القيمة الاحتمالية (Sig.) 0.001 وهي أقل من 0.05 أي وجود تأثير ذي دلالة احصائية لمتغير (التميز) في (الخدمة السياحية)، اذ بلغت قيمة F المحتسبة (12.283) وهي أكبر من القيمة الجدولية (4.03*) وهي معنوية هذا يعني قبول الفرضية (يوجد تأثير ذو دلالة احصائية لمتغير (التميز) بـ(الخدمة السياحية)، وبلغت قيمة معامل التحديد (0.183) والتي تشير الى نسبة تأثير ومساهمة (التميز) بـ (الخدمة السياحية).

الجدول (5) نتائج اختبار فرضيات الارتباط و التأثير للتميز في الخدمة السياحية في فندق المنصور

المتغيرات		معامل الارتباط	معامل التحديد R^2	اختبار F			التفسير
المستقل	المعتمد			المحتسبة	الجدولية	القيمة الاحتمالية sig.	
التميز	الخدمة السياحية	0.427	0.183	12.283	4.03*	0.00	توجد علاقة ضعيفة يوجد تأثير

المصدر : عمل الباحثة بالاعتماد على مخرجات برنامج التحليل الاحصائي SPSS الاصدار 20

الاستنتاجات

يخرج كل بحث علمي ببعض النتائج على ضوء اجابات عينة البحث التي تم تقييمها وتحليلها بما يتوافق مع التوجهات العلمية لمشروع البحث، والتي على ضوئها تم الخروج بمجموعة من الاستنتاجات:

1 – توجد علاقة ذات دلالة معنوية ولكن ضعيفة بين التميز والخدمة السياحية في فندق المنصور.

2 – يوجد تأثير ذو دلالة معنوية من قبل التميز على الخدمة السياحية.

3 – يمكن للتميز وضع رؤى مستقبلية للظروف التي تحيط بالمنظمة بصورة أكثر وضوحاً.

4 – تمنح ادارة المنظمات مكافآت وحوافز للافراد العاملين في حالة تقديمهم للافكار المتميزة التي تساعد في تطوير اجراءات العمل.

5 – تستقطب المنظمات العاملين ذوي القابليات المعرفية والافكار الابداعية لتوظيفهم باتجاه تحقيق أهداف المنظمة والتميز في ادارتها.

6 – اعتماد المنظمة السياحية على الجودة العالية يعد أساسا لتحقيق التميز.

7 – ان التركيز على برامج التدريب يحقق الاداء الافضل في المنظمة الفندقية.

8 – تشجيع المنظمة للافكار المتميزة المقدمة من قبل الافراد والعاملين وتوظيفها يمكن ان يميزها عن باقي المنظمات.

9 – سعي المنظمات السياحية لتقديم الخدمات للضيوف وبأسعار مناسبة يمكن أن يلبي رغباتهم .

10 – ان تحليل الهيكل التنظيمي وإعادة هندسة الوظيفة يساعد في تحقيق أفضل الخدمات السياحية.

11 – تحرص ادارة المنظمات على إقامة علاقات واتصالات بين الفرد وزملائه لتحسين نوع الخدمة المقدمة.

تتناسب الديكورات والتصاميم الداخلية للفنادق السياحية مع طبيعة الخدمات المقدمة.

التوصيات

1 – تبنى الافكار الابداعية الجديدة بإعتماد البحوث والاستشارات التي تعمل على رفع مستوى الخدمة المقدمة للضيوف.

2 – ضرورة اهتمام ادارت المنظمات بتبني التميز المنظمي لا سيما في مجال طرح خدمات جديدة او اجراء تحسينات على خدمات قائمة.

3 – الاهتمام بمهارات وخبرات الافراد العاملين في المنظمات من خلال اعداد دورات وبرامج تدريبية عالية المستوى بهدف الارتقاء بالخدمة السياحية والتنافس مع المنظمات الاخرى.

4 – اعتماد سياسة جديدة لتقييم جودة الخدمة السياحية معتمدة على مدى مساهمة المديرين في تعزيز ورفد وتحفيز الافراد العاملين بالمشاركة والتشجيع على التميز.

5 – على الادارات العليا استقطاب العاملين الاكفاء لتقديم خدمات تجعل المنظمة السياحية متميزة على جميع الاصعدة.

المصادر

1 – ابو رحمة، مردان وآخرون. (2001). تسويق الخدمات السياحية. دار البركة للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. عمان.

2 – جاد الرب، سيد. (2013). إدارة الابداع والتميز التنافسي. ط1. مطابع الدار الهندسية. مصر.

3 – السكارنة، بلال خلف، (2011)، الابداع الاداري، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.

4 – السلمي، علي. (1999). المهارات القيادية والادارية للمدير المتفوق. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.

5 – الضمور، هاني حامد. (2002). تسويق الخدمات. الطبعة الاولى. دار وائل للنشر. عمان.

6 – الطائي، حميد عبدالنبي. (2003). مدخل الى السياحة والسفر والطيران. مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان.

7 – المساعد، زكي خليل. (1998). التسويق في المفهوم الشامل. الطبعة الثانية. دار البركة للنشر والتوزيع. عمان.

مقابلة، خالد. (1999). فن الدلالة السياحية. جامعة العلوم التطبيقية. دار وائل للنشر. عمان.

8 – النعيمي، محمد وصويص، راتب. (2008). تحقيق الدقة في ادارة الجودة مفاهيم وممارسات. ط1. دار اليازوري للنشر والتوزيع. عمان.

- الرسائل والاطاريح والمجلات

1 – اوسو، خيري علي. (1996). اثر البنية التنظيمية في مستوى جودة خدمات شركة المدينة السياحية. رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية. قسم السياحة وإدارة الفنادق. بغداد.

2 – بن عبود، علي. (2009). دور تمكين العاملين في تحقيق التميز المؤسسي. دراسة ميدانية على الكليات التقنية في محافظات قطاع غزة. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الازهر. غزة.

3 – الخيرو، قتيبة صبحي احمد. (2001). محددات اختيار وتصميم قنوات توزيع المنتجات واثرها على أداء قنوات التوزيع. رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإدارة والاقتصاد. الجامعة المستنصرية. قسم إدارة الأعمال. بغداد.

4 –الضلاعين، علي. (2010). أثر التمكين الاداري في التميز التنظيمي. دراسة ميدانية في شركة الاتصالات الاردنية. مجلة دراسات في العلوم الادارية – 37.

5 – العديلي، ناصر. (2009). تحديات تحقيق نموذج التميز في اداء الاعمال والخدمات (نسخة الكترونية). جريدة الاقتصادية. العدد (5733).

6 – غازي، علي. (2014). الممارسات التطبيقية لمعيار الموارد والشركات كأحد معايير الممكنات لتحقيق التميز

المؤسسي. مجلة المدير الناجح، سلسلة التميز. 1(3).

7 - الفاعوري، اسماء. (2012). أثر فاعلية انظمة تخطيط موارد المنظمة في تميز الأداء المؤسسي. دراسة تطبيقية في امانة عمان الكبرى. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الشرق الاوسط. الاردن.

8 - النسور، اسماء. (2010). أثر خصائص المنظمة المتعلمة في تحقيق التميز المؤسسي. دراسة تطبيقية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الشرق الاوسط. الاردن.

- **المصادر الاجنبية**

1- Borghini, E.C. (2005). **A Framework for the study of relationships between organizational characteristics innovation*. The Journal of Creative Behavior. 31,(1).

2- Harrington, J. , (2008). The Impossible Dream. Paper For Quality Forum and The Symposium Of The Best Practices Of King Abdulaziz Quality Award. Riyadh King Abdulaziz Quality Award-56.

3- Hatten,s. T.(2006). Small Business Management. Entrepreneurship and Beyond. Third edition.

4- Hughes, A.M. (2003). The customer loyalty solution. What works (and what doesn't) in customer loyalty programs. McGraw-Hill.

5- James B., Jordan & Penny, Paquette. (1997). Technology in Services Scientific American, 257 (6).

ملحق

الجامعة المستنصرية
كلية العلوم السياحية

استبانة

تحية طيبة

بين أيديكم استبانة تتضمن مجموعة أسئلة تخص البحث الموسوم بـ:
(التميز وأثره على الخدمة السياحية)
دراسة تطبيقية في فندق المنصور – بغداد

نشكر تعاونكم بالتأشير في الحقل الذي ترونه مناسباً للأسئلة المطروحة التي سترفد البحث للوصول إلى نتائج دقيقة علمية وعملية تساهم في تطوير القطاع السياحي باعتباره من القطاعات المهمة في الاقتصاد الوطني.

والله الموفق

الباحثة
أ. د. آمال كمال حسن البرزنجي

441هـ / 2019 م

أولا: المعلومات التعريفية

ملاحظة: ضع علامة (√) داخل المربع المناسب

1 – **الجنس:** ذكر أنثى

2 – العمر: اقل من 35 سنة 36–45 سنة

46–55 سنة 56 فأكثر

3 – الحالة الاجتماعية: أعزب متزوج

مطلق أرمل

4 – التحصيل الدراسي: إعدادي دبلوم

بكالوريوس دراسات عليا تذكر

5 – عدد سنوات الخدمة: 1 – 6 1 – 16

21 فأكثر

أولا / المتغير الاول: التميز ب

التميز: انعكاس لافكار الادارة وتطورها واستثمار قدراتها وصولاً لاهدافها المرسومة.

ت	الاسئلة	اتفق	محايد	لا أتفق
1	يمكن للتميز وضع رؤى مستقبلية للظروف التي تحيط بالمنظمة بصورة أكثر وضوحاً.			
2	تشجع المنظمة الافكار المتميزة المقدمة من قبل الافراد والعاملين وتوظيفها في المجال بحيث يميزها عن باقي المنظمات.			
3	تمنح ادارة المنظمات مكافآت وحوافز للافراد العاملين في حالة تقديمهم للافكار المتميزة التي تساعد في تطوير اجراءات العمل.			
4	تستقطب المنظمات العاملين ذوي القابليات المعرفية والافكار الابداعية لتوظيفهم باتجاه تحقيق أهداف المنظمة والتميز في ادارتها.			
5	يمكن لاي منظمة سياحية ان تحقق التميز بالاعتماد على الجودة العالية في تقديم الخدمة بسعر مناسب.			
6	يجب ان تبين المنظمة تميزاً وبراعة في ادارتها.			
7	تعتمد المنظمة السياحية على الجودة العالية كأساس لتحقيق التميز.			
8	تشجع أكبر قدر من الافكار المتميزة والتركيز على برامج التدريب لتحقيق الاداء الافضل في المنظمة الفندقية.			

ثانيا/ المتغير الثاني: الخدمة السياحية

الخدمة السياحية: نشاط غير ملموس يهدف الى اشباع حاجات ورغبات الضيوف.

ت	الاسئلة	اتفق	محايد	لا أتفق
1	تهتم ادارة المنظمة بتحليل الهيكل التنظيمي من حيث الصلاحيات والمرونة وإعادة هندسة الوظيفة بغية تطبيق تحقيق أفضل الخدمات السياحية.			
2	تتناسب الديكورات والتصاميم الداخلية للفنادق السياحية مع طبيعة الخدمات المقدمة.			

3	تحرص ادارة المنظمات على إقامة علاقات واتصالات بين الفرد وزملائه لتحسين نوع الخدمة المقدمة.			
4	تسعى المنظمات السياحية لتقديم الخدمات للضيوف بشكل يفوق توقعاتهم ويلبي كل تطلعاتهم.			
5	تسعى المنظمات لتقديم الخدمة السياحية التي تلبي رغبات واذواق الزبائن وبأسعار مناسبة.			
6	استقطاب العاملين الاكفاء يؤدي الى تقديم خدمات ترقى لجعل المنظمة السياحية متميزة على جميع الاصعدة.			
7	الاسعار المناسبة للخدمة السياحية المقدمة، تجلب أعداد الضيوف واحساسهم بالرضا عما تقدمه المنظمة السياحية.			

2-علاقة توازن سوق العمل بالتكتل الصناعي في العراق
(محافظة كربلاء إنموذجا)

م. م وفاء حسين سيد

وزارة التربية / كلية التربوية المفتوحة

Wafaa Hassain 79@ gmail .com

1 - مشكلة الدراسة :

تتمحور مشكلة الدراسة بوجود تباين مكاني في فرص العمل التي توفرها انشطة القطاع الصناعي المختلفة بين فروع القطاع الصناعي البالغ عددها (13) فرعا داخل اقضية محافظة كربلاء والتي بلغ عددها (3) اقضية، وعليه تتلخص مشكلة هذه الدراسة في توفير اجابات وافية عن الاسئلة التالية:-

1 - هل يوجد تباين في عدد المنشآت الصناعية بين اقضية محافظة كربلاء؟

2 - ما عدد الوظائف والعمالة التي تستخدمها المنشآت الصناعية في محافظة كربلاء؟

3 - هل يوجد تباين في معامل التوطن الصناعي بين اقضية محافظة كربلاء حسب النشاط الصناعي؟

4 - هل يوجد اختلاف في معدل الاهمية الصناعية بين اقضية محافظة كربلاء وفقاً للنشاط الصناعي؟

5 - هل يوجد تباين في الكفاءة التشغيلية للمنشآت الصناعية في منطقة الدراسة حسب النشاط الصناعي؟

6 - هل يوجد تباين في توفير فرص العمل بين اقضية محافظة كربلاء من جهة وفقاً للنشاط الصناعي من جهة أخرى؟

1- فرضية الدراسة:

تحاول الدراسة توفير اجابات وافية عن الاسئلة المطروحة في مشكلة الدراسة من خلال التحقق صحة الفرضية التي تشير الى أن (هناك دورا للتكتل الصناعي في توفير فرص العمل في محافظة كربلاء).وتتمثل في وجود تباين في عدد المنشآت الصناعية وعدد الوظائف والعمالة التي تستخدمها في محافظة كربلاء نتج عنها اختلاف في قيم معامل التكتل الصناعي ومعدل الاهمية الصناعية ما يترتب عليه من اختلاف في القيمة المضافة المتولدة للإنتاج الصناعي والاجور والرواتب المستحقة للعاملين وبالتالي تباين في الكفاءة التشغيلية واختلاف في الفرص الوظيفية التي توفرها انشطة القطاع الصناعي بين اقضية منطقة الدراسة.

2- اهمية الدراسة:

يتميز موضوع الدراسة بأهميته البالغة. من جانب تعد دراسة منطقة الدراسة ذات اهمية كبيرة جدا لما تضمنته من امكانيات اقتصادية وسكانية اذ تتمتع بثقل سكاني. فضلا عما تمتلكه من مقومات اخرى تجعلها منطقة للتوطن الصناعي.

من جانب اخر تبرز اهمية الدراسة من خلال قياس دور التباين المكاني للتوطن الصناعي في توفير الفرص العمل لأبناء محافظة وتقليل نسبة البطالة فيها.

ويؤمل الباحث ان تساهم هذه الدراسة في تفسير مدى التباين المكاني للتكتل الصناعي ووضع الحلول الممكنة التي تساهم في تقليل الفجوة في فرص العمل والوظائف التي يوفرها القطاع الصناعي بين السكان النشيطين اقتصاديا فيها، وكذلك تسعى الدراسة الى ايجاد مبررات للإدارة الاقتصادية والسياسية التنموية المناسبة التي تساهم في توجيه استثمارات قطاع الصناعة في محافظة كربلاء وفي الأقضية الاقل توطن بالشكل الذي يلبي طموح المخططين للحد من معدلات البطالة ومستويات الفقر في هذا المنطقة وكذلك زيادة الاستفادة من موارده البشرية المتعطلة وبالتالي تحسين المستوى المعيشي للسكان في منطقة الدراسة .

3- منهجية الدراسة :

اعتمدت الدراسة اسلوب الاحصاء الوصفي التحليلي، في اجراء المقارنات الكمية لخصائص المنشآت الصناعية في كربلاء ذلك باستخدام بعض الجداول والاشكال البيانية والمؤشرات الاحصائية للكشف عن الحقائق وتفسيراتها المرتبطة بتوزيع المنشآت الصناعية والعاملين ومتوسطات نصيب هؤلاء العاملين من القيم المضافة والأجور في تلك المنشآت الصناعية على محافظات الفرات الاوسط.

ولقياس دور التكتل الصناعي في توفير الفرص العمل في محافظة كربلاء حسب نوع النشاط الاقتصادي للمنشآت الصناعية القائمة في كل منها، تم استخدام معامل التوطن(location quo-tient) في تحديد مدى التكتل الصناعي حسب المعادلة التالية[392].

عدد العاملين في الصناعة ما في المحافظة ÷ عدد العاملين في الصناعة نفسها في الاقليم

عدد العاملين في جميع الصناعات في المحافظة عدد العاملين في جميع الصناعات في الاقليم.

وكما تم قياس معدل الاهمية الصناعية لتحديد اهميتها للعمالة ومساهمتها في توليد القيمة المضافة والراتب والاجور للعاملين في القطاع الصناعي باستخدام طريقة (thompson)حسب المعادلة التالية[393]:-

ع= ع+ر+ق

3

حيث تعني(ص) معدل الاهمية الصناعية و(ع) تعني معامل العمالة و (ر) تعني معامل الرواتب والأجور (الأجور). و(ق) معامل القيمة المضافة ويحسب معامل كل منها على الوجه التالي:

ع= عدد عمال كل صناعة في المحافظة ×100

متوسط عدد عمال جميع الصناعات في المحافظة

ر= قيمة أجور العاملين لكل صناعة في المحافظة ×100

متوسط قيمة أجور العاملين لجميع الصناعات في المحافظة

ق= القيمة المضافة لكل صناعة في المحافظة ×100

متوسط قيمة القيمة المضافة لجميع الصناعات في المحافظة

(392) – حسن عبد القادر صالح، مدخل الى جغرافية الصناعة، ط1،عمان، دار الشروق للنشر،1985،ص146.

(393) – محمود عبدالله الحبيس، تباين معاملات التوطن الصناعي في الاقاليم التنموية بالأردن، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المجلد 41،العدد1،2013،ص174.

وتفيد هذه المقاييس في تحديد اتجاه تأثيرها على مستوى توفر الفرص العمل ومعدلات القيم المضافة والأجور والرواتب في الصناعة على مستوى محافظة كربلاء حسب النشاط الصناعي.

وكذلك قياس التخصص الصناعي، ويتم استخراج التخصص الصناعي باستخدام المعادلة الآتية[394]:

$$CSR=\frac{1}{100}\left(\frac{EIR}{ER}\right)-\left(\frac{EIN}{EN}\right)$$

CSV = معامل التخصص الصناعي، EIR = عدد العاملين في الفرع الصناعي في المحافظة.

ER = عدد العاملين في المحافظة، EIN = عدد العاملين في نفس الفرع الصناعي في المحافظة

EN = مجموع العاملين في المحافظة .

4 - منطقة الدراسة:

تقع محافظة كربلاء في وسط العراق من جهة الغرب والشمال مجاورة للحافة الشرقية للصحراء الغربية متمثلة بمحافظة الأنبار، من الشرق والجنوب مجاورة السهل الرسوبي، اذ يحدها من الشرق محافظة بابل ومن الجنوب محافظة النجف. لاحظ الخارطة (1) فلكياً تقع ما بين دائرتي عرض (9- 32ْ -) شمالا وخطي طول (43-10) و (44-18) شرقا، تتكون المحافظة من ثلاثة أقضية هي كربلاء وعين التمر والهندية 7 نواح لاحظ الخارطة(1) والجدول(1)، يتسم سطح المحافظة بالانبساط مع وجود تكوين تضاريسي هي بحيرة الرزازة، تبلغ مساحة المحافظة (5034)كم2 مشكلة أقل من (1.2%) من مساحة العراق، وقد بلغ عدد سكان المحافظة لسنة 2018 ما مجموعه (1218732) نسمة يعيش (67%) منهم ضمن البيئة الحضرية (33%) ضمن البيئة الريفية[395].

جدول (1)عدد الوحدات الادارية و مساحتها في محافظة كربلاء للعام (2018)

الاقضية	النواحي	عدد النواحي	المساحة (كم٢)
كربلاء	مركز قضاء كربلاء الحسينية، الحر ،	3	2636
الهندية	الجدول الغربي والخيرات	3	366
عين التمر	مركز قضاء عين تمر	1	2558
المجموع		7	5034

المصدر: جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، الجهاز المركزي والتكنولوجية المعلومات، المجموعة الاحصائية السنوية للعام (2018), ص6. جدول (رقم 1/1)

المعايير البيئية للتكتلات الصناعية:

يعرف توازن سوق العمل بالعديد من التعريفات إلا أن الباحثة ذهبت مع التعريف الذي يقصد به

(394) – سلام فاضل على، التباين المكاني للاستقطاب الصناعي ضمن محوري الكرمة وخان بني سعد، أطروحة دكتوراه، (غير منشوره) كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، 2012.ص242.

(395) – جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، الجهاز المركزي والتكنولوجية المعلومات، المجموعة الاحصائية السنوية للعام (2018), ص6

سوق تشغيل الأيدي العاملة حيث يعرف بأنه:» حجم العمالة خاصة النشط منها والتي تزداد بازدياد معدل النمو السكاني أخذ بالحسبان(الجنس والعمر) لهذه الفئة».

هناك معايير بينية يجب أخذها بنظر الحسبان عند أقامه التكتلات الصناعية وهي كآلاتي:

1 – الابتعاد قدر الإمكان عن المجمعات السكنية الحالية والمخطط إقامتها مستقبلاً.

2 – التخلص من الآثار البيئية الناجمة عن نقل الرياح لمخلفات التكتلات الصناعية بأتجاه المجمعات السكنية.

3 – أخذ بعد أو قرب التكتلات الصناعية من الطرق الرئيسة لمحطات توليدات الطاقة الكهربائية ومراكز الإطفاء بالحسبان.

4 – توفير شبكات الصرف مجاري خاصة لمحلقات المصانع والمعامل أي تكون منفصلة عن شبكات مجاري الانهار.

اولاً:– واقع القطاع الصناعي في محافظة كربلاء:–

1–1 المعايير والمؤشرات الصناعية في محافظة كربلاء [396] 2018:–

1 – عدد المنشآت:– بلغ عدد المنشآت الصناعية العاملة في محافظة كربلاء (3636) منشأة صناعية توزعت من حيث الحجم على (23) منشأة صناعية كبيرة و(5) منشأة صناعية متوسطة فيما بلغ عدد المنشآت الصناعية الصغيرة (3608).

2 – عدد العاملين:– اما العاملون في محافظة كربلاء فقد بلغ عددهم (12632) عاملاً، استحوذت المنشآت الصناعي الصغيرة فيها على (11007) عاملا، فيما توزع باقي عدد العاملين فيها بين المنشآت الصناعات الكبيرة والمتوسطة بواقع (1573) ,(52) عاملاً على التوالي.

3 – الاجور ومزايا:– بالنسبة لأجور العاملين في محافظة كربلاء فقد بلغت (67598442)م دفعت بواقع (9753740)م للعاملين في المنشآت الصناعية الكبيرة في حين بلغت حصته العاملين في المنشآت الصناعي الصناعية المتوسطة الصغيرة بواقع (98000)و(62927635) مليون دينار عراقي على التوالي.

4 – قيمة المستلزمات:– بلغت قيمة الإنتاج الإجمالي في محافظات الفرات الاوسط (64382718) مليون دينار عراقي توزعت على القطاع الصناع ب(60507960) مليون دينار عراقي في المنشآت الصناعية الكبيرة و(727335) مليون دينار عراقي في المنشآت الصناعية المتوسطة في حين بلغت قيمة الإنتاج في المنشآت الصناعية الصغيرة (185180174) مليون دينار عراقي.

5 – قيمة الانتاج:– اما بالنسبة لقيمة مستلزمات الإنتاج لقطاع الصناعي في محافظة كربلاء فقد بلغت فيها ما مقداره (557175318) مليون دينار توزعت على المنشآت الصناعية بواقع (107135734) مليون دينار عراقي الى المنشآت الصناعية الكبيرة و(12372040) مليون دينار الى المنشآت الصناعية المتوسطة (185180174) مليون دينار للمنشآت الصناعية الصغيرة.

6 – القيمة المضافة:– بلغت القيمة المضافة ما مقداره (310800187) مليون دينار في محافظة كربلاء توزعت ما بين المنشآت الصناعية داخل المحافظة بواقع (46627774) مليون دينار عراقي الى المنشآت الصناعية الكبيرة و(550207) مليون دينار إلى المنشآت الصناعية المتوسطة

(396) وزارة التخطيط و التعاون الإنمائي, مديرية الإحصاء الصناعي , بيانات غير منشورة, 2018.

(263622206) مليون دينار للمنشآت الصناعية الصغيرة .

2-1 بنية القطاع الصناعي في محافظة كربلاء 2018:-

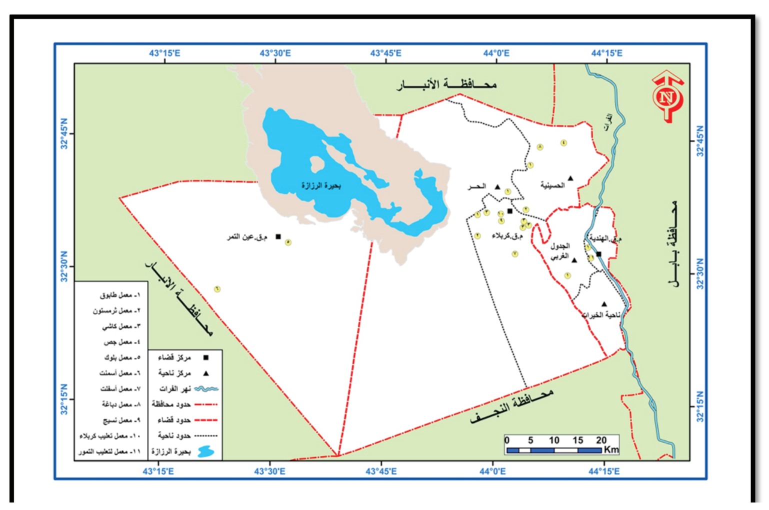
بلغ عدد المنشآت الصناعية في محافظة كربلاء (3656) منشأة تشكل ما نسبته (34%)من مجموع المنشآت الصناعية في محافظات الفرات الاوسط، توزعت بواقع (23) منشاة صناعية كبيرة و(5) منشاة صناعية متوسطة و(3628) منشاة صناعية صغيرة يشتغل فيها (13687) عاملا يشكلون ما نسبته (24%) من مجموع العاملين في المنشآت الصناعية في محافظات الفرات الاوسط متوزعين على المنشآت الصناعية الكبيرة والمتوسطة والصغيرة بواقع (1573، 52،12062) على التوالي.

اما من حيث البنية الصناعية فيشير الجدول(3) الى توزيع الصناعات في محافظة كربلاء على (13) قطاع صناعي وهي(صناعات المنتجات الغذائية صناعة المشروبات، الصناعات المعدنية، صناعة منتجات المطاط واللدائن، صناعات المنسوجات، صناعة المواد والمنتجات الكيمياوية، صناعة الفلزات القاعدية، الصناعات الورقية والطباعة، صناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى، صناعة الملابس الجاهزة، الصناعات الخشبية، صناعة الأثاث ومنتجاتها، التعدين واستخراج المحاجر) من مجموع القطاعات الصناعية في محافظات الفرات الاوسط والبالغة (19) قطاع صناعي .

جاء قطاع الصناعات الغذائية بالمرتبة الاولى بعدد المنشآت والعاملين فيها وبنسبة (34،%) (48،5%) من إجمالي عدد الصناعات والعاملين في المحافظة، وفي المرتبة الثانية جاء قطاع الصناعات المعدنية وبنسبة (28%)،(16%) بعدد المنشآت والعاملين فيها على التوالي. أما المرتبة الثالثة فقد تصدرها قطاع صناعة الاثاث ومنتجاتها وبنسبة (22%) للمصانع و(14%) العاملين فيها. في حين جاء قطاع منتجات المعادن اللافلزية الاخرى بالمرتبة الرابعة بعدد المصانع بنسبة(6%) والعاملين في هذا القطاع بنسبة(14%). وهذا يعني ان مجموع مصانع وعاملين هذه القطاعات الرابعة، شكلا اكثر من 90 بالمئة من مجموع القطاعات الصناعية في المحافظة، والبالغ مجموع نسبهم (90،5%)و(92،5%) على التوالي. يلي هذه القطاعات في المرتبة الخامسة قطاع الملابس الجاهزة وبنسب بلغت (6%) بعدد المصانع و (2%) بعدد العاملين فيها. اما بالنسبة للمراتب من السادسة وحتى الثالثة عشرة فقد احتلتها كل من الصناعات الورقية والطباعة و الصناعات الخشبية، صناعات المنسوجات، صناعة منتجات المطاط واللدائن، صناعة الفلزات القاعدية، صناعة المواد والمنتجات الكيمياوية، التعدين واستخراج المحاجر، وبنسب مختلفة. لاحظ الجدول (3).



خريطة (1) أهم الصناعات والمصانع في محافظة كربلاء



المصدر:- من عمل الباحثة بالاعتماد على الهيئة العامة للمساحة، خرائط المحافظات الادارية، مقياس 1: 500000، لسنة1998

جدول (2) توزيع المنشآت الصناعية والعاملين في الصناعة على اقضية محافظة كربلاء

الوحدات الادارية	عدد المنشآت	عدد العاملين	الاجور والمزايا	قيمة المستلزمات	قيمة الانتاج	القيمة المضافة
قضاء كربلاء	2401	8718	45065628	175180174	428802384	253622210
قضاء عين التمر	55	1082	15021876	727335	12372040	11644705
قضاء الهندية	1200	3887	30043752	70507960	127135730	56627770
محافظة كربلاء	3656	13687	67598442	246415469	557175318	310800187

المصدر:-من عمل البحث بالاعتماد على وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء، مديريه الإحصاء الصناعي، إحصاءات المنشآت الصناعية في محافظة كربلاء، لسنة 2018.

جدول (3) عدد المصانع والعاملين في الصناعات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة حسب النشاط الصناعي في محافظة كربلاء

	الصناعات الكبيرة		الصناعات المتوسطة		الصناعات الصغيرة		المجموع الكلي	
الفروع الصناعية	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المصانع	عدد العمال
صناعات المنتجات الغذائية	12	294	1	12	1248	6344	1261	6650
صناعة المشروبات	1	291	–	–	–	–	1	291
الصناعات المعدنية	–	–	–	–	1013	2142	1013	2142
صناعة منتجات المطاط واللدائن	1	37	–	–	5	17	6	54
صناعات المنسوجات	–	–	–	–	38	49	38	49
صناعة المواد والمنتجات الكيمياوية	–	–	–	–	1	2	1	2
صناعة الفلزات القاعدية	–	–	–	–	6	12	6	12
الصناعات الورقية والطباعة	1	133	–	–	40	109	41	242
صناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى	7	674	4	40	213	1148	224	1862
صناعة الملابس الجاهزة	–	–	–	–	224	303	224	303
صناعات الخشبية	–	–	–	–	23	54	23	54
صناعة الأثاث ومنتجاتها	–	–	–	–	817	1882	817	1882
التعدين واستخراج المحاجر	1	144	–	–	–	–	1	144
المجموع	23	1573	5	52	3628	12062	3656	13687

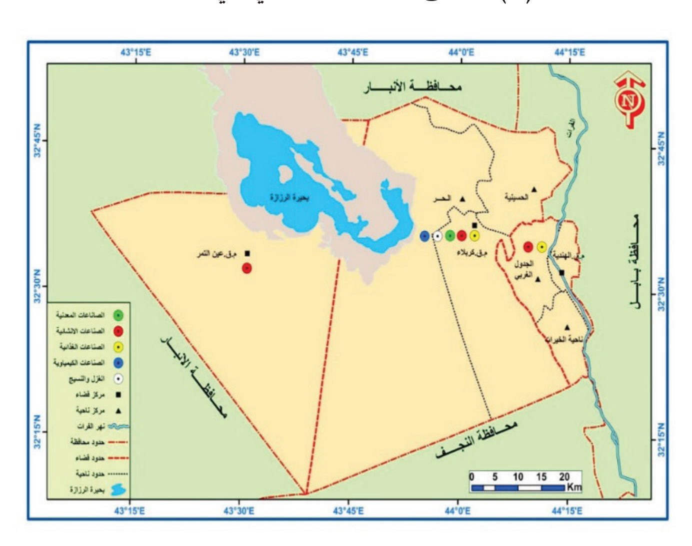
المصدر :- من عمل الباحثة بالاعتماد على وزارة التخطيط و التعاون الإنمائي, مديرية الإحصاء الصناعي، بيانات غير منشورة،2018.

1-3 التوزيع الجغرافي للصناعات في محافظة كربلاء:

من الخارطة (2) والجدول(2) تبين ما يأتي :

قضاء كربلاء يستحوذ على خمسة فروع صناعية هي (الغذائية، الانشائية، المعدنية، النسيجية والكيمياوية). أي إن جميع انواع الصناعات متوطنة (متركزة) في الحدود الادارية للقضاء، وهو يأتي في المرتبة الاولى بمعايير عدد الصناعات وعدد العاملين من بين اقضية المحافظة الثلاثة كما يشير الى ذلك الجدول (3)، يوجد في قضاء الهندية فرعان للصناعة هما الصناعات الغذائية والانشائية ويأتي في المرتبة الثانية. بينما يحتل قضاء عين التمر المرتبة الثالثة من حيث التركز الصناعي، اذ يوجد فرع واحد فقط من الصناعات وهي الانشائية. ان هذا التباين الكبير بين مستويات التركز الصناعي بين الاقضية الثلاثة بحاجة الى اعادة نظر في توجيه الاستثمارات الصناعية، وضرورة احداث نوع من الموازنة في التنمية المكانية بين اجزاء الاقليم والحد من التركز الصناعي الكبير في قضاء كربلاء.

الخريطة (2) مناطق التركز الصناعي في محافظة كربلاء



المصدر:- من عمل الباحثة بالاعتماد على هيئة العامة للمساحة، خرائط المحافظات الادارية، مقياس 1: 500000، لسنة1998.

ثانياً- تحليل الكفاءة الموقعيه للقطاع الصناعي حسب الانشطة في محافظة كربلاء:-

1-1 تحليل الكفاءة الموقع الصناعي لفروع الصناعة التحويلية في محافظه كربلاء في اطار نتائج معامل التوقيع (التوطن)الصناعي لعام 2018:-

من ملاحظة نتائج المعادلات في الجدول (4)أعلاه نجد ان الصناعات التي تزيد قيمتها على (1) تنحصر في (7) صناعات من بين (13) صناعة في المحافظة، وبلغ مجموع قيم التوطن لتلك الصناعات (20.5) بنسبة (91%) من مجمل الصناعات في محافظة كربلاء وتشمل(والتعدين واستخراج المحاجر والصناعات الخشبية والصناعات الغذائية والصناعات المعدنية وصناعات الاثاث ومنتجاتها وصناعة المشروبات والصناعات الورقية)

تصدر فرع التعدين واستخراج المحاجر الترتيب مسجلا أعلى درجة لمعامل التوقيع الصناعي لنشاط صناعي في محافظة كربلاء وهو(10)، تلته صناعات المنتجات الغذائية في الترتيب الثاني ب(2.4) وهذا يعني أن صناعات المنتجات الغذائية أيضا ذات توطن عال جداً في المحافظة , وجاء فرع صناعة المشروبات بالمرتبة الثالثة حيث سجل معامل الموقع لهذا الفرع الصناعي (2) وهو بذلك يعتبر ذا توطن عال. وجاءت الصناعات الورقية بالمرتبة الرابعة بـ (1.9) ثم جاءت تباعاً فروع الصناعات التحويلية الأخرى .

الجدول(4) معامل التوطن والتخصص والتركز الصناعي للمنشآت الصناعية في محافظة كربلاء بحسب النشاط الصناعي لعام 2018

الفروع الصناعية	التوطن الصناعي	التخصص الصناعي	التركز الصناعي
صناعات المنتجات الغذائية	2.4	0.28	0.2
صناعة المشروبات	2	0.1	0.004
الصناعات المعدنية	1.2	0.03	0.02
صناعة منتجات المطاط واللدائن	0.1	-0.02	-0.037
صناعات المنسوجات	0.06	-0.04	-0.031
الصناعات الخشبية	1.5	-0.007	0
صناعة المواد والمنتجات الكيمياوية	0.002	0.001	0.017
صناعة الفلزات القاعدية	0.03	-0.04	0.055
الصناعات الورقية والطباعة	1.9	-0.02	0.012
صناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى	0.9	0.008	-0.10
صناعة الملابس الجاهزة	0.8	-0.007	0.012
صناعة الأثاث ومنتجاتها	1.7	0.05	0.06
التعدين واستخراج المحاجر	10	0.009	0.008

المصدر:- من عمل الباحث بالاعتماد على 1معادلة معامل التوقيع (التوطن) الصناعي 2-معادلة التخصص الصناعي 3-معادلة قرينة التركز الصناعي، 4- وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديريه الإحصاء الصناعي، إحصاءات المنشآت الصناعية في محافظة كربلاء، لسنة 2018.

1-2 تحليل واقع مدى التخصص لفروع الصناعة التحويلية في محافظة كربلاء باستخدام معامل التخصص لعام 2018

يتضح من النتائج والمؤشرات أعلاه الجدول(4) أن الصناعات الغذائية في محافظة كربلاء متخصصة تخصصاً تاماً ويوجد في الوقت نفسه فرعان صناعيان هما صناعة المشروبات وصناعة الأثاث ومنتجاتهما تشغلان نسبياً درجة من التخصص الصناعي مقارنة بالفروع الصناعية الأخرى في المحافظة إذ بلغت درجة التخصص لهم (0.1، 0.05) على التوالي

2-3 تحليل التركز الصناعي في محافظة كربلاء باستخدام قرينه التمركز لعام 2018.

يتضح من النتائج والمؤشرات أعلاه الجدول(4) أن الصناعات الغذائية في محافظة كربلاء اكثر الصناعات تركزاً، ويوجد في الوقت نفسه فرعان صناعيان هما صناعة الأثاث ومنتجاتها وصناعات المعدنية تشغلان نسبياً درجة من التركز الصناعي مقارنة بالفروع الصناعية الأخرى في المحافظة إذ بلغت درجة التخصص لهم (0.06،0.02) على التوالي .

ثالثاً- معاملات التوطن الصناعي ودورها في الكفاءة التشغيلية للأنشطة الصناعية في محافظة كربلاء:-

1-3 معاملات توطن المنشآت الصناعية:-

1-1-3 معامل العمالة :- ان تباين توزيع العاملين ُفي الانشطة الصناعية في محافظة كربلاء قد ارتبط بتوطن الصناعات وبما تتمتع به الانشطة الصناعية من امكانية في تشغيل الايدي العاملة. ويبين جدول(6) المعامل النسبي للعمالة في الانشطة الصناعية في محافظة كربلاء.

فقد بلغ مجموع معامل العمالة للمنشآت الصناعية (23%) من المجموع الكلي في محافظات الفرات الاوسط، حيث شكل معامل العمالة في صناعات المنتجات الغذائية (47%) يليها كل من الصناعات المعدنية وصناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى وصناعة الأثاث ومنتجاتها بنسبة (14%) لكل منها.

2-1-3 معامل القيمة المضافة :- هناك علاقة عكسية بين نسبة العاطلين الى إجمالي السكان ومعدل التغير في أجر العمل خلال مدة زمنية معينة. اذ انه كلما زادت إنتاجية الفرد زادت القيمة المضافة وازداد مستوى الأجر الحقيقي الذي يحصل عليه الفرد وبالعكس. ومفهوم الإنتاجية له علاقة مع نوع العمل، إذ ان من المعلوم ان نسبة الإنتاجية يمكن ان تحقق أعلى نسبة من القيمة المضافة على العكس فيما يخص القطاعات الاقتصادية الأخرى والتي تولد نسبا منخفضة من القيمة المضافة وتنعكس بالتالي على المستوى الإنتاجية مما يسبب انخفاضا في مستوى الدخل الحقيقي وبالتالي ترك العمل للحصول على وظيفة بأجر أعلى أو البحث عن عمل إضافي.

يبين الجدول(6) معامل القيمة المضافة في المنشآت الصناعية بحسب الانشطة الصناعية في محافظة كربلاء. بلغ هذا المعامل في محافظة كربلاء22% وكانت ايضا صناعات المنتجات الغذائية تحتل اعلى قيمة مضافة في المحافظة.

3-1-3معامل الاجور والمزايا العاملين :- من العوامل الأخرى التي لها علاقة بمستوى توفير فرص العمل وازدياد البطالة هو حجم الدخل المتولد للأفراد إذ ان الدخل الذي يحصل عليه الأفراد يرتبط بمستوى المعيشة السائد وعند عدم توافق الدخل مع الاحتياجات الفعلية للفرد فإنه من الطبيعي أن يقوم بالبحث عن وظيفة أخرى أو إضافية للحصول على الدخل المطلوب .وهذه العملية ستؤدي الى حدوث

نوع من البطالة (البطالة الاحتكاكية)نتيجة عدم تطابق حجم الدخل مع مستوى المعيشة السائد. ويبين الجدول(6) معامل الاجور والرواتب العاملين في المنشآت الصناعية بحسب محافظات الفرات الاوسط.

في محافظة كربلاء بلغ معامل الاجور والرواتب (10%) من مجموع الاجور والرواتب العاملين في محافظات الفرات الاوسط، اما داخل المحافظة فقد جاء معامل الاجور والرواتب للعاملين بنشاط صناعات المنتجات الغذائية بالمرتبة الاولى بنسبة (46.4)،يليها في المرتبة الثانية معامل الاجور والرواتب في صناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى بنسبة بلغت (18.3)، ليشكل معامل الاجور والرواتب للعاملين بهذه الصناعتين حوالي ثلثين مجموع الاجور والراتب في المحافظة بنسبة بلغت(64.7).

ثم جاء بعدها كل من انشطة الصناعات المعدنية صناعة الأثاث ومنتجاتها صناعة المشروبات الصناعات الورقية والطباعة التعدين واستخراج المحاجر بنسبة (15.3، 11.3، 2.8، 2.2، 1.88) في حين جاءت باقي الانشطة بمعامل اجور ورواتب اقل من 1 كما في جدول (6).

جدول(6) تحليل الموقع الصناعي لفروع الصناعة التحويلية في محافظة كربلاء في اطار معاملات التوطن الصناعي 2018

الفروع الصناعية	معامل العمالة	معامل الاجور	القيمة المضافة	الاهمية الصناعية
صناعات المنتجات الغذائية	3.3	46.4	49.3	33
صناعة المشروبات	0.14	2.8	0.72	1.2
الصناعات المعدنية	1	15.3	20.3	12.2
صناعة منتجات المطاط واللدائن	0.02	0.2	0.81	0.14
صناعات المنسوجات	0.02	0.13	0.24	0.13
الصناعات الخشبية	0.02	0.15	0.33	0.16
صناعة المواد والمنتجات الكيمياوية	0.001	0.03	0.03	0.02
صناعة الفلزات القاعدية	0.006	0.05	0.15	0.06
الصناعات الورقية والطباعة	0.12	2.2	4.9	2.4
صناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى	1	18.3	5.2	8
صناعة الملابس الجاهزة	0.15	0.86	1.6	0.87
صناعة الأثاث ومنتجاتها	1	11.3	16	9.4
التعدين واستخراج المحاجر	0.07	1.88	0.11	0.68
المجموع	7	100	100	68.2
% من محافظات الفرات الاوسط	23%	10%	22%	22%

المصدر:- من عمل الباحث بالاعتماد على:

1 – معادلة معامل العمالة، معامل الاجور والمزايا،القيمة المضافة، الاهمية الصناعية.

2 – وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية الإحصاء الصناعي، إحصاء المنشآت الصناعية، محافظات الفرات الاوسط، بيانات غير منشورة،2018.

4 – 1 – 1 معدل الاهمية الصناعية للفروع والانشطة الصناعية في محافظة كربلاء:–

تم تقدير معدل الاهمية الصناعية في منطقة الدراسة باستخدام المعادلة (2) في المذكورة في منهجية الدراسة وذلك بتحديد الاهمية النسبية لكل من معاملات العمالة والقيمة المضافة وأجور العاملين والتي تم احتساب قيم معاملاتها في اعلاه حسب الانشطة الاقتصادية لمنشآت القطاع الصناعي في محافظة كربلاء. ويبين الجدول (6) توزيع معدلات الاهمية الصناعية حسب الانشطة الصناعية بأن اعلى معدل للأهمية الصناعية في محافظة كربلاء كان في صناعات المنتجات الغذائية بنسبة (33%) وتركزت معظمها في اقضية كربلاء والهندية بنسب بلغت (64،31)% على التوالي، فيما جاءت الصناعات المعدنية في المرتبة الثانية بنسبة (12.2%) وتركزت في قضاء كربلاء بنسبة(60%) وقضاء الهندية بنسبة(21%) وقضاء عين التمر بنسبة (14.8%)، في حين جاءت صناعة الأثاث ومنتجاتها في المرتبة الثالثة بنسبة (9.2%) وتركز معظمها في قضاء كربلاء. اما صناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى فقد جاءت في المرتبة الرابعة حيث تشكل ما نسبته (8%) وتركزت في قضاء عين التمر، وسجلت الصناعات الورقية والطباعة الترتيب الخامس في الاهمية الصناعية على مستوى اقضية محافظة كربلاء بنسبة بلغت (2.4%) وتركزت في قضاء كربلاء بنسبة بلغت (87%) داخل المحافظة تلتها صناعة المشروبات بالمرتبة السادسة بنسبة بلغت (1.2%)، وتركزت الاهمية الصناعية في باقي الصناعات بنسب متقاربة كان في معظمها في قضاءي كربلاء والهندية لاحظ الجدول(6).

2–3 الكفاءة التشغيلية للأنشطة الصناعية في محافظة كربلاء :–

من الجدول(7) نستنتج ما يأتي: جاءت الصناعات الغذائية بموقع متقدم وبنسبة(25.3)%من درجات المفاضلة الكلي في محافظة كربلاء تلتها الصناعات المعدنية بالمرتبة الثانية وبنسبة (9.6)% مما يعطي عمليات تنميتها اهمية كبيرة في توفير فرص العمل في المستقبل.

في حين ارتقت درجة صناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى الى المرتبة الثالثة في تحقيق الكفاءة التشغيلية داخل المحافظة مما يجعلها مؤهلا لتحقيق التنمية الاجتماعية في تشغيل القوى العاملة .

قد حققت كل من صناعة الأثاث ومنتجاتها صناعة المواد والمنتجات الكيمياوية صناعة المشروبات وصناعة التعدين واستخراج المحاجر والصناعات الورقية والطباعة درجات مفاضلة بلغت نسبتها (6،4.8،3.7،3.2،2.7)% على الترتيب الا انها تمثل نسبا ضئيلة، مما انعكس على انخفاض الكفاءة التشغيلية لتلك الصناعات.

وحصلت باقي الصناعات على مراتب متدنية في درجات المفاضلة في المحافظة ويعزى هذا التدني الى ما تعرضت له هذه الصناعات من تراجع في اعدادها بسب ضعف قدرتها على منافسة السلع الخارجية الرخيصة.

جدول (7) الكفاءة التشغيلية للأنشطة الصناعية في محافظة كربلاء لعام 2018

العمال		الاجور والرواتب		معدل اجر العامل		المجموع		
الفروع الصناعية	عدد	%	الف دينار	%	الف دينار	%	نقاط المفاضلة	%
صناعات المنتجات الغذائية	6650	48	31396808	46.4	4721	7.1	101.5	25.3
صناعة المشروبات	291	2	1949364	2.8	6698	10	14.8	3.7
الصناعات المعدنية	2142	16	10380211	15.3	4846	7.3	38.6	9.6
صناعة منتجات المطاط واللدائن	54	0.3	159266	0.23	2949	4.5	5	1.2
صناعات المنسوجات	49	0.4	88236	0.13	1800	2.7	3	0.8
صناعة المواد والمنتجات الكيمياوية	2	0.01	25050	0.03	12525	18.9	19	4.8
صناعة الفلزات القاعدية	12	0.08	35622	0.5	2968	4.5	5	1.2
الصناعات الورقية والطباعة	242	1.8	1525720	2.2	6304	9.5	13.5	2.7
صناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى	1862	13.2	12421997	18.3	6671	10	41.5	8.3
صناعة الملابس الجاهزة	303	2	582176	0.86	1921	2.9	5.8	1.1
صناعات الخشبية	54	0.4	107686	0.15	1994	3	3.5	0.7
صناعة الأثاث ومنتجاتها	1882	14	7652022	11.3	4065	6	31.3	6
التعدين واستخراج المحاجر	144	1	1274284	1.88	8849	13.3	16	3.2
المجموع	13687	100	67598442	100	66311	100	400	100

المصدر:- من عمل الباحث بالاعتماد على:

1 – معادلة اجر العامل .

2 – وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية الإحصاء الصناعي، إحصاء المنشآت الصناعية محافظات الفرات الاوسط، بيانات غير منشورة،2018.

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات:–

1. بلغ عدد المنشآت الصناعية العاملة في محافظة كربلاء (3636) منشاة صناعية توزعت من حيث الحجم على (23) منشاة صناعية كبيرة و(5) منشآت صناعية متوسطة فيما بلغ عدد المنشآت الصناعية الصغيرة (3608). اما عدد العاملين في محافظة كربلاء فقد بلغ عددهم (12632) عاملاً، واستحوذت المنشآت الصناعية الصغيرة فيها على (11007) عاملا، فيما توزع باقي عدد العاملين فيها بين المنشآت الصناعات الكبيرة والمتوسطة بواقع (1573) ,(52) عاملاً على التوالي.
2. وجود تباين في عدد المنشآت الصناعية والعاملين فيها بين اقضية محافظة كربلاء اذ ان (68%) من المنشآت تتركز في مركز قضاء كربلاء (30%)في قضاء الهندية و(2%) في قضاء عين التمر.
3. جاء قطاع الصناعات الغذائية بالمرتبة الاولى بعدد المنشآت والعاملين فيها وبنسبة (34،%) (48،5%) من إجمالي عدد الصناعات والعاملين في المحافظة، وفي المرتبة الثانية جاء قطاع الصناعات المعدنية وبنسبة (28%)،(16%) بعدد المنشآت والعاملين فيها على التوالي.
4. تصدر فرع التعدين واستخراج المحاجر الترتيب مسجلا أعلى درجة لمعامل التوقيع الصناعي لنشاط صناعي في محافظة كربلاء وهو(10) تلتها صناعات المنتجات الغذائية في الترتيب الثاني ب(2.4) وهذا يعني أن صناعات المنتجات الغذائية أيضا ذات توطن عال جداً في المحافظة.
5. اتضح من النتائج أن الصناعات الغذائية في محافظة كربلاء متخصصة تخصصاً تاماً واكثر الصناعات تركزاً، فضلا عن أن محافظة كربلاء تتمتع بدرجة تنوع صناعي جيدة نسبياً قدرها (0.71) مما يشير إلى وجود تنوع في البنية الصناعية .
6. بلغ مجموع معامل العمالة للمنشآت الصناعية (23%)، حيث شكل معامل العمالة في صناعات المنتجات الغذائية (47%) يليها كل من الصناعات المعدنية وصناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى وصناعة الأثاث ومنتجاتها بنسبة (14%) لكل منها.
7. في محافظة كربلاء بلغ معامل الاجور والرواتب (10%) من مجموع الاجور والرواتب العاملين في محافظات الفرات الاوسط، اما داخل المحافظة فقد جاء معامل الاجور والرواتب للعاملين بنشاط صناعات المنتجات الغذائية بالمرتبة الاولى بنسبة (46.4)،يليها في المرتبة الثانية معامل الاجور والرواتب في صناعة منتجات المعادن اللافلزية الاخرى بنسبة بلغت (18.3).
8. بلغ معامل القيمة المضافة في المنشآت الصناعية بحسب الانشطة الصناعية في محافظة كربلاء 22% وكانت ايضا صناعات المنتجات الغذائية تحتل اعلى قيمة مضافة في المحافظة.
9. توزيع معدلات الاهمية الصناعية حسب الانشطة الصناعية بأن اعلى معدل للأهمية الصناعية في محافظة كربلاء كان في صناعات المنتجات الغذائية بنسبة (33%) وتركزت معظمها في

اقضية كربلاء والهندية بنسب بلغت (64،31)% على التوالي.

10. جاءت الصناعات الغذائية بموقع متقدم وبنسبة(25.3)%من درجات المفاضلة الكلي في محافظة كربلاء تلتها الصناعات المعدنية بالمرتبة الثانية وبنسبة (9.6)% مما يعطي عمليات تنميتها اهمية كبيرة في توفير فرص العمل في المستقبل.

التوصيات:-

بغية الوصول الى كفاءة تشغيلية عالية للأنشطة الصناعية في محافظة كربلاء تنعكس بدورها على توفير فرص العمل توصي الدراسة بما يأتي.

1 - تحقيق الترابط الصناعي بين محافظة كربلاء وبقية محافظات البلاد ولاسيما محافظات الفرات الاوسط بما يعزز من اتجاهات التوطن الصناعي في منطقة الدراسة.

2 - تنويع الانشطة الاقتصادية الصناعية ذات الطاقة الانتاجية واستقطاب الاستثمارات الصناعية المحلية والاقليمية من اجل تشغيل الايدي العاملة.

3 - تقديم الدعم المالي والتسهيلات التمويلية والتشريعي وتوجيه السياسات الاستثمارية في القطاع الصناعي في محافظة كربلاء ولاسيما في قضاءي الهندية وعين التمر بما يتلاءم مع التوزيع الجغرافي للمقومات الجغرافية المتاحة للتوطن الصناعي.

4 - العمل على تطوير خدمات البنية التحتية المجتمعية والصناعية مثل الخزن والنقل بأنواعه المختلفة .

5 - اضافة خطوط انتاجية جديدة في المنشآت الصناعية ذات التوطن الصناعي العالي لزيادة الانتاج وارتفاع القيمة المضافة لخلق فرص عمل وتشغيلية جديده لتخفيف البطالة.

6 - تبني نمط للتوطن الصناعي يناسب الظروف والامكانات بالاستناد الى بناء المجمعات والمدن الصناعية المتكاملة

المصادر

1 - حسن عبد القادر صالح، مدخل الى جغرافية الصناعة، ط1،عمان، دار الشروق للنشر،1985.

2 - محمود عبدالله الحبيس، تباين معاملات التوطن الصناعي في الاقاليم التنموية بالأردن، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المجلد 41،العدد1،2013.

3 - سلام فاضل على، التباين المكاني للاستقطاب الصناعي ضمن محوري الكرمة وخان بني سعد، أطروحة دكتوراه، (غير منشوره) كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، 2012.

4 - محمد ازهر السماك، عباس علي التميمي، اسس جغرافية الصناعة وتطبيقاتها، الموصل، دار الكتب،1987 .

5 - جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، الجهاز المركزي والتكنولوجية المعلومات، المجموعة الاحصائية السنوية للعام (2018).

6 - حسام صاحب حسون ال طعمة، تشخيص التباين المكاني لعنصر التنمية الاقليمية، رسالة ماجستير مقدمة مركز التخطيط الحضري والاقليمي، غير منشورة، 1988.

7 - قاسم محمود شاكر، الصناعة في كربلاء، دراسة في جغرافية الصناعة، اطروحة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1989، غير منشورة، ص 31.

8 - وزارة التخطيط و التعاون الإنمائي, مديرية الإحصاء الصناعي , بيانات غير منشورة, 2018.

3 – المرأة العامل الاقتصادي الفاعل في المجتمع{رؤية استراتيجية}

بقلم: م.د فاطمة مصحب لفته

وم.م وفاء إبراهيم عسكر

العراق / جامعة واسط، كلية الإدارة والاقتصاد

sss83hm@gmail.com

Abstract

Women are the active economic factor in society Strategic vision

Women surrounded the community without being surrounded And I realized without realizing it

Despite efforts to support Arab women in their active economic role in society But it still highlights many of the challenges and constraints that prevent it from playing its role effectively Arab women's participation in the labor market is low Their participation in this market does not in any way reflect any degree of economic empowerment

In addition، it suffers from burdens on the quality of life and efficiency in work. There is a difference between the question of women's participation in the labor market, their confusion in their disposition of income and the question of their financial independence.

The research attempts to address the possibility of maximizing the economic role of Arab women in society By encouraging women to work in new fields

With the choice and freedom open among the alternatives in the labor market.

المقدمة

باعتبار ان المرأة تشكل نصف سكان الدول العربية تقريباً الا ان مساهمتها في اسواق العمل لا تزال اقل بكثير من المستوى الممكن. وهو ما ينطوي على عواقب اقتصادية كلية ووخيمة.

فعلى الرغم من التقدم الملموس في العقود القليلة الماضية في نسب مشاركة المرأة العربية في سوق العمل فلا تزال تلك النسب تخضع لعوامل مبنية على اساس النوع الاجتماعي، ويبدو ان مسيرة المساواة بين الرجل والمرأة ما تزال معطلة فعلاً.

ما تزال نسب مشاركة النساء في اسواق العمل اقل من نسب مشاركة الرجال، كما ان معظم الاعمال التي تقوم بها المرأة العربية غير مدفوعة الاجر.

وتواجه المرأة العربية فروقاً كبيرة في الاجور بينها وبين نظرائها الرجال الى درجة أن التشوهات

والتميز في اسواق العمل ادت الى الحد من خيارات العمل المدفوعة الاجر امام المرأة.

مشكلة الدراسة

تهدف هذه الدراسة الى بيان مشكلة ضعف نسب مشاركة المرأة العربية في سوق العمل من جهة وكيفية زيادة مشاركتها عن طريق ازالة كامل العقبات التي تواجهها وعن طريق طرح البدائل وتوفير قدراً من الاختيار والحرية والتعلم حتى يمكن النهوض بواقع المرأة العربية كعامل اقتصادي فاعل في المجتمع وليس فقط زيادة نسب مشاركتها في سوق العمل.

اهمية الدراسة

يعتبر الاهتمام بقدرات المرأة وتمكينها في سوق العمل من اكثر السبل ضمانا للإسهام في تقليل عدم المساواة بينها وبين الرجل وكذلك لإثبات ذاتها وحل مشكلاتها المختلفة.

ان تشجيع المرأة للمساهمة في سوق العمل يتطلب مجموعة من الخطوات الاستراتيجية التي تركز على اعدادها وتنمية قدرتها على التعليم الذاتي المستمر وملاحقة المعارف الجديدة واكتساب المهارات المعرفية والمهارات السلوكية المتقدمة بحيث يمكن ان يكون للمرأة دور في ايجاد تكنولوجيا تجعل العمالة البشرية اكثر تأقلما في سوق العمل.

فرضية الدراسة

ان رفع مستوى مشاركة المرأة العربية في سوق العمل يساهم في جعلها عاملاً اقتصادياً فاعلاً في المجتمع العربي.

اهداف الدراسة

تهدف الدراسة للتالي :

1. بيان الخلفية التاريخية لمساهمة المرأة في سوق العمل.
2. اعطاء مدخل تعريفي للوضع الراهن لنسب مشاركة المرأة العربية في سوق العمل.
3. بيان العوامل المؤثرة على نسب مشاركة المرأة العربية في سوق العمل
4. التطرق الى بعض الخطوات الاستراتيجية للنهوض بواقع ونسب مشاركة المرأة في سوق العمل.

منهجية الدراسة

اعتمدت الباحثتان على اسلوب المقارنة والاعتماد على الدراسات والارقام الاحصائية المتاحة حول نسب مشاركة المرأة العربية في سوق العمل. كما تم الاعتماد على اسلوب المقارنة التحليلية والمنطقية التي يمكن بواسطتها التعرف على الاعلانات والمواثيق الدولية والقوانين الوطنية الخاصة بتفسير كيفية مشاركة المرأة في سوق العمل وما يجري عليه التطبيق العلمي. وحتى تكون المقارنة اكثر عمقاً يتم التعرف على جملة من العوامل المؤثرة على نسبة المشاركة مع بيان ابرز الخطوات الاستراتيجية لرفع نسب مشاركة المرأة العربية في سوق العمل.

هذا وقد قسمت الباحثتان الدراسة الى محورين حيث تناول المحور الاول مدخل الى الواقع مشاركة المرأة العربية في سوق العمل. اما المحور الثاني فقد طرح نقطتين اساسيتين اولاهما بيان اهم العوامل المؤثرة على نسب مشاركة المرأة العربية في سوق العمل، وثانيهما التطرق الى ابرز الخطوات الاستراتيجية للنهوض بواقع مشاركة المرأة العربية في سوق العمل.

المحور الأول:

مدخل الى واقع مشاركة المرأة العربية في سوق العمل

تمهيد

تتأثر مشاركة المرأة في سوق العمل بمجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتباينة، وتعتبر العوامل الاقتصادية هي الاكثر قدرة على تفسير مستويات مشاركة المرأة في سوق العمل. وبناء على هذا يمكن تقسيم مساهمة المرأة في سوق العمل من الناحية التاريخية الى ثلاث مراحل متعاقبة:

اولا : المرحلة الاولى

تبدأ من بدايات الثورة الصناعية وحتى بداية القرن العشرين حيث كان اصحاب المعامل يفضلون العاملات الاقل اجرا من الرجال وذلك لسببين؛ أولهما؛ كان اصحاب المعامل يستخدمون النساء بأجور زهيدة ولساعات عمل كثيرة، والسبب الاخر هو كثرة تمرد الرجال على اصحاب المعامل لعدم اهتمام هؤلاء بأحوال العمال ولما كانوا يلقونه من معاملة سيئة من قبل ارباب العمل، فقد كانوا عن طريق الاعلانات يدعون الرجال الى ارسال نسائهم من باب البحث عن الربح الاكبر واعطاء الاجور المنخفضة وكان اصحاب العمل يستخدمون النساء العاملات لأداء العمليات الانتاجية التي تحتاج الى مهارة وكانت الاجور التي تعطى لهن قد بلغت متوسط 3 الى 6 شلنات بحيث لم تزد على نصف اجور العمال الا نادرا وقد كان هناك استياء من تدني اجور النساء وقد كانت مصانع الغزل والنسيج وحدها في عام 1788 تشغل ما يقارب من 57000 عاملة وان ما زاد من مشاركة المرأة في المجال الصناعة انشغال الرجال فيما بعد بالحرب وعليه فان هذه الفترة تميزت بالزيادة الملحوظة في اعداد النساء العاملات في سوق العمل رغم التحيز ضد عمالة النساء.

ثانيا : المرحلة الثانية

تبدا بالقرن العشرين وتنتهي منتصف القرن نفسه، فقد استمرت المرأة بعملها في الانتاج الريفي و الزراعي وصناعة النسيج وفي التجارة الصغيرة. وبعد ان كان عدد النساء قليلا ممن يعملن خارج المنزل بعد الزواج بطريقة مستدامة بدأت المرأة بالدخول في مجالات العمل ذات التوظيف المدفوع الاجر خصوصا الفئات العمرية (25ـ 49) عاما، وإن من جملة الوظائف التي عملت فيها المرأة المكتبة والتمريض والتدريس، وعلى الرغم من عدم تحقق المساواة في الاجور مع الرجال في المجال الصناعي الا انه كان هنالك زيادة ملحوظة في اجور النساء.

ثالثا :المرحلة الثالثة

وهذه تبدأ من منتصف القرن العشرين وحتى وقتنا الحالي حيث ان دخول المرأة الى سوق العمل كان متضافرا مع التطورات التكنولوجية حيث تكامل الالة وحيث الثورة التكنولوجية ومتطلباتها من نوعية العمل، وبالتالي استعمال الوسائل السمعية والبصرية والفكرية و الشعورية و الذوقية والفنية والتي تتطلب عماله ذات مهارات متخصصة بدرجة متوسطة او عالية مما يعني الانتقال من العمالة غير الماهرة الى العمالة الماهرة ، كما ان التطورات التكنولوجية اسهمت بتسهيل العمل المنزلي والاسري والحياة بشكل اشمل مع وجود معطيات اقتصادية واجتماعية داعمة له.

ان المرأة متأخرة في معظم اجراءات الفرص الاقتصادية قياسا بالرجل وهذا يعود الى اسباب كثيرة بالإضافة الى الاقتصاد بأكمله. وقد كانت هناك دعوة في السعي الى تحقيق ثلاثة اهداف رئيسة ضمن استراتيجية مطروحة وهي تحسين الملكات الانسانية من خلال الحماية الاجتماعية وتحصيل العلم الذي اصبح مطلبا

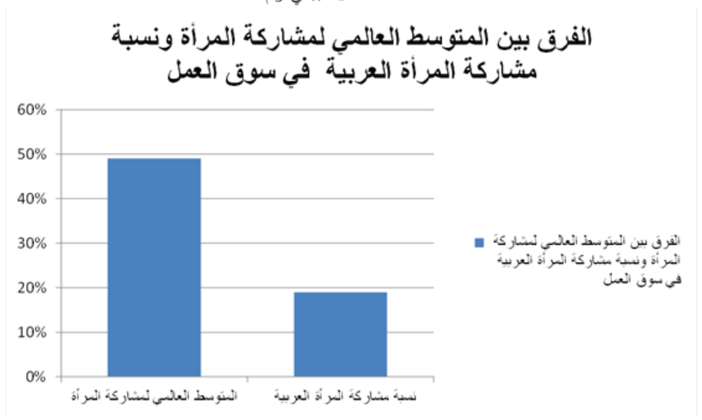
اساسيا لمنافسة النساء للرجال في سوق العمل وحيث إن فاعلية التعليم تتوقف على مستوى التعليم الذي يتم تحصيله ونوعيته ومجال تخصصه بما يحدد قدرة المرأة على المنافسة في سوق العمل. هذا بالإضافة الى توفير الرعاية الصحية وكل ذلك في محاوله لإزالة القيود امام تهيئة دور اكبر للمرأة في سوق العمل عبر النهوض بالمهارات و الفصل بين الجنسين مهنيا ومعالجة مسألة مساعدة المرأة في الحصول على الرعاية المطلوبة غير المدفوعة الاجر وكذلك إعطاء المرأة الملكية والتحكم في المسكن والتمويل والتكنولوجيا و الولاية والحرية في التعبير عن الراي. ان مشاركة المرأة في سوق العمل يساهم في رأب الفجوة الائتمانية التي قدرت عام 2016 بـ300 مليار دولار على الصعيد العالمي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة الرسمية فضلا عن رأب الفجوة بين المرأة والرجل في ملكية الحسابات المصرفية . اما ما يتعلق بواقع مشاركة المرأة العربية في سوق العمل فقد اصبح من ضرورات تحقيق التنمية المستدامة هو ان يعمل المخطط على ربط المرأة بسوق العمل باعتبار ان النساء يشكلن بنسبة 50 بالمئة من القوى البشرية بينما مشاركتهن في سوق العمل هي اقل على مستوى العالم حيث يبلغ مستوى المشاركة ما يقارب 19 بالمئة مقارنة بنمو 49 بالمئة من المتوسط العالمي انظر الى الرسم البياني رقم 1 .

الشكل البياني رقم (1)



هبه عبد المنعم، واخرون محددات مشاركة المرأة في القوة العاملة في الدول العربية بحث منشور في تقرير صندوق النقد العربي للعام 8102 ص 7

الشكل البياني رقم (2)



المصدر: الاشكال البيانية من إعداد الباحثتين بالاعتماد على بيانات منظمة العمل الدولية

وقد كان نصيب المرأة العربية من الناتج المحلي الاجمالي متراجع الى مستوى 18 بالمئة فالتقديرات تشير الى ان رفع نسبة مساهمة المرأة العربية في سوق العمل ممكن ان يؤدي الى زياده في الناتج المحلي الاجمالي للمنطقة بحلول عام 2025 الى مقدار النسبة 47 بالمئة من الناتج مقارنة بعام 2018 .

وقد اكد دليل الفوارق بين الجنسين ان اعلى نتيجة فوارق كانت في البلدان العربية وجنوب اسيا، اهمها مشاركة المرأة في سوق العمل والتي تراوحت ما بين 85،17%.

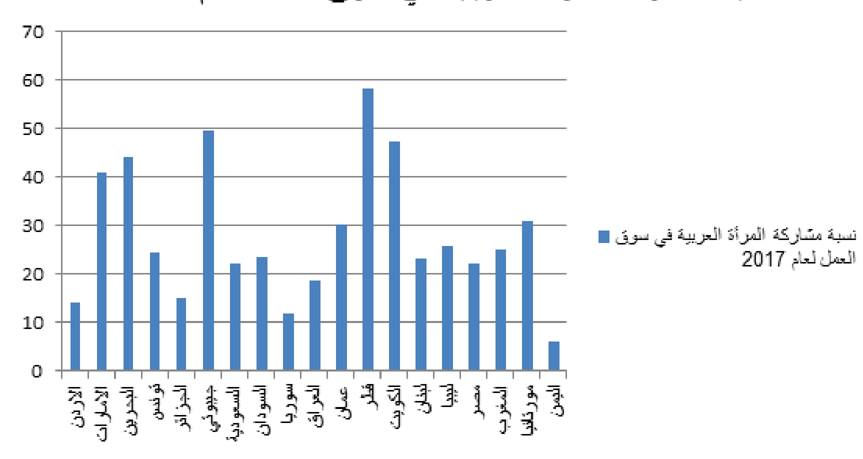
وتبين الاحصاءات الدولية الاخيرة ان نسبة مشاركة المرأة العربية في القوى العاملة في سوق العمل على المستوى الفردي قد سجلت اعلى مستوى لها في كل من قطر بنسبة (58.1 %) وفي جيبوتي بنسبة (49.5 %). أما في باقي البلدان العربية فقد سجلت في الكويت بنسبة (47.4 %)، وفي البحرين فقد كانت نسبة مشاركة المرأة البحرينية في سوق العمل بنسبة (44 %) وفي الامارات بنسبة (40.9 %) وفي باقي البلدان العربية الاخرى فقد كانت نسبة مشاركة المرأة في القوى العاملة في سوق العمل اقل من 40% فقد سجلت في موريتانيا وعمان وليبيا بنسب 31%، 30.2%، 25.8% على التوالي. وفي المغرب وتونس والسودان ولبنان والسعودية ومصر فقد سجلت نسب مشاركة المرأة في القوى العاملة في سوق العمل 25%، 24.3%، 23.6%، 23.2%، 22.3%، 22.29% على التوالي. وقد كانت ادنى نسب لمشاركة المرأة العربية في القوى العاملة في سوق العمل في العراق والجزائر والاردن و سوريا واليمن حيث كانت نسب المشاركة فيها 18.7%، 15.2%، 14%، 11.9%، 6% على التوالي (انظر الشكل البياني رقم 2(.

وترتفع نسبة مشاركة المرأة العربية في قطاع الخدمات حيث بلغت ما يقارب 78.2% في هذا القطاع، بينما كانت نسبة مشاركتها في قطاع الزراعة وقطاع الصناعة قد قدرت بحوالي 15.8%، 6.1% على التوالي.

ومن خلال قراءة الاحصاءات السابقة يلاحظ انه رغم سعي الحكومات والمنظمات غير الحكومية وكذلك هيئات الامم المتحدة لجعل المرأة شريكاً كاملاً وفاعلا اساسيا في سوق العمل سواء الرسمي او غير الرسمي الا انها تواجه تحديات كبيرة قسم منها مشترك لتحقيق هذا الهدف الذي يصب في جعل المرأة عاملاً اساسياً في تحقيق التنمية البشرية المستدامة سواء كمنتجة او مستفيدة .

فلم تكن الانجازات الاخيرة الملموسة من مشاركة المرأة العربية في سوق العمل كبيرة، بل كانت ضعيفة ومخيبة للآمال في معظم البلدان العربية بحيث ان مشاركتها ما زالت دون الطموحات، وهذا يشكل عائقاً امام تحقيق مستويات انمائية مناسبة ومستدامة في تلك البلدان وبالتالي عدم التوظيف الكامل لقدرات سكان البلدان العربية لتحقيق اعلى مستوى من الرفاه الانساني وتأمين الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للرجل والمرأة على حد سواء.

الشكل البياني رقم (3)



المصدر : الشكل البياني من اعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات منظمة العمل الدولية

المحور الثاني

يشتمل هذا المحور على نقطتين اساسيتين :

اولا: العوامل المؤثرة على مشاركة المرأة في سوق العمل

تتأثر مشاركة المرأة العربية في سوق العمل بمجموعة من العوامل وخصوصاً الاقتصادية فهي الاكثر قدرة على تفسير مستويات المشاركة حيث مستوى التطور الاقتصادي ومستويات الدخول وحجم البطالة بين صفوف النساء اللواتي في سن العمل .... إلخ.

من اهم العوامل المؤثرة على نسب مشاركة المرأة في سوق العمل هي:

1 – عدم التساوي بالأجر بين الرجل والمرأة

باعتبار ان الاجر هو المقابل النقدي الذي يتقاضاه العامل نتيجة عمله، فإن هناك

عدم مساواة في الاجر بين المرأة والرجل على الرغم من ان المساواة قد اقرت من قبل المنظمات والهيئات الدولية. كالمقرر من قبل منظمة العمل الدولية حيث الاتفاقية الدولية رقم القرار منها (100) الصادرة في عام 1951 او التوجيه رقم 90 الصادر في عام 1951 حيث تم تكريس مبدأ المساواة في الاجر بين المرأة والرجل.

وعلى الرغم من كفاءة وقدرة المرأة في العمل الا انها تتقاضى راتبا شهريا اقل من الرجل بأعذار تتعلق بـ:.

أ – اعتبار الرجل المسؤول الاول عن الاسرة ماديا حيث هو المعيل الاول للأسرة.

ب – اضطرار النساء الى التغيب عن العمل او الخروج بإجازات قد تستمر الاشهر بسبب الحمل والاودة ورعاية الاطفال.

وكأن اعطاء المرأة اقل من اجرها يعتبر معاقبة لها لطبيعتها الانثوية واهتماماتها الاسرية على الرغم من ان منظمة العمل الدولية اقرت المساواة في الاجر بين المرأة والرجل منذ عام 1919 باعتبار انها من ركائز العدالة الاجتماعية. ولا ننسى ان الدول العربية اقرت توقيع الاتفاقية بشأن المساواة في العام 1951 الا ان التفاوت في الاجور بين المرأة والرجل مازال قائماً، ومن امثلة هذا التفاوت أجر العاملة في السعودية التي تتقاضى راتباً بنسبة 60% من راتب الرجل، كما ويبلغ متوسط الاجور للنساء في مصر (850) جنيها اسبوعيا بينما يتقاضى الرجل متوسط للأجور يقدر (960) جنيها أسبوعيا، وتتقاضى المرأة في اليمن ما يقدر بنسبة 63% من اجر الرجل، اما في الكويت فتحصل المرأة الكويتية العاملة على ما نسبته 64% من اجر الرجل، وفي تونس تحصل المرأة على راتب اقل من راتب الرجل بنسبة 15% تقريباً، وحسب احصائيات 2010، فإن المرأة العاملة في البحرين تحصل على متوسط اجر يقدر بـ (72) دينارا بحرينيا بينما الاجور في القطاع الخاص تصل الى (213) دينارا بحرينيا (الاتحاد العربي للنقابات /المؤتمر التأسيسي « نظرة عامة، المرأة في الدول العربية « ص15).

ويعتقد ان اسباب هذا التفاوت في الاجور بين المرأة والرجل يعود الى عدم امتلاك المرأة العربية العاملة للمهارة الانتاجية العالية بحيث انها غير قادرة على شغل وظيفة ذات حراك رأسي وبالتالي لا تمتلك ذات الاصل لرأس المال البشري عند الرجل.

2 – التشريعات والقوانين الخاصة بمشاركة المرأة في سوق العمل .

ابتدأت المساواة بين المرأة والرجل في التاريخ الحديث كإعلان دولي متمثل بالإعلان العالمي لحقوق الانسان عام 1948، حيث استهل بالنص «ان جميع الناس يولدون احراراً ومتساوين بالكرامة والحقوق والحريات المقررة فيه دون أي تمييز بما في ذلك التميز بين الجنسين».

كما وقد تبين ان العمل بالنص يكون من خلال الحكم الذي نص على «ان لجميع الافراد دون اي تميز الحق في اجر متساو على العمل المتساوي»، وكذلك ينص على «الحق في الراحة واوقات الفراغ وتحديد معقول لساعات العمل و في اجازات دورية مأجورة».

ومن الوثائق التاريخية التي تناولت بشكل محدد قضية المساواة بين المرأة والرجل هي الاتفاقية الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1967 والتي نصت على اعلان «القضاء على التميز ضد المرأة « وتعتبر اتفاقية كوبنهاجن او السيداو الصادرة عام 1979 من اتفاقيات الامم المتحدة المؤكدة على القضاء على جميع انواع التميز ضد المرأة حتى انها وصفت بمثابة اعلان حقوق المرأة

التي بلغت ذروتها في مؤتمر بيكن عام 1995 باتخاذ كافة الاجراءات اللازمة للقضاء على جميع اشكال التميز ضد المرأة وازالة العقبات التي تعترض المساواة بين المرأة والرجل بالاضافة الى تعزيز الاستقلال الاقتصادي للمرأة. ان السلطة التقريرية تختلف عن السلطة التشريعية الدولية وان الدول المختلفة وخصوصا الدول العربية موضوع الدراسة حرة في تطبيق التشريعات وبالتالي حرة في تحديد الشروط التي تنطبق على الرجال دون النساء في سوق العمل ومن الامثلة على ذلك التالي:

اولا : في العراق

يأخذ العراق تشريعاته من قانون العمل في مواده (89.80) حيث يعطي حق اجازة الامومة لمدة 72 يوما بعد الولادة. اما اذا كانت المرأة مطالبة بسنة كاملة يكون حصولها على هذه الاجازة مرهونا بموافقة صاحب العمل وبعدها لها حق التمتع بإجازة الامومة بدون اجر لمدة لا تزيد عن سنة واحدة لرعاية طفلها. كما نص القانون على اعفاء المرأة من العمل اذا كان لديها طفل مريض دون سن السادسة من عمره مدة لا تزيد عن ثلاثة ايام عن كل حالة تقتضي ذلك بدون اجر طيلة مدة انقطاعها عن العمل وحدد المشرع للمرأة المرضع فترة ساعة واحدة مدفوعة الاجر لإرضاع المرأة طفلها وكان على المشرع ان يحدد الحد الادنى وليس الحد الاعلى لفترة الارضاع.

ثانيا: في البحرين

وفقا لقوانين العمل المعمول بها في البحرين، يحق للمرأة العاملة في القطاع العام ان تحصل على اجازة الامومة التي تصل مدتها الى 45 يوم فقط ابتداء من تاريخ الوضع مع عدم دفع راتب العاملة خلال اجازة الامومة كما اجاز المشرع البحريني في المادة 63 من قانون العمل البحريني الاستغناء عن المرأة العاملة في القطاع الخاص بسبب الزواج او الحمل.

ثالثا : في الجزائر

اما المشرع الجزائري فقد اقر المبادئ العامة للمساواة على حسب المادة 7 من القانون الاساس العام والذي ينص على «يضمن القانون حقوق العمال، العمال سواسية في الحقوق والواجبات او ما يطلق عليه قيمة العمل دون اي اعتبار للشخص الذي ينجزه او يؤدية» وبما فيها المساواة في الترقيه فحيث نص حق الترقيه العالمي في المادة 10 على ما يلي: « تتخذ جميع التدابير المناسبة لكفالة تمتع المرأة المتزوجة او غير المتزوجة بحقوق مساوية لحقوق الرجل في ميدان الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لاسيما الحق وبدون تميز بسبب الحالة الاجتماعية او اي سبب اخر في تلقي التدريب المهني في العمل وحرية اختيار المهنة، ونوع العمل، في نيل الترقية المناسبة في العمل لكنه لم ينص على وجود اية آلية ميدانية او ضمانة تفصل هذا الحق الا النصوص العامة التي منعت التميز بين المرأة والرجل واشكال التميز الاخرى في كل مراحل العمل والتي يعاقب على ادراج شرط تميزي في العقود و الاتفاقيات الحكومية.

رابعا: في مصر

حال المشرع المصري كحال المشرع الجزائري من حيث اقراره بالمبادئ العامة للمساواة التي نصت عليها المعاهدات الدولية وحيث تضمن دستور 2014 في مصر عددا من المواد التي تمثل فرصا جديدة من اجل تعزيز المساواة بين المرأة والرجل من حيث تكافؤ الفرص بينهما كما في المادة 9 من الدستور و المادة 53 تحريم التميز الذي تتعرض له المرأة كما انه بموجب المادة (93) من الدستور المصري التي تبين أن مصر تلتزم بالاتفاقيات و العهود و المواثيق الدولية، ينبغي مراجعة جميع القوانين التي تخالف المبادئ والحقوق التي اتفقت عليها مصر

منها المواد التالية التي صدرت عام 2003 (89،90، 91، 94، 96) * في قانون العمل.

3/ العوامل الثقافية والمجتمعية واثرها على دور المرأة العربية في سوق العمل

لا يزال هناك عناصر تقليدية معنية في المجتمع العربي تحتفظ بافتراض ان النساء يعملن في المنزل والرجال يعملون خارج المنزل مما اثر على معدلات مشاركة المرأة العربية في الاقتصاد مع ما يتبع ذلك من فقدان المرأة العربية بشكل عام فرص الدخول الى سوق العمل بصورة متساوية مع الرجل، على الرغم من ان التوازن المجتمعي المرتبط باقتصاديات السوق يقتضي اتاحة الفرص للرجال والنساء على حد سواء لمواجهة تحديات التنمية وتأهيل القوى العاملة للمشاركة المنتجة والفعالة.

ان المجتمع العربي الى الان لا يدرك حقيقة المرأة ودورها فيه حتى تستطيع ان تلتزم بواجباتها وتحرص على ممارسة حقوقها، حيث ان المرأة العربية هي من اكثر القوى البشرية تهميشاً في سوق العمل، فلا زالت حتى اليوم لا تتمتع في معظم الدول العربية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية التي يتمتع بها الرجل، فما زال المجتمع يحصر دورها في الدور البيولوجي والتربوي في رعاية اطفالها، وهذا يساهم في التقليل من دورها في العملية الانتاجية بناء على ان اقتصاد السوق الربحي لا يعتبر عمل المرأة داخل المنزل وتربية اطفالها عمل اقتصادي باعتبار انه لا يدر عائدا اقتصاديا سريعا وملموسا، وهذا معناه التقليل من دور المرأة في المساهمة في العملية الانتاجية.

وهنا لا بد من الاشارة الى ان المجتمع يوصف بأنه اكثر نضج اذا كان ساعياً نحو وضع امكانات السعادة والرقي تحت تصرف المرأة والرجل، اما اذا كان المجتمع يوصف بأنه متخلفاً ومتأخراً من هذه الناحية فلا يلقي بتحجره الفكري على الدين، لان الدين فتح الطريق لكلا الصنفين. ان ما هو موجود في المجتمع العربي ناتج عن التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية بحيث قدمت العادات والاعراف فيه رؤية غير واضحة بل مشوهة للتعاليم الدينية اتجاه كل ما يتعلق بالمرأة خصوصاً عملها في سوق العمل بشكل عام.

ومن جانب اخر فإن العمل لا يتطلب فقط القوة حتى يكون الرجل هو فقط المطلوب وانما يتطلب الدقة وهذا متوفر في المرأة حيث ان العمل القادم عن طريق المحبة والعاطفة والرحمة يكون اكثر انجازاً من العمل الذي يأتي عن طريق القوة، فالله تعالى يدير شؤون العلم كله عبر محور المحبة .

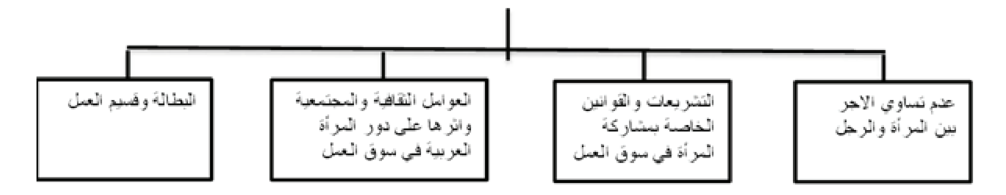
اذاً فالمجتمع الذي يعتمد على عمل المرأة والرجل يكون قد حصل على القوة المطلوبة عندما تدار في ظل قيادة المحبة .

4/ البطالة وتقسيم العمل

ان النساء في معظم الدول العربية يواجهن عوائق كبيرة في الحصول على العمل اللائق في سوق العمل والتمتع بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مما يجعل عالم العمل في هذه الدول يستثني العمالة النسائية، فقد برزت حالة البطالة بين صفوف هذه العمالة في سوق العمل حيث ارتفعت نسبة البطالة من (12.8%) عام 2000 الى (16.7%) عام 2017

وقد يعزى ذلك جزئياً الى المعتقدات المجتمعية والثقافية التي تحدد الادوار الاقتصادية والاجتماعية المختلفة للنساء بالإضافة الى دعوات تنادي بإفساح فرص العمل للرجال، مما من عدم تطوير المرأة وعدم اعطائها فرصا اكبر تتلاءم والتطورات السريعة في مجال التكنولوجيا بالإضافة الى تداعيات ذلك على سوق العمل في الدول العربية.

المخطط رقم (1)



المصدر: المخطط من عمل الباحثتين

ثانيا/ الخطوات الاستراتيجية للنهوض بواقع المرأة العربية في سوق العمل

إن من ابرز هذه الخطوات التالي:

1. الاهتمام بمسألة النوع الاجتماعي* بحيث يتم تصنيف الاحصاءات والمؤشرات حسب الجنس لاجل معرفة واقع المرأة العربية في سوق العمل وقياس مدى التقدم والتطوير بهذا الواقع.

للمزيد ينظر [397]:

2. محاولة تحديد الاعراف الاجتماعية فيما يخص التوعية بأهمية المرأة ودورها في سوق العمل واخراجها من كونها أماً ولابة بيت فقط وذلك من خلال:/

أ. ازالة التحجر الفكري اتجاه المرأة والذي يلقى ظلماً على الدين الاسلامي الذي تعتنقه الدول العربية، فالدين الاسلامي يرى ان المرأة ابتداء من خلقها متساوية مع الرجل، فهي مظهر من مظاهر الجمال الالهي، وانه ليس هناك اي امتيازات بينها وبين الرجل من حيث المبدأ القابلي للخلق والدليل قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[398] ، فالمقصود من نفس* واحدة جوهرة واحدة مما يعني حقيقة واحدة وليس هناك اي فرق بين الرجل والمرأة.

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[399] فالدين الاسلامي يرى ان المرأة كالرجل لديها قابلية تعلم العلوم والمعارف وممارستها كالرجل فيجب تقديرها ومدحها والدعوة الى مساواتها مع الرجل ولكن المساواة الغير متناظرة حيث انها متساوية مع الرجل في الانسانية ولكن حقوقها وواجباتها ليست متساوية تماما وحقوق وواجبات الرجل.

وهذ يعطي دافعا للمرأة لكي تدرك ذاتها وشعورها بالسيطرة على حياتها مما يعني خلق وعي مجتمعي بالحقوق الفردية والجماعية وبالتالي انضمام المرأة الى حركات مجتمعية قادرة على تمثيل مصالحها وبروزها في مراكز صنع القرارات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

(397) - المعهد العربي للتخطيط بالكويت، » تمكين المرأة: المؤشرات والابعاد التنموية»، منظمة عربية مستقلة، سلسلة دورية تعنى بقضايا التنمية في الدول العربية، العدد (72) ابريل / نيسان 2008، السنة السابعة.

(398) - القرآن الكريم، سورة الاعراف الآية 189

(399) – القرآن الكريم، سورة الاعراف، الآية 172

* إن كلمة نفس في سورة الاعراف الآية 189 لها تأنيث سماعي وجازي وليس حقيقي، وتأنيث كلمة واحدة حاصل بهذا اللحاظ ومعنى نفس واحدة هي حقيقة واحدة وأصل فارد :للمزيد ينظر: جودي آملي « جمال المرأة وجلالها»، دار الهاوي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص30

ب. التأكيد على رفع المستوى التعليمي للمرأة حيث ان الملاحظ في واقع تعليم المرأة العربية ان هناك تفاوتاً كبيراً وملحوظاً بين المرأة والرجل في مجال التعليم، حيث تظهر المؤشرات ذلك التفاوت، فحسب احصاءات (2010– 2016) فإن نسبة التحاق الاناث بمرحلة التعليم الثانوي في الدول العربية ازداد خلال هذه الفترة فقط بنسبة 32.3%.[400]

من باب إثبات أن عمل المرأة له اثر ايجابي على مستوى النمو الاقتصادي لا بد من ان يكون تعليمها على مستوى يتناسب والوظائف الجديدة بحيث تساهم فعلاً في زيادة الانتاج والانتاجية وكذلك المساهمة في تقديم خدمات عامة فعالة.

ان التسارع في التكنولوجيا وحلول اجهزة الروبوت محل العمالة البشرية في سوق العمل يتطلب مواكبة التغير بعمليات الانتاج وجعلها اكثر سهولة، وهنا يبرز دور المرأة من خلال التكنولوجيا الجديدة التي تركز على المهارات المعرفية والمهارات السلوكية الاجتماعية بحيث تصبح القوى العاملة البشرية اكثر قدرة على التأقلم في اسواق العمل.

وعليه فإن المرأة التي يتوفر لها التعليم المناسب وكذلك التربية والمحيط الذي يفترض ان تعيش فيه لا فرق بينها وبين الرجال، بل قد تتميز عن الرجال كالتمايز الذي يحصل بين صنف الرجال احياناً، كما لو تمايز طالبان من الرجال في مرحلة واحدة في تفاوت مستوياتهما العلمية وقدراتهما الذهنية، فهذا التفاوت الحاصل بين الطالبين انفسهما حاصل بين الرجل والمرأة وان افضل ما يمكن قوله هنا هو الرواية المنقولة عن الامام على (ع) «جمال الرجال في عقولهم و عقول النساء في جمالهن» وهذه الرواية في مقام توزيع الوظائف بل في مقام اعطاء دستور وأوامر عملية، حيث ان السلوك النظري والعملي للمرأة يحوي فكر ثاقب ومعرفة عميقة في ظل فن ظريف بمعنى اخر وجود طرائف الحكمة في ظرائف الفن فطريقتها في العمل ستكون نتيجة عاطفة جلال ومعرفة وعلم، حيث ان هناك فرقا بين العاطفة الفارغة من التعقل والفكر والعاطفة الممتلئة بهما .

وحتى يكون مستوى تعليم المرأة متناسبا والتطورات في سوق العمل لابد أن تسعى حكومات الدول العربية الى ارساء مهارات الادراك المعرفي والسلوك الاجتماعي.

3. تمكين المرأة اقتصادياً

ان مفهوم التمكين الاقتصادي للمرأة ينصرف الى كونه انتشال المرأة من العمل المتدني الاجر الذي له دور في اقامة حالة مساواة بين الجنسين كما يكون للمرأة دور ومشاركة في منتديات صنع القرار مثل النقابات ومنظمات اصحاب العمل.

ان التمكين الاقتصادي للمرأة يساعدها على اطلاق قدرتها الابداعية والانتاجية وفهم بيئتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وبالتالي تكوين رؤية استراتيجية تنموية مرتكزة على دورها كعامل اقتصادي فاعل ومنتج في المجتمع.

وقد كان منهاج عمل بيجين قد وضع بستة اهداف استراتيجية تتعلق بالمرأة ودورها في الاقتصاد وهي[401]:

أ. ان حصول المرأة على فرص العمالة وظروف الاستخدام الملائمة وكذلك السيطرة على الموارد الاقتصادية كل هذا يساهم في تعزيز حقوق المرأة الاقتصادية واستقلالها الاقتصادي.

---

(400) - هبه عبد المنعم واخرون، مصدر سابق، ص 17.

(401) - وثيقة منهاج بكين،» فصل المرأة والاقتصاد «، ص ص80 –97. منشور على الموقع الالكتروني //httpi .org،maktabatmepi

ب. تسهيل طرق وصول المرأة الى حالة المساواة في الموارد والعمالة والتجارة والأسواق.

ج. تعزيز الشبكات الاقتصادية والقدرة الاقتصادية للمرأة.

د. تمكين المرأة من الوصول الى الاسواق والمعلومات والتكنولوجيا مع توفير الخدمات التجارية والتدريب وخصوصاً للنساء ذوات الدخول المنخفضة.

هـ. القضاء على كل اشكال التميز في العمل والتفرقة الوظيفية.

و. تعميق حالة المواءمة ما بين مسؤوليات العمل والاسرة سواء للنساء أم الرجال.

يمكن ايضاً بيان مجموعة من الخطوات الاستراتيجية المستهدفة لتمكين المرأة اقتصادياً بحيث تتعمق فكرة كون المرأة عاملاً اقتصادياً فاعلاً في سوق العمل، منها:

1. تبني استراتيجيات لتمكين المرأة العربية من خلال التركيز على المجالات التكنلوجية القائمة على المهارات المعرفية والمهارات السلوكية والاجتماعية بحيث يكون للمرأة دور في ايجاد منفذ للعمالة البشرية للتأقلم في سوق العمل.

2. النهوض بتنمية المرأة العربية يكون من خلال الاهتمام بمستوى تعليمها وخصوصاً التعليم الجامعي العالي الجودة.

3. تعزيز التدريب الفني والتقني المخصص للفتيات وتدريب العاملات والقضاء على الامية الرقمية في اوساط النساء.

4. ولأجل الحصول على المهارات المعرفية لا بد من الاستفادة من تقنيات المعلومات والاتصالات لزيادة فرص تمكين المرأة اقتصادياً وولوجها مجال الاقتصاد المعرفي.

5. تشجيع اقامة المشروعات الصغيرة والمتوسطة التي تديرها المرأة من خلال الاهتمام بتمويلها وزيادة مستويات استيعابها.

الخاتمة

من خلال ما تم عرضه في مضمون الدراسة تبين ان هناك ضعفا في نسب مشاركة المرأة العربية في سوق العمل على الرغم مما جاء في الاعلانات والمواثيق الدولية والقوانين الوطنية من دعوة لضمان تسهيل مشاركة المرأة العربية في سوق العمل.

الا ان واقع المشاركة والمؤشرات الاحصائية الخاصة به تدل على ان هناك فرقا واضحا بين ما تدعو اليه تلك الجهات الدولية والعربية في اعلاناتها ومواثيقها وقوانينها وبين ما هو موجود فعلا في سوق العمل.

وهذا يدعونا للتفكير ملياً في ايجاد اجراءات وتدابير من شأنها رفع نسب مشاركة المرأة العربية في سوق العمل ومن خلال معالجة اثار العوامل المحددة والمؤثرة على نسب مشاركة المرأة العربية في سوق العمل لما له من آثار اقتصادية عظيمة في المجتمع العربي .

المصادر و المراجع :

1.القران الكريم

2. اعتماد محمد علام، المرأة في سوق العمل الرسمي المداخل النظرية ونموذج مقترح لدراسة المرأة في الدول الخليجية، مجلة شؤون اجتماعية العدد31 السنة الثامنة 1991.

3. الاتحاد العربي للنقابات / المؤتمر التأسيسي « نظرة عامة، المرأة في الدول العربية « .

4. تقرير التنمية البشرية لعام 2010.

5. التقرير السنوي للبنك الدولي للعام 2016 .

6. جودي آملي « جمال المرأة وجلالها»، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 1994 .

7. سهام موفق «المرأة العاملة بين الحماية القانونية والواقع العملي: المرأة الجزائرية انموذجاً» بحث منشور ضمن اعمال المؤتمر الدولي السابع المرأة والسلم الأهلي، طرأبلس 19-21 مارس.

8. عفاف عبد العليم، المرأة العربية ودورها في الانتاج، دراسات ريفية ـ حضرية مقارنة، مجلة كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية العدد20 جامعة قطر 1997.

9. غالب الداوودي « شرح قانون العمل وتعديلاته» وزارة التعليم الغالي والبحث العلمي لإقليم كردستان العراق، ط 1، 2008.

10. محمد جلال الاتروشي « حقوق المرأة العاملة العراقية في ظل المعايير الدولية والتشريعات الداخلة، دراسات مقارنة» مجلة الكوفة العدد5 .

11. مديحة السفطي « مساهمة المرأة في التنمية : بين القانون والواقع»، من دراسات ندوة المرأة وتنمية الآفاق والتحديات، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، العدد الثاني في جامعة القاهرة، 1999 .

12. مرتضى مطهري، نظام حقوق المرأة في الاسلام، دار الكتاب الاسلامي ايران قم ط 2005

13. المعهد العربي للتخطيط بالكويت، » تمكين المرأة: المؤشرات والابعاد التنموية»، منظمة عربية مستقلة، سلسلة دورية تعنى بقضايا التنمية في الدول العربية، العدد (72) ابريل / نيسان 2008، السنة السابعة.

14. منظمة العمل الدولية 2017، تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في المنطقة العربية، في وسط عالم العمل، الاجتماع العربي الثلاثي حول مستقبل العمل، ابريل.

15. منى عزت، الاوضاع الاجتماعية و تأثيرها على التمكين الاقتصادي للنساء المرأة المصرية والتنمية، بحث منشور على الموقع الالكتروني.

16. هبه عبد المنعم، واخرون محددات مشاركة المرأة في القوة العاملة في الدول العربية بحث منشور في تقرير صندوق النقد العربي للعام 2018 .

17. وثيقة منهاج بكين،» فصل المرأة والاقتصاد «، منشور على الموقع الالكتروني org،httpi//maktabatmepi

4 - الحوكمة الرشيدة في الخدمات الحكومية (الدنمارك – الكويت – لبنان نماذجا»)

بقلم : الدكتورة: داليدا بيطار

مقدمة

من الواضح في السنوات الاخيرة أن هناك تغيرا في نوعية وحجم طلبات المستفيدين من الخدمات العامة من صحة وتعليم وامن .... فأصبح الأسلوب التقليدي في إدارة الحكم غير فعّال مما استدعى تبنّي أسلوب أكثر كفاءة وفعالية. مبادئ الحوكمة تقدّم أسلوب إداري يعتمد على المشاركة من قبل المستفيدين من الخدمات في رسم الاستراتيجيات وتنفيذ ومراقبة العملية الادارية لتقديم خدمات أكثر فعالية وكفاءة للمستفيدين على المستوى المحلي ومستوى الدولة بشكل عام. لذلك تعتبر الحوكمة الرشيدة هي الاسلوب الأكثر كفاءة والمثالية لتحقيق خدمات عالية الجودة وضمان حقوق الانسان وتطبيق مبادئ العدالة بين افراد المجتمع لضمان تحقيق مستويات عالية من التنمية الاقتصادية والبشرية على المدى الطويل.

ان التنمية الشاملة تمثل هدفا اساسيا لأي مجتمع ولا تتحقق إلا من خلال جملة من المقومات الاساس والتي تتمثل بالأجهزة والمؤسسات الرقابية فضلاً عن إدارة وتخطيط الموارد وتوظيفها بالاتجاهات الصحيحة بما يعزز الرفاهية للمجتمع ورفع كفاءة الأداء. وقد ظهر الفساد بأشكال متعددة وأخذت دول العالم تهتم بمكافحته والقضاء عليه وعلى مصادره وآثاره. لذا فإن المجتمع العالمي قد طور كل الاتجاهات التي تساعد في تحقيق المساءلة الاجتماعية والسعي نحو الافصاح والشفافية وتحديد المسؤوليات وتوفير المعلومات للمجتمع وكل الأطراف. وتعدّ الحوكمة من الاتجاهات الحديثة والأطر العملية ذات القواعد والمبادئ التي تمكّن المجتمع والمساهمين من معرفة كيفية الاستثمار واتجاهاته، فإن تفشي ظاهرة الفساد المالي والإداري وضعف الأداء في المؤسسات الحكومية يجعل من الضرورة إعادة النظر في سياسات التوجيه والرقابة وإرساء مفهوم الحوكمة وتحمل المؤسسات الحكومية المسؤوليات.

ماذا نعني بالحوكمة الرشيدة؟ وكيف يمكن من خلال تطبيقها تحقيق التنمية المتكاملة؟

على ضوء ما سبق فإن البحث سيتناول المحاور التالية: المحور الأول: توضيح مفهوم وأهداف ومعايير الحوكمة – في إطار نظري المحور الثاني: الإطار التطبيقي: الحوكمة وتطبيقاتها في كل من الكويت والدنمارك ولبنان.

الفصل الأول: الإطار النظري للبحث

لمحة عامة:

الحوكمة (الحاكمية – الحكمانية – الحوكمة الإدارية) كلها مصطلحات معرّبة للكلمة .Gover-nance

على الرغم من اختلاف التسميات إلاّ أنها ترمز لمعنى عام واحد وهو الطرق والأساليب التي تدار بها الشؤون العامة لدولة ما.

على المستوى الدولي والمحلي يعتبر الأخذ بمبادئ الحوكمة الرشيدة من قبل الحكومات مطلبا شعبيا ودوليا. فمثلا المؤسسات الدولية المانحة كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي بالإضافة إلى دول مثل

الولايات المتحدة الأمريكية، كل هذه الجهات تشترط مستوى معينا من جودة الحكم لدى الدول المستفيدة لكي تحصل على المساعدات المالية وغير المالية (Kyj&.Mimicopoulos M، 2007؛ Bank، 1991؛ (IMF)، 2010) أيضاً منظمات المجتمع المدني والمنظمات الدولية المهتمة بحقوق الإنسان تدعم تبنّي مبادئ الحوكمة الرشيدة مثل تعزيز الشفافية والمشاركة والمساءلة. وأخيرا تم تقديم الحوكمة (الإدارية) كطريقة فعالة لإدارة شؤون الدولة. (Kettl D. F., 2000; Rhodes R. A., 1997)

فمفهوم الحوكمة، في معناه الأشمل، يمتد ليشمل جميع المؤسسات العاملة في المجتمع سواء كانت شركات أو مؤسسات إنتاجية أو خدماتية، وسواء كانت تلك الشركات مدرجة أو غير مدرجة، شركات أشخاص أو شركات أموال أو شركات عائلية، وسواء كانت تلك المؤسسات مملوكة من قبل القطاع الخاص أو مؤسسات قطاع عام، والتي يرتبط نشاطها إمّا بإنتاج سلعة أو تقديم خدمة لصالح الفرد ورفاهه أو لصالح المجتمع ككل. (مصرف_لبنان، 2013)

إن الفساد أي «سوء استغلال السلطة من أجل تحقيق مكاسب شخصية» وفق تعريف منظمة الشفافية الدولية، آفة العصر الأولى والعائق الأكبر أمام التطور الاقتصادي والديمقراطي في دول العالم بصورة عامة ودول العالم الثالث بصورة خاصة. خلال عقود طويلة، ساد الرأي بأن الفساد جزء من ثقافة بعض البلدان ولذلك وجب القبول به وعدم التعرض له. إلا أنه أصبح جلياً أن الفساد في كل من القطاعين العام والخاص يشكل تهديدًا للأمن الوطني، فهو يقوض ثقة المواطنين في الحكومات ويعيق المنافسة العادلة والشريفة، ويساهم في انتشار ظاهرتي الفقر والبطالة إضافة الى تنامي الجريمة المنظمة.

الفقرة الأولى: مفهوم الحوكمة الرشيدة

أولاً: تعريفها

تُعرّف الحوكمة الرشيدة بأنها تشمل «العديد من العناصر الأساسية للديمقراطية مثل المشاركة والانفتاح على المجتمع المدني، واحترام حقوق الإنسان المدنية والفكرية والممتلكات الخاصة فضلاً عن إدارة الصراع بشكل سلمي» (Agere, 200) والحكم بشكل عام يعني «مجموعة القواعد التي يتم من خلالها إنفاذ القوة لصالح الأفراد وعليها أن تتيح لهم فرصة المشاركة في صنع القرارات بصورة متكافئة، وفي إطار من الشفافية والمصداقية، بل وتكون مسؤولة أمامهم، وهو ما يجعل أي حكم حكماً رشيداً. (WorldBank, Better Governance for Development in the Middle East and North Africa: Enhancing Inclusiveness and Accountability., 2003), أما (Weiss, 2000) فيرى أن الحوكمة الرشيدة تتعدى كونها تهتم بالإصلاح الإداري والاقتصادي وتطبيق مبادئ الديموقراطية، إلى كونها تهتم بحقوق الإنسان، والتنمية المستدامة، وخلاف ذلك هو مؤشر على الإدارة غير الرشيدة.

وأيضا يعتقد (Weiss, 2000)أنه للحصول على النتائج المرجوة من تطبيق الحوكمة الرشيدة، فلابد من توفر عنصرين: الأول أن يتم تطبيق عناصر الحوكمة الرشيدة بشكل متواز ومتوازن.

ثانيًا مراعاة الطبيعة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وشكل النظام السياسي لكل بلد عند التطبيق.

ثانيًا: نشأتها

ارتبط ظهور نظام الحوكمة في العصر الحديث بالأزمات والانهيارات المالية. كان بعضها ناجمًا عن انحراف بعض عناصر الإدارة التنفيذية المتمثل في شيوع الإهمال والاستغلال والفساد والتلاعب في الحسابات. لا يعدّ مصطلح الحكم (الإدارة) مصطلحاً جديدًا فهو قديم قدم الحضارة الإنسانية فكانت

المبادئ كالعدالة والمسؤولية والمساءلة والشفافية من الأسس التي تقوم عليها الحضارات. (مصرف_لبنان، 2013) أما مفهوم الحوكمة في صيغته الحديثة فقد ظهر مع نشوء الشركات التجارية، وانتشار ظاهرة فصل الملكية عن الإدارة. وقد تزايد الاهتمام بالحوكمة خلال السنوات الماضية بسبب الأزمات المالية والاقتصادية وانهيار شركات كبرى، كالتي شهدها العديد من أسواق المال في جميع أنحاء العالم، وخاصة الأزمة المالية والاقتصادية في أواخر العام 2008.

الفقرة الثانية: عناصر الحوكمة وأهدافها

اولاً: عناصر الحوكمة

الحوكمة الرشيدة (خضري د.، 2014) هي الإدارة الجيدة لجميع المؤسسات في الدولة من خلال سياسات، وآليات، وممارسات تقوم على **الشفافية، والمشاركة، والمساءلة**، و**سيادة القانون**، و**مكافحة الفساد**، وتسعى لتحقيق **العدالة**، وعدم التمييز بين المواطنين، **والاستجابة** لاحتياجاتهم، وتتحري **الكفاءة** للوصول بالسياسات والخدمات لأعلى مستوى من **الفعالية والجودة** يرضي المواطنين.

عناصر الحوكمة الرشيدة تُستخدم من قبل المؤسسات المالية الدولية، والدول المانحة كمقياس لمدى جودة الحكم في بلد ما. وبالتالي لمدى قابلية الدول المستفيدة من المنح والقروض من الاستغلال الأمثل لتلك المساعدات المالية وغير المالية (Kyj&.Mimicopoulos M، 2007؛ Santiso، 2001)

فمثلاً:

الأمم المتحدة تقدم ثمانية عناصر أساسية للحوكمة الرشيدة: (UNESCAP, 2009)المشاركة في اتخاذ القرارات التوافق بين الجهات المشاركة في إدارة شؤون الدولة،المساءلة، الشفافية، الاستجابة لمتطلبات الناس، الفعالية والكفاءة، الإنصاف والشمول، سيادة القانون.

أما **برنامج قياس جودة الحكم** Worldwide Governance Indicators فلقد **اعتمد ستة عناصر للحوكمة الرشيدة:** (World_Bank_Group, 1996) السيطرة على الفساد، فعالية الحوكمة, الاستقرار السياسي , جودة التشريعات وتطبيقها , سيادة القانون , المشاركة والمساءلة.

برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP (برنامج_الامم_المتحدة_الأنمائي، 1997) يقدم تسع سمات للحوكمة الرشيدة هي **المشاركة، سيادة القانون، الشفافية، الاستجابة، التوجيه نحو بناء توافق للآراء، الإنصاف، الفعالية والكفاءة، المساءلة، الرؤية الاستراتيجية**. وهذه السمات يجب أن يؤخذ بها بشكل متزامن ومتواز لكي تحقق الهدف المرجو.

ثانيًا: أهدافها

تؤدي الحوكمة الرشيدة إلى: (المجلس_التنفيذي_حكومة_عجمان_الأمانة_العامة) (خضري ي.، 2014) زيادة ثقة ورضا المواطن، المتابعة والرقابة الفعّالة للمواطنين، الوصول لقرارات أكثر حكمة ورشادة.

- الحصول على الخدمات بسعر مناسب وجودة مناسبة نتيجة لغياب الرشوة والوساطة وتحري الكفاءة والفعالية واحترام القواعد والقوانين المنظمة لجودة الخدمة.
- مشاركة كافة الأطراف المعنية في صناعة القرارات (بدءًا من التعبير عن الإحتياجات وإبداء الرأي في السياسات والخدمات وصولاً إلى تقييم القرارات والسياسات).
- القضاء على جرائم عديدة كالجرائم المنظمة – عمودها الفقري هو جريمة الفساد.

- خلق فرص عمل أكثر بسبب مكافحة الفساد.
- توفر الأطر القانونية والمؤسسية اللازمة لتوفير الخدمات بشكل فعّال وعادل.
- العمل على تحقيق الأهداف الوطنية الاستراتيجية وتحقيق الاستقرار المالي للدوائر الحكومية.
- رفع مستوى قدرات الدوائر الحكومية من خلال تعزيز وتطوير الأداء المؤسسي عن طريق المتابعة والتقييم بشكل مستمر.
- تحقيق مبدأ النزاهة والعدل والشفافية في استخدام السلطة وادارة المال العام وموارد الدولة.
- تحقيق مبدأ المحاسبة والمساءلة للجهات الحكومية وموظفيها والالتزام بالقوانين والأنظمة.

ووفقاً لتقديرات منظمة الشفافية الدولية (www.transparency.org, 2019)تزيد تكلفة الاستثمار في بيئة ينتشر بها الفساد بنسبة 20% عن تكلفته في بيئة ينخفض فيها الفساد. تزيد أثمان 20% من المشتريات الحكومية عن ثمنها الحقيقي بسبب الفساد وهي مبالغ كان من المفترض استخدامها للمنفعة العامة. يذهب 5% من إجمالي الناتج المحلي إلى ممارسات تتعلق بالفساد.

تنخفض كفاءة العاملين في أجهزة الدولة وغيرها نتيجة الرشوة والمحسوبية والوساطة

الفقرة الثالثة: أهمية تطبيق مبادئ الحوكمة

اولاً: إرتباط الحوكمة الرشيدة بالإصلاح الإداري

الإصلاح الإداري كمصطلح له عدة أوجة وتطبيقات، لكن بشكل عام يهدف الإصلاح الإداري إلى زيادة فعالية وكفاءة الإدارة في القطاع العام أو الخاص أو في المنظمات التي لا تهدف الى ربح، هذا الإصلاح من المفترض أن يؤدي إلى زيادة الإنتاجية كمًا ونوعًا وتقليل التكلفة. في هذا الصدد مرّت الإدارة بشكل عام والإدارة العامة بشكل خاص في السنوات الخمسين الماضية بعدة مراحل. قبل الثمانينات كانت الإدارة التقليدية هي المسيطرة والأكثر إنتشارًا، الإدارة التقليدية تتسم بالمركزية والتركيز على المخرجات أكثر من المدخلات بالإضافة إلى كون الحكومة هي اللاعب الرئيسي في عملية الإدارة (Denhardt, 2007; Frahm, 2009)

أمَا في الثمانينات، فظهر أسلوب إداري يعتمد على إعطاء القطاع الخاص فرصة اكبر في تقديم الكثير من الخدمات، وإدارة المنافع العامة التي كانت الحكومات تسيطر عليها. «الخصخصة» هو أسلوب أُعتمد في أمريكاً وبريطانيا ومن ثم انتشر في الكثير من الدول. الكثير من المصانع والمرافق العامة تم بيعها أو إعطاء حقوق إدارتها وإستثمارها للقطاع الخاص، وأصبح دور الدولة يتركز في التشريعات والرقابة في ظل أسلوب الخصخصة. (Hummel, 1998) (Kingdon, 1984)

مع تعقّد التركيبة السكانية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات، أصبح من الصعب – على الحكومات بمفردها أو بمساعدة القطاع الخاص – إدارة المشاريع أو مراقبة القطاع الخاص مما أدّى إلى وجود خلل في جودة الخدمات المقدمة للناس، بالإضافة إلى إنتشار الفساد المالي والإداري في كثير من المجتمعات.

انتشار الفساد وعجز الدولة عن القيام بدورها الخدمي والرقابي، أدّى في كثير من المجتمعات الى اضطرابات سياسية واقتصادية وفي بعض الأحيان إلى حروب. هذا الوضع الجديد أدّى إلى طرح فكرة قديمة في مبدئها جديدة في تطبيقها، ألا وهي نموذج الحوكمة. أحد أهم مبادئ الحوكمة هو المشاركة من قبل الأفراد ومنظمات المجتمع المدني في إدارة شؤون الدولة، ورسم السياسات والرقابة وتعزيز

الشفافية. (Frahm، 2009) (Rhodes R.، 2007) (Kettl D. , 2002)

لذالك يُعرّف Neumayer2003:8 الحوكمة بأنها «الطريقة التي يُساهم بها متخذي القرارات في رسم وتطبيق السياسات ومدى مساهمة الحكومة في تعزيز حقوق المواطنين».

فتعزيز الشفافية مثلًا يساعد على تعزيز جودة العمل الإداري وبالتالي تقليل الفساد وهو أحد أكبر التحديات التي تواجة الدول. وفقًا لتقرير لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD فإن الفساد «يعرقل التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ويؤثر على الأسواق والمنافسة، ويقوّض شريعة ومصداقية الدول» (وزارة_الدولة_للتنمية_لإدارية، 2011)

أيضًا الحوكمة كنظام إداري يُعزّز المرونة في تطبيق البرنامج كنتيجة للامركزية ووفقًا لاحتياجات كل مجتمع (Scott, 2003) (Austin, 2003). طبقًا لذلك، فإن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي(UNDP)يُشدّد على أن الامركزية ودعم الحكم المحلي كأسلوب لإدارة شؤون الدولة، يساعد في تحقيق مقومات الحوكمة الرشيدة، ومنها مساهمة الأقليات في إدارة شؤون الدولة (برنامج الامم المتحدة الأنمائي1997 (. أيضًا فإن مبدأ المساءلة وفقًا لنموذج الحوكمة الرشيدة، يكون إحدى مهام منظمات المجتمع المدني والمواطنين المستفيدين من الخدمات والمشاركين في إدارة شؤون الدولة، وهذا الأسلوب هو مقابل الأسلوب التقليدي في الإدارة والذي يجعل الحكومة هي المسؤولة عن الرقابة على البرامج والمشاريع. وفقًا ل (Frahm, 2009) فإن «نموذج الحوكمة نقل المساءلة إلى كل القطاعات المشاركة في عملية الحوكمة، وأصبحت الرقابة تُركّز على النتائج وخاصة النتائج على المستوى المحلي». في تقرير لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية(OECD) عن الحوكمة في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يشير التقرير إلى أن الإدارة العامة والمالية العامة لهما تأثير كبير على تطور الحوكمة، وبالتالي تعزيز التنمية المستدامة لذلك يعتقد التقرير أن تطوير الإدارة العامة والمالية العامة، هو التحدي الأكبر لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. يرى التقرير أن إصلاح المالية العامة وإدارة المال العام، له تأثير كبير على دفع عجلة الإصلاح الإداري والسياسي. ايضًا يشير التقرير إلا أن الحوكمة الجيدة (الرشيدة) لا تؤثر فقط على أداء الحكومة، بل يتعدى هذا التأثير إلى زيادة فعالية ومساهمة القطاع الخاص في دعم الاقتصاد الوطني عن طريق خلق بيئة استثمارية جاذبة لرؤوس الأموال، ومشجعة على الإستثمار وبالتالي نمو اقتصادي متوقع.

يتضح مما سبق أن مبادئ الحوكمة الرشيدة تساهم بشكل مباشر في الإصلاح الإداري وتدعمه، عن طريق تعزيز مبادئ الشفافية والمساءلة واللامركزية ومشاركة المستفيدين من الخدمات في رسم السياسات وإتخاذ القرارات. فالحوكمة الرشيدة هي أساس وعنصر مهم في الإصلاح الاقتصادي والإداري.

ثانيًا: الحوكمة والتنمية المستدامة (الشاملة والطويلة الأجل):

برنامج الامم المتحدة الأنمائي ((UNDPهو أحد برامج الأمم المتحدة التي تُركّز على التنمية البشرية المستدامة للدول الأعضاء في الأمم المتحدة، ولهذا الغرض يُصدِر البرنامج مؤشراHDI Human Development Index لقياس مستوى التنمية البشرية في الدول الأعضاء.

يُعرّف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي التنمية البشرية بأنها «توسيع الخيارات المتاحة لجميع الناس في المجتمع». (برنامج_الامم_المتحدة_الأنمائي، 1997)

أكدت دراسة للبرنامج عن العلاقة بين الحوكمة الرشيدة والتنمية البشرية، أن أهداف التنمية البشرية والتي تشمل رفع المستوى التعليمي والصحي وزيادة مستوى دخل المواطنين، هي عوامل مهمه لتحقيق

الحوكمة الرشيدة. وبالمقابل فإن الحوكمة الرشيدة تُطبّق بالشكل الصحيح وتكون أكثر كفاءة وفعالية في الدول الأكثر تقدمًا في مجال التنمية البشرية. لذلك يرى البرنامج أن العلاقة بين الحوكمة الرشيدة والنمو الاقتصادي والتنمية البشرية هي علاقة تبادلية، حيث أنه لابد من التنمية المتوازنة للحصول على التنمية المستدامة على المدى البعيد (UNDP، 2010).

يرى (Pradhan, & Sanyal, 2011) أن هناك تشابها بين مبادئ الحوكمة وعناصر التنمية البشرية فمثلاً نجد أن الشفافية وسيادة القانون كعناصر للحوكمة الرشيدة هي في نفس الوقت شروط أساسية لرفع جودة التعليم والصحة. لذاك يرى ايضًا أن الجودة في الحكم تؤدي إلى عمل حكومي أكثر فعالية وكفاءة، والذي يؤدي بدوره إلى دعم جودة مخرجات التعليم وجودة الخدمات الصحية المُقدّمة للناس.

فيقول: «جودة الحكم مرتبطة بالنمو والتطور. هذا بسبب أن الحكومات تقدم خدمات أكثر كفاءة للعامة، مما يؤدي إلى رفع مستوى المعيشة للناس».

يعرف البنك الدولي مفهوم الإدارة والحكم الصالح، بأنه «الطريقة التي تباشر بها الدولة إدارة موارد الدولة الاقتصادية والاجتماعية بهدف تحقيق التنمية». (الحزيم، 2012)

أما برنامج الأمم المتحدة الإنمائي فيؤكد على أن النمو الاقتصادي لا يؤدي بالضرورة إلى التنمية البشرية المستدامة، لذلك لابد من التركيز على عناصر الحكم الراشد للوصل إلى التنمية المستدامة.

مما سبق تتضح العلاقة القوية والمؤثرة بين الحوكمة الرشيدة والتنمية الاقتصادية والبشرية. أيضًا من الواضح وجود تأثير متبادل بين التنمية البشرية والاقتصادية والحوكمة الرشيدة، بمعنى أنه لتحقيق التنمية المستدامة لابد للحكومات من اعتماد مبادئ الحكم الراشد. وبالمقابل فإن جودة الخدمات الصحية وارتفاع مستوى التدريب والتعليم للأفراد يعزز الحوكمة الرشيدة، وبالتالي يؤدي إلى تقليل الفساد وتعزيز الشفافية وزيادة كفاءة وفعالية الاداء الحكومي والقطاع الخاص.

الفقرة الرابعة: مقاييس الحوكمة

من المؤكد أن الحوكمة تؤثّر تأثيرًا مباشرًا وقويًا على المخرجات الاقتصادية والسياسية، وجهود الحكومات في سبيل تنمية اقتصادية واجتماعية وبشرية مستدامة. لذلك فإن مخرجات مقاييس الحوكمة تلعب دور مهم في قرارات المنظمات الدولية والدول المانحة، في الموافقة على المنح والقروض للدول المحتاجة (Arndt & Oman, 2006),وجود مقاييس للحوكمة هو مطلب للحكومات والمنظمات الدولية. فالحكومات تستخدم مقاييس الحوكمة لتقييم أداء الحكومة وتحديد أماكن الخلل التي تحتاج إلى تطوير. بالمقابل فإن المنظمات الدولية تستفيد من تلك المقاييس في تحديد نوع وحجم المساعدات اللازمة لكل دولة.

(Mimicopoulos M.&Kyj, 2007) (Thomas, 2008)

وفقًا لـ (WorldBankInstitute, 2006) فإن هناك أكثر من 140 مقياسا لمؤشرات الحوكمة كانت متاحة للاستخدام في عام 2006. من هذه المؤشرات worldwide governance indi- cators – WGI ومؤشر الفساد العالمي، وهذا الكم الهائل من المقاييس يوضح حجم الطلب وأهمية وجود مقاييس للحكم الراشد. بالإضافة إلى أن هذه المقاييس لمستوى الحوكمة الرشيدة في الدول تساعد الجهات التشريعية ومتخذي القرارات في إصدار تشريعات واتخاذ قرارات ذات جودة عالية. في دراسة ل (Arndt & Oman, 2006) حول مقاييس مؤشرات الحوكمة المتاحة، تبين أن عددا كبيرا ومتزايدا

من الاعمال التجارية الدولية والقرارات السياسية يعتمد بشكل مباشر على تلك المؤشرات.

ثانيًا: المؤشرات العالمية للحوكمة(Worldwide Governance Indicators (WGI

على الرغم من تعدد مؤشرات قياس الحوكمة، إلا أن هذه المؤشرات تختلف من ناحية جودة ودقة وشمولية المقياس. أيضا هناك مؤشرات لها قبول أكبر واستخدام أكثر ومصداقية أعلى من باقي المؤشرات من قبل المستخدمين. المؤشرات العالمية للحوكمة WGI هي أكثر المؤشرات شموليةً ومصداقية ودقّة في قياس جودة الحكم مقارنة ببقية المؤشرات المتاحة. أثبتت الدراسات (Thomas, 2008) (Arndt & Oman, 2006) أنّWGI هو من أكثر مؤشرات الحوكمة استخدامًا من قبل متخذي القرار مستوى على الحكومات وعلى مستوى المنظمات الدولية. WGI هو أحد منتجات البنك الدولي وقد عدّه الكثير من الخبراء والمستخدمين لمؤشرات قياس جودة الحكم. وفقًا للبنك الدولي فإن WGI قُدّم كمؤشر شامل لقياس جودة الحكم وليس كبديل للمقاييس الأخرى. هناك عدة نقاط تجعل من WGI واحد من أفضل مقاييس جودة الحكم المتاحة. اولًا مقارنة بالمقاييس الأخرى والتي تتكون من مقياس واحد للحوكمة، يحتوي WGI على ستة مقاييس وكل مقياس يركز على موضوع من مواضيع الحوكمة، هذه المقاييس تشمل (السيطرة على الفساد، فعالية الحكومة، الاستقرار السياسي، جودة التشريعات وتطبيقها، سيادة القانون، المشاركة والمساءلة). كل مقياس يمكن استخدامه كمؤشر مستقل لموضوع واحد من مواضيع الحوكمة. (Arndt & Oman, 2006; Kaufmann, Kraay, & Mastruzzi, 2010)

ثانيًا تم بناء كل مؤشر من المؤشرات العالمية للحوكمة باستخدام 31 مصدرا للبيانات و441 متغيرا مما يضفي مزيدا من الشمولية للمؤشرات. بالإضافة إلى أن المؤشرات تُغطي المؤشرات 213 دولة وأقليما ويتميز WGI بالدقة والمصداقية مما جعله يُستخدم كمقياس لجودة الحكم ويُعتمد عليه في رسم السياسات واتخاذ القرارات من قبل المنظمات الدولية والحكومات. يتم اصدار مؤشرات WGI بشكل سنوي اعتبارًا من 2004 بينما تم إصدار مؤشرات كل سنتين من أول نسخة في 1996 إلى 2003.

هناك مصدران رئيسيان تم استخدامهما في بناء مؤشرات WGI هي آراء الخبراء (وتشمل البيانات المتاحة عن أداء الحكومات) والدراسات الإستقصائية من المواطنين وأصحاب الاعمال. البيانات التي تم جمعها من المنظمات الحكومية وغير الحكومية، القطاع الخاص والمنظمات الإقليمية والدولية ساهمت أيضًا في بناء بيانات WGI: (http://info.worldbank.org/governance/wgi/#home)

متاحة للعامة. كل مؤشر من مؤشرات WGI يستخدم مجموعة معينة من مصادر المعلومات وفقًا للموضوع الذي يقيسه المؤشر.

مؤشر السيطرة على الفساد(Control of Corruption (CC

محاربة الفساد هو أحد خصائص الحوكمة الرشيدة (Agere,2002;Box,1998) بالإضافة إلى أن السيطرة على الفساد يدعم النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية. وفقًا لWGI فإن مؤشر السيطرة على الفساد يقيس «المدى الذي يمكن من خلاله للسلطة العامة أن تُحجّم المكاسب الشخصية الكبيرة والصغيرة، وكذلك الحد من سيطرة النُخب وأصحاب المصالح الشخصية على الحكم»(Kaufmann et al.,2010a:6).

مؤشر فعالية الحكومة(Government Effectiveness (GE

يقيس هذا المؤشر الجودة الشاملة للخدمات المقدمة من قيل الحكومة، بالإضافة إلى مدى جودة

الأنظمة واللوائح المنظمة لعمل الحوكمة، ومدى التزام الدولة بهذه الأنظمة. (Kettl D. , 2002) (Agere, 200) (Box, 1998)

مؤشر الاستقرار السياسي Political Stability and absence of Violence

إن مؤشر الاستقرار السياسي يقيس «احتمال زعزعة استقرار الحكومة أو حدوث انقلاب غير شرعي أو استخدام العنف وهذا يشمل العنف ذا الطابع السياسي والإرهابي». (Kaufmann، Kraay، و Mastruzzi، 2010).

مؤشر جودة التشريعات وتطبيقها Regulatory Quality(RQ)

يهتم هذا المؤشر بقياس مدى جودة اللوائح والأنظمة التي تتبناها وتطبقها الحكومات في سبيل دعم القطاع الخاص كمُكون رئيسي في التنمية الاقتصادية للدول، وهذا اعتراف واضح بالدور الذي يلعبه القطاع الخاص كداعم موازي للدور الحكومي في تعزيز التنمية الاقتصادية. يهتم أيضًا هذا المؤشر بقياس جودة القوانين التي تُنظّم حياة الناس والطريقة التي يتفاعل بها الناس مع الحكومة في تشكيل عملية الحوكمة (Repucci, 2011) (Pradhan, & Sanyal, 2011) (Levi–Faur, 2010).

مؤشر سيادة القانونRule of Law

كون الناس سواسية أمام القانون هو أحد عناصر حقوق الإنسان الأساسية، وهو أيضًا عنصر مهم من عناصر الحوكمة الرشيدة (Pradhan, & Sanyal, 2011) (Box, 1998) .

مؤشر المشاركة والمساءلة VoiceandAccountability(VA)

يقيس مؤشر المشاركة والمساءلة «مدى قدرة مواطن بلد ما على المشاركة في انتخاب حكومتهم، بالإضافة إلى حرية التعبير وحرية تكوين الجمعيات والإعلام الحر» (Kaufmann, Kraay, & Mastruzzi, 2010)

الفصل الثاني: الإطار التطبيقي

الفقرة الأولى: واقع الحوكمة في دول عينة البحث (الدنمارك – لبنان):

اخترت العمل على: الدنمارك كونها متصدّرة المراتب الأولى في الاصلاح واللافساد، ولبنان كونه من البلاد العربية الاكثر فسادا، والكويت كبلد عربي له محاولة تستحق الوقوف عندها.

في **الدنمارك:** إن الحالة في الإصلاح الإداري مستقرة، والحوكمة تعمل بصورة مستمرة منذ منتصف التسعينيات – فتخلو الدنمارك من أبواب الفساد الإداري والمالي بسبب النزاهة وثقة الدنماركي الكبيرة بالقوانين منذ صغره، حصلت الدنمارك على الأولوية فهي البلد الأفضل حُكمًا في العالم.

(World_Bank's_Governance_Index, 2017) (شبلي2014 ,)

(WorldHappinessReport, 2018) (Rule_of_Law_Index, 2016) وفي **الكويت:** ركّزت الحكومة الكويتية في السنوات الأخيرة على أهمية الحوكمة في القطاعين العام والخاص.

أمّا في **لبنان:** ما زال بعيداً عن تطبيق الحوكمة في سبيل تحقق الإصلاح الإداري الأمثل (سنة 2017 بلغ الترتيب المئوي بين دول العالم 14.9% لمؤشر السيطرة على الفساد. إن مستقبل لبنان القانوني والاقتصادي بحاجة ماسة إلى تطبيق الحوكمة من أجل الإصلاح الإداري لكون المجتمع اللبناني يعاني من التدخلات السياسية والطائفية في كل مداخله السلبية وليست الإيجابية. (شبلي،

Bottom of Form(2014

اولاً: مؤشر السيطرة على الفساد Control of Corruption

الجدول (1) يوضح تغيرات مؤشر السيطرة على الفساد في الدول المختارة خلال الفترة 1996- 2017 - المصدر: World Bank (2018)

الدولة	الدنمارك		لبنان		الكويت	
عنوان تفسيري	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-100)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-010)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-100)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)
1996	100	2.23	31.18	-0.66	70.43	0.48
1998	99.48	2.26	40.72	-0.45	74.23	0.59
2000	99.49	2.39	34.52	-0.54	73.60	0.59
2002	99.49	2.37	26.77	-0.48	76.77	1.01
2003	99.49	2.42	30.30	-0.67	77.27	0.80
2004	99.51	2.43	28.29	-0.66	76.10	0.79
2005	99.02	2.29	37.56	-0.53	69.27	0.51
2006	100	2.47	18.54	-0.94	69.76	0.43
2007	100	2.45	19.42	-0.89	69.42	0.37
2008	100	2.39	20.87	-0.82	68.93	0.42
2009	100	2.45	21.53	-0.83	67.46	0.31
2010	100	2.36	20.00	-0.88	65.24	0.30
2011	100	2.40	19.43	-0.90	59.72	0.09
2012	100	2.38	19.43	-0.87	52.13	-0.19
2013	100	2.40	19.43	-0.92	52.61	-0.19
2014	99.52	2.25	13.94	-1.04	50.96	-0.24
2015	98.08	2.21	19.23	-0.88	51.44	-0.23
2016	99.04	2.23	13.94	-0.97	48.08	-0.27
2017	98.56	2.19	14.90	-1.00	44.71	-0.33

جدول 1. مؤشر السيطرة على الفساد

رسم بياني بالأعمدة 1. مؤشر السيطرة على الفساد – الترتيب المئوي بين دول العالم –

ثانيًا: مؤشر فعالية الحكومة Government Effectiveness

الجدول (2) يوضح تغيرات مؤشر فعالية وكفاءة الأداء الحكومي «فعالية الحكومة» في الدول المختارة خلال الفترة 1996-2017 – المصدر: (World Bank 2018)

الدولة	الدنمارك		لبنان		الكويت	
عنوان تفسيري	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-100)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-010)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-100)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)
1996	94.54	1.76	51.37	-0.13	59.02	0.12
1998	97.41	1.98	57.51	0.01-	55.96	0.06-
2000	97.44	1.98	48.72	0.19-	53.85	0.08-
2002	99.49	2.09	46.94	0.29-	61.73	0.11
2003	99.49	2.15	50.00	0.21-	62.76	0.12
2004	100	2.31	47.78	0.26-	61.58	0.10
2005	99.51	2.12	48.53	-0.19	60.29	0.17
2006	100	2.23	45.85	-0.26	63.41	0.29
2007	99.51	2.35	44.66	-0.33	56.31	0.10
2008	99.51	2.25	41.26	-0.42	55.83	0.01-
2009	99.52	2.23	39.71	-0.47	60.77	0.20
2010	99.04	2.10	44.98	-0.28	60.77	0.17
2011	99.05	2.10	45.97	-0.27	55.92	0.02
2012	99.05	1.98	44.08	-0.35	51.66	0.07-
2013	99.05	1.99	42.65	-0.40	52.61	0.07-

2014	97.12	1.82	40.87	-0.38	47.12	0.15-
2015	97.60	1.85	37.02	-0.47	52.88	0.03-
2016	99.04	1.88	35.10	-0.54	48.56	0.15-
2017	95.67	1.80	33.17	-0.51	46.63	0.17-

جدول 2. مؤشر فعالية الحكومة

رسم بياني بالأعمدة2. مؤشر فعالية الحكومة - الترتيب المئوي بين دول العالم -

ثالثًا: مؤشر الاستقرار السياسي Political Stability and absence of Violence

الجدول (3) يوضح تغيرات مؤشر الاستقرار السياسي وغياب العنف في الدول المختارة خلال الفترة 1996-2017 - المصدر: World Bank (2018)

الدولة	الدنمارك		لبنان		الكويت	
عنوان تفسيري	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-100)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-010)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (100-٠)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)
1996	97.87	1.44	23.40	-0.67	52.66	0.17
1998	97.34	1.43	20.21	-0.75	63.30	0.46
2000	95.77	1.50	31.22	-0.44	73.02	0.75
2002	96.83	1.53	31.75	-0.36	42.33	-0.15
2003	93.97	1.20	30.15	-0.46	54.77	0.29
2004	83.98	1.09	23.30	-0.71	56.31	0.34
2005	85.44	1.07	18.45	-1.00	55.34	0.25
2006	85.02	1.05	6.28	-1.81	58.45	0.41
2007	91.30	1.12	3.38	-2.12	68.12	0.62
2008	86.06	1.07	4.81	-1.88	61.54	0.50
2009	85.31	1.00	8.53	-1.56	55.45	0.35
2010	86.26	1.04	7.11	-1.63	61.14	0.45

2011	87.20	1.10	5.69	−1.56	56.87	0.31
2012	75.83	0.91	6.16	−1.66	53.08	0.20
2013	80.09	0.96	6.64	−1.69	52.61	0.17
2014	78.57	0.95	7.14	−1.70	51.43	0.15
2015	76.67	0.90	7.14	−1.70	39.05	−0.21
2016	74.76	0.87	8.10	−1.62	45.24	−0.05
2017	75.71	0.87	8.57	−1.59	43.81	−0.04

جدول 3. مؤشر الاستقرار السياسي

رسم بياني بالأعمدة 3. مؤشر الاستقرار السياسي – الترتيب المئوي بين دول العالم –

رابعًا: مؤشر جودة التشريعات وتطبيقها Regulatory Quality

الجدول (4) يوضح تغيرات مؤشر جودة التشريعات وتطبيقها في الدول المختارة خلال الفترة 1996-2017 – المصدر: (World Bank (2018

الدولة	الدنمارك		لبنان		الكويت	
عنوان تفسيري	الترتيب المئوي بين دول العالم (0−100)	تقدير جودة الحكم (−2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0−010)	تقدير جودة الحكم (−2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0−100)	تقدير جودة الحكم (−2.5 إلى +2.5)
1996	97.83	1.78	34.78	−0.41	64.13	0.31
1998	96.89	1.78	46.63	−0.16	51.81	−0.04
2000	95.90	1.78	35.38	−0.37	52.82	−0.03
2002	96.94	1.76	41.84	−0.36	64.80	0.36
2003	97.96	1.77	51.53	−0.11	66.84	0.41
2004	97.04	1.76	50.74	−0.09	68.47	0.57
2005	98.04	1.65	49.51	−0.16	63.73	0.47
2006	98.53	1.80	47.55	−0.21	59.80	0.30
2007	99.51	1.93	46.60	−0.26	58.74	0.26

2008	99.03	1.87	46.60	-0.25	56.80	0.17
2009	100.0	1.88	52.15	-0.05	56.46	0.15
2010	99.52	1.88	53.59	0.05	55.50	0.16
2011	99.53	1.91	51.66	-0.06	54.98	0.08
2012	97.63	1.81	47.87	-0.12	52.61	-0.04
2013	97.63	1.81	49.29	-0.08	50.71	-0.07
2014	93.75	1.69	45.67	-0.25	49.04	-0.15
2015	94.71	1.73	43.75	-0.29	48.56	-0.17
2016	92.31	1.58	40.87	-0.34	52.88	-0.07
2017	92.31	1.62	40.87	-0.31	53.37	-0.06

جدول 4. مؤشر جودة التشريعات وتطبيقها

رسم بياني بالأعمدة .4 مؤشر جودة التشريعات وتطبيقها – الترتيب المئوي بين دول العالم –

خامسًا: مؤشر سيادة القانون Rule of Law

الجدول (5) يوضح تغيرات مؤشر سيادة القانون في الدول المختارة خلال الفترة 1996– 2017 – المصدر: World Bank (2018)

الدولة	الدنمارك		لبنان		الكويت	
عنوان تفسيري	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-100)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-010)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0-100)	تقدير جودة الحكم (-2.5 إلى +2.5)
1996	97.99	1.82	42.21	-0.28	67.34	0.60
1998	98.00	1.88	41.50	-0.31	70.50	0.64
2000	97.52	1.84	46.04	-0.17	67.82	0.57
2002	99.01	1.92	44.55	-0.31	69.31	0.61
2003	99.50	1.96	42.08	-0.39	68.32	0.57
2004	99.04	1.95	44.02	-0.26	66.03	0.52

2005	99.04	1.95	43.54	−0.33	65.07	0.54
2006	100.0	2.00	30.62	−0.64	65.07	0.54
2007	100.0	2.01	28.71	−0.70	68.90	0.60
2008	99.52	1.97	28.85	−0.67	68.27	0.59
2009	98.58	1.92	29.91	−0.68	66.82	0.59
2010	99.05	1.90	29.38	−0.71	66.82	0.59
2011	99.06	1.92	29.58	−0.69	66.20	0.55
2012	98.12	1.87	27.23	−0.75	62.44	0.37
2013	98.59	1.90	25.82	−0.78	62.44	0.37
2014	99.52	2.10	24.52	−0.77	59.62	0.02
2015	99.52	2.04	21.15	−0.83	57.21	0.0
2016	97.60	1.91	19.23	−0.83	55.29	0.03
2017	97.60	1.86	21.15	−0.82	57.69	0.10

جدول 5. مؤشر سيادة القانون

رسم بياني بالأعمدة 5. مؤشر سيادة القانون – الترتيب المئوي بين دول العالم –

سادسًا: مؤشر المشاركة والمساءلة Voice and Accountability

الجدول (6) يوضح تغيرات مؤشر المشاركة والمساءلة في الدول المختارة خلال الفترة 1996– 2017 – المصدر: (World Bank (2018

الدولة	الدنمارك		لبنان		الكويت	
عنوان تفسيري	الترتيب المئوي بين دول العالم (0–100)	تقدير جودة الحكم (−2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0–010)	تقدير جودة الحكم (−2.5 إلى +2.5)	الترتيب المئوي بين دول العالم (0–100)	تقدير جودة الحكم (−2.5 إلى +2.5)
1996	96.00	1.54	39.00	−0.33	41.50	−0.24
1998	95.52	1.47	37.31	−0.40	41.29	−0.30
2000	97.51	54.1−	39.30	−0.31	39.80	−0.30

2002	99.00	1.53	28.86	−0.66	39.80	−0.36
2003	99.50	1.60	33.33	−0.49	38.31	−0.40
2004	100.0	1.80	36.54	−0.41	39.90	−0.30
2005	100.0	1.74	40.38	−0.28	33.65	−0.48
2006	100.0	1.57	33.65	−0.39	30.77	−0.58
2007	97.12	1.48	33.65	−0.47	32.21	−0.55
2008	99.04	1.54	34.13	−0.42	30.29	−0.54
2009	97.63	1.54	35.55	−0.36	31.75	−0.48
2010	97.63	1.54	36.02	−0.33	30.33	−0.52
2011	97.18	1.55	34.74	−0.39	30.05	−0.56
2012	99.06	1.67	35.21	−0.39	27.70	−0.64
2013	99.53	1.67	35.21	−0.40	28.17	−0.66
2014	97.04	1.52	33.50	−0.42	28.57	−0.66
2015	97.54	1.55	31.03	−0.46	28.08	−0.66
2016	99.01	1.54	32.02	−0.52	29.06	−0.63
2017	96.55	1.52	31.53	−0.58	30.54	−0.61

جدول 6. مؤشر المشاركة والمساءلة

رسم بياني بالأعمدة .6 مؤشر المشاركة والمساءلة – الترتيب المئوي بين دول العالم –

يعتقد(واكد، 2003) أن هناك قصورا في اعتماد وتطبيق عناصر الحوكمة الرشيدة من قبل الحكومات العربية نتيجة غياب دور ومساهمة القطاعات غير الحكومية مثل القطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية في عملية الحوكمة، مثل المساهمة في رسم السياسات واتخاذ القرارات. في تقرير للبنك الدولي، يتبين أن «المساءلة هي نقطة الضعف الأساسية في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا» (البنك_الدولي، 2003)

الفقرة الخامسة: تفعيل الحوكمة في الكويت ووصف الحالة في لبنان:

1. **الكويت** (القبس_الإلكتروني، 2017) تُقيم الكويت في السنوات الأخيرة مؤتمرات وأبحاثا حول الحوكمة إيمانًا منها أن تفعيل معايير الحوكمة أصبح أمرا لا بُدّ منه لتطوير التنمية المستدامة. إن تطبيق الحوكمة يحقق العديد من الايجابيات والفوائد في مقدمتها أنها أداة لمحاربة الفساد وتحفيز وتحسين الأداء في مؤسسات القطاع العام والمحافظة على المال العام ضد الهدر أو الاستغلال. فقد خرج المؤتمر الثاني للحوكمة في دول مجلس التعاون الخليجي الذي عقدت فعالياته بالكويت

تحت عنوان «حوكمة القطاع العام والخاص في ضوء الإصلاح الاقتصادي» في أذار2017 بعدد 11 توصية القابلة للتطبيق العملي ومنها:

- تبني منهج الحوكمة على مستوى الدولة من خلال السياسات العامة والتشريعات للقضاء أو التخفيف من الإجراءات والروتين والبيروقراطية المنتشرة في أجهزة القطاع العام.

يمكن للحوكمة أن تنجح في القطاع الخاص دون استكمال المنظومة في القطاع العام.

- القطاع الحكومي كبير الحجم ومتشعب ومتعدد الجهات والمهام وتطبيق الحوكمة في أجهزته تسهيل تنفيذ برامج الخصخصة وإعادة الهيكلة تحقيقا للتنمية المستدامة.
- أن تبدأ الدولة تنفيذا وتماشيا مع رؤية الكويت 2035 «كويت جديدة» نحو مستقبل مُستدام، (Newkuwait_Vision_2035, 2017) – تحويل الكويت إلى مركز مالي تجاري تماشيا مع برامج الإصلاح المالي والاقتصادي وتماشيا مع أفضل الممارسات الدولية بالتطبيق الفوري وفرض برامج الحوكمة على القطاع العام.
- أن يتم تكليف لجنة مختصة تتبع مجلس الوزراء بوضع خطة لبناء برنامج عام للحوكمة في دولة الكويت بموجب قانون حتى تكون قادرة على التعاون مع كل الأجهزة الحكومية وغيرها كالبرلمان. و يجب ألا يكون تطبيق الحوكمة صوريًّا أو على الورق وإنما يكون فعليًّا وحقيقيًّا.
- لابد من البدء في نشر الوعي وثقافة وقيم الحوكمة في مؤسسات الدولة وخلق ثقافة المساءلة.

2. لبنان

أكد حاكم مصرف لبنان رياض سلامة أن «الحوكمة الرشيدة أصبحت من المتطلبات الرئيسية للبلد.

فقال :«الحوكمة تعتبر احدى الوسائل الهادفة الى تحقيق التنمية الاقتصادية ورفاه المجتمع، وارساء قيم العدالة والمساواة في الفرص، والشفافية والافصاح التي تضمن نزاهة المعاملات وتعزيز سيادة القانون، ورسم الحدود الفاصلة بين المصالح الخاصة والمصالح العامة»، مشدداً على أن «اهمية الالتزام بالحوكمة كنظام للادارة الرشدية من خلال تعزيز اجراءات الرقابة، ومحاربة الفساد، والتحدي الكبير في هذا المجال يتمثل في التعرف على المعايير العالمية المعتمدة في الحوكمة وتكييفها لتتلاءم مع خصائص المؤسسات والاسواق المالية والاعراف». (١١ تموز ٢٠١٨) (El_Nashra, 2018)

1.2 مشكلات القطاع العام اللبناني: يعاني القطاع العام اللبناني مشكلات عديدة تجعله يتلاشى وينهار، وتتأثر به شرائح المجتمع كافة. وأهمّها: (وزارة – الدولة – الشؤون – التنمية – الإدارية، 2011) (صالح ج.، الفساد الإداري وأثره على الوظيفة العامة، 2016)

- **تجاوز القوانين والأنظمة**
- **غياب الثقافة السياسية أو الوعي السياسي.**
- **غياب التشريعات اللازمة وغموض بعضها.**
- **تخلّف الوسائل والأساليب الإدارية.**
- **نقص كفاءة الموظفين.**
- **غياب الرقابة.**

- **البيروقراطية.**
- **ضعف البنى التحتية.**
- **عدم القدرة على ضبط الفساد.**
- **انعدام الابتكار والتجديد.**
- **تفشّي ظاهرة الفساد الإداري وتغلغلها في أروقة الإدارات العامة.**

2.2 سبل المعالجة الاقتراحات – نحو رشاد الإدارة في لبنان:

أظهرت التجارب الإصلاحية للقطاع العام أنّها لم تكن بالمستوى المطلوب ولم تحقق الأهداف المرجوّة منها، نظرًا للتدخلات السياسية المتزايدة ولغياب الثقافة والوعي السياسي، وعدم توافر الحماسة الكافية لدى الحكومات المتعاقبة على بناء قطاع عام قادر على المنافسة وتقديم أجود الخدمات للمواطن وضمان حقوقه. (مبارك، 2017) ويمكن القول، إنّ القطاع العام لا يمكن له أن ينهض من كبوته وأعبائه الثقيلة لوحده من دون أن يكون له شريك، وهذا الشريك هو القطاع الخاص والمجتمع المدني.

في ما يلي مجموعة من السياسات والإجراءات التي يمكن أن تكون حلاً لمشكلات القطاع العام، وتسهم في عملية الإصلاح الإداري: (مبارك، 2017) (بربر، 2012)

- **الخصخصة/الشراكة بين القطاعين العام والخاص – دعم الأبحاث والتطوير في الإدارات العامة**
- **دعم الإصلاحات التشريعية وسن القوانين العصرية الفعالة.**
- **توصيف الوظائف داخل الإدارة العامة – نشر الثقافة القانونية بين مختلف شرائح المجتمع**
- **تحسين البنى التحتية وبيئة العمل. – فصل السياسة عن القضاء**
- **ردم الهوة بين القانون والتطبيق – تعزيز الثقافة الإدارية والوعي الأخلاقي لدى الموظف**
- **تنمية الموارد البشرية ووضع الخطط والبرامج لتنفيذها – تعزيز مبدأ المساءلة والمحاسبة**
- **رفع كفاءة المؤسسات الحكومية المعنية بمحاربة الفساد** (ومنع التدخلات السياسية فيها)
- **تكثيف العمل على إنشاء الحكومة الإلكترونية**

الخاتمة:

في الختام يمكن القول إن الوصول إلى نتائج فعالة في مجال حوكمة القطاع العام في الدول يتطلب مراعاة الجوانب الآتية: الحاجة الى إعادة هيكلة الجهاز الإداري لأنه تبين أن هناك تداخلا بين أدوار الأجهزة أو عدم وضوح الاختصاصات والأدوار الموكلة لكل جهاز، على اعتبار أن هذه الأمور تحدّ في الحوكمة، إيجاد آلية للفصل بين الأدوار الرقابية والتنفيذية، وتأهيل كوادر بشرية قادرة على إدارة تلك الأدوار، تبني أفضل الطرق لقياس الحوكمة في المؤسسات وإيجاد معايير وآليات لإختيار الكفاءات لتولي المناصب، وإشراك المؤسسات المعنية بالحوكمة كافة لوضع رؤية مكتملة.

إن الحوكمة الرشيدة غائبة في معظم البلاد العربية، بل إن غالبية الذين في مراكز السلطة وصنع القرار في القطاعين العام والخاص يعملون على تعطيلها خوفاً من فقدان السيطرة على مفاتيح السلطة التي تفتح لهم ابواب الربح، غير مدركين أن الحوكمة السليمة تزيد من فرص نجاحهم؛ لأنها تزودهم

بالأدوات الضرورية لتحقيق التنمية المستدامة. فيمكن الاستفادة من تجارب الدول المؤثرة، التي امتازت بتنفيذ ومتابعة حوكمة القطاع العام فيها مثل الدنمارك التي تأتي في المرتبة الأولى. «إن الحكم الجيد يتطلب بالطبع العديد من الخطوات من جانب الحكومة، ولكن يتطلب أيضا مشاركة فاعلة من قبل الشعب». (البنك_الدولي، 2003)

المراجع

1. A Abdellatif .(2003) .Good Governance and Its Relationship to Democracy and Economic Development. Proceedings from: Global Forum III on Fighting Corruption and Safeguarding Integrity .Seoul, South Korea تم الاسترداد من .http://www.pogar.org/ publications/governance/aa/goodgov.pdf
2. A Agere .(200) .Promoting Good Governance: Principles, Practices and Perspectives (Managing the Public Service: Strategies for Improvement Series .(London: Commonwealth Secretariat.
3. B.J Ndulu و ،O'Connell, S. A .(1999) .Governance and Growth in Sub-Saharan Africa. The Journal of Economic Perspectives.
4. BBC تم الاسترداد من .(2018) .http://cphpost.dk/news/denmark-one-of-the-best-governed-countries-in-the-world-bbc.html
5. C Arndt و ،C Oman .(2006) .Uses and Abuses of Governance Indicators. Paris, France: Development Centre Studies, OECD Publishing تم الاسترداد من .http://www.worldbank.org/ ieg/governance/oman_arndt_paper.pdf.
6. C. Santiso .(2001) .Good Governance and Aid Effectiveness: The World Bank and Conditionality..
7. D Levi-Faur .(2010) .Regulation and Regulatory Governance .The Hebrew University.
8. D. F. Kettl .(2000) .The Transformation of Governance: Globalization, Devolution, and the Role of Government. Public Administration.
9. D. Kaufmann ،A Kraay و ،M Mastruzzi .(2010) .Response to" :The Worldwide Governance Indicators: Six, One, or None تم الاسترداد من ."http://info.worldbank.org/governance/wgi/pdf/ ResponseKL.pdf
10. D. Kettl .(2002) .The Transformation of Governance: Public Administration for Twenty-First Century America (Interpreting American Politics). Baltimore, Maryland: The Johns Hopkins University Press..
11. El_Nashra 11) .July, 2018 .(elnashra.com تم الاسترداد من .www.elnashra.com/news/show/1225003-سلامة:الحوكمة-أصبحت-المتطلبات-الرئيسية-التي-تحافظ/
12. International Monetary Fund (IMF 13) .(October, 2010 تم الاسترداد من .(http://www.imf.org/external/pubs/ft/weo/2010//02/index.htm
13. J. V& .Denhardt R. B Denhardt .(2007) .The New Public Service: Serving, not Steering. Armonk .NY: Sharpe.
14. J. W. Kingdon .(1984) .Agendas, Alternatives, and Public Policies (Longman Classics Edition) (2nd Ed .(.UK.

15. K. A & ,.Martin, L. L. Frahm .(2009) .From Government to Governance: Implications for Social Work Administration. Administration in Social Work.,

16. L&,.Sormani, N. Mimicopoulos M&.Kyj.(2007) .

17. M Dubnick و ،H Frederickson .(2009) .Accountable Agents: Federal Performance Measurement and Third-Party Government. Journal of Public Administration Research.,

18. M Thomas .(2008) .What do the worldwide governance indicators measure?

19. M. Austin .(2003) .The Changing Relationship between Nonprofit Organizations and Public Social Service Agencies in Welfare Reform. Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly, 32(1), 97114..-

20. M.N Baily و ،D. J. Elliott .(2009) .The U.S. Financial and Economic Crisis: Where Does It Stand and Where Do We Go From Here?

21. Newkuwait_Vision_2035) تم الاسترداد من .(2017) .http://www.newkuwait.gov.kw(/

22. R Box .(1998) .Citizen Governance: Leading American Communities into the 21st Century.

23. R. A. W. Rhodes .(1997) .Understanding governance: Policy Networks, Governance, Reflexivity and Accountability (Public Policy & Management ..(Berkshire, UK: Open University Press. .

24. R. Hummel .(1998) .Toward a New Administrative Doctrine: Governance and Management for the 1990's. The American Review of Public Administration, 19 (3.(

25. R. Mehanna ،Y Yazbeck و ،L. Sarieddine .(2010) .Governance and Economic Development in MENA Countries: Does Oil Affect the Presence of a Virtuous Circle?. Journal of Transnational Management, 15 (2), p. 117150..-

26. R. Rhodes .(2007) .Understanding Governance: Ten Years On. Organization Studies.

27. R. Riddell .(2007) .Does Foreign Aid Really Work ?NY: Oxford University Press.

28. R.P Pradhan و ،,G. S .Sanyal .(2011) .Good Governance and Human Development: Evidence form Indian States. Journal of Social and Development Science, 1 (1), pp. 18. .-

29. Rule_of_Law_Index .(2016) .The World Justice Project تم الاسترداد من .https://worldjusticeproject.org/our-work/wjp-rule-law-index/wjp-rule-law-index-2016

30. S Repucci .(2011) .Economic Crisis Responses from a Governance Perspective in Eastern Europe and Central Asia: Regional Report. United Nations Development Program (UNDP) (Regional Center for Public Administration Reform (RCPAR..((

31. Social_Progress_Index تم الاسترداد من .(2018) .https://www.socialprogress.org/

32. T. Weiss .(2000) .Governance, Good Governance and Global Governance: Conceptual and Actual Challenges, Third World Quarterly.

33. UNDP .(2010) .Human Development Report 2010 20th Anniversary Edition. The

Real Wealth of Nations: Pathways to Human Development. (2nd edتم الاسترداد من .).
http:// hdr.undp.org/en/media/HDR_2010_EN_Complete_reprint.pdf

34. United Nations Economic and Social Commission for Asia and the Pacific UNESCAP. .(2009)What is Governance تم الاسترداد من ?http://www.unescap.org/pdd/prs/ProjectActivities/ Ongoing/gg/governance.pdf.

35. W. Scott ..(2003) .Organizations: Rational, Natural and Open Systems (5th Ed.(. NJ :Prentice Hall.

36. World Bank .(1991) .Managing Development: The Governance Dimension. (Discussion Paper 34899 تم الاسترداد من .)wds.worldbank.org: http://www-wds.worldbank.org/external/ default/WDSContentServer/WDSP/IB/200620060307_000090341/07/03/ 104630/Rendered/PDF/34899.pdf.

37. World_Bank_Group تم الاسترداد من .(1996) .https://info.worldbank.org/governance/wgi./

38. World_Bank's_Governance_Index .(2017) .Worldwide_Governance_Indicatorsتم . الاسترداد منhttp://info.worldbank.org/governance/wgi/#reports

39. WorldBank .(2003) .Better Governance for Development in the Middle East and North Africa: Enhancing Inclusiveness and Accountability .Washington.

40. WorldBank .(2004) .Beyond Economic Growth Student Book.

41. WorldBankInstitute .(2006) .Governance Data: Web-Interactive Inventory of Datasets and Empirical Tools.,

42. WorldHappinessReport تم الاسترداد من .(2018) .http://theconversation.com/why-denmark-dominates-the-world-happiness-report-rankings-year-after-year-93542

43. www.transparency.org 2) .March, 2019 تم الاسترداد من .)www.transparency.org: www.transparency.org

44. البنك_الدولي. (2003). تقرير عن التنمية في الشرق الأوسط وشمال افريقيا: الحكم الجيد لأجل التنمية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا- تحسن التضمينية والمساءلة. تم الاسترداد من .http://siteresources.worldbank.org/INTMENA/Publications/20261842/GovernOverviewArab.pdf

45. القبس_الإلكتروني. (1 April, 2017). 11 توصية أقرها المؤتمر الثاني للحوكمة. تم الاسترداد من https://alqabas.com/377128/

46. الكايد، زهير عبد الكريم. (2003). Governance, الحكمانية: قضايا وتطبيقات. القاهره: المنظمة العربية للتنمية الإدارية.

47. المجلس - التنفيذي - حكومة - عجمان - الأمانة - العامة. (بلا تاريخ). اهداف الحوكمة.

48. برنامج - الامم - المتحدة - الأنمائي. (1997). إدارة الحكم لخدمة التنمية البشرية المستدامة: وثيقة للسياسات العامة لبرنامج الأمم المتحدة الأنمائي. نيويورك.

49. تقرير - التنمية - البشرية. (2013). نهضة الجنوب: تقدم بشري في عالم متنوع.. نيويورك: برنامج الامم المتحدة الأنمائي.

50. جمعة صالح. (2016). الفساد الإداري وأثره على الوظيفة العامة. لبنان: منشورات زين الحقوقية.

51. جمعة صالح. (2016). الفساد الإداري وأثره على الوظيفة العامة. لبنان: منشورات زين الحقوقية.

52. حسن صالح. (2011). تطوير أداء الخدمات الحكومية في لبنان رؤية استراتيجية. مجلة الدفاع الوطني، 77.

53. خليل جبارة. (2008). ور البرلمان في مكافحة الفساد في لبنان. الأمم المتحدة.

54. د.ياسمين خضري. (2014). دليل تقييم الحوكمة الرشيدة في القطاعات الخدمية. وحدة الحوكمة ومكافحة الفساد. مركز العقد الاجتماعي. تم الاسترداد من وحدة الحوكمة ومكافحة الفساد.

55. سمر حسين. (2014). الفساد الإداري: أسبابه، آثاره، وطرق مكافحته ودور المنظمات العالمية والعربية في مكافحته. مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات، 133.

56. سمر حسين. (2014). الفساد الإداري: أسبابه، أثاره، وطرق مكافحته ودور المنظمات العالمية والعربية في مكافحته. مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات، 133.

57. سمر حسين. (2014). الفساد الإداري: أسبابه، آثاره، وطرق مكافحته ودور المنظمات العالمية والعربية في مكافحته. مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات،، 133.

58. صبري أحمد شبلي. (2014). مبادئ الحوكمة و تطبيقاتها في دول مختارة الدنمارك و لبنان.

59. عصام مبارك. (2017). نحو رشاد الإدارة في لبنان. مجلة الدفاع الوطني، 101.

60. كامل بربر. (2012). استراتيجية الإصلاح في الإدارة العامة.، بيروت: دار المنهل اللبناني.

61. مصرف – لبنان. (11 أيار, 2013). الحوكمة الرشيدة منهج تحقيق التنمية المجتمعية المتكاملة. (رائد شرف الدين – النائب الأول لحاكم مصرف لبنان، المؤدي) الجامعة اللبنانية كلية العلوم الاقتصادية وإدارة الأعمال، النبطية.

62. وزارة – الدولة – لشؤون – التنمية – الإدارية. (2011). إستراتيجيا تنمية وتطوير الإدارة العامة في لبنان. 12.

63. وزارة_الدولة_للتنمية_لإدارية. (2011). تقدم الإدارة العامة في إطار إصلاح السياسات بدول منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا: دراسة حالة حول اصلاح السياسات (مترجم – منظمة التعاون والتنمية الاوربية). جمهورية مصر العربية .

64. ياسمين خضري. (2014). دليل تقييم الحوكمة الرشيدة في القطاعات الخدمية. وحدة الحوكمة ومكافحة الفساد. مركز العقد الاجتماعي.

65. يوسف الحزيم. (2012). دور المجتمع المدني في تعزيز الإدارة والحكم الرشيد – المملكة العربية السعودية نموذجًا– ورقة عمل مقدمة لمؤتر الإد ارة الرشيدة وبناء دولة المؤسسات. مصر.

باب العلوم الدينية:

1- أربع نساء في سماء الاصطفاء الإلهي في النص القرآني

أ. م. د. أمل سهيل عبد الحسيني

جامعة الكوفة/ كلية التربية المختلطة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

اذا اردت الحديث عن النساء تبادر الى ذهنكَ الحديث عن الإبداع الالهي الذي تمثل في مخلوقة حلوة المعشر، خلقها الله لتكون لك موطناً وسكناً :{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(الروم 21)، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}(الأعراف 189)، بل لتكون لك لباساً :{هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}(البقرة 187).

الحديث عن المرأة: يعني الحديث عن الدفء والرقة والحنان والحياء والعفة، حديث عن العواطف الجياشة والاحاسيس المرهفة.

والحديث عنها: هو الحديث عن معنى الحياة، فهي من تهب الحياة، وهي التي يجب على الرجال ان لا يكونوا سبباً في بُكائها لان الله يُعد دموعها، فالمرأة عبق فواح تخفق لشذاه القلوب، وتثير بلطافتها المشاعر الانسانية، كل هذا لأنها تهز المهد بيد وتهز العالم باليد الأخرى وفي كل هذا وذاك تبقى قيمتها الحقيقية في عفتها وحيائها لا في تبرجها وثيابها التي تفوح عطراً، فكل ذلك زائل لا محال؛ ثم لينكشف بعد ذلك الزيف الذي يلفها بأبهج الالوان واطيب النسائم.

لأجل هذا كله جاء الاسلام ليكرم المرأة ويرفعها الى أعلى عليين، ليعطيها ويعرفها حجمها الطبيعي؛ لأجل هذا تحدث القرآن الكريم عن بعض النساء اللاتي اصطفين على النساء، ليقول للمرأة: ليسَ فقط الرجال مصطفين، فأنتن يمكن ان تكنّ مصطفيات اذا ما اتقيتن وكنتن مؤمنات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾(الاحزاب 35).

من هنا جاء البحث ليسلط الضوء على اربعة نماذج من النساء المصطفيات اللاتي جعلهن الله قدوة حسنة لمن أرادت ان تتخذ الى ربها سبيلاً، فصرن المثل الأعلى والقدوة التي يحتذى بها، فقد تسلسلت القيادة الاصطفائية الزمنية لهن واحدةً تلو الأخرى، فكانت آسيا بنت مزاحم أولاهن ثم تلتها مريم ابنة عمران، ثم ليأتي بعد ذلك عصر خاتم الانبياء والمرسلين محمد(ﷺ) لتكون القدوة خديجة بنت خويلد، ثم لتختتم القائمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فاطمة الزهراء بنت محمد(ﷺ) سيد خلق الله وتكون الشاهدة والشهيدة على هذهِ الأمة.

المطلب الاول :- ﴿آسيه بنت مزاحم زوجة فرعون:﴾

امرأة ليست ككل النساء اختارتها السماء فضربت بها مثلا للرجال، لتبين لهم اجر من عمل صالحاً

من ذكر أو انثى، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(التحريم11)، انها زوجةٌ لرجل قال للناس ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى﴾(النازعات 24)، ورغم هذا خرجت من بيته مؤمنة صابرة مُصطفية، قائلة له: انت رب السُذج من الناس، اما انا فربي الله الذي لا إله الا هو وانا أعوذ بالرحمن منك ومن عملك ودَعت ربها قائلة: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾(التحريم11)؛ كونها عالمة أن عمله وادعاءه الربوبية أمر خطير ومغبتهُ أخطر منه، بل هي تطلب من الله البراءة حتى من قوم فِرعونَ الذين سلموا الامر له فقالت: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(التحريم 12)، نبذت ديانة زوجها وقومها تلك الديانة التي ابتدعها فرعون لنفسه؛ لأن فرعون عد نفسه إلهاً واحداً (ناكراً غيره من الآلهة وكافراً بالبعث والحساب والنشور بل انه لا يقيم وزناً لمعتقدات قومه التي ورثوها عن آبائهم الاولين)[1]؛ لأن ملوك مصر (سواء الذين أُلّهوا ام لم يؤلهوا كان لديهم جميعاً ولاء ديني لآلهتهم، وتؤكد ذلك نصوصهم التي تركوها حيث كانوا يرجون من هذه الآلهة ان تنفعهم في عالمهم الآخر، وايضاً المباني والمنشآت الدينية التي اقاموها لهذه الآلهة)[2].

هي ملكة انفردت بخصيصة نادرة، فقد كان لها عرش عظيم تجلس عليه جوار زوجها المعبود اعظم ملوك عصره... فرعون الجبار لكنها رفضت ذلك العرش، انها آسيا بنت مزاحم، التي اختلف المؤرخون في اسمها ونسبها كثيراً، فقد قال ابن كثير: انها آسية بنت مزاحم بن عصدين الريان بن الوليد[3]، تزوجها ابن عمها مصعب الريان –على بعض الروايات– فرعون مصر ايام ولادة موسى(عليه السلام)، وذكر الزمخشري انها عمة موسى(عليه السلام)[4]، كانت هذه المرأة من فضليات النساء، ومن بنات الانبياء آثرها فرعون على بقية زوجاته لدماثة اخلاقها، وسحر جمالها كانت في يوم من الايام جالسة مع زوجها على ضفاف النيل واذا بها تنظر (الى سواد في عرض النيل يشبه الصندوق فأمرت جواريها بإحضاره، وما كان اشد دهشتها حين فتحت الصندوق فاذا فيه طفل صغير... ندت منها صيحة واعجاب ... ما اجملها من هدية... انها هدية السماء)[5].

وقتها كانت آسيه لم تنجب بعد لكن فرعون لم يفرح، فرد قائلاً: كيف أخطأ هذا الغلام الذبح ثم قام وخرج، وكان سبب ذلك (ان فرعون رأى في منامه ان ناراً اقبلت عليه من جهة بيت المقدس فأحرقت مصر وأتت على جميع الاقباط، فسأل فرعون كهنته تأويل رؤياه هذهِ فقالوا له: سيولد غلام من بني اسرائيل يكون هلاك أهل مصر على يديه، فأصدر اوامركَ بقتل كل مولود ذكر يولد لبني اسرائيل في توه وساعة ولادتهِ)[6].

فدعا فرعون الذباحين لقتله فجاءوا وطلبوا منها اعطاءهم الطفل، فانزعجت وقالت لهم بغيظ آمرة: انصرفوا من امامي فإني لا اعطي الطفل لأحد، فقالوا: ان الطفل لا شك من بني اسرائيل، فصرخت: ان هذا الصبي لا يزيد في بني اسرائيل، فجاءت فرعون تلاطفهُ وتستعطفهُ، وتتوسل اليه قائلة: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾ (القصص9)، فأجابها فرعون: قرة عين لك، اما انا فلا حاجة لي فيه[7]، وعن هذا الموقف قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): (والذي يحلف به، لو اقر فرعون ان يكون له قرة عين كما اقرت به لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك[8].

لكنها لم تيأس من اعادة الطلب عليه، وفرعون يرد عليها: لا فليُذبح فاني اخاف ان يكون من بني اسرائيل، وان يكون هو الذي هلاكنا وزوال مُلكنا على يده، لكن الحاحها عليه اثر في نفسه، حتى امسك عن قتله ورضي ووهبه لها[9]، وقد جسد القرآن الكريم هذهِ النبوءة بقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾(القصص 8)، فبعد نتفهِ لحية فرعون، اعتذرت آسيه عنه قائلة: انما هو صبي، لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وقد علمت انه ليس في أهل مصر، امرأة احلى مني أنا أضع له حلياً من ياقوت واضع له جمراً، فان اخذ الياقوت، فهو يعقل

فاذبحه وان أخذ الجمر هو صبي، فأخرجت له ياقوتها، فوضعت له طستاً من جمر، فجاء جبرائيل فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه فأحرق لسانه فهو الذي يقول الله عزوجل: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(طه٢٧-٢٨)[10]، وبذلك تكون قد انقذت النبوة من القتل، فما كان من السماء الا ان جازتها على معروفها ان كانت من المؤمنين الصالحين بل من المصطفين الاخيار.

ولقد كانت آسيه تعبد الله سراً فهي من سلالة الانبياء وعلى بقية من دين ابراهيم ولم يكن بمصر كلها الا آسيه ومؤمن آل فرعون–حزقيل– والرجل الذي أنذر موسى، فقال: ﴿إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ﴾(القصص٢٠)[11]، وبقيت على عقيدة التوحيد في قصر فرعون تكتم ايمانها وتعبد الله سراً الى ان قتل فرعون امرأة حزقيل– الماشطة– لأنها آمنت بموسى، واذا بآسية تفقد صوابها قائلة لفرعون: (الويل لك يافرعون! ما أجرأك على الله جل وعلا، فقال لها: لعلك اعتراكِ الجنون الذي اعترى صاحبكِ موسى، فقالت: ما اعتراني جنون، بل آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين، فأخذ يهددها بالتعذيب والقتل، فلما اصرت على التمسك بعقيدتها وايمانها بالله)[12]، دعا فرعون امها فقال لها: (ان ابنتكِ أخبريها فأقسمَ لتذوقن الموت او لتكفرن بإله موسى، فخلت بها أمها فسألتها موافقتهُ فيما اراد؟ فأبت وقالت: اما ان اكفر بالله فلا، فأمر بها فرعون حتى مُدت بين اربعة اوتاد)[13].

اما عن الطرق التي ابتدعها فرعون لتعذيبها:

1 – عن ابن عباس انه قال: (اخذ فرعون امرأته آسية حين تبين له اسلامها يعذبها لتدخل في دينه، فمر بها موسى وهو يعذبها، فشكت اليه بإصبعها، فدعا الله موسى ان يخفف عنها، فلم تجد للعذاب الماً، وأنها ماتت من عذاب فرعون، فقالت وهي في العذاب: **{رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ}**(التحريم11)، وأوحى الله اليها: ان ارفعي رأسكِ فرفعت فرأت البيت في الجنة بُني لها من در فضحكت)[14].

2 – قيل انها كانت تُعذب بالشمس واذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وجُعلت ترى بيتها في الجنة[15]، ورغم هذا الوضع كانت كثيرة السؤال: (مَن غلب؟ فيقال غلب موسى وهارون... فتقول: آمنت برب موسى وهارون... فأرسل اليها فرعون... فقال: انظروا اعظم صخرة تجدونها... فان مضت على قولها... فالقوها عليها... وان رجعت عن قولها فهي امرأتي، فلما أتوها... رفعت بصرها الى السماء فأبصرت بيتها في الجنة[16].

3 – قيل انه أمر زبانيته قائلاً: اجعلوا على صدرها رحى وجاءوا بالرحى... وجعلوها على صدرها... والرحى تتوقد من حرارة الشمس فجمعوا عليها ناراً على نار[17].

لكن كل هذا العذاب لم يثن الملكة الجميلة عن عقيدتها، حتى جن جنون فرعون مما يرى... وجعل يعوي: الا تعجبون من جنونها!! إنا نُعذبها وهي تضحكَ[18]، الى ان قضت نحبها راضية مرضية، فكانت مثالاً (للمرأة العاقلة التي عرفت طريقها الى الله ولم يضللها زور فرعون او بهتانه ولم يخفها بطشهُ ولا سلطانه، كانت من خيار النساء وكانت أماً للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم)[19]، قال رسول الله(ﷺ): (اختار الله من النساء اربعاً: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة الزهراء، وكانت مريم وآسية وخديجة سيدات زمانهن، أما فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين)[20].

فهذه اذاً آسية بنت مزاحم وهذهِ درجتها عند الله تعالى، مضت شهيدة، وهي سيدة الشهيدات اذا ما نظرنا الى حديث رسول الله(ﷺ) الذي قال: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب... ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله)[21]، وعليه فان الحديث يبين (ان من قام الى امام ظالم فأمره بالخير ونهاه عن الشر... فقتله ذلك الحاكم لموقفه ذاك... اعتبره سيد الشهداء وكل ذلك متحقق في مقام آسية بنت مزاحم فهي قد قامت الى امام جائر بل اشد الحكام ظلماً واجراماً واشدهم عذاباً وتعذيباً وهو قد قتلها شر قتلة فإستحقت عن جدارة لقب سيد الشهداء)[22].

وعليه صارت آسية قدوة لكل امرأة تَدعي التدين بل صارت مضرباً لكل المؤمنين رجالاً ونساءً، فقال تعالى: **{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}**(التحريم ١١).

وبهذا نكون قد تعلمنا منها دروساً وعبرا:

1 – أن المرأة ورغم أنها مخلوق لطيف الا أنها تستطيع ان تعمل المستحيل، فهذهِ آسية قد أنقذت موسى(عليه السلام) من اعتى جبابرة عصرها فرعون الطاغية، ثم كفلته وربته.

2 – عندما ضرب الله بها مثلاً انما اراد ان يقول لنا: لا يضركم مخالطة الكافرين اذا كانوا مُحتاجين لهذهِ المخالطة، فقد كان فرعون اعتى اهل الارض واكفرهم وما ضر امرأته كفر زوجها حين اطاعت ربها بإيمانها به وبرسوله موسى(عليه السلام)[23].

3 – تعلمنا منها ان الانسان اذا اراد الآخرة وسعى لها سعيها أعانه الله تعالى على تحقيق ذلك، فعندما قالت: ربِ ابن لي عندك بيتاً في الجنة استجاب لها ربها وتوفاها ونجاها من فرعون وقومه، وفي دعائها دليل على ان الالتجاء الى الله عند المحن والشدائد من سير الصالحين[24].

المطلب الثاني: – ﴿مريم ابنة عمران﴾:

لم يكن وجودها في بيت المقدس محل صدفة، ولا إدراج اسمها ضمن قائمة خَدمة البيت محل عادة عند الكهنة؛ لانهم لم يكونوا يسمحوا للنساء ان تكون من ضمن خَدمة البيت؛ بل كان وجودها وفاءً لنذر نذرتهُ أمها التي لم تكن (تَحبل، فنذرت لله ان هي حَبلت تجعل وليدها من خدام بيت المقدس، فلما حَبلت بها وأولدتها جعلتها من خدام معبد سليمان ببيت المقدس)[25].

هذه المرأة العظيمة ورغم (مُضي عشرين قرناً على وفاتها الا ان حياتها وسيرتها لا تزال ثرية معطاة، تؤكد لبني البشر عامة، ولبنات حواء خاصة، ضرورة الارتباط بالله سبحانه وتعالى والخضوع لشريعته، وأهمية القيم الروحية السامية والمناقب السلوكية ودورها في سعادة الانسان وتجنبه المخاطر والشرور) [26]، وعندما نتحدث عنها (نجد أنفسنا امام شخصية أم ليست كمثلها أخرى من الامهات بمن فيهن أمهات الانبياء(عليهم السلام)، فهي وان كانت أماً بشخصيتها تظُل ابداً ماثلة في سيرة ابنها ورسالتهِ وهي تأخذ مكانتها مع أمهات الأنبياء أصحاب الرسالات الاربع الكبرى، ويعلي من قدر أمومتها كونها سابقة على الاسلام)[27].

عندما نتحدث عنها نتحدث عن المرأة الوحيدة التي ذُكر اسمها في القرآن الكريم صريحاً دون نساء العالمين؛ لان البقية ذكرن تلويحاً لا تصريحاً.

عندما نتحدث عنها نتحدث عن امرأة اتفق المسلمون والمسيحيون جميعاً على براءتها من أي اتهام يمس عفافها او ينال من شرف انوثتها، مهما كان مصدرهِ او قائله.

عندما نتحدث عنها نتحدث عن امرأة نبهت نبي من انبياء الله كيف يدعو وكيف يُخلص في الدعاء، عندما شاهدَ بأم عينيه بدائع العطاء الرباني لهذهِ الصغيرة اليتيمة عندما كان يدخل عليها{كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً}(آل عمران٣٧)، يقول لها: أنى لكِ هذا فتقول له :{هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}(آل عمران٣٧)، فيهيم النبي على وجهه يفكر في كلامها أين هو من هذا؟ كيف لم يفطن الى المبادرة للدعاء وطلب الذرية من الله تعالى وهو يعلم ان الرزق من الله يرزق من يشاء بغير حساب، فكانت هي السبب المباشر في ان يطلب من الله الذرية الصالحة فيرزقه الله بها.

فمن تكون صاحبة كل هذهِ السجايا العظيمة؟؟ أكيد انها مريم العذراء، مريم الطهر والعفاف، المنذورة

نطفةً وجنيناً في رحم الغيب، تلك المرأة التي (اعتنى القرآن الكريم بها عناية لم تنلها امرأة قط، فقد ورد اسمها في القرآن الكريم (75) مرة تقريباً)[28].

هي: (مريم بنت عمران، ويُسميه المسيحيون يوهاكين او يوعاشيم- بن ماثان بن ألعازر بن أليو بن أخنز بن صادوق بن عيازوز بن آلياقيم، وينتمي نسبها الى نبي الله سليمان بن داود(عليه السلام)، أمها حنة، وقيل حنانة وقيل: مرتا ويسميها المسيحيون آنايا، وهي بنت فاقود بن قبيل ومعنى مريم: العابدة، هي ام نبي الله عيسى المسيح(عليه السلام) عُرفت بين قومها بكثرة العبادة والتقوى والزهد والطهارة والصفات الحميدة، وهي من نساء الجنة، وكانت قدماها قد تفطرتا من كثرة قيامها في صلواتها)[29].

نذرتها امها للخدمة في بيت الله تعالى اذا قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[آل عمران 35]، ولكن بعد ان وضعت المولود وتبين انها انثى قالت: {رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[آل عمران 36].

وقد انحدرت من أسرة عريقة معروفة بالفضل والقداسة، تمتد جذورها الى نبي الله ابراهيم(عليه السلام)، كما ذكر البعض، بينما البعض الآخر قال: ان نسبها يعود الى آدم(عليه السلام) بسبع وستين واسطة، وقد ورد في كتب بعض المسيحيين: (كانت مريم ابنة يوكيم وحنة، وكانا مُسنين عندما ولدت مريم[عليها السلام]، لذلك نذراها للهيكل في اورشليم، وبقيت هناك منذ كان عمرها ثلاث سنوات وعمران والد مريم[عليها السلام] هو من الذين اصطفاهم الله تعالى بقوله: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[آل عمران 34-33](30).

وقد سئل الامام الباقر(عليه السلام) عن ابيها عمران هل كان نبياً ام لا؟ قال(عليه السلام): نعم كان نبياً مرسلاً الى قومه، وكانت امرأته حنة، وحنانة امرأة زكريا، أختين، فولد لعمران من حنة مريم، وولد لزكريا من حنانة يحيى(عليه السلام) وولدَت مريم عيسى(عليه السلام) وكان عيسى(عليه السلام) ابن بنت خالتهِ، وكان يحيى(عليه السلام) ابن خالة مريم، وخالة الام بمنزلة الخالة)[31].

وقد ورد في تفسير القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[آل عمران ٣٥] رواية عن الامام الصادق(عليه السلام) مفادها: (ان الله اوحى الى عمران إني واهب لكَ ذكراً مباركاً يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى بإذني وجاعله رسولاً الى بني اسرائيل فَحدث بذلك امرأته حنة وهي أم مريم فلما حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى}[آل عمران ٣٦] لان البنت لا تكون رسولاً يقول الله {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ} فلما وهب الله لمريم عيسى(عليه السلام) كان هو الذي يبشر الله به عمران ووعده اياه)[32].

لها القاب عدة منها: (القديسة والعذراء والبتول).

بعد ولادتها اخذتها امها الى سدنة معبد الهيطل وكان من بينهم زكريا والد يحيى، فاختلفوا في كفالتها، لكن السماء تدخلت واوجبت عليهم القرعة لحل المشكلة {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}[آل عمران ٤٤]، فكانت الكفالة لزكريا(عليه السلام) (فظهرت في المدة التي قام زكريا برعايتها منها معاجز وكرامات، كتواجد فاكهة الشتاء في فصل الصيف، فاكهة الصيف في فصل الشتاء)[33]، والقرآن الكريم لا يذكر شيئاً عن ماهية هذا الطعام، لكن بعض الاحاديث تفيد انه كان فاكهة من الجنة في غير فصلها.

ولما بلغت مبلغ النساء، وبينما كانت مشغولة في عبادة ربها، واذا بجبريل يدخل عليها بهيئة

فتى فرهبت منه، فأخبرها انه رسول الله عليها، فنفخ في جيب ثوبها فحملت من ساعتها[34]، وقد استمرت في حملها سبعة اشهر، وقيل ستة اشهر، وقيل ثمانية اشهر، وقيل انها ساعة واحدة وقيل: تسع ساعات[35]، وحين جاءها المخاض حست برهبة الموقف وخطورته رغم اطمئنانها لرعاية الله، فتمنت الموت وقالت:﴿ يالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾(مريم ٢٣)، وقولها هذا على ما اظن نابع من معرفتها بحقارة قومها اليهود رغم ان الطفل نطق في المهد ببراءتها بَعد ما اشارت اليه ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾ ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾ ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾(مريم ٢٩- ٣٤)، والدليل على حقارتهم وجحدهم الحق بعد ما رأوا من الآيات، فقد كانوا يقولون على المسيح: («ولدهُ يوسف النجار سِفاحاً» وهذا يعني الاتهام المباشر لمريم بارتكابها الفاحشة)[36]، لكن القران صَدَعَ بالحق حينما قال: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}(المائدة ٧٥)، فوصفها القرآن بأنها صديقة، وبهذا يكون الحق قد نطق بعصمتها في النص القرآني، فقوله انها: صديقة، وبقوله إن إبنها رسول تحديد دقيق، (تحديد يبطل زعم الذي زعموا انها اتت بإبنها من الفحشاء، ويبطل كذلك زعم الذي زعموا أنها: ام الإله)[37]، اضف الى ذلك ما نطقت به السُنة المطهرة، فقد روي عنه(ﷺ) انه قال: (حسبُكَ من نساء العالمين، مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون)[38]، وكذلك ما نقله امير المؤمنين عن رسول الله(ﷺ) في وصف الجنة: (خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران)[39]، الى غيرها من الاحاديث التي نطقت بعفتها ونجابتها وكونها صديقة مطهرة.

والذي لصقها بها بنو اسرائيل شكل عندها علة أثرت على نفسيتها وسببت لها آلآماً نفسية جمة حملتها معها الى قبرها، رحلت الى مصر بَعد خوفها على عيسى(عليه السلام)، بَعد ان اصدر (الملك هيرودس امراً بقتل كل طفل يوجد في بيت لحم، فعند ذلك رحل يوسف النجار ومريم وطفلها عيسى(عليه السلام) الى مصر خوفاً من بطش هيرودس بعيسى، فدخلوا مصر واستقروا في مدينة عين شمس مدة (12 سنة) فلما هلك الملك رجعوا الى فلسطين، ولم تزل مواظبة على ولدها في تربيته ونشأته حتى بلغت (51 سنه) فتوفيت في مصر)[40]، وبهذا انتهت حياة امرأة عظيمة بيضت صفحات التاريخ بسطور من نور صرح بها الذكر الحكيم والسُنة المطهرة.

وقد افدنا من قصتها(عليها السلام) دروساً وعبرا:

1 – تعلمنا منها(عليها السلام) كيف يكون الانسان مُسَلماً امره لله راضياً بقضاء الله وقدره، متقبلاً بالشكر العميق ما يرسمه الله له، وبهذا يتم الانسجام بين ما تتوق اليه نفسه وبين ما يراه الله، فيعيش الانسان هذهِ الحياة بقساوتها وشقائها وآلامها وافراحها ينظر اليها غير نظرة غيره اليها لأنه بعين الله.

2 – تعلمنا منها(عليها السلام) كيف يجب ان يكون الانسان الذي تهده الخطيئة ولم يعرض عن الله تعالى، كما اعرض بعض الناس عنه، رغم انه تعالى دعاه الى الكمال والتسامي.

3 – تعلمنا منها ما يجب على المرأة ان تكون عليهِ من عفة وطهر رغم وجود المغريات، كما ضرب الله بآسية بنت مزاحم مثلاً للذين آمنوا كذلك ضرب بها مثلاً فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ﴾(التحريم 11- 12).

4 – عندما اشتد بها الخوف من كلام الناس وبهتانهم وافترائهم عليها جاءها العون الالهي بأوضح الوجوه، فأنطق الله رضيعها الحديث الولادة فكان ذلك دليلاً واضحاً وبرهاناً ساطعاً على طهارة امهِ مما رُميت به؛ فقد تعلمنا منها التوكل على الله في كل شيء وصَدق المولى حيث قال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً}(الطلاق ٤)، فسلاماً عليها حين ولدت وحين رحلت وحين تبعث حية.

المطلب الثالث:– ﴿خديجة بنت خويلد﴾:

ملكة نشأت في الحجاز، تملك الحسب والنسب والسمعة الحسنة، تملك من الالقاب ما لا تملكه امرأة من نساء قريش بل لها من الالقاب التي تتمناها كل امرأة سواء كان في الماضي أم في الحاضر، فقد سُميت في الجاهلية بالطاهرة وسيدة قريش، عاشت حياة ترفٍ ونعيم ثم لتنسى ذلك كله وتعيش في شعب ابي طالب، فيصدف انها من الجوع تشد الحجر على بطنها جوعاً لتشارك شريك عمرها آلامه وجوعه، ولتشارك الفقراء والمعوزين آلامهم.

امرأة اعتبرها رسول الله(ﷺ) من أهم الدعامات الأساسية التي اعتمد عليها، فهي من رفعت بمالها اقتصاد الامة الإسلامية، ولولاها ولولا مالها لنفر المسلمون الاوائل جوعاً عندما حوصروا في شعب ابي طالب؛ لأن الله لا يُعبد بدون الخبز.

يكفيها شرفاً انها قامت بتفجير أهم ثورة في عصر الجاهلية، تلك الثورة التي حطمت قيود المرأة في اختيار شريك حياتها بدون اكراه، فقد كانت المرأة محرومة منها، والشاهد التاريخ، بل كانت المرأة توأد خجلاً من ولادتها، فكانت هي صاحبة القلب الجريء الذي قام باختيار الزوج بعد ما رأت من الآيات على عظمتهِ، فاعترفت لرجل فقير بحبها الطاهر له، وهي تملك نصف الجزيرة العربية، بينما هو لا يمتلك من حطام الدنيا شيئا.

هي امرأة ملكت قلب أعظم شخصية على وجه الخليقة، احبها في حياتها ولم يكسر قلبها ولم يتزوج عليها في حياتها، وأحبها وهي ميتة، حتى غارت منها زوجاته الأحياء، وقد تزوج بعدها رسول الله(ﷺ) بنساء كثيرات لكنه لم ينسها ولم ينس ايامها حتى قال عنها: (ما ابدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي اذ كفر بي الناس، وصدقتني اذ كذبني الناس، وواستني بمالها اذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها اذ حرمني اولاد النساء)[41]، تلك المرأة التي عانت من استهزاء قريش واستخفافهم رجالاً ونساءً بها عند اقترانها برسول الله(ﷺ)، وتبنيها لدعوته، ومناصرتها له، لكنها لم تعبأ بهم بل بقيت كالجبل الأشم صامدة صابرة.

يكفيها شرفاً ان الله سبحانه وتعالى جعلها اماً لأعظم سيدة في الدنيا، وأفضل امرأة في الآخرة، فاطمة الزهراء(عليها السلام)، انها: السيدة العظيمة خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، وهو رجل معروف بالجود والسخاء سيد كريم من أشراف قريش[42]، أمها: الفاضلة فاطمة بنت زائده بن الاصم بن هرم بن رواحه بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي[43].

ولدت السيدة خديجة(عليها السلام) في مكة المكرمة قبل عام الفيل بثلاث سنوات، اول المؤمنين برسول الله(ﷺ) بَعد الامام علي(عليه السلام)، من صفاتها العفة، فهي من أعف نساء قريش وأطهرهن، وكانت مضرب المثل في طهارتها وسلامتها من كل دنس، في مجتمع جاهلي ندرت فيه الخصال الشريفة التي يجب ان تتمتع بها المرأة[44].

كانت من اهم رموز الاسلام الذين أسهموا في إقامة صروحهِ وتوطيد اركانه، كانت شديدة الميل للتجارة التي كانت سائدة في أوساط مكة[45]، هذه السيدة العظيمة جمعت خصلتين من امرأتين عظيمتين كانتا قبلها هي آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران، فأما (التي من آسية فهي البيت في الجنة،

حين دعت ربها فقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾، فقد جاءت البشرى الى خديجة من رسول الله(ﷺ) حين اخبرها بأن الله تعالى قد خصها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، وأما التي من مريم ابنة عمران فهي ان خديجة(عليها السلام) قد صَدَّقت... بل كانت اول المصدقين بكلمات ربها حين قالت لرسول الله(ﷺ): [كلا... والله لا يُخزيكَ الله ابداً، فانت تحمد الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على النوائب...] وكانت من القانتين)[46].

وقد وردت بعض النصوص في القرآن الكريم تشير الى اصطفاء تلك السيدة العظيمة ولكن تلميحاً وتضمينياً لا تصريحاً وبياناً، فالقرآن الكريم عندما خاطب مريم القديسة قائلاً: ﴿وَإِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(آل عمران ٤٢)، فالاصطفاء هذا وان كان خاصاً بمريم لكنه يصدق على كل من تحمل صفات مريم(عليها السلام)، ومن اللاتي شملتهن هذهِ الصفة الرفيعة، فكما كانت مريم(عليها السلام) بالأمس مطهرة من الكفر وسائر الادناس كالحيض والنفاس، كانت خديجة(عليها السلام) كذلك، وهذا ما ذهب اليه الطوسي في تبيانه، فقد نقل أحاديث عن رسول الله(ﷺ) يؤيد ما ذهب اليه منها أنه قال: (فُضلت خديجة على نساء امتي كما فضلت مريم على نساء العالمين)[47]، وذهب الطوسي الى ان معنى الاصطفاء هو الاختيار لولادة نبيه عيسى(عليه السلام)، اذا كان هذا – بالنسبة لمريم– فيكون الاصطفاء الذي خص المولى تعالى به خديجة بأن جعلها وعاءأ لفاطمة الزهراء(عليها السلام) أم الحجج الميامين.

وتأييداً لهذا نقل حديث عن عبد الله بن جعفر ذكره الترمذي في سُننه يقول: سمعت علياً في الكوفة يقول: سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: (خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد)[48]، وقد قال الرسول(ﷺ)هذا عندما كان يتحدث عن نساء الجنة، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ان خديجة(عليها السلام) تساوي مريم(عليها السلام) في المرتبة من حيث الاصطفاء، وهي مذكورة ضمناً في آية آل عمران، فإن جملة من الامور التي يمكن ان تشار تجاه هذا المنحى ما قد لفت نظري في تحليل رائع للدكتور سيروان عبد الزهرة، حول هذا المعنى أنقله نصاً لما فيه من فائدة: ان خديجة زوج رسول الله(ﷺ) لم يكن اصطفاؤها من قبل الله تعالى نابعاً لقيامها بما قامت به مريم(عليها السلام)؛ ذلك أنها تشارك مريم في اصطفائها في العبارة الثانية من عبارات الاصطفاء لا في العبارة الاولى وهي قوله تعالى: {وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}؛ إذ ان الناظر في النص القرآني سيجد ان الله تعالى قد ذكر لفظة الاصطفاء مرتين في الآية الاولى في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ}،اما الثانية فهي قوله تعالى: {وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} ومن المعروف في المنظور النحوي أن العطف يقتضي التغاير، واذا ما كان بين العبارتين عطف نَسقٍ بـ(الواو) فان هذا يدل على ان الاصطفاء الاول يباين الاصطفاء الثاني في دلالتهِ تأسيساً على قاعدة التغاير بين المتعاطفين؛ ولقد تنبه الطوسي إلى هذا الامر؛ اذ قال: (انما كرر لفظ (اصطفاكِ) لان معنى الاول اصطفاكِ بالتفريغ لعبادته بما لطف لكِ متى انقطعتِ الى عبادتهِ وصرتِ متوفرة على إتباع مرضاتهِ، ومعنى الثاني اصطفاكِ بالاختبار لولادة نبيه عيسى(عليه السلام))[49]، ان قول الطوسي هذا فيه التفاتة لطيفة الى ان معنى الاصطفاء الثاني يختلف في الآية المذكورة عن معنى الاصطفاء الاول؛ يبدو إنا لا نتفق معه على أن معنى الاصطفاء الاول هو التفرغ للعبادة وأن دلالة الاصطفاء الثانية هي اختصاص مريم(عليها السلام) بولادة عيسى(عليه السلام) من غير أب، ذلك بأن ما نعتقده هو خلاف ذلك، اي أنَّ الاصطفاء الاول هو الذي أراد به سبحانه ولادة عيسى(عليه السلام) وأنَّ الاصطفاء الثاني معناه التفرغ للعبادة والانقطاع لله تعالى، وما يسند هذا الاتجاه أن الاصطفاء الاول مسنود الى الله مع بيان لفظ الجلالة صراحة؛ لأن مدار الأمر هو ولادتها عيسى(عليه السلام) من غير أب، فكان ذكره تعالى صراحة لنفسه هنا أولى من غيره من جهة، ومن جهة أخرى فإن القول بتقديم الاصطفاء الذي يخص ولادة مريم لعيسى(عليه السلام) في بداية الآية أوقف لمدار الدلالة وأجل لمقام المعجزة

واكثر اهتماماً في ابرازها وايضاحها من عملية الاصطفاء بالعبادة في نهاية الآية، من هنا نقول: إن خديجة(عليها السلام) امرأة مصطفاة من الله تعالى في محور الاصطفاء الثاني لا الاول؛ لأن الاصطفاء الاول انما هو خاص بمريم(عليها السلام) من دون غيرها من النساء.

ولابد من القول ان تقديم الاصطفاء الاول لخصوصية مريم وتأخير اندراج خديجة(عليها السلام) في الاصطفاء الثاني لا يعني بالضرورة أن مريم(عليها السلام) هي أفضل من السيدة خديجة(عليها السلام)؛ ذلك بأن التقديم هنا وقع لأن مدار الحديث هو مريم(عليها السلام) والمعجزة التي ابدعها سبحانه عن طريقها للناس وهي ولادة نبيه عيسى(عليه السلام) من غير أب)[50]، واذا ما طعن احد بهذا القول وقال: اذا قلتم هذا القول فسيفضي ذلك الى التعارض في النص القرآني لأن السيدة مريم(عليها السلام) هي الوحيدة المصطفاة على نساء العالمين، فكيف تدخل خديجة معها؟.

للجواب عن ذلك نقول: ان السُنة المطهرة هي موضحة وشارحة للقرآن الكريم، فعندما يقول(ﷺ): (فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين)[51]؛ وعليه فإن التفضيل الذي حصلت عليه مريم(عليها السلام)، انما كان يخص نساء عالمها، اي لم يكن لجميع الأكوان والأزمنة، والى هذا ذهب الطبرسي في مجمعه اذ قال: (اي على نساء عالمي زمانكِ)[52]، وعليه فإن السيدة خديجة(عليها السلام) بدرجة مريم(عليها السلام) بنص القرآن والسُنة المطهرة، بل قد تكون أفضل منها بأمور:-

1 - أنها زوجة لأعظم رسول على وجه الارض من الاولين والآخرين.

2 - أنها(عليها السلام) أول من صدق النبي محمدا(ﷺ)، وأول المصلين معه مع أمير المؤمنين علي(عليه السلام).

3 - أنها(عليها السلام) جندت كل أموالها لخدمة الاسلام والمسلمين، ولتعزيز نصر زوجها رسول الإنسانية، فقد قال رسول الله(ﷺ): (ما قام ولا استقام ديني الا بشيئين مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب)[53].

4 - انها الوعاء الذي وضع سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فاطمة الزهراء(عليها السلام).

5 - أن رسول الله(ﷺ) يقول عنها (اني قد رُزقت حبها)[54]، فكأن حبها رزق يدعو الانسان ربه ويتوسل به لينال شرفه وقد ناله(ﷺ)، وفيه دلالة على الأفضلية؛ لأن الرسول الخاتم قد ناله، فأي درجة هذهِ درجتها وقد نقل العلماء والمفسرون حديث الاصطفاء الذي قاله رسول الله(ﷺ) بعدة طرق، فقد نقله القرطبي مرة عن طريق أبي هريرة كالآتي: (خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد)[55]، وعلى هذا التسلسل تكون الأفضلية لمريم ثم لآسية ثم لخديجة ثم لفاطمة(عليهن السلام)، وهذا غير صحيح، لأنه(ﷺ) في حديث آخر عندما كان يتحدث عن أفضل نساء أهل الجنة قال: (اول من يدخل الجنة فاطمة بنت محمد...)[56]، ثم بَعد ذلك ينقل حديثاً آخر عن ابن عباس يكون تسلسل النساء فيه هكذا، قال(ﷺ): (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)[57]، وأعتقد أن هذا هو التسلسل الأصح؛ على اعتبار انه يبدأ بخديجة ثم بفاطمة وذلك باعتبار ورود احاديث اخرى عنه(ﷺ) تبين هذه الأفضلية، لكن القرطبي آلى على نفسه إلا ان يختار التسلسل الأول وهو أن مريم سيدة تلك النسوة، ليس هذا فقط بل بالغ القول فقال: (فظاهر القرآن والاحاديث يقضي ان مريم افضل من جميع نساء العالم من حواء الى آخر امرأة تقوم عليها الساعة... فهي اذاً نبية والنبي افضل من الولي فهي افضل من كل النساء الأولين والآخرين مطلقاً، ثم بعدها في الفضيلة فاطمة ثم خديجة ثم آسية)[58]، ولكن يرد عليه بالقول: ان مريم(عليها السلام) ليست نبية، بل هي وليةً، اما كلام جبرائيل معها فلم يكن وحياً لها فأن الله يقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾(يوسف١٠٩)، ولا نبوه للنساء بالإجماع)

[59]، يقول العلامة الحائري: (لم يبعث الله نبياً من أهل البادية ولا من النساء)[60].

وعليه فإن السيدة خديجة من المصطفيات البارات بنص القرآن والسُنة الشريفة.

أحاديث كثيره قالها رسول الإنسانية بحقها لو احصيناها لطال بنا المقام، لكن يكفينا ان ننقل قوله(ﷺ) بحقها وكأنه(ﷺ) يعدد محاسنها فلا يصل الى نتيجة في تعداد فضائلها فيقول(ﷺ): (انها كانت وكانت وكان لي فيها ولد)[61]، قوله(ﷺ): كانت وكانت لدليل لا يقبل الشك على أنها بالمستوى العالي الذي يؤهلها بأن تكون زوجة اعظم انبياء الله، وكذلك دل قوله: كانت وكانت على كثرة ما كانت تفعله(عليها السلام)، بل كانت تفعل اشياء لا يعلم بها غير رسول الله(ﷺ) نفسهُ.

ونحن نقول: قد ظلت خديجة تقدم وتقدم للإسلام والمسلمين كل ما كان في وسعها، حتى بلغت الخامسة والستين وجاء زمن الحصار في شعب أبي طالب، فساءت صحتها (تحت وطأة الهموم والحوادث بعد ما تقدمت بها السن ولاقت من قومها الاضطهاد والمقاطعة لأجل اسلامها وصمودها مع محمد(ﷺ)، وتوفيت(عليها السلام) قبل ثلاث سنوات من الهجرة، بكاها رسول الله بحرقة وألم وحَزن لفقدها حزناً عظيماً... وسمي ذلك العام عام الحزن لانه فقد فيه اعز الناس عليه... عمه ابا طالب –المحامي والكفيل– وخديجة الزوجة الوفية)[62]، ونزل رسول الله(ﷺ) في حفرتها وادخلها القبر بيدهِ الحجون)[63]، والحجون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

يقال: عندما توفيت سلام الله عليها أخذ رسول الله(ﷺ) في تجهيزها وغسلها وحنطها، فلما اراد ان يكفنها هبط الامين جبرائيل وقال: (يا رسول الله ان الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك: يا محمد ان كفن خديجة من عندنا فإنها بذلت مالها في سبيلنا، فجاء جبرائيل بكفن وقال: يا رسول الله هذا كفن خديجة وهو من أكفان الجنة اهداه الله اليها)[64]، هذا اضافة الى انه قد لفها بردائه الذي كان يلبسه حين نزول الوحي عليه بطلب منها[65].

لقد غابت بعد ما بشرت ببيت بالجنة من قبل جبرائيل الذي قال لرسول الله(ﷺ): (يا رسول الله... هذهِ خديجة... قد أَتت معها اناء فيه ماء ادام او طعام او شراب، فإذا هي اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة، من قصب لا صَخب فيه ولا نصَب)[66]، علماً ان جمهور العلماء قالوا: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف، وقيل قصب من ذهب منظوم بالجواهر[67].

وبهذا ماتت خديجة (بَعد ان من الله عليها وعلى المسلمين بأن حفظ في نسل ابنتها الزهراء الطاهرة ذرية رسول الله... وحفظ بأولاد فاطمة الزهراء قبساً من سنى نور محمد ونفحة من عطر شذاه)[68].

ماذا تعلمنا من خديجة(عليها السلام):

1 – تعلمنا منها ان الانسان اذا آمن بعقيدة ما بذل من أجلها الغالي والنفيس، كما بذلت خديجة (عليها السلام) جميع اموالها لأجل ايمانها بدين زوجها واعطت للحياة اكثر مما اخذت منها.

2 – تعلمنا منها كيف تستطيع المرأة ان تتسامى ان هي ارادت ذلك وكيف انها ممكن ان تصل الى الحضيض ان ارادت هي ذلك أيضاً.

3 – تعلمنا منها كيف نكون عند الله مرضيين اذا ما اخلصنا لله وطلبنا مرضاتهِ.

4 – منها تعلمنا ان الاصطفاء الالهي يشمل المخلصين لله في العبادة حتى وإن كانت امرأة، بل قد تكون المرأة اعلى حَظاً من بعض الرجال.

5 – تعلمنا منها ان الانسان يجب ان يترك له بصمه ذكر حسن ليذكر بها بَعد مماته، فها هو رسول

الله(ﷺ) يذكر تلك السيدة بِلوعة وألم، وكم وكم بكى حزناً عليها.

فسلام على من كان ذكرها حسناً يوم ولدت ويوم ماتت ويوم تبعث حية.

المطلب الرابع: ﴿فاطمة بنت محمد(ﷺ)﴾:

اذا تتبعنا حياة هذه السيدة نجد أن حياتها صفحة فذة من صفحات التاريخ؛ كوننا نلمس فيها لوناً جديداً من ألوان العظمة فهي ليست كالملكة بلقيس او كيلوبترا، اللتين استمدتا عظمتهما من عرشيهما الكبيرين وثروتيهما الطائلتين، وجماليهما النادرين، لكننا أنفسنا أمام شخصية استطاعت ان تلفت نظر العالم وحولها هالات من الاجلال والحكمة، لم تكن حكمة هذهِ المرأة مستقاة من كتب العلماء والفلاسفة، انما هو علم لدني مضاف اليه تجارب الدهر المليء بالتقلبات والمفاجآت.

جلالها لم تستمده من مُلك او ثراء، انما كان نابعاً من صميم نفسها العظيمة.

وعندما ماتت أمها (وجد رسول الله(ﷺ) عليها حتى غُشي عليه)[69]، فكانت كما كانت أمها وجد عليها زوجها كما وجد رسول الله(ﷺ) بالأمس على امها، وكانت حياتها الزوجية معه (في أعلى مراتب المثالية من حسن السلوك والحب المتبادل؛ اذن ما ظنك بزوجين معصومين لا يصدر منهما الخطأ)[70]، حتى قال عنها زوجها: (فوالله ما اغضبتها، ولا اكرهتها على أمر، حتى قبضها الله عز وجل، ولا اغضبتني ولا عصت لي امراً، ولقد كنت انظر اليها فتتكشف عني الهموم والاحزان)[71].

عندما نتحدث عن تلك السيدة فإننا نتحدث عن أنشودة كل سيدة كريمة من بنات حواء، كذلك نتحدث عن امرأة رفضت متع الحياة وعاشت العفاف والزهد والفضيلة.

عندما نتحدث عنها انما نتحدث عن تلك الثائرة العظيمة التي انطلقت من معدن الوحي والرسالة بثورة كبرى على الانحراف الذي مني به المسلمون بَعد رحيل ابيها، فجاهدت بصلابة وشموخ على ارجاعها الى الخط الرسالي الذي رسمه ابوها لصيانة الامة من الانحراف، اكيد اننا سنتحدث عن تلك الحورية الأنسية، أصلها الجنة وفروعها منابع نور الامامة، ومولدها اطهر حجر في الكون، ذلك هو حجر رسول الله(ﷺ)، وخديجة بنت خويلد، هي فاطمة الزهراء: بنت محمد التي سأقدمها الى كل امرأة تفتش عن مرود – عن قارورة... طيب... عن ريشة خضاب، كما يقول المسيحي سليمان كتاني[72]، فاطمة الزهراء: التي ولدت في العشرين من جمادى الآخرة بعد خمس سنوات من البعثة النبوية المباركة بمكة، واقامت مع ابيها سبع سنين ثم هاجرت معه الى المدينة[73].

اكثر الصديقات المصطفيات اسماء والقاباً، فمن اسمائها: فاطمة، الزهراء، البتول، الصديقة، الطاهرة، الزكية، المباركة، الرضية، المرضية، المحدثة، أم ابيها[74].

ابوها: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف، صاحب الرسالة العظمى التي هي خاتمة الرسالات السماوية، وهو أفضل الانبياء وسيد البشر كافة.

أمها: خديجة بنت خويلد، من اشرف وأشهر نساء قريش.

زوجها: امير المؤمنين علي بن ابي طالب.(عليه السلام) ولد بَعد مولد الرسول الأعظم(ﷺ) بثلاثين سنة[75].

ابناؤها: الحسنان(عليهما السلام)، ومن البنات زينب(عليها السلام) وأم كلثوم .

اما تكوين نطفتها فقد ورد عن الامام الرضا(عليه السلام) انه قال: قال النبي(ﷺ): لما عُرج بي الى السماء أخذ بيدي جبرائيل(عليه السلام) فأدخلني الى الجنة فناولني من رُطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة(عليها السلام) ففاطمة حوراء إنسية فكلما اشتقت الى رائحة الجنة

شممت رائحة ابنتي فاطمة[76].

عن الامام الصادق(ع) انه قال: (ان خديجة(عليها السلام) لما تزوج بها رسول الله(ﷺ) هجرتها نسوة مكة فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك وكان حزنها وغمها حذراً عليه(ﷺ) فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك عن رسول الله(ﷺ)، فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة(عليها السلام) فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني، قال: يا خديجة هذا جبرائيل يبشرني ويخبرني أنها انثى وأنها النسلة الطاهرة الميمونة وان الله تعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاءه في ارضه بَعد انقضاء وحيه، فلم تزل خديجة(عليها السلام) على ذلك الى ان حضرتها ولادتها... فبينما هي كذلك اذ دخل عليها اربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم ففزعت منهن لما رأتهن فقالت احداهن: لا تحزني يا خديجة فإنا رسل ربكِ اليكِ ونحن اخواتكِ، انا سارة وهذهِ آسية بنت مزاحم وهي رفيقتكِ في الجنة وهذهِ مريم بنت عمران وهذهِ كلثم اخت موسى بن عمران بعثنا الله اليكِ لنلي منكِ ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة(عليها السلام) طاهرة مطهرة)[77].

وقد وردنا عن رسول الله(ﷺ) من الاحاديث ما يملأ الخافقين عن عصمتها وبيان مقامها، من ذلك ما قاله(ﷺ): (كانت مريم سيدة نساء زمانها، اما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين)[78].

اما الأدلة القرآنية على عصمتها فكثير وهذا ما اتفق عليه علماء المسلمين من الفريقين، اهم تلك النصوص:-

1- آية التطهر: ورد في المأثور ان نزول قوله تعال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(الاحزاب٣٣) انما كان في فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، وهذا موضع اتفاق اكثر العلماء، يقول إبن عاشور: (وفي صحيح مسلم عن عائشة: خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرجل فجاء الحسن فأدخله، ثم الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} وهذا اصرح من حديث الترمذي)[79]، وبما ان السنة شارحة وموضحة لما أشكل القرآن - لان البعض ادعى ان زوجات النبي(ﷺ) داخلات ضمن مفهوم اهل البيت- فقد ورد في الاخبار المستفيضة حصر الآية بهؤلاء الخمسة، فعن انس بن مالك ان النبي(ﷺ): كان يمر ببيت فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى الفجر فيقول: الصلاة يا أهل البيت{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}.

2- آية المباهلة: وهذهِ الآية المباركة اعلنت عن سمو أهل البيت(عليهم السلام) وعظيم منزلتهم عند الله فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(آل عمران ٦١)، اجمع المفسرون ورواة الحديث ان هذهِ الآية الكريمة نزلت في اهل بيت النبوة ومعدن الرحمة، والمرادُ بالأبناء الحسن والحسين سبطا الرحمة وإماما الهدى، والمراد بالنساء سيدة نساء العالمين الزهراء(عليها السلام) وبالأنفس امير المؤمنين(ع)[80].

3- آية المودة: وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(الشورى23)، قال ابن عباس: لما نزلت هذهِ الآية قيل للرسول(ﷺ): من قرابتك الذين اوجبت علينا مودتهم قال(ﷺ): علي وفاطمة وابناهما... يقول الفخر الرازي: (روى صاحب الكشاف انه لما نزلت هذهِ الآية قيل: يا رسول من قرابتك هؤلاء الذين اوجبت علينا مودتهم؟

فقال: علي وفاطمة وابناهما، فثبت ان هؤلاء الأربعة اقارب النبي(ﷺ) واذا ثبت هذا وجب ان يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه: الاول: قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ووجه الاستدلال به ما سبق. الثاني: لا شك ان النبي(ﷺ) كان يحب فاطمه(عليها السلام) قال(ﷺ): (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها) وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله(ﷺ) انه كان يحب عليًا والحسن والحسين واذا ثبت ذلك وجب على الامة مثله لقوله: {وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[81]، وبَعد هذا الكلام لا تعليق لدينا عن عصمة هذه المرأة.

4- آية الابرار: قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ﴾ ﴿ فَوَقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴾ ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً﴾(الانسان 5-13) السيوطي في دره المنثور يقول: اخرج ابن مردوية عن ابن عباس قال: نزلت هذِه الآية في علي بن ابي طالب وفاطمة بنت رسول الله(ﷺ)[82].

اما الألوسي في تفسيره روح المعاني فله تعليق جميل – بعد ان اثبت نزول هذِه الآيات بعلي وفاطمة وابنيهما- على ان القرآن الكريم في كل مكان يصف بها الجنة يتحدث عن الحور العين الا في هذِه السورة ثم يتحدث عن ذلك لماذا؟؟ يقول الألوسي: (ومن اللطائف على القول بنزولها فيهم انه سبحانه لم يذكر الحور العين وانما صرح عز وجل بولدان مخلدين رعاية لحرمة البتول وقرة عين الرسول لئلا تثور غيرتها الطبيعية اذا احست بضرة وهي في افواه تخبطات الطباع البشرية ولو في الجنة مرة ولا يخفى عليك انها زهرةُ ربيع ولا تتحمل الفرك)[83].

5- آية القربى: قال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾(الروم ٣٨)، في تفسير هذِه الآية ينقل الطبرسي في مجمعه رواية عن ابي سعيد الخدري وغيره (انه لما نزلت هذِه الآية على النبي(ﷺ) اعطى فاطمة(عليها السلام) فدكا وسلمها اليها وهو المروي عن ابي جعفر(عليه السلام) وابي عبدالله(عليه السلام))[84].

يقول الحويزي: (خاطب الله نبيه قائلًا {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} اي اعطِ ذوي قرباك يا محمد حقوقهم التي جعلها الله لهم من الاخماس، فدفع رسول الله(ﷺ) فدكا الى فاطمة بأمر الله)[85].

وقد احصى العلامة عبد الحسين الشبستري في كتابه اعلام القرآن الكثير من الآيات في سور متعددة من القرآن نازلة بحقها، فمن اراد الاطلاع فليراجع هذا الكتاب، وقد اضاف الاحاديث النبوية الساندة[86] والأدلة القرآنية التي تدل على الاصطفاء الالهي لهذِه السيدة العظيمة، اكتفينا بهذا القدر بُعدًا للاطالة.

قضت سلام الله عليها شهيدة بَعد وفاة ابيها بأربعين يومًا على بعض الروايات، وقيل خمسة وسبعين يومًا، وقيل اثنان وسبعين يومًا، وقيل ستين يومًا، وقيل ستة اشهر، والذي عليه الاكثرية هو الخمسة وسبعون يومًا[87]، استشهدت سلام الله عليها بَعد ان دافعت عن الإمامة والخلافة الاسلامية.

وقد تولى تجهيزها الامام امير المؤمنين(عليه السلام)، عن المفضل بن عمر قال: قلت لابي عبدالله(عليه السلام) من غسل فاطمة الزهراء؟ قال: ذاك امير المؤمنين(عليه السلام) فكأنما استفضعتُ ذلك من قوله، فقال لي: كأنك ضقت عما اخبرتك؟ فقلت قد كان جُعلت فداك، فقال لا تضيقن فإنها صديقة لا يغسلها الا صديق، اما علمت ان مريم(عليها السلام) لم يغسلها الا عيسى(عليه السلام)؟[88].

(فسلام عليها يوم ولدت من محمد ابنة غالية، أما حانية، ويوم اقترنت بعلي(عليه السلام) زوجة لا كفؤَ له بين

النساء سواها، ولا كفؤ لها بين الرجال سواه، فُخلدا معًا اسمًا ومعنى ورمزًا وقيمة في قلوب استضاءت بولائهما وفي كتاب خالد لم يقدمهما كأطهر خلق الله واقربهم الى نبيهم فحسب بل قدمهما لنا كأرقى نموذج نسائي استحقت مقاصير الجنان، وكامرأة نباهي بذكرها الدهُر وسورة الانسان التي بوأتها موقع فوق قمم الايثار الاعلى والاصعب في كل زمان ومكان وحيثما يُصلي لوجه الخالق انسان)[89].

حياة الزهراء(عليها السلام) دروس وعبر:

بَعد هذِه الاطلالة السريعة على حياتها الشريفة التي لا تسعها السطور – فقد الف والف العلماء عنها، ولا زالت حياتها نبراسًا لكل الأجيال– تعلمنا منها الكثير الكثير، ولا زالت وستبقى الى آخر الزمان مدرسة للأجيال، فمما تعلمناه منها:

1 – اذا اردنا الفضيلة فسنجدها عندها لأنها تربعت على عرش مملكة من الفضائل التي زانها شخصها النوراني.

2 – منها تعلمنا كيف يجب ان تكون المرأة قوية رغم الاعاصير التي تحيط بها من كل جانب.

3 – تعلمنا منها كيف تكون المرأة زوجة وامًا، ثم لتكون بعدها عابدة لربها متهجدة، ثم لتكون من المصطفيات الابرار.

واخيراً نقول: كأن الله سبحانه وتعالى قد خلق هؤلاء المصطفيات لأجل إكرام رسول الانسانية(ﷺ) وان يكون له زوجات في الآخرة، وهذا ما أشار(ﷺ) له عند وفاة خديجة: (ولما مرضت خديجة مرضها الذي توفيت فيه دخل عليها رسول الله فقال لها: بالكره مني ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا، أما علمت ان الله قد زوجني معكِ في الجنة مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون، قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، قالت: بالرفاء والبنين)[91].

الخاتمة

ها نحن قد وصلنا الى ختام بحثنا في الحديث عن اربع نساء في سماء الاصطفاء الالهي وقد توصل البحث الى نتائج عدة، اهمها:

1 – اثبت البحث بطلان المقولة التي تدعي ان الاصطفاء الالهي للبشرية قد خص رجالها دون نسائها، وكان القرآن الكريم اول المفندين لهذِه المقولة وقد كذبها من خلال اختياره لأربعة نماذج نسائية كُن انموذجاً يحتذى بهن.

2 – ادرك البحث ان اثنتين من هؤلاء النسوة اللاتي اختارهن القرآن للنساء المؤمنات قد نالتا درجة الشهادة على يد اعتى اعداء الله، الاولى آسية بنت مزاحم على يد طاغية عصرها فرعون، والأخرى فاطمة الزهراء على يد من نكثوا البيعة بعد اقرارها.

3 – ان الله سبحانه وتعالى قد ضرب في القرآن الكريم مثلاً للذين آمنوا بآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران، والملاحظ ان القرآن قد قدم آسية في نفس الآية على مريم لأن آسية قد نالت شرفين: شرفٌ انها انموذج نادر من النساء، وشرفٌ اذا قورنت بفضليات النساء فأن لها السمو والرفعة والقمة وذلك بالتوازي مع افضل نساء العالمين مريم ابنة عمران.

4 – اثبت البحث ان مريم ابنة عمران كانت سيدة نساء عصرها، اما فاطمة الزهراء(عليها السلام) فكانت سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين، وذلك من خلال القرآن والسُنة.

5 – قدم البحث نماذج من النساء المصطفيات كقدوة للنساء حتى لا تدعي امرأة انها غير قادرة

على الوصول الى القمة، فخاطبها القرآن: انكِ وحدكِ تستطيعين ان تكوني عظيمة، ووحدكِ تستطيعين أن تكوني مثلاً سيئاً يضرب به القرآن كامرأتي نوحٍ ولوط.

الهوامش

1 – ملوك مصر القديمة/ د. محمد راشد/ 121.
2 – حضارة مصر/ رمضان علي 1/322.
3 – البداية والنهاية/ ابن كثير الدمشقي 4/224.\
4 – تفسير الكشاف/ الزمخشري 4/559.
5 – نساء في القرآن/ مريم نور الدين فضل الله /292.
6 – نساء اشار اليهن القرآن ولم يسميهن/ مختار فوزي النعال/47.
7 – معجم اعلام النساء في القرآن الكريم/ عماد الهلالي/ 17–16.
8 – الكامل في التاريخ/ ابن الاثير 1/132.
9 – أنظر اعلام القرآن/ عبد الحسين الشبستري/937.
10 – معجم اعلام النساء عماد الهلالي/ 17.
11 – المصدر نفسه/ 19.
12 – أعلام القرآن/ عبد الحسين الشبستري/ 18.
13 – النور المبين في قصص الانبياء/ نعمة الله الجزائري/ 261.
14 – المصدر نفسه/ 261.
15 – المصدر نفسه/ 261.
16 – حياة آسية امرأة فرعون/ محمود شلبي/ 356.
17 – المصدر نفسه/ 368.
18 – المصدر نفسه/ 370.
19 – قصص المرأة في القرآن الكريم/ منى محمد هنداوي/ 59.
20 – اعلام القرآن/ عبد الحسين الشبستري/ 18.
21 – الخصال/ الصدوق/ 234.
22 – حياة آسية امرأة فرعون/ محمود شلبي/ 393.
23 – أنظر المستفاد من قصص القرآن/ عبد الكريم زيدان 1/350.
24 – المصدر نفسه/ 351–350.
25 – معجم اعلام النساء في القرآن الكريم/ عماد الهلالي/ 244.
26 – الصديقة مريم العذراء معجزة الاجيال/ جعفر الامرد/ 15.
27 – قصص المرأة في القرآن الكريم/ منى محمد هنداوي/ 77.
28 – خالدات في كتاب الله/ ولاء أبراهيم حمود/ 193.
29 – اعلام القران/ عبد الحسين الشبستري/ 898.
30 – ينظر مريم العذراء ام المسيح في القرآن الكريم/ محمد حسن الشبستري/ 26–24.
31 – بحار الانوار/ المجلسي 14/202.
32 – تفسير القمي/ القمي 1/128.
33 – القصص القرآنية/ ناصر مكارم الشيرازي/ 368.
34 – المصدر نفسه/ 368.
35 – معجم أعلام النساء في القرآن الكريم/ عماد الهلالي / 246.
36 – ينظر/ المصدر نفسه/ 246.
37 – سر مريم أم المسيح(عليه السلام)/ حسن يوسف الأطير/ 170.
38 – حياة مريم/ محمود شلبي/ 402.
39 – سنن الترمزي/ الترمزي 5/367.
40 – المصدر نفسه 703–5/702 طبعة دار احياء التراث العربي.
41 – معجم اعلام النساء في القرآن الكريم/ عماد الهلالي/ 247.
42 – تاريخ الاسلام/ الذهبي 1/238.
43 – ام المؤمنين السيدة خديجة/ باقر شريف القرشي/ 14.

44 – المصدر نفسه/ 17.
45 – أنظر الانوار الساطعة من القراء الطاهرة خديجة بنت خويلد/ غالب السيلاوي/ 23.
46 – ام المؤمنين السيدة خديجة/ باقر شريف القرشي/ 18.
47 – خديجة بنت خويلد أول الناس اسلاماً/ محمد علي قطب/ 12.
48 – التبيان/ الطوسي 2/456.
49 – الجامع الصحيح (سُنن الترمزي)/ الترمذي 5/702.
50 – التبيان/ الطوسي 2/456.
51 – خديجة بنت خويلد سيدة النساء/ سيروان عبد الزهرة الجنابي/ 3.
52 – تفسير الطبرسي/ الطبرسي 3/262.
53 – مجمع البيان/ الطبرسي 2/746.
54 – شجرة طوبى/ المازندراني الحائري2/23.
55 – صحيح مسلم/ مسلم ص98 حديث 2435.
56 – الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي 4/83.
57 – أعلام القرآن/ عبد الحسين الشبستري/778.
58 – الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي 4/83.
59 – المصدر نفسة 4/83.
60 – خديجة بنت خويلد سيدة النساء/ سيروان عبد الزهرة/ 4.
61 – مقتنيات الدرر/ الحائري 6/88.
62 – صحيح البخاري/ البخاري 4/231.
63 – نساء في القرآن/ مريم نور الدين فضل الله/ 414.
64 – معجم اعلام النساء/ عماد الهلالي/ 117.
65 – شجرة طوبى/ الحائري 2/235.
66 – خديجة بنت خويلد امةً جمعة في امرأة/ نبيل الحسني 4/102.
67 – صحيح البخاري/ البخاري 4/231.
68 – حياة ام المؤمنين خديجة(عليها السلام)/ محمود شلبي/ 16.
69 – نساء في القرآن/ مريم نور الدين فضل الله/ 415.
70 – روضة الواعظين/ الفتال النيسابوري/ 295.
71 – الطبقات الكبرى/ ابن سعد 1/41.
72 – هذهِ فاطمة الزهراء/ محمد علي هاشم العلي/38.
73 – فاطمة الزهراء وتراً في غمد/ سليمان كتاني/ 28.
74 – أنظر: هذهِ فاطمة الزهراء/ محمد علي هاشم العلي/ 13.
75 – المصدر نفسة/ 14.
76 – أنظر: بحار الانوار/ المجلسي 43/92.
77 – المصدر نفسة 43/4.
78 – المصدر نفسة 43/2.
79 – الزهراء خير النساء/ ناصر مكارم الشيرازي/ 5.
80 – التحرير والتنوير/ ابن عاشور 21/247.
81 – حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء/ باقر شريف القرشي/ 128.
82 – التفسير الكبير/ الفخر الرازي 27/166.
83 – الدر المنثور/ السيوطي 6/485.
84 – روح المعاني/ الألوسي 15/199.
85 – مجمع البيان/ الطبرسي 8/478.
86 – نور الثقلين/ الحويزي 4/186.
87 – أنظر: اعلام القرآن/ عبد الحسين الشبستري/ 776–774.
88 – أنظر: هذهِ فاطمة الزهراء/ محمد علي هاشم العلي/ 127– 128.
89 – الصديقة مريم العذراء معجزة الاجيال/ جعفر الامرد/ 209.
90 – خالدات في كتاب الله/ ولاء أبراهيم محمود/ 27.

91 – بحار الانوار/ المجلسي 19/20.

المصادر والمراجع

1 – أعلام القرآن: عبد الحسين الشبستري، مؤسسة بوستان كتاب مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي، قم المقدسة، 1387هـ.

2 – ام المؤمنين خديجة: باقر شريف القرشي مؤسسة أنوار الهدى، مطبعة ستارة، ط1، 1429هـ.

3 – الانوار الساطعة من الغراء الطاهرة خديجة بنت خويلد: غالب السلاوي، محلاتي للنشر والتوزيع، ايران، ط2، 1424هـ.

4 – بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار: المجلسي، محمد باقر (ت: 1111هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط3، 1403هـ/ 1983م.

5 – البداية والنهاية: ابن كثير: عماد الدين ابو الفداء اسماعيل القرشي(ت: 774هـ)، تحقيق علي شيري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

6 – تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت: 748هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1987م.

7 – التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط1.

8 – تفسير القمي: القمي، ابو الحسن علي بن أبراهيم (ق4)، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، دار السرور، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1991م.

9 – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر(ت: 538هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

10 – تفسير مقتنيات الدرر: الحائري مير علي الطهراني، تحقيق: محمد وحيد الطبسي، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي،ط1، 1433هـ.

11 – جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت: 310هـ)، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.

12 – الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري(ت: 671هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت.

13 – حضارة مصر القديمة منذ اقدم العصور حتى نهاية عصر الاسرات الوطنية، سلسلة الثقافة الاثرية والتاريخية، القاهرة، ط1، 2004م.

14 – حياة آسة امرأة فرعون: محمود شلبي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1412هـ/1992م.

15 – حياة ام المؤمنين خديجة(عليها السلام): محمد شلبي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1412هـ.

16 – حياة مريم: محمود شلبي، دار الجيل، بيروت، ط4، 1414هـ/ 1994م.

17 – خالدات في كتاب الله(رياحين من القرآن): ولاء أبراهيم حمود، دار الهادي للطباعة، بيروت، ط1، 1427هـ/ 2006م.

18 – خديجة بنت خويلد امةً جمعت في امرأة: نبيل الحسني، قسم الشؤن الفكرية العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ط1، 1432هـ.

19 – خديجة بنت خويلد اول الناس اسلاماً: محمد علي قطب، دار القلم، بيروت، ط1، 1408هـ.

20 – خديجة بنت خويلد سيدة النساء وسكينة الرسول(ﷺ) قرائه تحليليه في النص القرآني: بحث للدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي.

21 – الخصال: الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن بابوية (ت: 381هـ)، تحقيق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط6، 1424هـ.

22 – الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت: 911هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ.

23 – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي محمود البغدادي(ت: 1270هـ)، دار الفكر بيروت، 1408هـ.

24 – روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، محمد ابن الفتال(ت: 508هـ)، تحقيق: حسين الاعلمي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط1، 1406هـ.

25 – الزهراء خير النساء: ناصر مكارم الشيرازي، دار الهادي للطباعة، بيروت، ط4، 1428هـ.

26 – سر مريم ام المسيح(عليه السلام): حسني يوسف الأطير، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، 1414هـ/ 1994م.

27 – سُنن الترمذي: الترمذي، احمد بن عيسى ابن سورة(ت: 297هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، 1403هـ/ 1983م.

28 – شجرة طوبى: الحائري، محمد مهدي مازندراني، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، 1369هـ.

29 – صحيح البخاري: البخاري ابو عبد الله محمد بن اسماعيل(ت: 265هـ)، دار إشبيلية، الرياض.

30 – صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري(ت: 261هـ)، بيت الافكار الدولية للنشر، الرياض، 1419هـ.

31 – الصديقة مريم العذراء معجزة الاجيال: جعفر الامرد، دار البيان العربي، بيروت، ط1، 1413هـ/ 1993م.

32 – الطبقات الكبرى: ابن سعد محمد بن سعد الهاشمي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1418هـ.

33 – فاطمة الزهراء وتراً في غمد: سليمان كتاني، مكتبة العلمين الطوسي وبحر العلوم، النجف الاشرف، ط1، 1388هـ.

34 – قصص القرآن: حسين الحسيني، مؤسسة انصاريان، قم، 2003م.

35 – قصص المرأة في القرآن الكريم: منى محمد هنداوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1423هـ/2003م.

36 – الكامل في التاريخ: ابن الاثير، ابو الحسن علي ابن ابي الكرم، محمد ابن محمد الشيباني(ت: 630هـ)، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1987م.

37 – مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي ابو علي الفضل بن الحسن(ت: 548هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1406هـ.

38 – المستفاد من قصص القرآن: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1423هـ/ 2002م.

39 – ملوك مصر القديمة منذ عهد أبراهيم حتى عهد موسى/ محمد راشد، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا،ط1، 2013م.

40 – نساء اشار اليهن القرآن ولم يسمهن: مختار فوزي كككككك النعال، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط3، 1973م.

41 – نساء في القرآن: مريم نور الدين فضل الله، دار الزهراء للطباعة، بيروت،ط1، 1414هـ/ 1993م.

42 – نور الثقلين: الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي(ت: 1111هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة اسماعليان، قم، ط4، 1415هـ.

43 – النور المبين في قصص الانبياء والمرسلين: نعمة الله الجزائري، منشورات الشريف الرضي، مطبعة شريعت، قم المقدسة، ط2، 1420هـ.

44 – هذهِ فاطمة الزهراء: محمد علي هاشم العلي، مطبعة ثامن الحجج(عليه السلام)، ايران، ط1، 1430هـ.

2- جدلية إثبات عذاب القبر ونفيه

(دراسة لغوية - عقدية)

أ . م . د . نوري عبدالرحمن إبراهيم
قسم الدراسات الإسلامية / كلية العلوم الإنسانية/ جامعة دهوك/ إقليم كوردستان العراق
Noorizan١@yahoo.com
noori.ibrahim@uod.ac

م. هلات حسن جرجيس
قسم اللغة العربية/ فاكولتي العلوم الإنسانية /جامعة زاخو/إقليم كوردستان العراق
Halat.jarjees@uoz.edu.krd
Halat.hassan٨٠@gmail.com

Research Summarys

Belief in God represents the most honorable link between a person and his Creator; that the most honorable of the earth is the human person, that the most honorable in a person is his heart, and that the most honorable of what is in the heart is faith. Death will be, and she remains aware that she hears who visits her, knows him and restores peace be upon him, and senses the pleasure of bliss and the pain of hell. He is pleased with what was good, and suffers with what was ugly)). It was narrated that Aisha, may God be pleased with her: after burial Umar, may God be pleased with him, was covering up and saying: ((My father and my husband were, but as for Umar, he is a foreigner)) means that he sees her. Ibn al-Qayyim says: ((The Sunnis and the community agreed that every human being is asked after his death, graves or not buried, and if he was eaten by the seven or thinner until he became ashes, and was blown up in the air, or he was drowned in the sea, he was asked about his deeds, and it is permissible for good, with evil), And that bliss or suffering on both the soul and the body)). If a person dies, God sends two kings to him ... So they asked him about the religion he lived on and his knowledge of this man who he heard about, and he was Muhammad, may God bless him and grant him peace, so whoever was proven by God Almighty steadfastly, and died on the truth and sealed it with good, inspired him God is the answer to the question of the two angels ... He who was not stuck with the rope of faith in his life, and died for what he lived in terms of amusement, disobedience and devotion to the truth, God filled his heart with fear of them, so he absent from his thought the required answer and did not free an answer to what they say. These are from the unseen realities that only the one who touched that fate has touched ... It was indicated by many authentic hadiths that exceeded the frequency of the whole, and that is why all Muslims were unanimous in believing in this, according to what was confirmed by the certainty news.

المـقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نِعَمه ويُكافئُ مزيده،ولك الحمد ربنا كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، الذي لا يعلم الغيب غيره، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۞إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾(الجن:26 و27) وهي خصوصية خصَّ الله تعالى به نفسه،وقد يُطْلِع أحد عباده على ما يشاء من الأمور الغيبية،والصلاة والسلام على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم الذي خصّهُ الله بأمور دون غيره من الرسل والأنبياء، فالإيمان بالبعث بعد الموت هو أحد أصول الإيمان الستة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الأصل الخامس في الترتيب (الإيمان باليوم الآخر)، ويندرج تحت الإيمان باليوم الآخر أمور كثيرة مما جاءت به النصوص،فكل الذي أخبر الله تعالى به في القرآن الكريم،أو أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيكون داخلاً في الإيمان باليوم الآخر.

فالإنسان يَمرُّ بثلاث مراحِلَ هي: مرحلة دار الدنيا،وهي مرحلة دار العَمَل، ومرحلة دار البرزخ، ومرحلة دار الآخِرة، والمرحلتان الأخيرتان هما دارا الجزاء[402]. وقد أمرنا الله تعالى بأنْ نأخذَ بما يأتينا به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(الحشر:7) وأعقبه بالتهديد للمخالفين، وكذلك بالتحذير للمخالفين عن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(النور:63)، فالأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تجاوزت في مجموعها حد التواتر، وتم إجماع المسلمين كلهم على الإيمان بها طبقاً لما دل عليه الخبر اليقيني، شاهد صدق على عذاب القبر دون ريب.

بناءً على ما سبق فقد قسمنا بحثنا إلى مبحثين ويندرج تحت كل مبحث مطالب وكالآتي:

المبحث الأول: تعريف الموت، والروح، والبرزخ، وما يتبع الميت، القبر أول منازل الآخرة، ويشتمل على ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: تعريف الموت والروح والبرزخ.

المطلب الثاني: ما يتبع الميت.

المطلب الثالث: القبر أول منازل الآخرة.

المبحث الثاني: الأَدِلَّةُ على ثبوت عذاب القبر، و أدلة المنكرين ومناقشتها ويشتمل على أربعة مطالب هي:

المطلب الأول: الأَدِلَّةُ على ثبوت عذاب القبر .

المطلب الثاني: حكم الإيمان بسؤال وعذاب القبر.

المطلب الثالث:ثبت في السنة النبوية أنَّ العبد يُسْألُ في قبرهِ عن ربِّهِ وعن نبيِّهِ وعن دينهِ،ويستدل على ثبوته عقلاً ونقلاً.

المطلب الرابع:أدلة المنكرين والرد عليها.

المطلب الأول

تعريف الموت والروح والبرزخ

1 . **الموت**:ليسَ بِعَدَمٍ مَحضٍ،ولا فَناءٍ صِرْفٍ، إنما هو انقطاعُ تَعَلقِ الروحِ بالبدنِ،ومُفارقَته،وحيلولة بينهما،وتبدل حالٍ،وانتقالٌ من دارٍ إلى دار. فقد علم الناس كلهم أنَّه حقيقة مُشاهدةٍ محسوسةٍ، وليس

(402) يُنظر :توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية:ص169.

من الغيبيات في شيء،فهذه الحقيقة، أمر مُشاهد محسوس[403].

2 ـ الروح:جسم لَطِيف شَفاف،حيٌّ لذاته،مُشتَبِكٌ بالجسم اشتِباك الماءِ بالعود الأخْضَرِ،فتكون ساريةً في جميع البدن،وعند مفارقتها الجسد ينقطع تصرفه، فإنَّ الأعضاءَ آلاتُ الروحِ تسْتَعْمِلُها حَسبَ مَشِيئتها، وهي حادثةٌ، وليست بقديمة بإجماع المسلمين،ويظهر أنها تحدث بعد تسوية الجسم،وتتصل به،وتحل فيه وهو جنين،والروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت،وتبقى مُدْرِكَةً تسمع من يزورها، وتعرفه،وترد عليه السلام،وتحس لذةَ النعيم، وأَلَمَ الجَحِيم[404].

قال الله تعالى:﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:42).

وقال تعالى:﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾(الأنعام:61).فالروح تغادر الجسم،وهو في أَكْمَل حالات الصحة،هذا هو التعريف الذي ذكرهُ المسلمون وآمنوا به.

أمَّا ما يُقال بأن الموت هو توقف القلب، أو هو موت خلايا المخ، فإنَّ الطفرات النوعية للعلوم والتكنولوجيا في العصر الحديث استطاعت تجاوز مثل هذه الحالات التي تُعَدُّ الآن من الأمور الطبيعية. لكن جميع البحوث حاولت أن تجعل الموت أمراً غير يقيني، فبقي الاحتمال الذي أكدته الأزمان، وهو أنْ يموت الإنسان في أيِّ عُمرٍ،وفي أيِّ زمن[405].

إنَّ الإنسان لا يَدُبُّ فيه السأم في البحث عن الخلود،ولكن هيهات ولن يحصل عليه،وبفضل التقنية الحديثة وتركيبة الجسم الخاضعة لقوانين خاصة به قد يكون في استطاعته إيقاف الزمن الفسيولوجي لأعضاء الجسم لفترة قصيرة، ولكنه لم ولن يتغلبَّ على الموت.وقد قال الدكتور الحائز على جائزة نوبل للعلوم(لنس بالنج):(إنَّ الإنسان أبدي إلى حَدٍّ كبير نظرياً،فإنَّ خلايا جسمه آلات تقوم بإصلاح ما فيه من الأمراض ومعالجتها تلقائياً،و برغم ذلك فإنَّ الإنسان يعجز ويموت، ولا تزال علل هذه الظاهرة أسراراً تُحير العلماء) [406].

3 ـ البَرْزَخ

البَرْزَخُ لغةً: ما بين كُلِّ شيئَين من حاجز،وقال تعالى: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾(الرحمن:20). أي:حاجز يمنعهما من أنْ يختلط أحدهما بالآخر.وهو ما بين الموت إلى البعث.

البَرْزَخُ اصطلاحاً:الحاجز بين الدنيا والآخرة،قال تعالى:﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: جزء من الآية100) [407].

المطلب الثاني

ما يتبع الميت إلى قبره وما يبقى معه فيه

وقد دلَّ القرآن والسنة المتواترة على فتنة القبر وعذابه،والفتنة الإبتلاء،والمراد بفتنة القبر:سؤال الملكين منكر ونكير للميت.[408] لقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في هذين الحديثين،

---

(403) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي:ص4.كُبرى اليقينيات الكونية:ص306.

(404) يُنظر:شرح الجوهرة للباجوري:ص270، رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة:ص100.العقائد الإسلامية:السيد سابق:ص234 ـ 236.

(405) يُنظر: أصول الدين الإسلامي:د.قحطان الدوري و رشدي عليان:ص376.والعقيدة الإسلامية ومذاهبها:د.قحطان الدوري:ص628.

(406) الإسلام يتحدى:ص73 ـ 74.

(407) كتاب الروح لابن القيم:ص73 و 108.

(408) يُنظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية:ص170، و قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي:ص294.

الأول:(حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ)[409].

الثاني: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَهْبِ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْزُوقُ بْنُ أَبِي الْهُذَيْلِ قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَغَرُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَداً صَالِحاً تَرَكَهُ، وَمُصْحَفاً وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ، أَوْ بَيْتاً لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْراً أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ) [410].

وهناك من قال بأنه يوجد تعارض بين الحديثين، ولكن في الحقيقة لا تعارض بينهما لما يأتي:

1 . إما لأنَّ مفهوم العدد غير حُجَّة.

2 . و إما لأنه اطَّلَعَ أولاً على ما في حديث مسلم، ثم أطْلَعَهُ الله على الزائد فأخبر به [411].

المطلب الثالث

القبر أول منازل الآخرة

القبر:مفرد، جمعه القبور ،وهو جمع كثرة، وأقْبُر :وهو جمع قلة،ويُقالُ لمدفن الموتى مَقْبَر ومَقْبَرة[412].

سؤال القبر:وقد دلَّ القرآن، والسنة المتواترة على فتنة القبر وعذابه.ويُراد بهِ:(أنَّ الله تعالى يُحيي العبدَ المُكلف في قبرهِ بِرَدِّ الحياة إليه،ويَجْعَلهُ مِنَ العقل في مثل الوصفِ الذي عاشَ عليهِ،ليعقلَ ما يُسْألُ عنه،وما يجيبه، ويفهم ما آتاه مِنْ ربِّهِ، وما أعَدَّ لهُ في قَبْرِهِ مِنْ كَرَامَةٍ أو هَوان) .وقد اتفقَ أهل السنة والجماعة على أنَّ كل إنسانٍ يُسأل بعد موته قُبِرَ أمْ لم يُقْبَر ،وليس المراد به الحفرة التي يدفن فيها الميت فقط،بل المراد أيُّ مكانٍ يحل فيه بعد الموت سواء الأرضِ أو الهواء أو البحار أو بطون الحيوانات أو غيرها،لسُئِلَ عن أعماله،وجوزي بالخير خيرا،وبالشر شراً[413].

المبحث الثاني

الأَدِلَّةُ على ثبوت عذاب القبر، و أدلة المنكرين ومناقشتها

المطلب الأول

الأَدِلَّةُ على ثبوت عذاب القبر ومنها

1 . حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ أَخْبَرَنِي عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ قَالَ سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

---

(409) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه(صحيح البخاي):كتاب الرقائق . باب سكرات الموت،حديث رقم(6514). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)كتاب الزهد والرقائق،حديث رقم(2960).

(410) سنن ابن ماجه في المقدمة:ج1/88،باب ثواب معلم الناس الخير،حديث رقم(242). وحسنه الألباني.

(411) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين:ج3/433.

(412) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة:ص88.

(413) المصدر السابق نفسه:ص124.و يُنظر :توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية:ص170.و العقائد الإسلامية:السيد سابق:ص237،وشرح النسفية في العقيدة الإسلامية:عبدالملك السعدي:ص111.

الْآخِرَةِ﴾) (414).

2 . حَدَّثَنَا عَيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا * قَالَ قَتَادَةُ وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ) (415).

3 . (حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ , عَنِ الأَعْمَشِ , عَنِ الْمِنْهَالِ , عَنْ زَاذَانَ , عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ , فَقَالَ : اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ , مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا , ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا , وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ , مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ , فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ قَالَ : فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِمِ السِّقَاءِ حَتَّى يَأْخُذَهَا مَلَكُ الْمَوْتِ, فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعْهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، ثُمَّ يَصْعَدُوا بِهَا قَالَ : وَتَخْرُجُ رُوحُهُ كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ قَالَ:فَيَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ،فَيَقُولُونَ:مَا هَذَا الرِّيحُ الطَّيِّبُ؟فَيَقُولُونَ:فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا،فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي يَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ قَالَ:فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ؛فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ : فَيُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ قَالَ : وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ , فَيُجْلِسَانِهِ , فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ , فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ:دِينِي الإِسْلاَمُ , فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ , فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا يُدْرِيكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ , فَآمَنْتُ بِهِ , وَصَدَّقْتُ. قَالَ : فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ قَالَ : وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ , فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ , فَيَقُولُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ , رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ عَلَى الآخِرَةِ فَتَنْزِلُ إِلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى

(414) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه(صحيح البخاي):كتاب التفسير. سورة إبراهيم . باب يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، حديث رقم(4699). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه،حديث رقم(2871).

(415) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه(صحيح البخاي):كتاب الجنائز. باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم(1374). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم): كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه،حديث رقم(2870).

يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ , فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، قَالَ : فَتَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا فَتَتَقَطَّعُ مِنْهُ الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ كَمَا يُنْزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ , فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا , فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَنْتَنُ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ قَالَ : وَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾(الأعراف:40) قَالَ : فَيَقُولُ اللَّهُ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ الأَرْضِ السُّفْلَى , وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ : فَيُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج:31)قَالَ : فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ , وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ , فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي قَالَ : فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي , فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي قَالَ : فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ , فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ , وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ , وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ .قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا , وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ عَلَيْهِ أَضْلاَعُهُ. قَالَ : وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ قَبِيحُ الثِّيَابِ , فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ قَال: فَيَقُولُ : وَمَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ قَالَ : فَيَقُولُ: رَبِّ , لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ , رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ) [(416)].

4 . (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا النَّضْرُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَوَّامِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رَبِيعٍ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ مُحَمَّدٌ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى عَلَى قَبْرَيْنِ يُعَذَّبُ صَاحِبَاهُمَا، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَبَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَغْتَابُ النَّاسَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَتَأَذَّى مِنَ الْبَوْلِ»، فَدَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ، أَوْ بِجَرِيدَتَيْنِ، فَكَسَرَهُمَا، ثُمَّ أَمَرَ بِكُلِّ كِسْرَةٍ فَغُرِسَتْ عَلَى قَبْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَمَا إِنَّهُ سَيُهَوَّنُ مِنْ عَذَابِهِمَا مَا كَانَتَا رَطْبَتَيْنِ، أَوْ: لَمْ تَيْبَسَا)[(417)].

5 . حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ يَحْيَى بْنُ خَلَفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ – أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ – أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ:مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ،حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ،وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ:سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ،لَا أَدْرِي،فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ:الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ) [((418))].

(416) الزهد:هناد السري: باب بيوم القيامة و عظمة ما أعد فيه،ج1/206حديث رقم(339).ذهب إلى وجوب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث.

(417) الأدب المفرد:باب الغيب،وقول الله عزوجل:ولا يغتب:ج1/256 حديث رقم(735)،قال الشيخ الألباني:صحيح.

(418) سنن الترمذي:باب ما جاء في عذاب القبر:ج3/375 حديث رقم(1071) وَفِي البَاب عَنْ عَلِيٍّ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَالبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَأَبِي أَيُّوبَ، وَأَنَسٍ، وَجَابِرٍ، وَعَائِشَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، كُلُّهُمْ رَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَذَابِ القَبْرِ.: وقال:حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.وقال الألباني:اسناده حسن،وفيه ردٌ على من أنكر من المعاصرين تسمية الملكين(المنكر)و (النكير).

المطلب الثاني

حكم الإيمان بسؤال وعذاب القبر

كلاهما حق وحكم الإيمان بهما واجب،وهو قول الجمهور ((419)).وقد اتفق أهل السُّنة والجماعة على أنّ كل إنسان يُسأل بعد موتهِ قُبِرَ أم لم يُقْبَر، عن أعماله، ويجازى بالخيرِ خيراً، والشّرِ شّراً. وإنَّ النعيم أو العذاب على النفس والبدن.ومذهب سلف الأُمة وأئمتها أنَّ الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب،وأنَّ الروح تبقى بعد مفارقة البدن مُنعَّمة أو مُعَذَّبة،وأنها تتصل بالبدن أحياناً،ويحصل له معها النعيم أو العذاب،ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد،وقاموا من قبورهم لرب العلمين،ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى...وذهب ابن حزم، وابن هبيرة إلى أنَّ السؤال يقع على الروح فقط من غير عَوْدٍ إلى الجسد،وخالفهم الجمهور ،فقالوا:تُعاد الروح إلى الجسد،أو بعضه كما ثبت في الحديث،ولو كان على الروح فقط.إنَّ الميتَ قد يشاهد في قبره حال المسألة لا أثر فيه من إقعاد و لا غيره، ولا ضيق في قبره و لا سعة،وكذلك غير المقبور كالمصلوب. وجوابهم: أنَّ ذلك غير ممتنع في القدرة، بل له نظير في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذَّةً وألماً لا يدركه جليسه، بل اليقظان قد يُدرك ألماً ولذَّةً لما يسمعه،أو يفكر فيه ولا يُدرك ذلك جليسه،وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد،وأحوال ما بعد الموت على ما قبله.والظاهر أنَّ الله تبارك وتعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم،إبْقاءً عليهم لِئَلاَّ يتدافنوا وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت إلاَّ مَنْ شاء الله، وقد ثبتت الأحاديث ما ذهب إليه الجمهور ((420)).

المطلب الثالث

ثبت في السنة النبوية أنَّ العبد يُسْألُ في قبرِهِ عن ربِّهِ وعن نبيِّهِ وعن دينِهِ،ويستدل على ثبوته عقلاً ونقلاً

1 . عقلاً: فلأنَّه من الممكنات لا من المستحيلات،وقد أخبر به الصادق المصدوق المؤيد بالمعجزة. إننا نؤمن بما يراه النائم في منامه إذْ يكون من جملته أنْ يُسأل وأن يجيب وأن يُمتحن وغير ذلك،فإمكان ذلك في الرؤيا يدل على إمكانه في القبر للميت.

2 . نقلاً: ما رواه البراءُ بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ إبراهيم:27)) ((421)). وما روي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ:((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا * قَالَ قَتَادَةُ وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ(422) (423)

وقد ثبت عذاب القبر و نعيمه بالكتاب والسنة النبوية:

(419) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة:ص124. وينظر :شرح عبدالسلام على الجوهرة:ص220.

(420) ينظر : العقائد الإسلامية، سيد سابق:ص 237 . 239.

(421) سبق تخريجه في الهامش رقم(13).

(422) سبق تخريجه في الهامش رقم(14).

(423) شرح النسفية في العقيدة الإسلامية،الدكتور عبدالملك السعدي: ص 111 و 112.

1 . الكتاب:قوله تعالى: ﴿... وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾غافر:(الآيتان45 و 46).وجه الاستدلال بها؛أنه لما قال:ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب،دلّ على أنَّ عرضهم على النار غدوا وعشياً هو في القبر،إذْ إنه إذا لم يُحمَل على ذلك كان تكراراً،قال ابن عباس رضي الله عنه: تُعرض أرواحهم على النار غدواً وعشياً (424).

و قوله تعالى في قوم نوح:﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً﴾(نوح:25)، وجه الاستدلال بها:أنَّ الفاء في (فأدخلوا) للترتيب والتعقيب بدونِ تراخٍ.وهذا يدل على أنهم أُدخلوا النار عقِبَ غرقهم مباشرةً،وذلك لا يكون إلاّ في القبر.

وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾(الأنعام:93).وقوله تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ (محمد:27).

هذه الآيات هي الدالة على وجود التعذيب قبل يوم القيامة (425).

لو كشف الله للناس أحوال القبور لما كان لهم ثواب على الإيمان بذلك،لأنَّ الثواب إنما يكون على الإيمان بالغيب، ويتبين فيه المؤمن المصدِّقُ من الكافر الجاحد،قال الله تعالى:﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ۝الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾(البقرة:3و2)،ولهذا إذا عاين الإنسان مصيرهُ انغلق عليه باب التوبة،لأنَّ الله يقبل عبده ما لم يُغَرْغِر...ويعاينوا العذاب كما أخبر الله تعالى عن الهالكين من المكذبين:﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ۝فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾(غافر84و85).

من أُصول أهل السنة؛الإيمان بفتنة القبر،وعذاب القبر،ونعيم القبر،وقد أنكر ذلك بعض المبتدعة والملاحدة، ويقولون: هذه القبور لا نرى فيها شيئاً،فلا يؤمنون إلاّ بما تدركه حواسهم،وهذا ضلال بينٌ،فكم من الأمور الموجودة القريبة منا ولا ندركها؟ أليس الإنسان قد وكلَّ اللهُ به ملائكة من حوله يكتبون أعماله ويحفظوه ولا يحسن بهم؟

أليس ملائكةَ الموت أو ملائكةَ الرحمة أو ملائكةَ العذاب حينَ نزع الروح أقرب إلى الإنسان من أهله وهم لا يدرون؟ ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ۝وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ۝وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾(الواقعة83و84و85)،إذن أحوال القبور الإيمان بها من الإيمان بالغيب،ولا يجوز أن يكون عند المسلم أدنى شك لكونه لا يرى شيئاً ولا يحس به.لكن قد يكشف الله لبعض الناس شيئاً من أحوال أهل القبور كما تواترت الأخبار، فيُكشف أحياناً لبعض الناس أشياء:إما أمور مسموعة، أو امور مرئية (426).

2 . السُنَّة: قوله صلى الله عليه وسلم :(إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ) (427).

حدثنا عبد الباقي بن قانع نا عبد الله بن محمد بن صالح السمرقندي نا محمد بن الصباح السمان

(424) تفسير ابن كثير:ج7/134 تفسير سورة غافر.

(425) يُنظر:شرح النسفية في العقيدة الإسلامية،الدكتور عبدالملك السعدي: ص 113 و114.

(426) يُنظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية:ص172.و كتاب الروح لابن القيم:ص105- 119 .

(427) الجامع الكبير – سنن الترمذي:ج4/220 باب 26 حديث رقم(2460) هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ. قال الشيخ الألباني : ضعيف جدا لكن جملة هاذم اللذات صحيحة.

البصري نا أزهر بن سعد السمان عن بن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :(استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه) [428].

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا النَّضْرُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَوَّامِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رَبِيعٍ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ مُحَمَّدٌ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى عَلَى قَبْرَيْنِ يُعَذَّبُ صَاحِبَاهُمَا، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَبَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَغْتَابُ النَّاسَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَتَأَذَّى مِنَ الْبَوْلِ»، فَدَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ، أَوْ بِجَرِيدَتَيْنِ، فَكَسَرَهُمَا، ثُمَّ أَمَرَ بِكُلِّ كِسْرَةٍ فَغُرِسَتْ عَلَى قَبْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَمَا إِنَّهُ سَيُهَوَّنُ مِنْ عَذَابِهِمَا مَا كَانَتَا رَطْبَتَيْنِ، أَوْ: لَمْ تَيْبَسَا) [429].

وقد وردت أحاديث كثيرة في التعوذ من عذاب القبر.وقد أنكر بعض المعتزلة سؤال القبر وعذابه،واحتجوا على ذلك بما يلي:

1 . بقوله تعالى على لسان أهل النار:﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر:11). وجه الاستدلال بها: أنهم اعترفوا بإماتتين وإحياءين. فلو أُحيي الميت في القبر للسؤال والعذاب لكانت ثلاث إماتات وثلاثة إحياءات لا اثنتين.

ويجاب عن هذا من وجهين:

الأول:أنَّ المراد بالموتتين الأولى عند انخرام أجلهم في الدنيا،والثانية في القبر بعد السؤال.وإنَّ الإحياءين الأول في القبر للسؤال، والثاني في المحشر[430].

الثاني: أنَّ إثبات الإثنين لايدل على نفي الزائد عنهما إذ لايوجد أيُّ حصر في الآية فالموتتان في الدنيا والقبر وكذا الإحياء، وتركوا حياة الآخرة لأنهم يشاهدونها فالاعتراف على ما قبلها[431].

2 . قالوا: إنَّ الميت جماد لا روح فيه و لا إدراك فتعذيبه محال و نراه ونشاهده أياماً لا يتحرك و لا يضطرب فلو عُذب لاضطرب و تحرك.

ويجاب عن هذا بما يلي:

أ . أنَّ الإنسان له روح يفعل ويتحرك بها وهذا أثرٌ من آثار ضخ الدم في الأوردة والشرايين وهي التي يفقدها الميت إذا مات.وله حياة مدركة يحس بها الآلام والأفراح وهي التي يفقدها النائم و المخدر والمغمى عليه، فإذا أُدخلَ الإنسان القبر عادت عليه حياة الإدراك فأخذ يتنعم ويتلذذ ويتألم،كالنائم حينما يرى رؤيا.ولم تعد إليه روح الحركة التي تحتاج إلى الغذاء والتنفس وغيره. والعذاب والنعيم يحس بهما الميت بتلك لا بهذه.

ب . مادامت الآخرة تختلف اختلافاً كثيراً عن الدنيا؛ فلا مانع من أن يجعل الله في أجزاء الميت وذراته نوعا من الحياة الخاصة ليدرك ذلك الجزء أثر العذاب أو النعيم، وهذا لا يستلزم حركته واضطرابه.

ج . أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كَلَّمَ المشركين بعدما ألقاهم في قليب بدر وقال:(يا فلان بن فلان يا فلان بن فلان ـ سماهم بأسمائهم ـ إني قد وجدتُ ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟)، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:يارسول الله تُكَلِّمُ أمواتاً لا يسمعون،فقال صلى الله

(428) سنن الدارقطني: ج1/128 باب نجاسة البول والأمر بالتنزه منه،حديث رقم(7). الصواب مرسل أبو هريرة.

(429) تم تخريجه ضمن هامش(16).

(430) نثر اللآلي بدء الأمالي:ص239.

(431) شرح رمضان على شرح التفتازاني:ص234.

عليه وسلم:(ما أنتم بأسمع منهم). وهذا يدل على أنَّ لهم حياة خاصة يسمعون ويحسون بها.

د . نرى النائم أمامنا وهو في رؤيا يُعذَّبُ بها أو يُنَعَّمُ ومع ذلك إنا لا نُشاهدُ آثارها عليه،وما دام هذا ممكناً فلا مانع من حصول ذلك مع الميت ولو لم تُشاهد ذلك.

هـ . عدم رؤيتنا لِآثار التعذيب والتنعيم على الميت لا يتنافى مع وقوعه عليه؛إذْ كان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيكلمه ويخاطبه ولم يره الصحابة الحاضرون.

المبحث الرابع

أدلة المنكرين والرد عليها

المنكرون لعذاب القبر استدلوا بما يلي:

1 – أن الرسول صلى الله عليه وسلم لايعلم الغيب وهذا ثابت في القرآن الكريم في الكثير من الآيات، بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَايُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام/50)، وفي غيرها من الآيات، إلا ما أخبره به الله، فكل ما علمه الرسول من أنباء الغيب مُسجل في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود:49)[432]. وقولهم مردود عليهم بالقرآن أولًا في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۞إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ (الجن26و27) إلاّ أحداً ارتضاه، أي اختاره للاطلاع على شيء من الغيب لحكمة أرادها الله تعالى [433].

وثانيا بالسنة النبوية: حديث عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا لِي إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ وَذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ صَدَقَتَا إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.[434]

وهذه دلائل على عدم معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم للغيب إلا ما شاء الله ان يُطلعه عليه ففي الحديث لم يكن الرسول له علم بأهوال القبر ونعيمه قبل كلام اليهودية، ثم ما لبث ان تعوذ من عذاب القبر لأن الله تعالى أطلعه عليه.

2 – ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ۞النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر:45و46)

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وفيها عدة أوجه : يجوز يكون (النار) مرفوعا على البدل من «سوء» .

ويجوز ان يكون خبرا لمبتدأ محذوف، كأنه قيل: ماسوء العذاب؟ قيل: النار، أو مبتدأ وخبره (يعرضون).

ويجوز أن يكون مرفوعا بالعائد على معنى : النار عليها يعرضون، وأجازوا النصب; فيكون ما بعدها عائدا وقبلها ما يتصل به، أي: تدخلون النار يعرضون عليها، وأجازوا الخفض على البدل من

---

(432) أكذوبة عذاب القبر وأكاذيب شيوخ الثعبان الأقرع، منشور على الموقع: http://www.ahl-alquran.com/arabic/book_main.php?page_id=4

(433) التحرير والتنوير: 29/248

(434) صحيح البخاري :ج8/78 بَاب التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، حديث رقم(6366).

(سوء العذابِ)[435].

ويجوز أن يكون {النار} بدلاً مفرداً من { سُوءُ العَذَابِ} بدلاً مطابقاً، وجملة { يُعْرَضُونَ عليها} حالاً من {النار}، فيكون المذكور في الآية عذاباً واحداً ولم يذكر عَذاب الغرق. وعلى كلا الوجهين فالمذكور في الآية عذاب قبل عذاب يوم القيامة فذلك هو المذكور بعده بقوله :﴿ ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخِلُوا ءالَ فِرْعَونَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴾[436].

والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ .واحتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله:النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ما دامت الدنيا. كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال : هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا،ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة:ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب[437].

و تبتدئ: ويوم تقوم الساعة على أن تنصب يوما بقوله : « أدخلوا « ويجوز أن يكون منصوبا بـ يعرضون على معنى يعرضون على النار في الدنيا ويوم تقوم الساعة فلا يوقف عليه[438].

والعرض حقيقته : إظهار شيء لمن يراه لترغيب أو لتحذير وهو يتعدّى إلى الشيء المظْهَر بنفسه وإلى من يُظهَر لأجله بحرف (على) ، وهذا يقتضي أن المعروض عليه لا يكون إلا من يَعقل ومنزّلاً منزلة من يعقل، وقد يقلب هذا الاستعمال لقصد المبالغة كقول العرب «عرضتُ الناقةَ على الحوض»، وحقه : رضت الحوض على الناقة، وهو الاستعمال الذي في هذه الآية وقوله في سورة الأحقاف (20) ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ وقد عدَّ علماء المعاني القلب من أنواع تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ومثلوا له بقول العرب : عرضت الناقة على الحوض.

وقيل: إن الاستعمالين على مقتضى الظاهر وأن العَرض قد كثر في معنى الإمرار دون قصد الترغيب كما يقال: عُرض الجيش على أميره واستعرضه الأمير، ولعلّ أصله مجاز ساوى الحقيقة فليس في الآيتين قلب ولا في قول العرب : عرضت الناقة على الحوض، قَلب، ويقال : عُرض بنو فلان على السيف، إذا قُتلوا به، والظاهر أن العرض خلاف الاحراق، و أنه في الدنيا، ومعنى عرضهم على النار أن أرواحهم تُشاهِد المواضع التي أعدت لها في جهنم، وهو ما يبينه حديث عبد الله بن عُمر في «الصحيح» قال : قال رسول الله: (إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقْعَدُه بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)[439].

و فسّر الزمخشري عرضهم على النار إحراقهم بها كما يُقال:عرض الإمام الأسارى على السيف إذ قتلهم بها [440].

وقولُه : (غُدُوّاً وعَشِيّاً } كناية عن الدوام لأن الزمان لا يخلو عن هذين الوقتين)[441].

وقوله: ﴿ ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَة أَدْخِلوا ءالَ فِرْعون أشدَّ العَذَابِ ﴾ هذا ذكر عذاب الآخرة الخالد، أي يُقال : أَدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وعلم من عذاب آل فرعون أن فرعون داخل في ذلك العذاب

(435) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 18/363، البحر المحيط: 7/448
(436) التحرير والتنوير: 24/158
(437) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 18/363، البحر المحيط: 7/448
(438) الجامع لأحكام القرآن: 18/363
(439) ينظر: البحر المحيط: 7/448
(440) الكشاف: 5/351
(441) التحرير والتنوير:24/159

بدلالة الفحوى[442].

والمنكرون لعذاب القبر يفسرونها على أن الله وقى مُؤمن آل فرعون من سيئات مكر فرعون وملَئِه وحاق بآل فرعون سوء عذاب الغرق. وفي الآخرة سيُعرضون على النارغدوا وعشيا كما سيُعرِض كُل الكفار، ويوم تقوم الساعة (وهنا لم يفرقوا بين «الساعة» أي ساعة نهاية العالم عند النفخة الأُولى في الصور، وبين «يوم تقوم الساعة» بمعنى ساعة حساب كُل قوم بعد القيامة وليس ساعة انتهاء الحياة على الأرض وبدء يوم القيامة. والحقيقة هي أن الكُفار سيجمعون جثيا حول النار يُعرضون عليها وتُعرض عليهم كما في الآيات غيرها :أما كيف سيُعرض آل فرعون على النار وهم في قبورهم فلم يُوضحها الشيوخ، وادعى بعضهم أن غُدوا وعشيا تعني في القبر لأن الآخرة ليس فيها غدو وعشي ويُكذبهم الله تعالى بقوله عن الجنة في الآخرة: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(مريم:62)[443].

وقال المنكرون: لا شأن للآية الكريمة بعذاب القبر، فالقرآن هنا يتحدث عن البرزخ وليس عن القبر , والآية القرآنية تشير إلى عذاب فرعون في البرزخ إلى قيام الساعة, ولنا أن نتخيله فى البرزخ وهو يعاني فيه العذاب بينما يرى ما انعم الله تعالى به على المستضعفين من بني إسرائيل،وهكذا معنى قوله تعالى في قصة موسى وفرعون:﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ ... ﴾ إلى أن يقول الله تعالى عن بنى إسرائيل:﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾(القصص:4 . 6).

3 – إن البرزخ هو القبر نفسه وليس الفترة وإن كلمة القبر لا تعني بالضرورة الايمان بالعذاب الذي جسده بعضهم، والمجرمون الذين يقسمون يوم القيامة أنهم ما لبثوا غير ساعة في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُون﴾(الروم:55) صادقون في قسمهم لا ريب في ذلك، (والقسم في القرآن الكريم لا يرد إلا عند الصادقين بعكس الحلف)، ولكن قسمهم هذا دافعه هو الخوف والرهبة من تيقنهم صحة ما جاءت به الرسل من لدن الله تعالى،وقد كانوا يكذبونهم،وخلال تلك الموتة، فما المانع أن الميت يحس نعيما أو يحس عذابا؟ ليس بالضرورة ان يكون الإيمان بأن كلمة « القبر» المقصود بها الحفرة وحيطانها وحجارتها، وشجاعها الأقرع ودبابيسها، وأنها تضيق على الميت حتى تختلف أضلاعه، أو تكون هي نفسها روضة من رياض الجنة، إنما هي تعني معنى الحياة البرزخية . إن جاز التعبير . فنحن لا نجسم نعيم البرزخ وعذابه تجسيما وتشبيها بالقبر ذي الحجارة والطين[444].

4 – قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون:99و100)، الآية فيها تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، لكى لا يصل أحدهما إلى الآخر فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وهو تلك المدة التى يقضيها هؤلاء الكافرون منذ موتهم إلى يوم يبعثون، ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم، وفيه يتنعم

(442) التحرير والتنوير: 24/159

(443) خرافة عذاب القبر Ezz Eddin Naguib http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=12712

(444) الرد على احمد منصور على الرابط http://www.ahl-alqur الكشاف: 5/351 التحرير والتنوير:24/159 التحرير والتنوير: 24/159 خرافة عذاب القبر Ezz Eddin Na- guib http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=12712an.com/arabic/show_article.php?main_id=16

المطيعون، ويعذب العاصون، إلى يوم يبعثون[445].

وقال الجرجاني:البرزخ العالم المشهود بين عالم المعاني المجردة وعالم الأجسام المادية،أعني الدنياوالآخرة[446].

وورد في المراد به في هذه الآية القبر، أو هو بقاء مدة الدنيا، أو هو عالم بين الدنيا والآخرة تستقر فيه الأرواح فتكاشف على مقرها المستقبل، أو هو الحاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا، أو هو الأجل ما بين النفختين. وأضيف يوم إلى يبعثون لأنه ظرف زمان، والمراد بالإضافة المصدر[447].

والوراء هنا مستعار للشيء الذي يصيب المرء لا محالة ويناله وهو لا يظنه يصيبه، أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهذا كقوله تعالى: ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾(البروج: 20) وقوله ﴿ومن ورائهم جهنم﴾(الجاثية:10)، وتقدم قوله: ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ (الكهف : 79)[448].

ذكر ابن كثير: أن هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور،لكنه صرّح بأن الآية في قوم فرعون و أن أرواحهم هي التي تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، وليس في الآية دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصا بالروح، فأما حصول ذلك للجسد وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية... وقد يقال إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب[449].

إذن فإن ابن كثير مع عذاب القبر لكن على أنه للروح وليس للجسد وأن البرزخ بمعنى العذاب في القبر. أما الآية فليست عامة وإنما هي لقوم فرعون. أما الدليل على وجود العذاب فهي ليست الآيات لأنه ليس فيها صريح ذلك وإنما في الأحاديث وهي كثيرة.

5 – (من ورائهم/ برزخ/ إلى يوم يبعثون) ورود هذه الكلمات وبهذا التركيب جعل العلماء يفسرونها و يؤولونها على أكثر من وجه؛ فاستدل فريق منهم بكلمة برزخ على أنه القبر وعذابه، ودليلهم ان مابعدها (إلى يوم يبعثون) أي: القيامة، أي: الموت فالبرزخ ثم يوم البعث (القيامة). فريق آخر رَدوا عليهم استدلالهم بما يسبقها من تركيب وهو (من ورائهم)؛ فالأموات حين يجتازون البرزخ فإنّه يصبح وراءهم أو هُم أمامه، لكن ليسوا فيه، فالتعبير بالأمام والوراء لا يصح في حقّ من كان داخل الشيء، فهو إما سابق له أو لاحق، هذا عدا الأقوال في البرزخ وماهيته.

1 – ويُجاب على منكر عذاب القبر ونعيمه بما يلي:

أوّلا: إنّ جوهر النقاش مع المنكر ليس في التسمية نفسها، إذ قد تكون مجرّد مصطلح لتعيين مسمّى، والمسمّى ثابت، وهو عالم تجمّع أرواح الخلائق، والإنكار واقع على ما يحدث فيه لا على لقبه وعنوانه.
ثانيا: إنّ البرزخ – لغويّا – هو الحاجز بين شيئَيْن، وقد يكون محيطا له أبعاد يحول بين بحريْن أو قطعتي أرضٍ، ويستوعب أصنافا كثيرة من الأحياء الحيوانية والنباتية ذات خصائص فريدة لا تتوفّر في البيئة التي أمامه ولا في التي وراءه. وكون المخلوقات موجودة « فيه « لا ينفي له خصوصية الـ» وراء « والـ» أمام «ما دامت له حدود،هذا في برزخ الدنيا المقيّد بقوانين المادة، فكيف ببرزخ

(445) ينظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): 10/148، تفسير السعدي: 18/654

(446) معجم التعريفات/41

(447) الجامع لأحكام القرآن: 15/85، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 110-17/109، التحرير والتنوير: 18/124

(448) التحرير والتنوير: 18/124

(449) ينظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): 148-10/147

الأموات المجهول، الخاضع قطعا لقوانين مختلفة لا منفذ للعقل لها، وعلمها لا سبيل له سوى الوحي والتسليم[450].

2 – وأيضا يرد على المنكر أن الوراء يقصدبه الامام، وهو مشهور في اللغة ولا يقصد انه في فترة موته يكون وراءه او امامه البرزخ؛ بل يقصد أنه بعد موته اي اللحظة التي هو يعيشها الآن والتي هي الاحتضار لأن الآية قبلها صريحة حين يقول تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، فهو في الاحتضار، يليه انفصال روحه عن جسده ليدخل البرزخ الفترة بين الحياة الدنيا و الآخرة، ثم الى يوم البعث.

3 – ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:42)

من يؤمنون بالبرزخ الذي يفسرونه على انه فراغ تلتقي فيه الارواح يجعلون هذه الآية دليلا بقولهم: «أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن، وأنها مخلوقة مدبرة، يتصرف اللّه فيها في الوفاة والإمساك والإرسال، وأن أرواح الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتتحادث، فيرسل اللّه أرواح الأحياء، ويمسك أرواح الأموات»[451].

أى : الله – بقدرته وحدها يقبض أرواح مخلوقاته حين انتهاء آجالها بأن يقطع تعلقها بالأجسام قطعا كليا، ويسلب هذه الأجسام والأبدان ما به قوام حياتها،بأن تصير أجساما هامدة لا إدراك لها،ولا حركة فيها،وقوله تعالى: ﴿والتي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ معطوف على الأنفس، أى : يسلب الحياة عن الأنفس التى انتهى أجلها سلبا ظاهرا وباطنا، ويسلب الحياة عنها سلبا ظاهرا فقط فى حال نومها، إذ أنها فى حالة النوم تشبه الموتى من حيث عدم التمييز والتصرف .

فالآية الكريمة تشير إلى أن التوفي للأنفس أعم من الموت، إذ أن هناك وفاتين، وفاة كبرى وتكون عن طريق الموت، ووفاة صغرى وتكون عن طريق النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:60) أى: يجعلكم تنامون فيه نوما يشبه الموت فى انقطاع الإدراك والإحساس.[452].

ويُؤول البغوي ما يتعلق بالنفس في الآية بأن «لكل إنسان نفسين : إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس،والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس﴿ فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ فلا يردها إلى الجسد.[453] فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والتحريك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه [454].

ويقال : للإنسان نفس وروح، فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح، فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة، ويقال : إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله، وأنه تعالى يمسك الروح في الحالين، فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها[455].

---

(450) مقال منشور بعنوان: إنكار عذاب القبر/ محمود سلطاني: http://www.nafahat7.net/index.php?page=tombe

(451) تفسير السعدي: 24/853

(452) التفسير الوسيط: 12/228

(453) تفسير البغوي: 7/121/122، وينظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): 12/133

(454) الجامع لأحكام القرآن: 18/284

(455) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 287–18/285، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 20/ –2215

قال ابو حيان الاندلسي:«مايدل عليه في الحديث واللغة، أن النفس والروح مترادفان، وأن فراق ذلك من الجسد هو الموت»[456].

يقول ابن عاشور: أن الآية فيها تشبيه، أي: ويتوفى أنفساً لم تمت يَتوفاها في منامها كل يوم، فعلم أن المراد بتوفِّيها هو منامها، وهذا جار على وجه التشبيه بحسب عرف اللغة إذ لا يطلق على النائم ميّت ولا متوفى، وهو تشبيه نُحِيَ به منحَى التنبيه إلى حقيقة علمية فإن حالة النوم حالة انقطاع أَهم فوائد الحياة عن الجسد وهي الإدراك سوى أن أعضاءه الرئيسيّة لم تفقد صلاحيتها للعودة إلى أعمالها حينَ الهبوب من النوم، ولذلك قال تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه﴾(الأنعام: 60)ولا يردّ النفْس التي قضى عليها بالموت، فإطلاق الإمساك على بقاء حالة الموت تمثيل لدوام تلك الحالة، و{ الأخرى} {التي لم تمت} ولكن الله جعلها بمنزلة الميتة، يرد إليها الحياة كاملة، والمقصود من هذا إبراز الفرق بين الوفاتين[457].

الرد على من ينكر حياة البرزخ: أنّ الملائكة لا تميت الكفار وإنما تتوفى الكفار، وهذان معنيان مختلفان، فالإنسان يموت والإنسان يتوفى، ونحن بحاجة للتفريق بين الحالتين، والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:42)

والسؤال هو: كيف يتوفى الله الأنفس حين موتها؟ فهل يعني ذلك أنّ الله يميت الأنفس حين موتها؟ أليس في ذلك تناقض؟ وإنْ كان كذلك، فما فائدة اللفظ إذن؟ والأهم من ذلك كيف ستقرأ الآية نفسها؟

لقد دأب الكثيرون على قراءة الآية بالوقف بعد قوله تعالى حِينَ مَوْتِهَا وبالوصل عند قوله فِي مَنَامِهَا ۖ وذلك بدليل إشارة الوصل ۖ، فقسموا الآية عند ذلك، فنقول كيف سيستقيم المعنى إنْ قرأت الآية على ذلك النحو:﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا.

وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.إننا نعتقد أنّ ذلك غير صحيح، فليس هناك وقف في هذا الموضوع وليس هناك وصل في ذاك، فالوقف يجب أنْ يكون بعد قوله تعالى «فِي مَنَامِهَا» (أي عند إشارة الوصل) حتى يستقيم المعنى ويتوازن طرفا الآية الكريمة على النحو التالي:

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا / وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ / وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۚ.

فيستقيم المعنى ويتوازن طرفيا الآية الكريمة، وبهذا يكون المعنى أنّ الله يتوفى :1. الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وهو كذلك يتوفى 2. وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ وبذلك يفهم الحذف الموجود في الآية، فكلمة يتوفى موجودة في الطرف الأول:اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، ولكنها محذوفة تقدر في الطرف الثاني من شطر الآية الأول: وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا.وبهذا يستقيم المعنى في الشطر الثاني من الآية الكريمة، فالله:1. فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ، وهو سبحانه.2. وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى.

فنخلص إلى القول أنّ الوفاة إذاً تحدث للطرفين:1. للأنفس التي قضى عليها الموت و كذلك،2. للأنفس التي لم تمت في منامها، ودليلنا على ذلك قوله تعالى:

216، تفسير البغوي: 122-7/121

(456) البحر المحيط: 7/414

(457) التحرير والتنوير: 7/276

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:60) فهل يموت الإنسان عندما ينام، كلا إنها الوفاة فقط، وإنْ صح هذا الادعاء فإننا نفسر بذلك حقيقة جدلية أعيت الكثيرين في قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمرآن:55).

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة :117)

فهل فعلاً مات عيسى بن مريم؟ كلا لم يمت، وهل عيسى بن مريم إذن حي لم يمت؟ كلا، هذه أحجية، أليس كذلك؟ إننا نفهم أنّ عيسى ليس ميتاً وهو ليس حياً كذلك، وانما توفاه الله، فلم يرد في كتاب الله أنّ عيسى قد مات وإنما ورد أنّه توفي، ولنتدبر الدقة القرآنية في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(المائدة:117).

وسؤالنا هو: هل فعلاً كان عيسى بن مريم شهيداً على الناس حتى يقول عن نفسه « وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ»؟ أليس الله هو الشهيد والرقيب على الناس جميعاً؟ فيرد البعض على الفور بالقول لم لا يكون شهيداً عليهم ما دام فيهم؟ فلا ضير في ذلك، فنرد بالقول إذا كان عيسى بن مريم لازال حياً (كما يعتقد الكثيرون) فلم لا تستمر شهادته عليهم؟! لم انتقلت الرقابة إلى ربه يوم أنْ توفاه الله؟ الجواب–كما نظن– لأنه ليس حياً الآن بل هو متوفى؟ فهل يستطيع من يتوفاه الله بالليل (كما في قوله تعالى وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ) مثلاً أنْ يقوم بأعمال الشهادة أو الرقابة؟ فلُبُّ القول أنّ عيسى لا يستطيع القيام بأعمال الشهادة على قومه لأنّه ليس حياً، فمثله كمثل النائم الذي يسقط عنه عبء الرقابة حتى يستيقظ.

وهذا الادعاء يسلط الضوء أيضاً على جدلية عودة عيسى بن مريم للحياة «أي نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان»، فلقد شكك البعض بهذه الحقيقة، وتساءل الكثيرون عن سبب عودة ابن مريم على وجه الخصوص، وظن البعض أنّ ذلك تكريماً له من دون أنبياء الله ورسله، فنقول أنّ كل ذلك غير صحيح، والسبب– كما نظن – هو لأنّ عيسى بن مريم متوفى. ففي ذلك تحقيق لا خروج عن نواميس الكون، فمن توفي بالليل يستيقظ بالنهار (إن لم يمت بالطبع)، أليس كذلك؟ ومادام عيسى بن مريم متوفىً (وهو لم يمت) لا بد أنْ يستيقظ وإنْ طالت الفترة الزمنية، فها هم أهل الكهف يستيقظوا من سباتهم بعد أنْ لبثوا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا.

إنّ الفهم الدقيق لألفاظ القرآن يزيل . لا شك – الإبهام الذي يصادف الكثيرين، وما أهمنا هنا هو التفريق بين أنْ يكون الشخص متوفى أو أنْ يكون ميتاً، فالوفاة تحدث للميت وللحي، نعم إننا نفهم معنى توفي الذي جاء في آية عذاب الملائكة للكافرين على نحو ما جاء في كتاب الله، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(البقرة :281) ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ۚ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران :161).

نخلص إلى النتيجة أنّ الملائكة لا ولن يضربوا الكفار إلا بعد أنْ ﴿تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ولا يكون ذلك إلاّ بعد الحساب، ولنتدبر الآية مرة أخرى متسلحين بهذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال:50).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (يس:51و52) ، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾(الكهف:18).أغلب المفسرين تحدثوا في تفسيرها عن المشهد الذي تنقله لنا الآية حالة ايقاظهم و رقودهم و تقلبهم، ونقلوا ماقيل عن عدد مرات تقلبهم و اسم كلبهم الذي يتعدى سبعة اسماء، و حقيقة كونه كلبا ام أسدا، و الأقوال في لون الكلب، ومكان رقوده، وسبب الرعب منهم ..الخ [458].

لقد كانت ردة فعل الكافرين على بعثهم من قبورهم يوم القيامة على هذا النحو:

ألا يعني ذلك أنّهم مستغربون لعملية البعث؟ فكيف لمن كان يعذب في قبره منذ يومه الأول فيه يستغرب من بعثه

يوم القيامة ليتساءل عن مصدره حتى يدرك حينها أنّ ذلك وعد الرحمن وصدق المرسلين؟ فهل من كان منغمساً

بعذاب ربه له أنْ ينسى المصدر الذي بعثه من مرقده أو السبب الذي يعذب من أجله؟ ألم تكن ردة فعل الكافرين

حتى وهم في أشد العذاب الطلب من خزنة النار أنْ يطلبوا هم من ربهم أنْ يخفف عنهم يوماً من العذاب، ولنتدبر

حوار أهل النار لنرى هل فعلاً ينسوا مصدر عذابهم أو حتى سببه:

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۞ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ۞ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر: 50-47)

فها هم يتذكرون دعوة رسلهم ويعلمون السبب الذي من أجله يعذبون، وهم قبل كل شيء يعلموا مصدر عذابهم، وتحصل عملية التذكر وهم في أشد عذاب جهنم، فكيف بهم ينسوا ذلك بسب «عذابهم في قبورهم»؟!

إنّنا بحاجة أنْ نتوقف قليلاً لنتدبر ألفاظ الآية نفسها، فمما لا شك فيه أنّ الكافرين- بصريح اللفظ القرآني- كانوا في مرقدهم، ونسأل القارئ الكريم عن معنى قوله تعالى « مِن مَّرْقَدِنَا»، وحتى نستجلي فهم اللفظ القرآني ندعو إلى عقد مقارنة مع آية أخرى في كتاب الله مركزين على هذا اللفظ:

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف:18)، هذه الآية تتحدث عن قصة أهل الكهف، أليس كذلك؟ ألم يكن أهل الكهف رقودا في كهفهم؟ فهل كانوا يعذبون وهم رقود؟ لقد استخدم

(458) ينظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): 118-9/115، الجامع لأحكام القرآن: 13/227، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 195-15/191، تفسير البغوي: 5/158، التفسير الوسيط: 44-8/38

فعل «الرقود» في الحالتين: حالة الكافرين المستغربين لعملية البعث وحالة أهل الكهف، وسؤالنا هو: ما وجه الشبه في الحالتين حتى يُستخدم الفعل ذاته؟ أم هل هي صدفة أنْ ترد نفس اللفظة في الحالتين؟! كلا وألف كلا، فالله لا يستخدم إلا اللفظة التي تُؤَدي المعنى الذي لا يمكن لغيرها أنْ تؤديه، خلاصة القول أنّ أهل الكهف كانوا رقودا، والكافرون يقولون بصريح اللفظ القرآني أنهم كانوا هم كذلك في قبورهم رقودا، لا بل ولنتدبر ردة فعل أهل الكهف يوم أنْ بعثوا من مرقدهم ونقارن ذلك بردة فعل الكافرين يوم القيامة:﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف:19)

وكذلك هي ردة فعل البشر كافة (مؤمنهم وكافرهم) يوم القيامة: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۞ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ (المؤمنون:112و113)

فمما لا شك فيه أنّ من كان راقدا ينقضي الوقت عليه بسرعة شديدة لدرجة أنّه لا يحس بسرعتها، فهل من كانت حالته كذلك يكون واقع في عذاب جهنم (أو في عذاب النار لمجرد أنّه يعرض عليها كما سنرى لاحقاً)؟! ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾(الروم:55).

صفوة القول أنَّ عذاب القبر حق بدليل القرآن والأحاديث النبوية التي بلغت حَدَّ التواتر.

فما كان صواباً فمن الله،وماكان خطأ فمنا ومن الشيطان، وصلى الله على محمد وآل محمد كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل و عن ذكره الذاكرون.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

1. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409هـ – 1989م.

2. الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة:جلال الدين السيوطي،تحقيق:خليل الميس،المكتب الإسلامي.

3. الإسلام يتحدى:وحيد الدين خان،الطبعة الرابعة، 1973م.

4. أصول الدين الإسلامي:د.قحطان الدوري و د. رشدي عليان،دار الفكر للطباعة والنشر،سوق البتراء الأردن،الطبعة الثانية،1422هـ . 2002م.

5. أوهام عذاب القبر:أحمد عبده ماهر،أحمد عبدالرحيم السايح،ط1،2010،(د. دار نشر).

6. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة:أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن بكر الأنصاري القرطبي(ت:671 هـ . 1273م)، مطابع مدكور وأةلاده القاهرة،دون تاريخ طبع.

7. التحرير و التنوير:محمد الطاهر ابن عاشور،ط1،الدار التونسية،تونس،1984م.

8. تفسير البغوي معالم التنزيل:أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت516هـ)،تحقيق:محمد عبدالله النمر،عثمان جمعة،سليمان مسلم،دار طيبة،الرياض،1992م.

9. التفسير الوسيط للقرآن الكريم:محمد السيد طنطاوي،ط3،مؤسسة الرسالة،القاهرة،1984م.

10. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)،تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت،الطبعة: الأولى – 1419 هـ.

11. توضيح مقاصد العقيدة الواسطية:لشيخ الإسلام ابن تيمية،شرح الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك،دار المودة . مصر،الطبعة السادسة،1432هـ . 2011م.

12. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:عبدالرحمن بن ناصر السعدي،تحقيق:عبدالرحمن بن معلا اللويحق،ط2،

دار السلام،الرياض،2002م.

13. جامع البيان عن تأويل آي القرآن:أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت:310هـ)،تحقيق:عبدالله بن عبدالمحسن التركي،ط1،دار هجر،القاهرة،2001م.

14. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي القرآن:أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(ت:671هـ)، تحقيق:عبدالله بن عبدالمحسن التركي،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت،2006م.

15. الجامع الكبير - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت:279هـ)،تحقيق: بشارعواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت،1998 م.

16. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت256هـ)، أبو عبد الله، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر،الناشر: دار طوق النجاة،الطبعة: الأولى 1422هـ.

17. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد بن علان الصديقي المكي(ت1057هـ).

18. رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة:كمال الدين عبدالمحسن الطائي(ت1397هـ.1977م)،مطبعة سلمان الأعظمي،بغداد،1972م.

19. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية(ت751هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1395هـ - 1975م.

20. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني:أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي(ت 1270هـ)،(د.ط)،دار إحياء التراث العربي،بيروت،(د.سنة النشر).

21. الزهد: هناد بن السري الكوفي (152 - 243)،تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت،الطبعة : الأولى، 1406هـ.

22. سنن ابن ماجه:ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي،بون تاريخ.

23. سنن الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت: 385هـ)،دار المعرفة - بيروت، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، 1386 - 1966.

24. شرح جوهرة التوحيد:برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي الباجوري(ت1276هـ . 1860م)،طبعة محققة باسم(تحفة المريد على جوهرة التوحيد،بدون تاريح طبع.

25. شرح جوهرة التوحيد:المسمى(إتحاف المريد بجوهرة التوحيد) عبدالسلام بن إبراهيم اللَّقاني المالكي(ت1078هـ)،الطبعة الثانية،1955،مطبعة السعادة بمصر.

26. شرح رمضان على شرح التفتازاني،مطبعة الحاج محرم أفندي،1293هـ .

27. شرح النسفية في العقيدة الإسلامية:الدكتور عبدالملك عبدالرحمن السعدي،دار الأنبار. بغداد،الطبعة الثانية،1420هـ . 1999م.

28. العقائد الإسلامية:السيد سابق،مطبعة اشبيليه . بغداد،بدون تاريخ طبع.

29. العقيدة الإسلامية ومذاهبها:د.قحطان الدوري،كتاب ناشرون،بيروت لبنان،الطبعة الرابعة،1434هـ . 2013م.

30. كبرى اليقينيات الكونية:الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي،دار الفكر المعاصر،بيروت . لبنان،دار الفكر،دمشق . سوريا،الطبعة الثامنة،1402هـ .

31. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:جارالله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت 538هـ)،تحقيق:عادل أحمد عبدالموجود،علي محمد معوض،الطبعة الأولى،مطبعة العبيكان . الرياض . 1998م.

32 . الفتاوى الكبرى لابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية،الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م.

33 . مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية:محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ (المتوفى: 778هـ)المحقق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية - تصوير دار الكتب

العلمية.

34. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،بدون تاريخ.

35. نثر اللآلي بدء الأمالي:عبدالحميد الآلوسي، مطبعة الشابندر . بغداد،1330هـ.

المواقع الإلكترونية:

1 . أكذوبة عذاب القبر وأكاذيب شيوخ الثعبان الأقرع، منشور على الموقع:

4=di_egap?php.niam_koob/cibara/moc.naruqla-lha.www//:ptth

http//:www.ahl-alquran.com/arabic/book_main.php?page_id4=

2 . خرافة عذاب القبر

3. Ezz Eddin Naguib http//:www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id12712=

4 . الرد على احمد منصور على الرابط http://www.ahl-alqur

5. خرافة عذاب القبر Ezz Eddin Naguib ahl.www//:http

12712an.com/arabic/show_article.=id_main?php.article_show/arabic/com.alquran-php?main_id=16

6. مقال منشور بعنوان: إنكار عذاب القبر/ محمود سلطاني:

http//:www.nafahat7.net/index.php?page=tombe

ملخص جدلية عذاب القبر:د.رشيد جراح/جامعة اليرموك/https://www.dr-rasheed.com/Arabic/show ?_article.php

3- نَقْدُ ابْنِ طَاوُس الحِلِّيِّ (ت/664هـ) للقاضي عبد الجبَّار المعتزليِّ (ت/415هـ) في تفسيره (فرائد القرآن) قراءة في الكشف عن أصول نقد التَّفسير وقواعده على وَفْقِ المبنى الأصوليِّ

الأُسْتَاذ المُسَاعِد الدُّكْتُور/ جَبَّار كاظِم المُلَّا والأُسْتَاذ المُسَاعِد والدُّكْتُورة / سُكَيْنَة عَزِيز الفَتْلِيّ

كُلِّيَّةُ العُلُومِ الإِسْلَامِيَّة / جَامِعَةُ بَابِلَ (العِرَاق)

dralmola55@yahoo.com

المُقَدِّمَةُ

بسم الله الرحمن

الحمد لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الخلق أجمعينَ النَّبيّ الأمين حبيب إله العالمينَ، أبي القاسم محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وعلى أهل بيته الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ (صلوات الله عليهم أجمعينَ).

إنَّ ابن طاوُس الحِلِّيّ: أبو القاسم، رضيّ الدِّين عليّ بن موسى الحسنيّ (ت/664هـ) في تفسيره (سعد السُّعود للنُّفُوس) خصَّص الباب الثَّاني لما وَقَفَه من كتب تفاسير القرآن الكريم، وقد رتَّبَه على فصولٍ مرقَّمةٍ ترقيمًا متسلسلًا – وهذا أمر لم يذكرْهُ دارس منهج ابن طاوُس الحِلِّيّ[459] – والفصلُ عند ابن طاوُس الحِلِّيّ يختلف عن معناه المتعارف عليه اليوم، لأنَّ الفصل عنده عبارة عن مسألةٍ تعلَّق بها النَّقْد، فتوجَّب إدراجها، في حين أنَّ الفصل بمعناه اليوم يندرج تحت الباب، وتندرج تحته مباحث. ومن التفاسير التي وقفها – الوَقْفُ: «عَقْدٌ يُفِيدُ تَحْبِيسَ الأَصْلِ، واطلاقَ المَنْفَعَةِ»[460] – ابن طاوس الحِلِّيّ (تفسير القاضي عبد الجبار المعتزلي): أبي الحسن، عماد الدِّين عبد الجبَّار بن أحمد الهمذانيّ الأسدآباديّ (ت/415هـ)[461]، المسمى (فرائد القرآن وأدلَّته)، وما توجَّب نقده عند ابن طاوُس الحِلِّيّ أوردَهُ في سبعة فصولٍ، كانَ ورودُها في (سعد السُّعود) أنَّها بدأَتْ بـ (فصل89)، وانتهَتْ بـ (فصل95).

إنَّ تأصيل أصول نقد التَّفسير عند المفسِّرينَ بعامَّةٍ، وعند ابن طاوُس بخاصَّةٍ موضوع بِكْرٌ لم يكتب فيه من قبل بحسب اطِّلاعنا، ولكون ابن طاوُس انماز عن غيره من المفسِّرينَ أَنَّ تفسيره نقديٌّ، ولما كان النَّقد مرحلة تالية للتَّفسير، أي: إنَّها تعقب التَّفسير، ولا تقف على كلِّ ما وَرَدَ فيه، وإنَّما تقف على مواطن استحقَّتِ النَّقد؛ لذا استوقفنا ابن طاوُس الحِلِّيّ، فهو بعد أَنْ وَقَفَ كتب تفاسير القرآن الكريم، نظر في تلك الكتب الَّتي وَقَفَهَا وبعد أَنْ أكملَ قراءةَ كلِّ كتابٍ منها تأمَّل في المواطن الَّتي استحقَّتْ منه نظرًا، ثُمَّ رتَّبها فصولًا، وهذه المواطن بحسب ما نرى نتيجة اخضاع ذلك التَّفسير لأصول نقدٍ واضحة المعالم عنده، فما جاء متوافقًا مع تلك الأصول لم يقِفْ عليه، وما جاء مخالفًا لتلك الأصول وقف عليه، وبمعنى آخر: إنَّ هذه المواطن الَّتي أودعَها ابن طاوُس في كتابه من كتب التَّفاسير الَّتي وَقَفَهَا لم تكنْ مُنْتَقَاةً، أو مختارةً، ولم يكنِ الهدفُ الرَّئيسُ من الوقوف عليها أَنَّها موردٌ للشُّبْهة؛ فالتزم بالردِّ عليها كما ذهبَ بعضُ الباحثينَ إلى ذلك، فقال: «انتقى من كلِّ كتابٍ المطالبَ الحسَّاسة ذات

---

(459) ظ: د. محمد عباس الجبوري/ ابن طاوس ومنهجه في كتابه سعد السعود للنفوس (بحث)/ 12.

(460) فخر المحقِّين/ ايضاح الفوائد، 2/ 377.

(461) ظ: د. أحمد قاسم عبد الرحمن/ القاضي عبد الجبار ومذهبه الاعتزالي في تفسيره المُسمّى بـ(الكبير أو المحيط) (بحث)/ 16,

الصِّلة بالعقائد والمسائل الَّتي صارَتْ موردًا للشُّبهة والنِّقاش»[462].

نعم!، إنَّ نتيجة نقد ما جاء في تلك الفصول؛ لمخالفتها أصول التَّفسير كانَتْ ردًّا على موارد الشُّبهة من تلك المسائل الواردة في المسائل المنظورة، وبمعنى آخر: إنَّ الَّذي نتبنَّاهُ أَنَّ الرَّدَّ كان نتيجةً لا هدفًا، أَمَّا الهدفُ فقد كانَ محاكمة تلك التَّفاسير؛ وذلك بإخضاعها للأصول الَّتي استندتْ عليها.

فهو حين ينقد ينطلق من أصول نقد التَّفسير، وهي أصول صحيحة مبرهن عليها، ولا مجال لإنكارها؛ لأنَّها أمور متسالمٌ عليها بعد البرهنة على صحَّتها، فهو إنَّما لجأ لها؛ لا لأنَّها أُصول معتمدة عند مذهبه؛ نعم! مذهبه اعتمدها؛ لأَنَّه مذهبُ حقٍّ، ولا يتَّبع إلَّا ما يوصله إلى الحقِّ، وهذا منهجٌ بيِّنٌ في فصولِ كتابهِ، لا أَنَّه كما صوَّرهُ بعض الدَّارسين بأَنَّه مذهبي يأخذ المطالب المؤيِّدة لمذهبه من كتب المخالفينَ، ويلزم بها المخالفينَ، فقال: «وأخذ من الكتب المطالب المؤيِّدة للمذهب الحقِّ... وألزم المخالفين بها»[463]. نعم!، ورد في نقده أَنَّه لجأ إلى قاعدة الإلزام محتجًّا بها على الخصم: «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم»، فالمعيار عنده أصل النقد التَّفسيريّ، نعم!، من كان خارجًا عن ذلك المعيار، رُبَمَا لشبهة دخلت عليه، وفرَّع على أصول نقد التَّفسير قواعد نقد التَّفسير، لا أَنَّه اقتفى أثر الشُّبهات؛ لغرض مناقشتها وردِّها معتمدًا الحجج والأدلَّة، كما رأى بعض الباحثينَ، فقال: «ذكَرَ الشُّبهاتِ وناقشَهَا، وقامَ بردِّها معتمدًا الحُجَجَ والأدلَّة»[464]، وإنَّما عرض مضامينَ الفصول على أصول النَّقد عنده، وناقش ما جاء مخالفًا لها، فهو اعتمد على أصول النَّقد في النِّقاش، وما تفرَّع عنها من قواعد النَّقد، وبيَّن أَنَّ من لم يأتِ تفسيره متوافقًا معها دخلَتْ عليه شبهةٌ، وبعبارة أخرى: ما خالفَ تلك الأصول طالَهُ النَّقدُ، وبهذا يكونُ ظهورُ الشُّبهاتِ بوصفها نتيجةً لهذا الفعل؛ لأَنَّها كانَتْ هي مدارُ المطلبِ، نعم!، هو قام بردِّها استنادًا إلى أصول نقد التَّفسير، وإلى قواعد نقد التَّفسير.

إنَّ الكشف عن أُصول نقد التَّفسير عند ابن طاوس الحلي (ت/664هـ) أمر في غاية الأهمية؛ لأنه موضوع بكر لم يكتبْ فيه من قبل بحسب اطِّلاعنا؛ فهو يكشف عن العقليَّة الحِلِّيَّة في ميدان نَقْد التَّفسير؛ وبيان أُصول ذلك النَّقد للقاضي عبد الجبَّار المعتزليِّ في كتابه (فرائد القرآن)؛ لأَنَّه نقدٌ مُعَلَّلٌ مستندٌ لضوابط النَّقد عند مَدْرَسَة أهل البيت(صلوات الله عليهم أجمعينَ) بعامَّةٍ، وعند ابن طاوُس بخاصَّةٍ. ومن هنا تظهر أهميَّةُ البحثِ، وأسبابُ اختيارهِ، وقد سمَّيناه: [نَقْدُ ابْنِ طَاوُس الحِلِّيِّ (ت/664هـ) للقاضي عبد الجبَّار المعتزليِّ (ت/415هـ) في تفسيره (فرائد القرآن) قراءة في الكشف عن أصول نقد التَّفسير وقواعده على وَفْقِ المبنى الأصوليِّ] .

بُنِي بحثنا على مقدِّمة، ومدخل، وثلاثة مباحثٍ، ثمَّ الخاتمة والنَّتائج، فثَبَتُ المصادرِ والمراجعِ. أَمَّا المقدِّمة فقد تضمَّنَتْ أهميَّة البحث، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطَّته، وحدوده، وفرضيَّته، وتحقيق الفرضيَّة في النَّتائج، واتمَمْنا ذلك الأمر بإدراج التَّوصياتِ المقترحة. وأَمَّا المبحثُ الأوَّلُ فقد كان بعنوان: تقسيمُ القرآنِ، وأَمَّا المبحثُ الثَّاني فقد كان بعنوان: معرفةُ مرادِ القرآنِ، وأَمَّا المبحث الثَّالثُ فقد كانَ بعنوان: مسألة: نزول المسيح.

وكانَ المنهجُ المتَّبع هو المنهج الاستقرائيّ لنقود ابن طاوُس الحِلِّيّ للتَّفسير الاعتزاليّ- تفسير القاضي عبد الجَبَّار المعتزليّ- فهي في الصياغة جاءت على طريقة منهج الفقهاء، أي: استقراء الفروعِ، وصياغة الأصول من تلك الفروع[465]، وضمَمْنا له منهج التَّحليل والنَّقد. وقد انطلقْنا من

(462) ظ: د. محمد عباس الجبوري/ ابن طاوس ومنهجه في كتابه سعد السعود للنفوس (بحث) / 9.

(463) ظ: المصدر نفسه / 9.

(464) ظ: المصدر نفسه / 1.

(465) ظ: محمَّد تقي الحكيم/ الأصول العامة للفقه المقارن / 77- 78، د. جبَّار كاظم الملَّا/ مناهج البحث الأصوليّ عند المتكلِّمينَ والأحناف (رسالة ماجستير)/ 77- 78.

إشكاليَّة معرفيَّة، مفادها: إنَّ نقد التفسير إشكالية تتطلَّبُ تأصيلًا لأصول النَّقد.

وحدود البحث اقتصرَتْ على نصوص التَّفسير الاعتزاليّ في كتاب (سعد السُّعود للنُّفوس) لابن طاوُس الحِلِّيّ- تفسير القاضي عبد الجبَّار المعتزليّ- الفصول الَّتي أوردها ابن طاوُس الحِلِّيّ منه، والَّتي حصرَها بين (فصل89- فصل95).

وانطلقْنا مِنْ فرضيَّة كبرى مفادها أَنَّه لا بدَّ للنَّقد مِنْ أصولٍ يُبْتَنَى عليها، وبعبارة أخرى: إنَّ للنَّقد أصولًا، مثلما أَنَّ للتَّفسير أصولًا، وللنَّقد قواعدٌ مثلما أَنَّ للتَّفسير قواعد، وإنْ كانَ الأمرُ كذلك، فهل أصول التَّفسير هي نفسها أصول النَّقد؟، وهل قواعد التَّفسير تصحُّ أَنْ تكونَ قواعد نَقْدٍ؟.

وفي الخاتمة نكاد أَنْ نجزمَ أَنَّ البحث حقَّقَ الفرضيَّة الكبرى الَّتي انطلق منها، وخرج بمجموعة أصول، جاءت بطريقة استقراء النُّقود، وصياغة الأصول. وقدَّمَ إجابات على تلك التَّساؤلات الَّتي وردَتْ في الفرضيَّة الكبرى للبحث.

وإكمالًا للخاتمةِ برمْنا بعض التَّوصيات الَّتي دعَوْنا بها إلى استقراء النَّقد في ساحة التَّفسير الاعتزاليّ بعامَّةٍ، وتفسير القاضي عبد الجبَّار المعتزليّ خاصَّةً، انطلاقا مِنَ النَّقد الحِلِّيّ المُؤَسَّس له في هذا البحث؛ عند ابن طاوُس الحِلِّيّ لا سيَّما البنَّاءُ منه؛ لأَنَّه يقوِّمُ التَّفسير الاعتزاليّ، ومن هذا الاستقراء نَصِلُ إلى تحديد أصول نَقْد التَّفسير.

وآخر دعوانا أَنِ الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ

المَدْخَلُ

للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت/415هـ)- من معتزلة بغداد- كتابانِ في التفسير، أما الكتاب الأول فهو (المحيط)، المعروف بـ (التفسير الكبير)، وأما الكتاب الثاني فهو (فرائد القرآن وأدلته)، وقيل: (فوائد القرآن وأدلته)، ويبدو لي أَنَّ تسمية (فرائد) هي أصحَّ من تسمية (فوائد).

أما الكتاب الأول (المحيط) فهو مذكور في كتب التراجم، ونسبته ثابتة لمؤلفه، لكنه لم يصل كاملًا، فما وصل منه أربعون رأيًا ذكرها الطبرسي (ت/548هـ) في تفسيره (مجمع البيان)، وثلاثمئة وسبعون رأيا ذكرها الرازي (ت/606هـ) في تفسيره (مفاتيح الغيب). وقد قام الدكتور خضر محمَّد نبها بضم هذه إلى هذه، وأصدر بهما كتابًا سمَّاه (تفسير القاضي عبد الجبار المعتزلي). وهذا الكتاب خارج مدار البحث.

وأما الكتاب الثاني (الفرائد) فلم يرد له ذكر في كتب التراجم، فضلًا عن نسبته للمؤلف. والوثيقة الوحيدة على وجوده كتاب (سعد السعود للنفوس) لابن طاوس الحلي، فهو ثابت باسمه، وثابت بنسبه لمؤلفه، وثابت بنصه.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: تَقْسِيمُ القُرْآنِ

قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[466].

إنَّ القاضي عبد الجبَّار المعتزليّ (ت/415هـ) في كتابه (فوائد القرآن وأدلَّته) جعل أهل الكتاب صنفًا واحدًا في عدم عدِّهم ترك الأمانة في أموال الأمِّيِّينَ- العرب، وأصحاب محمَّد (صلى الله عليه وآله

(466) آل عمران/ 75.

وسلَّم)- فقال: « ...فيهم مَنْ يؤدِّي الأمانة، إلَّا في الأميِّينَ الَّذين هم العرب وأصحاب محمَّد (صلَّى الله عليه وسلَّم)، وأنَّهم كالمُسْتَحِلِّينَ لأموالهم لا يعدُّونَ ترك الأمانة فيه- أي: في المال- خيانةً...» [467].

وواضح ممَّا تقدَّم أَنَّ أهل الكتاب- بلحاظ أداء الأمانة- عند عبد الجبَّار المعتزليّ صنف واحد لا يُؤدِّي الأمانة إلى الأميِّينَ، وأنَّه جعل لفظ (الأميِّينَ) الوارد في النَّصِّ القرآنيّ شاملًا لـ: العرب، وأصحاب محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وبعبارة أخرى: إنَّ الأميِّينَ عنده صنفان، أمَّا الصِّنف الأوَّل فهو صنف عامٌّ، ويشملُ العرب، وأمَّا الصِّنف الثَّاني فهو صنف خاصٌّ، ويشمل أصحاب محمد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم).

انتقد ابن طاوُس الحِلِّيّ (ت/664هـ) قول القاضي عبد الجبَّار المعتزليّ المذكور آنفًا؛ لأنَّه خلاف القرآن الَّذي صنَّفَ أهل الكتاب- بلحاظ أداء الأمانة- صنفينِ، أمَّا الصِّنف الأوَّلُ فهو مَنْ يؤدِّي الأمانة إلى مَنِ ائتمنه عليها عدوُّهُ، وإنْ كانَتْ قِنْطارًا، أي: مالًا كثيرًا، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ...﴾[468]، وأمَّا الصِّنف الثَّاني فهو مَنْ لا يؤدِّي الأمانة إلى مَنِ ائتمنه عليها عدوُّهُ، وإنْ كانَتْ دينارًا، أي: مالًا قليلًا، بدلالة قوله تعالى: ﴿...وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[469]، فقال: « وأمَّا قول عبد الجبَّار مطلقًا: أنَّهم لا يعدُّونَ تَرْكَ الأمانة فيه خيانةً، فالقرآن الشَّريف قسَّمهم قسمينِ، وعبد الجبَّار ذكرهم قسمًا واحدًا، وهو غلط ظاهر » [470] .

نخلص ممَّا تقدَّم أَنَّ الحقَّ مع ابن طاوُس الحِلِّيّ في نقده للقاضي عبد الجبَّار المعتزليّ؛ لأَنَّ قوله مطلقٌ أَنَّ أهل الكتاب صنفٌ واحدٌ، وهو خلاف ظاهر القرآن الَّذي جعلهم بهذا اللِّحاظ صنفينِ، وصدَّر كل صنف بـ (مِنْ) الدَّالة على التَّبعيض، وقدَّم الصِّنْف الإيجابيّ، فقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ على الصِّنْف السِّلبيّ، فقال: ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾. وأَنَّ أصل نقد التَّفسير في هذا المطلب عند ابن طاوُس هو (ظاهر القرآن) الَّذي صَرَّحَ بالتَّقسيم الثُّنائيّ.

قال ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [471] .

المَبْحَثُ الثَّاني: مَعْرِفَةُ مُرادِ القُرْآنِ

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[472]

إنَّ القاضي عبد الجبَّار المعتزليّ استند إلى لفظة (الفُرْقان) الَّتي وردت وصفًا للقرآن، فاحتجَّ بدلالتها بعد ضميمتها إلى موصوفها القرآن، ثم انتهى إلى قضيَّةٍ مسلَّمةٍ - عنده- هي: إنَّ القرآن يعرف به الحقَّ- جميعه- من الباطل؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قوله: «وُصِفَ القرآن بأنَّه فرقانٌ من حيث يُعْرَفُ به الحقُّ من الباطل، ولن يكونَ كذلك، إلَّا مع كونه دلالةً على جميع ذلك»[473].

واستنادًا إلى كون القرآن يُعْرَفُ به الحقُّ مِنَ الباطل استنتج إمكان الاستدلال به، وأَنَّ المراد يُعْرَف

---

(467) ابن طاوُس/ سَعْدُ السُّعُود للنُّفوس/ 363.
(468) آل عمران/75.
(469) آل عمران/75.
(470) ابن طاوُس/ سَعْدُ السُّعُود للنُّفوس/ 363.
(471) النِّساء/75.
(472) الفرقان/1.
(473) ابن طاوُس/ سعد السُّعود للنُّفوس/ 367.

بظاهره؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قوله: «فدلَّ مِنْ هذا الوجه على أَنَّ الاستدلال به ممكنٌ، وعلى أَنَّه يُعْرَف بظاهره المراد به»[474].

وبعد أَنْ انتهى إلى أَنَّ المراد بالقرآن يُعْرَف بالظَّاهر حاول تفنيد مقولة الذاهبينَ إلى أَنَّ المراد بالقرآن يُعْرَفُ بتفسيرٍ، أو قول إمام؛ لأَنَّ القرآن إنْ كان فرقانًا لا تحتاج معرفة مراده إلى تفسير، أو قول إمام، وإن احتاج خرج عن كونه فرقانًا، وطالما أَنَّ الأولى ثبتَتْ، فالثانية تعدُّ منتفيةً؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قوله: «ولو كان كما قال قومٌ: مِنْ أَنَّهُ لا يُعْرَفُ المرادُ إلَّا بتفسيرٍ أو بقولِ إمامٍ؛ لخرجَ مِنْ أَنْ يكونَ مفرِّقًا بينَ الحقِّ والباطل»[475]

وواضح مِنْ كلامه أَنَّهُ تعريضٌ بمَدْرَسَة أهل البيت (عليهم السَّلام)، مِنْ دون أَنْ يُسَمِّيَها؛ لأَنَّهم مَنْ يقول بالإمامة، وبمعرفة المراد بالقرآن، أي: الواقعيّ لا الظَّاهريّ.

وواضح ممَّا تقدَّم أَنَّ معرفة مراد الله في القرآن تتحقَّق بطريقين؛ أَمَّا الطَّريق الأوَّل فهو التَّفسير، وأَمَّا الطَّريق الثَّاني فهو قول الإمام (عليه السَّلام). وأَنَّ عبد الجبَّار المعتزليّ أراد أَن يبطل الطَّريقين المذكورينِ آنفًا؛ لكي يبقى طريق واحدٌ لمعرفة مراد القرآن هو (ظاهر القرآن)؛ استنادًا إلى أَنَّه فرقانٌ يفرِّق بين جميع الحقِّ من الباطل، ولازمه أَنَّ مراده يعرف بظاهره لا بطريق آخر، أو أَنَّ النتيجة تتحقَّق بطريقة الحصر العقليّ القائمة على الفرقان من عدمه، وخلاصة المطلب- على وَفْقِ مبناه- أَنَّه يريدُ أَنْ يقولَ: القرآن أَمَّا فرقان، أو لا. فإن ثبت الأوَّل فهو لا يحتاج إلى طرقٍ لمعرفة مراده، وإنْ ثبت الثَّاني فهو يحتاج إلى طرقٍ لمعرفة مراده. وقد ثبت الأوَّل بدلالة النَّصِّ القرآنيّ- فقد وصف الله القرآن بالفرقان، وقد يُسَمَّى القرآن فرقانًا من باب تسمية الموصوف بوصفه- وبثبوت الأوَّل ينتفي الثَّاني، فإن تبنَّاه أحدٌ يخرج القرآن عن كونه فرقانًا، وهذا محالٌ.

انتقد ابن طاوس الحليّ عبد الجبَّار المعتزليّ ادعاءه الملازمة بين الفرقان الموصوف به القرآن، ومعرفة مراده؛ لأَنَّ الفرقان- على وَفْقِ مبناه- يقتضي أَنَّهُ يُعْرَف به جميع الحقِّ مِنَ الباطل، فقال: «فقد كابَرَ الضَّرورة»[476]، وقد قدَّم ثلاثة أدلَّةٍ على إثبات مكابرة عبد الجبَّار المعتزليّ، أَمَّا الدَّليل الأوَّل فهو أَنَّ كثيرًا من الحقِّ والباطل- قبل القرآن- عُرِفَ بحجج العقول، وأَمَّا الدَّليل الثاني فهو أَنَّ تفصيل الشَّرائع والأحكام – أَكثره- عُرِفَ من غير القرآن، وأَمَّا الدَّليل الثَّالث فهو اثبات التَّناقض في دعوى عبد الجبَّار المعتزليّ- وأصحابه- فهو ادَّعى أَنَّ القرآن يخلو من حجَّة، ولجأ إلى القياس والاجتهاد؛ ليحتجَّ بهما، وهنا يدَّعي أَنَّ القرآن يُعْرَفُ به جميع الحقِّ مِنَ الباطل، وهذا تناقض بيِّنٌ[477].

وبعبارة أخرى: إنَّ ابن طاوُس الحِلِّيّ حاكم عبد الجبَّار المعتزليّ، وخلاصة كلامه: يريد أَنْ يقول له: القرآن يُعْرَفُ به جميع الحقِّ أو لا، فإن كان القرآن يُعْرَفُ به جميع الحقِّ فلمَ لجأت إلى غيره، أي: لجأت إلى القياس والاجتهاد، وإن كان القرآن لا يُعْرَفُ به جميع الحقِّ فكيف تدَّعي أَنَّه يُعْرَفُ به جميع الحقِّ، فهذا تناقض بيِّنٌ.

وانتقدَهُ أيضًا على رفضه لقول القائلين- أتباع مَدْرَسَة أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعينَ)- الَّذين حصرُوا معرفة مراد القرآن بالتَّفسيرِ أو قول الإمام؛ بحُجَّة أَنَّ هذا القول يُخْرِجُ القرآن عن كونه مفرِّقًا بين الحقِّ والباطل حين قالَ: «لو كانَ المراد ... لا يُعْرَفُ إلَّا بتفسيرٍ أو قول إمامٍ، لخرجَ مِنْ أَنْ

(474) المصدر نفسه/ 367.
(475) المصدر نفسه/ 367.
(476) المصدر نفسه/ 368.
(477) ظ: المصدر نفسه/ 368.

يكونَ مفرِّقًا بينَ الحقِّ والباطلِ»[478] . ووصفه بالجهل العظيم، والغفلة الشَّديدة، فقال: «فهو جهل عظيمٌ منه، وغفلةٌ شديدةٌ صدرَتْ عنه »[479] ، وقد وصفه بهذا الوصف؛ لأَنَّ القرآن غيرُ مستغنٍ عن النَّبيِّ محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّمَ)، وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعينَ) في تفسيره، أو تفسير شيءٍ منه، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو غافلٌ، فقال- مخاطبًا عبد الجبَّار المعتزليّ- «وَيْحَهُ، أَتراه يعتقد أَنَّ الفرقان مستغنٍ عَنْ صاحب النُّبُوَّة صلوات الله عليه وآله في تفسيره، أو تفسير شيءٍ منه»[480]. وأيَّد دليله بأدلَّةٍ عدَّة، على التفصيل الآتي:

أَمَّا الدَّليل الأوَّل فهو الدَّليل القرآنيّ قوله تعالى: ﴿...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾ [481] ، ووجه الاستدلال به تصريحه أَنَّ في القرآن ما لا يعلم تأويله إلَّا الله[482].

وأَمَّا الدَّليل الثَّاني فهو الدَّليل الرِّوائي، فقد وردَتْ رواياتٌ كثيرةٌ نقلَتْ تفسيرًا عن النَّبيِّ محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وأهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين)، والصَّحابة، والتَّابعينَ، ووجه الاستدلال به أَنَّ نَقْلَ المسلمينَ لتلك الأخبار النَّاقلة للتَّفسير دليل على أَنَّ القرآن يحتاج إلى تفسيرٍ[483]، والأثر الرّوائي- بمستوياته الأربعة: النَّبويّ، الإماميِّ، الصَّحابيّ، والتَّابعيِّ، أو بمستوييه: المعصوم الشَّامل النَّبيَّ وآله، وغير المعصوم الشَّامل الصَّابيِّ والتَّابعيِّ- غطَّى تلك الحاجة؛ لأَنَّ النَّقلَ لو لم يكنْ لحاجةٍ لكان عبثًا، والثَّاني ممتنع؛ لامتناع الأوَّل؛ على وفق ما تقرره قاعدة لو اللغويَّة، فهو عند أهل اللُّغة حرف امتناع لا متناع، أي: امتناع الجواب، لا متناع الشَّرط، وبعبارة أخرى: إنَّ العبث ممتنعٌ؛ لا متناع أَنْ يكون النَّقل لغير حاجة.

وأمَّا الدَّليل الرَّابع فهو الدَّليل العقلي، وخلاصته: إنَّ القرآن إمَّا محتاجٌ إلى تفسيرٍ أو لا، فإن تعيَّن الثَّاني، أي: إنَّه غير محتاجٍ إلى تفسيرٍ، فلمَ صنَّفَ المسلمونَ تفاسير للقرآن، وعوَّلوا - كُلًّا أو جزءًا- في كثيرٍ منها على المأثور الرِّوائيّ، وما استفهم به عن تصنيف المسلمين للتفسير، يستفهم به عن تصنيف عبد الجبَّار المعتزليّ لتفسير القرآن المسمَّى: (فرائد القرآن وأدلَّته)[484]. ووجه الاستدلال به: لمَّا كان الجواب- يقينًا- أَنَّ التَّصنيف في التَّفسير إنَّما كان لحاجةٍ، فقد تعيَّن الأوَّل، وانتفى الثَّاني. وهو المطلوب.

وأَمَّا الدَّليل الخامس فهو الدَّليل الدَّلالي - التَّوجيهي-ويراد به: توجيه دلالة اللَّفظ من دلالةٍ إلى أخرى، وبعبارة أخرى: يمكن أَنْ يحملَ اللَّفظ على معنًى ثانٍ غير المعنى الأوَّل الَّذي حمله عليه الخصم، فقال: «وهلَّا جوَّز أَنْ يكونَ معنى قوله تعالى:﴿ الْفُرْقَانَ ﴾ أَنَّه فرَّق بين الحقِّ والباطل في كلِّ ما فرَّق بينهما فيه»[485]. وبعبارة أخرى: إنَّ ابن طاوُس الحِلِّيّ وجَّه دلالة الفرقان على أَنَّه فرَّق بين الحقَّ والباطل في كلَّ فرق فرقه القرآن بين الحق والباطل، في حين أَنَّ عبد الجبَّار المعتزليّ وجه دلالة الفرقان على أَنَّه يعرف به جميع الحق من الباطل. ووجه الاستدلال به: إنَّ دلالة الفرقان الَّتي تمسَّك بها عبد الجبَّار المعتزلي من أَنَّ الفرقان يعرف به جميع الحقَّ من الباطل، ورتَّب عليها أَنَّه لا يحتاج إلى تفسيرٍ طالما أَنَّه يمكن حملها على وجه غيره هو أَنَّ الفرقان يفرَّق بين الحقّ والباطل في كلِّ فرقه بينهما فيه، وما لم يفرق فيه بينهما يحتاج إلى تفسير، وهو المطلوب. وبعبارة أخرى: إنَّ الدَّلالة الَّتي يتمسَّك بها غير

(478) المصدر نفسه/ 367، 368.
(479) المصدر نفسه/ 368.
(480) المصدر نفسه/ 368.
(481) آل عمران/ 7.
(482) ابن طاوُس/ سعد السُّعود للنُّفوس/ 368- 369.
(483) المصدر نفسه/ 369.
(484) ظ: المصدر نفسه/ 369.
(485) المصدر نفسه/ 369.

ملزمة لنا طالما يمكن توجيه دلالة ذلك اللَّفظ، وإذا كانت تلك الدَّلالة يترتب عليها عدم الاحتياج، فهذه الدَّلالة يترتب الاحتياج للتفسير.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: مَسْأَلَةُ: (نُزُول المَسِيحِ)

قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا....﴾[486].

الشاهد فيه: (حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) روى القاضي عبد الجبار المعتزلي أن الحرب تضع أوزارها بنزول المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام)، والقاضي أقر بنزول المسيح، إلا أن المسألة عنده فيها تفصيل، فقد فرق بين نوعين من النزول، على التفصيل الآتي: أما النزول عند زوال التكليف فهو جائز، وعلل الجواز بكونه من أشراط الساعة، فقال: (وإنما يجوز عند زواله، فيكون من أشراط الساعة)[487] ، وأَمَّا النُّزول عند ثبات التكليف فهو غير جائزٍ عنده؛ وعلَّل عدم جوازه، بكونه مؤدِّيًا إلى نقض العادات في غير أزمان الأنبياء، وهو غير جائز، فقال: «وبعد، فقد بيَّنَّا أَنَّ نزول عيسى على وجه يعرف لا يجوز، والتَّكليف غير جائز...لأنَّه لا يجوز أَنْ ينقضَ اللهُ العاداتِ في غيرِ أزمانِ الأنبياءِ مع ثبات التكليف، وإنْ جازَ ذلك مع زواله»[488].

تعجب ابن طاوس الحلي من انكار القاضي عبد الجبار المعتزلي نزول المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) عند ثبات التكليف من وجهين، أما الوجه الأول فهو من جهة (مذهب المسلمين)، فالظاهر من مذهبهم أنه ينزل، وعند نزوله يتحقق أمران، أما الأمر الأول فهو قتل الدجال، وأما الأمر الثاني فهو الصلاة خلف الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، وأما الأمر الثاني فهو من جهة السنة، فقد ذكر مصنفات حديثية بعضها عامة تضمنت أحاديث الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، نحو: (الأربعون حديثا في المهدي)، لابن مهران الأصبهاني– أبي نعيم، الحافظ أحمد بن عبد الله (ت/430هـ)– و(الأربعون حديثا في المهدي)، لابن العطار الهمداني– أبي العلاء، الحافظ الحسين بن أحمد (ت/569هـ)– و(مسند الشهاب) للقُضَاعِيِّ[489] : أبي عبد الله، القاضي محمد بن سلامة (ت/454هـ)– ومما يؤيد ذلك قوله: (وقد روى ذلك: الهمداني أبو العلاء الحافظ... وأبو نعيم الحافظ، والقُضَاعِيِّ في كتاب الشِّهَاب)[490]. وللإماميَّة طرق مباشرة للقُضَاعيِّ ذكرت في كتب الإجازات، نحو: ما ذكره العلامة الحلي في إجازته لبني زهرة[491].

ومما يجدر ذكره أنه عند ذكر المصنفات الخاصة اكتفى بذكر المؤلفين، ولم يذكر المصنفات، في حين أنه عند ذكر احدى المصنفات العامة قرن ذكره بذكر مؤلفه، وابن طاوس لم يكتف بذكر المصادر الحديثية التي احتج بها، وإنما بين المكانة العلميَّة لبعض مؤلفيها عند علماء مدرسة الصحابة، فقد ذكر قولهم بابن العطار الهمداني، فقال: (الهمداني: أبو العلاء، الحافظ، العظيم الشَّأن عندهم، المعروف بابن العطار، واسمه الحسن بن أحمد، المشهود له: أنه ما كان في عصره مثله)[492].

والمصنفات التي ذكرها ابن طاوس الحلي كانت على سبيل المثال لا الحصر؛ لأنه لو لم يكن مختارا الحصر لطال به المقال؛ لكثرة المصنفات في هذا الباب؛ ومما يؤيد ذلك قوله: (ومن إن ذكرتهم من

(486) محمَّد/ 4.
(487) ابن طاوُس/ سعد السعود للنفوس/372.
(488) المصدر نفسه/372.
(489) ظ: القُضَاعِيّ/ مسند الشِّهاب، 2/69.
(490) ابن طاوُس/ سعد السعود للنفوس/372.
(491) العلامة الحلي/ الإجازة الكبيرة/ ؟
(492) ابن طاوس/ سعد السعود للنفوس/372.

علمائهم طال الكتاب)[493].

وقد ردَّ ابن طاوُس الحِلِّيّ على تعليل القاضي عبد الجبَّار المعتزليّ عدم جواز نزول المسيح عيس بن مريم (عليه السَّلام) في غير أزمان الأنبياء (عليهم السَّلام)؛ بدعوى أَنَّ نقض العادات في غير أزمان الأنبياء لا يجوز؛ فقال: «وكيف يُدَّعى أَنَّ نقض العادات في غير أزمان الأنبياء لا يجوز»[494].

وقدَّم ابن طاوُس الحِلِّيّ أربعة أدلَّةٍ عل إثبات خرق العادات في غير أزمان الأنبياء، أَمَّا الدَّليل الأَوَّلُ فهو (النَّقل)، وأَمَّا الدَّليل الثَّاني فهو (العقل)، وأَمَّا الدَّليل الثَّالث فهو (التَّاريخ)، وأَمَّا الدَّليل الرَّابع فهو (الوجدان). وإِنَّ خرق العادات إِنَّما يحصل من أربع جهاتٍ، أَمَّا الجهة الأولى فهي (السَّماء)، وأَمَّا الجهة الثانية فهي (الأَرض)، وأَمَّا الجهة الثَّالثة فهي (النَّبات)، وأَمَّا الجهة الرَّابعة فهي (الحيوان)؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قوله: «ومن المعلوم من التَّواريخ، والعقل، والنَّقل، والوجدان وجود خرق العادات من جهة السَّموات، ومن جهة الأَرض، والنَّبات، والحيوان، وحدوث آياتٍ لم تذكر مثلها في ما مضى من الأَوقات»[495].

وممَّا يمكن أَنْ نسجِّله على ابن طاوُس الحلي هنا أَنَّه وجَّه نقدًا إلى ما علَّلَ به القاضي عبد الجبَّار المعتزليّ رأيه، إِلَّا أَنَّه لم يُحَصِّنْ رأيه نفسه من النَّقد في هذا المقام؛ لأَنَّه قدَّم الأَدلَّة على نقض العادات في غير أزمان الأنبياء؛ لكنَّه لم يقدِّم نماذج لتحقيق خرق العادات الَّتي تمَّ ورودها في النَّقل، وهي كثيرة، نحو: لبث أصحاب الكهف الَّذي نقله القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[496]، وسجَّلتها حوادث التَّاريخ، فضلًا عنِ العقل، والوجدان. ونصَّ على حصول خرق العادات من أربع جهاتٍ، ولم يقدِّم لنا أمثلة على حدوث الخرق في الجهات أربعتها.

الخاتمة والنتائج

وما خلصنا إليه من دراستنا يمكن أن نوجزه بما يأتي:

أَوَّلًا: النَّتائجُ العَامَّةُ

1 – من الأصول العامَّة الَّتي استند عليها ابن طاوُس الحِلِّيّ في نقده القاضيّ عبد الجبَّار المعتزليّ (الكتاب)، بوصفه الأصل الأَوَّل من أصول نقد التَّفسير، وبهذا يمكن القول: إِنَّ الكتاب أَصلٌ لنقد التَّفسير، مثلما هو أَصلٌ من أصول التَّفسير.

2 – إِنَّ قاعدة (ظاهر القرآن) هي احدى قواعد نقد التَّفسير، مثلما هي احدى قواعد التَّفسير.

3 – إِنَّ العقل– بحسب ما نرى – أَصْلٌ من أَصول تقد التَّفسير، مثلما هو أَصلٌ من أصول التَّفسير.

4 – إن (مذهب المسلمين) قاعدة من قواعد نقد التَّفسير عند ابن طاوس.

5 – إن (السُّنَّة) أصلٌ مِنْ أصول نقد التَّفسير عند ابن طاوس.

6 – قاعدة (عدم اجتماع النَّقيضينِ) العقليَّة مِنَ القواعد الَّتي استند إليها ابن طاوُس الحِلِّيّ في نقد التَّفسير المتضمِّن تناقضًا، حين يكون الموضوع واحدًا، والرأي ثنائيًّا، ولا يمكن الجمع بينهما.

(493) المصدر نفسه /373.
(494) المصدر نفسه /373.
(495) المصدر نفسه /373.
(496) الكهف/ 25.

7 – إنَّ النَّقد– بحسب الجهة الموجَّه لها النَّقد– نوعان، أَمَّا النَّوع الأَوَّل فهو ما كان مستهدفًا الرَّأي، وأَمَّا النَّوع الثَّاني فهو ما كان مستهدفًا ما عُلِّلَ به الرَّأي.

ثَانِيًا: النَّتائجُ الخَاصَّةُ

عبد الجبَّار المعتزلي جعل أهلِ الكتاب– بلحاظ أداء الأمانة من عدمها – صنفًا واحدًا، في حين أَنَّ القرآن الكريم جعلهم– بحسب اللِّحاظ المذكور آنفًا– صنفينِ، لذا كان الحقُّ مع ابن طاوُس في نقده له، استنادًا إلى الأصل الأَوَّل من أصول نقد التفسير (الكتاب)– بحسب ما نرى– واستنادًا إلى قاعدة من قواعد التَّفسير (ظاهر القرآن)، لا سيَّما المخالفةُ ظاهرةٌ لهما.

إن لفظة الأميِّينَ في سورة (آل عمران/75)– بحسب فهم القاضي عبد الجبَّار المعتزليّ– تشمل صنفينِ: أَمَّا الصنف الأَوَّلُ فهم العرب، وأَمَّا الصِّنفُ الثَّاني فهم أصحاب محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم).

من التَّناقضات الَّتي سجَّلها ابن طاوُس الحلي على القاضي المعتزليّ أَنَّه يقول: إنَّ القرآن لا يحتاج تفسيرًا، وفي الوقت نفسه يلجأ إلى القياس والاجتهاد، مدَّعيًا خلو القرآن من حجَّةٍ.

من أصول نقد تعليل الرَّأي الأصول الَّتي تُثْبِتُ خرق العادات في غير أزمان الأنبياء (عليهم السَّلام)، وهي: (النَّقل، العقل، التَّاريخ، والوجدان).

إنَّ الجهات الَّتي يتحقق بها خرق العادات في غير أزمان الأنبياء أربعة هي: (السَّماء، الأرض، النَّبات، والحيوان).

التَّوصيات

نوصي بدراسة ما وصلَ مِنَ التَّفسير الاعتزاليِّ دراسة نقديَّة موضوعيَّة علميَّة؛ لبيان قيمته العلميَّة من جهةٍ، وبيان صحَّته مِنْ عدمها من جهة أخرى. عن طريق الكشف عن أصوله سواء أَ عامَّةً كانتْ أم خاصَّة، أَي: قواعد تفسيرٍ.

ثَبَتُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

1 خَيْرُ ما نبتدئُ به: القرآنُ الكريمُ

2 أوَّلًا: المَصَادِرُ القَدِيمَةُ

3 الدَّيلميّ: أبو محمَّد، الحسن بن أبي الحسن عليّ بن محمَّد اليمانيّ (ت/841هـ)

4 قواعد عقائد آل محمَّد (الباطنيَّة)، عرَّف الكتابَ وقدَّمه للقرَّاء: محمَّد زاهد بن الحسن الكوثريّ، عنى بنشره، وتصحيحه، وطبع فهارسه: عزَّت العطَّار الحسينيّ/ القاهرة، 1369هـ.

5 ابنُ طاوُس: أبو القاسم، رضيّ الدِّين عليّ بن موسى الحسنيّ (ت/664هـ)

6 سعد السُّعود للنُّفُوس منضودٌ مِنْ كتب وَقْفِ عليّ بن طاوُس، تح: فارس تبريزيَّان الحسُّون/ د. ط / بيروت، د. ت. (مطبوع ضمن موسوعة ابن طاوُس)

7 عبد الجبَّار المعتزليّ: أبو الحسن، القاضي عبد الجبَّار بن أحمد الأَسدآباديّ (ت/415هـ)

8 تفسير القاضي عبد الجبَّار المعتزليّ، المسمَّى (المحيط)، أو (التَّفسير الكبير)/ ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1429هـ.

9 فخر المحقِّقينَ: أبو طالب، محمَّد بن الحسن– ابن العَلَّامَة الحِلِّيّ– (ت/771هـ)

10 ايضاح الفوائد في شرح اشكالات القواعد، تح: حسين جلال الدِّين الموسويّ الكرمانيّ، وآخرون/ ط1/ قم المشرَّفة،

1430هـ.

11 القُضاَعِيّ: أبو عبد الله، القاضي محمَّد بن سلامة المغربي المصري (ت/454هـ)

12 مُسْنَد الشِّهَاب، تح: حمدي عبد المجيد السِّلفي ط1، مؤسَّسة الرِّسالة/ بيروت، 1405هـ.

13 محبُّ الدِّين الطَّبريّ: أبو العبَّاس، محبُّ الدِّين أحمد بن عبد الله المكيّ (ت/694هـ)

14 ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، منشورات: مكتبة القدس، د.ط/ القاهرة، 1356هـ.

15 ثَانيًا: المَرَاجِعُ الحَدِيثَةُ

16 محمَّد تقي الحكيم (ت/1422هـ): عضو المَجْمَع العلميّ العراقيّ

17 الأصول العامَّة للفِقْه المُقَارن، تح: المَجْمَع العالميّ لأهل البيت (عليهم السَّلام)/ ط2، مطبعة أمير، منشورات: المَجْمَع العالميّ لأهل البيت (عليهم السَّلام)/ قم المشرَّفة، 1418هـ.

18 ثَالِثًا: الرَّسَائِلُ وَالأَطَارِيحُ الجَامِعِيَّةُ

19 جبَّار كاظم المُلَّا (الدُّكتُور)

20 مناهج البحث الأصوليّ عند المتكلِّمينَ والأحناف (رسالة ماجستير؛ غير منشورة) بإشراف الأستاذ الدُّكتور عبد الأمير كاظم زاهد الميَّاحيّ/ مقدَّمة إلى مَجْلِس كليَّة الفِقْه جَامِعَةُ الكُوفَة /2006هـ.

12 رابعًا: البُحُوثُ وَالمَجَلَّاتُ

22 أحمد قاسم عبد الرَّحمن (الدُّكتور)

23 القاضي عبد الجبَّار ومذهبه الاعتزاليّ في تفسيره المُسمَّى بـ (الكبير أو المحيط) (بحث)/ منشور في مجلَّة: جامعة الأنبار للعلوم الإسلاميَّة، المجلَّد الثَّالث، العدد الثَّاني عشر/ الأنبار، 2011م.

24 محمَّد عبَّاس نعمان الجبوريّ (الدُّكتور)

25 العَلَّامة السَّيِّد أبو القاسم رضيّ الدِّين عليّ بن موسى بن جعفر الحسنيّ المعروف بابن طاوُس (589هـ– 664هـ) ومنهجه في كتابه سَعْد السُّعُود للنُّفُوس(بحث)/ منشور في مجلَّة: مركز بابل للدِّراسات الإنسانيَّة، المجلَّد: 2، العدد: 1/ بابل المشرَّفة، 2012م.

4- مفهوم الجودة ومعيار كمالها وتمامها ـ قراءة في ضوء القرآن الكريم

The quality and its perfection standard: an interpretation in the light of Holy Quran

د. طلال فائق الكمالي
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة وارث الانبياء/ العراق – كربلاء المقدسة
talal.alkamaly@yahoo.com

المقدمة:

وسط تطور الإنسان وتسارع تطور بيئته الاقتصادية والاجتماعية والتقنية، وتنوع متطلبات حياته وتعددها، وعدم تناهي حاجاته ورغباته، ولد مبدأ الجودة، وأطلت علينا معه رغبة المؤسسات والمنظمات لمواكبة هذا المولود والسعي الحثيث تجاهه بغية تلبية رغبات الإنسان ومتطلباته؛ لكونه الحاكم على قبول المُنتَج أو رفضه، من هنا بانت ساحة هذا الحراك وبدأنا نتلمس تنافسًا ملحوظًا، ونموًا مطردًا لإنتاج تلك المنظمات على المستويين (الأفقي والعمودي) أو (الأساس والثانوي)، بغية استمالة الإنسان وكسب رضاه وقبوله، إذ هو الفيصل والمعوَّل عليه في قضية التسويق، والقناة الوحيدة لمرور الإنتاج، حتى أضحى لرضاه سطوة وحاكمية في بقاء المؤسسة ونموها أو تقويضها وهدّ أركانها.

مشكلة البحث:

ولما كانت للجودة هذه المساحة الواسعة من اهتمام الإنسان عامة وعناية المنظمات العاملِة خاصة، فقد عُني الباحثون كثيرًا في المجال المعرفي لهذا الشأن، ومن ثم نضجت الدراسات البحثية ذات العلاقة لتستوعب ميادين الحياة كافة، بيد أنَّ الذي نسعى إليه في وسط هذا الحراك المعرفي هو الوقوف على مفهوم الجودة الذي تباين تحديده بين المهتمين والباحثين أنفسهم، فضلًا على معرفة معايير الجودة التي تُعدَّ المدخل إليها والنافذة الوحيدة للتفريق بين ما هو متميز ورديء، ليشكل هذا المحور مشكلة معرفية حقيقية.

في قبال تلك الإشكاليات انبثقت إشكالية امتلاك الرؤية الإسلامية عامةً والقرآن الكريم خاصةً رؤية للجودة ومفرداتها، يمكن عن طريق عرض المفهوم ومعياره وتطبيقاته العملية بما يتلاءم وحاجة الفرد والمجتمع في عالم يسوده التنافس، مع إمكانية الحفاظ على الثوابت من جهة، وبما ينسجم وتطور الإنسان وبيئته من جهة أخرى، مع مراعاة حضور محور الجودة الرئيس وهو إرضاء المستهلك، الذي قد يتنافى ومقتضيات الرؤية الإسلامية أحيانًا ويعطل مبادئ متعددة مثل مبدأ سدُّ الذرائع والمصالح والمفاسد ـ أحيانًا أخرى ـ التي تُعدُّ بعض مبانيهما إحدى الطرائق للوصول إلى الحكم الشرعي الذي مآله ـ بطبيعة الحال ـ مصلحة الإنسان على المستويين الدنيوي والأخروي.

فرضية البحث.

في ضوء رؤى الدراسات الأرضية الحديثة لمفهوم الجودة ومعيارها يسعى البحث إلى تسليط الضوء على رؤية القرآن الكريم في هذا الميدان المهم، وذلك عن طريق عرض رؤيته للجودة عبر مفاهيمها ومعيار كمالها وتمامها وسعة مجالاتها، فضلًا على مراتبها وآليات تسويقها، وذلك تحقيقًا لبيان حيز اهتمام النصوص الشرعية بهذا الصدد ـ وفي مقدمتها القرآن الكريم ـ بمجال إتقان العمل وجودته من جهة، والعمليات التي تلازمه من جهة أخرى، إذ سيتبين عبر هذا البحث سبق القرآن الكريم لعرض

هذا المبدأ، وخصيصة تفرداته، ومباني نظمه، وضوابط معايره فيه، فضلًا على غاياته المرجوة منه.

أهمية البحث.

على الرغم من وجود بعض الدراسات الإسلامية في مجال (مبدأ الجودة)، لم نقف على دراسة منها قد تضمنت مفهوم الجودة على وفق الرسالة السماوية، كما نجد بعضها الآخر قد انساق وراء ما هو شائع وسائد عن الجودة في الوسط الثقافي من دون النظر إلى رؤية القرآن الكريم أو السنة الشريفة بموضوعية وتجرد، وكأنَّ بعض الدراسات الإسلامية حملت النصوص ما ليس فيها من خلال عرض المبدأ بما تعارف عليه اصطلاحًا، ومن ثم محاولة تطبيق تلك الرؤى على النص الشرعي عنوةً من دون التفقه في رؤية النصوص الشرعية وبعدها التعبدي أو التوصلي، على حين كان الأولى أنْ تركز البحوث أو تركن إلى عرض النص الشرعي لبيان معرفة دلالته ومقصد الشارع المقدس من هذا الموضوع، ومن ثم مقايسة ذلك برؤية الدراسات الأرضية لبيان الفارق بين الرؤيتين أو مشتركاتهما على حدٍ سواء.

منهجية البحث.

بمقتضى ما تقدم آنفًا من مشكلة بحثية عقد الباحث بحثه الموسوم بـ(الجودة ومعيار كمالها وتمامها. قراءة في ضوء القرآن الكريم) على مبحثين اثنين، فضلًا على مقدمة وخاتمة، وقد كان أول البحث لـ(الجودة: المفهوم، والمبادئ، والتطبيقات) ورصد هذا المبحث ثلاثة مطالب، راقب الباحث في الأول منهما مفهوم الجودة في اللغة والاصطلاح، أما المطلب الثاني فخصص بتطور مفهوم الجودة وإرساء مكوناته، على حين كان المطلب الثالث قد جسَّ تطبيقات الجودة ومعاييره العالمية، ثم انتهى إلى وضع معايير مشتركة لتلك الدراسات.

ولبيان رؤية القرآن الكريم عن مفهوم الجودة أسس الباحث لهذا المعنى مستعينًا بتعريفه الإجرائي لينطلق منه لعقد مبحثه الثاني فكان بعنوان: (خصائص الجودة ومعايير تطبيقها في القرآن الكريم) وذلك بغية وضع اليد على خصوصية الرؤية القرآنية في هذا الشأن، ومن ثم انبنى رأي الباحث عبر تأمله في آيات القرآن الكريم وتدبره لها على وجود ثلاثة مستويات لخصائص الجودة ومعاييرها، وقد وزعها على مطالب البحث وكانت على النحو الآتي: الخصائص والمعايير النظرية، الخصائص والمعايير العملية الرئيسة، الخصائص والمعايير العملية الساندة.

وقد سعى الباحث من خلال بحثه هذا إلى عرض الدراسات الأرضية في مجال الجودة، وعكف على البحث في تفاسير القرآن الكريم المعتبرة، وطفق يرصد مفهوم الجودة من منظور الاتجاهين، ومن ثم عقد مقايسة بين خصائصهما فضلًا على معاييرهما، أما في قراءة النص القرآني فقد حاول الباحث أنْ يسبر آياته والتأمل في مكنون أسرارها وإعمال النظر فيها، معضدًا رأيه ببعض الروايات الصحيحة ذات الدلالة القطعية في موضوع البحث، وذلك من أجل تحديد مفهوم الجودة على وفق رؤية الشريعة الإسلامية المقدسة عامةً ورؤية القرآن الكريم خاصةً.

المبحث الأول: الجودة: المفهوم، والمبادئ، والتطبيقات.

المطلب الأول: مفهوم الجودة في اللغةً والاصطلاح.

الجودة لغةً:

إذا ما بحثنا في المدونة المعجمية ألفينا (الجودة) واردةً بمعنى التسمُّح في الشيء ويقصد بها في الوقت نفسه كثرة العطاء، ولهذا تطلق على المطر الغزير، ومن هنا أطلق على الفرس الذّريع والسَّريع بالجواد لكثرة جريانه، والمصدر الجودة[497]، وقيل: «جاد الشيء يجود جودة بفتح الجيم وضمها أي صار جيدًا»[498]، وهذا يعني أنها ضد الرديء، لذا ورد في المعجم الوسيط أنَّ الجودة إنما يراد منها جودة العمل، وفي الغالب تطلق على الفعل الجميل، ويمكن أنْ تطلق على القول أيضًا[499].

نخلص مما تقدم إلى أنَّ الجودة لغةً تعني ملازمةً بذل الجهد بتكلّف وعزم وقوة، وتعني أيضًا التثبت من الشيء بتميز وتفوق، وقولنا أجاد العمل يعني أحكمه وأتقنه، وعليه فهي تماثل الإتقان والإحكام في العمل في الأعم الأغلب، وقد يكون المقصود من معنى الجودة مشاكلة الإتقان والإحكام في القول أيضًا.

الجودة اصطلاحًا:

على الرغم من حداثة مصطلح الجودة وقرب زمن رواد هذا المصطلح، فإنهم لم يتفقوا على تعريف واحد له، وإنْ كانوا قد اتفقوا على جوهر الموضوع ومضمونه عمومًا، إذ أكدوا عنصرين اثنين من عناصر الجودة ومكوناتها، وهما: جودة الإنتاج ورضا المستهلك، وهذا يعني أنَّ الجودة ستكون من ضمن المفاهيم النسبية التي تتغير بمقتضى تغير العنصرين المذكورين آنفًا، أي إنها ستتأثر بموجب تغيير الظرفين الزماني والمكاني وآثارهما في تغيير ذائقة الإنسان وتباين حاجاته، وحينئذ يكون تحقيق الجودة مرهونًا بـ»التعرف على حاجات المستهلكين ورغباتهم بصورة مستمرة، وهذا يؤكد أنَّ الجودة ليست شيئًا ثابتًا وإنما تتغير على وفق تبدل الحاجات والرغبات»[500]، ولعل تباين تعريفات الجودة مبني على ذلك، إذْ سيتبين ذلك من خلال ما سنعرضه من تعريفات لبعض رواد الجودة والمهتمين بها وهي على النحو الآتي:

عرفها إدوارد ديمنغ[501] بأنها: «هي التوافق مع احتياجات الزبون ومتطلباته»[502]، ولغرض استدامة الجودة وتحسينها ذهب ديمنغ إلى ضرورة العمل بمبدأ عجلة الجودة التي تتضمن أربع مراحل هي: «خطط، اعمل، دقق، نفذ»[503]،على حين عرفها (جوران)[504]: «بأنها ملائمة المنتوج للاستعمال، أي

(497) ظ: معجم مقايس اللغة، ابن فارس: 178.

(498) مختار الصحاح، الرازي: 116.

(499) ظ: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى واخرون: 145.

(500) الجودة الشاملة والايزو/ مدخل معاصر، سمير كامل الخطيب: 20.

(501) «مستشار أمريكي، حاصل على درجة الدكتوراه في الرياضيات والفيزياء، ويلقب أبو ثورة الجودة الشاملة، كان نشاطه في مجال الجودة حيث يعتبر من الذين كانت لهم اسهامات مميزة في مجال الضبط الاحصائي للعمليات، وقد اعترف اليابانيون بفضل ديمنغ في الجودة في اليابان، حيث قلده الامبراطور هيروهيتو عام 1960م وسامًا رفيعًا تكريمًا لدوره في هذا المجال» إدارة الجودة الشاملة/ مفاهيم وتطبيق، محفوظ أحمد جودة: 28.

(502) إدارة الجودة مباديء ومتطلبات، صباح مجيد النجار ومها كامل جواد: 31.

(503) الجودة الشاملة والايزو/ مدخل معاصر، سمير كامل الخطيب:85.

(504) مهندس إلكتروني، روماني الجنسية، من مواليد 1904م، «يعد معلم الجودة الأول في العالم، وهو أحد المهندسين الأوائل الذين ساهموا 0 بالإضافة إلى (ديمنغ) .في بناء ثورة الجودة باليابان». الجودة الشاملة والايزو/ مدخل معاصر،

كلما كانت الخدمة أو السلعة ملائمة لاستخدام المستفيد كلما كانت جيدة»[505]، ومن متبنيات جوران في تطوير الجودة والارتقاء بها قوله: بثلاثية الجودة التي تعني ضرورة وجود ثلاث مراحل لها «تبدأ بمرحلة التخطيط للجودة ثم مرحلة الرقابة وأخيرًا مرحلة التحسين»[506]،في الوقت الذي عرفت الجودة على وفق المواصفة الدولية 9000 (الآيزو)[507] بأنها «درجة تلبية مجموعة الخصائص الموروثة في المنتج لمتطلبات العميل»[508]، فضلًا على وجود تعريفات أُخر لها[509].

التعريف الإجرائي.

عبر قراءة الباحث لمفهوم الجودة بغاية تبيان لزوم وجود رؤية تحتضن المفهوم، فإنه قد اتضح له بأنَّ مفهوم الجودة إنما يبنى على الإجادة والإتقان، ومن ثم القدرة على إنتاج ما يلائم حاجات المستهلك ويلبي طموحاته، أو تقديم ما يمكن تقديمه من خدمات تتناسب ورغبة المستفيد منها، ومن ثم ارتقى هذا المعنى فشمل حاجات المستهلك على الأصعدة كافةً مع وضع آليات واستراتيجيات تصون مكتسبات المؤسسة المنتجة من جهة وتحسن أدائها من جهة أخرى، فضلًا على اهتمامها بمكونات مؤسساتها البشرية والمالية والإنشائية، ولعل تطور مفردة إدارة الجودة إلى إدارة الجودة الشاملة مبني على أساس ذلك التطور، على حين يرى الباحث أنَّ تطور المفردة بتسمية جديدة فيها شيء من التسامح، إذ لا يخفى أنَّ قولنا بالجودة بمعناها العام الذي نعني بها التميز أو الأداء الأفضل، لا يخلو من شمولية الجودة ولا من حسن الإدارة لها، وإلا فهي لا تستحق أنْ تتسم بالجودة أصلًا، لذا يفضي بنا ذلك إلى القول بأنَّ الجودة الشاملة هي الجودة نفسها.

وقبل شروع الباحث بالتعريف الإجرائي، اقتضى ذلك وجود مبانٍ يمكن من خلالها إعداد التعريف، لذا يرى الباحث أنْ تكون تلك المباني على النحو الآتي:

1 – لما كانت الجودة عبارة عن خدمات أو مجموعة من الانتاجات اتسمت بالعمل، كان لزامًا على المُعرِّف إياها أن يصفها بالأداء.

2 – أنَّ الجودة تعني الإتقان وجب أن يكون الأداء متصفًا بالكمال والتمام.

3 – ضرورة وجود فريق عمل من قيادات وإدارات وأفراد لتبني مشروع الجودة، ومن هذا المنطلق يلزم وصف هذا الفريق بالمنظمة أو المؤسسة.

4 – إنَّ قولنا بالجودة يعني القول بضرورة أن تكون المنتوجات مشروعة، إذ لا يمكن انتاج غير

سمير كامل الخطيب: 90.

(505) إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العلي بالجزائر. المبررات والمتطلبات: 27.

(506) الجودة الشاملة والايزو/ مدخل معاصر، سمير كامل الخطيب:94.

(507) الآيزو: أصدرت في عام 1987م سلسلة من المواصفات العالمية المعروفة بالآيزو، هي الحروف الأولى من المنظمة الدولية لتوحيد القياس، وتهدف إلى رفع مستويات ووضع المعايير والأسس والاختبارات من أجل تشجيع تجارة السلع والخدمات على المستوى العالمي» مهارات إدارة الجودة الشاملة في التدريب، محمد عبد الغني حسن هلال: 46.

(508) إدارة الجودة الشاملة/ مفاهيم وتطبيق، محفوظ أحمد جودة: 19.

(509) توافرت تعريفات أخرى للجودة اشتهر بعض منها على الصعيد البحثي، كما هي الحال تعريف كروسبي وقوله: «هي مطابقة الاحتياجات» وتعريف إيشكاوا «هي درجة وفاء المنتوج لاحتياجات المستهلك ومتطلباته مهما كانت» على حين عرفها بيستر فيلد بأنها: «مجموعة الخصائص والمظاهر التي تبدو على المنتج أو الخدمة وقدرة هذه الخصائص والمظاهر على إشباع حاجات الزبون المعلنة والدفينة» وعرفتها المنظمة الأوربية للسيطرة على الجودة بأنها: «هي مجموعة من خصائص ومميزات منتوج أو خدمة ذات صلة بمقدرته على الإيفاء بحاجات معينة». ظ: إدارة الجودة الشاملة، محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات حويحان: 31. الجودة الشاملة والايزو/ مدخل معاصر، سمير كامل الخطيب: 22.

المشروع حتى ولو كان ذلك من ضمن رغبة الزبون، أما ما خالف ذلك فهو خارج عن دائرة الجودة قطعًا.

5 – يمكن التفريق بين المشروع وغير المشروع من خلال وجود رؤية فلسفية تتضمن مباني متواضع عليها فطرةً وعقلًا ووجدانًا.

وعلى أساس ما تقدم ذهب الباحث إلى تعريف مفهوم الجودة بأنه: أداء المنظمة الكامل والتام بما يوافق رؤيتها ومتبنياتها بغية تلبية حاجات الإنسان المشروعة.

المطلب الثاني: تطور مفهوم الجودة وإرساء مكوناته.

الجودة والجودة الشاملة وإدارتها.

مرت الجودة بمراحل من التطور بحسب بُعْد المفهوم واستعماله، ولعل تطور المفهوم ذهب بالمهتمين به إلى التفريق بين (الجودة) التي تعد عملية تسويق المُنتجْ وتوطيد العلاقة بين المُنتِج والمستهلك، وبين (الجودة الشاملة) التي تبنت تعزيز هذه العلاقة وتأصيلها على نحو الشمولية لتستوعب بيئة الجودة برمتها وأسس تفعيل نجاحها، متضمنةً رؤية المنظمة المنتجة ورسالتها وأهدافها، ومتغيرات الأهداف بمقتضى تسارع متغيرات السوق وحاجاته، ورغبة المستهلك وسط تنوع المنتوجات في ضوء المنافسة الشديدة بين المنظمات المنتجة، فضلًا على آليات التسويق التي باتت من أهم أسس ضمان الحفاظ على المكتسبات وتطور بقائها في ظل تزاحم التنافس على البقاء من خلال كسب رضا المستهلك واستمالته.

وفي ضوء هذا التباري والتسابق الشديدين كان التفريق بين الجودة والجودة الشاملة، إذ كانت الجودة محوجة إلى مراحل متعددة لتطبيقها وتشذيب معوقاتها بغية الانتقال بالمنظمات من واقعها الرتيب الذي قد يأباه الزبون إلى واقع جديد ومتجدد يليق بواقع تطور البيئة نفسها وعملية مُجاراة ذوق المستهلك ومسايرته، فجاءت الجودة الشاملة هنا لتعني «البحث عن الجودة في أي من مظاهر العمل بدءاً من حاجات المستهلك أو المستفيد، وانتهاءً بتقويم رضاه عن الخدمات المقدمة له»[510].

وفي هدي هذا الحراك انبثقت ضرورة وجود إدارة تتسم بمهارة التفريق بين (الجودة) و(الجودة الشاملة) وإدراك لزوم وجود مبادئ أساسية تفلسف المفهومين وتمنحهما قدرة البقاء وتضمن استدامة تطويرهما بما يتلائم وقوة الحراك التسويقي، فضلًا على تعزيز مبدأ الإدارة لرؤية الجودة نفسها وأساسياتها من تحديد الموضوع، والغاية، والمهام، والسُبُل، وغيرها من الكليات والجزئيات، من هنا برزت دراسات تخصصية في هذا المجال تُعنى بإدارة الجودة الشاملة، ولهذا قيل إنَّها «نظام متكامل موجه نحو تحقيق احتياجات المستهلكين وإعطاء صلاحيات أكبر للموظفين تساعدهم على اتخاذ القرار، والتأكد على التحسين المستمر لعمليات إنتاج السلع والخدمات»[511]

واستنادًا لما ذكر آنفًا عمد الباحث إلى الارتكاز على مفهومي (الجودة) و(الجودة الشاملة) بوصفهما كتلة معرفية واحدة لا يمكن أنْ ينفكا عن بعضهما على الرغم من شهرة فصلهما، فقولنا بالجودة إنما نقصد به البحث عن الاتقان والتميز أينما كان، والانتقال مما هو كائن إلى ما ينبغي أنْ يكون فعله أو الوصول إليه، من خلال قراءة الحاضر ورصد حاجاته، واستشراف المستقبل والعمل في ضوء متطلباته، وبذلك تتحقق الشمولية بالمحصلة قطعًا.

---

(510) إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، محمد عوض الترتوري: 164.

(511) الجودة الشاملة، عباس الخفاجي: 57.

السبق العلمي لفكرة إدارة الجودة وشموليتها.

لا يخفى على كل باحث أنَّ الإنسان بطبيعته مجبولٌ بحكم فطرته على تحسين عمله والارتقاء بنفسه وما يتعلق به من أداء، ومن ثم محاولته تحسين ذلك الأداء بغية حصد ثماره، من هنا أمكن القول إنَّ الجودة موجودة بالقوة والفعل منذ نعومة أظفار وجود الإنسان على هذه المعمورة، وهذا يعني أنَّ الإنسان قد مارس الجودة وإدارة متعلقاتها وعمل على شموليتها من دون أنْ تكون مؤطَّرة بهذا العنوان، بيد أنَّ هذا لا يعني إغفال حق منْ بوب هذا العلم أو الفن وقنن مفهومه، وحدد مكوناته وبينَ أُسسه، ومن ثم وضح غاياته، فلجهد رواد هذا المفهوم السبق فيما تقدم، فهو جهد يستحق الإكبار من دون شك، لكن الذي يسترعي الانتباه هو وجود هذا المفهوم وأشباهه في نظم شريعة السماء، ولاسيما في القرآن الكريم، فضلًا على تضمن ثقل السنة المطهرة للمفهوم نفسه، ولأنَّ القرآن بطبيعة تركيبته الاعجازية قد تضمن المفاهيم والمضامين بإطارها العام والمطلق والمجمل، من هنا فإنه ترك للإنسان حق التدبر والتأمل بآياته واستظهار مكنوناته التي تصب في هدايته وتأمين سعادته الدنيوية والأخروية.

ولما كان الإنسان متطورًا ـ بطبيعة الحال ـ فإننا لم نجده ملتفتًا إلى معاني القرآن الكريم إلا بعد حين لأنَّ المحدود لا يمكن أنْ يدرك المطلق، والناقص لا يمكن أنْ يبلغ الكامل ولا يستطيع أنْ يصل إلى منتهى ما يقصده إلا عبر جهد مضنٍ من طلب العلم والعمل، ولهذا كانت دعوة القرآن الكريم دائمًا للتدبر بآياته، إذ يقول جلَّ اسمهُ: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾[512] على أنَّ إحاطة بعض الباحثين بمطالب القرآن الكريم عبر إدراكه لبعضها، سواء أكانت علمية أم فكرية لا يعد غريبًا، إذ إنَّ مضامينه جاءت بمقتضى إدراك العقل لها ومتناغمة مع كينونة تركيبته الفطرية، فسبق بعض الباحثين في تحديد مفهوم الجودة بعد الحرب العالمية الثانية[513]، ومن بعدها إدارة الجودة الشاملة[514]غير أنَّ هذا يُعد متأخرًا مقايسةً بما ورد في القرآن الكريم من مضامين، فضلًا على الروايات الشريفة التي أكدت هذه المعاني بصورة مستفيضة، علاوةً على تفسير علماء المسلمين للثقلين ـ الكتاب والسنة ـ والشروح التي اشتهر عنهم، فالقرآن الكريم له السبق في بيان هذا المفهوم وتأكيده، وايضاح انفراداته الخاصة التي لم يفطن أو يتفطن إليها بعض الباحثين المهتمين بهذا الشأن، وذلك لِما يتمتع القرآن الكريم من رؤية سماوية شملت البعد الغيبي والمشهود، والمادي والروحي، والذاتي والموضوعي، والدنيوي والأخروي على حدٍ سواء، وهذا ما سنبينه عبر حنايا هذا البحث.

مكونات الجودة ومبادئها:

بالنظر إلى ما سبق آنفًا من تعريف إجرائي للباحث ولتعريفات رواد الجودة والمهتمين بها نفهم أنَّ أسس الجودة أو الجودة الشاملة تتألف من مكونات أو عناصر ثلاثة وهي:

1 – المؤسسة أو المنظمة. 2– الخدمات أو المنتوجات. 3 ـ الزبون أو المستهلك.

وفي ضوء تلك الأسس الثلاثة ومكوناتها يلزم وجود مقومات لإنجاح عملية الجودة يمكن انتزاع معانيها من أصل الفكرة، وهذا ما نستوحيه من متبنيات الجودة نفسها ودلالتها النظرية وإجراءاتها

(512) سورة ص: الآية 29.

(513) ظ: إدارة الجودة وخدمة العملاء، خضير كاظم حمود: 17. إدارة الجودة مبادئ وتطبيقات، صباح مجيد النجار ومها كامل جواد: 34.

(514) تعد الولايات المتحدة الامريكية هي أول منْ تبنى نظام إدارة الجودة الشاملة، «فقد استعمل هذا المصطلح لأول مرة من قبل طيران البحرية في عام 1985م وهو يصف السبيل لتحقيق الجودة بأسلوب الإدارة اليابانية... واستنادًا على ذلك أصبح الاهتمام ينصب على الجودة الشاملة التي أحدثت التغيير والتطور على كثير من أنماط العمل والمعتقدات السائدة في المنظمة... على أنها قضية استراتيجية تدخل ضمن التخطيط الإستراتيجي للمنظمة» إدارة الجودة الشاملة والايزو/ مدخل معاصر، سمير كامل الخطيب: 47.

العملية، إذ يمكن تحديد تلك المبادئ بالآتي:

1 – وجود رؤية مقصدها التميز وهدفها الإتقان.

2 – تأكيد الإنتاج والعمل على أدائه بأفضل السبل وأتمها.

3 – الجدة في تقديم خدمات مطابقة لمعايير الجودة.

4 – ملاءمة المنتوج لطموحات المستفيد وذائقته فضلًا على تلبية رغباته المشروعة.

5 – دقة التصنيع عبر تهيئة مناخ إيجابي لصناعة المنتوج أو تقديم الخدمة.

6 – الترغيب بتقديم الخدمات وملاءمة قيمتها بما يستقطب الزبائن.

7 – الاهتمام بمبدأ التسويق وفنونه.

8 – – تعزيز مبدأ المنافسة.

9 – الحفاظ على المكتسبات عبر المراقبة بغية تحقيق مبدأ التحسين المستمر.

المطلب الثالث: الجودة: معايير وتطبيقات.

المعايير الدولية للجودة.

إنَّ منهجية البحث تقتضي عرض المعايير الدولية للجودة لغرض مقايستها بمعايير الرؤية القرآنية محل البحث؛ للوقوف على المشتركات والمقترحات فضلًا على المتباينات بغية معرفة مواطن القوة والضعف في الرؤيتين استقراءً واستدلالًا.

وعبر التصفح في أسفار الجودة وقراءة ما جادت به دوائر الجودة ومنها منظمة الآيزو التي تبنت سلسلة من المعايير صنفت إلى الإطار المعياري للمواصفة والإطار المعياري التطبيقي، وبالنظر إلى تقارير (9001و9002 و9003) نلحظ وجود مشتركات للتقارير فيما ذكرنا آنفًا ويمكن رصد عناصر الجودة الأساسية واختزالها بالآتي:» 1– نظام مسؤولية الإدارة. 2– نظام الجودة. 3– مراجعة العقود والاتفاقات. 4– ضبط عملية التصميم. 5– ضبط الوثائق والبيانات. 6– المشتريات والتزويد. 7– المنتج المورد من المستفيد.»[(515)]

وفي الوقت نفسه يمكن الوقوف على أهم المعايير الرئيسة التي تبنتها الجوائز الدولية للجودة أو الجودة الشاملة لمعرفة أسس تلك الجوائز، إذ لا يخفى أنَّ تلك الجوائز مُنِحتْ للمؤسسات التي تم مطابقة معاييرها لمعايير الجائزة مع ملاحظة تحديد نسب معينة لكل معيار، وبالنظر إلى معايير جائزة إدوارد ديمنغ[(516)] نلحظ أنَّ «الإطار العام لهذه المعاير هي: سياسة الشركة، ونظام الجودة وإدارتها، والتعليم والتدريب، والتنفيذ، والنتائج، والخطط المستقبلية»[(517)].

على حين نجد أنَّ بنود جائزة مالكوم[(518)] الأمريكية وضعت معايير أخرى وهي الآتي: «القيادة،

(515) إدارة الجودة الشاملة، محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات حويحان: 53.

(516) في عام 1951م تبنت الحكومة اليابانية هذه الجائزة لتحفيز الأفراد والشركات المحلية على أداء الجودة ومن ثم تطورت دوليًا، واقترنت هذه الجائزة باسم الإحصائي الأمريكي إدوارد ديمنغ تثمينًا لجهوده في تطوير الإنتاج النوعي في اليابان وتطورها في هذا المجال. ظ: إدارة الجودة الشاملة/ مفاهيم وتطبيق، محفوظ أحمد جودة:292.

(517) إدارة الجودة الشاملة والايزو/ مدخل معاصر، سمير كامل الخطيب:114.

(518) تأسست هذه الجائزة من الكونجرس الأمريكي في عام 1987م لتعزيز مبدأ التنافس في الشركات والمنظمات

والمعلومات والتحليل، والتخطيط الاستراتيجي للجودة، واستخدام الموارد البشرية، وضمان جودة المنتجات والخدمات، ونتائج الجودة، وإرضاء الزبون»[519].

على حين نجد معايير الجائزة الأوربية[520] في المجال نفسه قد حددت بمقتضى النشاطات أيضًا وهي: «القيادة، والسياسة الاستراتيجية، والعاملين، والشركات والمصادر، والعمليات، ونتائج الزبائن، ونتائج العاملين، والنتائج الاجتماعية، ونتائج الأداء»[521].

صفوة المعايير.

وبمقتضى ما عرض من معايير لتقارير منظمة الآيزو الثلاث، والجوائز الدولية الثلاث المذكورة آنفًا، استخلص الباحث مشتركات لما تقدم من معايير لدراسته البحثية هذه بلحاظ أنها تعد أُمات الدراسات وخلاصتها، إذ يتبين مما تقدم أنَّ المعايير الأساسية للجودة على وفق تلك الرؤى جميعها، صفوتها الآتي:

القيادة أو الإدارات العليا بوصفها العقل المدبر لإقرار مبدأ الجودة ومتعلقاتها.

1 – التخطيط الإستراتيجي لرسم معالم رؤية المؤسسة ورسالتها وأهدافها وآليات تطبيقها.

2 – الموارد البشرية، إذ تعد أهم مصادر الإنتاج، مما يلزم تدريب العامل وتطويره بغاية توجيهه نحو تحقيق الأهداف المرجوة.

3 – رضا الزبون، إذ يمكن عدها أحد مقاييس جودة الخدمات وتميز المنتج لا محالة.

4 – استقبال المعلومات وتحليلها وتقديم التوصيات اللازمة، ومن ثم السعي لتنفيذها لضمان جودة الخدمات وتحسينها باستمرار.

5 – الالتزام بضوابط الاتفاقات المبرمة بين المؤسسة وبقية المؤسسات والمستفيدين.

فلسفة الجودة وسبل تطبيقها.

لا شك في أنَّ فلسفة أي مفهوم أو مبدأ مبنية على الموضوع والغاية، وأنَّ موضوع الجودة يكمن في تقديم الخدمات على أتم وجه، وأن الغاية منها هو القدرة على إدارة عناصر الجودة وتحسينها عبر إرضاء الزبون أو الجهة المستفيدة، ويمكن القول إنَّ فلسفة الجودة «تعبير عن الجهود المتكاملة والموحدة لجميع أجزاء المنظمة سواء كانت هذه المنظمة صناعية أو خدمية أو مؤسسة تعليمية، وهذه الجهود الموحدة والمتكاملة تهدف إلى إجراء التحسينات المستمرة على عملياتها ومخرجاتها لإرضاء زبائنها وذلك لتحقيق المزايا التنافسية»[522].

بلحاظ ما تقدم من رؤية فلسفية للجودة، ورعايتها لمقدماتها من ضمن أهدافها والمقصد منها، نضمن مخرجات تتناسب وتلك المقدمات، وبهذا يمكن أنْ نقرر بأنَّ الحركة الجوهرية للجودة وسبل تطبيقها

الأمريكية للمساهمة في الإنتاج والاهتمام بنظام الجودة، وقد اقترنت الجائزة باسم مالكوم بالدرج تثمينًا لجهوده في تحسين أداء وزارة التجارة الأمريكية. ظ: إدارة الجودة الشاملة/ ظ: مفاهيم وتطبيق، محفوظ أحمد جودة:294.

(519) إدارة الجودة الشاملة والايزو/ مدخل معاصر، سمير كامل الخطيب: 116.

(520) تبنت المؤسسة الأوربية لإدارة الجودة في عام 1991م تأسيس هذه الجائزة بغاية تحفيز المنظمات الأوربية على أداء الجودة وتحسين نتائج العمل ومن ثم تحقيق رضا الزبون. ظ: مفاهيم وتطبيق، محفوظ أحمد جودة: 298.

(521) إدارة الجودة الشاملة والايزو/ مدخل معاصر، سمير كامل الخطيب: 118.

(522) تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، سهيلة محمد عباس، مجلة رسالة التربية، عمان، وزارة التربية والتعليم ع11، مارس 2006م :44.

يكون مآلها تحقق الأهداف، مما ينبغي تأمين متطلبات تطبيق الجودة وسبل تفعيلها، وإن كان بعضهم حصرُها بالآتي: [523]

1 – خلق رؤية واضحة للمؤسسة تتضمن على الأهداف.

2 – التزام وتعهد الإدارات بتنفيذ البرامج وتعهدها بذلك.

3 – تشكيل مجلس للجودة يقوم بالإدارة والتخطيط لتنفيذ مهامه.

4 – اتخاذ القرارات المناسبة لتنفيذ برنامج إدارة الجودة.

5 – تحديد أنماط البرامج التدريبة الضرورية.

6 – مطابقة المعايير والقياس على حدٍ سواء.

7 – الاهتمام بالدعاية والإعلان.

8 – النظر في تقييم نتائج الجودة ومتابعتها باستمرار عبر التغذية الراجعة.

بيد أننا بمقدورنا اختزال هذه الخطوات وتنظيمها على النحو الآتي:

أولًا: الجانب النظري ويشتمل على الآتي:

1 – وجود رؤية متكاملة عن الجودة تتضمن المبادئ والأهداف.

2 – ضرورة تبني المؤسسات من قيادات وأفراد مشروع الجودة.

3 – العزم على تأمين خطة استراتيجية غايتها وضع آليات تطبيق الجودة من خلال اتخاذ القرارات المناسبة.

ثانيًا: الجانب التطبيقي ويتضمن الآتي:

1 – وضع معايير الجودة، وترويض ملاك المؤسسات بالتشبه بها.

2 – المباشرة الفعالة لملاك المؤسسة عبر تطبيق نظم الجودة.

3 – مراقبة النتائج ومتابعتها، ومن ثم تقويمها على وفق نظام القياس لكونه مؤشر الأداء، ومن ثم تقويمها بغية المحافظة على استدامة الجودة.

وقبل أن نفرغ من هذا المحور يجدر بنا التنبيه على ضرورة توافر شروط لتطبيق الجودة، وذلك لضمان الحفاظ على جوهره واستمرار فاعليته، فعلى الرغم من لزوم تقدم خطاب السبل في سلم الجودة، فإنه يحتم علينا تقدم الشروط عليه بلحاظ «أنَّ خطاب الشروط سابق على خطاب الوسائل، والغاية ومؤسس له؛ فبدون استيفاء شروط الجودة تنتكس جهود البناء إلى عمل تجريبي، أو مجرد جهود ضائعة تفتقد إلى شروط النجاح»[524]، إذ يمكن عد الشروط ثلاثة هي:

1 – إنسان الجودة. 2– ثقافة الجودة. 3– تنظيم الجودة.

فلا يمكن تأمين جودة من دون إنسان متميز بالجودة، ولا يُعقل بناء إنسان يتسم بالجودة من دون

---

(523) ظ: إدارة الجودة الشاملة، محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات حويحان، معوقات الإبداع الإداري في المنظمات المعاصرة، عبد المعطي عساف، مجلة الإداري، السنة 17، العدد 62، سبتمبر: 37.

(524) رحلة إلى عالم الجودة الشاملة، إدريس أ وهلال: 81.

أنْ يتمتع بثقافة الجودة ونظمها[525] من دون شك.

المبحث الثاني: خصائص الجودة ومعايير تطبيقها في القرآن الكريم.

مفهوم الجودة من منظور قرآني.

لمفهوم الجودة حضورٌ في كل مضامين المنظومة الإسلامية ولاسيما في القرآن الكريم فهي تمثل قيمة نظرية تتجسد عمليًا بكل الفرائض التي كُلِّفَ بها الإنسانُ، ويتضح ذلك جليًا عبر التدبّر في آيات القرآن الكريم، وقبل الشروع في قراءة هذه الرؤية وتحديد معاييرها وبيان ضوابطها على وفق رؤية القرآن الكريم لزم الوقوف على مفهوم الجودة نفسه، لذا وجب العودة إلى التعريف الإجرائي للباحث، إذ ذهب إلى أنَّ مبدأ الجودة بمعناه العام يمثل أداء المنظمة الكامل والتام بما يوافق رؤيتها ومتبنياتها بغية تلبية حاجات الإنسان المشروعة.

ولأنَّ البحث عرض الجودة بمعناها العام، يمكن تحديد مفهومها من منظور الرؤية الإسلامية عامةً والقرآن الكريم خاصةً بأنها: الأداء الكامل والتام لشكل النظم الاجتماعية الإسلامية أفرادًا وجماعات بما يتساوق متبنيات رؤيتها الكونية تلبية لحاجات الإنسان المشروعة.

خصوصية الرؤية القرآنية.

لا شك في خصوصية الرؤية القرآنية عن أي مبدأ من المبادئ الفكرية النظرية منها والعملية، وأنَّ هذه الخصوصية مبنية على أساس سماوية المنظومة الإسلامية من جهة، وثبات قصور العقل البشري والدراسات الأرضية من جهة أخرى، ولعل ثبوت النظم الإسلامية ومبانيها، في مقابل تغير نظم الدراسات الأرضية أو التعديل عليها فضلًا على تطورها يعد خير دليل على ما قلناه.

وبعد التدبّر في آيات القرآن الكريم واستقراء دلالاتها، فضلًا على الاستئناس بما استخلصه البحث من الدراسات الأرضية ـ بوصفها جهدًا بشريًا ليس بمقدورنا غضّ الطرف عنها على المستويين النظري والتجريبي ـ يحسب الباحث أنَّ رؤية القرآن الكريم لخصائص الجودة ومعايير تطبيقها تنقسم على نوعين نظرية وعملية، في الوقت الذي ينقسم الثاني على (رئيسة أو أساسية)، و(ساندة) يمكن نعتها بـ(الفرعية أو الفنية).

المطلب الأول: الخصائص والمعايير النظرية.

والمقصود بها تلك الخصائص والمعايير التي تمثل الجانب الفكري لمبدأ الجودة ونظامه، إذ يمثل هذا النمط الوقوف على القضايا الكلية من جهة وعلى فكرة الجودة وبعدها المعرفي من جهة أخرى، أي تشخيص سمات الجودة ومعيارها على المستوى النظري، التي يمكن وصفها بالقضايا التي تدرك بالعقل بداهةً، فهي ملازمة بين الأمر ووجوب مقدماته، لذا وصفها الأصوليون بأنها «المدرك للواقعيات التي ليس لها تأثير في مقام العمل إلا بتوسط مقدمة أخرى»[526]، ولهذا نلحظ ندرة اختلاف الدراسات في تلك المقدمات المعيارية لأنها من الأمور التي تواضع عليها العقل البشري تسالمًا بطبعه، إذ يمكن تشخيصها بالآتي:

1 – الرؤية: الموضوع والغاية.

لا ريب في أنَّ لكل رؤية فلسفية فكرية موضوع وغاية، وأنَّ موضوع الجودة على وفق الرؤية العامة

(525) ظ: المصدر نفسه: 83.

(526) ظ: بحوث في علم الأصول، محمود الهاشمي: 4/ 120.

لكل الرؤى ومنها رؤية المنظومة القرآنية هو الخدمة بمعناه العام أو الإنتاج بتعابير أنظمة الجودة، أمَّا الغاية منها فهو تميز الأمة أو المؤسسة في تقديم أرقى مستويات العطاء خدمةً للجهات المستفيدة.

وقد أولى القرآن الكريم عناية خاصة في تحديد هذه الرؤية ببعديها الموضوعي والغائي، إذ نلحظ ذلك في عرضها لأصل المسألة الفلسفية بغية استمكان الإنسان في فهم عنواناتها الأساسية: (الكون، والحياة، والإنسان)، وما ينضوي تحتها من مفردات نزولًا إلى السعادة التي تُعد مبتغى الرؤى وغاياتها جميعها، ولأن الإنسان يسعى لبناء حضارة متكاملة «لزم وجود رؤية كونية تتناغم مع فطرة الإنسان، وتتوافق مع طموحاته... أي على وفق تفسيرها للوجود والإنسان وما يحيط به من موجودات أُخر، فهي تصنف القضايا وترسم الهدف والمبتغى، وتنسق الطاقة، وتهيئ السبل اللائقة لحياة مثلى»[527]، ولعل قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾[528]، كاشف عن نفي العبثية واثبات قصدية خلق الخلق، كما نلحظ اسعاف المنظومة القرآنية للإنسان من خلال بيان ما يفتقر إليه من رؤية متكاملة، عما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾[529]، ومن ثم تبين الآيات المباركة مآل الإيمان بمنظومتها الكونية، وحسن عواقب العمل بسننها، ومن جنس ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ**﴾[530]، وفي نهاية المطاف تجيب الرؤية القرآنية عن جميع حلقات المسألة الفلسفية، فضلَا على الإجابة عن أحد مصاديقها وهو الجودة التي نحن في سياق رصدها، بوصفها من ضمن الرؤية الكلية أو إحدى نوافذها التي تنتهي إلى السعادة المرجوة.

2 – **التخطيط الإستراتيجي.**

يُعد التخطيط الإستراتيجي من المطالب المهمة، إذ عبر ذلك يمكن قراءة رؤية المؤسسة ورسالتها وأهدافها، وفي هذا المقام عرف التخطيط بأنه: «خطة موضوعة تحدد سياقات وسبل التصرف»[531]، وقد أقر بعضهم من هذا المنطلق بمقولة «إن وجود خطة إستراتيجية موضوعية واضحة وعملية هو المبدأ الأساس لضمان نجاح أية عملية تغيير وإصلاح أو أي مشروع أو مؤسسة في عالم اليوم»[532]، واشتملت أهمية التخطيط على الجودة من دون شك، بل عُدت من الأسس الرئيسة لها، والقلب النابض لديمومتها، «بوصفها عملية مهيكلة لتعريف رسالة المنظمة وأهدافها وتحديد الوسائل المهمة لتحقيق تلك الأهداف»[533]، ومن خلالها يمكن «تصميم الاستراتيجيات بناءً على ما ينبغي القيام به لتحقيق وإنجاز الأهداف الإستراتيجية العليا»[534].

وصفوة ما تقدم أنَّ التخطيط الإستراتيجي بمفهومه العام، وكذلك بمفهوم القرآن الكريم هو عرض دراسة جادة لمبتغى المؤسسة وغاياتها العليا على وفق رؤيتها الفكرية وفلسفتها للكون والحياة والإنسان، ومن ثم العمل على تقديم رؤية خاصة بمشروع الجودة تنسجم بطبيعة الحال مع الرؤية الفلسفية والكونية للقرآن الكريم، مع بيان رسالتها بتمكين الله تعالى الإنسان من حكم الأرض وتسخير ما فيها، ﴿**وَسَخَّرَ**

---

(527) نظرية المعرفة في سياقها الإجرائي، طلال فائق الكمالي: 39.

(528) سورة الدخان: الآية 38. 39.

(529) سورة آل عمران: من الآية 164.

(530) سورة الأعراف: من الآية 96.

(531) الإدارة الإستراتيجية، وائل محمد إدريس وطاهر محسن إدريس: 16.

(532) الإستراتيجية الإسلامية، عباس آل حميد: 26.

(533) إدارة الجودة مبادئ وتطبيقات، صباح مجيد النجار ومها كامل جواد: 57.

(534) الإستراتيجية الإسلامية، عباس آل حميد: 27.

لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[535] عبر تخويله تعالى إياه في قوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[536]، ليكون الهدف من كل ذلك إعمار الأرض، إذ قال تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[537]، فمن معطيات الآية يتبين أنَّ الإنسان موكول إليه هدف جوهري يفتقر للتخطيط الإستراتيجي، وهو إجادة استعماره للأرض، أي «تحويل الأرض إلى حال تصلح بها أنْ يُنتفع من فوائدها... وأنْ يجعل الأرض عامرة تصلح لأن يُنتفع بما يطلب من فوائدها»[538] لتخلق تلك الرؤية الإستراتيجية للجودة حياةً طيبةً تليق بمكانة الإنسان، فهي مقصدها وعين غايتها، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[539]، إذ يتضح مما تنطوي عليه الآية المباركة أنَّ المقصود من الحياة الطيبة في الآية المباركة هي حياة الدنيا، وأنَّ الإحياء هو: إلقاء الحياة في الشيء والإفاضة فيه بحياة جديدة تطيب بها نفس المؤمن وتحسن بخيرات الدنيا[540]، لأنَّ مرجعها الرزق الحلال الذي يفضي إلى السعادة، فتطيب نفس الإنسان وجوارحه إليها، ويتحقق حينئذ موضوع الجودة وغايته عبر التخطيط الإستراتيجي لكل ما تقدم.

3 - المنظومة القيمية وبعداها الروحي والأخلاقي.

بغض النظر عن القيمة الفكرية لأي رؤية كونية ومنها رؤية القرآن الكريم وما تتضمن من نظم اجتماعية، نحسب أنَّ الذي يميز تلك الرؤى من بعضها الآخر، هو النظام القيمي ببعديه الروحي والأخلاقي، إذ يعد هذا النظام محورًا يرفد المجتمعات والمؤسسات بالبعد المعنوي عبر تدعيم النمو الروحي وتعزيز إرساء سجايا فضائل الأخلاق، ومنه نتلمس الاخلاص في العمل، إذ الإخلاص من الفضائل التي تدفع بالنفس إلى اتقان العمل والدنو من تحقق سمة الجودة فيه، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ** وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[541]، ولعلَّ فلاح النفس الإنسانية عبر تزكيتها في الآية التي نستقي من دلالتها الإنماء والإحياء، وهو إحياء لبقية المجالات الأُخر ومنها إحياء العمل وأداء الخدمة بجودة وإتقان، بل تعد تزكية النفس وتوطينها على فعل العمل التام أساس النجاح، والنافذة التي تطل على بقية النجاحات كلها.

ولا يخفى أنَّ الوازع الروحي يمنح المؤسسات ومن ضمنها الموارد البشرية دافعية العطاء وتقديم الخدمات بأفضل صوره، ومنظور القرآن الكريم بهذا الخصوص «يرى أنَّ العمل الفاضل والحكيم وأضدادهما يكونان جزءًا من بنية الإنسان الخالدة ولبنة في وجوده الدائم، فهو ينمو في كيانه ويساهم في تكوين قوامه»[542]، ومن هنا نتلمس أنَّ أي منتج أو خدمة مرهون بفعل الإنسان، وأنَّ نجاح هذه الخدمة أو فشلها يتوقف على مدى إخلاص الإنسان واستقامته في أدائه[543]، إذ الخط البياني لصيرورة الإنسان منتجًا بمعيار الجودة والإحكام يعتمد على إيمانه بقيم ومبادئ الجودة وبعديها الروحي والأخلاقي، وهو مكمن تشبه الإنسان بها، والأساس لدافعية السلوك، ولعل الوقوف على قراءة قوله

---

(535) سورة الجاثية: الآية: 13.

(536) سورة البقرة: من الآية 30.

(537) سورة هود: من الآية 61.

(538) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 10/ 298.

(539) سورة النحل: من الآية 97.

(540) ظ: الكشاف، الزمخشري: 1/ 618. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي: 4/ 309. تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: 6/ 14/ 272. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 14/ 340.

(541) سورة الشمس: الآية 7 . 8 . 9 . 10.

(542) حقيقة الدين، محمد باقر السيستاني: 84.

(543) معايير إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي (مدخل إسلامي)، أحمد عبد الرزاق سلمان: 192.

تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾[544] يلامس هذه الحقيقة التي تبين أنَّ عمل الإنسان من آثار النظم القيمية والسجايا النفسانية، «فالآية الكريمة ترتب عمل الانسان على شاكلته بمعنى أنَّ العمل يناسبها ويوافقها»[545]، وهذا التناسب بين القيم والعمل باعثه انطباق هذا على ذاك، بلحاظ أنهما من سنخ واحد أو من صورة وهيئة واحدة، لذا كانت الآية المباركة ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ تأكيدًا لأهمية حال النفس وهيئتها واتسامها بالبعدين الروحي والأخلاقي.

4 – علو الهمة وهمة العزم.

لا شك في لزوم وجود وازع للعمل يمنح العامل الهمة والعزم، وإن عد هذا النمط من القضايا النظرية مبنيًا على أنَّ مرحلة (نية الهمة والعزم) مرحلةٌ تسبق العمل يقينًا، فمن خلال مراقبة حركة جوارح الإنسان نلمس وجود قوة تسبق حركة الجوارح متمثلةً بالحراك الذهني، والتسليم العقدي، والتوطين النفسي ـ الذي تم عرضه آنفًا ـ ومن ثم نستشعر بولادة جديدة قوامها الحب والرغبة في التغيير بهمة وعزم، ويمكن وصف تلك الولادة بقوة التغيير والمحرك لأداء العمل بجودة ومهارة عاليتين؛ لأنَّ العمل سيكون حينئذ بدافع الحب، والانجذاب نحو رضا المحبوب واستقباح ما يستقبحه اعتقادا وامتثالًا، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[546]، فتزيين القلوب عبر حب الإيمان يولد حب آثاره من عمل وأداء بإحكام وجودة، وما هذا الحب إلا تلك القوة الداخلية المتمثلة بالهمة والعزم على إتيان العمل على وفق ما ينبغي فعله، ومن هنا نلحظ أنَّ القرآن الكريم يقيد النجاة بسلامة القلب في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[547]، لأنَّ القلب السليم هو ما يمنح قوة العزم والإرادة والهمة معًا، وهو الذي يوطن النفس على التغيير، إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[548].

ولعل قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[549] تُعد من ضمن الآيات المباركات التي تدعو المؤمنين إلى علو العزيمة وشحذ هممهم في التسابق إلى الخير والمبادرة إلى مصاديقه العملية، التي تُعد مؤشرًا حقيقيًا للهمة، فقد نقل الطبرسي في تفسير، قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أنه يعني «أنَّ لكل نبي وصاحب ملة وجهة أي طريقة»[550]، على حين نلحظ أنَّ قوله: ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾ المقصد من ورائه هو الفوز بآثار الخير وهي غاية شريعة السماء وهدف الإنسان ورجائه، إذ لا يخفى أنَّ صيغة الأمر بطلب التسابق إلى الخير والسعي إليه «قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها»[551]، وقد نقل عن الرسول الأكرم في هذا الشأن أنَّ رجلًا أتى النبي ﷺ «فقال له: يا رسول الله أوصني فقال له رسول الله ﷺ: فإني أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبر»[552]، كما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «آفة العمل ترك الإخلاص فيه»[553]، ومردّ الإخلاص القناعة بالعمل والعزم على إتيانه، ونتحصّل من ذلك كله أنَّ المبادرة إلى

---

(544) سورة الإسراء: الآية 84.

(545) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 13/ 190.

(546) سورة الحجرات: من الآية 7.

(547) سورة الشعراء: الآية 89.

(548) سورة الرعد: من الآية 11.

(549) سورة البقرة: الآية 148.

(550) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي:1/ 2/ 24.

(551) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي: 24.

(552) الكافي، الكليني: 8/ 150.

(553) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي: 181.

الخير من علو الهمة وأن حضورها ينتج العزم لإتيان العمل المتقن من دون شك.

المطلب الثاني: الخصائص والمعايير العملية الرئيسة.

المقصود بهذه المعايير هي أُمات الآليات والأدوات الإجرائية التي بها تنتقل الأمم ومنظماتها أو المؤسسات من الجانب النظري إلى العملي، ومنها محل البحث (الجودة)، إذ يعد إدراك تشخيصها بحسب رصد المواقف العملية من دون الحاجة إلى مقدمات أخرى؛ أي إنَّ إدراكها مبني على مقتضيات مصلحة العمل، ولعل اختلاف بعض دراسات الجودة في بعض المعايير العملية مرجعها تباين إدراك المصالح من المفاسد أو تباين إدراك ما ينبغي فعله لمصلحة العمل وإنجاحه، ومن ثم يُرهن تحقيق الجودة بهذا الباب، فالأظهر أنَّ من ضمن أهم خصائص الجودة ومعاييرها العملية على وفق الرؤية القرآنية هو ما يأتي:

1 – حكمة القيادة وإتقان إداراتها.

ما من رؤية أو مشروع إلا وله من يتبناه على المستويين العقدي والإجرائي، ولعل قمة الهرم التشريعي والتنفيذي هو المعني بهذا الأمر، فالقيادة ينبغي أنْ تتسم بسمات نادرة من حيث تبنيها للمشروع وتصديها إليه وإدارة مفاصله، فضلًا على تمتعهما بسمات ومهارات فريدة توفرها في أشخاص آخرين مما يعطيها حقَ قيادة الآخرين وإدارة أعمالهم، من هنا عُدت القيادة من أهم مفاصل الجودة بوصفها من أهم ركائز إنجاح المؤسسة عبر وضع آليات تنفيذية تنقل المؤسسة من مرحلة التنظير إلى نطاق الإجراء.

وهذا ما يفسر لنا كبير عناية القرآن الكريم بهذه السمة للأهمية نفسها، فقد أشبع . القرآن . هذا الباب عبر القصة القرآنية في عرض مواقف القادة من أنبياء ورسل وأولياء، فضلًا على النصوص أو المتون ذات الدلالة المباشرة في عرض خصال القيادات وآلية ترجمة رؤاهم في معترك العمل، لذا يمكن القول بـ«أنَّ المباحث المرتبطة بأسس القيادة في الإسلام هي في الحقيقة تبيان للخطوط الأساسية في سياسة القيادة»[554] ومن ضمن الاستعمال القرآني للقيادة في القرآن الكريم (الإمامة) ويقصد بالإمام «المؤتم به، إنساناً كان يقتدى بقوله أو فعله»[555]، مع وضع بالحسبان أنْ ينطبق هذا المعنى على الإدارة الناجحة والفاشلة على حدٍّ سواء، وهذا عين ما عرضه القرآن الكريم، فالخطاب القرآني تارة يعرض القيادة بسمة الاهتداء إلى النجاح كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ**﴾[556] أي «يهدون الخلق إلى طريق الحق»[557] وهذا الميل في الآية المباركة إنما هو ميل إلى عمل الخير المتسم بالصلاح والجودة، والخطوة الأولى فيه تشبه القائد بفعل الخير من جهة وحكمته في الدعوة إلى الخير وحسن تسويقه من جهة أخرى، إذ «لا بد للقائد نفسه من أنْ يكون عاملًا بما يهدي به الآخرين»[558]، وإلا فقد سمة التمثيل.

2 – وحدة فريق العمل وانسجامه.

مما هو معلوم أنَّ تكامل صورة الجودة في المجتمعات والمؤسسات يجب أنْ يكون شاخصًا فهو لونٌ

(554) القيادة في الإسلام، محمد الريشهري: 24.
(555) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني: 87.
(556) سورة الأنبياء: من الآية 73.
(557) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: 4/ 17/ 44.
(558) تفسير النور، محسن قراءتي: 5/ 440.

من ألوان تعاطي القيادة مع معيتها من فريق العمل، وانسجامهما بغية إتمام العمل على أتم وجهٍ، إذ «تُعد مشاركة العاملين في المسائل الجوهرية في تحسين جودة المنتوج والعمليات»[559]، بل يعد فريق العمل السبب الجوهري في إنجاح الجودة ونظام متطلباتها، لأنه الأداة التنفيذية لقيادة المؤسسة نحو تحقيق الأهداف والغايات.

وإذا ما تدبرنا في بعض آيات القرآن الكريم فإننا سنجد دعوته إلى مطلب العمل بروح الفريق الواحد، إذ نتلمس وضوح ذلك عن طريق السياق القرآني المتواتر عبر الدعوة إلى العمل بروح الجماعة، إذ يقول تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[560]، وقال سبحانه أيضًا: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[561]، وإذا ما غصنا في مقاصد الآية ألفينا أنَّ الدعوة إلى الخير عامة في الأفعال والتروك، تعبيرًا عن أهمية فعل الخير المتسم بالجودة والاستقامة، ثم تنتهي الآية إلى نعت العاملين المتقنين لعملهم بالفلاح، فهم المخصوصون به دون غيرهم[562]، إذ قال: ﴿**وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، فالضمير ﴿**هُمُ**﴾ يفيد تخصيص الفلاح بهم، وهذا التخصيص نابع بداعي عملهم بوصفهم فريقًا واحدًا نحو تحقيق الهدف الأساس الذي هو الخير المعروف، ولعل الآية التي سبقت آيتنا المباركة تؤكد هذا المعنى وتوضح أن عصمة الأمة وجميع مؤسساتها وفرق عملها مرهونة بالجماعة والوحدة وعدم الفرقة، إذ يقول تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[563]، فكما كانت الدعوة إلى الألفة والوحدة جاء النهي القرآني ﴿**وَلَا تَفَرَّقُواْ**﴾ ـ عبر نسق آياته ـ عن التفرقة تشديدًا على أهمية فريق العمل الواحد وإقرارًا على أنه سر النجاح عمومًا، ومن ثم سر نجاح الجودة خصوصًا.

3 – الإحسان مقدمة العمل الصالح.

عُرِفَ الإحسان بأنه: كون الشيء ملائمًا للطبع، وكون الشيء صفة الكمال، وكون الشيء متعلق المدح وضده القبح[564]، وعرفه بعضهم بأنه: «إحكام العمل وإتقانه ومقابلة الخير بأكثر منه والشر بأقل منه»[565]، ولأن الإحسان معناه لغةً عدم الإساءة، فإنه ماثلَ الجودة والإتقان قولًا وفعلًا، ولهذا قيل: «إن التركيز على جودة العمليات والمدخلات وأساليب وطرق العمل يُساعد على تجنب الأخطاء قبل وقوعها وذلك باستخدام معايير لقياس جودة المنتجات أثناء عملية الإنتاج»[566]، فضلًا على الاهتمام بمؤشرات الجودة التي تعد وقايةً من الوقوع في الزلل ومقياسًا لحسنه ووزنًا لتطويره أو تراجعه.

وفي مقابل ذلك نجد اهتمام القرآن الكريم بصفة الإحسان، فقد وردت آيات متعددة تؤكد مفهوم الجودة دلاليًا على نحو التصريح والتلميح، ومنها قوله تعالى: ﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[567]، ولأنَّ لعمل الإحسان مكانًا رفيع الشأن في منظور القرآن الكريم وجدنا الآية تقرنه بالخير وتعد الإتيان به خيرًا، وتصور جزاءه أكثر خيرًا، فضلًا على استقباح الآية للعمل السيء المخالف لنظام الجودة والإحكام، على حين نجد في قوله تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا**

(559) إدارة الجودة مبادئ وتطبيقات، صباح مجيد النجار ومها كامل جواد: 243.
(560) سورة المائدة: من الآية 2.
(561) سورة آل عمران: الآية 104.
(562) ظ: الكشاف، الزمخشري: 1/ 180.
(563) سورة آل عمران: الآية 103.
(564) ظ: التعريفات، الجرجاني: 83.
(565) التفسير الواضح، محمد حجازي: 1/ 459.
(566) إدارة الجودة مبادئ وتطبيقات، صباح مجيد النجار ومها كامل جواد: 243.
(567) سورة القصص: الآية 84.

خَالِدُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[568] فإكبار الإحسان والمحسنين وتعظيم شأنهم ومجازاتهم «بزيادة النعم الدنيوية التي يتفضل بها الله على الصالحين علاوة على ثواب الآخرة»[569]، إذ قوله تعالى: ﴿**وَزِيَادَةٌ**﴾ «معناه أنَّ لهم زيادة التفضيل على قدر المستحق على طاعتهم من الثواب»[570] لما قدموا من عمل حسن، على حين تصور لنا الآية الأخرى وجه العمل السيء المخالف لمعايير الحسن والجودة، فهي تستقبح عملهم وتنعتهم بالذلة، إذ يقول: ﴿**مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**﴾ ومعنى ذلك «لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه»[571] لما عملوا من عمل سيء.

وعبر التأمل في آيات القرآن الكريم نجد اقتران العمل الصالح بالإحسان، وكأنَّ القرآن يعرض حقيقة جودة العمل بقضية الإحسان، بلحاظ أنه «الأصل الذي ينبثق عنه فعل الصواب وجودة العمل وإتقانه، بصفة قيمة روحية إيمانية دافعة ومحفزة لكل عمل يحبه الله عز وجل ويرضاه»[572]، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**﴾[573]، فالظاهر من الآية أنه لا يمكن اطلاق حُسن العمل على الحقيقية إلا على المؤمنين بقضية الإحسان، ممن ترجموا إيمانهم بالعمل الصالح،[574] أو ممن أمانوا بمبدأ الجودة بوصفه عملًا صالحًا يوافق واقع الإحسان نفسه، وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[575]، إذ يتبين هذا المعنى جليًا، ومن ثم يتضح عظيم امتنان الله تعالى على المؤمنين وجليل عطائه الدنيوي والأخروي - وإنْ كان بعضهم انزلقت قدمه جهلًا على الرغم من وقوع بعضهم بالخطأ جهلًا أو نسيانًا بالحكم كان أم الموضوع - إذ هم تلبسوا بالتقوى المتمثلة بالإيمان والعمل الصالح والإحسان، فضلًا على المداومة عليها[576]، على حين صورت الآية الإحسان «المنهج المرغوب فيه، فيكون الإحسان هو العمل على الوجه المرغوب فيه فقط من دون خصوصية أُخرى فيه»[577]، وتعظيم المحسنين ممن آمنوا وعملوا الصالحات في الآية واضح لتعلق حب الله تعالى بهم لقوله: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾، وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تؤكد المطلب نفسه.

نخلص مما تقد آنفًا إلى وجود ثنائية فعلية بين الجودة أو «الإتقان والإحسان غير أنَّ الإتقان عمل يتعلق بالمهارات التي يكتسبها الإنسان، فيما الإحسان قوة داخلية تتربى في كيان المسلم وتتعلق في ضميره وتترجم إلى مهارة يدوية، وبالإجمال يمكن القول إنَّ الجودة تعني إجادة العمل، والإتقان درجة عالية في الجودة، والإحسان مرادف للإتقان»[578]، وهذا ما أكده الرسول الأكرم ﷺ إذ نقل عنه قوله:

---

(568) سورة يونس: الآية 26 ـ 27.

(569) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم شيرازي: 5/ 463.

(570) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: 5/ 244.

(571) الكشاف، الزمخشري: 1/473.

(572) التأصيل القرآني لجودة التعليم، سعد علي زاير وداود عبد السلام صبري، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل: العدد 81، 281. تموز 2012م

(573) سورة الكهف: الآية 30.

(574) ظ: تفسير البضاوي، ناصر الدين الشيرازي البيضاوي: 3/ 17.

(575) سورة المائدة: الآية 93.

(576) ظ: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواري: 12/ 205 ـ 206.

(577) المصدر نفسه: 12/ 213.

(578) التأصيل القرآني لجودة التعليم، سعد علي زاير وداود عبد السلام صبري، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل: العدد 81، 281. تموز 2012م

«رحم الله من عمل صالحًا فأتقنه»[579]، وصفوة ذلك أنَّ العمل الصالح المتقن من آثار الإحسان قطعًا.

4 – الاستقامة في تمام العمل وكماله.

قال الراغب: «والاستقامة يُقال في الطريق الذي يكون على خطٍ مستوٍ... واستقامة الإنسان: لزومه المنهج المستقيم»[580]، فهي تعني الالتزام بضوابط الرؤى وتعليماتها، ولهذا نجد أنَّ بعض الدراسات الوضعية التي اختصت بالجودة والجودة الشاملة التفتت إلى أهمية هذه المزيَّة وعدتها من معايير النجاح؛ لذا قيل: «إن التزام الإدارة العليا بإدارة الجودة الشاملة يوجب على القيادة التدريب على المفاهيم والمبادئ الأساسية في هذه الفلسفة بما يحقق الاستفادة من مزاياها... فإذا لم تكن الإدارة العليا تظهر التزامها ودعمها الكامل للبرامج فلن تنجح في تنفيذ إدارة الجودة الشاملة»[581].

والاستقامة مفردة استعملها القرآن الكريم للدلالة على الانضباط والالتزام بمعايير سنن الشريعة وتعليماتها النظرية والعملية، إذ عد هذا المبدأ من أساسيات المنظومة القرآنية، فقد ارتقت بعض التعليمات فيه إلى مرتبة الإلزام وجوبًا ونهيًا، مما يحتم على المكلف أنْ يمتثل لأعباء تلك المسؤولية الشرعية، ومن هنا صور القرآن الكريم الاستقامة بأنها الطريق الأقصر للنجاح، والضمان من عدم الوقوع في الحزن، والخوف من الفشل، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾[582]، بل عُدت ـ الاستقامة ـ شرطًا للفوز بخير الدنيا والآخرة، إذ يقول تعالى: ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا**﴾[583]، فالآية ناظرة إلى حتمية التزام المخاطبين بشريعة الإسلام، إذ لو استقاموا على طريقة تعليماته والثبات على مقتضياته لرزقوا رزقًا وفيرًا[584] لقوله: ﴿**لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا**﴾ إشارة إلى «المنافع والخيرات، وجعل الماء كنايةً عنها؛ لأنَّ الماء أصل الخيرات كلها في الدنيا»[585]، ولأهمية الاستقامة خُوطب النبي الأكرم ﷺ بضرورة العمل بموجبها لقوله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[586].

على أنَّ القرآن الكريم شدّد على أنْ يكون العمل تامًا كاملًا بمقتضى كمال شريعة الإسلام وتمامها، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾[587]، ولا يخفى أنَّ ما أُريد بقيدي التمام والكمال هو جودة المنظومتين النظرية والعملية وحسنهما، فضلًا على خلوهما من نقص الأصل والعارض، بلحاظ أنَّ الفرق بينهما «أنَّ الاتمام: لإزالة نقصان الأصل، والاكمال: لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل»[588]، أي «إنَّ كمال الشيء حصول ما هو الغرض منه، وتمام الشيء انتهاؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، والناقص ما يحتاج إلى شيء خارج عنه»[589]، وبالتدبر في دلالة ما تقدم من معنى الكمال والتمام في الآية المباركة ومعطيات العمل بهما يتضح عظيم اهتمام القرآن الكريم بالمنظومتين النظرية والعملية وتأكيده خلو جميع متعلقاتهما وآثارهما

(579) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 13/ 244.
(580) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني: 692.
(581) التخطيط الإستراتيجي لأجل التميز المؤسساتي، نادين كمال كريت: 144.
(582) سورة فصلت: الآية 30.
(583) سورة الجن: الآية 16.
(584) ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي:20/ 50.
(585) التفسير الكبير، الرازي: 15/ 30/ 148.
(586) سورة هود: الآية 112.
(587) سورة المائدة: من الآية 3.
(588) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: 15.
(589) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني: 186.

من أي نقص وذلك مرقاة إلى الوصول إلى مرتبة الاستقامة التي هي الجودة والإحكام ثمةً.

5 – الأمانة والوفاء بالمواثيق والعهود.

على الرغم من أنَّ الدراسات الوضعية المختصة بـ(الجودة) و(الجودة الشاملة) اشارت في مدوناتها في شذرات موزعة هنا وهناك إلى أثر الأمانة والالتزام بالمواثيق وسموهما، لاسيما في مجال تسويق المنتوج بغية الحفاظ على ديمومة تسويق خدماتهم وكسب رضا الزبائن والموردين، ونلحظ في مقابل ذلك اهتمام القرآن الكريم بخصيصة الأمانة والالتزام بالعهود اهتمامًا فريدًا، إذ أصبحت هذه الخصيصة من صفات المؤمنين ومن لوازمهم، وهذا ما نلحظه في مطلع سورة المؤمنون في الآية الأولى التي نسبت الفلاح إلى المؤمنين دون غيرهم لقوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[590]، ثم عرضت الآيات التي تليها مجموعة من سماتهم وخصائصهم، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾[591] وبالتدبر في هذه الآيات والآيات ذات العلاقة يتبين أنَّ ما أُريد بالأمانة بمفهومها الواسع حفظ العهود والمواثيق، وعدم الخيانة، بل وجوب المحافظة على كل ما تقدم ورعايته، بقرينة كلمة ﴿ **رَاعُونَ**﴾ في الآية نفسها، وعليه فإننا نفيد من ذلك أنَّ التقصير في المحافظة على الامانات يحتِّم على الأمين رفع الضرر[592]شرعًا ووجدانًا وعرفًا، «وبهذا تترتب ثلاث واجبات على الأمين: الأداء، والمحافظة، والإصلاح»[593]، وبالنظر إلى هذه الجنبة الفقهية المستمدة من آيات الأحكام ومنها آيتنا محل الشاهد نرى أنَّ القرآن قدم انصع صورة لعرض جودة الخدمات من خلال اتمامها، والحفاظ عليها، وديمومة جودتها.

وبالتبصر في آيات القرآن الكريم نجد هذا المعنى يتجلى وضوحًا عبر رعاية القرآن الكريم رعاية خاصة لمبدأ احترام المواثيق وعلاقتها بنظام الجودة أسوةً باهتمامه ببقية الخدمات والمنتجات، بل عد هذا المبدأ من لوازم (الجودة) وشرط تمامها وقيد نجاحها، وإذا ما تدبرنا في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۞ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ ۞ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[594]نلحظ هذه الحقيقية، فالآيات حددت مجموعة من الضوابط والمعايير وعدتها شروطًا عمليةً لـ﴿**أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾ وقيودًا مشددةً عليهم، وفي ضوء ذلك يُنقل عن الرسول الأكرم قوله: «لا دين لمن لا عهد له، ولا إيمان لمن لا أمانة له»[595].

وإذا ما راقبنا الضوابط التسعة التي عرضتها الآيات لتكون شرطًا لـ﴿**أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾ يتجلى بوضوح المعنى ذي العلاقة، ونلحظ صدارة مبدأ الأمانة والوفاء بالمواثيق وحرمة نقضها، لتلازمهما؛ أي إنَّ اثبات وجوب مبدأ الأمانة ولوزم الوفاء بالمواثيق يلزم حرمة عدمهما، لذا عد الباحث هذه الخصيصة من ضمن المعايير العملية لإنجاح العمل وجودته، في جميع عناصر المؤسسة ومفاصلها.

المطلب الثالث: الخصائص والمعايير العملية الساندة:

إنَّ المراد بهذا النمط من خصائص الجودة ومعاييرها هي تلك الفنون التفصيلية، والآليات الدقيقة من الإجراءات العملية القادرة على صيانة مكتسبات المؤسسة وتطوير خدماتها، فهي بمنزلة القوى العملية

(590) سورة المؤمنون: الآية 1.

(591) سورة المؤمنون: الآية 8.

(592) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم شيرازي: 8/ 468.

(593) المصدر نفسه: 8/ 469.

(594) سورة الرعد: الآية 20. 21 . 22.

(595) ألمجلسي، بحار الأنوار: 81/ 252.

الساندة للقوى الإجرائية الرئيسة، ويمكن حصرها بالآتي:

1 - القدرة على التسويق.

عرف مفهوم التسويق بأنه: «عملية اجتماعية يحصل من خلالها الأفراد أو المجاميع على ما يحتاجونه ويرغبون به من خلال عمليات التبادل فيما بينهم للمنتجات وتحديد أقيانها»[596]؛ أي إنَّ التسويق يُلاحظ فيه حاجة السوق ورغبة المستهلك، ولتأمين النظام التسويقي على وفق معايير الجودة يحتاج إلى إدارة تؤهلها لتحقيق أهداف المؤسسة، لذا عرفت إدارة التسويق بأنها: «العمليات المتعلقة بالتخطيط، التنظيم، التنفيذ، والرقابة على الأنشطة التسويقية لتسهيل عمليات التبادل بكفاءة وفاعلية»[597].

ومن هنا نلحظ تأكيد القرآن الكريم أصل التسويق والدعوة إلى عرض الخدمات بآليات وفنون تليق بمبادئ المؤسسة وقيمها، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[598]، وهذا ما ينبئ عن أنَّ الآية المباركة تقضي بوجوب اقتران الدعوة بالحسن «أي أنْ يكون الحسن في المضمون والأسلوب والبيان معًا»[599]، وفي الوقت نفسه نلحظ من دلالة الآية وسياقها وجود ثلاثة مستويات للتفاوض مع المتلقي أو المستفيد، وبما يوائم حاله ومقامه، وهذا المطلب نفسه تم تأكيدهُ في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[600]، لبيان أنَّ عرض رؤية المنظومة وجودة مناهجها العملية تحتاج إلى قيادة تجيد فن التعاطي وقدرة التواصل، واعتماد مبدأ الانفتاح على الآخر بالمودة والمحبة، والإصغاء إليه، والتشاور معه في كل أمر، ومن ثم التوكل لإكمال الأعمال وإتمامها بقوة وعزم بغية تحقيق غاية المنظومة وأهدافها، فكل تلك المقومات تشكل رافدًا لتسويق خدمات المنظومة التي تُعد من ضمن أخلاقيات التسويق وأدبياته لزومًا.

وإذ نراقب قوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[601] نلحظ أنَّ الآية تصرح بدعوتها إلى العدل والمساواة، وتمام العمل وعدم نقصانه، وتدعو في الوقت نفسه إلى عدم الاختلاط بالقبيح[602]، فالآية ربطت مخرجات الجودة بمقدماتها، فهي تؤكد معايير الجودة الرئيسة وتستصحبها على آخر فقرات الإنتاج في العلاقة بين المنتج والمُستهلك، لتكون هذه الخصيصة ومعيارها إحدى القوى الساندة للجودة.

2 - التجديد والتطوير.

عُرف التجديد في ضوء مبادئ الجودة بأنه: «التحسينات التي تطرأ على قدرة مواءمة العملية الصناعية والمنتجات والخدمات مع احتياجات الطلب المتزايد أو متطلبات نمو المنظمة وزيادة حجمها»[603]، على حين عرف التطوير بأنه: «الكد في سبيل بلوغ أرفع ما يمكن أنْ تبلغه المؤسسة في أداء ما تقوم به من عمل أيًا كانت نوعية هذا العمل، وفي أي مستوى من المستويات، مما يحقق

(596) إدارة التسويق، ثامر البكري: 26.
(597) استراتيجيات التسويق، ثامر البكري: 382.
(598) سورة النحل: من الآية 125.
(599) تفسير النور، محسن قراءتي: 4/ 584.
(600) سورة آل عمران: من الآية 159.
(601) سورة هود: الآية 85.
(602) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: 5/ 385.
(603) المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية، موقع ألكتروني. https://hrdiscussion.com/hr.html

لها الأفضلية على غيرها من المؤسسات»[604]، ومما لا شك فيه أنَّ عملية التطوير والتجديد المستدام تفضي على المؤسسة مسحة التميز، ومن ثم التفوق على أقرانها من المؤسسات عبر مواكبة تطور الإنسان وظرفيه الزماني والمكاني، وتقديم ما يوائم الواقع الجديد، ولهذا عد مبدأ التحسين المستمر أحد ركائز منهجية إدارة الجودة الشاملة... فهي عملية شاملة تتضمن أنشطة المنظمة»[605] كافة، ومن ثم يمكن وصف هذه الخصيصة بمفهومها العام بأنها تلك الإجراءات المدروسة والمنتظمة التي تهدف إلى تحسين الأداء وتطويره.

وبمراقبة آيات القرآن الكريم نلمس هذه الحقيقية جليًا في الآيات الأولى التي نزلت على صدر الحبيب محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[606]، إذ يتبين للمتدبر دعوة القرآن إلى القراءة للبحث عن حقيقة ما يحيط بالإنسان من موجودات عامةً والى ماهيته خاصةً بغية معرفة ما ينبغي فعله، إذ الفعل ﴿اقْرَأْ﴾ نفيد منه الاستمرار أي التطور في المسألة البحثية، فهي دعوة للتحسين والتطوير المستمر، بلحاظ أنَّ المطلوب «بقوله ﴿اقْرَأْ﴾ أنْ يفعل القراءة في الحال أو المستقبل القريب من الحال»[607]، ونتبصر من الآية نفسها وجود نكتة مقتضاها أنَّ آية ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ جاءت لتأكيد أمر القراءة لأهميتها من جهة، وللإشعار من طرف خفي بأنَّ القراءة تفيد الزيادة والتطوير لاقترانها بكرم الباري جلَّ شأنه من جهة أخرى على الأظهر.

والجدير بالذكر أنَّ السورة الثانية التي نزلت على النبي الأكرم ﷺ بعد سورة العلق هي سورة المدثر، أي إنَّ القرآن الكريم تتابع تعاليمه وتتطابق معانيه، فهي تدعو الرسول الأكرم للعمل بمرحلة ما بعد مرحلة القراءة، وهي مرحلة جديدة تُعنى باعتصار الهمة واستنطاق الطاقة، لذا نزل الخطاب الإلهي على الرسول ﷺ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[608] أي قم بكل وجودك، لإيقاظ الأمة من غفلتها وإنذارها من عواقب الأخطار الدنيوية والأخروية[609] أي بذل كل ما بوسعك من جهد واجتهاد للخروج من التدثر والولوج إلى عالم جديد مِلاكه العمل الحسن بقرينة فعل الأمر ﴿قُمْ﴾، ومن ملازمات خطاب الله تعالى لقيام الرسول قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[610]تعظيمًا لله تعالى، وقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[611]، معناه شمر ثيابك[612] كناية عن تطهير براثن الجاهلية من خلال ذم عالم الضلالة، وإقرار طهارة عالم الإيمان الجديد، وهذ ما أُكد بقوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[613]والمعنى يتجلى أكثر بالدعوة إلى التجديد والتحسين من خلال التبصر ببقية آيات السورة المباركة.

أما قوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾**[614] فنستقي منه المعنى نفسه، فالآية تعرض حقيقة برهانية مفادها التصديق بأنَّ الله تعالى خلق الإنسان «وهداه إلى ما يسعده... وجعل له سبيلًا ينتهي إلى سعادته فإذا سلك سبيله الفطري فهو، وإلا فإنْ انحرف عنه انحرافًا لا مطمع في رجوعه

---

(604) التميز والموهبة والقيادة، جون جاردنر: 21.
(605) إدارة الجودة الشاملة/ مفاهيم وتطبيق، محفوظ أحمد جودة: 181 ـ 182.
(606) سورة العلق: الآية 1ـ2 ـ 3ـ 4ـ 5.
(607) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور:12/ 30/ 435.
(608) سورة المدثر: الآية 1 ـ 2.
(609) ظ: تفسير النور، محسن قراءتي:10/ 260.
(610) سورة المدثر: الآية 3.
(611) سورة المدثر: الآية 4.
(612) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: 10/ 1354.
(613) سورة المدثر: الآية 5،
(614) سورة الأعراف: من الآية 95.

إلى سوي الصراط فقد بطلت فيه الغاية»[615]، كما نجد أنَّ القرآن استقبح المناهج السالفة ونبذها لاتسامها بالجمود وعدها آفة التطور، إنْ خلت من النظم العقلية والفطرية التي تقر التحسين والإنماء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ**﴾[616]، ومن هنا نعلم «أنَّ الدين الصحيح هو الذي يبعث الحركة في كل جوانب الحياة... ويوجد التكامل والرقي»[617] والتطور دائمًا.

وحصيلة ما تقدم أنَّ القرآن الكريم ارتبطت مضامينه بمبدأ التجديد والتحسين على المستويين النظري والعملي عبر قراءة السنن الكونية لتأريخ الماضي وواقع الحاضر واستشراف المستقبل، وعد ذلك من ضمن القوى الساندة للسمو بالإنسان وأدائه في مجالات الحياة كافة بجودة وإتقان.

3 – التحفيز ومبدأ الثواب والعقاب.

اعتنت دوائر العمل بمبدأ التحفيز لأنه «عبارة عن مؤثرات خارجية، تُحفز الفرد وتشجعه على القيام بأداء أفضل»[618]، ولهذا عد التحفيز من ضمن مفاتيح الجودة؛ لأنها تخلق الدافع لدى الفرد وتعزز قدراته وتبوب طاقاته من أجل توجيه سلوكه نحو هدف معين يصب في خدمة المؤسسة، ولمَّا كان التحفيز يشغل مساحة واسعة من تركيبة الإنسان النفسية، فضلًا على الذهنية، فهو يُخلق الباعث لتعزيز الثقة بالنفس، ويحرك المشاعر ومن ثم طاقاته الكامنة للاندفاع صوب هدفه ومبتغاه، ولا يخفى أنَّ الدافع إنما هو «قوة داخلية تؤثر على تفكير الفرد وتوجه سلوكه الإنساني باتجاه الهدف» فإنه عُدَّ والحال هذه من القضايا المعنوية التي محلها الذهن بادئ ذي بدء، ومن ثم تتحول إلى أدوات إجرائية وعملية متقنة بحكم الدافع الذي يتولد بفعل قدح التحفيز.

في مقابل ذلك نجد أنَّ التحفيز في منظور القرآن الكريم يختلف في طبيعته عن الدراسات الأرضية؛ لأنَّ مؤثرات التحفيز في المنظومة القرآنية لا تكون مقصورة على المؤثر الخارجي فحسب؛ بل هي داخلية ذاتية أيضًا، فالمؤمن في المنظومة القرآنية تلهبه طبيعة نظام العمل الموافق للعدالة عبر معيار بذل الجهد والكفاءة، فضلًا على القناعة بأنَّ العمل باعثه مد غيبي مصداقه رضا الله تعالى، علاوة على تأصيل العمل الصالح والحسن لديه على المستويين النظري والعملي، وفوق هذا وذاك نجد لعظيم الجزاء الدنيوي والأخروي حضورًا واضحًا في تعزيز حافز العمل من خلال مبدأ الثواب والعقاب.

وبالتبصر في حركة نمو دافعية الفرد وتحفيزه للعمل نجد هذه الحقيقة شاخصةً على وفق المنظور القرآني «فالحث على العمل الصالح، والتسابق والتنافس على الخيرات والصالحات من الأعمال، والنهي عن فعل الشرور والمنكرات من الأقوال والأفعال، وذلك باعتبار أنَّ هذا الحث وذاك النهي حافزين على الإقدام أو باعثين على الإحجام سواء كان الثواب والعقاب عاجلين أم آجلين»[619] وسواء أكانا دنيويين أم أخرويين.

وفي ضوء ذلك نفهم أنَّ القرآن الكريم أَكبَرَ الذين يسارعون في إنجاز أعمالهم، لقوله تعالى: ﴿**فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ**﴾[620]والتسابق هو الاجتهاد في طلب الشيء، وهو «التقدم، وما يحصله السابق من سبقه؛ ويستعمل في إحراز كل فضيلة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُوْلَئِكَ**

(615) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 8/ 199.
(616) سورة التوبة: الآية 23.
(617) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم شيرازي: 5/ 43.
(618) السلوك التنظيمي، عبد المجيد عبد الغني الطجم وآخرون: 93.
(619) نظام الحوافز في الإسلام، محمد حامد حسين: 74.
(620) سورة البقرة: من الآية 148.

الْمُقَرَّبُونَ﴾[621]... لأن الاستباق إنما يكون لأمر محبوب وغرض مطلوب»[622]، وفي الوقت نفسه بيَّنَ القرآن الكريم أنَّ اتباع سُبُل الخير والعمل الصالح بحاجة إلى التواصي على التحفيز، إذ يقول سبحانه: ﴿**فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾[623]، فهي دعوة إلى تعزيز الغلبة عن طريق التمسك بمبدأ القيم، وجودة العمل، ونبذ الهون والضعف والتراجع، ورفض الاستسلام.

وقبل أنْ نفرغ من الحديث عن مصداق القرآن الكريم في هذا المحور يمكن أنْ ندوّن قوله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[624] إذ نعتقد أنَّ الآية قد اختزلت كثيرًا من مفردات الجودة فضلًا على مبدأ التحفيز، فقد قيدت الفوز بالحياة الطيبة والعمل الصالح المحكم لقوله: ﴿**فَلَنُحْيِيَنَّه**﴾ ف»الفاء واقعة في جواب الشرط، واللام لام القسم»[625] وبالنظر في هذا الجزء الذي جاء جوابًا لاسم الشرط في مطلع الآية ندرك حرص القرآن الكريم وعنايته بمبدأ الجزاء والثواب والعقاب، ولعل خاتمة الآية المباركة ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ يعضد هذا الظن لعطفها على جواب الشرط والقسم، فالآية تقيد قيدًا جديدًا مفاده أنه «إذا صاروا إلى الله جزاهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»[626]وهو وعد منه سبحانه وتعالى.

وبالنظر فيما تقدم يتضح اهتمام القرآن الكريم بهذا الاتجاه الذي يعد منعطفًا بارتقاء الإنسان في أدائه إلى مستوى الجودة، فالحافز والجزاء يُعدان الوازعين القادحين في تثوير طاقات الإنسان وقدراته بإحكام عالٍ، والجزاء خاصةً سيكون من جنس العمل مما يمنح العامل حافز الأداء بجودة لنيل تلك النتائج، لأنَّ النتائج ـ من منظور القرآن ـ مرهونة بمقدماتها، وأنَّ تساوقهما من الأمور البدهية، فكلما كان الباعث للعمل عظيمًا كان العمل أكثر عظمةً وجودةً، والخلاف صحيح أيضًا.

4 – الرقابة والمتابعة.

لضمان استدامة الجودة لابد من متابعة الأداء ومراقبته، ومن ثم تقويمه، من هنا عرفت الرقابة بأنها: «متابعة تنفيذ العمليات الإدارية والمنفذين لها، وتقويم عملهم أولاً بأول؛ للوصول إلى الهدف المرسوم على أفضلِ وجه، وأقصر وقت، وأكبر دِقَّة، وأقل خطأ وتكلفة»[627]، إذ يسعى برنامج الرقابة إلى إرساء الجودة نفسها على وفق المرسوم الذي أُعد لها سابقًا وقراءة مطابقتها للواقع من عدمه من جهة، وتلافي الوقوع في الخطأ أو انحرافها عن مسارها المرسوم لها من قبل «الوقاية خير من العلاج» من جهة أخرى، كل ذلك من خلال استخدام نظم قياسية تتيح لإدارة المؤسسة مقايسة منتوجاتها بمعايير دقيقة تتسم بالجودة أيضًا.

وفي مقابل ذلك نجد حرص القرآن الكريم على هذا المحور المهم والأساس عبر تأكيده التواصي بكل مراحل الجودة وانماطها بغاية تحقيق ديمومتها، لذا نلحظ أنَّ سورة العصر حكمت على الإنسان بالخسران بقوله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾[628] ثم استثنت السورة في قوله تعالى:

---

(621) سورة الواقعة: الآية 10 ـ 11.
(622) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواري:2/ 154.
(623) سورة محمد: الآية 34.
(624) سورة النحل: الآية 97.
(625) إعراب القرآن الكريم، محمد جعفر الكرباسي: 4/ 369. دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 2010م، بيروت ـ لبنان.
(626) جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري: 14/ 205.
(627) الرقابة الإدارية، المنظور الإسلامي المعاصر والتجربة السعودية، عبد الرحمن الضحيان: 21.
(628) سورة العصر: الآية 1 ـ 2.

﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[629] لبيان أنَّ ـ الإيمان والعمل الصالح ـ هما المنعطف لنجاح الإنسان وإنجاحه على المستويين العقدي والسلوكي، ثم بينت السورة ضرورة تكامل هذا النجاح بضابط استدامتهما من خلال العطف على الاستثناء وتقييدهما بالتواصي لقوله تعالى: ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[630]، للكشف عن أنَّ التواصي يعني الاتباع والدوام على الإيمان والعمل الصالح والحث عليهما والتلبس بهما[631]، مما يقتضي استدامة المعارف وتحديثها لمواكبة الواقع على المستوى العلمي بغية الوصول إلى حقيقة الأشياء وماهيتها، فضلًا على ديمومة العمل على المستوى الإجرائي عبر مراقبة الأداء وتأكد مطابقته للجودة والصلاح والصبر على ذلك[632]، لافتقار تمام العمل وكماله إلى تحمل عناء الرقابة والمتابعة التي لا تقل أهمية عن أصل العمل كما يتبين من سياق الآيات المذكورة آنفًا.

وبالنظر إلى آيات القرآن الكريم نلحظ وجود ثلاثة مستويات للرقابة وهي:

مستوى الرقابة العليا: فعلى الرغم من أنَّ الرقابة الإلهية في مقدّمة تلك المستويات بمقتضى الرؤية القرآنية لمراجعة الموجودات إليه سبحانه لقوله: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا**﴾[633]، فإنّه نجد أنَّ نظام الإدارة في القرآن الكريم أعطى إدارة المؤسّسات حقّ رقابة أعمال رعيّتها، وذلك بيّنٌ في قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[634]، وقوله: ﴿**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾[635] بمعنى أَنَّ «بعض من المجتمع مسخّر لآخرين بما عنده والآخرون متسخّرون له بلا واسطة أو بواسطة»[636]، وفي هذا السياق روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «كلّكم راعٍ، وكلّكم مَسؤول عن رعيته»[637].

ومستوى الرقابة المجتمعية: ويمثل هذا المستوى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ من فروضات المجتمع الإسلامي مراقبة بيئته الاجتماعي ومتابعة تطبيق نظامه على المستويات جميعها ومنها المستوى العملي عن طريق الوقوف على كل ما هو خير وذو جودة، بقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[638]، وقد ارتقى هذا النمط من الرقابة إلى درجة الوجوب، إذ نقل عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «من رأى منكرا فاستطاع أن يغيره بيده فليفعل، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[639]

ومستوى الرقابة الذاتية: وقد اعتنى القرآن الكريم بهذا المستوى من الرقابة وعده من بواعث إصلاح الحياة وجميع متعلقاتها، ومن ضمنها جودة العمل وإحكامه، إذ عد اصلاح الفرد واعداده مآله إصلاح المجتمع، إذ المجتمع مجموعة أفراد، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا**

---

(629) سورة العصر: من الآية 3.
(630) سورة العصر: من الآية 3.
(631) ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 20/ 411.
(632) ظ: نظرية المعرفة في سياقها الإجرائي، طلال فائق الكمالي: 172 ـ 173.
(633) سورة الأحزاب: من ال آية52.
(634) سورة التوبة: من الآية 105.
(635) سورة الزخرف: من الآية 32.
(636) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 18/ 101.
(637) الرسالة السعدية، العلامة الحلي: 149.
(638) سورة آل عمران: الآية 104.
(639) الخلاف، الطوسي: 1/ 664.

بِأَنْفُسِهِمْ﴾(640)، وفي شأن مراقبة النفس قال تعالى: ﴿**بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾(641)، يقول أمير المؤمنين ﷺ: «اجعل من نفسك على نفسك رقيباً واجعل لآخرتك من دنياك نصيباً»(642)

وزبدة ما سبق من عرض نفهم عمق اهتمام القرآن الكريم بمبدأ الرقابة والمتابعة، وجعل أهميته جنبًا إلى جنب أهمية الخصائص الرئيسة لجودة العمل، على الرغم من أنه لا يشترك في باكورة العمل ولا يعد من صيرورته، ولكنَّ القرآن الكريم صَوَّرَ لنا أنَّ من ضمن أولويات الجودة الحفاظ على صلاح العمل وجودته، إذ الرقابة والمتابعة المستمرة الضامن لهذا المكتسب.

خاتمة.

بعد إتمام مطالب البحث بتوفيق الله تعالى، كان لابد من تسلط الضوء على أهم ما توصلنا إليه من نتائج، وهي تلخيصًا على النحو الآتي:

اتضح لدى الباحث بأنَّ الجودة تعني: أداء المنظمة الكامل والتام بما يوافق رؤيتها ومتبنياتها بغية تلبية حاجات الإنسان المشروعة.

- عرف الباحث الجودة بمنظور المنظومة الإسلامية بأنها: الأداء الكامل والتام لهيكل النظم الاجتماعية الإسلامية أفرادًا وجماعات بما يتساوق ومتبنيات رؤيتها الكونية تلبية لحاجات الإنسان المشروعة.
- وجد الباحث أنَّ نظام الجودة يُعد المدخل والنافذة للتفريق بين ما هو متميز ورديء.
- تحفظ الباحث على ما أكده رواد الجودة من أنَّ مبدأ التسويق يقوم على السعي لإرضاء المستهلك، من دون أنْ توضع بالحسبان عواقب بعضها التي قد تنافى ومقتضيات المصلحة العامة فضلًا عن الخاصة.
- يرى الباحث أنَّ تطور تسمية الجودة إلى الجودة الشاملة فيها شيء من التسامح، فمعنى الجودة هو السعي وراء الاتقان والتميز، والانتقال من الواقع إلى ما ينبغي فعله، من خلال قراءة الحاضر ورصد حاجاته، واستشراف المستقبل والعمل في ضوء متطلباته، وبهذا تتحقق الشمولية قطعًا.
- وجد الباحث أنَّ للجودة نمطين أحدهما النظري ويتضمن المبادئ والاهداف، والآخر تطبيقي يتضمن العمل على ترجمة معايير الجودة إلى واقع إجرائي.
- يحسب الباحث أنَّ رؤية القرآن الكريم لخصائص الجودة ومعايير تطبيقها تنقسم على نوعين نظري وعملي، في الوقت الذي ينقسم النوع الثاني على أساسية وساندة.
- عد الباحث الخصائص والمعايير النظرية للجودة في القرآن الكريم من القضايا الكلية، التي يمكن وصفها بالقضايا التي تدرك بالعقل بداهةً، فهي ملازمة بين الأمر ووجوب مقدماته، ومنه علل ندرة اختلاف الدراسات السماوية والأرضية، وهي الآتي: الرؤية: الموضوع والغاية، التخطيط الإستراتيجي، والمنظومة القيمية وبعدها الروحي والأخلاقي، وعلو الهمة.
- تبنى الباحث وجود خصائص ومعايير عملية رئيسة على وفق الرؤية القرآنية، يمكن من خلالها انتقال المؤسسات من الجانب النظري إلى العملي، وقد وصفها بأُمات الآليات والأدوات الإجرائية،

(640) سورة الرعد: من الآية 11.

(641) سورة القيامة: الآية 14.

(642) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي: 85.

وأنَّ إدراك تشخيصها مبني على مقتضيات مصلحة العمل، وهي: حكمة القيادة وإتقان إداراتها، ووحدة فريق العمل وانسجامه، والإحسان مقدمة العمل الصالح، والاستقامة بتمام العمل وكماله، والوفاء بالمواثيق والعهود.

- لغرض إتمام الجودة وكمالها يحسب الباحث أنَّ القرآن الكريم رفد الجودة بخصائص ومعايير عملية ساندة، بوصفها الفنون التفصيلية، والآليات الدقيقة من الإجراءات العملية القادرة على صيانة مكتسبات المؤسسة وتطوير خدماتها، وهي: القدرة على التسويق، والتجديد والتطوير، والتحفيز ومبدأ الثواب والعقاب، والرقابة والمتابعة.
- يحسب الباحث وجود ثلاثة مستويات للرقابة على وفق رؤية القرآن الكريم وهي: العليا، والمجتمعية، والذاتية.

المصادر والمراجع.

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب المطبوعة.

2 إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، دار الدعوة، القاهرة، ط/ 2. 1989م.

3 ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت359هـ)، معجم مقاييس اللغة، مؤسّسة الأعلمي، ط/1، 1433هـ - 2012م.

4 أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ضبط وتعليق محمود شاكر الحرستاني، تصحيح علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط/1.

5 أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ) الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

6 إدريس أل هلال، رحلة إلى عالم الجودة الشاملة، مجموعة الأكاديميات الدولية، ط/1، 2017م.

7 البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت 885هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية. بيروت/ ط3، 2006م.

8 البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل المعروف بتفسير البيضاوي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1410هـ .1990م.

9 التأصيل القرآني لجودة التعليم، سعد علي زاير وداود عبد السلام صبري، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل: العدد 81، 281، تموز 2012م.

10 ثامر البكري، إدارة التسويق، المكتبة العالمية للكتاب الجامعي، بيروت لبنان، ط/1، 2010م.

11 ثامر البكري، استراتيجيات التسويق، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان . الأردن ط/2.

12 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ت: 671هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، ط/1، 1405هـ – 1985م.

13 الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت: 816هـ) التعريفات، تحقيق عادل أنور خضر، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط1، 1428هـ/ 2007م.

14 جون جاردنر، التميز والموهبة والقيادة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة . مصر العربية، ط/1، 1989م.

15 الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (606 هـ) التفسير

الكبير، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، مصر.

16 الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القدر الرازي، (ت: 666هـ) مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط/1، 1979م.

17 الراغب الأصفهاني، (ت: 502هـ) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات ذوي القربى، قم ـ إيران، ط/6، 1431هـ ـ 1388ش.

18 الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (538هـ) الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث ـ بيروت، ط1.

19 سمير كامل الخطيب، الجودة الشاملة والايزو/ مدخل معاصر، مكتبة مصر ودار المرتضى، العراق ـ بغداد، شارع المتنبي، 2008م.

20 صباح مجيد النجار ومها كامل جواد إدارة الجودة مبادئ وتطبيقات، الذاكرة للنشر والتوزيع، بغداد، ط/1، 2017م.

21 الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن، (ت 548هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان.

22 طلال فائق الكمالي، نظرية المعرفة في سياقها الإجرائي، دار الكفيل للطباعة والنشر، العراق كربلاء المقدسة، ط/1، 2017م.

23 الطوسي محمد بن الحسن الطوسي، (460 هـ) الخلاف، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1407هـ.

24 الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي، (460 هـ) التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، منشورات مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ـ لبنان، ط/1 1434هـ ـ 2013م.

25 عباس آل حميد، الإستراتيجية الإسلامية، سلطنة عمان، ط/3، 2011م.

26 عباس الخفاجي، الجودة الشاملة، جامعة الإسراء، عمان ـ الأردن، 1995م.

27 عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت1414هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مطبعة نگين، ط/5، 1431هـ ـ 2010م.

28 عبد الرحمن الضحيان، الرقابة الإدارية، المنظور الإسلامي المعاصر والتجربة السعودية، دار العلم، جدة، ط/1، 1986م.

29 عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المحقق: عبد الرحمن اللويحق، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض. ط/2، 2002م.

30 عبد المجيد عبد الغني الطجم وآخرون، السلوك التنظيمي، دار النوابغ، السعودية، 1417هـ.

31 العلامة الحلي، الرسالة السعدية، (ت: 726 هـ) تحقيق: إشراف: السيد محمود المرعشي، إخراج وتعليق وتحقيق: عبد الحسين محمد علي بقال، المطبعة: بهمن – قم، ط/1، 1410هـ.

32 الكليني، محمّد بن يعقوب بن إسحاق (ت329هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ط/5.

33 المجلسي: محمد باقر:(ت: 1111هـ) بحار الأنوار في مختارات الروايات والأخبار، تصحيح: محمد تقي اليزدي، المطبعة الحيدرية، النجف، 1386هـ.

34 محسن قراءتي، تفسير النور، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، ط/ 1، 1435هـ ـ 2014م.

35 محفوظ أحمد جودة، إدارة الجودة الشاملة/ مفاهيم وتطبيق، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن ـ عمان، ط/ 7، 2018م.

36 محمد الريشهري، القيادة في الإسلام، دار الحديث، إيران ـ قم، ط/1، ١٣٧٥هـ.

37 محمّد الطاهر ابن عاشور (ت1393هـ)، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون ـ تونس.

38 محمد باقر السيستاني، حقيقة الدين، العراق . بغداد، ط/2، 2017م.

39 محمد جعفر الكرباسي، إعراب القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، لبنان، 2010م.

40 محمد حجازي، التفسير الواضح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م.

14 محمّد حسين الطباطبائي (ت1402هـ)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة الأعلمي، ط1، 1417هـ ـ 1997م.

42 محمد عبد الغني حسن هلال، مهارات إدارة الجودة الشاملة في التدريب، مركز تطوير الأداء والتنمية، جسر السويس، مصر الجديدة، القاهرة، 1996م.

34 محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان . الأردن، ط/2، 2009م.

44 محمود الهاشمي، بحوث في علم الأصول، المعجم الأصولي، محمد صنقور، إيران، ط2، 2005م.

54 نادين كمال كريت، التخطيط الإستراتيجي لأجل التميز المؤسساتي، دار الكتاب الجامعي، دولة الإمارات العربية المتحدة . الجمهورية اللبنانية، ط/1، 2019م.

46 ناصر مكارم شيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار النشر لمدرسة الإمام علي ـ إيران، التصحيح الثالث، ط1، 1426هـ ـ 1384ش.

47 الواسطي: علي بن محمد الليثي الواسطي (ت: 510 هـ)، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسني البيرجندي، دار الحديث، ط/1، 1415 هـ.

48 وائل محمد إدريس وطاهر محسن إدريس الإدارة الإستراتيجية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان . الأردن، ط/1 2010م.

49 ثالثًا: الرسائل.

50 إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العلي بالجزائر. المبررات والمتطلبات رسالة ماجستير، جامعة الحاج خضر باتنه، دراسة ميدانية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية.

51 رابعًا: المؤتمرات.

52 أحمد عبد الرزاق سلمان، معايير إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي (مدخل إسلامي)، بحث من ضمن فعاليات المؤتمر العربي الثالث، الجامعة العربية ـ التحديات والآفاق، 2010م مصر العربية.

53 خامسًا: المجلات البحثية.

54 سعد علي زاير وداود عبد السلام صبري، التأصيل القرآني لجودة التعليم، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل: العدد 81، تموز 2012م.

55 سهيلة محمد عباس، تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، مجلة رسالة التربية، عمان، وزارة التربية والتعليم ع11، مارس 2006م.

56 عبد المعطي عساف، معوقات الإبداع الإداري في المنظمات المعاصرة، مجلة الإداري، السنة 17، العدد 62، سبتمبر.

57 محمد حامد حسين، نظام الحوافز في الإسلام، المجلة العربية للعلوم الإدارية، العدد الرابع، السنة السادسة، 1403هـ.

58 سادسًا: المواقع الالكترونية.

59 https://hrdiscussion.com/hr.html المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية.

5- مفارقة المقابلة واثرها الدلالي في القرآن الكريم

أ.م.د. رفاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي و أ.م.د. مسلم مالك الاسد

العراق / جامعة كربلاء

كلية العلوم الإسلامية / قسم اللغة العربية

rafaha.mahdi@uokufa.edu.iq

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانام محمد وعلى آله الطيبيبن الطاهرين .

وبعدُ

جاء بحث مفارقة المقابلة واثرها الدلالي في القرآن الكريم على مبحثين يتقدمهما تمهيد تناول فيه المفارقة لغة واصطلاحاً والمقابلة القرآنية. أما المبحث الاول فعرضنا فيه المقابلة القرآنية وأهميتها، وكان المبحث الثاني بعنوان مفارقة المقابلة في القرآن الكريم دراسة تحليلية دلالية تطرقنا فيها الى قسمين رئيسين الاول منهما: مقابلة الشيء بمثله وتكون على فرعين هما :مقابلة المفرد بالمفرد، ومقابلة الجملة بالجملة والثاني مقابلة الشيء بضده، وتكون على فرعين هما:مقابلة في اللفظ والمعنى ,ومقابلة في المعنى دون اللفظ يعقبهما ختمة بابرز النتائج التي توصل اليها البحث.

التمهيد :

المفارقة :

المفارقة لغة : المباينة، يقال : فَارقَ الشّيء مُفَارقة، وَفِراقا أي بَاينه (1) ومصطلح المفارقة في اللسان العربي اسم مفعول من (فرَّقَ) وجذرها الثلاثي (فَرَق) ومصدرها (فرْق) ومدلولها المباينة والترك والمباعدة، فمدار المعنى اللغوي للمفارقة محصور في معنى الاقتران والتباين والابتعاد (2)

وفي الاصطلاح

(تناقض ظاهري لا يلبث أن تتبين حقيقته، أو هي إثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما بالاسناد إلى اعتبار خفي على الرأي العام)(3)، أي إنها تتكون بوساطة تلك التركيبات الفنية التي تعبر عن الشيء ونقيضه في آن واحد، وتصدر عن طبيعة الرؤية الكونية الحدسية للإنسان بوصفها رؤية تهتك الحجاب المضروب بين الأنا والعالم الداخل والخارج من جانب، وتقدم جدلية التضاد في الوجود من جانب آخر[4]. (فالمفارقة) تقوم على تناقض واقعي عميق بين الضدين. [5]

المقابلة القرآنية:

المقابلة ظاهرة أسلوبية تعاورتها الاقلام كثيرا بسبب اختلاف وجهات النظر لأهميتها وتنازع اكثر من حقل معرفي عليها ؛ فهي عنصر جمالي مرة وايقاعي أخرى وتتلقفه الدلالة مرة فيكون أحد مناحيها المعرفية في توسعة المعنى وفي رسم الحجة المتطلبة احيانا من لدن الباث أو المرسل .

و المقابلة في اللغة : يذكرها الخليل (ت175هـ) (والقبل : الطاقة، تقول: لا قبل لهم، وفي معنى آخر هو اللقاء، تقول : لقيته قبلا أي مواجهة) (6) وفي مختار الصحاح (والمقابلة : المواجهة والتقابل مثله)(7) وفي اللسان (المقابلة : المواجهة، والتقابل مثله، وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك) (8).

مما تقدم ذكره لا يخرج المعنى عن المواجهة بين مفردتين أو بين جملتين اختلفتا في المدلول المعنوي الذي تحقق من تقابل المفردات أو الجمل في النص .

وفي الاصطلاح :

أن يؤتى في الاسلوب بمعنيين أو اكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، موفرا أقصى طاقات التضاد الدلالي. (9)

المبحث الأول: المقابلة القرآنية وأهميتها

عني المفكرون بفن المقابلة عناية كبيرة، وكان كل منهم ينظر إليه من زاوية مغايرة لما يراها الآخر، مما أدى إلى تعدد التسميات فعرف بـ(مجاورة الأضداد , «الطباق, «المطابقة, «التكافؤ، «المطابق، المتضاد من معاني الألفاظ، «التطبيق, «البديع, «المقابلة, «التضاد)(10). و هناك فرق بين لفظ الطباق والتقابل على اعتبار الكم اذ أن الطباق يقتصر على التقابل أو التضاد بين لفظتين، أما إذا زاد على لفظين فهو من جنس التقابل(11) متضادين أو غير متضادين وأدى هذا إلى الخلط الكبير في إيراد الأمثلة ضمن أي فن منهما وإلى الآن. وبشكل عام يعرف على أنه: الجمع بين مفردتين متضادتين في اللفظ والمعنى، وله عدة أنواع بحسب السياق الذي يرد فيه.

هذا وقد حظي التقابل باهتمام الدراسات اللغويّة العربية والغربية الحديثة بعد تطور اللسانيات والدراسات الدلالية، خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، ولعل دراسة أوجدن عام 1932وعنوانها (op–position) احدى أهم المحاولات المبكرة في هذا المجال، ليظهر بعد ذلك دارسون اشتغلوا بوضع الاسس الدلالية لظاهرة التقابل ولعل أبرزهم جون لا ينز وبالمر وغيرهما (12) .

استوعبت الدراسات الحديثة التقابل وفهمت حقيقة وجوده، وحقيقته في التعبير، وعرفت أن دوره جوهري، وأنه من مقومات التعبير، واساس بناء النص، لذلك لا يمكن أن يكون حلية زائدة مقتصرة على الشكل، مستفيدة من تطور الفكر البشري، ومن الدراسات والمناهج الحديثة ؛ فالعالم عند البنيويين مجموعة من الثنائيات المتشابكة والمتقابلة تنعكس على شبكة العلاقات اللغوية فتحيلها إلى مجموعة من الثنائيات الخالصة (13) وهي في ذلك منطلقة من نظرة اللسانيات إلى اللغة على أنها نظام من الاختلافات (14) لان (اساليب البيان مثل المقابلة والطباق وغيرها ليست اصطناعا للتحسين والبديع وإنما أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ) (5).

وللمقابلة اهمية كبيرة في بناء النص وفي خدمة الغرض الذي يتطلبه الباث لدورها الكبير في تعزيز الحجاج من خلال بيان وجه الصلة العميقة بين المتقابلين ضديًا(16)، والغاية الحجاجية من إيرادهما كسب المتلقي من خلال الخطاب، فـ(إذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة؛ أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره على أداء دور الإقناع) (17).

فضلا عن دورها في استخراج الكلمات المتضادة وبيان العملية التي يقوم بتأديتها النقيضان. فالتقابل يحيل إلى خلق بؤرة للمتلقي ؛ لخلق آفاق جديدة تمكنه من فهم جديد(8) للأحداث ؛ لأن (للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا من سنوح ذلك لها في شيء واحد وكذلك حال القبح وما كان أملك للنفس وأمكن منها فهو أشدّ تحريكا لها. وكذلك أيضا مثول الحسن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليا عن الآخر لتبين حال الضد بالمثول إزاء ضده فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات في النفس عجيبا) (19).

على جانب آخر فإن التقابل – بعده تضادا وثنائيات – هو نمط تعبيري محفز للتذكر، ومنشط للذاكرة ؛ لأن الضد يستدعي ضده بسهولة، والثنائيات تسترجعها الذاكرة بسرعة. فعلى الرغم من قيام التضاد والتناقض في طرفين، الا أنه يعين على تذكر طرف بطريق الطرف الآخر فإننا نتبين الضد من الضد الآخر .. وتقوم هذه الثنائيات بتلبية حاجة الذاكرة والحفظ (20) بوساطة قدرتها في أن توقظ الاحساس وتؤجج العاطفة وتستفز الشعور من خلال تسليط الضوء على المفارقة والتنافر بين الاشياء مما يحدث هزة شعورية متوترة ورافضة لهذا التناقض (21) وطالبة ومستمتعة بوجوده .

وتظهر الوظيفة الدلالية أيضا في ما يضفيه الضد على ضده من تميز ومفارقة وجلاء وتوضيح للمعاني ... وذلك من خلال استدعائه فدخول اللفظة في علاقة مع ألفاظ أخرى يكسبها وظيفة لم تكن لها من قبل ذلك. وعلى ذلك فقد تنبثق من العلاقات الجديدة وظائف دلالية اخرى أو إيقاعات موسيقية (22).

والتقابل في النص القرآني يقع بين معانيه كما يقع بين ألفاظه، وهو بين الألفاظ يزيدها لذة وإثارة، وبين المعاني يزيدها قوة ووضوحا، كما يضفي عليها روعة وجمالا (23) .اذن فالحضور القرآني حقيقة لا مراء فيها، وإن هذه الجمالية لم يكن للعقل الانساني استيعابها بسهولة، نظرا لما يتمتع به هذا الحضور من بعد مزدوج تشكل عبر توظيفه في خدمة (التواصلي / الابلاغي) ليتمازجا معا في بوتقة واحدة لم يكن في مقدور أي خطاب أدبي أو تواصلي أن يجاريه فيها (24)، وإذا كان لا نزاع في أن جمالية النص – أي نص – تنشأ انطلاقا من لغته التي تحمل دلالات خطابه، فإن النص القرآني كذلك، غير أن هذه اللغة في النص القرآني تأتي مغايرة عن أي نص آخر. إن الاستخدام الإلهي للمفردة اللغوية في النص القرآني يعطيها الطابع المرجعي الذي يحكم دلالاتها حيثما وجدت في القرآن، وإن هذا لا ينفي عنها أنها جاءت عبر امتدادات جمالية تبرز قوتها التعبيرية في انتقاء المفردات في وضعية تركيبية خاصة تفرض وقعها الدلالي والتعبيري على السياق، مما يجعلها تاخذ بيد المتلقي للانتباه إليها حتى يستجيب لتأثيراتها العميقة (25).

إن المشاهد المتقابلة في الصور القرآنية قد تختلف طولا وقصرا وقد تتساوى فيما بينها (والاختلاف في المشهدين طولا وقصرا ناشئ عن مراعات ما يناسب موضوع السورة والسياق الذي يعرضان فيه. فقد يكون الجو السائد في السورة كلها جو الرضا والرحمة واللطف، فيقتضي لك أن يكون مشهد النعيم أطول، وقد يكون الجو العام في السورة جو الغضب والشدة فيكون التطويل في مشهد العذاب أنسب له) (26).

وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضيع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله فنرى التعبير منسقا متناسقا مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة واحدة مكتملة متكاملة (27).

فضلا عن دوره في تحقيق مظاهر التناسب والتماسك في القرآن الكريم، اذ إنه يجمع بين المعاني وان كانت متخالفة ومتضادة (28)، فالعلاقة الضدية هي التي تبيح التماسك (29)، والضدية ايضا لا تعني الانفصال والتباعد ولا تمنع لصلة بين المعنيين، لأن بين المعنى ومقابله علاقة، والمعنى يستدعي مقابله. هذا الاستدعاء يزيد في جمال الكلام والتنبيه إليه، ويزيد من تماسكه وتآلفه، وكشف علاقاته داخل النص، (30) فكل نسق يقف مقابل نسق آخر تضادا وتشاكلا لينتهي إلى التآلف والتكامل والتناغم في وحدة منسجمة (31)، ينتهي إلى التآلف والتكامل والتناغم في وحدة منسجمة (32)، ولعل لهذا الدور الذي يقوم به التقابل تفسيرا آخر لأسباب كثرته في القرآن الكريم فهو ظاهرة

أسلوبية ودلالية بارزة فيه اعتمد عليها اعتمادا كبيرا، فلا تكاد تخلو سورة منه، بل هناك سور اعتمدت عليه من بدايتها إلى نهايتها (33)، فهو كثير ما يتحدث عن الشيء فيردفه بمقابله، فيجمع في السياق الواحد بين الايمان والكفر، وصفات المؤمنين، وصفات الكافرين، والطاعات والمعاصي، والنور والظلمات، والنفع والضر، ومشاهد النعيم ومشاهد الجحيم ... إلى غير ذلك من الكلمات المتقابلة والفقرات والمواقف والحالات المتنافرة التي يتعمد القرآن الرب بينها. (34)

ومن جهة اخرى فالتقابل وسيلة اقناع فعالة وعنصر حجاج بارز، فكل دعوة تحتاج إلى اقناع وكل اقناع وتأثير يتطلب وسائل لا مندوحة عنها، والقرآن لا يغنيه أنه قرآن عن هذه الوسائل طريقا لأنه لغة وممارسات (35) ويهدف الى تحقيق اهداف اجتماعية وأخلاقية وفكرية وتهذيبية مصدرها الاساس هو الرب عز وجل .

المبحث الثاني

مفارقة المقابلة في القرآن الكريم دراسة تحليلية دلالية

تُعدُّ المقابلة ظاهرة أسلوبية ودلالية بارزة في القرآن الكريم، استند إليها استناداً كبيراً حتى لا تكاد تخلو سورة من سوره منها فكانت ذات مكانة خاصة في أساليبه لها جمالية ثريّة ومتنوّعة لمسناها من طريق الدراسات الجماليّة الحديثة .

وبما أنّ المقابلة كما هو معلوم هي موافقة الكلام ومقابلته بمثله في اللفظ والمعنى على وجه الموافقة أو المخالفة ارتأى البحث تقسيمها على قسمين رئيسين هما :

أولاً: مقابلة الشيء بمثله.

ثانياً: مقابلة الشيء بضده.

وسيفصل البحث لهذين القسمين كلّ بحسب تفريعاته وعلى النحو الآتي:

أولاً: مقابلة الشيء بمثله : ويكون على فرعين هما:

أ-مقابلة المفرد بالمفرد:

ومنه قوله تعالى:﴿ **نسوا الله فنسيهم** ﴾(التوبة/67) ,وهو من باب المقابلة (36). وذهب الشيرازي الى بيان ذلك بقوله:(وهنا نودّ الإشارة إلى أنّ نسبة النسيان إلى الله جلّ وعلا ليست نسبة واقعية وحقيقية . كما هو المعلوم بديهة . بل هي كناية عن معاملة لهؤلاء معاملة الناسي، أي إنّه لا يشملهم برحمته وتوفيقه لأنّهم نسوه في البداية، ومثل هذا التعبير متداول حتى في الحياة اليومية بين الناس، فقد نقول لشخص مثلا: إنّنا سوف ننساك عند إعطاء الأجرة أو الجائزة لأنّك قد نسيت واجبك، وهذا تعبير يعني أنّنا سوف لا نعطيه أجره ومكافأته...وممّا ينبغي الالتفات إليه أنّ موضوع نسيان الله تعالى قد عطف بفاء التفريع على نسيان هؤلاء القوم، وهذا يعني أنّ نتيجة نسيان هؤلاء لأوامر الله تعالى وطغيانهم وعصيانهم هي حرمانهم من مواهب الله ورحمته وعنايته)(37) فجاءت الكناية هنا صيغة من صيغ المفارقة الأسلوبية خرجت على الظاهر إلى الباطن ولم تخرج على الظاهر إلى لازم معنى اللفظ.

ومنه قوله تعالى:﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ**﴾ (النساء/108) في الآية المباركة مقابلة بين فعلين قد تمَّ من خلال حصول المعنى الوظيفي وهو طلب الإخفاء بزيادة الألف والسين والتاء، إخفاء لما فيهم من عيوب ودفعا للتقبيح والاستهجان في الوقت الذي ينسيهم فيه سفههم فالله سبحانه وتعالى مطّلع عليهم لا تخفي عليه خافية .

وهنا يقول ابن كثير :(هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها لأنّه مطّلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم؛ ولهذا قال: { وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا } تهديد لهم ووعيد)(38)

ومنه أيضاً قوله تعالى:﴿ **وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**﴾ (آل عمران/78) ,فالكناية بالهاء والميم في (منهم) راجعة على أهل الكتاب في قوله: (من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار) عند أغلب المفسرين(39) .

وذهب الطباطبائي إلى أنّ سبب تكرار كلمة الكتاب ثلاث مرات في الآية المباركة هو(لدفع اللبس فإن المراد بالكتاب الأول هو الذي كتبوه بأيديهم ونسبوه إلى الله سبحانه، وبالثاني الكتاب الذي أنزله الله تعالى بالوحي، وبالثالث هو الثاني كرر لفظه لدفع اللبس وللإشارة إلى أنّ الكتاب بما أنه كتاب الله أرفع منزلة من أن يشتمل على مثل تلك المفتريات، وذلك لما في لفظ الكتاب من معنى الوصف المشعر بالعلية)(40).والمعنى أن من هؤلاء اليهود فريقاً يلوون ألسنتهم في نطقهم بالكتاب ويحرّفونه عن وجهه الصحيح، ليظن المسلمون أن هذا المحرف الذي لووا به ألسنتهم من كتاب الله الذي أنزله على أنبيائه، والحق أن هذا المحرف ليس من كتاب الله في شيء، وإنّما هو من عند أنفسهم نطقوا به زورا وبهتاناً إرضاء لأهوائهم(41). وأصل اللي الميل يقال : لوى بيده ولوى برأسه إذا أماله. والتوى الشيء إذا انحرف ومال عن الاستقامة إلى الاعوجاج(42).ولي اللّسان كناية تصويرية عن الكذب وتخرص الحديث إذ أنتجت الصورة التعبيرية الكنائية تلك الدلالات المذكورة.

ب-مقابلة الجملة بالجملة :

وفيها يقول ابن الأثير :(اعلم أنّه إذا كانت الجملة من الكلمة مستقبلة قوبلت بمستقبلة وإذا كانت ماضية قوبلت بماضية وربما قوبلت بالمستقبلة والمستقبلة بالماضية إذا كانت إحداهما في معنى الأخرى ...)(43)

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (آل عمران/187 ,188). تضمن سياق الآيتين كثيراً من أفاعيل أهل الكتاب وأقاويلهم ومنها كتمانهم للحق الذي يعلمونه، ولبسه بالباطل، لإحداث البلبلة والاضطراب في مفهوم الدين، وصحة الإسلام، ووحدة الأسس والمبادئ بينه وبين الأديان قبله، وفي تصديقه لها وتصديقها له وقد أنكشف أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ عليهم العهد أن يبينوه للناس، ويبلغوه، ولا يكتموه أو يخفوه وأنهم نبذوا هذا العهد مع الله(44).

وجاءت المفارقة على صورة الكناية من طريق التعبير عنهم بقوله (فَنَبَذُوهُ وراء ظُهُورِهِمْ) كناية عن استهانتهم بالمنبوذ، وإعراضهم عنه بالكلية، وإهمالهم له إهمالا تاماً ؛ لأنّ من شأن الشيء المنبوذ أن يهمل ويترك، كما أن من شأن الشيء الذي هو محل اهتمام أن يحرس ويجعل نصب العين .

وبتوالي سياق الآيتين نقف على معنى قوله: بالثمن القليل وهو ما أخذوه من أموال ومتاع دنيوية من غيرهم مقابل عدم بيانهم لما في الكتاب من حقائق وكتمانهم لذلك إرضاء لشهواتهم وأهوائهم الباطلة .وليس وصف الثمن بالقلة من الأوصاف المخصصة للنكرات، بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصل في مقابل نبذهم لكتاب الله وعهوده، إذ لا يكون هذا الثمن إلا قليلا وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا بجانب رضا الله سبحانه وتعالى.

ونستمر في بيان مجريات السياق نجد أنّ الخطاب في قوله (لاَ تَحْسَبَنَّ) موجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكلّ من يصلح له الخطاب .وأمّا النهي فموجه إلى حسبان أن يكون في هؤلاء الأشرار خير أي أن الله تعالى ينهي نبيه نهياً مؤكداً عن أن يظن خيراً في هؤلاء الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا .

وأشار الزجاج إلى أنّ من عادة العرب أنهم إذا طالت القصة أو الكلام أعادوا لفظ حسب وما أشبهه، للإعلام بأن الذي جرى متصل بالكلام الأول والأول متصل به فتقول: لا تظن زيداً إذا جاءك وكلّمك بكذا وكذا فلا تظنّه صادقاً فيفيد لا تظنن توكيداً وتوضيحاً[45].

وقد استعمل لفظ (يحمدوا) بدل (يشكروا) في سياق الآية أعلاه؛لأنّ الحمد في هذا الموضع أدلّ على مرادهم من حيث أن الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم أمّا الحمد فهو الذكر بالجميل على جهة التعظيم المذكور بهأيضاً لكنه يصحُّ على النعمة وغيرها والشكر لا يصحُّ إلاّ على النعمة.

من هنا نفهم أن المفارقة كانت أكثر دلالة في استعمال لفظ (يحمدوا) بدلاً من (يشكروا) فضلاً عمّا أضافه العسكري من أمر آخر وهو أنّه يجوز أن يحمد الإنسان نفسه في أمور جميلة يأتيها ولا يجوز أن يشكرها ؛ لأنّ الشكر يجري مجرى قضاء الدين ولا يجوز أن يكون للإنسان على نفسه دين فالاعتماد في الشكر على ما توجبه النعمة وفي الحمد على ما توجبه الحكمة(46).

وجاءت المقابلة أيضاً في التعبير عن النجاة من العذاب الأليم، ولكنّهم لم ينجوا منه أبدا، ولذا أكّد الله عزَّ وجلَّ عدم نجاتهم بقوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ذاكراً عذابهم الأليم بالسلب والإيجاب، فنفى أولا أنهم بمنجاة منه، وأخبر ثانيا أنهم واقعون فيه(47) .

ومنه أيضاً قوله تعالى:﴿وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا﴾ (النساء/72).

اشتملت الآية الكريمة على جملة مؤكدات منها : اللام في قوله (لمن) لام توكيد، والثانية لام قسم، ومن في موضع نصب، وصلتها ليبطئن لأن فيه معنى اليمين، والخبر منكم وذلك لبيان أنّ المنافقين لا يتركون فرصة مواتية من دون أن يبثوا سمهم على المؤمنين، وأنهم عازمون على إضعاف إرادة المجاهدين وإصرارهم، وحملهم أن يكونوا مع القاعدين كما هو شأن المنافقين.

وهذا ما أكّده الفرّاء بقوله: (ودخلت اللام في قوله: (لمن)، وفتحت، لأنها اللام التي تدخل توكيدًا للخبر مع (إنَّ)، كقول القائل: إنّ في الدار لَمَن يكرمك. وأما اللام الثانية التي في(ليبطئن)، فدخلت لجواب القسم، كأنّ معنى الكلام: وإن منكم أيها القوم لمن والله ليبطئن)(48).

وبوقوفنا على مجموعة الجمل المتكوّن منها سياق الآية المباركة نجد إنّ: جملة (إنّ منكم لمن...) لا محل لها استئنافية ,وجملة (القسم المقدرة وجوابها) لا محل لها صلة الموصول (من),وجملة (يبطئنّ) لا محل لها جواب القسم المقدر ,وجملة (أصابتكم مصيبة) لا محل لها معطوفة على الاستئنافية, وجملة (قال...) لا محل لها جواب شرط غير مقترنة بالفاء, وجملة (قد أنعم اللّه...) في محل نصب مقول القول ,وجملة (لم أكن معهم شهيدا) في محل جر بإضافة (إذ) إليهاتكون جملاً مترابطة تحوي عنصر الحذر والترقب ومحاولة النيل من المجاهدين والذي أضفى جواً ثقيلاً متباطئاً من خلال ألفاظ معينة منها لفظة (ليبطئن)التي وصفها سيد قطب بأنها(مختارة هنا بكل ما فيها من ثقل وتعثر؛ وإن اللسان ليتعثر في حروفها وجرسها، حتى يأتي على آخرها، وهو يشدها شداً؛ وإنها لتصور الحركة النفسية المصاحبة لها تصويراً كاملاً بهذا التعثر والتثاقل في جرسها)(49).

وأضاف الطوسي بأنّ قوله تعالى:(وان منكم لمن ليبطئن خطاب للمؤمنين,وإنّما أضاف المنافقين إليهم لأمرين: أحدهما :إنّ من عدادكم ودخلائكم, الثاني: أي منكم في الحال الظاهرة، أو حكم الشريعة من حقن الدم، ونحو ذلك من الموارثة، والمناكحة. واللام الأولى لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم، والثانية لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التأكيد. وتقديره إن منكم لمن حلف بالله ليبطئن. وإنّما جاز صلة (من) بالقسم، ولم يجز بالأمر والنهي ؛لأنّ القسم خبر يوضّح الموصول، كما يوضّح الموصوف في قولك: مررت برجل لتكرمنه، لأنّه خصّصه بوقوع الإكرام به في المستقبل من كلّ رجل غيره. وليس كذلك)(50)

وخلُص البحث من ذلك إنّ المفارقة أدخلت إلى بنيتها التركيبية مجموعة من الحروف – بغض النظر عن دلالاتها– والمثيرات الأسلوبية التي بلغت المغزى والهدف من وجودها فالمفارقة أداةأسلوبية فعّالة وظيفتها تنمية قوى التماسك الدلالي للنص أنّى كان.

ومثالها أيضاً قوله تعالى:﴿**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ (الأعراف/195) , والمفارقة في هذه الآية مفارقة الإيهام من خلال استعمال الضمير (هم) المتكرر فيها : (ألهم أرجل) و (أم لهم أيد) و(أم لهم أعين) و(أم لهم آذان) جاء للأصنام فأجرى عليها ضمير العاقل وهذا التكرار يعدُّ ميزة من مزايا التماسك الشكلي للنص .

وهذه الآية جاءت (تأكيدا لما تضمنته الجملة قبلها من أمر التعجيز وثبوت العجز ؛ لأنّه إذا انتفت عن الأصنام أسباب الاستجابة تحقّق عجزها عن الإجابة، وتأكّد معنى أمر التعجيز المكنى به عن عجز الأصنام وعجز عبدتها، والاستفهام إنكاري وتقديم المسند على المسند إليه للاهتمام بانتفاء الملك الذي دلّت عليه اللام)(51).

وجاء وصف الأرجل بـ(يمشون) والأيدي بـ(يبطشون) والأعين بـ(يبصرون) والآذان بـ(يسمعون) إمّا لزيادة تسجيل العجز عليهم فيما يحتاج إليه الناصر، أو لأنّ بعض تلك الأصنام كانت مجعولة على صور الآدميين مثل هبل، وذي الكفين، وكعيب على صور الرجال، وسواع على صورة امرأة، فإذا كان لأمثال أولئك صور أرجل وأيد وأعين وآذان، فإنها عديمة العمل الذي تختص به الجوارح، فلا يطمع طامع في نصرها، وخص الأرجل والأيدي والأعين والآذان، لأنها آلات العلم والسعي والدفع للنصر، ولهذا لم يذكر الألسن لما علمت من أن الاستجابة مراد بها النجدة والنصرة، ولم يكونوا يسألون عن سبب الاستنجاد، ولكنهم يسرعون إلى الالتحاق بالمستنجد(52) .وقد ((أُتبع بعض الاستفهامات بعضاً بحرف (أم) المنقطعة التي هي هنا للإضراب الانتقالي كشأنها إذا عطفت الجمل الاستفهامية فإنها إذا عطفت الجمل لم تكن لطلب التعيين كما هي في عطف المفردات لأن المتعاطفات بها حينئذٍ ليست مما يطلب تعيين بعضه دون بعض، وأما معنى الاستفهام فملازم لها لأنه يقدر بعد (أم) . والانتقال هنا تدرج في عدّ أخلاقهم. فالمعنى أنه إن سأل سائل عن اتصافهم بخُلق من هذه المذكورات علم المسؤول أنهم متصفون به، فكان الاستفهام المكرر ثلاث مرات مستعملاً في التنبيه مجازاً مرسلاً)(53).

وجيء إلى جانب هذا الاستفهام الجملة الاسمية للدلالة على ثبات المرض في قلوبهم وتأصله فيها بحيث لم يدخل الإيمان في قلوبهم .وبالجملة الفعلية المفيدة للحدوث والتجدد، أي حدث لهم ارتياب بعد أن اعتقدوا الإيمان اعتقاداً مزلزلاً. وهذا يشير إلى أنهم فريقان : فريق لم يؤمنوا ولكنهم أظهروا الإيمان وكتموا كفرهم، وفريق آمنوا إيماناً ضعيفاً ثم ظهر كفرهم بالإعراض. وجيء في جانبه بالفعلين المضار عين للإشارة إلى أنه خوف في الحال من الحيف في المستقبل كما يقتضيه دخول (أن)، وهي حرف الاستقبال، على فعل (يحيف). فهم خافوا من وقوع الحيف بعد نشر الخصومة فمن ثمة أعرضوا عن التحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

وأسند الحيف إلى الله ورسوله بمعنى أن يكون ما شرعه الإسلام حيفاً لا يظهر الحقوق(54).

وجاء في البحر المحيط أنّ الاستفهام في الآية الكريمة هو(استفهام إنكار وتعجيب وتبيين أنهم جماد لا حراك لهم وأنهم فاقدون لهذه الأعضاء ومنافعها التي خلقت لأجلها فأنتم أفضل من هذه الأصنام... و(أم هنا منقطعة فتقدّر ببل والهمزة وهو إضراب على معنى الانتقال لا على معنى الأبطال وانّما هو تقدير على نفي كلّ واحدة من هذه الجمل وكان ترتيب هذه الجمل هكذا لأنه بدىء بالأهم ثم أتبع بما هو دونه إلى آخرها)(55).

ثانياً :مقابلة الشيء بضده

وتكون على فرعين هما:

أ- مقابلة في اللفظ والمعنى.

ب- مقابلة في المعنى دون اللفظ.

وتباعاً سيوضّحهما البحث بالتفصيل وعلى النحو الآتي :

أ- مقابلة في اللفظ والمعنى :

قال ابن أبي الإصبع المصري:(صحّة المقابلات عبارة عن تَوخّي المتكلّم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على التّرتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثّاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق، ومتى أخلّ بالترتيب كان الكلام فاسدَ المقابلة، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد)(56).

ومن مقابلة اللفظ والمعنى قوله تعالى:﴿**فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون**﴾ (التوبة /83) قد خرج الخبر في صورة الأمر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به؛ وذلك لأنّ صيغة الأمر للوجوب في الأصل والأكثر، فاستعمل في لازم معناه(57).ويعلل أبو السعود سبب ذلك بقوله: (وإخراجُه في صورةِ الأمرِ للدِلالية على تحتم وقوعِ المُخبَرِ به، فإن أمرَ الآمرِ المطاع مما لا يكاد يتخلّف عنه المأمورُ به خلا أن المقصودَ إفادتُه في الأول هو وصفُ القِلة فقط وفي الثاني وصفُ الكثْرةِ مع الموصوف)(58).

في حين ذهب أغلب المفسرين إلى أنّ لفظه الأمر لكن معناه التهديد(59).

وأشار السمرقندي إلى أنّ لفظه أيضاً الأمر ويراد به التوبيخ(60). والبعض الآخر يرون وروده بصيغة الأمر إلاَّ أنَّ معناه الإخبار بأنّه ستحصل هذه الحالة، بدليل قوله تعالى بعده (جزاء بما كانوا يكسبون)(61).

وخلُص البحث أن المفارقة تمّت بمعانٍ مختلفة على حسب ما يراه المتلقي وفهمه للنص القرآني ما بين الإخبار والتهديد والتوبيخ فكانت أداةً أسلوبية فعّالة لهذه المعاني.

ووجد البحث أنّ المقابلة الموجودة في الآية الكريمة هي بين الضحك والبكاء وبين قليل وكثير ,وأن ّالضحك كناية عن الفرح، والبكاء كناية عن الغم، وأن تكون القلة عبارة عن العدم، والكثرة عبارة عن الدوام.

وظهر في كلمتي:قَلِيلاً وكَثِيراً وجهان: الأول: أنَّهما منصوبان على المصدر، أي:ضحكاً قليلاً وبكاءً كثيراً؛ فحذف الموصوفَ، وهو أحدُ المواضع المُطَّرِدِ فيها حذفُ الموصوف وإقامةُ الصفة مقامه

والثاني : أنَّهما منصوبان على ظرفي الزمان، أي : زماناً قليلاً، وزماناً كثيراً والأول أولى؛ لأنَّ الفعل يدلُّ على المصدر بشيئين : بلفظه ومعناه، بخلاف ظرف الزمان فإنه لا يدلُّ عليه بلفظه، بل بهيئته الخاصَّةِ(62) .

فقوله تعالى (جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)جمعُ فيه بين صيغتي الماضي والمستقبلِ للدلالة على الاستمرار التجدّدي ما داموا في الدنيا، وجزاءً مفعولٌ له للفعل الثاني أي ليبكوا جزاءً أو مصدرٌ حُذف ناصبُه أي يُجزَون بما ذكر من البكاء الكثيرِ جزاءً بما كسبوا من المعاصي والذنوب .

ومنه أيضاً قوله تعالى :﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة/ 273) .

فالمقابلة هنا ليس الجهل ضد العقل أو العلم وإنّما ضد الخبرة والاختبار، فنقول : يحسبهم من لم يختبر أمرهم أغنياء .

فقد أظهرت المفارقة جماليات المقابلة هذه عندما عرضت موضوعاتها وهي:التعفف عند الفقراء حين يبدون وكأنّهم أغنياء من جرّاء الحياء وعدم السؤال.

والتي وصفها سيد قطب بقوله: (صورة تستجيش المشاعر، وتحرك القلوب لإدراك نفوس أبية بالمدد فلا تهون، وبالإسعاف فلا تضام، وهي تأنف السؤال وتأبى الكلام. لقد كان هذا الوصف الموحي ينطبق على جماعة من المهاجرين، تركوا وراءهم أموالهم وأهليهم؛ وأقاموا في المدينة ووقّفوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، وحراسة رسول الله كأهل الصفة الذين كانوا بالمسجد حرساً لبيوت الرسول لا يخلص إليها من دونهم عدو. وأحصروا في الجهاد لا يستطيعون ضرباً في الأرض للتجارة والكسب وهم مع هذا لا يسألون الناس شيئاً متجملون يحسبهم من يجهل حالهم أغنياء لتعففهم عن إظهار الحاجة؛ ولا يفطن إلى حقيقة حالهم إلا ذوو الفراسة)(63).

في حين أخرج الرازي معنى المفارقة الى التنبيه على سوء طريقة من يسأل الناس بعده أداة من أدواتها الأسلوبية إذ إنّ المعاني التي تخرج إليها المفارقة سواء التهكم أو الاستهزاء أو التنبيه أو السخرية تعدُّ من العوامل المهمة التي تؤدي إلى تغيير الدلالة وقلب المعنى الأصلي إلى ضده أحيانا.

إذ يقول :(ليس المقصود من قوله (لا يسألون الناس إلحافاً) وصفهم بأنهم لا يسألون الناس إلحافاً، وذلك لأنّه تعالى وصفهم قبل ذلك بأنهم يتعففون عن السؤال، وإذا علم أنهم لا يسألون البتة فقد علم أيضاً أنهم لا يسألون إلحافاً، بل المراد التنبيه على سوء طريقة من يسأل الناس إلحافاً، ومثاله إذا حضر عندك رجلان أحدهما عاقل وقور ثابت، والآخر طياش مهذار سفيه، فإذا أردت أن تمدح أحدهما وتعرض بذم الآخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام، لا يخوض في الترهات، ولا يشرع في السفاهات، ولم يكن غرضك من قولك، لا يخوض في الترهات والسفاهات وصفه بذلك ؛ لأنّ ما تقدّم من الأوصاف الحسنة يغني عن ذلك، بل غرضك التنبيه على مذمة الثاني وكذا هاهنا قوله (لاَ يسألون الناس إلحافاً) بعد قوله (يَحْسَبُهُمُ الجاهل أَغْنِيَاء مِنَ التعفف) الغرض منه التنبيه على من يسأل الناس إلحافاً وبيان مباينة أحد الجنسين عن الآخر في استيجاب المدح والتعظيم)(64).

ب–مقابلة في المعنى دون اللفظ:

ومنه قوله تعالى:﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ**

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف/54)

ورد في هذه الآية الكريمة تقابل كوني متمثل بالسموات والأرض إذ قدّمت السموات على الأرض، وهذا راجع إلى أنّها من الدلائل المذهلة والكبيرة في عظيم الصنعة الخالقية فـ(السموات والأرض لا تشكل تقابلاً لفظياً مباشراً لأن العلاقة بينهما علاقة تنافر وإنّما يكمن التضاد بما يفرزانه من مفردات معنوية لكلٍّ من الطرفين يتمثل بـ(فوق وتحت) أو (أسفل وأعلى) أو (القصوى والدنيا) ويتوالى التقابل الذي وظّف ... لبيان الصفات الإلهية التي في ضديها تعكس الكمال والتي ثبتت آثارها من دلائل القدرة أرضاً وسماء)(65).

إنّ مقابلة التضاد اللفظية والمعنوية بين (السماوات والأرض) وبين (الليل والنهار) التي اجتمعت في الآية الكريمة تصرِّح بكمال الله سبحانه وتعالى وجلاله وقدرته الهائلة؛ لأنها دخلت في التقابلات الخاصة بالصفات الإلهية وهي :قولُه(الذي خلق السموات والأرض) وهي صفة لاسم الجلالة , وصفة الاستواء في قوله (اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) وقوله(يغشي الليل النهار) وهي من الصفات الفعلية التي لم تشتق من الأسماء,وكذلك الصفات المشتقة من أسماء الله الواردة في القرآن مثل (الله) الذي يتضمن صفة الألوهية و(الرب) المتضمن صفة الربوبية.

ابتدأ النص الكريم بجملة استئنافية ابتدائية في قوله(إن ربكم الله) لتهيئة الأسماع والقلوب على أنّ الله إله واحد، وأنّ آلهة المشركين ضلال وباطل، ثمّ لِبيان عظيم قدرته ومجده لذلك استؤنف بهذه الجملة للتّذكير بصدر السّورة في قوله : (ولا تتبعوا من دونه أولياء)(الأعراف/ 3)، فكان ما في صدر السّورة بمنزلة المطلوب المنطقي، وكان ما بعده بمنزله البرهان، وكان قوله : (إن ربكم الله) بمنزلة النّتيجة للبرهان، والنتيجة مساوية للمطلوب إلاّ أنّها تؤخَذُ أوضحَ وأشد تفصيلاً .فالخطاب موجّه إلى المشركين ابتداء، ولذلك كان للتّأكيد بحرف (إنّ) موقعه لرد إنكار المشركين انفراد الله بالرّبوبية؛ لأنّه يفيد الاهتمام بالخبر، لأنّ فيه حظاً للفريقين(66).

وقد كان للفعلين (استوى ويغشي) دلالة واضحة الأثر في الآية الكريمة فالاستواء له معان متفرّعة عن حقيقته، أشهرها القصد والاعتلاء، وقد التُزم هذا اللّفظ في القرآن مسنداً إلى ضمير الجلالة عند الإخبار عن أحوال سماوية إذ كان لهذا الفعل خصوصيّة في كلام العرب كان بِسببها أجدرَ بالدّلالة على المعنى المرادِ تبليغُه مجملاً ممّا يليق بصفات الله ويقرّب إلى الإفهام من معنى عظمته، ولذلك اختِير في هذه الآية دون غيره من الأفعال .وأضاف حرف العطف (ثم) دلالة أخرى للتركيب فقد دلّت (ثُمّ) في قوله :(ثم استوى على العرش) على التّراخي الرّتبي أي وأعظم من خلق السّماوات والأرض استواءه على العرش، تنبيهاً على أنّ خلق السّماوات والأرض لم يحدث تغييراً في تصرّفات الله بزيادة ولا نقصان، ولذلك ذكر الاستواء على العرش عقب ذكر خلق السّماوات والأرض في آيات كثيرة)(67).

أمّا الفعل يُغْشِي فمجيء الغين مع الشين فاء وعينا للفعل كان مفيداً معنى متشابهاً أو متقارباً يفيد الستر والتغطية .والغشي مستعار للإخفاء، لأنّ النّهار يزيل أثر اللّيل واللّيل يزيل أثر النّهار، ومن بديع الإيجاز ورشاقة التّركيب : جعل الليل والنّهار مفعولين لفعل فاعل الإغشاء، فهما مفعولان كلاهما صالح لأن يكون فاعل الغشي، ولهذا استغنى بقوله : (يغشى الليل النهار) عن ذكر عكسه ولم يقل : والنّهار اللّيل لكن الأصل في ترتيب المفاعيل في هذا الباب أن يكون الأوّلُ هو الفاعل في المعنى،ويجوز العكس إذا أمِن اللّبس، وبالأحرى إذا استوى الاحتمالان(68)

ومثاله أيضاً قوله تعالى:﴿فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرحْ صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصَّعَّدُ في السماء﴾ (الأنعام /125)

فالمقابلة اللفظية جاءت في كلمتي (يهدي , ويضل) والمقابلة المعنوية في قوله (يشرح صدره) مع قوله (يجعل صدره ضيقاً حرجاً) وهذا ما أكّده الطباطبائي بقوله:(الإضلال مقابل الهداية، ولذا كان أثره مقابلا لأثرها وهو التضييق المقابل للشرح والتوسعة وأثره أن لا يسع ما يتوجه إليه من الحق والصدق، ويتحرج عن دخولهما فيه، ولذا أردف كون الصدر ضيقا بكونه حرجا)(69)

وجاء في البحر المحيط (والهداية هنا مقابلة الضلالة والشرح كناية عن جعله قابلاً للإسلام متوسعاً لقبول تكاليفه، ونسبة ذلك إلى صدره مجاز عن ذات الشخص ولذلك قالوا : فلان واسع الصدر إذا كان الشخص محتملاً ما يرد عليه من المشاق والتكاليف، ونسبة إرادة الهدى والضلال إلى الله إسناد حقيقي لأنه تعالى هو الخالق ذلك والموجد له والمريد له وشرح الصدر تسهيل قبول الإيمان عليه وتحسينه وإعداده لقبوله ... والضيق والحرج كناية عن ضد الشرح واستعارة لعدم قبول الإيمان والحرج الشديد الضيق)(70)

الخاتمة

1- تسهم المقابلة في النص القرآني في زيادة اللذة والإثارة لدى المتلقى عندما يمخر في عباب الفاظه فتزيدها جزالة وجمال على ما فيها منهما، والمعاني تزيدها قوة ووضوحا وحجاجا .

2- التقابل وسيلة إقناع فعالة وعنصر حجاج بارز، فكل دعوة تحتاج إلى اقناع وكل اقناع وتأثير يتطلب وسائل لا مندوحة عنها.

3- أظهر البحث جمالية المقابلة والهدف الذي ترمي إليه في النص القرآني مستندين في ذلك إلى أنها من ابرز أوجه التناسب البياني في القرآن الكريم وأهمها في دراسة الجانب الجمالي الفني فيه.

4- كان للمقابلة الأثر الكبير في النص القرآني سواء من جهة الألفاظ التي زادتها حسناً وبهاءً أم من جهة المعاني التي أضفت عليها الوضوح والقوة والمتانة.

5- برز البحث القيمة الفنية للمفارقة بما انطوت تحتها من معانٍ متعددة وصور مختلفة منها: الكناية والمجاز والتضاد والتهكم والتوبيخ والتهديد والإخبار وغيرها .

6- وجد البحث أنّ المقابلة ظاهرة دلالية وأسلوبية بارزة في القرآن الكريم بعدّها وسيلة لإقناع النفوس والتأثير فيها .

الهوامش :

(1) لسان العرب : مادة (فرق).

(2) المفارقة بنية الاختلاف الكبرى، سناء هادي عباس : مجلة كلية التربية الاساسية، العدد السادس والاربعون، 2006 : 93.

(3) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : 162.

(4) ينظر / فضاء متخيل مقاربات في الرواية : 156.

(5) ينظر / قواعد الشعر : 64، و نقد الشعر : 162.

(6) كتاب العين، أبو الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزمي ت أبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د، ت، ج5: 166.

(7) مختار الصحاح : 332.

(8) لسان العرب : مادة (قابل)

(9) ينظر : الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي : تح : عبد الرؤوف سعيد، المكتبة الوقفية، القاهرة، د، ط، 3/ 226.

(10) الطباق في القرآن الكريم (دراسة بلاغية):2.

(11) ينظر: بديع القرآن: 56.

(12) التقابلات الدلالية في العربية والانجليزية : 3.

(13) بناء الاسلوب في شعر الحداثة ، محمد عبد المطلب، : 149.

(14) لغة التظاد في شعر أمل دنقل، عاصم محمد امين، دار صفاء، عمان، الاردن، ط1، 2005، : 43.

(15) مراتب الحجاج وقياس التمثيل، طه عبد الرحمن، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة سيدي محمد عبد الله، فاس، المغرب، العدد :9، سنة 1987: 18.

(16) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي:196-195.

(17) التداولية والحجاج:52.

(18) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي : 196.

(19) منهاج البلغاء وسراج الادباء ، حازم القرطاجني، تح : محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1981، / 44- 45.

(20) كلام الله الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية، محمد كريم الكواز، ار الساقي، ببيروت، ط1، 2002، / 42.

(21) اسرار التشابه الاسلوبي : 232.

(22) البلاغة العربية البيان والبديع، طالب محمد الزوبعي – ناصر حلاوي / 139.

(23) التقابل اللفظي في القرآن الكريم دراسة دلالية :، يونس عبد مرزوك،

(24) النقد الادبي دراسة نقدية وأدبية حول اعجاز القرآن، صلاح الدين محمد عبد التواب، دار الكتاب الحديث، الكتاب الثالث، القاهرة، 2003/ 7.

(25) جمالية الخطاب في النص القرآني : 171

(26) التناسب البياني في القرآن ، أبو زيد أحمد، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م، : 157.

(27) ينظر : التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمان، 2006، /53.

(28) ينظر : التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية : 48.

(29) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000، 2/ 147.

(30) ينظر: التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية : 48.

(31) ينظر: التقابل الجمالي، حسن جمعة : 154.

(32) ينظر : التقابل الجمالي /154.

(33) التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية : 42.

(34) المصدر نفسه :48.

(35) من تجليات ال، حمادي صمود، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 1999، / 92.

(36) ينظر: البحر المديد2/453 , تفسير اللباب 1/43 ,عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ 3/179

(37) تفسير الأمثل 6/156

(38) تفسير ابن كثير 2/34

(39) ينظر:تفسير الطبري6/576, تفسير الميزان 3/167, الوسيط لسيد طنطاوي/678

(40) تفسير الميزان 3/167

(41) ينظر: الوسيط /678

(42) ينظر: المصدر نفسه /677

(43) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ابن الأثير 2/257

(44) ينظر:في ظلال القران2/178

(45) ينظر: الوسيط /822 ,التحرير والتنوير 14/67

(46) ينظر:الفروق في اللغة /39 , 40

(47) ينظر: الوسيط /8239

(48) ينظر: معاني القرآن للفراء 1/ 275، 276

(49) في ظلال القران 2/20

(50) التبيان في تفسير القرآن 3/239

(51) التحرير والتنوير 6/48

(52) ينظر : المصدر نفسه 6/49

(53) التحرير والتنوير 10/18

(54) ينظر:التحرير والتنوير 10/18

(55) تفسير البحر المحيط6/16

(56) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الأصبع 2/179

(57) ينظر :الجدول في إعراب القرآن 10/ 407

(58) تفسير أبي السعود 3/153

(59) ينظر: مجمع البيان 5/85,زاد المسير 3/333, النكت والعيون 2/43

(60) بحر العلوم السمرقندي2/254

(61) ينظر:تفسير الرازي8/180,تفسير اللباب 8/344

(62) ينظر:تفسير اللباب 8/344

(63) في ظلال القرا ن1/764

(64) تفسير الرازي4/21

(65) التقابل اللفظي في القران الكريم دراسة دلالية :يونس عبد مرزوك /23

(66) ينظر: التحرير والتنوير 6/432

(67) المصدر نفسه 6/433

(68) ينظر: التحرير والتنوير6/239 , تفسير البغوي6/320.

(69) تفسير الميزان 7/174

(70) تفسير البحر المحيط 5/348 ,وينظر: التحرير والتنوير 12/239 ,المحرر الوجيز 2/467

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي : تح : عبد الرؤوف سعيد، المكتبة الوقفية، القاهرة، د،ط، ، 3/ 226.
2. اسرار التشابه الاسلوبي، شلتاغ عبود، دار المحجة البيضا للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003.
3. أسلوبية الحجاج التداولي، تنظير وتطبيق على السور المكية، ، دمثنى كاظم صادق، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2015.
4. البحر المحيط: أثير الدين أبو حيان الأندلسي ,تحق ماهر حبوش , الرسالة العالمية
5. البحر المديد : ابن عجيبة , مطبعة المنيرية , النهضة , مصر / 1980
6. بديع القرآن، ابن ابي الصبع المصري (ت 645هـ) تح : أحمد مطلوب و خديجة الحديثي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2010.
7. البلاغة العربية البيان والبديع، طالب محمد الزوبعي – ناصر حلاوي، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، 1996.
8. بناء الاسلوب في شعر الحداثة التوين الحديثي ، محمد عبد المطلب، دار المعارف، ط1، 1995.
9. التبيان في تفسير القرآن :أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي تحقيق وتصحيح أحمد حبيب ,قصير العاملي د.ت.
10. تحريرالتحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الأصبع، تقديموتحقيق: حفني محمد شرف، الجمهوريةالعربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ط، د .ت
11. التحرير والتنوير :ابن عاشور , مكتبة الرسالة , مصر / 1978 .
12. التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر حباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008.
13. التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمان، ط4، 2006.
14. تفسير ابن كثير وهو تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي , تحق سامي بن محمد سلامة,ط2,دار طيبة للنشر والتوزيع/ 1420هـ - 1999 م
15. تفسير أبي السعود المعروف بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ,مكتبة الحلبي , مصر/1988م
16. تفسير الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل :الشَيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي,
17. تفسير اللباب: ابن عادل, دار المعارف، مصر، 2000م.
18. تفسير الميزان: العلامة الطباطبائي منشورات دار الروضة , بغداد /1988م
19. التقابل الجمالي في النص القرآني، حسن جمعة، دار نمير للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.
20. التقابل اللفظي في القرآن الكريم دراسة دلالية :، يونس عبد مرزوك، د،ت، د،ط.
21. التقابل في القرآن الكريم بين الجمالية والدلالية، علي زيتونة مسعود، اطروحة دكتوراه، كلية اللغة والادب العربي والفنون، الجزائر، 2016.
22. التقابلات الدلالية في العربية والانجليزية، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط1، 2004.

23. التناسب البياني في القرآن ، أبو زيد أحمد، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1992م، : 157.

24. جمالية الخطاب في النص القرآني،قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2014.

25. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي ابراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000، 2/ 147.

62. –عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ:أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756 هـ) ,تحق محمد باسل عيون السود,ط1, دار الكتب العلمية/ 1417 هـ – 1996م.

27. فضاء متخيل مقاربات في الرواية، حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر – الجزائر، ط1، 2002

82. –في ظلال القرآن : سيد قطب ,دار إحياء التراث العربي , بيروت

29. قواعد الشعر، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت 291 هـ)، تح : رمضان عبد التواب، دار المعرفة، القاهرة – مصر، 1966 م.

30. كتاب العين، أبو الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزمي ت أبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د، ت، ج5: 166.

31. كلام الله الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية، محمد كريم الكواز، ار الساقي، بييروت، ط1، 2002،

32. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ط2، 1980 م.

33. لغة التظاد في شعر أمل دنقل، عاصم محمد امين، دار صفاء، عمان، الاردن، ط1، 2005، : 43.

34. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ابن الأثير أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي, تحق : محمد محيي الدين عبد الحميد ,المكتبة العصرية , بيروت / 1995

53. –مجمع البيان: أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي, دار الحامد للنشر والطباعة , عمان /2001 م

36. مراتب الحجاج وقياس التمثيل، طه عبد الرحمن، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة سيدي محمد عبد الله، فاس، المغرب، العدد :9، سنة 1987.

37. معاني القرآن للفراء, دار الرسالة , مصر / 1993

38. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة :. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتفسير ومقارنة)، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبرس، الدار البيضاء – المغرب، ط1، 1985 م.

39. المفارقة بنية الاختلاف الكبرى، سناء هادي عباس : مجلة كلية التربية الاساسية، العدد السادس والاربعون، 2006

40. من تجليات الحداثة، حمادي صمود، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 1999 .

41. منهاج البلغاء وسراج الادباء ، حازم القرطاجني، تح : محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1981.

42. النقد الادبي دراسة نقدية وأدبية حول اعجاز القرآن، صلاح الدين محمد عبد التواب، دار الكتاب الحديث، الكتاب الثالث، القاهرة، 2003.

43. الوسيط: محمد سيد طنطاوي ,ط1,مكتبة الثقلين , مصر /1999م.

باب العلوم الاجتماعية:

1-مفهوم الخراج عند أبي يوسف

أ.م.د بهمن صالح محمد

جامعة السليمانية التربية الأساس/ قسم العلوم الاجتماعية

bahman.mohammad@univsul.edu.iq

Introduction

the middle of the second century of the Hijrah, the Muslims had reached East Sindh and Andalusia to the west, which led the fifth Abbasid caliphs Harun al-Rashid (149-193 AH) to say when he saw passing clouds "rain where you will, so your outwardness is mine" and this expansion encouraged Statesmen and their successors to think about organizing their administration and controlling their affairs, and providing justice to every citizen of the Abbasid state, so Caliph Harun al-Rashid asked Judge Abu Yusef to write a juristic book, in which he organizes the problems the state faces in its dealings with lands and properties of open areas. He had what he wanted, and so I born the book of the abscess, so it was the first legal book in the history of Islamic legislation, so this book became able to know the ruling that the judge will issue before he issues his ruling.

المقدمة:

بعد استقرار حركة الفتوحات الإسلامية منذ منتصف القرن الثاني للهجرة، كان المسلمون قد وصلوا إلى السند شرقا والأندلس غربا، مما دفع بخامس الخلفاء العباسي هارون الرشيد(149- 193هـ) الى القول لما رأى سحبا عابرة « أمطري حيث شئت فإن خراجك لي»، وهذا الاتساع شجع رجال الدولة وخلفاءها على التفكير في تنظيم إدارتها وضبط شؤونها، وتوفير العدالة لكل مواطن في الدولة العباسية، لذا طلب الخليفة هارون الرشيد من القاضي أبي يوسف أن يؤلف كتابا فقهياً، ينظم فيه الاشكاليات التي تواجهها الدولة في تعاملها مع الاراضي وممتلكات المناطق المفتوحة. فكان له ما أراد فولد بذلك كتاب الخراج فكان أول كتاب قانوني في تاريخ التشريع الاسلامي بحيث أصبح هذا الكتاب قادراً على معرفة الحكم الذي سيصدره القاضي قبل أن يصدر حكمه.

من هنا جاء أبو يوسف القاضي و الفقيه الاسلامي ليبرز ذلك الجانب في كتابه «الخراج» حيث نروم أن يكون موضوع دراستنا، فنقسمه الى ثلاثة مباحث: نتناول في المبحث الأول نبذة عن حياة القاضي أبي يوسف، ويتضمن المبحث الثاني دوافع اهتمام أبي يوسف بالخراج و سبب اقدامه على الكتابة عنه و دراسة أحكامه، وجاء المبحث الثالث ليحتوي مفهوم الخراج و معناه و الى جانبه الإشارة الى أنواع الخراج كما هو وارد عند أبي يوسف، بالاضافة الى أشكال الأرض و تقسيماتها وفق الخطوط التي وضعها أبو يوسف لزيادة انتاجية الأرض، مع التفاته الى الجوانب الإدارية والمالية للدولة

العباسية. وختمنا البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهم ما توصلنا اليها من خلال كتابتنا في هذا الموضوع.

فنرجو من الله أن ينال البحث إعجابكم، ونستطيع من خلاله إغناء مؤتمركم الموقر بما نعرضه من المعلومات في هذا المجال المشار إليه، وأن يوفقنا لما تحبه وترضاه...

المحور الأول: نبذة عن حياة أبي يوسف:

هو القاضي يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الأنصاري، المشهور بأبي يوسف[643]، فأبو يوسف عربي الأصل يرجع الى الأوس من الأنصار، وكان يعتز بهذا النسب كثيراً، ويدافع عن الأنصار ويطلب مودة الخلفاء ويقضي حاجاتهم [644].

مولده: تذكر معظم المصادر أن أبا يوسف ولد عام 113هـ وكان هذا التاريخ مثار تحقيق و تدقيق من الباحثين[645].

شيوخه: نشأ أبو يوسف فى الكوفة عاصمة الدولة الأسلامية يوم كانت مركزاً عالمياً تتجه اليه الأقطار، وأخذ الناس يؤمونها ويقصدون مسجدها الكبير ويأخذون من علمائها الفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والأدب. وفي هذه العاصمة وفي هذا الجو العلمي اتصل أبو يوسف بكثيرين في مطلع حياته العلمية، وأثناء تحصيله حتى استوى عوده وصار علماً من أعلام الفكر، وكان لهؤلاء الشيوخ أثر كبير في تكوين الفكري، ومن هؤلاء الأعلام، محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، والامام أبو حنيفة، و عطاء بن السائب، والليث بن سعد، كما اتصل بالامام مالك وأخذ عنه الفقه والحديث[646].

مكانته في الفقه الحنفي: وقد عد أبو يوسف من طبقة المجتهدين في المذهب، لا من طبقة المجتهدين المستقلين، وهذا الكلام فيه نظر، فإن أبا يوسف ومحمد أو زُفر أو غيرهم من الأصحاب كانوا مستقلين في تفكيرهم الفقهي كل الاستقلال، وما كانوا مقلدين لشيوخهم، فأبو يوسف درس على يد أبي حنيفة، وتلقى عليه طريقة اجتهاده، فوافقه في بعضها واختلف معه في بعضها، وما كانت الموافقة عن تقليد بل عن اقتناع و استدلال، وتصديق للدليل، وما ذلك شأن المقلد، فأبو يوسف لم يكتف بما درسه على شيخه بل لزم أهل الحديث وأخذ عنهم أحاديث كثيرة. وهو مجتهد مستقل كل الاستقلال، وله مثل ما لشيخه من آراء، وكان للشيخ فضل السبق والتقديم[647].

تلامذته: كان أبو يوسف عالما فقيها له منزلة علمية كبيرة ومكانة عالية ودرجة عظيمة بين العامة و الخاصة، وكان لهذه المنزلة أثر كبير في نفوس الناس، ولاسيما العلماء مما جعل كثيرا من التلاميذة يقبلون على مجالسه و حلقاته الدراسية، ومن هؤلاء التلاميذ الأعلام: الإمام أحمد بن

(643) الدارطني،**أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي، ت 385هـ،** المؤتلف والمختلف، **تحق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1406هـ/ 1986م،ج2، ص**876، ابن ماكولا، **أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر ت: 475هـ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط 1، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، 1411هـ/ 1990م، ج1،ص199، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: 748هـ، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، ط3، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد الدكن بالهند، 1408هـ/1988م، ص58.**

(644) المكي، مناقب الأمام الأعظم أبو حنيفة، حيدر آباد، الهند، 1312هـ، ص236.

(645) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، 1931م، ص143، **الذهبي، مناقب، ص58.**

(646) ينظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، دار الكتب العلمية – بيروت، ص173-172، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص379، مطلوب، محمود، أبو يوسف حياته و آثاره و ارآه الفقهية، مطبعة دار السلام، بغداد، 1972م، ص22 .

(647) ينظر: مطلوب، محمود، أبو يوسف، ص22 .

حنبل أحد الأئمة الأربعة، ومحمد بن الحسن الشيباني، وهشام بن عبد الله الرازي، وآخرون منهم يحيى بن آدم الذي صنف كتابه الخراج بعد كتاب الخراج لأبي يوسف(648).

وفاته: توفي عام 182هـ، باتفاق معظم الباحثين مع اختلاف يسير في بعض الروايات(649).

آثاره:

هناك مجموعة من كتب أبو يوسف التي لم تصل الينا، وجدنا الاشارة اليها ضمن متابعتنا لكتبه، منها : كتاب في أصول الفقه، و كتاب أدب القاضي، و كتاب المبسوط، و كتاب الجوامع، و كتاب الرد على مالك بن أنس، و كتاب اختلاف الأمصار، وكتاب الأمالي، و كتاب النوادر، و مسند الإمام أبي يوسف.

أما كتب أبي يوسف الموجودة بين أيدينا لمخطوطات وطبعت حديثاً، فهي: كتاب الخراج موضوع الدراسة، وهو من أعظم الكتب التي صنفها فلم يكن كتاباً فقهياً فحسب بل كان كتاباً اقتصادياً تناول مالية الدولة الإسلامية.

وكذلك كتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى و كتاب الرد على سير الأوزاعي و كتاب الآثار(650).

المحور الثاني: دوافع اهتمام أبي يوسف بالخراج:

بعد استقرار حركة الفتوحات الاسلامية، كان المسلمون قد وصلوا الى السند شرقاً، والى الأندلس غرباً، مما دفع الخليفة هارون الرشيد» 194-170هـ» الى القول لما رأى سحبا عابرة « أمطري حيث شئت، فان خراجك لي». فهذا الاتساع دفع حكام الخلافة الى التفكير في تنظيم إدارتها للقضاء على الظلم، وتوفير العدالة لكل مواطن مهما كان انتماؤه العقائدي.

لذا طلب هارون الرشيد من القاضي أبي يوسف أن يضع له رسالة فقهية تنظم أمر الخراج أو كما نقول الآن طلب منه وضع مجلة قانونية توضح الواجبات وتبين الحقوق لكل من الحاكم و المحكوم في ميدان الأداءات الفلاحية وغيرها. فكان له ما أراد فولدت بذلك رسالة الخراج هذه، فكانت أو مجلة قانونية في تاريخ تشريع الاسلامي تقنن أحكامه بحيث أصبح التخصص قادراً على معرفة الحكم الذي سيصدره القاضي قبل أن ينطق به(651). وهذا ما أشار اليه أبو يوسف بقوله: إن أمير المؤمنين –أيده الله– سألني أن أضع له كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج و العشور و الصدقات و الجوالي، وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه و العمل به، وانما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته و الصلاح لكافرهم: وقد بدأ أبو يوسف رسالته القضائية بمقدمة تحدث فيها عن ضرورة تنظيم المجتمع حتى يتمكن حاكمه من إقامته على أسس قوية ثابتة الأركان قوية الدعائم، و يقول : «إنّا رعاة مؤدون الى ربهم ما يؤدي الراعي الى ربه فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته»(652).

كما نبهه الى وجوب اختيار الأعوان لأن وزرهم على من عينهم في الوظائف فقال» وذلك لان الاستعانة بغير اهل الثقة والخير هلاك للعامة»(653).

(648) ينظر : مطلوب، محمود، أبو يوسف، ص64 .

(649) ينظر : ابن عبد البر ، الانتقاء، ص173، مطلوب، أبو يوسف، ص22 .

(650) ينظر : مطلوب، محمود، أبو يوسف، ص17-10 .

(651) درقاش، الهادي، نظام الخراج من خلال كتاب الخراج لابي يوسف القاضي، مجلة المورد، العدد 4-3، المجلد 10، دار الجاحظ للنشر ، 1981. .

(652) ينظر : أبو يوسف، ص 3 - 4.

(653) ينظر : أبو يوسف، ص6-5.

وقد استمرت المقدمة كلها في وعظ الخليفة وعظاً مدعماً بالقرآن و السنة النبوية، ثم ينتقل فيورد أحاديث في الترغيب و التخفيض على ما جاء في المقدمة من دعوة الى العدل في الحكم و حسن معاملة، فأتى بأحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ وعن صحابته الكرام وخاصة عمر بن الخطاب ﵁، وقد استمرت المقدمة من صفحة ٣ الى ١٧، فكانت بحق مقدمة هادفة تبين الأصول التي يجب أن يقوم عليها الحكم.

ولقد بدأ الموضوع الاساسي للكتاب من صفحة 18 الى الصفحة 217 (654) وأول موضوع طرقه «باب في قسمة الغنائم ثم فصل في الفيء و الخراج، ثم يستمر في الانتقال من موضوع الى آخر الى أن يصل الى الفصل الأخير وهو» فصل في قتال أهل الشرك و أهل البغي وكيف يدعون» فكانت هناك رابطة قوية بين الفصل الذي بدأ به و فصل الخاتمة. وقد اشتمل الكتاب على تسعة وثلاثين فصلاً مع الملاحظة أن المؤلف لم يفرق بين الباب والفصل، اذ يبتدئ بباب الغنائم ثم يعقبه بفصول عديدة ليس بينها و بين الغنائم صلة ولا رابطة، ثم نجده في الصفحة الثمانين يأتي بباب فيقول» باب الزيادة والنقصان في الصدقات»(655).

و يعقبه بفصل (في بيت السمك في الأجام) (656)، ولنا عودة الى هذا الترتيب الذي سلكه المؤلف رحمه الله.

وفصول الكتاب تختلف طولاً و قصراً، كما تتفاوت في المعلومات من حيث قراراتها و سطحيتها، فقد نجد فصلاً لا يمت بصلة لموضوع الكتاب مثل ذلك (فصل في أرض الشام و الجزيرة) (657) ومثله أيضاً في قصة نجران و أهلها (658)، فمثل هذه الفصول يغلب عليها السرد التاريخي.

ولذا يمكن القول إن أبا يوسف أول من تصدى لتعليل و تنفيذ مفردات السياسية و الزراعية، بناء على طلب وجهه اليه الخليفة هارون الرشيد، كما اشرنا انفاً(659).

المبحث الثالث:

أ-مفهوم الخراج:

لقد كانت للعرب معرفة بهذه الكلمة ومدلولها قبل نزول القران وخاصة بالنسبة لمن كان منهم يمتهن فلاحة الارض من أمثال أهل يثرب و الطائف و الحيرة(660).

وفي كتب اللغة ورد ان الخرج و الخراج واحد وهو شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم، وجاء في القرآن (أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير) (661).

والخراج في نظر أبي يوسف هو ما يوضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها (662)، أو هو ما يأخذه السلطان على الاراضي الخراجية، ويسمى بالقوانين السلطانية (663).

(654) ينظر: أبو يوسف، ص2.

(655) ينظر: أبو يوسف، ص٨٠.

(656) ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص39.

(657) ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص39.

(658) ينظر: أبو يوسف، ن.م، ص75.

(659) ينظر: السعدي، أمل عبد الحسين، في الفكر الاقتصادي العراقي دراسة في كتاب الخراج لابي يوسف، مجلة المؤرخ العربي، العدد 42-41 ، سنة 16، عمان 1990، ص124.

(660) البجاري، جاسم محمد شهاب، دراسات في الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي، الموصل، د.ت، ص77-76.

(661) سورة لا المؤمنون، الآية 74.

(662) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الاحكام السلطانية، بيروت، د.ت، ص186 .

(663) الرجي، عبد العزيز محمد، فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج ، تحقيق أحمد عبيد،

أما أراضي الخراج التي تقع خارج الجزيرة العربية والتي افتتحها المسلمون عنوة [664]، أو صلحاً وصارت ملكاً للدولة الاسلامية غير ان تبعيتها في حوزة أصحابها السابقين ويوضع عليها الخراج [665].

ب- أنواع الخراج:

شهدت الدولة الاسلامية في مراحل تطورها شكلين من نظام الخراج، هما:

1- الخراج المساحة:

وهو أن يؤخذ الخراج على أساس مساحة الأرض الصالحة للزراعة زرعت أم لم تزرع [666]. وقد عرف هذا النظام في زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) و بالتحديد بعد فتح العراق»أرض السواد» اثر اختلاف وجهات نظر الصحابة في مسألة تقسيم ارض السواد على الفاتحين، حيث استقر رأي الخليفة عمر بن الخطاب و أنصاره على عدم توزيع الأرض و الاحتفاظ بها ثروة دائمة للدولة الاسلامية و المسلمين. و يؤرخ أبو يوسف لهذه الحادثة التاريخية مركزاً على جوهرها الاقتصادي داعماً لها من خلال اعتباره ان الفيء هو الخراج [667]، في قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فللهِ وللرسول و لذي القربى واليتمى و المساكين وابن السبيل كي لايكون دولة بين الاغنياء منكم... والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) [668]، فهذا يعني الفيء لمن جاء من بعدهم أيضاً من المؤمنين الى يوم القيامة[669].

يروي لنا أبو يوسف ان هذه الحادثة التاريخية لعبت دوراً اساسياً في تشكيل نظام الخراج اي خراج المساحة ليطرح من خلالها فهمه لقيمة الخراج و دوره الاقتصادي في بناء الدولة الاسلامية و تقييمه للسياسة الاقتصادية لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فيقول (استشار عمر الناس في السواد حين افتتح فرأى عامتهم أن يقسمه وكان بلال بن رباح أشدهم في ذلك، وكان رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ينزله ولا يقسمه فقال (اللهم اكفني بلالاً وأصحابه، ومكثوا في ذلك يومين أو ثلاثة أو دون ذلك. ثم قال عمر رضى الله تعالى عنه: اني قد وجدت حجة، قال الله تعالى في كتابه (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يُسلِطُ رسلَهُ على من يَشاء والله على كُلِ شيء قَدير) [670].

وقد شرح أبو يوسف اجراءات الخليفة عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» الاقتصادية المتضمنة قيام او اعتماد الطاقة الانتاجية للأرض لغرض الضريبة حيث تعتمد الطاقة الانتاجية للأرض على:

1-جودة الأرض من حيث درجة خصوبتها.

2-نوع الانتاج الزراعي من حيث الجودة و الرداءة، و انعكاس ذلك على الاسعار التي لها تأثيرها المباشر على مقدار الخراج، فهو يزيد عند المحاصيل ذات السعر المرتفع، ويقل عند المحاصيل التي أسعارها منخفضة.

3-طبيعة ري الأرض : حيث يختلف خراج الأرض المروية سيحاً من خراج الأرض المروية بالأمطار،

ج1، د.ت، ص15 .

(664) أبو يوسف، الخراج، ص72.

(665) ابن السلام، أبو عبيد قاسم، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هواس، د.ت، ص69.

(666) ابن السلام، أبو عبيد قاسم، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هواس، د.ت، ص69.

(667) البجاري، دراسات، ص80.

(668) سورة الحشر، الاية 7- 10.

(669) أبو يوسف، الخراج، ص26.

(670) سورة الحشر، الاية 6.

ويتبين ذلك من سؤال عمر بن الخطاب الى عماله « لعلكما حملتما الأرض مالا تطيق» [671].

واعتبر أبو يوسف اجراءات عمر بن الخطاب اجراءات جلبت الخير لجميع المسلمين بالحفاظ على الطاقة الانتاجية للأرض والعمل على زيادتها من خلال السياسة الزراعية التي انتهجها عمر بن الخطاب في الدولة الاسلامية، و وجد فيها تحقيق تنمية اقتصادية اسلامية في المجتمع من خلال الحرص على توفير ايرادات عامة كبيرة لبيت المال، للانفاق العام على المؤسسات الانتاجية و الخدمية و العسكرية مما يحقق النفع العام للجميع ببناء الطرق و الجسور و المساجد و المدن، ورأى فيها أبو يوسف تحقيق مستوى معاشي أكثر تقدماً للمسلمين الجدد فضلا عن توطيد أركان العدالة في الدولة الاسلامية الجديدة وفق ضوابط الشريعة [672].

2-خراج المقاسمة:

وفيه يؤخذ الخراج من المحصول مع مراعاة جودة الأرض و نوع الزرع ونوع السقي وقرب الأراضي الزراعية وبعدها من المدن والأسواق [673]، وعليه قام أبو يوسف بتحديد الوظيفة الخراجية المفروضةعلى الأرض الزراعية التي اعتمد في تقريرها أولاً على الطرق الإروائية المستعملة يسرها وعسرها، وعلى نوع المحاصيل الفصلية شتوية وصيفية ثانياً. فقدرت نسبة المقاسمة على الخمسين 40% وعلى الأرض المزروعة حنطة و شعير المروية سيحاً وعلى الخمس و نصف 30% في حالة استعمال الدوالي، هذا في الشتاء، أما في الصيف فقد احتسبت المقاسمة على الغلال المزروعة في على نسبة الربع. وقدرت نسبة الثلث على بساتين النخيل و الكروم و الرطاب. والتفت أبو يوسف هنا الى الكيفية التي يتم بها تقدير المقاسمة غلة كانت أم نقداً بحيث لايكون فيها» حمل على أهل الخراج ولايكون على السلطان ضرر» وبما هو أحق فيها على أهل الخراج. فان كانت غلة قدرت كيلاً وقسمت وان كانت نقداً بيعت الغلة وقسم الثمن بينهم وبين الجهات الرسمية المسؤلة له عن استيفاء مبالغ المقاسمة [674].

وعليه فإن نظام المقاسمة يحقق العدالة في تخصيص الموارد، حيث انه لابد من تخصيص أراض زراعية معلومة المساحة لأهل الخراج، ولما كانت المنافسة قائمة بين القوى من المالكين و الضعيف منهم، فحتماً سيستأثر الأقوى بحصة كبيرة، من أراضي الآخرين، وقد أشار أبو يوسف الى ذلك بقوله «وأما ما يدخل على أهل الخراج فيما بينهم فلابد لهاتين الطبقتين من مساحة أو طرادة، والطريدة الطريقة القليلة العرض من الكلاء و الأرض والطراد من مكان واسع، و إلى ذلك كان غلب عليه أهل القوة أهل الضعف و استأثروا به وحملوا الخراج على غير أهله وعلى الانكار مع أشياء كثيرة تدخل في ذلك...»[675]. ولذا فان نظام المقاسمة لا يحقق فقط نشاطاً زراعياً كبيراً وزيادة في الإنتاج وانما يزيد ذلك من دخل الدولة ويضمن تدفق الموارد فيدعم نفقاتها المختلفة.

وعالج أبو يوسف مسألة الوظيفة المالية المفروضة على القطائع فهي على العشر عند اعتماد السيح في إروائهم على ان يكون ذلك مربوطا بنوع و مواصفات الغلة المزروعة من حيث قابليتها للخزن أو عدمه. وشمل الصنف الأول وهي القابلة للخزن محاصيل الحنطة والشعير والأرز و الحبوب والسمسم واخرى غيرها. أما الصنف الثاني السريعة التلف فقد شمل الخيار و القرع و الباذنجان و الجزر و البقول و غيرها[676].

---

(671) أبو يوسف، الخراج، ص29.

(672) أبو يوسف، الخراج، ص26.

(673) الماوردي،، الاحكام السلطانية، ص235-234 .

(674) أبو يوسف، الخراج، ص55-54.

(675) أبو يوسف، الخراج، ص53.

(676) الماوردي،، الاحكام السلطانية، ص149.

ج- أشكال الأرض عند أبي يوسف:

1-الأراضي التي أحياها الذميون: يفرض عليها الخراج بغض النظر عن طريقة إروائها، سواء رويت بماء العشر أو بماء الخراج، وسواء أكانت حيز أرض الخراج أم العشر، لأن الحاجة الى ابتداء التوظيف على الكافر والخراج أليق به.

2-الأراضي التي استولى عليها المسلمون من الكفار صلحاً: ويفرض عليها الخراج اذا صلح أهلها على اقرارهم ما في أيديهم فيها، أما اذا تركوها خوفاً فتصبح ملكاً عاماً للدولة الاسلامية [677]، كما في الرها و حران و أرض الجزيرة و سنجار.

3-القطائع (الصوافي) : من أرض العراق» فكل ما كان لكسرى و مرازبته وأهل بيته، لم يكن في يد أحد» وهي:

أرض من قتل في الحرب.

أرض من هرب.

كل أرض كانت لكسرى.

كل أرض كانت لأحد من أهل بيته.

مغيض ماء.

دير بريد.

الأجام: وهي بمنزلة المال الذي لم يكن لأحد ولا في يد وارث [678].

4- أرض الحجاز و مكة و المدينة المنورة و أرض اليمن و أرض العرب التي افتتحها رسول الله ﷺ .

5- أرض البصرة و خراسان و وهي بمنزلة سواد ما افتتح منها عنوة، فهي أرض خراج، وماصلح عليها أهلها فعلى ما صولح عليه، ولايزيد عليها، وأما ما أسلم عليها أهلها فهي أرض عشر.

6- كل أرض من أرض العراق و الحجاز واليمن و الطائف و أرض العرب، وهي غير عامرة، وليست لأحد ولا في يد أحد و لا ملك أحد ولا وراثة ولا عليها اثر عمارة، فأقطعها الامام فعمرها فإن كانت في أرض الخراج أدى عنها الذي أقطعها الخراج، وان كانت من أرض العشر أدى عنها الذي أقطعها العشر [679].

د. مشاريع أبي يوسف في زيادة الانتاجية:

كانت مسألة زيادة الانتاجية المقترنة بعملية تشجيع الاستثمار الزراعي تتطلب الجهد و العناية بتوفير المياه اللازمة لارواء الاراضي، لذا فقد قام الفقيه أبو يوسف بتحديد نوعية هذه المشاريع من ناحية الجهة المسؤولة عنها، بما ينفق مع متطلبات مسيرة التنمية و ظروف الإحياء، اذ جعل بعضها من ضمن المهام التي أنيط أمر تنفيذها بعاتق الدولة لكونها مشاريع ضخمة تتطلب رصد أموال طائلة يتعذر على أية جهة أخرى تمويلها وتنفيذها. ومن جهة أخرى فإن الاستفادة منها شاملة وتروي اراضي واسعة كتلك المشاريع المقرر اقامتها على دجلة و الفرات أو المنجزة منها والتي تتطلب الري و الادامة.

(677) النواوي، عبد الخالق، النظام المالي في الاسلام، ط 2، بيروت، 1981، ص124-122 .

(678) أبو يوسف، الخراج، ص43-42.

(679) أبو يوسف، الخراج، ص62.

الى جانب هذه المشاريع مشاريع أخرى الزم فيها أهل الخراج بوجوب تمويلها وادامتها، فقد قدم أبو يوسف في خطته مقترحاً للخليفة بشأن اجراء دراسة تطبيقية لبعض هذه المشاريع منها وعلى سبيل المثال البت في الطلبات المقدمة من قبل أصحاب الأراضي المتضمنة إحياء بعض الأنهار القديمة المندثرة [680]، اذ أنهم « ان استخرجوا لهم تلك الآبار واحتفروها واجرى الماء فيها عمرت هذه الاراضي العامرة و زاد في خراجهم»[681].

لقد أوصى أبو يوسف بتأليف هيئة استشارية لدراسة هذه الطلبات مؤلفة من « أهل الخبرة و البصيرة به ممن يوثق بدينه و أمانته من أهل البلد، ويشاور فيه غير أهل ذلك البلد ممن له بصيرة و معرفة ولا يجر الى نفسه بذلك منفعة و لا يدفع عنها به مضرة» [682].

يوكل الى هذه الجهات امر دراسة المشروع دراسة ميدانية لتغطية جوانبه على أن تأخذ بنظر الاعتبار حجم الاستثمارات و النتائج الاقتصادية المتحققة من هذا المشروع، فاذا ما توصلت اللجنة الى أن طبيعة المشروع المقترح كفيلة بتحقيق هذه النتائج قدمت توصية بآرائه و اتخذت الترتيبات اللازمة لتنفيذه وكلف بيت المال برصد النفقات عليه من باب المصروفات المخصصة لاقامة مثل هذه المشاريع [683].

وضمن سياق مسؤولية الدولة، تدخل مسألة وضع المبالغ لصيانة مشاريع الري و معالجة البثوق والمسنيات و البريدات الواقعة على دجلة و الفرات والانهار المتفرغة منها، وقد أشار أبو يوسف الى هذه المسألة التي تهم عامة المسلمين وبين أبعادها المستقبلية حيث قال: إنه أمر عام لجميع المسلمين فالنفقة عليه من بيت المال لانه عطب الأرضين من هذا و شبهه، وانما يدخل الضرر من ذلك على الخراج، فتفرق.. فتغرق غلات الناس وتخرب منازلهم و قراهم»[684].

هذا بخصوص المشاريع التي تمولها الدولة، أما المشاريع الأخرى التي تقع حدود الاستفادة منها ضمن نطاق الأرض الزراعية ولا تتعدى الى حدود الاراضي الأخرى المجاورة لها مثل تلك الأنهار التي يحفرها أهل الخراج «إلى أرضهم و مزارعهم و كرومهم ورطابهم وبساتينهم ومباقلهم و ما أشبه ذلك»، فقد جعل نفقة كريها واستصلاحها على عاتق الشخص القائم باستثمارها لكونه الطرف الوحيد المستفيد منها.

ثم تطرق أبو يوسف الى مشاريع إرواء أخرى اقتضت طبيعة الاستفادة منها الانفاق المشترك بين الدولة و أهل الخراج، باعتبارها مشاريع لا يجوز البت فيها من قبل أهل الخراج لئلا تتضارب مصالحهم، فيتم كري قسم من النهر وترك القسم الأخرى بحسب مايرتئيه صاحب الأرض و بالسبل التي تحقق الارواء التام لارضه وعند تتدخل الدولة هنا يضمن حكم الاستفادة من هذه المشاريع حكم عام وشامل لجميع الاراضي الواقعة ضمن حدود هذا المشروع، وقد وصف أبو يوسف هذا النوع من المشاريع الإروائية قائلاً» واذا احتاج أهل السواد الى كري أنهارهم العظام التي تأخذ من دجلة والفرات كريت لهم، وكانت النفقة من بيت المال وأهل الخراج ولا يحمل ذلك كله على أهل الخراج»[685].

كما أشار أبو يوسف الى المشاركة الزراعية التي تحدد بين مالك الأرض واطراف أُخرى وفق شروط يتفق عليها مسبقاً، وقد اتخذت لانماط هذه المشاركة خمسة وجوه ارتاى منها توفير القدرة العالية في

(680) السعدي، في الفكر الاقتصادي، ص129.

(681) أبو يوسف، الخراج، ص95.

(682) أبو يوسف، الخراج، ص95.

(683) السعدي، في الفكر الاقتصادي، ص130.

(684) أبو يوسف، الخراج، ص60-59.

(685) أبو يوسف، الخراج، ص96.

الاستثمار و التوظيف الكامل للطاقات البشرية نحو طريق الانتاج والابداع و النهوض بالزراعة و تطوير انتاجية الأرض كماً و نوعاً بالوسيلة التي تخدم المسيرة التنموية التي اعتمدها في بيان فكره الاقتصادي، والوجه الأول للمشاركة هي العارية وفسرت على انها المشاركة التي «ليس فيها إجادة»، وتعني معاملة الأرض على سبيل الاعارة لكي يفسح المجال في استثمارها من قبل طرف الاخر يحدد فيه الكفاءة المطلوبة نحو تحقيق انتاجية أعلى فيما لو اعتمد على نفسه في زراعتها(686)، ويسير هذا العمل وفق شروط منها ان لا يلتزم الزارع بدفع الايجار عنها، ويلتزم الزارع بالصرف من ماله الخاص على انجاح العملية الزراعية مثل شراء البذور و البقر و أمور النفقات الأخرى، ولايلتزم صاحب الأرض بدفع أية التزامات أو أموال من هذا النوع فهي على عائق المستأجر لارض فقط، كما ويتحمل زارع الأرض كل النتائج المترتبة عن العملية الزراعية من ربح أو خسارة، ويلتزم صاحب الأرض بدفع الضريبة المقررة اذا كانت خراجا وعلى الزارع اذا كانت عشرا (687).

والوجه الاخر للمشاركة هي المناصفة. ونعني بها اتفاق صاحب الأرض مع طرف آخر حول زراعة الارض حيث يتعهد الطرفان بالاتفاق مناصفة على متطلبات العمل الزراعي أي كل بنسبة 50% من الكلفة. وكذلك تحدد هذه النسبة في توزيع فوائد الأرض من ربح أو خسارة، أما الضريبة المقررة فعلى صاحب الأرض اذا كانت خراجاً، وعلى طرف الآخر ان كانت أرض عشر. وهناك المؤاجرة، وهي الاتفاق على بدل إيجار محدد في المبلغ و الفترة بان يكون» بدراهم مسماة سنة أو سنتين». وتتضمن هذه المشاركة التزام رب الأرض بدفع النسبة الضريبة المقررة عليها سواء كانت خراجية أم عشرية(688).

والوجه الرابع للمشاركة هو مزارعة بالثلث و الربع كل بحسب مايجري الاتفاق عليه على أن يتعهد رب الأرض بدفع الضريبة الخراجية والعشر عليها جميعاً في الزرع (689).

والمشاركة الأخرى هو أن يمتلك رب الأرض كل مستلزمات استثمارها من بقر و بذور و أموال، الا أنه غير قادر بمفرده على اكمال الحرث و الزراعة، فيستعين بطرف آخر يتعهد على القيام بهذه المهام على أن يكون « الزرع.. لرب الأرض و للأكار أجر مثله و الخراج على رب الأرض و العشر في الطعام» (690).

وكما تدخل المشاركة الجماعية في احياء الاراضي و استصلاحها بتظامن جهود الأطراف المتعاقدة نحو تعبئة كامل الطاقات في هذه العملية الانتاجية، على أن يتم التقاعد واجراء تنفيذ المشروع قبل أن يقدم أي طرف على عملية استصلاح مفرده مهما كانت نوعيتها و بخلاف ذلك تعتبر الشركة باطلة (691)، اذ قال أبو يوسف بهذا الصدد» وان كانت نضب الماء عنها حين دخل منه في الشركة باطلة، وان كان لم ينصف عنها فالشركة جائرة» (692).

ضوابط أبي يوسف الإدارية والمالية:

اهتم أبو يوسف بالمؤسسات الادارية و المالية، واعتبرها ظواهر ذات نتائج سلبية على ايرادات الدولة و خزينتها، حيث وجد ان استمرار جباية الخراج بطريق الالتزام و الضمان يؤدي الى « خراب

(686) السعدي، في الفكر الاقتصادي، ص130.
(687) أبو يوسف، الخراج، ص69.
(688) السعدي، في الفكر الاقتصادي، ص131.
(689) أبو يوسف، الخراج، ص61.
(690) أبو يوسف، الخراج، ص61.
(691) السعدي، في الفكر الاقتصادي، ص131.
(692) أبو يوسف، الخراج، ص113.

البلاد و هلاك الرعية»[693]، وذلك لكون المستقبل يقوم بابتزاز الخراج وعدم التقدير لتعليمات الرسمية الصادرة بهذا الصدد، اذ كانت الايرادات التي يحصل عليها المستقبل من ارباب الخراج تفوق ... دون النظر الى الضوابط القررة بشأن تقدير الضرائب المفروضة على الأرض الزراعية كل حسب صنفها وطاقتها الاستثمارية. ثم ان «المتقبل اذا كان في قبالته فضل عن الخراج عسف باهل الخراج وحمل عليهم ما لا يجب عليهم...والمتقبل لا يبالي بهلاكهم بصلاح أمره في قبالته، ولعله ان يستفضل بعدما يتقبل به فضلا كبيراً»[694] وان هذه الامور تقود المقبلين الى اتخاذ اجراءات تتسم بالشدة والعسف، ويقول أبو يوسف «وانما اكره القبالة لاني لا آمن أن يحمل هذا المتقبل على أهل الخراج ما ليس عليهم.. فيضر ذلك بهم فيخربوا ما عمروا ويدعوه فينكسر الخراج»[695].

واذا اقتضت ظروف العمل الزراعي الابقاء على هذا النظام ينبغي أن يقترن اختيار المتقبل بموافقة ارباب خراج و معرفتهم المباشرة ليكونوا على بينة من ثقته وأمانته لقول أبي يوسف «وان جاء أهل طسوج أو مصر من الأمصار ومعهم رجل من البلد المعروف موسر فقال: أنا أتضمن ... خراجهم ورضوا هم بذلك فقالوا هذا أخف علينا نظر في ذلك فان كان صلاحاً لأهل هذا البلد والطسوج قبل وضمن و أشهد عليه»[696]. وقدم أبو يوسف شرطا آخر يقضي بوجوب تعين رقيب على المتضمن يقوم الخليفة بتعينه ويحدد راتبه من بيت المال لصيانة حقوق الرعية والايرادات بما هو أصلح لاهل الخراج و أوفر على بيت المال[697].

وتطرق أبو يوسف الى قضية مهمة تتعلق بولاة الخراج، حيث أكد ضرورة اتصافهم بالثقة والأمانة، وان يتم اختيارهم من الفقهاء والعلماء وأهل الصلاح والدين و الأمانة لكي تكون جبايته «للخراج كما يرسم له وترك الابتداع فيما يعاملهم به والمساواة بينهم»[698]. وعلى أن يرافق هؤلاء جماعة من الجند المعروفين بحسن السيرة والسلوك ومن له» الفهم و اليسر والنعمة منهم»[699].

الخاتمة

من خلال ما ذكر آنفاً توصل الباحث إلى جملة من النتائج هي الإجابة عن السؤال المطروح في مسألة الخراج عند القاضي أبي يوسف الحنفي، وهي:

1- يعد أبو يوسف الحنفي من رواد الفكر الاقتصادي الاسلامي اذ ان لكتابه الخراج تأثيرا خطيرا على كل الكتب والمصادر الاسلامية التي الفت فيما بعد، و أصبح منبعا يسنبط منه كثير من الأحكام والأصول الفقهية وخاصة في مسألة كيفية تقسيم وتنويع أراضي الزراعية والتثبت فيها، اذ وضع مجموعة من القواعد ومقومات تفتح من خلالها افاقا صحيحا وهادفا نحو الدراسة والتمحيص في الاقتصاد الاسلامي.

2- ان شخصية أبي يوسف العلمية وما أبداه من طروحات العلمية ارغمت خليفة مثل هارون الرشيد ان يبجلها و يأخذ آراءه بالجد لا بل حاول ان يجعل من كتابه الخراج دستوراً اقتصاديا لدولته.

3- من اكبر مصائب التي عانى منها العالم الاسلامي إتلاف وفقدان كثير من امهات الكتب

(693) الخراج، ص113.

(694) أبو يوسف، الخراج، ص113.

(695) أبو يوسف، الخراج، ص114-113.

(696) أبو يوسف، الخراج، ص93.

(697) أبو يوسف، الخراج، ص94-93.

(698) الخراج، ص95-94.

(699) أبو يوسف، الخراج، ص109.

لعلمائنا الاجلاء، و يمكن ان يكون ابو يوسف من اوائل العلماء الذين ضاعت كتبهم ولم نستفد منها الا نذرا قليلا منها كتابه الخراج، وربما لو ان هذه الكتب حميت من تلك الكوراث التي طرأت على امتنا الاسلامية لضمنت ثرواتنا التاريخية و الاقتصادية والحضارية.

المصادر والمراجع:

1 – القران الكريم

أولا : المصادر الأولية:

2 – الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، 1931م.

3 – ابن خلكان، وفيات الأعيان.

4 – الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: 748هـ، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، ط3، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد الدكن بالهند، 1408هـ/1988م

5 – الرحبي، عبد العزيز محمد، فقه الملوك ومفتاح الرتاج، المرصد على خزانة كتاب الخراج، تحقيق أحمد عبيد، د.ت.

6 – ابن سلام، أبو عبيد قاسم، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هواس، د.ت.

7 – السمعاني، الانساب، ليدن، د.ت.

8 – ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، دار الكتب العلمية – بيروت.

9 – الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية،بيروت، د.ت.

10 – المكي، مناقب الأمام الأعظم أبو حنيفة، حيدر آباد، الهند، 1312هـ.

11 – أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم، الخراج، ط4، القاهرة، 1392هـ/ 1972م.

2. ثانياً: المراجع الثانوية

1 – البجاري، جاسم محمد شهاب، دراسات في الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي، الموصل، د.ت

2 – الزهراني، ضيف الله يحيي، موارد بيت المال في الدولة العباسية، ط 1، مكة 1985م.

3 – أبو زهرة، الشيخ محمد، أبو حنيفة حياته و عصره، دار الفكر العربي، د.ت

4 – مطلوب، محمود، أبو يوسف حياته و أثاره و آراؤه الفقهية، بغداد، 1972م.

5 – النوادي، عبد الخالق، النظام المالي في الاسلام، ط2، بيروت، 1981.

3. ثالثاً: الدوريات

1 – درقاش، الهادي، نظام الخراج من خلال كتاب الخراج لابي يوسف القاضي، مجلة المورد، العدد 4–3، المجلد 10، دار الجاحظ للنشر، 1981

2 – السعدي، أمل عبد الحسين، في الفكر الاقتصادي العراقي دراسة في كتاب الخراج لابي يوسف، مجلة المؤرخ العربي، العدد 42–41 ، سنة 16، عمان 1990

3 – العزاوي، عوف محمود، الانفاق الاستثماري في الدولة الاسلامية في فكر القاضي أبي يوسف، مجلة الاقتصاد الاسلامي، عدد 46، 1985.

باب النقد والأدب

1- الوظيفة التوجيهية للصورة في تجربة وفاء عبد الرزاق الشعرية (لا تُرْثَى قاماتُ الكِرستَال) أنموذجا

بقلم:أ.م.د.الاء محمد لازم جامعة بغداد /كلية التربية للعلوم الإنسانية/ابن رشد/ قسم اللغة العربية و م.م.عذراء عودة حسين/كلية الرافدين الجامعة /قسم القانون

المقدمة

كل الافكار والمعاني الصالحة للتعبير تتخير الدوال التي تكسبها التميز والاهمية وتتشكل على هيئة كلماتٍ،وسطورٍ، وصورٍ شعريةٍ، ترتبط في شبكةٍ من العلاقاتِ الدلاليةِ المعقدةِ،لتكشف فيما بعد عن إيديولوجياتٍ معينةٍ ينسُجها الشاعر عبر تلك العلاقات،مما يحيل التجربة الشعرية الى مقاصدٍ تتجلى وتتمظهر داخل نسيج التركيب النصي الذي سيكون مسرحاً تتصارعِ فيه ذات الشاعر مع العالم الخارجي وتتصهر مجمل الافكار،والمعاني وتخلق قيماً موضوعيةً وشعريةً ترصد الواقع وتحاول نقده، والتوجيه نحو خلق آليات وسبل كفيلة بتغيره وتوجيهه عبر لغة شعرية متجددة، وصور تعبيرية موحية، موجهة يستتر بها الشاعر عند عدم البوح بما يريد او يتقنع ليرصد وينقد ما يدور في واقعه من قضايا ومشاكل، ليغير حدود العالم الواقعي الذي يأمل تغيره و يحطم موانع الانطلاق من الواقع الضيق المتردي من خلال تفجير العلاقات بين الاشياء، ونسفها وخلق عالم جديد مخالف للعالم الواقعي الذي رفضه ليعيد ترتيبه على نحو مايريد، ويأمل تحقيقه بعد عجزه، وخوفه من الواقع الكائن ليكون الواقع الممكن هو الملاذ، والمأوى لذاتهِ الموجوعةِ والتي حملت ألم الحرمان، والفقد، والخواء.

في لغة الدلالة غير المحدودة يلعب الشاعر على أوتارِ لغتهِ ليرسم أبعاداً إيبستمولوجية لتجربته الشعرية تقوم على تعميق الدلالة بين التمثلات الحسية والذهنية مما يعطي ثراء للتجربة، تكمن وراء فاعلية العبارة، والصورة التي تكشف عن عملية عقلنة. في تعزيز المقدرة المعرفية لنقد الواقع، لذلك غالبا ما يتعالى الشاعر في تجربته الشعرية عن ذاتهِ ليعتنق الواقع ويحاول تغييره، وإعادة تشكيلة وفق رؤيا إنسانية مغايرة. تضمن البحث محورين للدراسة: المحور الأول هو الوظيفة التوجيهية للصورة منطلق مفاهيمي. والمحور الثاني : الوظيفة التوجيهية للصورة في التشكيل الشعري لمجموعة(لا ترثى قامات الكرستال)في مادتها ومضمونها دراسة تطبيقية على نصوص الشاعرة، وقد جاء اختيار هذه المجموعة لما حملت من نصوصٍ شعريةٍ جسدت واقع الألم والمعاناة التي عاشها المجتمع العراقي من إرهابٍ جسدي وفكري، وتفجيرٍ،وتهجيرٍ،وقتلٍ على الهوية. جسدته الشاعرة بلغة موحية الدلالة مفعمة بطعم الألم الذي يسري بين ثنايا السطور. أسعفت الدراسة بخاتمة، وقائمة للمصادر، مع مقدمة للبحث، وخلاصة باللغتين العربية والانكليزية. وقد رسم المنهج الفني معالم الدراسة، وعَبدَ الطريق لها للوصول الى نتائج ملموسة من خلال التطبيق لآلياته المنهجية.

المحور الاول: الوظيفة التوجيهية للصورة (منطلق مفاهيمي)

الصورة الشعرية بماتحمله من نسقيات إدراكية، وتخيلية، وإقناعية تؤدي دوراً كبيراً في الفهم، والتأثير، والتوجيه داخل بنية النص الشعري إذ تعمل على ربط الدوال بمدلولاتها في محاولة لإيجاد نظائر لها عن طريق إعادة تركيب الحالة النفسية والإدراكية، ومعايشة التجربة، ومعاينتها. يعيد الشاعر تشكيل الواقع، ويضفي عليه خصائصه الذاتية النابعة من رؤاه الباطنية، فيصبح واقعاً خاصاً تخلق فيه الاشياء من جديدٍ نشاط القوة المتخيلة المحور المؤسس للصورة، وفاعليتها، وماتمتلك من مؤهلات تأثيرية تجعل

منها محط ابتكارٍ، وإبداعٍ يستثمره الشاعر في قدرة، وإرادة واعيتين ممايجعل القوة المتخيلة قوةً فاعلةً في التوجيه. وهذا مانحاول رصده في الدراسة فاعلية القوة المتخيلة للصورة في التوجيه داخل النسيج الإبداعي لتجربة الشاعرة. الصورة رسمٌ قوامه الكلمات تتداخل في رسمه أنساقٍ معرفيةٍ واعيةٍ ومؤهلات إنتاجية ووسائل قياسية برهانية، أو تمثيلية، أو تخييلية ليردف التأثير بوصفه تابعاً، ومؤكداً في الاقناع بغية الفهمِ والافهامِ، وبهذا الفهم نحاول الولوج الى خبايا المكون الصوري داخل النسيج المعرفي والبناء النصي والنسق المهيمن على تجربة الشاعرة وفاء عبدالرزاق ومحاكاة دور الصورة في التأثير على المتلقي حسب الرؤيا، والنسق، وجعله يتخذ مساراً توجيهياً يصحح ما اعتمل في فكره وذاته.

إذ يهدف الشاعر تبليغ قصده من وراء النص عبر التوجيه المتضمن داخل البناء الصوري.

ويعد التوجيه في الخطاب أكثر من مجرد فعلٍ لغوي حسب تصنيف جاكبسون إذ يسمي وظيفة التوجيه في اللغة بالإيعازية، أو الندائية [(700)].

والصورة التوجيهية تحمل بين طياتها توجهات تربوية، واخلاقية، ووطنية وقومية،تسعى الى توجيه المتلقي، وتهذيبه، وأخباره، ومساعدته، أي تقوم بأغراض توجيهية، وإخبارية، وإعلانية، وإنسانية،وهذا يعني إن الصورة توظف لإغراض تعليمية، وتنبيهية يقصد بها توجيه المخاطب، وإرشاده الى مايخدم مصلحته، وواقعه وأمته وبيئته، أي إنها ذات أهداف سامية تعمل على غرس القيم النبيلة في نفوس الناس لتمثلها في حياتهم اليومية والسلوكية [(701)].

وتوجيه سلوك المخاطب ومواقفه الى أمر ما قد يكون بغرض الترغيب فيه أو التنفير منه، فيكون هناك ثلاث قدرات رئيسة يستثمرها الشاعر لتحقيق هذه الوظيفة التوجيهية وهي التحسين، والتقبيح، والمبالغة، ومن هذه الزاوية تصبح الصورة وسيلة أساسية لتحقيق غايات اجتماعية ترتبط بسعي منتجها الى تحسين وضع معين أو تقبيحه لخدمة بعض الاغراض التي يسعى إليها من خلال إدراجه لهذه الصورة كالرغبة في دعوة المتلقي الى اتخاذ وقفة سلوكية من بعض المواقف أو تغيير أفكاره حولها أو تنفيره منها [(702)].

ولكي يتحقق التوجيه في النظام اللغوي لابد أن تتوفر مقومات لدعم عملية التوجيه اولها: (سلطة المرسل)، ولكون الشاعرة بنت العراق،ونخلة البصرة الباسقة التي حملت هموم بلدها، وترجمت وجعها بفقدانه فكان شعرها المجسد صورياً ينز مرارة وحنيناً لينهض شعرها (من رؤيا واقعية تسبغ الأجواء على واقعِ وطنٍ حاصرته الأفكار السلبية والمحن، وصورها الشعرية متلاحقة كامواج البحرِ التي تعطي ببذخٍ فادح وتغرف من الطبيعة ما يهيئ لها استمراريتها في شعرها، فهي مد صاخب متسلسل من ألوانِ الطبيعة واشيائها)[(703)].

وثانيها: وضوح قصد المرسل، فوضوح قصد المرسل سبب في عدم حيرة المرسل اليه مما يضمن تحقيق هدفه بنوعيه الكلي والنوعي في العالم الخارجي، إذ إن من ميزات التوجيه الصريح أنه لايستلزم

---

(700) ينظر التواصل اللغوي ووظائف اللغة في الالسنية (علم اللغة الحديث قراءة تمهيدية)رومان جاكبسون، ت:ميشال زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت،ط1، 1985، ص52.

(701) ينظر أنواع الصورة،د.جميل حمداوي،صحيفة المثقف، ع2015،3238.
http//:www.almothaqaf.com-268/qadaya2015/895720

(702) ينظر حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الامام علي رضي الله عنه، د.كمال الزماني،عالم الكتب الحديث، اربد-الاردن،2012، ط1،ص83.

(703) شعر وفاء عبدالرزاق تنوع التشكيل وفاعلية الخطاب، د.اخلاص محمود عبدالله دار ليندا للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2018،1،ص5.

اكثر من قصد الخطاب(704).

وبراعة الشاعر وقدرته على التصوير مرتبطة بمقدرته على المبالغة في تحسين الصورة أو تقبيحها مما يؤدي الى تنفير المتلقي منها أو ترغيبه بها، وقد نبه الجرجاني إلى ذلك حين ردَّ جانباً كبيراً من تأثير الشعر، ومنه الصورة الى قدرتها على تحسين الاشياء حتى لو كانت قبيحة، وتقبيحها حتى لو كانت حسنة، فكم من جواد بخَّله الشعر، وبخيلٍ سخَّاه، وشجاع وسمه بالجُبن، وجبانٍ ساوى به الليث ودنيٍّ أوطأه قِيمة العَّيوق، وغبيٍّ قضى له بالفهم،وطائش ادَّعى له طبيعة الحكم (705)،لقدرته على تغيير الحقائق وعكس صفات الاشياء من خلال ما يحدثه في الكلام من خيال يهز المتلقي، ويغير رؤياه، وإن قدرة الصورة على تحسين الحسن وتقبيح القبيح أو تحسين القبيح وتقبيح الحسن كانت مدار اهتمام حازم القرطاجني الذي بينَ أن من شأن الشعر أن يحبب إلى النفس ماقصد تحبيبه، ويكره إليها ماقصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهروب منه، وذلك بما تحدثه صوره الشعرية من تحسين أو تقبيح يكون الهدف منهما هو تقوية انفعال النفس وزيادة تأثرها لاستحسان أمر من الامور أو استقباحه، ولعل هذا مايدفع الشعراء الى المبالغة في تحسين حسن أو تقبيح قبيح فيتجاوزون حدود أوصافه الحقيقية، ويحاكونه بما هو أعظم منه حالاً أو أحقر منه، ليزيدوا النفوس استمالة إليه أو تنفيراً عنه (706).

فتحسين الشي أو تقبيحه يتحقق عندما يربط البليغ المعاني الأصيلة التي يعالجها بمعانٍ أخرى مماثلة لها،لكنها أشد قبحا أو حسنا،فتسري صفات الحسن أو القبح من المعاني الثانوية الى المعاني الأصيلة، فيميل المتلقي إليها أو ينفر منها،وقد تقترن هذه العملية بالمبالغة التي تهدف الى تمثيل المعنى وتضخيم وقعه في النفوس(707).

إذن للصورة أهمية ووظيفة جمالية توجيهية معرفية تعمل على تحسين الأشياء أو تقبيحها من أجل التأثير في المتلقي، وتغيير رؤاه، وبث هزة شعورية داخلية تجعله يتخذ وقفة سلوكية تعمل على تغيير واقعٍ معين عبر الترغيب أو التنفير، وهذا التأثير المحصل الرئيس للصورة التي تعمل على إنهاضِ النفوس، وبث الحركية داخلها وكل ذلك متعلق بقدرة التجربة على التأثير ،والاقناع، والتوجيه.

المحور الثاني:

الوظيفة التوجيهية للصورة في التشكيل الشعري لمجموعة

(لاتُرثى قامات الكرستال)

تجربة الشاعرة الابداعية بما نسجت من دلالات، وصور كشفت جملة من الخفايا عن محيطها، وبيئتها وملامح صراعاتها النفسية الداخلية والخارجية على حد سواء .

كانت الوظيفة التعبيرية للصور في تجربتها الشعرية مرآة داخلية لنفسيتها قائمة على أساس أن الشعر يتكون وفقاً لعواطف الشاعر، ورؤاه وافكاره، تردفها بوظيفة أخرى لاتقل اهميةً عن الاولى بل لا تنفصم عنها لكون أواصر التلاحم مرتكزة لدى الاثنين معا، وهي الوظيفة التوجيهية التي يسعى من خلالها الشاعر بعد ترصين لغته بأداة لغوية تعبيرية احداث التوجيه المؤثر في سلوك المتلقين، وميلهم نحو

(704) ينظر :استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004،ص327.

(705) ينظر :أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، ت.عبد الحميد هنداوي، ط1،دار الكتب العلمية –بيروت 2001،ص196.

(706) ينظر :منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني، ص73.

(707) ينظر :الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابرعصفور، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء،1992،ط3،ص343.

مايشعرون به[708]،وهذا ما كان متحققا في تجربة الشاعرة والتي نحاول رصد الوظيفة التوجيهية فيها.

الصورة في مجموعة (لا تُرثى قامات الكرستال) في مادتها ومضمونها:

استطاعت الشاعرة ببراعتها وحسن تصويرها وقدرتها على تحسين الصورة أو تقبيحها و المبالغة في تحسينها أو تقبيحها ترغيب المتلقي أو تنفيره منها بغية توجيهه الى رفض واقعٍ رديءٍ فرض عليه.

صورها كانت مرآة كاشفة لمأساة يمر بها شعبها من ويلات الحروب، والجوع والقهر في محاولة جادة الى خلقِ واقعٍ بديلٍ تتحقق فيه إنسانيته وفق شرائع السماء التي لا تمارس فيها سلطة الارهاب سطوتها في قتله وتّهميشه.

في هذا البحث نحاول رصد وجه من أوجه التوجيه في صور المجموعة المتعلق بمادة هذه الصور ومضمونها، ومادة الصورة هي (مجمل كفاءات المتلقين المعرفية والنفسية، والثقافية، والعقائدية التي يأتي مضمون الصورة مستندا إليها مشكلا بها معتمدا عليها بطريقة يكون مضمون الصورة هذا غير غريب عنهم، فهو معلوم لديهم)[709].

لان مصدره واحد مشترك بين جميع المتلقين، ومن بينهم الشاعرة مما يمنح الصورة فاعليةً قويةً في التأثير من ثمَ التوجيه، لأن نفاذ مضمون الصورة هنا كان اقرب الى الافكار فحصلت القناعة بها، التي ادت الى الاقناع بمضمون ما جاء بها، والذي من شأنه أن يوجه المتلقين، ويحملهم على الآخذ به.

وفي اثناء تفحصنا المواد التي اسهمت في تشكيل البناء الصوري نجد أن الشاعرة استمدت مواد صورها من الواقع المعيش، والتجربة المريرة التي يعيشها العراق من مآسي الحرب، والحقد، والمؤامرة التي ترتبط جميعها بواقعٍ ومشاهد معروفةٍ وملموسةٍ لدى المتلقي مما زاد من قوة وفاعلية التأثير في الصورة .

الصورة الشعرية التوجيهية في مادتها:

وقد تنوعت مادة الصور في المجموعة بين عالمين رئيسين تتفرع عنهما عوالم أخرى، وهما :

(عالم المحسوسات وعالم المجردات)، والاعتماد على عالم المحسوسات (الانسان، والحيوان، والطبيعة) لم يأتِ، ويشكل مساحة واسعة من المجموعة اعتباطا بل كان لغرض توجيهي تمثل في جذب انتباه القارئ، وحمله على الاذعان، واستمالة فكره للتفكر، والتدبر، والعمل على تغيير واقعه بما يحقق إنسانيته ووجوده ككائن له حق التغيير، والتطوير حسب ماجاءت به شرائع السماء، ومن اللافت للنظر أن الشاعرة لا تستند إلى المادة الحسية لرسم الصورة بل إنها تعمد الى دعمها بمجموعة من الوقائع والحقائق الملموسة التي لا تقبل الشك كما في قولها في رسم صور المعاناة في قصيدة (زلزلة قامات النجم)[710]

(708) ينظر :ومضات نقدية في تحليل الخطابين الادبي والنقدي،احمد سامي شهاب،دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011، ص135.

(709) الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، منشورات كلية الاداب منونه، ج1، 2001، ص562.

(710) المجموعة الشعرية الكاملة، شعر وفاء عبد الرزاق،لاترثي قامات الكرستال،ط1، 2018، دار ليندا للطباعة والنشر والتوزيع،ص57- 58.

الغيمةُ هي الحكايةً
والنجمُ يبحث عن ضوئهِ بين الزقاق
بين أجنحة الاشلاء
ورفرفة الخيول للصهيل
بين تخضب الشرفات بالدم
وداء الثعابين
النجم ينقصهُ الضوء
كما ينقص الساسة الشرف
سليلُ الماء بيتي
والقامة الهيفاء
تقف على ضمائرهم العرجاء
على جيوبهم القحط
القلب يهزُهُ النبض
وان اهتزت الأشلاء طرباً للموت
النهر سيجيء
ويعزف بحنجرة السماء
الأصابعُ التي ترسم بالطباشير
لاتمسك الممحاة
هي لاتعرفُ غير الوطن
كتبتهُ على سبورة القلب
قبل أنْ يفجرها المشوهون
كتب بالدم اسمك ياعراق
ونضحَ العَرقُ أحمرَ الابتسام
حين تجمدَ عَرقُ الشرف على جباه القتلة
نادى الصمت بأعلى صوته
حيّ على الفتى واحتضان التراب
حي على السحاب الماطر باسمه
والرمال الحائرة بين الاضلع الممزقة

وبأيهم تستجير؟ أيهم تلملم

يا أوردة السلام

أزهرت الارض بالقتلى

يتخاصم على الغنائم والعمِّة و(الدولار) والخليفة

النهر مغتصبٌ

المهد أهوج

وأنا الضفة البكماء

وطني المعبأ بالسكاكين، أبتلع كل يوم

وأتحشرج باسمه الشوك

كيف أشربك ياوطني الظمآن

مازال يصهل ما تبقى من الوطن

جمعت الشاعرة مجموعة عوالم (عالم الانسان والحيوان والطبيعة)،وخلقتها على هيئة صور وتشبيهات تنطلق دائما من إخراجها على غير ماهو مألوف في سياقات مشحونة بحالتها النفسية ودرجة الغضب، والحزن الذي تشعر به تجاه أزمة الدمار والضياع، والموت، والخوف، والضعف الذي يمر بها العراق، ونجد الشاعرة حريصة في كل نصوصها على بناءِ مادةِ صورها انطلاقا من مجموعة الوقائع والحقائق باعتبارها منطلقات قد حظيت بقبول وموافقة متلقي نصوصها، لتبنى هذه الصور بناءً حجاجياً يسهم في تلقيه والتأثر الكبير به، فنلمس صورا من عالم الانسان (الساسة القلب، الاشلاء،الاصابع، الاضلع، الظمأ،الفتى، العرق)،وصورا من عالم الحيوان(الخيول الثعابين)،وصورا من عالم الطبيعة(الغيمة النجم،الضوء،الماء،النهر ،السماء،التراب،السحاب،الرمال)،وإن التسليم بهذه الوقائع والحقائق من قبل الفرد ليس كما يقول بيرلمان إلا تجاوباً منه لشيء يفرض نفسه على الجميع[711]، وهذا الشي هو ما يعطي للصورة قوتها الحجاجية اللازمة لجذب المتلقي والتأثير فيه وتوجيه الى اتخاذ وقفات سلوكية يتطلبها الموقف.

أما عالم المجردات بما حمل من قيم (دينية، وخُلقية،والعرف، والمعتقدات،والسلوكيات الاجتماعية)، فقد اعتمدت الشاعرة ايضا عليه وبشكل مكثف في مادة بنائها الصوري متكئة عليها لتقوية حججها وبناء ثقة عالية بينها، وبين متلقيها لأن هذه القيم منغرسة في عمق الذات الانسانية وقابعة في الصدور، والعقول والاعتماد عليها في النصوص الشعرية يحقق ذلك التوجيه المطلوب ، هذا فضلا عن أن تغير المجتمع العراقي بعد احداث سقوط النظام أسهم في تقوية، وترسيخ بعض القيم، والمعتقدات وبروز قيم واخلاقيات على حساب أخرى كالخيانة،والدناءة،وبيع الذمم وغيرها لتكشف من خلال تفعيلها داخل التجربة الشعرية عن كثير من المسكوت عنه وتفضح الانساق المضمرة التي تخبأت خلف عباءة الدين والمال والسياسة.

(711) ينظر :حجاجية الصورة في الخطابة السياسية، ص190.

إذ تقول [712]

(في قصيدة للعزلة كريستالها)

للوحدة قدسيتها وعناقيدها المتدلية

أحياناً، ألتهم الساعات وحدي

بعيداً عن طنين الكذابين

عن الوجوه الشوهاء

السلوك القبيح

وقولها في قصيدة (بصرتنا القامة)[713]

كوني لنا المتكأ

مدي يديك لأيامنا الهاربة

أرجعيها الى أثوابنا

خيوطا بيضاء

فقد تنهد النهار

حين تشمع الصقيع على جلودنا

فتعالي...

نوقظ المدى...لا أحد سوانا سيرانا

وحدنا ندرك سر تقرح النعاس

خالدون نحن على أغصاننا

لنا الوجه، الابدان، ولهم الظل

ولاستكمال مهمتها المعرفية في رسم صور توجيهية استعانت الشاعرة بجملة من المعطيات الفكرية الفطرية والمكتسبة، فضلا عن القوى الادراكية الحسية والباطنية والتي منحتها طاقة ابداعية خيالية لتشكل صوراً تصعد التفاعل بين المبدع والمتلقي طرفي عملية التواصل، فكلا الطرفين يمكن له تسخير هذه الطاقة الابداعية الخيالية في التفاعل مع العالم المحيط بهما، فالمبدع من خلال طاقته الابداعية الخيالية يصوغ خطاطات، ومقومات ذهنية تؤلف صوراً تشبيهية، أو استعارية او كنائية مع فسح المجال لعناصر اخرى في صياغتها متمثلة بالثقافة، والمعرفة والادراك المعرفي وعناصر اخرى اسهمت في الصياغة كالأعراف، والتقاليد، والموروث الاجتماعي والعقدي ليشكل كل ذلك فضاءً معرفياً يتضايف فيه المبدع حين يصوغ الصورة، والمتلقي بوصفه المعني بمحتوها فيستعين بمعطياته الفكرية وطاقته الادراكية ومخزونه الثقافي فيحفز ذهنه على فهمها، وتحليلها في اجراءٍ معرفي يتمثل في تصنيف، وتنظيم تلك المعطيات في إطارٍمواضيع ومستويات ذهنية (بنيات):مستوى أعلى يمثل عقدة رئيسة نطلق عليها بؤرة المعنى لتتولد من ذلك مستويات أدنى تمثل عقداً صغرى تنتج فضاءات

(712) لاترثي قامات الكرستال، ص62.

(713) م.ن.ص41-40.

فارغة يمكن ملؤها بمعانٍ وأفكارٍ تسهم في فهم المعنى وإدراكه[714]،من ثم التأثر، والاقناع، والتوجيه الناتج من عملية الترابط الذهني.

الصورة الشعرية التوجيهية في مضمونها:

كان للمادة المشكلة للصورة في تجربة الشاعرة أثر كبير في رسم ملامح مضمونها الذي يستند إلى غاية مهمة هي توجيه المتلقين وضمان انخراطهم في الخطاب بالشكل الذي تريده الشاعرة، وذلك لكون صورها نابعة اصلا من عالمهم، معتمدة على كفايتهم الثقافية، والنفسية ما أكسب الصور قوةً حجاجيةً ناتجةً عن تناصها مع تجاربهم الحياتية التي يواجهونها ليكسبهم ذلك عمقاً في فهمها، وتفسيرها، وتأويلها .

الصوره تقوم على بعدين : الأول، المصرح به من صنع المتكلم بالاعتماد على المضمر في الدفاع عن أطروحته، والثاني المضمرمن صنع المتلقي [715]،والانتقال بين طرفي الخطاب التصريح والإضمار عامل مهم في قوة الصورة، وزيادة فاعليتها وتأثيرها.

وقد حملت صور التجربة الكثير من المضامين، والطاقات الحجاجية القوية التي جعلت المتلقين يستبعدون المعاني الظاهرة للصورة، ويحاولون قراءتها بطريقة استدلالية يكشفون بها المضامين الخفية مستندين على كفاياتهم النفسية والثقافية ليكون لها الاثر الكبير في التوجيه.

وقد عكست قصيدة (قامة لشوارعهم)التجسيد الواضح لتلك المضامين[716]

الشتاء يمارس سلطته على جلودهم

والصيف يغطيهم بالإسفلت

أعياد ميلادهم شطائر تعفنت بالوقت

والسعادة غبية وعانس

الملابس... هجرتهم

وتركت سرطان المزابل يلتهمهم

ترسم الشاعرة صورها بألوان من العلاقات المتناقضة، والمتضادة غير المألوفة وغير المعهودة، لعب خيالها الصادق المؤثر في خلقِ نقطة لقاءٍ حميميةٍ بين تلك المتناقضات عبر تلك القوة التخيلية التي زودتها بالقدرة والإرادة على المخالفة وإعادة تركيب الاشياء في حركية دائمية تعيد صور المحسوسات وتؤلف بينها ليس بحسب ماهي عليه في الواقع الخارجي إنما هي عملية إعادة تركيب فيها شيء من الابتكار والابداع، وكل هذا رهين بمدى الوعي بأهمية الصورة في التوجيه والتغيير، ونجاحها مرتكز على القدرة الابتكارية والابداعية على المخالفة وإعادة التركيب. لذلك نجحت الشاعرة برسم صورة تضج بالألم، والمعاناة لمأساة واقع مجتمع مسحوق تحت وطأة اضراس المتنفذين، والمتقنعين. كشفت كل ما هو قبيح ومستتر لتزيل الحجب عن الاخر المتقنع بقناع السلطة، والدين الذي منع الخبز والحياة، فكانت تلك الصور تكشف (بصمت وصخب) عن المأساة لتعمل على خلق عوالم خفية بها

(714) ينظر: النقد المعرفي في الدرس البلاغي_نسقية البيان، د.آزاد حسان شيخو، جامعة الموصل، عالم الكتب الحديثة، الاردن –2013،ط1، ص140.

(715) ينظر :الاسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، عبدالعزيز لحويدق،عالم الكتب الحديثة، 2010،ط1،ج3،ص351.

(716) لاترثى قامات الكرستال، ص7.

فسحة من الأمل.

استثمرت الشاعرة عدة تقنيات في إعادة تركيب الواقع الممكن عبر هدم الواقع الكائن منها الايقونات، والرموز (الشتاء بقسوته التي تشبه قسوة قلوبهم المتحجرة،والصيف القائظ الجاف الذي يشبه جفاف مشاعرهم من علامات الرحمة والإنسانية)والمؤشرات البصرية (يشعل شموع السل بين اضلعهم)، واللغوية عبر اخراج الالفاظ من حدودها الوضعية لتمتزج بدلالات غير معهودة (والسعادة غبية وعانس، وحدة المرض سيد الاحتفاء)،والمستعملة في إحداث التأثير في المتلقي ذهنياً، ووجدانياً وحركياً، من ثم توجيه نحو تغير فكره، أو رؤياه، ولعلها من أهم وظائف الصورة لأنها تخرج القيم المجردة من (حيز الكمون الى حيز التجلي فتصبح واقعاً مادياً محسوساً)[717]،وقد يكون التساؤل في الصورة اقوى حجاجيا ويضمن انخراط المتلقي في البحث عن الجواب كما في قصيدتها (تيه كريستالي)[718]

يتساءل الطفل الذي احترق ببغداد البارحة

هذا الذي لعب الورد براحتيه

لست أنا من يخنقه السؤال

إني أرشوك بماء النهر

الطريق دبابيسُ

فكيف أمشي إليهم

وقد تهشم تحت قدمي الزجاج؟

قابلة تولد البحر

قابلة تولد النهر

وجرةُ الصمت تتكسر على الضفاف!!

بات كل شي مشبوها حتى الغيم

كل شي أصبح هشاً

والرحمةُ منخورةٌ

يقول عز الدين اسماعيل الصورة تركيبة وجدانية تنتمي الى عالم الوجدان اكثر من انتمائها الى عالم الواقع، والشاعر المميز من يبتكر صورا جديدة بملامح متفردة يزاوج بين متناقضاتها بعيداً عن الوصف المباشر والتقريرية العمياء، يخلق منها دلالات ايحائية خلاقة عبر التكثيفات الاستعارية المكتنزة بالمتضادات التي تتشظى بين تركيباتها تفاعلات الوعي والخيال، فيندمج الباطن بالظاهر،وتستنطق بها الحواس ناسجةً وشائج حميمية بين المألوف واللامألوف، عابرة الزمان، والمكان، والدلالة تخلق بها طاقة متجددة لها قابلية التأثير والتوجيه، وهو ماحفلت به صور الشاعرة المفعمة المعجونة بطعم الخوف والألم والترقب.

(717) سيميولوجيا الصورة الاشهارية،سمير الزغبي،الحوار المتمدن
http//:www.m.ahewar.org/s.asp?aid&292693=r0=

(718) لاترثي قامات الكرستال،ص13.

تقول [719] في قصيدة (قامة للغريب فيه)

أسندت الحروب جدائلها

على الركام

ممنونة منها

سيدة الزوبعة

الحرب

التي أذعنت جيدا للجراثيم

المتأمل لهذه الصور يدرك أنها تنتمي الى العالم اللامرئي البعيد عن الواقع. هي صورة باطنية تنسق عالماً وجودياً تنتجه مشاعر ذاتية. الانفعال الذي تحدثه الصورة في المتلقي هو المهم وليس الصورة، فصورة الحرب القبيحة التي انتجتها تلك العلاقات الاستعارية من خلال الترابط العقلي عملت على خلقِ مناخٍ للحالة العاطفية التي رغبت بها، وهي توجيه المتلقي، والتأثير به، والعمل على ذم الحرب ونبذ أواصرها، وقطع أوصالها.

تلعب المفارقة دوراً كبيراً لتعكس براعتها في انتاج صورٍ مركبةٍ ذات قيمة معرفية تفعل فعلها في التأثير والتوجيه نحو خلق عوالم ممكنة تكون فيها للحرية وللإنسانية فسحة كبيرة. تقول[720] في قصيدة (لقامتك العرس كله)

عُرس..

عجبا

أتحتفلين بعرسك؟

أيتها الهيبة الكبرى

نهارك عانس

وأنا الجنين العصي

العصي على التجوال المرصع بك

هناك من لا يدري

بإن أجنحتنا ستحلق فوق رؤوسهم

بصمت يفصح

إن الذي يتموج الآن ... شعرنا البصري

سيهتف

وقلنا للناس حُسنا

وأقمنا الشعر

(719) لاترثي قامات الكرستال،ص9.

(720) لاترثي قامات الكرستال، ص 25.

وآتينا العرس ذكرنا

الصور المركبة تعد من أعقد النماذج الفنية في تجربة الشاعرة الابداعية لأنها تقوم على التجريب أحيانا، والتكثيف أحيانا أخرى، عبر هيكل فني ذي علاقات كثيفة متماسكة بين عناصر متعددة ومتباعدة يربط بينها أسلوب التداعي حيث تتداعى الصور تلقائياً وتتباعد كاشفة رؤى أنسانية خلاقة وموجهة.

من الآليات التي استثمرتها الشاعرة في رسم صورها شبكة كثيفة من الاسئلة المنفتحة على تأويلات، وعلى قدرٍ عالٍ من التأمل لتخرج الصورة من مجالها المألوف الى مناخٍ شعريٍ تتبلور فيه الرؤى الشعرية المتمحورة حول توجيه المتلقي، مستثمرة استراتيجية التوجيه بذكر العواقب، وهذه الآلية ليس حكراً على ميدان معين أو مرسل خاص بل هي ملك كل من يرى أنها تخدم سياق خطابه[721].

تقول[722] في قصيدة(بصرتنا القامة)

كوني لنا المتكأ

مدي يديك لأيامنا الهاربة

أرجعيها الى أثوابنا

خيوطا بيضاء

فقد تتهد النهار

حتى تشمع الصقيع على جلودنا

لا تبقينا بتأرجح الاحتمالات

في صدورنا فضاء واسع الاحتضان

فتعالي.....

نوقظ المدى...لا أحد سوانا سيرانا

لندعهم يغمضون أجفانهم على النهب

وحدنا ندرك سر تقرح النعاس

خالدون نحن على أغصاننا

لنا الوجه الابدان ولهم الظل

الجملة المهيمنة (أو المفتاح) هي (خالدون نحن على أغصاننا)و(لنا الوجه الابدان ولهم الظل) (لندعهم يغمضون أجفانهم على النهب)(فقط كوني كلنا)(صورنا عملاقة وهم الاقزام)(ووحدينا في العيون)(وحدي الانسان فينا كي نحتفل) لانزياحها عن النسق التعبيري السابق الذي رسم صورة الضياع والهروب، وجاءت هذه الصورة ترسم صورة البقاء والثبات، ليحدث هذا الاجراء قيمته من المفاجأة في كسر الرتابة وتحفيز المتلقي على الامعان في الصورة وإدراكها ليتبين حقيقة أمره إن

(721) ينظر: استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص360.

(722) لاترثي قامات الكرستال، ص40.

بيده التأثير، والتغيير وبناء صورة جديدة له، ولواقعه لأنه عملاق أمام أولئك المتقزميين الذين شوهوا حياته، وضيعوا هويته.

حملت الشاعرة الالفاظ معاني جديدة لا تقف عند حدود الدلالة الواحدة المتداولة، فقد صورت عواطفها بطريقة مغايرة لتعبرعن انفعالها بحجم المأساة والموت الذي حصد الارواح في (الكرادة) والتي أثرت فيها، وجعلتها ترسم صوراً تمتزج فيها كل المدركات وتتعدد فيها اوجه التعبير ما بين تراسل الحواس(تقرح النعاس)(في صدورنا فضاء واسع الاحتضان)،والجمع بين المتضادات(العمالقة والاقزام) (الخلود،الموت)(بيتنا، اللا بيت)، والرمز الذي يعد وجهاً مقنعاً من أوجه التعبير بالصورة لجأت إليه الشاعرة لتعميق الشعور بمأساتها وحزنها الذي تجسد صورياً لتشارك المتلقي حالتها، إذ لاسبيل امامها إلا الصورة التي أثارت في نفس المتلقي حالات مشابهة عند تفاعله مع تلك الصورة بشكلٍ مناسبٍ.

تقول [723] في قصيدة (طلوع وقامة)

توقف الفجر عن الطلوع
وضجرت الشمس من نجواي
فلأي يوم تصلي الجباه؟
الساعة تبتلع عقاربها
لا الوقت يكبر
ولا الساعة مئذنة واتجاه
فإلى أية قبلة تتوجه الآعين
ومن يُعلم ابني أن يكون صدر الحياة ؟
توقف الفجر عن الطلوع
لن يتوقف ..فالكرادة مسجدنا
سأشهق ملء صدري
حي على الأشلاء
رباه قبلتنا هم
فلنخلق ألف اغنية
ومسبحة وصليب
طلاسمنا الصغار
تعويذتنا الشيوخ
والصبايا (ان شاء الله)لمن يشاء !!
رباه لا يطهر العابثين مسك

(723) لا ترث قامات الكرستال، ص 50-44.

وتزكيهم الزكاة
أو ترضى نارك بهم؟
إن رضيت فهي الأحوج لنار تحرقها
أخلق نارا اخرى
بحجم زناة العصر
تفحمت الاجساد
لا...بل هو كحل أنثاهم
وحناء رضوانك
ها هم يسرون إليك بسر الملائكة
وها أنا هيأت صوتي
لعرس الضحايا في السماء
دمهم مرفأ مريم
فاجعله يوما مقضيا
نخلة الله تندب
الجراحات الجراحات
استغفار وأدعية
رباه رباه رباه
ألف رباه
وألف ألف انتقام

يكتنز النص صوراً شعريةً عدةً ومتنوعةً تتابع سرداً وصفياً من خلال الحال الذي يأتي مفرداً مرة، ومرة جملة بينها جسور امتداد الى ما قبلها ومابعدها مما يؤكد وعي الزمان والمكان الذي حمل فكرة وحالة نفسية واحدة توزعت على مشاهد عدة، تزداد تأثيرا بحسب الفكرة والحالة النفسية.

صورت المتضادات(توقف الفجر..لن يتوقف)،(طلاسمنا الصغار ،تعويذتنا الشيوخ) (رباه لا يطهر العابثين مسك،وتزكيهم زكاة)،ورموز المسيح والصليب، والسيدة العذراء والنخلة، والمسبحة، والملائكة جاءت كوسيلة مستقلة، ولم تقحم اقحاماً بل كان بينها وبين العناصر الاخرى تفاعل، وتناغم، والتحام، بفاعليتهاالنابعة من سياقها،وطاقتها الخلاقة في الصورة الشعرية[724].

هذه الصور التي أثارت في المتلقي حالة مشابهة لما أعتمل في نفس الشاعرة من مشاعر الحزن، والألم لما أصاب العراقيين من ويلات الدمار ،وجعلهم أداة لسعير نار الحرب، والخراب فكانت صرختها بالانتقام ماهيإلا توجيه الى المتلقي بتغير حالهم وقلب الاحداث، ورسم خارطة واقعٍ جديدٍ، ليس فيه للعابثين، والقتلة مكان بل خلق نارٍ اخرى تحرقهم غير نيرانهم الحاقدة القاتلة للحياة والوجود.

(724) تنظر الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث،بشرى موسى صالح،المركز الثقافي العربي،ط1994،1،ص.101.

إن وظيفة الصورة في النص الادبي لا تأخذ أبعادها الحقيقية، وفاعليتها لإنجاز وظيفتها في التواصل إلا من خلال مقومات معرفية ذهنية يمتلكها الشاعر تعينه على عملية بناء نصه، وهذه المقومات هي عبارة عن أحداث ومتغيرات لا تأخذ وتيرة واحدة بل هي نامية، ومتآلفة، ومتغيرة تتدافع وتتصارع وعندما يجسدها الشاعر في نصه الشعري الموجه يمنحه بعداً تفاعلياً حركياً يسهم وبشكلٍ كبيرٍ في بناء صورة للمعنى، ولاستكمال هذه المهمة المعرفية في استجلاء وظيفة الصورة وبالتالي الوصول الى تأثيرات توجيهية يستعين المتلقي بجملة من المعطيات الذهنية التي تتخذمن (طاقة الانسان وما يمتلكه من قوى فطرية ومكتسبة فضلا عما يمتلكه من قوى إدراكية حسية وباطنية تمنحه طاقة إبداعية خيالية، لتشكل هذه الطاقة الممنوحة مصدرا للتفاعل والانفعال والفعل لطرفي عملية التواصل)[725] .

ومن خلال الطاقة الابداعية الخيالية الخلاقة التي ملكتها شاعرتنا المبدعة وفاء عبد الرزاق، والتي أعانتها في صوغ خطاطات ومقومات ذهنية تؤلف صورا تشبيهية أو استعارية أو كناية فضلا عن إشراك عناصر أخرى في تلك الصياغة مثل تراسل الحواس، والتوليف بين المتضادات والتقريب بين المتناقضات والرمز الذي وظفته بشكلٍ مكثفٍ، وقد طالت هذه الصياغة عناصر أخرى شملت التقاليد والاعراف والمعتقدات لتنسج منها فضاء معرفياً تتشارك فيه الشاعرة والمتلقي بوصفه متذوقا لتلك الصورة المجسدة لذلك الفضاء وبوصف وظيفتها بالعمل على توجيهه في بناء قوة إدراكية ظاهرية (بالحواس) أو باطنية (بالخيال والتخييل) تعمل معا على توجيه واقعه الوجهة الصحيحة، إذ تبرز أهمية الصورة في تجربة الشاعرة وخاصة ديوانها لا ترثي قامات الكرستال ووظيفتها التوجيهية في تحسين الواقع أو تقبيحه بغية التأثير في المتلقي لاتخاذ وقفة سلوكية.

وقد أشار الجرجاني الى قدرة الصورة على توجيه المتلقي الى أمر من الامور أو تنفيره منه، وهي قدرة لا تعادلها أية قدرة أخرى في إيقاع القول من النفوس، وعكس الأوضاع وتبديل الطبائع [726] .

الخاتمة:

من خلال دراستنا للوظيفة التوجيهية للصورة في مجموعة الشاعرة توصلنا إلى أن فاعلية الصورة تنبع من عدة عناصر رئيسة هي :

1 – قدرة الصورة على توجيه المتلقي انطلاقاً من مكوناتها، والتي تشمل مادة الصورة ومضمونها، وطريقة تشكلها، ووظيفتها التي خرجت عن الإمتاع (التزيين والتزويق)، واتجهت صوب التأثير والاقناع كونها اداة تعبيرية عن الشخصية ووسيلة من وسائل كشف الفكر والرؤيا،لذلك لم تكن الصورة عند الشاعرة وفاء عبد الرزاق تقريرية أو قائمة على الوصف المجرد بالمعني الحرفي بل نجدها تزاوج بين معطيات الادراك الحسي وقوى الادراك الباطني (المتخيلة) لرسم صور لها معطيات وغايات وأهداف بصورتيها الماثلة والمدركة لتحقق ذلك التأثير والاقناع.

2 – لا تقتصر وظيفة الصورة في النقد على الوظيفة المعرفية والجمالية فقط بل إن المعرفة وجمال الصورة مرتكزان مهمان في تحقق الوظيفة الإقناعية التي يذعن لها المتلقي فتعمل على توجيه سلوكه ومواقفه عبر الترغيب والتنفير بالاعتماد على قدراته الخاصة في رفض وتحسين صورة واقعه وهذ ما عملت عليه الشاعرة في رسم صور تحاكي تلك القدرات عبر تحسين المعنى أو تقبيحه أو المبالغة في رسمه.

---

(725) حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الامام علي رضي الله عنه، ص 82.

(726) ينظر أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت:عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط 1،2001،ص244.

3 – استطاعت الشاعرة الجمع بين المتضادات واستثمار تراسل الحواس وتكثيف الصورة الرمزية ودعمها بالحجج الكفيلة بإقناع المتلقي بالامر المهم والاساسي في التوجيه نحو التحسين أو التقبيح، معتمدة على عوالم كثيرة في رسمها منها عالم الانسان والحيوان والطبيعة والثقافة والقيم والدين والمعتقدات لكي تكون قريبة من نفوس وعقول متلقيها مما يجعل عملية التأثير والاقناع من ثم التوجيه أكثر فاعلية من خلال تلقي الصور وتذوقها وتفكيكها من ثم إعادة تشكيل عالمه الموجه بحسب تأثير هذه الصور.

المصادر والمراجع:

1 – استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.

2 – أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط 1،2001.

3 – الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته،عبدالعزيز لحويدق،عالم الكتب الحديثة، 2010،ط1.

4 – أنواع الصورة،د.جميل حمداوي،صحيفة المثقف

http//:www.almothaqaf.com–268/qadaya2015/895720

5 – البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، د.محمد العمري، أفريقيا الشرق،الدار البيضاء المغرب ,1999.

6 – التواصل اللغوي ووظائف اللغة في الالسنية (علم اللغة الحديث قراءة تمهيدية)رومان جاكبسون، ت:ميشال زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت،ط1، 1985.

7 –الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، منشورات كلية الاداب منونه، ج1، 2001.

8 – حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الامام علي رضي الله عنه، د.كمال الزماني،عالم الكتب الحديث،اربد–الاردن،2012، ط1.

9 – العلاماتية وعلم النص .د.منذر عياش،مركز الانماء الحضري، دار محبة –دمشق،2009.

10 – سيميولوجيا الصورة الاشهارية،سمير الزغبي،الحوار المتمدن

http//:www.m.ahewar.org/s.asp?aid&292693=r0=

11 – شعر وفاء عبدالرزاق تنوع التشكيل وفاعلية الخطاب، د.اخلاص محمود عبدالله دار ليندا للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1 –2018.

12 – الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث،بشرى موسى صالح،المركز الثقافي العربي،ط1 1994 .

13 – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابرعصفور، المركز الثقافي العربي الدر البيضاء، 1992،ط3.

14 – القيم الفنية والقيم الجمالية، رومان انغاردن، ت.سعيد احمد الحكيم، مجلة الثقافة الاجنبية،العددالثالث، 1986،بغداد.

15 – المجموعة الشعرية الكاملة، شعر وفاء عبد الرزاق،لا ترثي قامات الكرستال،ط1، 2018 دار ليندا للطباعة والنشر والتوزيع.

16 –منهاج البلغاء وسراج الادباء، أبي الحسن حازم القرطاجني،دار الغرب الاسلامي 1981.

17 –النقد المعرفي في الدرس البلاغي –نسقية البيان، د.أزاد حسان شيخو،عالم الكتب الحديث الاردن،2013.

18 – ومضات نقدية في تحليل الخطابين الادبي والنقدي،احمد سامي شهاب، دار غيدار للنشر والتوزيع–عمان، 2011 .

2-التحوّل المنهجي في النقد الحديث

الأستاذ المساعد الدكتورة هناء عباس عليوي

العراق ـ جامعة الكوفة ـ كلية الآداب /قسم اللغة العربية

المدخل

لا تتحصرُ هذه الدراسةُ في نطاقِ نزعة مضادّة للمناهج والاتجاهات النقدية الحديثة في التي انتشر استعمالها في الثمانينيات، والتسعينيات في الساحة الثقافية العراقية، وليست من مهمة الدراسة استئصال المناهج والاتجاهات الحداثوية من جسد الثقافة العراقية وإقصاؤها، وإنما هي مقارباتٌ لفهم أفقها في التوظيف، باختيار نموذج ما شهدته الكتابة النقدية عند الدكتور حسن ناظم، لأن تحوّله في استعمال المنهجيات دالٌّ على الأزمة بحسب وجهة نظر النقاد.

ففي محاولةٍ تصنيفية لنقاد الأدب العراقي، يُصنف الدكتور ناظم ضمن مشروع النقاد الذين استعملوا المنهجيات الحديثة تنظيراً وتطبيقاً، من خلال عمله في حقليْ الشعرية والأسلوبية[727]، ويعدُّ من نخبة المترجمين الذي نقلوا إلى العربية مع صديقه الدكتور علي حاكم صالح مجموعة كبيرة من الكتب التي تعنى بعلم اللغة والمناهج في تحليل الأدب والفلسفة وعلم الاجتماع وغير ذلك.[728]

وقع عنوان البحث على مفترقات اختيارية منتخبة في الاتباع والتحول، فوسم بـ(التحوّل المنهجي في النقد الحديث) المثير للغط، اشترك فيه حسن ناظم نفسه في طرحٍ يميل إلى التخفيف في ممارسة العملية النقدية من خلال كتاباته المبثوثة في كتبه ومقالاته، وبين نخبة المثقفين والمفكرين في مداخلات، ومقالات، وكتب، تجوب أطراف الحديث فيها عن تحولات الكتابة النقدية للناقد حسن ناظم. أمثال: فوزي كريم [729]، وفلاح رحيم[730]، وصالح زامل[731]، وهيثم سرحان[732] وغيرهم. يجمع لغط الحديث عن إمكانات الإقبال والإدبار عن الاتجاهات النقدية المتبعة، أو بين معضلتها في التطبيق، في آثار حسن ناظم، فأثارت هذه المشكلة عدد من المتغيرات مهدت بساطها إلى الحركة والتغيير والتحول من الداخل والخارج، في حلّ المعضلة؛ وذلك بالتحرر من القوانين والأنظمة المنهجية المكبلة للطاقات الفكرية في العمل النقدي محصنة بحصانة ثقافية علمية مفهومية للنصوص الأدبية، لفكّ أسرِها من العوائق الفكرية المقننة؛ للخروج بها إلى النور، في تجردها من التبعية والعبودية من تقديس المنهج النقدي، ومنحها الحرية للعيش بقراءات نقدية متعددة؛ لصياغة وصناعة حياتها ومصيرها، ولا يتحقق هذا الأمر إلا بمعاضدة عدة قنوات في إدارة التغير، منها: الناقد نفسه، والجامعة، والأوساط الثقافية، في الوعي بهذه المناهج والمدارس، والحركات والاتجاهات النقدية الحديثة، وبذلك تطال عملية التغيير في(الذات) من الداخل، و(الآخر) من الخارج، وهذا ما سعى إليه حسن ناظم في التنبيه عليه؛ للوعي بالحداثة الغربية.

---

(727) ينظر، **مناهج النقد الأدبي، دراسة لمكونات الفكر النقدي في العراق من عام 1980- 2005** ـ صالح زامل، منشورات ضفاف والاختلاف، دار أوما، بيروت- لبنان،1435هـ - 2014م، ص: 209.

(728) ينظر، النقد الأدبي العراقي- محاولة تصنيفية (مقال) - علي حسين يوسف، الموقع الإلكتروني: =M.ahewar.org/S.asp?aid=4751028cid=08?cid=o8u=8i=738789

(729) ينظر، من زاوية نظر كائن محبّ، فوزي كريم، (شهادة فوزي كريم عن حسن ناظم).

(730) ينظر، **أزمة التنوير العراقي**، دراسة في الفجوة بين المثقفين والمجتمع ـ فلاح رحيم، جامعة الكوفة، سلسلة دراسات فكرية، دار الرافدين، بيروت- لبنان، 2018م، ص:209-171.

(731) ينظر، من فلسفة موت الإنسان إلى الأنسنة، قراءة في اشتغالات الناقد الدكتور حسن ناظم (مقال) ـ صالح زامل.

(732) ينظر ،أنسنة الشعر ـ هيثم سرحان، مجلة أقلام الثقافية على الموقع الإلكتروني: WWW.akklaam.net/newaqlam/aqlam/show.

تأسست مجريات البحث على فرضيتين: الأولى، الإقبال على المناهج والاتجاهات والمدارس النقدية الغربية الحداثوية، في اصطفاء حسن ناظم لبعضها وتمثلها في العمل، وهي تدور حول مصير متشابك يتبادل المسؤولية فيها بين الذات(الكاتب) والآخر(الجامعة والسلطة)، والوافد الثقافي، في شراكة فاعلة بتوجه الذات صوب هذه الاتجاهات النقدية في الدراسة الجامعية. والثانية، التكفير والتغيير، صوب الحداثة النقدية، ومن ثمَّ الانْفِلات من التبعية والتقليد؛ وذلك بتشخيص عُقم الحداثة النقدية، في ضوء المتخلفات المدمرة، والآفات الخِلْقيّة المشوهة للنصوص الأدبية المقيدة بقوانين وأنظمة فكرية عقلية معقدة، سُلبت جمالها وحيويتها، بتغييب التَجْرِبة الروحية لمبدعها، فندرجت تحت وصف «المذابح»؛ لاستبدادها القاهر في زهق أرواح النصوص الأدبية من الحياة، وشل حركتها وحيويتها وفاعليتها، في ملامستها للواقع.

الدراسة

مَثّل الأدب صفحة مشرقة للإبداع والانفتاح في الحياة الثقافية، ويكمن سرّ الروح الحيّة للأدب في النقد بالكشف عن أسراره وخفاياه، بالممارسة النقدية الفاعلة المضيئة للمشهد الثقافي، مما أدى بالنقاد المشتغلين في هذا الحقل على تواضع مصطلح النقد الحديث المستقصي للمستويات النظرية والإجرائية: القرائية والتحليلية والاستنباطية والعقلية والجمالية وغيرها.

ومما لاشك فيه أن الثقافة العالمية تمر بتحولات خطيرة في توجهاتها النقدية تقتفي آثار العلوم الأبستمولوجيا المتنوعة: الفلسفية والاجتماعية والنفسية والتأريخية والأسطورية والآثارية والكونية والأدبية وغيرها، فاتسعت مظاهر الأدب باتساعها، مما مهدَّت للدراسات الجديدة السعي للبحث عن علاقات ووشائج بين هذه العلوم والأدب في عملية تلاقح بين الأدب وبين العلوم البينية الثقافية، وهذه المعارف جميعها تصب في مجرى حقل النقد، فعصفت الحداثة بوصفها الفضاء المفتوح على آفاق الحاضر والمستقبل بريحها العاصفة على النقد العراقي منذ الخمسينيات إلى وقتنا الحاضر، وانقسم الدارسون في رحلة العمل المنجز على ثلاثة مسارات: منهم من انعتق عن المناهج النقدية القديمة تماماً، ومنهم من واصل البحث على وفق تلك المناهج، ومنهم وفق في الجمع بين الدراسات القديمة والحديثة بما يوائم الأثر الأدبي، وواقع البيئة المنتجة للنص، وزمن إنتاجه. وما يهم البحث المسار الأول المتجه نحو الحداثة.

تبنّى النقد العراقي المناهج النقدية الحديثة باختلاف منطلقاتها وأصولها ومنابعها وحركاتها ونظرياتها في العالم، فأنتج بذلك دراسات ترتكز على التطلع المعرفي النظري، والتجريبي الإجرائي، نجاحاً وإخفاقاً على وفق ما يتوافق، أو يخالف بيئة الأثر الأدبي، ومنها: دراسات النقد الشكلية، والبنيوية، والتفكيكية، والقراءة والتلقي، والنقد الثقافي، وغير ذلك، أو تبني توجهات نقدية تقليدية وتوشحها بطراز الحداثة، ومنها: الوصفية والتأويلية والسياقية وغيرها.

خلّف التلاقح بين الأدب والعلوم المتباينة أفقاً مستقبلياً تتصارع فيه المناهج النقدية واتجاهاتها تارة، وبين استقبالها والعمل على وفقها، أو محاربتها ورفضها تارة أخرى، في علاقاتها الجدية معها، أو مناهضتها في مقارباتٍ وقراءات تثير الجدل، كمّاً من التساؤلات يدور بعضها في مجالات: هل هي مناهج نقدية، أو توجهات نقدية؟ وما مدى صلاحيتها التطبيقية في واقع الثقافة العربية، ولاسيما الثقافة العراقية؟ وهل تقترب من الواقع أم تنأى عنه؟ ولماذا لم يكتب لبعضها الاستمرار؟

يؤشر هذا النوع من طرح الأسئلة إلى مشكلة انغمار المناهج النقدية الحديثة بالاتجاهات النقدية من غير فارق يميّز بينهما. فقد شاع في المدونات الثقافية والنقدية الحديثة حديثٌ عن المنهج الماركسي، والمنهج التأريخي والمنهج البنيوي والمنهج الوصفي وغيرها من المصطلحات، لاعلاقة لها بمفهوم

المنهج على وجه الدقة، فهي اتجاهات أكثر من أنها مناهج؛ ذلك لأنها تستعمل في بعض الأحايين أكثر من منهج في الحقل المعرفي الواحد، فهي تنويعات واتجاهات نقدية، فالوصفية ليست منهجاً، وإنما هي تصور نظري يعتمد على المنهج التجريبي العلمي على وفق النظرة الوضعية لمفهوم العلم. والسياقية ليست منهجاً، بل هي تصورٌ نظري واتجاهٌ في الرؤية. وتتعمق المشكلة يأتي من اختلاف الترجمة، وعدم الاتفاق على المستجدات الاصطلاحية بين المترجمين، وإلى افتقار اللغة الشارحة في بعض الأحايين، إلى الانضباط المفاهيمي، فكان من نتاج ذلك كله أن أُطلقَ تسمية الاتجاهات باسم المناهج[733]، أو من باب إطلاق اللفظ العام ويراد به اللفظ الخاص.

ترتكز الممارسة النقدية المنهجية على مستويات: منها معايير النقد (المنهج أو الاتجاه)، وثقافة الناقد، وزمن وبيئة الأثر الأدبي، في مدى صلاحية تطبيق المنهج على الأثر الأدبي. ولحل مشكلة المنهج أو الاتجاه النقدي، يتطلب الوعي بهما، وتتلاشى هذه المشكلة في الاحتكام إلى منطلقات وآليات المنحى الفكري المكتمل بمعايير علمية صارمة على وفق نظريات معدّه للمنهج.، يستجلي صورته الناقد بوصفه حاملاً لواء السلطة المهيمنة في اختيار الأثر الأدبي (النص) وتوجيهه بما يوائم بيئته المولود فيها، وزمن ولادته، أياً كان نوعه، سواء أكان شعراً أم نثراً.

فإذا ما حدث أن افترق النص الحامل لسمات بيئته وزمانه، مع آليات نقدية جامدة لا تحقق غاياته، أو أهدافه، بات النقد مِسْخاً ينأى عن الواقع، فلا يمثل الحياة. من هنا وصفت بعض الاتجاهات النقدية المتفرعة من المناهج الحداثوية بالخادعة، والمزيفة، وأعلنت الحداثة النقدية عن أزمتها، لأنها لا تحقق استجابة تفاعلية وعلائقية مع النص الواقعي، إذن فما المخرج من هذه الأزمة؟

شغلت هذه الأزمة بال الأوساط الثقافية النقدية العربية، ولاسيما العراقية، فباتت محوراً للدراسة، في كيفية الخروج منها في تطبيق المناهج الحداثوية المهيمنة على المشهد الثقافي النقدي التي أصبحت «معضلة» بحسب وصف الناقد حسن ناظم لها.[734]

من المسلم به أن الثقافة العالمية هي المهيمنة، أو القائدة للساحة الثقافية العربية في أنها المنتجة والمصدرة لمناهج الحداثة، والعرب المثقفون هم المستوردون لتصريف البضاعة المعرفية الغربية، تزودوا بها، وبروا بها برّ الأبناء للآباء في احترامها، بالقيام في خدمتها ورعايتها بأمانة وإخلاص في منجزهم النقدي: النظري والإجرائي، وبهذه الوسيلة الأدائية فرضت المناهج والاتجاهات الحداثوية نفسها في سوق التداول في الثقافة النقدية، بفعل الاطلاع على الثقافة النقدية الغربية المنخرطة في سلك التعليم الجامعي، أو بفعل المثاقفة عن طريق هجرة المثقفين، أو بفعل المنتج المترجم، أو بفعل التلاقح الثقافي، وغير ذلك.

وبما أن هذه الوسائل التعليمية، أنتجت معضلة في فرض نفسها في سوق التداول الثقافي النقدي، لم يعد يجدي تجاهلها، أو التعامل معها على وفق منطق عقلي بحت، يسلب روح النصوص من الحياة، ولابد من عملية تغيير. وعملية الإبداع، إبداع منهج خاص وطرق بحثية تناسب الأعمال الأدبية، هي فكرة تشغل بال المنتجين للنقد، فلا يوجد قالب جاهز ينصاع النقاد لمعاييره، يمكن أن يجنى ثماره، وإنما هي إسهامات في إغناء فكرة تكوين منهجية خاصة، وهذ معضلة في الأوساط الفكرية وحتى في الجامعات العربية، تتضح عبر مخرجاتها في الدراسات العليا، والمراكز البحثية الثقافية، والأوساط الفكرية والنقدية، وغيرها؛ ولذلك لابد من إعداد برامج في القنوات التعليمية والثقافي، لزيادة الوعي بهذه

---

(733) ينظر، **الشعراء نقاداً**، المفهوم والتمثلات– د. أماني حارث الغانمي، شهريار، العراق– البصرة، 2017، ص: 169–170.

(734) ينظر ،**النص والحياة**: 44.

المناهج. ومن النقاد الذين تنبهوا لهذه المعضلة الدكتور حسن ناظم. فثبتها في مفاصل ثقافية متنوعة من نتاجه، في كتبه ومقالاته ولقاءاته، معلناً عن عدم جدوى المناهج الغربية الحديثة، ولاسيما البنيوية بطرح مفارقة مخفية، سنومئ إليها لاحقاً.

إغواء المنهجيات:

تنوعت اتجاهات النقد لكتابات حسن ناظم التأسيسية على مرحلتين: الأولى، مرحلة التعليم الجامعي في الانخراط نحو تأسيس مشروع حداثي، في نهاية الثمانينيات، وبداية التسعينيات من القرن العشرين، وهي الحقبة الزمنية التي قدّم فيها عمله في إطار دراسته الأكاديمية الجامعية. وفيها عكف على دراسته في الاشتغال بالعمل النقدي النظري المنحصر في رسالة الماجستير، وهي باكورة نتاجه التأليفي: «**مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم**»، الصادر عن المركز الثقافي العربي عام 1994م، والعمل التأليفي الثاني: الإجرائي التطبيقي عن رسالة الدكتوراه طبع بعد ستة أعوام، وعنوانه «**البُنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر للسياب**»، الصادر عن المركز الثقافي العربي، في عام 2002م.

هذه المرحلة المعرفية غذّت أفكار حسن ناظم الشاب الجامعي، وأغوته بالمناهج النقدية الحديثة، مثلما أغوت النقاد العرب المحدثين. فهذه الحداثة النقدية لا يمكن أن تكون بمنأى عن الفكر النقدي له، فقد وجد فيها ضالته في تلبية أحلامه في هذا النوع من الدراسة، في حقبة توافدت فيها مناهج ومدارس وحركات واتجاهات غربية إلى الساحة الثقافية العراقية، عكست أطر النقد بانعطافاتها وحِراكها؛ لتمريرها بعقل منطقي مبتكر يخرق أطر ومسارات النقد المستهلك.

نفهم أن استجابة حسن ناظم إلى الحداثة، وفاعليتها في تغذية فكره بأصولها ومفاهيمها وموجاتها، وتياراتها وتشكلاتها، تمنح له الحرية في اختيار ما يريد، وما يتفاعل معه، وما يتبناه، بوصفها معملاً فكرياً مفتوحاً للعمل المثمر في إعادة إنتاج النصوص، هذا التوجه هو أحد التحولات في دراسته الجامعية، في السعي نحو تطوير الذات، بحسب مقتضيات الواقع. بيد أن مقتضيات الواقع تقتضي تولي السلطة، أو النظام السياسي الحاكم في العراق، مع أداته التنفيذية الجامعة، مقتضى اختيار البحوث العلمية لدراسات العليا.

ثمة شراكة لا انفكاك لها، بين السلطة والجامعة، فهما يشتركان في تحديد مصائر طلبة الدراسات العليا في اختيار الموضوعات ومناهج البحث العلمي للرسائل والأطاريح الجامعية، في مؤامرة تسلطية، تلتف حول العلوم الإنسانية، من دون غيرها من العلوم؛ لأن هذه العلوم تدور إمكانات العمل فيها حول السلطة والمجتمع.

ومن المعروف أن البحث العلمي الأكاديمي يؤسس على فرضية، والباحث العلمي يسعى لإثبات صحة فرضيته، بالتحليل والاستقصاء؛ للتحقق منها، ومن ثَمَّ نقدها، للوصول إلى النتائج المفترضة، ولاسيما إذا كانت النتائج البحثية للأدب تعالج مشكلات الإنسان والمجتمع، وتحلق في واقع سياسة السلطة، فالنقد ونتائجه تثير حساسية تصطدم مع النظام الحاكم القمعي. لاختلافها في التوجه، والأهداف، والغايات. وخشية استياء السلطة الحاكمة، يبرز عمل الجامعة بوصفها حارساً أميناً لمصالح النظام الحاكم في تنفيذ وصاياها التعليمية بعقلية بيروقراطية، تمارس قمعها المعنوي على الطلبة في موجات الرفض للموضوعات التي تسهم في خلق فرصة للوعي بالوضع السياسي، والتحرر من وصايا النظام الحاكم.

هذان النظامان المغلقان: السلطة، وتابعتها الجامعة، يتبادلان آنذاك مسؤولية المستقبل العلمي للطلبة

في اختيار مشروعاتهم البحثية ذات البعد الواحد في ممارسة الدراسات اللغوية المجردة، بديلاً عن المشاريع البحثية التي تسهم في تغيير الواقع، المتعارضة مع استراتيجيات النظام السياسي البعثي في العراق، لذا كانت المناهج الحداثوية المتخمة بالنظريات اللغوية، مآل الطلاب؛ لتمويه الواقع والأحداث، في مصادمات السلطة مع الشعب وحروب بلدان الجوار، والظروف القاهرة الذي يعاني منها المجتمع العراقي من عجز وفقر، حيال السلطة البعثية الحاكمة في كبح حرية الرأي المساهمة في تغيير الواقع؛ لأن تغيير الواقع يعني تغيير السلطة؛ لذلك كانت السلطة الحاكمة تنأى بالطلبة عن الانكفاء في مشكلات الواقع؛ لأنها تخشى مآزق العقل البحثي النقدي أن يفضحها، أو يوجه أصابع الاتهام لها، فيما لو كانت الاستنتاجات البحث العلمي في مشاريع الدراسة تتعلق بمرجعيات المجتمع والسلطة بمكوناتها الفكرية والتأريخية. والجامعة هي الإدارة المنفذة لتعليمات الوزارة الحريصة على رضا النظام البعثي الحاكم في توجيهات اللجنة العلمية، لغربلة موضوعات الطلبة في قبولها أو رفضها. لذا كانت الدراسات النقدية الغربية هي الملاذ الآخر، في ممارسة العنف الثقافي المبطن، في تجهيز وإعداد الإنسان، الطالب العراقي المثقف، على وفق آلية سلطة النظام البعثي الحاكم.

ويبدو أن المثقف العراقي، طالب الدراسات العليا، ساعد النظام الحاكم على تحقيق أهدافه وغاياته، فنصبت السلطة الشرَك للباحث العلمي في توجيهه، فوقع الأخير في فخ الشرك الذي نُصب له، في تسخير عقله وفكره، في التوجه صوب الدراسات الغربية الحديثة الفاتحة معاقلها والمشرعة أبوابها، نحو مجاهيل اللغة التجريدية، واحتمالاتها ومشكلاتها، وإشكالياتها، في رقعة محددة من التفكير، ينأى عن السلطة والواقع.

وخشية استياء النظام الحاكم، في خلق صراع بينها وبين المثقف، لاذَ طالب الدراسات العليا حسن ناظم، صوب هذا اللون من الدراسات، ولاسيما أن السلطة السياسية بالعراق كانت تضعه وتضع أمثاله موضع الشبهة؛ فهو على الصعيد الشخصي من عائلة فقدت في خضمّ الأحداث القمعية في الثمانينيات والتسعينيات الأب واثنين من إخوته. ويحتمل أن هذا سبب آخر لميل النقاد آنذاك، ومنهم هو، نحو الدراسات التي تتوسّل المناهج الحديثة، ولاسيما أن حرية الثقافة مكبلة بإرادة السلطة البعثية في شراكة فاعلة بين السلطة الفوقية / النظام السياسي الحاكم، والسلطة التنفيذية/ الجامعة.

وثمة سبب آخر صوب هذا التوجه، وهو أن الإنسان في طبيعته حرّ، وحبه للحرية جعله يستقطب كل ما يغذي حريته في التداول الثقافي، والتأثر به ليسد حاجته في الثقافة المغايرة، وبما أن الحداثة مناخ جديد، ومن متطلبات العصر المفروضة والمشرّعة أبوابها لاستقبال القاصي والداني، فقد استهوت المنشد، حسن ناظم، للحرية، ظناً منه أنها جنته التي تأويه، يتفيأ بظلالها، وينعم بآلائها، ولاريب أنها حفرت له فخاً لاصطياده، فمن يدخل هذه الجنة الموهومة يُنتشل منه عقله الخلاق، ليعمل لصالحها، باستبداد وسائلها وسننها وقوانينها وصياغاتها وتراكيبها، المفروضة على الباحث إيجادها في ممارسة نقدية لغوية تجريدية، فتوجه عقل الدارس لها بأوهامها الخادعة والزائفة في احتكار معنى النص ودلالته وموضوعه، وتجرده عن زمانه وبيئته وظرفه وواقعه ومؤلفه.

ويبدو أن الأزمة ليست في التوجهات النقدية، وإنما الأزمة في الدارس الذي سخر عقله لها. إذاً، كيف يمكن انفراج أزمة الباحث والباحثين عامة؟ وكيف يتخطى الباحث هذه الأزمة؟

على الباحث الوعي بهذه الأزمة والاعتراف بها، وتقبل وجودها، وقراءتها من جديد، وإعداد صياغة أوراق أعمال جديدة نحو التغير والتغيير والعمل بموجب المنظور الجديد. وهذا ما سعى إليه حسن ناظم في المرحلة الثانية من حياته العلمية.

التحول المنهجي

وهي مرحلة التحول الجديد عن اتجاهات النقدية الحداثية، والانفكاك عنها، والخروج من الأزمة في التحرر منها، ونعتها ب«المعضلة، والمذابح، والتشريح»، وهي دعوة إلى طريق جديد. تتمثل هذه المرحلة في ما بعد عام 1996 إلى يومنا هذا. فيها نهج حسن ناظم مساراً جديداً في مؤلفاته: **أنسنة الشعر مدخل إلى حداثة أخرى**: فوزي كريم نموذجاً، الصادر عن المركز الثقافي العربي، في الدار البيضاء ـ المغرب، في عام 2006م، و**النص والحياة**، الصادر عن دار المدى في بيروت، في عام 2008م، **والشعرية المفقودة** عن منشورات الجمل في بيروت ـ لبنان، في عام 2009، **واضاءة التوت وعتمة الدفلى حوار مع فوزي كريم**، الصادر عن دار المدى، بيروت ـ لبنان، عام 2013.

ومن تواريخ إصدار هذه الكتب يتبين أنه ألّفها، وهو في بلاد المنافي، بحسب ما تومئ إليه مقدمات هذه الكتب. ففي مقدمة **أنسنة الشعر** أرخ المقدمة (أستراليا كانون الأول 2004)، وأرّخ مقدمة الشعرية المفقودة (سيدني شتاء 2007)، وأرّخ مقدمة **إضاءة التوت وعتمة الدفلى** (فرجينيا خريف 2010).

هذا يعني أن نتاجه هذا أنتجه في المدار الزمني لهجرته من عام 1996 إلى عام 2014م، من مغادرة العراق إلى بلاد المنافي: أستراليا وأمريكا مع محطات الانتظار الطويل قبلهما في الأردن وليبيا، وفي هذا المدار الزمني دخل حسن ناظم مرحلة جديدة من الفكر والمفاهيم من التراكم المعرفي، والخبرات البحثية للثقافة الغربية من خلال قراءاته وترجماته التي أنجزها في بلاد الغرب، فتشرب العلوم الإنسانية من اللغة والأدب والفلسفة والتأريخ، وغير ذلك.

ومن المنهل الغربي، تكونت له رؤية معرفية يقينية بعدم جدوى المناهج الغربية في الدراسات العربية؛ لأنها تحجر النص، وتحرمه من حقه الجمالي والروحي في الحياة، ويبدو أن المنفى أتاح له «إمكانية القول والتعبير في فسحة من الحرية كبيرة»[735]؛ لتحرر من أسر قيود المنهج.

إن تبني نقاد الحداثة من باحثين ودارسين في تطبيق اتجاهات المناهج الحديثة في إنجازهم النقدي المتكرر، عُدّ خطيئة من زاوية نظر الناقد حسن ناظم، لا بدّ من التكفير عنها؛ لأنّ ثُلّةً من النقاد على تعدد مشاربهم النقدية، وثقافاتهم المتراكمة، صلبوا نصوص الأدب على المذبح، «الأمر الذي خلط حابل النص بنابل المنهج، فكانت عاقبة ذلك على الأغلب مذابح نصيّة تناثرت فيها أشلاء أجمل نصوص الشعر العربي»[736]. قدّمها النقاد المشتغلين بها قرباناً للثقافة العربية؛ لتشريحها على وفق سادية المناهج النقدية الغربية الحديثة. وإمعاناً في تشريح النصوص في مذابح المناهج، سميّت بعض النتاجات النقدية المؤلفة بهما. فعلى سبيل التمثيل لا الحصر: كتاب **تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة** لعبد الله الغَذّامي[737]، **والخطيئة من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر** للناقد نفسه[738]، و**تشريح أصول الاستبداد قراءة نظام الآداب السلطانية** لكمال عبد اللطيف[739]، و**مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة** لجورج طرابيشي[740]. وتناسلت من

(735) **النص والحياة**: 30.

(736) المصدر نفسه: 23.

(737) **تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة** ـ عبد الله الغَذّامي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء – المغرب، بيروت – لبنان، 2006م.

(738) **الخطيئة من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر** ـ عبدالله الغَذّامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، القاهرة – مصر، 1998م.

(739) **تشريح أصول الاستبداد قراءة نظام الآداب السلطانية** ـ كمال عبداللطيف، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت– لبنان، 1999م.

(740) **مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة** ـ جورج طرابيشي، دار الساقي للطباعة والنشر، ط2، بيروت–لبنان،

المصطلحين (التشريح والمذابح) مقالات[741]، وكتب أدبية وفلسفية تُعنى بنقد النقد.

هذا التركيز على تصنيف لفظتي (التشريح والمذابح) في عناوين الكتب والمقالات النقدية، له خطورته في الفكر النقدي المتأزم، خلق أزمة نقدية تمثلت في **المرايا المُحدبة من البنيوية إلى التفكيك** لعبد العزيز حمودة[742]، **والمرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية** للكاتب نفسه[743]. مما حكم سلفاً على **موت الناقد** لرونان ماكدونالد[744] في الرفض، **أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذات الإنسانية: من سطوة الانغلاق إلى إقرار الانعتاق** لمحمد بكاي[745]، ومن ذلك كلّه وغيره نتج؛ **إشكالية المنهج في نقد الشعر العربي المعاصر من خلال تجارب النقد المرجعي** لعبد الله شريف.[746]

فإذا كانت هذه النصوص الأدبية على منصة الذبح، مهيأة للتشريح في اغتيالها من الحياة، فكيف عالج حسن ناظم نصوصه لينقذها من يد الجزار؟

إن ما كتب وسيكتب من كم كبير حول حداثة المناهج الغربية، وسجن النصوص فيها بأسوار اللغة، وبمعاقل النقد، قد نصبت لنفسها فخاً لإنهيارها، بسبب هشاشة أسوارها، ومماهاة اللغة فيها، وعقلانيتها المركزة في قوانينها، ولغتها العمياء الفاقدة لبصيرة الحركة والتجديد، لتخبطها في معادلات ذهنية غير مجدية في إدارة النصوص، وتحولاتها على الصّعد: النفسية والاجتماعية والسياسية والتأريخية، والجري بسرعة اللهاث وشقاء الأدوات الإجرائية، فهي لا تغترف الدلالة العميقة، ولا تتخطى الخطوط والمسارات المخفية لبواطن النصوص، ولم تداهم الإمكانات الخيالية والإشارية والرمزية الدفينة فيها، بوصفها لغة نخبوية لدارسيها، يتعاملون معها بمنطق التباهي والتعظيم لها.

2006م.

(741) ينظر، مقالات في المواقع الإلكترونية الآتية:

-النص ليس جثة على طاولة التشريح- خالد حماد:

Hettps://alarab.co.uk

-النص على منضدة التشريح- منذر عياشي:

Hettps://www.atida.org

-مقاربة تشريحية لقصيدة/ قصة، إنسان مسكين للشاعر خلف مشعان- عبد الوطيف:

www.3nzh.com,archivemindex.php

-تشريح الصورة في الخطاب المرئي- حسين التكمه جي:

Hettps://atithereat.ae

-تشريح جثة الكتابة: من يعلن موتها؟- بلال اللبابيدي:

Hettps://www.alquds.co.uk

-مذابح الأفكار- جابر جابر:

www.inktab.me

-آه أيتها المذابح الوقحة- جورج تراكل، ترجمه عن الألمانية: سوارملاّ:

Hettps.al-akhabar.com,mkalimat

(742) **المرايا المُحدبة من البنيوية إلى التفكيك**- عبد العزيز حمود، سلسلة عالم المعرفة232، الكويت، 1998م.

(743) **المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية** – عبد العزيز حمودة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، 2007م.

(744) **موت الناقد** – رونان ماكدونالد، ترجمة: فخري صالح، دار العين للنشر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 1435هـ- 2014م.

(745) **أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذات الإنسانية: من سطوة الانغلاق إلى إقرار الانعتاق** – محمد بكاي دار الرافدين، بيروت- لبنان، 2017م.

(746) **إشكالية المنهج في نقد الشعر العربي المعاصر من خلال تجارب النقد المرجعي** – عبد الله شريف رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م.

أثر مجريات هذا النقد في الممارسة للعمل المنجز للناقد حسن ناظم، وبوعي الناقد المثقف صرح تكراراً إلى خلع أثواب المزركشة والمطرزة لمناهج الحداثة؛ لتخفيف عن عبء أثقالها على النصوص، والبحث عن بدائل أقل عنفاً من المجازر التي نُصبت لذبحها وتشريحها، تتخطى الأزمة والإشكالية نحو استراتيجية فكرية منظمة، لإعادة كرامة النصوص إلى الحياة بثبات، اعترافاً منه أن ما يقدمه في دراسة «أنسنة الشعر في إبداع فوزي كريم شعراً ونقداً كفارة نقدية عن عبث مُورس على النصوص عبر إغفال الجانب الإنساني فيها. إن النصوص مهما كانت طبيعتها، لا تُغفل وجود الإنسان والحياة وعلاقتها بهما. ويمكن أن يستشعر المرء عقم معالجات عديدة استهلكت جهوداً نقدية انصبت على النص نفسه، واستبعدت علاقاته بالإنسان وعالمه».[747]

إن هذا البعد الأحادي في الشعور بالذنب في ارتكاب خطيئة عبث نقدي على النصوص ليس له مسوغ. لأن «إعلان هذه الكفارة عن الآخرين وتحمل الذنوب، رهق لا يتحمله، وليس مسؤولاً عنه حسن ناظم، واختزال القضية بهذه الطريقة لتكون مسؤولية أفراد أيضاً يقلل من أهميتها»[748]، وأبعاد متباينة لها خطورتها. وسياق كلامه يحمل مفارقة واعية، في نسق ثقافي مضمر، فهو يعد نفسه سليل السيد المسيح في تقديم الكفارة (القربان)، فقد قدم انجازاً نقدياً، كفارة عن عبث مُورس على النصوص من نقاد الحداثة، فحمّل نفسه وزر خطيئة النقاد من بني آدم.

هذا الاعتراف في الرفض نحو التغيير في استثمار المناهج الغربية، تحول إلى كلام عاصف في خلق أزمة تراكمت وتكررت في مقولاته. لا مراء أن العالم العربي، ولاسيما العراقي في منتصف القرن العشرين حتى بداية القرن الواحد والعشرين، دخل وسط أعاصير كثيفة من الدوامات على صُعُد نشاطات الحياة كافة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية: الفكرية والأدبية والنقدية وغير ذلك، من مجالات الحياة المختلفة، وهذه الأعاصير أثقلت كاهل الإنسان المعاصر، فأنهكت قواه بمشكلات وأزمات متلاحقة ومتتابعة، تتطلب منه عملية تحدي كبيرة على عدة مستويات: التصدي لها، والوعي بها، وإعداد ذات الإنسان العراقي نفسياً وعقلياً لاستيعاب الواقع، وقراءته، وإعداد خطة نحو «التغيير» و«التنوير».

وبات هذان المصطلحان: «التغيير والتنوير» يناديان بهما نخبة من المثقفين السياسيين والاجتماعيين والاقتصاديين والمفكرين والفنانين والأدباء والنقاد وغيرهم. وخليق بالناقد العراقي، والناشط الواعي، والمثقف الأكاديمي، والأستاذ الجامعي، والمعلم التربوي حسن ناظم أن يطوف في ساحة الذات والآخر للتغيير والتنوير، في خروج الإنسان عقلاً و قيمة ومعنىً من الأزمات عبر ثقافة نقدية متصالحة مع الفكر في الإطاحة بكل ما يشوه صورة الإنسان الخلاّق في العمل الأدبي؛ لتجنبها؛ وذلك لتعزيز قيمة ذات الإنسان بوصفه أيقونة الحياة، أي أن الكائن البشري هو المحرك والمجدد والمغير والمطور للحياة. وكان لابد من إعادة صياغته بما ينسجم مع فتوحات العصر الجديد، وتوجهات تيارات الحداثة في مناخ أدبي يحترم ذات الإنسان ومعاناته وآلامه وقسوة الآخر عليه في الحياة، في نقد أدبي يستوعب هموم الإنسان ويعترف بإنسانيته، جاء ذلك تصريحاً مكرراً في كتابات حسن ناظم في عدة مواضع، ومما صرح به: «إن عراق العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين والمفتتح القاسي للقرن الواحد والعشرين ليستدعي بناءً جديداً لكل شيء. ذلك أنه لم يتخلف فيه غير الحطام: حطام الروح والمادة في آن واحد. إنه يقتفي بامتياز ‘عصر التنوير’ جديد. ومثلما يشيع الحديث عن إعادة ‘البنى التحتية’ في العراق الجديد بعد حقبة الدمار، ثمة ‘بنية تحتية’ أخرى ربما تكون لها الأولوية في المعالجة الآن: إنها روح الإنسان العراقي. إن للإنسان وجوداً ذاتياً، يدعمه إحساسه بهذا الوجود وفرادته وخصوصيته. وبهذا

(747) **أنسنة الشعر، مدخل إلى حداثة أخرى، فوزي كريم نموذجاً**: 7.

(748) من فلسفة موت الإنسان إلى الأنسنة– قراءة في اشتغالات الناقد الدكتور حسن ناظم (مقال) – صالح زامل.

الوجود وهذا الإدراك لهذه الخصوصية تتفتح الأنسنة في الحياة، وتناول هذا الوجود الإنساني على أنه يمثّل الأصالة الحقيقية للإنسان عبر كتابة تتبنى هذا الفكر إنما هي محاولة في الأنسنة، محاولة في العودة إلى الإنسان وإلى همومه، وإلى تعزيز فرادته وقيمته العليا».[749]

ويفترض الناقد حسن ناظم أن عملية التنوير تتفتح في ذات الإنسان، تخترق كيانه العقلي والفكري والروحي والجسدي، يتغذى منها ويتلفع بها في تفاعل شعوري خلّاق؛ ليرى الواقع بمنطلق فكري منفتح يتيح له اجتراح تشخيص الواقع ومعالجته بإمكانات وقدرات لغوية تُعبر عن الإنسان وهمومه. ومن هذه الركيزة كان كتابه أنسنة الشعر مدخل إلى حداثة أخرى، مقاربة للتغيير والتحول والتنوير في أن يمنح الناقد صورة الإنسان عنايته، قبل اللغة وفنونها، وهو عمل مثمر وخلّاق في عملية التغيير بين الأنا (الناقد)، والآخر (الإنسان في العمل الأدبي) تارة، وبين الداخل (العمل الأدبي) الماضي، وبين الخارج (الواقع) المستقبل تارة أخرى، عبر لغة تواصلية خصبة ومثمرة وفاعلة خلّاقة. «إن أنسنة الشعر هي تعويل على طاقات الشعور الخلاقة في العالم الداخلي للإنسان كائناً إنسانياً خبيراً بإمكانات اللغة في التعبير عن قضاياه ومعالجتها. و أنسنة الشعر هي تنوير للإنسان عبر الشعر. هي أن يكون الشعر ملتحماً بحس الرسالة الإنسانية».[750]

وهذا يعني أن الاتجاه النقدي الحديث لا يلغي أو ينفي الاتجاه النقدي اللغوي القديم للناقد حسن ناظم؛ ذلك لأن اللغة ذخيرته المعرفية، وتخصصه الدقيق، وهُويته الأكاديمية بوصفه ناقداً لغوياً للأدب الحديث، وأن ما يدعو له محاولة لقراءة العمل الأدبي في إعادة إنتاجه بنظام جديد، ليؤدي وظيفة جديدة، في اشتغالات نقدية تنسجم مع الواقع، وتنأى عن التنميط، تتشكل في وعي نقدي يتأسس على تفسير الظاهرة الأدبية، وفهمها، وتشخيص عللها، والتبصر بها، وتحليلها على وفق قراءة سليمة معافاة، للسياقات الثقافية للعمل الأدبي، يروج فيها إلى كتابة حداثية في **أنسنة الشعر** في «إطلاق مفهوم الحداثة من سجن اللغة، وتسريح متضمناتها من إلزام الأبنية الفكرية وإكراه العقيدة، وتشويه الفهم السطحي]...[ولاشك أن تقديم الفهم عنصراً له الأولوية يُشرك الكتابة في مسؤولية إنسانية ملحة. إن جانباً أساسياً من أزمة الحداثة الشعرية العربية هو جانب المعنى. وإذا لم يحضر الفهم وغاب المعنى، فإن الضياع لا يطول الدلالات ولا الدلالات الضمنية حسب، بل أن أعمق تأثير لأزمة المعنى إنما يعني أزمة القيم».[751]

ومن المؤكد أن كتابة النقدية الحداثية هذه ليس غايته النقد والناقد، حتى لو امتلك الناقد طاقات هائلة في إدارة أدواته النقدية بتقنية إيجابية، فهي تفي بجزء من علاقتها بالنص الذي يضارع الحياة، لأن الحياة فيها منطلقات هائلة في الوجود، والأدب جزء يحاكي هذه المنطلقات، ومن ثمَّ يتجدد النقد بتجدد منطلقات الحياة، وإمكاناتها المنتجة الفاعلة في مشروع نقدي، تنطوي فيه المتغيرات والتحولات والخيارات التي تؤول إلى أعمال الخيال، غايته وهدفه الإنسان، فتحيا النصوص بحياة الإنسان، وتموت بموته.

هذا الطرح للناقد حسن ناظم يبلور وعي معرفي وطفرة متسارعة في تحولات العمل النقدي لدّيه، قاده إلى إجراء تعديل وتحسين جديد في مختبر النقد العمل الأدبي، وهو ليس خرق لمعايير النقد الحديث، وليس العزوف عنها، أو إقصائها تماماً، وإنما هي تغيير قواعد اللعبة النقدية في التخفيف من أسر الالتزام بها في الممارسة الحرفية للنقد.

---

(749) **أنسنة الشعر**:10.

(750) **أنسنة الشعر**: 13.

(751) **المصدر نفسه**: 14.

في هذه الآلية أثبت الناقد فاعليتها في كتابه: **النص والحياة** واصفاً منهج دراسته بأنها «تحاول أن تخفف من غلواء الالتزام الحرفي بالمناهج الحديثة».[752] وبهذا المنظور يتحصن حسن ناظم بالحذر والتدبر الفكري في استثمار نظريات النقد وتطبيقها على النصوص؛ لأسباب خشية مداهمات غير محسوبة محصورة بين النص والمنهج والقارئ: «لذا ثمة حذر هنا وتدبر، يجنبنا مصاعب النظرية، واستحالات المنهج التي توقع الكثير من المحاولات النقدية في ضرب من النقد الذي يتغافل عن حالات عدم ملاءمة المنهج، نقد غير عملي doctrinaire يورث العقم وحتى الملل للقارئ»[753]، والناقد لا يتملص عن المنهج، وإنما حذره ينصب على النظرية النقدية غير مطبقة عملياً، في الوقت الذي يحاول التحرر من مركزية المنهج. واختيار آلية المنهج المناسبة للنص؛ لتنتج تفاعلاً خلاقاً وإقبالاً وشغفاً للقارئ عليها، وتتيح لفكر الناقد التنظيم المخصب، والتدبير المثمر في فتح مغاليق النص في اختيار الموضوع ومتطلباته على وفق مساحة مفتوحة في المنهج خاضعة لممارسة سياسة العقل والفكر لإزالة عوائق ومآزق المنهج المركب بين التفكير والمنهج، والتفكير والنص. لكي لا يتقاطع مع العمل النقدي، ولهذا يكرر حسن ناظم هذه المعالجة في موضوعة نشيد أوروك الحذف خوفاً ورُقى العقاب في كتاب النص والحياة: «ولنا أن نبدأ، هكذا، ملطفين من خشونة المنهج وقسوة الأكاديميات»[754]. في اعتراف صريح لمعالجة توسطية؛ لمنح النصوص هويتها الفعلية الواقعية، وأداء رسالتها البهية؛ لكي «تنقلها إلى القرّاء الفعليين، من دون التنكر إلى القرّاء النصيين»[755]، في ممارسة العمل النقدي المنطلق من فك القيود الخانقة والمغلقة بالمعايير والقواعد المرسومة في النقد الحديث، في الانحلال الجزئي منها، من خلال تدبر صيغ مرنة تفجر طاقات الناقد وقدراته وإمكاناته لمعالجة موضوعة الدراسة، وهذه المعالجة التوسطية تسمح للناقد أن يجوب مساحات شاسعة في عمله النقدي الخصب والمثمر المتفاعل مع القارئ أين كان صنفه، وهدفه إيصال رسالة معرفية إبداعية وبثها إلى المجتمع.

وهذه هي آلية التغير في العمل النقدي للناقد حسن ناظم تستند على المعالجة المتوسطة في إعادة النظر في العمل الأدبي المنجز التي تنأى عن تهميش المنهج أو نفيه أو التنقيب عن بديل عنه، وإنما هي عملية تخفيف الالتزام من وطئه ثقل المناهج، وتوظيفها توظيفاً مفتوحاً يستوعب عدة قراءات ضمن فضاء المنهج، المتحرر من مركزيته وشروطه وقوانينه في التطبيق من غير الاستعانة بقوالب جاهزة لتطبيقها في مختبر العمل الأدبي.

ولا يخفى أن أكثر التصريحات والتعليقات والمطارحات المذكورة في مشاريع عمل الناقد حسن ناظم، تجوب حول عقم المناهج الحديثة، وهي لا تخص نتاجه، وإنما هي آراء تنظيرية تحمل منظور وعي شخصي في التفكير في صناعة مستقبل الثقافة النقدية. وكانت كتاباته رد فعل للمشهد الثقافي النقدي الذي آل إليه العصر الحديث، سعياً منه في إنماء التغيير والتطوير في مساهمة لصنع فكر نقدي نيّر.

ذكرنا آنفاً أن اشتغالات الناقد في بواكير أعماله النقدية، كانت تدور حول دراسة تنظيرية في مصطلح الشعرية، ودراسة إجرائية في الأسلوبية. والأسلوبية دراسة متفرعة من الحركة البنيوية، ولهذين الدراستين بحسب منظور حسن ناظم «في تقييم إنجاز النظريات النقدية إجمالاً، وهي تجربة لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت»[756]، أفاد منها النقد الحديث في الولوج إلى أعماق النص، ففتق الفكر الإنساني نحو أسرار لغوية للنص عبر إجراءاته، وهي بلا شك نافعة، زودت المكتبة العربية والعراقية على السواء بكم هائل من نتاجها، لكن النقد في الآونة الأخيرة انصبّ عليها كهدير الرعد تسفيهاً بها.

(752) **النص والحياة**:23.

(753) المصدر نفسه: 23.

(754) المصدر نفسه:120.

(755)المصدر نفسه: 23.

(756) **إضاءة التوت وعتمة الدفلى**، حوار مع فوزي كريم، حاوره حسن ناظم: 144.

لاحتمالات انقطاع صلتها بالتجربة الروحية للإنسان وواقعه. وهذا أمر طبيعي تفرضه طبيعة سنن الحياة في التغيير والتطور، فما كان جديداً اليوم، سيكون قديماً يوماً ما، وسيأتي الوافد الثقافي الجديد؛ لإزالة القديم في ارتقائه بأفكار ورؤى جديدة.

وهذا الأمر ينطبق تماماً على الطالب حسن ناظم في تسجيله عنوان رسالة الماجستير، وعنوان أطروحة الدكتوراه في حقبة زمنية تُمثل إطاراً إصلاحياً للنقد العربي، أومأ الناقد ناظم عودة إليها في مقال كتبه عنه تصدر كتاب **النص والحياة**، فقال: «ومشروع حسن ناظم الذي ينتسب إلى هذا الجيل، يندرج في إطار المحاولات الساعية إلى جعل المُثل الأكاديمية أساساً إصلاحياً للنقد العربي داخل الجامعة وخارجها».[(757)] وبات اليوم هذا المشروع قديماً، والناقد حسن ناظم هو نفسه من دعا إلى تعديل المنهج نحو مستقبل نقدي مشرق. وهذه من المفارقات المدهشة، فالزمن له خصوصيته في إنتاج النقد، فما كان في أول زمانه عملاً إصلاحياً، غدا اليوم عملاً قديماً غير مجدٍ، يوصف بالتشريح، ساعياً في مذابح النصوص، فالزمن له حكمته التأريخية.

ويعاضد هذه المفارقة الناقد نفسه بتساؤله: «أثمة حقبة دامية كحقبة الثمانينيات والتسعينيات بالعراق عالجتها الثقافة بمثل فعلنا؟»[(758)] يبقى السؤال مفتوحاً ينتظر دراسة مستفيضة.

التقييم

- المرحلتان المعرفيتان اللتان مرَّ بهما الناقد حسن ناظم هما تابعتان إلى آليات العقل التفكيري الموجه في سياقات معرفية، تقوم على ثنائية بين التبعية والتقليد للمناهج الغربية، وبين التحول والتطوير، وهذا المنظور المتراوح بين الثبات والحركة في نِتاجه، هو نابع من الإيمان بآلية التفكير ثم التوظيف في العمل المنجز.
- انصب اهتمام حسن ناظم بعقلانية التفكير لانتخاب ما يتناسب في مجال النقد الأدبي الحديث على وفق رؤية علمية معرفية، انخرطت في صناعة تخصصه المعرفي، وصاغت مصير النقد في حياته العلمية الأكاديمية، وأطرت توجهه النقدي بقوالب وصيغ وقيم ومعايير ووسائل، ضمن منظومة علمية ممنهجة، مبنية على أسس من التمييز والاصطفاء في الاختيار والانتخاب بوصفها اتجاهاً نقدياً يندرج في حاضرها بمنطق التحولات بأفكار جديدة تبادر وتجترح قواعد العمل النقدي.
- إن تبني ظاهرة الحداثة النقدية، هي ظاهرة طبيعية صحية تتناسب مع ظرف العراق التأريخي والسياسي والثقافي والاجتماعي، والدليل الناجز على ذلك، أنها ليست مشكلة في وقتها يتخطاها ويستبعدها الناقد، وإنما كان اتباع المنهج الحداثي اختياراً قصدياً، بأنه الأفضل في البحث والدراسة، وأنه يستحق الاحترام والتكريم بقناعة، فما يعدّه حسن ناظم بأنه الأنموذج الأمثل للدراسة في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، يجده في القرن الواحد والعشرين مصدر عطب وخلل، وأنه استنفذ جهده وفاعليته الذهنية الكبيرة فيه، وهذا الصراع في ثنائية القبول والرفض يحيل إلى التخفيف عن الممارسات النقدية الحداثية بأساليب المعالجة المتوسطة؛ ذلك لأن الناقد المثقف اصطفائي، يعتقد أن النقد يحتاج إلى إدارة شأنه بطريقة أخرى، يجد أنه هو القادر على معالجتها بوسائله وخبراته ومعارفه التي تتناسب مع النص، في استرجاع الحياة فيه.

---

(757) **النص والحياة**: 12.

(758) **النص والحياة**:27.

المصادر والمراجع:

1- **أرخبيلات ما بعد الحداثة، رهانات الذات الإنسانية: من سطو الانغلاق إلى إقرار الانعتاق**- د. محمد بكاي، دار الرافدين، بيروت-لبنان، 2017م.

2- **أزمة التنوير العراقي، دراسة بين الفجوة بين المثقفين والمجتمع**- فلاح رحيم، جامعة الكوفة، سلسلة دراسات فكرية، دار الرافدين، بيروت-لبنان، 2018م.

3- **إشكالية المنهج في نقد الشعر العربي المعاصر من خلال تجارب النقد المرجعي**- عبدالله شريف، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م.

4- **إضاءة التوت وعتمة الدفلى، حوار مع فوزي كريم حاوره حسن ناظم**، دار المدى، بيروت- لبنان، 2013م.

5- **أنسنة الشعر، مدخل إلى حداثة أخرى، فوزي كريم نموذجاً**- حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، 2006.

6- **البُنى الأسلوبية في شعر السياب، دراسة في أنشودة المطر**- حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب،2002م.

7- **تشريح أصول الاستبداد، قراءة نظام الآداب السلطانية**- كمال عبد اللطيف، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت- لبنان، 1999م.

8- **تشريح النصوص** - عبد الله الغَذّامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت- لبنان، 2006م.

9- **الخطيئة من البنيوية إلى التشريحية** - عبد الله الغَذّامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، القاهرة - مصر، 1998م.

10- **الشعراء نقاداً، المفهوم و التمثلات** - د. أماني حارث الغانمي، شهريار، العراق- البصرة، 2017.

11- **مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة** - جورج طرابيشي، دار الساقي للطباعة والنشر، ط2، بيروت- لبنان، 2006م.

12- **المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك** - عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة 232، الكويت، 1998م.

13- **المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية** - عبد العزيز حمودة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، 2007م.

14- **مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم** - حسن ناظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر، مطبعة الجامعة الأردنية، الاردن- عمان، 2003م.

15- **مناهج النقد الأدبي، دراسة لمكونات الفكر النقدي في العراق من عام 1980- 2005**، صالح زامل، منشورات ضفاف والاختلاف، دار أوما، بيروت- لبنان، 1435هـ - 2014م.

16- **موت الناقد** - رونان ماكدونالد، ترجمة: فخري صالح، المركز القومي للترجمة، دار العين، القاهرة، 2014م.

17- **النص والحياة** - حسن ناظم، دار المدى للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2008م.

-المقالات:

أ- المقالات المنشورة في المواقع الإلكترونية:

18 - آه أيتها المذابح الوقحة - جورج تراكل، ترجمه عن الألمانية: سوار ملّا:

Hettps.al-akhabar.commkalimat

19 - أنسنة الشعر، هيثم سرحان، مجلة أقلام الثقافية على الموقع الإلكتروني:

WWW.akklaam.net/newaqlam/aqlam/show

20- تشريح جثة الكتابة: من يعلن موتها؟ بلال اللبابيدي:

Hettps://www.alquds.co.uk

21- تشريح الصورة في الخطاب المرئي- حسين التكمه جي:

Hettps://atithereat.ae

22- مذابح الأفكار- جابر جابر:

www.inktab.me

23- مقاربة تشريحية لقصيدة/ قصة، إنسان مسكين للشاعر خلف مشعان- عبد الوطيف

www.3nzh.com,archivemindex.php

24- النص ليس جثة على طاولة التشريح- خالد حماد:

Hettps://alarab.co.uk

25- النقد الأدبي العراقي- محاولة تصنيفية، (مقال)- علي حسين يوسف:

M.ahewar.org/S.asp?aid=4751028cid=08?cid=o8u=8i=738789

ب- **المقالات غير منشورة:**

26- من زاوية نظر كائن محب - فوزي كريم، (شهادة فوزي كريم عن حسن ناظم، قيد النشر).

27- من فلسفة موت الإنسان إلى الأنسنة، قراءة في اشتغالات الناقد الدكتور حسن ناظم ـ صالح زامل، (قيد النشر).

3- نسق النسوية في سرديات عالية طالب

أ.د إيمان مطر مهدي السلطاني

كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة / العراق

imanm.alsultani@uokufa.edu.iq

Summery:

The pattern of feminism has been linked to the life of women in reality and society and their relationship with them, and this relationship, which varied between marginalization and exclusion, or be subject to charge and contempt, or the place of respect and respect, and this is in some cases, and for some reasons, and their reactions to the behavior of society, Submissive submissive to reality or rebel against it by various means, or stand on the fence, do not take any position against anyone, even at the expense of herself, and the man is more generally the other party, which is the peer and adversary of women as well as traditions, customs, religion and the moral and cognitive system that constitute both Them a different party to A woman has an impact in shaping her position in society, and her biological and psychological composition may have influenced the formation of that oppressed and rebellious figure.

Feminist patterns appear dominant in high narratives demanded to highlight visions, dimensions and issues of marginalized, excluded, and static women. Centralization of the margin, although excluded, this will be addressed in the research (the format of feminism in high narratives Talib) in her creative work, namely: the collection of stories (passages) issued in 1989, and the novel (mother here or there) issued in 2001, and the novel (faces) Published in 2002, and the fictional group (a woman in th Behind) issued in 2004, and the group of short stories (Sea Pearl) issued in 2006, and the novel (the resurrection of Baghdad) issued in 2008, and the group of short stories (Tales of sand) issued in 2017. We will try to shed light on these literary works in accordance with the feminist pattern declared and implicit in the folds of texts.

المقدمة

ارتبط نسق النسوية بحياة المرأة في الواقع والمجتمع وعلاقتها بهما، وهذه العلاقة تنوعت بين تهميش واقصاء لها او وضعها موضع اجلال واحترام، وهذا يكون في بعض الحالات القليلة، ولأسباب معينة، وتختلف ردود فعلها اتجاه سلوكيات مجتمعها، فهي اما خاضعة مستسلمة متقبلة لواقعها او متمردة عليه بوسائل متنوعة، ويكون الرجل في الاعم هو الطرف الآخر الذي يكون الند والخصم للمرأة فضلا عن التقاليد والعادات والدين والمنظومة الاخلاقية والمعرفية التي تشكل كل منها طرفاً مغايراً للمرأة،

له أثر في تشكيل موقعها في المجتمع، وربما كان لتكوينها البايولوجي والسايكولوجي أثر في تكوين تلك الشخصية المضطهدة والمتمردة.

يظهر نسق النسوية مهيمنة في سرديات عالية طالب، لتَبرزَ رؤى وابعاد وقضايا خاصة بالمرأة المهمشة والمقصية، والساكنة، وتظهر مركزية الآخر؛ فالهامش دليل وجود المركز، ولكن في حالات يعلو صوت المهمش، ويحصل انتهاك لحالة الاسكات التي فرضتها المهيمنة السلطوية الذكورية، وهذا ما سيتناوله بحث (نسق النسوية في سرديات عالية طالب) في اعمالها الإبداعية. ونسلط الضوء على هذه الاعمال الادبية على وفق النسق النسوي المعلن والمضمر في ثنايا النصوص، وسنعتمد على رواية (قيامة بغداد) والمجموعة القصصية (حكايات الرمل) والمجموعة القصصية (بحر اللؤلؤ)، وذلك لظهور نسق النسوية واضحا في هذه الاعمال الابداعية، وعلى وفق خطة البحث التي اقتضت تقسيمه إلى ثلاثة مباحث: يتضمن المبحث الاول (المرأة النمطية) وسائل نمطية المرأة، وتظهر في الحب والزواج والامومة والجنس، ويتناول المبحث الثاني (المركز والهامش) (المواقع المتبادلة بين الرجل والمرأة من ناحيتي المركزية والتهميش)، ويركز المبحث الثالث (الذات والاخر) على العلاقة القائمة بين المرأة والآخر، على الرغم من تنوع الآخر بين رجل وحرب وسلطة وغيرها .

لقد اعتمدت على مجموعة من المصادر الهامة التي تتناول النسوية تنظيراً وتطبيقاً، منها على سبيل المثال لا الحصر (النسوية وما بعد النسوية) لسارة جامبل، وكتاب (مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية) لحفناوي بعلي، وكتاب (النظريات النسوية) لكورنيلا الخالد وغيرها .

واخيراً ارجو أن اكون وفقت في اضاءة سرديات عالية طالب في انساقها النسوية المعلنة والمضمرة فإن أصبت فبفضل من الله وتوفيقه، وان أخطأت فالكمال لله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

توطئة:

نشأت التيارات النسوية في ظل وجود الهيمنة الابوية، والابوية ترتكز في هيمنتها على القوانين الاجتماعية والثقافية، وقوانين السلطة السياسية التي تعطي الرجل المكانة الاسمى في المجتمع، فله الافضلية في العمل والسلوك والتصويت والاختيار وغيرها. أما المرأة فهي الكائن المستضعف الذي يحرم من هذه الحقوق، و» يشير مصطلح (الابوي) إلى علاقات القوة التي تخضع في إطارها مصالح المرأة لمصالح الرجل، وتتخذ هذه العلاقات صوراً متعددة بدءاً من تقسيم العمل على أساس الجنس والتنظيم الاجتماعي لعملية الانجاب إلى المعايير الداخلية للأنوثة التي تعيش بها»[1]. ففلسفة المجتمع الابوي مبنية « على اساس الاعتراف باننا نعيش في ثقافة يهيمن عليها الذكور، حيث تبقى المرأة غير معترف بها، وحيث تجبر المرأة على ممارسة أدوار الجنس التي تتطلب أن تكون تابعة وسلبية ومربية ....الخ»[2]، فالتهميش يلازم المرأة في المجتمع الابوي، وتتعرض فيه لأبشع انواع التسلط من الرجل ؛ لانّ النساء بحسب الفكر الابوي « ادنى من الرجل، وكانت وظيفتهن خدمة الرجال، ولهذا كان من الطبيعي أن يحكمهن الرجال»[3]، ومرد ذلك إلى أن هذا التمييز بين المرأة والرجل يقوم على اساس الجنس، إذ توصف المرأة بأنها انحراف من الذكر، والذكر هو الاساس والمعيار، اما المرأة فهي ذكر مشوه[4]، على الرغم من أن « العلاقات الاجتماعية هي مصدر الاختلافات بين الجنسين» اكثر مما هي الاختلافات في الاعضاء التناسلية «[5] إلا أن هناك وضعاً اقتصادياً بينهما يستلزم اعتماد المرأة على الرجل في المجتمعات الشرقية، إن كان أباً او أخاً او زوجا أو غيره، وهذا الاعتماد تنادي به الشرائع السماوية والمجتمعات الشرقية بصورة عامة، مما يخلق نوعاً من التبعية، وهي لا تتعدى المأكل والملبس في اغلب الاحيان، مما زاد من قوة الرجل وضعف المرأة، وقوة الرجل تصل حدّ

الافراط في احيانٍ كثيرة فتصبح تسلطاً، وتصبح المرأة مهمشة .

لذلك في ظلّ هذه الظروف نشأت التيارات النسوية التي سعت إلى « تغيير المواقف القائمة، فحاولت معظم كاتبات هذه الفترة تحدي الفكرة القائلة بأن النساء صنف من الجنس البشري أدنى من الرجل، صنف لوّثه عصيان حواء في الجنة، وان قدراتها فيما يتعلق بالسلوك الاخلاقي والتفكير العقلاني أقل من الرجل «[6]، ومنها انطلقت المرأة تدعو إلى الحرية والانطلاق في عالم جديد يضمن لها العيش الكريم بعيداً عن التهميش والاقصاء، وعلى الرغم من تعدد تلك التيارات إلا أن الاساس الذي تستند اليه هو الاساس الفلسفي في رؤيتها للعلاقة القائمة بين الرجل والمرأة، وفي معظمها تدعو إلى تحرر المرأة من قيود المجتمع والدين والسلطة، وقد رافق ظهور تلك التيارات النسوية ظهور ادب سُميّ الادب النسوي او النسائي وهو « ذلك الادب الذي يسعى للكشف عن الجانب الذاتي والخاص في المرأة .....ويعبر بصدق عن الطابع الخاص لتجربة المرأة الانثوية ...ويجسد خبرتها في الحياة فضلاً عن انه يكشف بوضوح عن اهتمام المرأة بذاتها وابراز هذه الذات الانثوية لدى المرأة «[7]. بمعنى آخر « ان الادب النسوي ينظر إلى المرأة باعتبارها (بوصفها) ذاتاً وموضوعاً للكتابة، الادب الذي لا يتحقق فيه هذا الاتجاه يكون خارج الادب النسوي «[8]، فهو يشمل ما يتعلق بذات المرأة على المستويات كافة « من خلال وعيها بذاتها، وان هذا الوعي الذاتي عند المرأة هو الذي دفعها ...إلى التعبير عن نفسها في قالب ادبي «[9]، وهذا التعبير الذاتي يتخذ من الفكر الفلسفي الذي انبثقت منه التيارات النسوية مرتكزاً لهذا التعبير ؛ فهو» ليس مجرد خطاب يلتزم الصراع ضد النظام الذكوري، وضدّ التمييز الجنسي ويسعى إلى تحقيق المساواة بين الجنسين، إنما هو فكر يعمد إلى دراسة تاريخ المرأة ... وإبراز صوتها ...باختصار تدل مصطلح النسوية على الحركة النسائية والفكر النسوي وابداعاته ونظرياته في الادب النسوي»[10]، وتعددت موضوعات الادب النسوي وتشعبت، ودخلت في العلوم الاخرى، وتضمنت في اتجاهات مختلفة مثل « الجنوسة التذكير والتأنيث، و المعرفة النسوية : نسوية الثقافة والآداب والفنون، نسوية العلم، النسوية الايكولوجية والبيئة، نسوية ما بعد الاستعمار، النسوية النفسية، النسوية الاشتراكية، النسوية الزنجية، نسوية ما بعد الحداثة / او ما بعد النسوية « [11] وظهر النقد النسوي اتجاهاً من اتجاهات النقد الثقافي ليعنى بالأدب النسوي وابداع المرأة وقضاياها، « فالنقد النسوي يصف طرق (طرائق) تصوير المرأة في النصوص التي يكتبها الرجل، او حذفها هذه الصورة منها. ومن ثم، فإن النقد النسوي، يهتم (يعنى) بدراسة كيفية تأثر جمهور القارئات، بالصور الاختزالية او الاقصائية للمرأة» [12] اي انه : « يميل إلى التركيز على عالم المرأة الداخلي، بما في ذلك الامور الشخصية والعاطفية، وتجلية هذا الجانب من خلال القراءة النقدية لأعمال المرأة والقصة والاهتمام (العناية) باكتشاف التاريخ الادبي الموروث للمرأة، وهو التاريخ الذي همشته الاعمال السابقة، بفضل الهيمنة المزعومة للأدباء والمؤرخين من الذكور على هذا المجال من الخطاب النسوي وكذا السعي المستمر لتحديد سمات خاصة بلغة المرأة، والاسلوب الانثوي وما فيه من صور مجازية وخيالية [13]، ولا يعني ذلك تقسيم الادب إلى نسوي وذكوري، وانما لكل ادب سماته وخصائصه ؛ لانّ اديباً ما سواء أكان رجلاً أم امرأة سيكون أقدر من غيره على تصوير جوانب من الحياة بحكم معرفته الحميمة او الخاصة بها، وعليه فإنّ الكاتبة ... هي الاقدر ... على رصد ازقة المرأة وحواريها الداخلية وكشف عوالمها المتقلبة[14]، لذلك جاء النقد النسوي ليضيء خفايا المرأة الذاتية والنفسية وعلاقتها مع الرجل، وعلاقاتها مع المجتمع في نصها الابداعي الذي يتناول قضاياها وفكرها، وما يخالج نفسها .

المبحث الاول : المرأة النمطية

جاء في لسان العرب : « النمط : جماعة من الناس امرهم واحد. وفي الحديث : خير الناس هذا النمط الاوسط. وروي عن عليّ، كرم الله وجهه، انه قال : خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرفع اليهم الغالي ؛ قال ابو عبيدة : النمط هو الطريقة. يقال : الزم هذا النمط اي هذا الطريق. النمط ايضاً : الضرب من الضروب والنوع من الانواع. يقال : ليس هذا من ذلك النمط اي من ذلك النوع والضرب « [15] ؛ فالنمط هو الطريق والنوع والثبات على امر واحد وعدم الاختلاف، أما في المعجم الوسيط فقد جاء « (أنمط) له العطاء : أقلّهُ (نمطه) على الشيء : دلّه عليه. ويقال : نمط له على الشيء. (الانمط) : الطريقة. (النمط) : ظهارة الفراش. و– ضرب من البسط. و– ثوب من صوف ملون له خمل رقيق ويطرح على الهودج و– الطريقة، او الاسلوب، و– الجماعة من الناس أمرهم واحد. و– الصنف او النوع او الطراز من الشيء. يقال : عندي متاع من هذا النمط»[16]، اي ان النمط هوالشيء القليل، والدليل والطريقة والنوع والاسلوب، ونوع من انواع الفراش (ظهارة الفراش)، والمعاني التي وردت للنمط تدل على طريقة او نوع يمتاز بالثبات وعدم التغيير وهي ايضا « اسم منسوب إلى نمط صورة نمطية : ما يعد تمثيلاً او تطبيقاً لصورة او نوع تقليدي، على طريقة واحدة، لا تغيير ولا جديد ولا ابداع فيه اجراءات نمطية « [17]، وهذه الانماط لها علاقة بالادراك العقلي عند الانسان، إذ يكتسبها الفرد من خلال تعامله مع الاخرين ومع مجتمعه، فضلا عما تكونه مرجعياته الثقافية والمعرفية من افكار تكون مصدر معلوماته الجاهزة، وما تهيئه خبراته الحياتية في التعامل مع المواقف المشابهة او المناظرة، « فالنماذج المخزنة في الذاكرة تسمى بالانماط، وهي ثابتة ومحددة لاي مثير تمت معالجته، او تم التفاعل معه في السابق « [18]، فالمواقف والتفاعل والتعامل مع الاخرين يولد نوعا من القوالب الثابتة، تكون جاهزة في ذهن الفرد عندما، تتولد ما يشابهها او هو قريب منها، وقد تنسحب تلك الافكار الجاهزة من الافراد إلى الجماعات، وتكون خبرة مشتركة بين مجموعة من الافراد تربطهم صلات اجتماعية او ثقافية معينة، وبمرور الوقت تتحول هذه الافكار في لاوعي الافراد، ثم تنتقل إلى اللاوعي الجمعي للمجموعة : إذ تعرف النمطية بانها « عقلية قياسية يحتفظ بها جميع افراد المجموعة وتمثل رأياً مبسطاً او موقفاً وجدانياً قابلاً للنقد .... ما يعكس علاقات السيطرة والتبعية والصراعات الاجتماعية وتركيب القوة «[19] وهي نسق من الافكار او المواقف او السلوكيات التي تسود في مجتمع ما [20]، وهذا النسق يتبلور بشكل جلي مع المرأة ؛ إذ المرأة بصفاتها البيولوجية وخصائصها الانثوية، لها القدرة على الحمل والانجاب، ما يؤدي وظيفة حفظ النسل البشري، وتشكيل مهيمنة لمتعة الرجل او الجنس الجميل الذي يحظى بعناية الرجال، وهي الزوجة التي تقوم باعمال البيت من اجل تحقيق الراحة لافراد عائلتها، والتي تسعى بكل الوسائل لتربية ابنائها، والسهر على تعليمهم وراحتهم ؛ إذ الخصائص التي تمتع بها المرأة كزوجة وام وحبيبة هي من الخصائص النمطية الثابتة التي تختص بها كل امرأة في اي مجتمع، في اية امة، وهي صفات ورثتها المرأة عبر العصور، واصبحت سمة لها بغض النظر عن تحررها او عدمه ؛ إذ الامومة والحب والجنس من الصفات الغريزية للمرأة، والتي تعد خصائص نمطية قارة وثابتة وغير متغيرة، فسمة التحول والتغيير لا تطرأ عليها، وان طرأت لظرف ما فهي سمة شاذة وغير طبيعية، وقد تناولت عالية طالب هذه الخصائص النمطية في سردياتها، إذ جاء في رواية قيامة بغداد على لسان الرواية : « هل كنت اعيش على هامش ذاكرتي حين رحبت بزواج ابنتي (حراء)؟ أم انني كنت ابحث عن فرح اخلقه كيفما اتفق لاقول اننا مازلنا نعيش ونتنفس وننشئ حيوات جديدة؟ تزوجت ابنتي برغم الحرب والرصاص والنار، وكان حفلها داخل البيت خوفاً من الحوادث التي كانت ترافق حفلات الاعراس ...كان زواج ابنتي نقطة الفرح في حياتي التي شعرت فيها أن الايام بدأت تركض دون ان

نحصيها حقاً. تذكرت ساعة ولادتها حين عقد قرانها، رايتها وهي تحبو أمام عيني، وهي تخربش، وهي تصرخ وتعبث... بين زواج «حراء» ابنتي وفرحي بها، اعوام من الذكريات التي لا تنفصل عن الالم والفرح القليل والتعاسة التي عشناها دون ذنب بسبب خوفنا من الموت والتعذيب والسجون والمنافي بلا عودة « [21] .

يأتي الفرح والسرور نسقاً معلناً، تريد الراوية (البطلة) أن تعلن عنه بحماس ؛ لان امومتها تحرضها وتشجعها على الاعلان عنه والتباهي به، إن زواج ابنة الراوية هو انتصار لأنوثتها هي، وهو تجسيد لامومتها، والانوثة والامومة من سمات المرأة النمطية الثابتة، التي تأبى الا أن تكون انثى وأما وزوجة حتى تحقق ذاتها الانثوية، وتبلغ قمة الامومة عندما ترى اولادها قد دخلوا الحياة الزوجية.

ولكن نسق الفرح المتفشي في النص يتبعه نسق الخوف والحزن من ذكريات وواقع مؤلمين لا يفارقان البطلة، حتى في فرحها لزواج ابنتها، « اعوام من الذكريات التي لا تنفصل عن الالم والفرح القليل والتعاسة التي عشناها دون ذنب بسبب خوفنا من الموت والتعذيب والسجون والمنافي بلا عودة»، وتتولد من لحظات الفرح بوارق امل تشع في النفوس « تزوجت ابنتي برغم الحرب والرصاص والنار ... كان زواج ابنتي نقطة الفرح في حياتي « وذكريات اعوام تتجلى فيها الامومة بأبهى صورة لها « رايتها وهي تحبو امام عيني، وهي تخربش، وهي تصرخ وتعبث «، ويبقى نسق التحدي نسقاً مضمراً يقبع خلف احداث السرد ليروي استمرار الحياة على الرغم من الخوف والموت والرصاص وفي قصة (ليلة الاصوات من مجموعتها القصصية (حكايات الرمل) جاء فيها : « يندلق وجه أمي حزيناً وهو يحتل مساحة شاسعة أمام عيني المغلقتين ...احب صوتها كثيراً وهو يتماوج بلحن حنين يسحبني إلى قصة لا تنتهي الا لتبدأ من جديد وهي تروي لي كيف تنازلت عن عرش مملكتها لعبيد لم يرحموا عشقها لرجل باغتها ليخلع عنها ثوب مدرستها فانصاعت وراء بياض رداء لم تحسن الاحتفاظ به طويلاً قبل ان يسرقه العبيد منها.

أسمع صوتها يتهدج عشقاً حين ترسم مسار نظراتهما كلما التقتا وسط تيار جارف من رعشة لا تدري كيف غادرتها لتبقى تعيش رنين صخبها داخل صدر علمني كيف امج سجائري بعمق يشابه ما فعلته باختناق الهواء لديها ... احتضن حكايتها للمرة الالف بعد الالف ولا أمل الاستماع للهفة حروفها وهي تمطها بليونة تروي قصة حب انهاها العبيد»[22] .

تروي المؤلفة على لسان بطلتها في الرواية ذكرياتها مع أم رحلت عن هذا العالم، وتبعها ابناؤها الواحد تلو الاخر، وبقيت البطلة وحدها في هذا العالم تعيد الذكريات كل لحظة، ولا تمل منها، وتتساوى لديها الاوقات كلها ؛ فالليل يشبه النهار، والنهار يشبه ما مضى من النهارات، ولا تمييز بين الاشياء ؛ إذ يتراءى لها الذين رحلوا في الاشياء والاشخاص الذين مروا بها، ولكن قصة تلك الام ترن في اذنها، ولا يفارقها، وهي تحكي لها قصة عشقها الرجل تركت اهلها وملكها من اجله، ولكن القدر لم يمهلها طويلاً حتى غادرها سريعاً، تاركاً اياها في حسرة ولوعة عليه .

جاء نسق العشق نسقاً معلناً في النص، ليروي حكاية بين امرأة ورجل عشقا بعضهما، وقد تركت كل شيء وراءها لتتزوجه وتعيش في كنفه، منعمة بحبه وقربه، وما الحب والعشق الا من صفات المرأة، التي تتبجح عاطفة وانفعالاً، وهي سمات نمطية مستقرة في كل امرأة، فجاء المشهد السردي ليروي احداث تلك العاطفة وتلك النمطية عند المرأة ولكن نسق الموت جاء متساوقاً مع نسق العشق، فإن كان الحرمان سمة العاشق فإن الموت هو الحرمان الابدي لهذا العاشق .

يتجلى نسق التمرد نسقاً مضمراً في النص « وهي تروي لي كيف تنازلت عن عرش مملكتها لعبيد لم يرحموا عشقها لرجل باغتها ليخلع عنها ثوب مدرستها « ؛ فالمعارضة الشديدة لهذا العشق لم يمنعها

من ان تتمرد عليهم، وان تتزوج به، فتعيش حياة المرأة كزوجة وأم لأولاده.

وجاء في قصة «لحظة اكتشاف القمر» من المجموعة القصصية « بحر اللؤلؤ» : جاءني صوت ضحكتها فيما صوته يتوسل بها وهي تنهض بدلال

- لا تتأخري.
- خمس دقائق فقط .

تركتك وحيدا – يا لها من بائسة، أيترك كل هذا الوجود المفعم بسحره وحيدا، قمت كالمسحورة، دون تخطيط أو سبب أو هدف. اقتربت منك، لم تسمع خطواتي، لم تلتفت الى حركة أصابعي التي لا أعرف ماذا أفعل بها فيما كان القلم منسيا بينهما، بل ربما يساندني بشجاعة غادرتني دون أن أفهم [23].

تقوم بطلة القصة (الراوية) على لسانها باستدعاء شخصياتها القصصية وتتحاور معهم، تعيش معهم فرحهم وحزنهم وكل لحظات حياتهم، وأحيانا تتبادل الأدوار معهم ؛ فبطلا قصتها يعيشان قصة حب كبيرة، ولكن التعلق الأكبر بهذا الحب كان من جانب الرجل، وعندما يحصل الانفصال بينهما، تعاتب الراوية المرأة على تركها إياه، وتتمنى أن تكون بديلا عنها، وتمارس دورها، وتكون العوض عنها .

تظهر المرأة النمطية في دلالها وغنجها نسقا معلنا في النص، وتتجسد القوة في الآخر المرأة، ويظهر ضعف الرجل أمامه وتوسله بها، وربما كانت الحاجة الجنسية لها هي مصدر ضعفه، وهي مصدر أمنيات الراوية في تبادل الأدوار مع شخصيتها الورقية، لذلك تطغى الغريزة وتتوهج في ظل الحاجة الماسة إليها .

يتجلى الحبيب الحلمي في النص، فما تتمناه الراوية من سمات الحبيب الذي لم تجده في الواقع جعلها ترسم صورة خيالية له على الورق، وأن تعيش معه على وفق ما تحب وتتمنى، وقد جاء الحبيب الحلمي نسقا مضمرا في النص .

المبحث الثاني : المركز والهامش

جاء في لسان العرب أن المركز من الفعل الثلاثي (ركز) و« الرّكْزُ غَرْزُكَ شيئاً منتصباً كالرمح، ونحوه ترْكزُهُ رَكْزاً في مَرْكَزه، وقد رَكَزَه يَرْكُزُه ويَركِزُهُ رَكْزاً وركّزَه : غَرزه فِي الارض ...والمراكزُ : منابت الاسنان ومرْكَزُ الجُنُد: الموضع الذي أمروا أن يلزموه وامروا أن لا يَبْرَحُوه. ومركز الرجل : موضعُه : يقال اخلّ فلان بِمَرْكَزُه وارتكزتُ على القوس إذا وضعت سيتها بالأرض ثم اعتمدت عليها ومركز الدائرة : وسطها. والمرتكز الساق من يابس النبات : الذي طار عن الورق والمرتكز من يابس الحشيش : أن ترى ساقاً وقد تطاير عنها ورقها وأغصانها. وركز الحرُّ السفا يركزه ركزاً أثبته في الارض »[24]: فالمركز هو وسط الشيء، وهو الثابت الذي لا يحتاج في ثباته إلى شيء آخر لتثبيته، وانما هو قائم بذاته، ويمتاز بالصلابة والقوة، وجاء في المعجم الوسيط : « رَكزَ شيئاً في شيء – ركْزاً : أقرّهُ واثْبته ويقال : ركز السهم في الارض : غَرزَهُ وركز الله المعادن في الارض او الجبال : اوجدها في باطنها، وهذا شيءٌ مركوزٌ في العقول .....(أرتكزَ) : ثبت واستقرّ و عليه : اعتمد (تركز) : ثبت واستقرَّ (الارتكاز) : نقطة الارتكاز(في الميكانيكا) : الموضع الثابت الذي تتوازن عنده قوتا الدفع والمقاومة. ويقال : اتخذ الجيش مدينة كذا نقطة ارتكاز : قاعدة لعمله»[25]، فمعاني المركز هي الثبات والايجاد والاستقرار وموضع القوة .

أما الهامش فقد ورد في لسان العرب من الاصل اللغوي (همش)، و قد جاء : « الهمشة : الكلام والحركة، همش وهمش القوم فهم يهمشون وتهامشوا وامرأة همشى الحديث، بالتحريك : تكثر الكلام وتجلب. والهمش : السريع العمل بأصابعه. وهمش الجراد : تحرك ليثور والهمش : العض، وقيل : هو سرعة الاكل .. ويقال للناس إذا كثروا بمكان فاقبلوا وادبروا واختلطوا : رايتهم يهتمشون ولهم همشة وكذلك الجراد إذا كان في وعاء فعلى بعضه في بعض وسمعت له حركة تقول : له همشة في الوعاء. ويقال .... الهمش والهمش كثرة الكلام والخطل في غير صواب «[26]، اي أن الاصل اللغوي للتهميش هو الحركة والجلبة والسرعة. وجاء في المعجم الوسيط : « (همش) الرجل – همشا : اكثر الكلام في غير صواب و– القوم : تحركوا و – الجراد : تحرك ليثور و – الشيء – همشاً : جمعه (همش) الكتاب : علق على هامشه ما يعن له (هامشه) في كذا : عاجله فيه. (اهتمش) القوم : كثروا بمكان فأقبلوا وادبروا واختلطوا والدابة : دبت دبيباً (تهامش) القوم : اختلط بعضهم ببعض وتحركوا (تهمش) الشيء : تأكل وتحكك. (الهامش) : حاشية الكتاب. وفلان يعيش على الهامش : لم يدخل في زحمة الناس»[27] والمعاني التي تضمنها المعجم الوسيط للتهميش هي الحركة والسرعة والتعليق على جوانب واسفله وايضاً الاضمحلال والتلاشي.

يشكل المركز بؤرة للآخر (الهامش) وهو مهيمنة تسيطر في مناحي الحياة المختلفة، فلا بد للمجتمع من قيادة، وللسياسة من سلطة، وللاقتصاد من ممول او مستثمر وللأسرة من رب لها، ويدخل ذلك ايضاً في النفس البشرية التي يشغلها شخص او فكرة او رؤية او معتقد او غير ذلك، ويشكل مركزاً لها، بل ان الانسان نفسه هو مركز الحياة و الكون. فمركزتيه تعني « المذهب الذي يجعل الانسان مركز العالم، ويعد خير الانسانية علة غائية لكل شيء « [28] ويظهر المركز من نتاج « عملية ايكولوجية تتجمع بمقتضاها الخدمات في منطقة محددة، وهي عادة ما تكون مركزاً لوسائل الاتصال والمواصلات « [29]، ويمكن تعريف المركز بانه نقطة لتجمع الاشياء والقيم والاشخاص والمبادئ حول بؤرة مركزية تشكل اساس عمل، وينطوي تحتها الآخرون. والعلاقة القائمة بين المركز والهامش هي علاقة تكاملية ؛ فلولا المركز لما وجد الهامش، ولولا الهامش لما وجد المركز، وهي علاقة الكل بأجزائه ؛ فالأجزاء باجتماعها تكون هذا الكل (المركز) والكل هو نتاج الاجزاء جميعها، لذلك فهما « منهج متعدد محاور الجدل، نحلل بواسطته وضعيات تاريخية معنية، حيث نعاين هذه الوضعيات من خلال ميكاينزمات التمركز والتهميش التي على اساسها يدار الصراع على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي في آن واحد» [30]، وبذلك يصبح الهامش كل ما يشير إلى المنبوذ وغير المهم والمتمرد [31] والخارج عن السياقات الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، ولكن هناك من جعل الهامش اصلاً ينافس المركز[32]، وهذا الامر لا يصح الا في حالات نادرة، كالثورات السياسية والانقلابات العسكرية التي تقوض نظام المركز وتخلخله و تسعى إلى هدمه، وبناء نظام آخر يقوم مقامه.

وفي نسق النسوية في سرديات عالية طالب يظهر المركز والهامش جلياً في نصوصها، كما في رواية قيامة بغداد : « بعد أن اختفت الحكومة وبطانتها، تركت منازلهم فارغة ... وفتحت ابواب تلك البيوت للعامة، تدعوهم لدخولها وسرقتها، ودخل من دخل من افراد عاشوا طوال حياتهم محرومين من رؤية وتملك وتلمس معنى النزف الحقيقي. سرق المحرومون مقتنيات المسؤولين وشركاتهم ودوائرهم ومكاتبهم، بمباركة اميركية، كانت الدبابات تقف بأبواب تلك الاماكن لتهيئ للمحرومين عملية سرقة منظمة ومحروسة من قبلهم، فيما تلتقط وسائل الاعلام الغربية المرافقة لتلك القوات صوراً حية لهذه الظاهرة، وتبثها لكل العالم»[33] .

تروي الساردة احداث السرقات التي عمت العراق بعد دخول القوات الاميركية له، وقام المهمش

(المحروم) بسرقة ما تقع عليه يداه من اثاث واجهزة وملابس وادوات للسلطة الحاكمة (المركز)، وبذلك يصبح المركز هامشاً، والهامش مركزاً ؛ إذ تتبادل الادوار، ويصبح المعدم المسحوق صاحب قرار في سلب ما للمركز من وسائل تميزه عن المعدم والمهمش، والآخر (المحتل) يصبح الظهير للمعدم (السارق)، بل أصبحت السرقة فعلاً مسوغاً ومباركاً من الآخر (المحتل) .

يظهر نسق الهزيمة للمركز واضحاً في النص (اختفت الحكومة وبطانتها، تركت منازلهم فارغة)، هذه الهزيمة لا تكون في ساحة قتال، بل بهجران البيت ومكان العمل، والهروب إلى أماكن مجهولة، وتسبب الهزيمة السرقة وتهيئ لها، ولكن يتجلى نسق المؤامرة نسقاً مضمراً في النص ؛ فالسرقة تتم تحت اشراف المحتل وحمايته، وما ذاك الا ليكون من ضمن خطة لانتهاك سيادة الدولة، واهتزاز صورة العراقي أمام الراي العام، وبذلك خلق مبررات للاحتلال الذي عورض من دول متعددة ؛ فالمحتل الذي أصبح نصيراً للعراقي المهمش في العلن يبقى مركزاً في المضمر والخفاء ليحقق غاياته وأهدافه .

وفي قصة (آخر ليلة) من المجموعة القصصية (حكاية الرمل) لعالية طالب، تقول القاصّة على لسان الرواية : « لم يتبق من الليل الا خمس ساعات سأحاول فيها أن أغفو بعد أن وجدت « بسمة» مكاناً يكفي لجسدها النحيل فانزوت متكورة على نفسها بطريقة تذكرني بأيام طفولتها حين كانت تأخذ الوضع ذاته تعبيراً عن رغبتها بأن تكون وحيدة، حاولت أن اقنع نفسي بأن النوم ليس مهماً ولن أشعر بالإرهاق فيما لو بقيت مستيقظة وسيكون باستطاعتي أن أنام في السيارة التي ستأتينا في السادسة صباحاً لترحل بنا إلى خارج الحدود .. طردت من فكري ضباب الخوف الذي يحوم حوله كلما فكرت بما يمكن أن يواجهنا في ذلك الطريق الذي يتعرض اغلب من يسلكه للموت او القتل او الاختطاف، احتضنت المصحف الصغير بيدي وانا التحف الغطاء السميك الذي ترك لي على الكنبة الضيقة التي تبقت فارغة بانتظاري .. لم يكن حجم الغرفة يزيد على ثلاثة امتار بعد ان اعتذرت قريبتي (أم عمار) عن عدم توفر غرفة اخرى تكفي لاحتوائنا انا و» بسمة» في آخر ليلة لي في بلدي قبل أن أغادر إلى المجهول الذي ينتظرني وأنا اصطحب كلّ ما تبقى لي من عائلة تتمثل بابنتي ذات الثمانية عشر ربيعاً[34] .

تمثل الذات النِّسوية ذاتا والمجهول آخر، ولكنَّ المجهول يمثل محوراً تدور حوله احداث القصّة، وتصبح الذات هامشاً، تتعرض فيه للخوف والموت والقتل والاختطاف، وليس هناك من يحميها او يبت في نفسها الامان والثقة بالنفس، فلا تجد الامان الا في احتضانها المصحف، ففيه ثقة بالله لا تعوض عن اية ثقة اخرى، ويطاردها الخوف حتى في منامها من المجهول الذي ينتظرها خارج الحدود، تخاف فيه على نفسها وعلى ابنتها الشابة ذات الثمانية عشر عاماً، لذلك يأتي نسق الخوف نسقاً معلناً في النص (طردت من فكري ضباب الخوف الذي يحوم حوله كلما فكرت بما يمكن ان يواجهنا في ذلك الطريق)، يتشبث بها، ويبقى لصيقاً بها، لكن وسط هذا الخوف من المجهول يظهر امل يتردد خجلاً في الابنة (بسمة) الذي يوحي اسمها بأمل مشرق ربما يخبئه المستقبل في مكان آخر، فيظهر نسق الأمل والتفاؤل نسقاً مضمراً في النص، وهذا الأمل لا يبزغ الا في ظلّ الهجرة إلى بلد آخر، لعلها تجد فيه الملاذ الامن الذي تطمح للعيش في ظله، فيأتي نسق الهجرة المعلن متساوقاً مع نسق الامل المضمر.

يصبح الوطن ضيقاً يشير إلى غرفة ثلاثة امتار ولا يوحي بالأمان والطمأنينة (لم يكن حجم الغرفة يزيد على ثلاثة امتار بعد ان اعتذرت قريبتي «أم عمار» عن عدم توفر غرفة أخرى تكفي لاحتوائنا انا و» بسمة»)، فالآخر (الوطن) يصبح ضيقاً لا يفي بالغرض، ولا يحقق المبتغى، ويصبح الاخر «المجهول» أمانا واستقراراً، وربما يحمل الخير للذات المهمشة.

ويظهر الاخر هامشاً والذات مركزاً كما في قصة (ظلال حافية) من المجموعة القصصية (بحر اللؤلؤ)، إذ جاء فيها :» بالطبع أعرفك، وأنا أراك ومنذ زمن لا أستطيع تحديده، أسابق خطواتك المتهالكة، وأحاذيك رغم أنك في النهاية دائما ... لماذا يسألني الان، وما الذي يريدني أن أعرفه، لا أظنه سؤالاً مهما، هو متأكد تماما ... أنا ... يا للغرابة ... فلكم عرفت من أشياء سابقة وأغمضت عينيّ وحواسي عليها متجاهلة وجودها برعونة ... أمقتها لكن دون تبرئ منها ..»[35] .

يلتقي بطلا القصة بعد فراق دام عشر سنوات، وكان يربطهما فيما مضى علاقة حبٍّ، انصهرت بها عواطفهما وأحاسيسهما المختلفة، ولكن اللقاء كان غائما غير واضح الملامح، إذ ينتابها النسيان، ولا تستطيع تذكره، أما هو فقد أصابته شيخوخة مبكرة، ولا زال يعيش أحاسيس الحبّ ذاتها، لذلك كان يقف في طريقها كلّ يوم لعلها تتذكره، ولكنها تمرّ من أمامه من دون أن تعرفه.

يظهر الاخر مهمشا محطما، آلام الزمن تبرز في ملامحه، وفي شيخوخته المبكرة، ويتعرض للإهمال من الذات بعدم التعرف عليه، ويشعر بالأسى لذلك، وتعيش الذات الم الفراق، ووحشة البعد والضياع، ولكنها متسلطة في اتخاذها قرار الفراق، قرار اتخذته عن عناد وغرور، ودفعت ثمن ذلك في أنها عاشت حياتها بلا حبّ أو أمل، ومثّلت مركزاً متسلطاً في ماضيها وحاضرها، ومثّل هو الهامش في ماضيه وحاضره .

المبحث الثالث : الذات والاخر

جاء في لسان العرب في معنى الذات أن العرب تقول : « لقيته ذا صباح، ولو قيل : ذات صباح مثل ذات يوم لحسن لان ذا وذات يراد بهما وقت مضاف إلى اليوم والصباح وفي التنزيل العزيز :» فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم» ؛ قال ابو العباس احمد بن يحيى : اراد الحالة التي للبين، وكذلك اتيتك ذات العشاء، اراد الساعة التي فيها العشاء ؛ وقال ابو اسحق : معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم اي اتقوا الله وكونوا مجتمعين على امر الله ورسوله، وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين أي اصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون»[36]، اي جاءت (ذات) بمعنى الحالة التي يجتمع عليها اثنان او اكثر، وجاءت في المعجم الوسيط ان (الذات) هي : « النفس والشخص. يقال في الأدب : نقد ذاتي : يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته وهو خلاف الموضوعي ويقال : جاء فلان بذاته : عينه ونفسه ويقال : عرفه من ذات نفسه : سريرته المضمرة وجاء من ذات نفسه : طيعاً (وذات صدر) : سريرة الانسان وفي التنزيل العزيز : « والله عليم بذات الصدور» «[37]. اي بمعنى الشخص والنفس وسريرة الانسان ودواخله.

ما الاخر فقد جاء في لسان العرب : « الاخر خلاف الاول، والانثى اخرة ... والاخر، بالفتح: احد الشيئين وهو اسم على أفْعَل، والانثى اخرى ...والاخر بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر ... ومعنى آخر شيء غير الاول ...ويقال في الشتم : ابعد الله الاخر، بكسر الخاء وقصر الالف، والاخير ولا تقوله للأنثى. وحكى بعضهم : أبعد الله الاخر، بالمد والاخر والاخير الغائب. شمر في قولهم : إن الاخر فعل كذا وكذا، قال ابن شميل : الأخر المؤخر المطروح ؛ وقال شمر : معنى المؤخر الابعد ؛ قال : اراهم ارادوا الاخير ....هو الا بعد المتأخر عن الخير، ويقال : لا مرحباً بالآخر اي بالأبعد»[38]، وجاء في المعجم الوسيط : « الاخر أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد ... بمعنى غير (الآخر) : مقابل الاول ويقال جاؤوا عن آخرهم ... الاخر : الاخير، و– المتأخر عن الخير. و– المؤخر المطروح «[39]، اي ان الاخر هو المغاير والبعيد والمتأخر، على الرغم من انه احد شيئين يكمل احدهما الاخر وهما من جنس واحد.

تقوم ثنائية الذات والآخر محوراً في كثير من مجالات المعرفة المختلفة، وهي ثنائية يتصارع

طرفاها في شكل من اشكال الصراع، فلا يخلو مجتمع ما من صراع افراده بالرؤية والاهداف والعمل والسلوك وغيره، بل إن الافراد انفسهم ربما يشكلون باتحادهم فرداً يصارع المجتمع، او أن الفرد الواحد يصارع مجتمعه، وتعرف الذات بانها « التحقق الفعلي الممزوج من (الانا) والافعال المنتقاة انها الشخصية المتشكلة من هذا المزج والاصطفاء، وهي المثال الذي تنشد (الانا) الوصول اليه او والوضع الاعلى الذي ترغب في بلوغه، إذ تبدا (الانا) بالتفكير فيما يجب ان تكون عليه ثم تنتقل إلى الفعل في طريق بناء (الذات) = (الشخصية)، لتنتهي ببلورة الهوية المعّبرة عن هذه (الانا) الجديدة، التي انتقلت من مرحلة الفعل إلى التحقق، من البناء إلى الاكتمال، ولا يعني هذا التوقف عن التطوير، فحركية (الذات) مستمرة «[40] ؛ فالذات لها علاقة وطيدة بـ(الانا)، وتنشأ هذه العلاقة من الوعي في النفس الانسانية التي تشكل (الانا) ؛ «إذ الوعي اساس المعرفة، التي هي (ذات) و(هوية) فـ (الانا) او (الذات) تنشأ من تأمل (أنا) أخرى واعية داخلها، تفكر فيها وتصوغ ملامحها، وتبحث في اسسها وركائزها، لتصوغ منها (ذاتاً) او موضوعاً له ركيزة وخصائص ومبادئ معينة في انشاء العلاقة مع (الاخر) مرّت بمراحل من الاصطفاء والانتقاء. من هنا تبدأ علاقة (الذات) بـ (الانا) في مرحلة تشبه مرحلة المرأة «[41]. أما الآخر « فهو يشير على (إلى) المغايرة في جانب او اكثر بين (الذات) او (الانا) وطرف آخر في وجود موضوعي في الذهن او في الفن وهو مرتبط بمصطلح (الغير) التي تعني وضع الشيء او المرء في موضع الآخر، او المختلف او الخارج عن الانتماء اليها «[42]، ولا يأتي الآخر واحداً، بل يتعدد بتعدد الانا او الذات « فقد يتحدد الاخر بالقياس إليّ كفرد، او إلى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال والفقراء بالقياس إلى الاغنياء، او خارجية بالقياس إلى مجتمع بصورة اعم»[43]، وتتنوع صورة الاخر في الذات، فمن خلال التفاعل القائم بين الذات والاخر يحصل الانعكاس بينهما، وكل طرف منهما يتكون المواضعات المادية والمعرفية والمجتمعية التي تسهم في تكونيه، ومن تفاعل هذين الطرفين (الذات والآخر) يتلمس احدهما الآخر التركيب والمواصفات والماهية وغيرها[44].

وجدلية (الذات والآخر) تتجلى في سرديات عالية طالب، كما في رواية قيامة بغداد : « بعد شهر واحد او شهرين، تبدلت اوضاعهم جذرياً معنا، كنا نسير في الشوارع وهم قربنا، لا نهتم لترك المسافات فيما بيننا، الا أن الوضع تبدل بعد ان بدؤوا يتعرضون للهجمات المتكررة، واصبح وجودهم في الشارع يعني ان علينا ان نترك مسافة نصف كليومتر او كليومتر بيننا وبينهم.

مهانة تلو مهانة بدأت تمارس يومياً في الشوارع، رتل طويل من السيارات يتكدس حتى تمر السيارات الأميركية التي يصوب الجنود فيها رشاشاتهم إلى وجوهنا وصراخهم يدوي في الشوارع، وإذا ما غفل احد منا ولم ينتبه لمرورهم، فإن نصيبه سيكون فورا طلقة في الرأس ترديه قتيلاً، هو وكل من معه بالسيارة .

قتل الكثير منا لمجرد انهم وجدوا انفسهم وجهاً لوجه امام ارتال عسكرية اميركية، ولم يعرفوا كيف يتصرفون حينها، مات نساء واطفال ببساطة لان الجنود اعتقدوا انهم يتقصدون الاقتراب منهم لقتلهم .[45]

تسرد الراوية احداث ما بعد 2003م، واحتلال العراق من القوات الاميركية، وتتعرض فيه لسلوكيات ومواقف ورؤية هذه القوات مع ابناء الشعب العراقي، وتظهر الذات المهمشة، والآخر المحتل المتسلط الذي لا يتوانى عن إطلاق الرصاص على رأس من يراه أمامه، لمجرد أن القدر ساقه إلى ان يكون وجهاً لوجه مع هذه القوات، فتاتي الذات مسلوبة الارادة تعاني التهميش والابادة من دون أن يكون لها ما تدافع به عن نفسها اومن يدافع عنها، فتضيع حقوقها وسط دوامة الاحتلال،

اما الاخر (المحتل) فيملك القوة والعتاد والتكنولوجيا الحديثة التي تهيء له كل وسائل الحماية والدفاع عن النفس ؛ لذلك هناك بون شاسع بين الذات والآخر في النص.

يظهر العداء نسقاً معلناً بين الذات والآخر، (أن علينا أن نترك مسافة نصف كليومتر او كليومتر بيننا وبينهم ... واذا ما غفل احد منا ولم ينتبه لمرورهم، فإن نصيبه سيكون فوراً طلقة في الرأس ترديه قتيلاً)، هذا العداء يتحول من احساس بان الآخر محتل وهو مغتصب لأرض العراق إلى قاتل، يقتل كل ما يجده أمامه خوفاً منه ؛ لذلك يظهر نسق الخوف وعدم الامان نسقاً مضمراً تشعر به الذات المهمشة والآخر المحتل، نسق تتوجس فيه النفوس، وتتلاشى النوايا الحسنة وتتهشم الثقة بينهما ؛ فالذات عدوّ معلن للآخر، والآخر عدوّ معلن للذات ؛ فروابط التواصل تتقطع بينهما وتهدم، ويظهر نسق المقاومة وارادة التحرر نسقاً مضمراً يعلن في الخفاء، ويمارس حينما تحين فرصة لذلك (إلا أن الوضع تبدل بعد أن بدؤوا يتعرضون للهجمات المتكررة)، وهذه الذات النسوية هي الذات التي تتألم لوجود المحتل وتحمل كل العداء والكراهية له .

وتظهر (الذات والآخر) في قصة (من يتصل بي ؟) من المجموعة القصصية (حكاية الرمل) لعالية طالب حينما تتشظى الذات ويصبح الآخر الماضي المؤلم والمستقبل المجهول، حيث جاء في (القصة : « أحمل صوت امي وهي تئن بوهنٍ ونظراتها تبحث عن اطرافها التي لم نجدها حين انهار الشارع امامها في الدواسة يوم ذهبت لفحص عينيها اللتين ارهقهما البكاء على من رحل من اخوتها .. اسمع صراخ ابي وهو يهرول بحثاً عن اخي الذي غادر منذ ربع ساعة لبداية شارعنا ليلتقي بأصدقائه قبل أن تتلاشى ارواحهم بإطلاقات ذوي اللحى المغبرة .. يتغلغل في رأسي لهاث اختي ونشيجها يوم اصرت على شراء فستان جديد لعيد ميلادها الذي لم تره بعد ان ضاعت سنواتها القادمات في نثار سيارة الاجرة فوق الجسر القديم قبل ان تصل إلى مفترق شارع النبي شيت .. وحيدة أنا اتسلم كل هذه الاصوات التي تتدلق مع رنين هاتفي واشعر بان صديقتي تتعمد أن تشعرني بالوهم منذ التقيت بها في هذا البلد الذي يبعد آلاف الكيلو مترات عن بلدي، وكأنها لا تعرف أن رأسي تركته هناك فوق وسادتي قبل أن ينثرها آخر موت لم أتسلم قبله رنين هاتفي [46] .

تنشطر الذات الراوية بين ذاتين، ذات تعيش في الماضي، وذات تعيش في الحاضر، ذات الماضي تشدها إلى وطنها، حيث تركت أهلها بين مفقود وقتيل، وفاقد لأعضائه، ومهووس بالبحث عن أشلاء ابنه الذي فقده في اطلاقات عشوائية، وبين ذات تعيش الغربة والبعد عن الأهل والوطن، وتشعر بالضياع وعدم الانتماء إلى شيء، وتفتقد الأحبّة والأصدقاء، وما رنين الهاتف المتكرر إلا إشارة إلى الذكريات الأليمة التي لا تفارقها، وتدق نواقيسها في روحها ونفسها، ولا تفارقها في جميع لحظات يومها.

تظهر الوحدة والغربة مهيمنة في النص ؛ فتعاني البطلة الوحدة لفقد الاهل الواحد تلو الآخر حتى باتت وحيدة إلّا من صديقة لا تشعر بآلامها ووحدتها، لذلك كانت الوحدة والغربة من الأنساق المعلنة في النص (وحيدة أنا أتسلم كل هذه الاصوات التي تتدلق مع رنين هاتفي)، ويأتي نسق الموت نسقاً معلناً ايضاً « صوت أمي تئن بوهنٍ ونظراتها تبحث عن اطرافها التي لم نجدها حين انهار الشارع امامها ... اسمع صراخ ابي وهو يهرول بحثاً عن أخي .... ليلتقي بأصدقائه قبل أن تتلاشى ارواحهم بإطلاقات ... لهاث اختي ... بعد أن ضاعت سنواتها القادمات في نثار سيارة الأجرة)». بل يسيطر على النص بكامله، ويظهر الحنين إلى الوطن نسقاً مضمراً، فرنين الهاتف المتكرر يشير إلى ذكرى أهل ووطن، أهل غيبهم الموت، ووطن غادرته البطلة مجبرة حفاظاً على حياتها، ولكن ذلك الوطن بقي يعيش في داخلها، ويخز ضميرها بتركه ؛ لذلك كانت الذات منشطرة ؛ بين ذات تريد العودة إلى

بلدها الذي ولدت وترعرعت فيه، وبين الخوف من الموت الذي ينتظرها، فكان الآخر هو الوطن والأهل .

ويأتي الأخر على شكل رجل شجاع يقود الجنود إلى النصر، كما في قصة «حبّ في زمن الحرب» من المجموعة القصصية « بحر اللؤلؤ» : « أحملك الان هاجسا أطوف بك فوق أسيجة الممرات العصيبة وأحمل صدى ضحكاتك الخافتة، وأنا أحدثك عن رغبتي في رؤيتك يوما بين جنودك وأنت تتناول الطعام معهم ومن الطبق ذاته، حدثتني كثيراً عنهم وكيف تقيم صداقات حميمة معهم، وكيف يودعونك في الإجازة ويستقبلونك حين تعود»(47) .

يتجلى الاخر إيجابياً، يتحلى بالشجاعة والإقدام، وقوة الإرادة، ويملك خلقا رفيعا، وتواضعا ساميّا أهلّه أن يكون بين جنوده صديقا لهم، وليس امراً عليهم، والذات لا تقلّ شأناً عنه، خلقاً وشجاعةً ووطنية، فكلاهما امتدادٌ للآخر، ولا ينفصل عنه، لذلك كان حبّ الوطن النسق المعلن لكليهما، تفوق على حبّ آخر، حتى الحبّ الذي يجمعهما، ففي زحمة انشغالها ببلدها تناست وجوده وعواطفه، وتناست أيضا عواطفها وأحاسيسها، فلا تتذكر منه سوى وجوده بين جنوده في ساحة المعركة، وهذا النسق يضمر آخر يلوح في الأفق وهو النصر لبلدهما الذي ينتميان إليه، فمن يحمل هذه الأحاسيس فلا بدّ أن يكون النصر حليفه.

الخاتمة

في نهاية البحث لا بد أن نجمل اهم النتائج والاستنتاجات التي خرج بها كالآتي:

1 – جاءت سرديات عالية طالب بعد 2003م سيرة ذاتية لها، تروي ما تشاهده وما تعيشه على ارض الواقع.

2 – طغى نسق النسوية في سرديات عالية طالب بدلالة اتخاذها ضمير المتكلم (الراوية) في معظم اعمالها، وبدلالة اتخاذها ابطال اعمالها الابداعية امرأة .

3 – ظهرت المرأة النمطية (القوالب الثابتة) مهيمنة في سرديات عالية طالب فبرزت الامومة والانوثة والحب والزواج والجنس مهيمنات في نصوص السردية .

4 – كان المركز هو الآخر، اما الذات فغالباً ما تكون مهمشة ومسلوبة الارادة، وفي احيان اخرى تتمرد الذات لتصبح مركزاً، وترى المركز يصبح مهمشاً، فيظهر تبادل الادوار بين المركزية والتهميش.

5 – لم يكن الاخر هو الرجل دائماً، بل جاء الآخر في صور متعددة ؛ منها : المحتل، والمجهول، والغربة، والوطن، والأهل، وغيره، إذ الآخر ليس غيرياً دائماً، بل يأتي في صورة مجانسة للذات او مقاربة منها .

6 – برزت أنساق التمرد والقوة والارادة، والتوق إلى الحرية وغيرها أنساقاً مضمرة تتضمنها النصوص السردية.

الهوامش:

1) النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، تر: أحمد الشامي، مراجعة : هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، 22.

2) النظرية النسوية، متقطفات مختارة، ويندى كيه، كولمار، فرانسيس بارتكوفيسكي، تر : عماد إبراهيم، مراجعة وتدقيق: عماد عمر، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010م، 21.

3) أرسطو والمرأة، أ .د إمام عبد الفتاح، ط 1 مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر 1996م، 36.

4) ينظر : النظرية النسوية، مقتطفات مختارة 99.

5) المصدر نفسه 99.

6) النسوية وما بعد النسوية 23 .

7) الذات الأنثوية في ثلاثة نماذج من السرد النسوي، د إبراهيم خليل، المركز الثقافي الملكي، 1997م، 20

8) الرواية النسائية العربية، د .سعيد يقطين، مجلة الأقلام، ع 3، بغداد، 1998م، 21 .

9) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، حفناوي بعلي، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم

ناشرون، الجزائر، لبنان، 2009م، 33.
10) النظريات النسوية ود كورنيلا الخالد، المركز الثقافي الملكي، عمان 1997م، 5 .
11) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية 29.
12) المصدر نفسه 30.
13) المصدر نفسه 32.
14) تمرد الأنثى، نزية أبو نضال، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الأردن، 2004م، 11.
15) لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور (711-630) هـ اعتنى بتصحيحها : امين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط1، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2010م، 8/251 .
16) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، ط2، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركية، 2/955 .
17) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ط 1، منشورات عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2008م، 1/2286 .
18) علم النفس المعرفي، د .رافع النصير الزغلول ود. عماد عبد الرحيم الزغلول دار الشروق للنشر والتوزيع، 119.
19) بنية الصورة وسياسة الاتصال أ .د .حميدة مهدي سميسم، مجلة الباحث الإعلامي، جامعة بغداد، حزيران، ايلول، ع6، 7، 2009م، 21.
20) صورة المرأة في أدب وادي الرافدين، دراسة في ضوء النقد النسوي، نوال هادي حسن، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة 2017م، 30 .
21) قيامة بغداد، عالية طالب، ط2، أور للطباعة والنشر، بغداد، 2017م، 138-136 .
22) حكايات الرمل، مجموعة قصصية، عالية طالب، ط1، أور للطباعة والنشر، ذي قار، الشطرة، 2017م، 22-23 .
23) بحر اللؤلؤ، عالية طالب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2006م: 13.12 .
24) لسان العرب 4/171.
25) المعجم الوسيط 1/369 .
26) لسان العرب 9/101.
27) المعجم الوسيط 4/994 .
28) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م، 2/365 .
29) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، 52 .
30) جدلية المركز والهامش، قراءة جديدة في دفاتر الصراع في السودان ابكر آدم اسماعيل، ط2، منشورات منظمة حقوق الإنسان والتنمية، 91 .
31) المركز والهامش في القصيدة النسوية العراقية (2013-2003)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، 2016 م، 7 .
32) استطيقا المهمش في فن ما بعد الحداثة، د. علي شناوة ال وادي، د. رحاب خضير عبادي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، العراق، 2010م، 51 .
33) قيامة بغداد 90 .
34) حكايات الرمل، مجموعة قصصية 59 .
35) بحر اللؤلؤ: 20 .
36) لسان العرب 3/355 .
37) المعجم الوسيط 1/307 .
38) لسان العرب 74-1/72 .
39) المعجم الوسيط 9-1/8 .
40) ثنائية (الأنا) و(الآخر) الصعاليك والمجتمع الجاهلي، عبد الله بن محمد طاهر تريسي، مجلة التراث العربي، ع، 120، 121، كانون الثاني، نيسان، 2011م، 171 .
41) المصدر نفسه 171.
42) شعراء الهوية، علاء عبد الهادي، عالم الفكر، 286.
43) تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م، 20 .

44) ينظر: الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين، حسين العودات، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2010م، 20-19 .
45) قيامة بغداد 99 .
46) حكايات الرمل، مجموعة قصصية، 21-20 .
47) بحر اللؤلؤ: 61 .

المصادر والمراجع :

1 - الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين، حسين العودات، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2010م.
2 - أرسطو والمرأة، أ .د إمام عبد الفتاح، ط 1 مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر 1996م .
3 - استطيقا المهمش في فن ما بعد الحداثة، د. علي شناوة ال وادي، د. رحاب خضير عبادي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، العراق، 2010م .
4 - بحر اللؤلؤ، عالية طالب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2006م .
5 - بنية الصورة وسياسة الاتصال أ .د .حميدة مهدي سميسم، مجلة الباحث الإعلامي، جامعة بغداد، حزيران، ايلول، ع6، 7، 2009م .
6 - تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م .
7 - تمرد الأنثى، نزية أبو نضال، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الأردن، 2004م .
8 - ثنائية (الأنا) و(الآخر) الصعاليك والمجتمع الجاهلي، عبد الله بن محمد طاهر تريسي، مجلة التراث العربي، ع، 120، 121، كانون الثاني، نيسان، 2011م .
9 - جدلية المركز والهامش، قراءة جديدة في دفاتر الصراع في السودان ابكر آدم اسماعيل، ط2، منشورات منظمة حقوق الإنسان والتنمية .
10 - حكايات الرمل، مجموعة قصصية، عالية طالب، ط1، أور للطباعة والنشر، ذي قار، الشطرة، 2017م.
11 - الذات الأنثوية في ثلاثة نماذج من السرد النسوي، د إبراهيم خليل، المركز الثقافي الملكي، 1997م .
12 - الرواية النسائية العربية، د .سعيد يقطين، مجلة الأقلام، ع 3، بغداد، 1998م .
13 - شعراء الهوية، علاء عبد الهادي، عالم الفكر .
14 - صورة المرأة في أدب وادي الرافدين، دراسة في ضوء النقد النسوي، نوال هادي حسن، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة 2017م .
15 - علم النفس المعرفي، د .رافع النصير الزغلول ود. عماد عبد الرحيم الزغلول دار الشروق للنشر والتوزيع .
16 - قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية .
17 - قيامة بغداد، عالية طالب، ط2، أور للطباعة والنشر، بغداد، 2017م .
18 - لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور (711-630) هـ اعتنى بتصحيحها : امين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط1، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2010م .
19 - مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، حفناوي بعلي، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، لبنان، 2009م .
20 - المركز والهامش في القصيدة النسوية العراقية (2013-2003)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، 2016 م .
21 - المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م .
22 - معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ط 1، منشورات عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2008م.
23 - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، ط2، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركية .
24 - النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، تر: أحمد الشامي، مراجعة : هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م .
25 - النظريات النسوية، د كورنيلا الخالد، المركز الثقافي الملكي، عمان 1997م .
26 - النظرية النسوية، ، متقطفات مختارة، ويندى كيه، كولمار، فرانسيس بارتكوفيسكي، تر : عماد إبراهيم، مراجعة وتدقيق : عماد عمر، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010م .

4 – المصطلحات الّلغويّة بين الترّاث العربي والألسنيّة



الدكتورة جومانة توفيق أبو علي

أستاذة محاضرة في الجامعة اللبنانية–كلية الآداب وكلية التربية الفرع الأوّل.

joumanaabouali@outlook.com

ملخص:

يعدّ المصطلح مفتاحًا للعلوم كافة؛ بل لعلّه مفاتيح العلوم وأداوتها الرئيسة، ولا يمكن الغور في أيّ علم من دون تمكّننا من مصطلحاته؛ والمقصود بالحديث عن المصطلح هو الحديث عن مضمونه ومعناه داخل أيّ لغة؛ لذلك فمن الطّبيعيّ أن نجد الكثير من العلماء على اختلاف آرائهم قد أوْلَوْه عناية كبرى؛ وذلك إمّا بتعريفه أو بطريقة عرضه وتوظيفه .

وما تشهده المجتمعات من تطوّر في كافّة الميادين الحياتيّة وخاصّة في المجال التّكنولجي،لهو دليل واضح على سرعة ظهور مسميّات جديدة لأشياء جديدة؛ إذ بات يشكّل المصطلح هاجس كلّ الشّعوب؛ بل الأكثر من ذلك أصبح علمًا قائمًا بذاته يدعى: علم المصطلح.

هذه الدّراسة تعالج إشكالية تعدد المفهوم للمصطلح الواحد، وتبيّن بشكل واضح أنّ هذه الإشكاليّة ليست منوطة فقط بالمصطلح العربي؛ بل هي أيضا ظاهرة لافتة في كلّ الّلغات؛

فقد مرّ المصطلح بمراحل عديدة نتيجة ظروف خاصة فرضت وجودها وأثّرت على تحديد مفهومه.

ونتيجة مخالطات العرب مع غيرهم، كان لا بدّ من تمازج ثقافي ينعكس على الّلغة العربيّة الّتي أخذت من الفارسيّة والهنديّة والتّركيّة وغيرها ألفاظًا جديدة تعكس هذا الاختلاط بين الشّعوب.

و يتبين للقارئ بأنّ علماء اللغة قد تعبوا لنقل المفاهيم من خلال وضع المصطلح، و البحث عن أصل المفهوم في التراث؛ وإن لم يجدوه، فكانت التّرجمة سبيلًا لا بدّ منه للوصول إلى ترسيخ هدفهم.

فاسم المصطلح، بمعزل عن توضيح معناه ودلالته، لا يخدم سياق النّص العلمي؛ بل إن معنى ذلك المصطلح ودلالته هما الّلذان يوضّحان المقصود، إذ إنّ المصطلح اسم يرمز إلى المسمى؛ لكنه ليس إيّاه.

Summary

Term is a key to all sciences. Rather, it is perhaps the keys to science and its main tools, and we cannot dive in any science without the knowledge of its terminology. What is meant by talking about the term is: talking about its content and meaning within any language. The differing opinions of scholars have been given a great attention. And that is either by the definition they gave to the term or by the way they presented and employed it.

And the witnesses attested, especially in the field of technology is a clear evidence of the rapid emergence of new names for new things; As it shapes the term is an obsession for all nations; until it became a science in its own: the science of terms.

This study deals with the problem of multiplicity of concept for one term, and it clearly demonstrates that this problem is not restricted to the Arabic term only; it is also a remarkable phenomenon in all languages. The term went through many stages due to special circumstances that imposed its existence and influenced the definition of its concept.

As a result of the mixing of Arabs with others, there had to be a cultural mix that was reflected in the Arabic language, which took from Persian, Hindi, Turkish and other words new words that reflect this mixing between the nations.

And it becomes apparent to the reader that linguists have worked hard to convey concepts by putting the term, and searching for the origin of the con-cept in the heritage. If they did not find it, then translation was a necessary way to reach a solidification of their goal.

The name of the term, apart from clarifying its meaning and connotation, does not serve the context of the scientific text. Rather, the meaning and the connotation of that term are what clarify the meaning, as the term a name symbolizing the eponymous but it is not.

المقدمة:

يعدّ المصطلح مفتاحًا للعلوم كافة؛ بل لعلّه مفاتيح العلوم وأداوتها الرئيسة، ولا يمكن الغور في أيّ علم من دون تمكّننا من مصطلحاته؛ والمقصود بالحديث عن المصطلح هو الحديث عن مضمونه ومعناه داخل أيّ لغة؛ لذلك فمن الطّبيعيّ أن نجد الكثير من العلماء على اختلاف آرائهم قد أوْلَوْه عناية كبرى ؛ وذلك إمّا بتعريفه أو بطريقة عرضه وتوظيفه.

وما تشهده المجتمعات من تطوّر في كافّة الميادين الحياتيّة وخاصّة في المجال التّكنولجي،لهو دليل واضح على سرعة ظهور مسميّات جديدة لأشياء جديدة؛ إذ بات يشكّل المصطلح هاجس كلّ الشّعوب؛

بل الأكثر من ذلك أصبح علمًا قائمًا بذاته يدعى: علم المصطلح.

ولقد شكّلت اللّسانيات في العصر الحديث ثورة كبيرة خاصّة مع مجيء ديسوسير Ferdinand de Saussure، وشهد حقل الألسنية كمًّا هائلا من المصطلحات والمفاهيم الجديدة، والمصطلح في مفهومه العام.

مفهوم المصطلح لغة:

الإِصلاح : نقيض الإِفساد والمَصْلَحة : الصَّلاحُ والاسْتِصْلاح : نقيض الاستفساد وأَصْلَح الشيءَ بعد فساده: أَقامه وأَصْلَحَ الدابة : أَحسن إِليها فَصَلَحَتْ وفي التهذيب : تقول أَصْلَحْتُ إِلى الدابة إِذا أَحسنت إِليها. والصُّلْحُ : تَصالُح القوم بينهم. والصُّلْحُ : السِّلْم.

وقد اصْطَلَحُوا وصالحوا واصَّلَحُوا وتَصالحوا واصَّالحوا، مشدّدة الصاد، قلبوا التاء صاداً وأَدغموها في الصاد بمعنى واحد»[759].

واصطلحا واصّالحا مشدّدة الصاد، قلبوا التاء صادا وأدغموها في الصاد، وتصالحا و اصتلحا بالتاء بدل الطاء، كلّ ذلك بمعنى واحد. [760] من خلال التّفسير اللّغويّ لكلمة اصطلاح يتبيّن للقارئ أنّ مفهومه يدل على الصّلح والتّصالح، من خلال اتّفاق عام بينهما.

مفهوم الاصطلاح اصطلاحًا:

للجرجاني تعريف علميّ للمصطلح فيقول بأنّه: «إخراج اللّفظ من معنًى إلى آخر لمناسبة بينهما.»[761]

وللشّريف الجرجاني عدّة تعريفات للمصطلح : فهو «عبارة عن اتّفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول».

وهو »إخراج اللّفظ من معنى لغويّ إلى معنًى آخر لمناسبة بينهما».

واتّفاق طائفة على وضع اللّفظ بإزاء المعنى».[762]

والمتمعّن لهذه التّعريفات يلحظ بوضوح لا لبس فيه، أنّ التّعريفين»الأوّل والثّاني» المذكورين يركّزان على مبدأ الاتّفاق الّذي يتمّ من قبل طائفة مختصّة، أمّا التّعريفان الآخران»الثّالث والرّابع» فإنّهما يشدّدان على انتقال اللّفظ من موضعه الأول إلى موضع آخر لمناسبة بينهما.وبهذا يتبيّن للقارئ والباحث معًا أنّهما أكثر دقة في تعريف الممصطلح من التّعريفين الأولين، إذا خرج من مفهوم الاتّفاق إلى معنًى لغويّ تجمع بينهما المناسبة.

ثم ننتقل إلى العصر الحديث لنجد تعريفًا آخر للمصطلح:هو تعبير خاصّ ضيّق في دلالته المتخصصة، واضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللّغات الأخرى، يرد دائما في سياق النّظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيتحدد بذلك وضوحه الضّروري. [763]

---

(759) ابن منظور، لسان العرب،مادة «صلح"،دار الجيل، بيروت–لبنان،د– ط، 1988.

(760) الزبيد،محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي،المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب،مادة «صلح".

(761) الجرجاني،الشريف، التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط2، 2003م، ص23.

(762) المصدر نفسه ص: 34.

(763) حجازي،محمود فهمي،علم المصطلح، مجلة مجمع القاهرة ع 59، 1986، ص54.

المصطلح بأنّه واسطة من الوسائط بين الرّصيد اللّغوي المفترضDe Beaugrande ويعرف دو بغراند ورصيد اللّغة الفعليّ. (764)

فالمصطلح « كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاور دلالتها اللّفظيّة والمعجميّة إلى تأطير تصورات فكريّة، وتسميتها في إطار معين، وتقوى على تشخيص وضبط المفاهيم الّتي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة»((765))

من خلال المعنين: المعنى اللّغويّ والمعنى الاصطلاحيّ يتبيّن للقارئ مباشرة أنّ المصطلح هو اتّفاق عام بين ثلّة من النّاس المختصين على تسميّة شيء أو أي أمر باسم معين يعرف به ضمن ضوابط خاصة بهذا المفهوم، بحيث يفهمه الباحث أين ما كان وفي أي بقعة جغرافية يعيش.

وبهذا يكون خدمة للبحث العلمي وللباحث، فلا يستطيع ابن الجزيرة مثلًا أن يتناول مصطلحًا باعتباره خاصًا به وببيئته؛ بل على العكس مفهوم المصطلح هو ذاته عند ابن العالم الغربي، وهذا مساعد على الوصول إلى نتائج بحثية علمية واضحة الرؤى، ويمكن العمل عليها وتبنيها.

*** المفهوم بين اللّغة والاصطلاح:**

لمَ علينا دراسة المفهوم؟

عندما يحدّد المتكلم ألفاظه، تقلّ النّزاعات، وتضيق الخلافات، ويكون مدخل حوار واضح، فكثير من الخلافات سببها إطلاق الألفاظ وعدم ضبطها، لذا كان التّوقّف عند المفهوم لدراسته وتحديده، لما له من الأثر في حواراتنا ونقاشاتنا وأبحاثنا.

لغة : مصدر فهم، والفهم معرفتك بالشيء بالقلب، فهمه فَهْماً، وفَهَما وفهامه : علمه وتفهّم الكلام : فهمه شيئاً بعد شيء. (766)

والمفهوم هو: «الصورة الذهنية، سواء وضع بإزائها الألفاظ أو لا (767)»

وكذلك عرّفه التّهانوي بأنّه: «ما حصل في العقل» (768)

وقد عرّف المفهوم أيضًا بأنّه:»كل موضوع شعوري يتضمَّن معنًى ودلالة، فهو كل شيء يمكن أن يفكِّر فيه الفرد أو يميزه عن غيره من الأشياء الأخرى، وهذا ما نسمِّيه في علم النفس بالتصوُّر، ويلحظ فيه معنًى عام، أو كل ما يمكن أن يستدلَّ به على عدد من الأفراد أو الموضوعات»(769).

والمفهوم عند وارن:«عمليَّةٌ ذهنيَّة تشير إلى مجموعة من الموضوعات أو الخِبرات، أو إلى موضوع واحد في علاقته بغيره من الموضوعات، ويعتبر المعنى كليًّا لأنّه يمثّل أفرادًا مختلفين، وفكرًا مجرَّدًا؛

(764) انظر : A new introduction to the study of text and discourse, R. DE BEAUGRANDE. ,Cognition .Communication, and the Freedom of Access to Knowledge, London, Longman, 1995. P25

(765) مجلة المصطلح، مقال بعنوان: بين المفهوم والمصطلح « **المصطلح اللساني نموذجاً** »، بوعناني سعاد آمنة، العدد 1، مارس، تلمسان (الجزائر)، 2002، ص 224.

(766) أبو الفضل،محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين، **لسان العرب**،بيروت،دار صادر ،مادة»فهم».

(767) الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**،تحقيق:عدنان درويش، محمد المصري،بيروت،مؤسسة الرسالة.

(768) التهانوي،محمد علي،**كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**،تحقيق:رفيق العجم، علي دحروج،مكتبة لبنان،1996.

(769) زكريا،محمد بن يحيى،وفضيلة،حناش،**بناء المفاهيم (المقاربة المفاهيمية)**،وزارة التربية الوطنية – الجزائر، 2008، ص17.

لأنه يمثِّل الصِّفةَ السائدة في هؤلاء الأفراد»[770].

*** تطور المصطلحات العربية:**

لقد أولى الأقدمون أهميّة كبيرة لموضوع المصطلحات، رغم عدم تداوله بهذه التّسمية المخصّصة؛ ورغم تحدث الجاحظ وسيبويّه والشّريف الجرجاني وغيرهم عنه داخل مؤلفاتهم؛ فالجاحظ عندما يتكلّم على جانب الخطابة عند العرب وفصاحتهم يقول بأنّهم «تخيَّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا لذلك سلفًا لكل خلف، وقدوة لكل تابع»[(771)]

إنّ المصطلح اللّساني كغيره من المصطلحات الأخرى الّتي وفدت إلينا، يجد نوعًا من الحرج في توظيفه واستعمالاته؛ لكونه يخطو اتّجاهًا خارج اللّغة العربيّة بعيدًا من الاشتقاق والتّوليد من جهة، ومعتمدًا على التّعريب والتّرجمة من جهة أخرى.

ففي العصر العباسيّ وفي بداية النّهضة العلميّة، كانت العناية موجّهة إلى التّأليف، فألّف العلماء الكثير من كتب التّفسير والحديث .

ونتيجة مخالطات العرب مع غيرهم، كان لا بدّ من تمازج ثقافي ينعكس على اللّغة العربيّة الّتي أخذت من الفارسيّة والهنديّة والتّركيّة وغيرها ألفاظًا جديدة تعكس هذا الاختلاط بين الشّعوب.

والمؤلّفات العربيّة زاخرة بصنوف التّأليف في شتّى المعارف والعلوم، واحتلّ المصطلح مكانة كبيرة في المؤلّفات الّتي اغنت المكتبات، فعلى سبيل المثال لا الحصر فحنين بن إسحاق ألّف وترجم ونقل وأوضح معاني كتب بقراط وجالينوس، إضافة إلى ترجمته كتاب»النّفس» لأرسطو. [(772)]

وكان حنين يرد المصطلح اليوناني ثم بعده المصطلح العربي الذي يختاره له،فلا يكرّر المصطلح اليوناني ظنًا منه أن المعنى العربي يُكتفى به إلّا إذا وجد أن وجوده مساعد للقارئ. [(773)]

ولأبي بكر الرّازي دوره اللّامع والمؤثر في تأصيل المصطلح العلميّ العربي،وسلك بهذا مسلكين: أحدهما اعتمد على الأصل العربي لاستخراج معنى المصطلح، والثّاني اللّجوء إلى الأصل غير العربي لتحديد المعنى، وقد بلغت المصطلحات العربيّة الأصل حوالي:645 مصطلحا، والمصطلحات الدّخيلة، فإنّ بعضها كان خليطًا بين العربيّ والأعجميّ في آن معًا، وبعضها خضع لتغييرات صوتيّة، مع محاولة التّقريب والتّعريب من الأصل العربي. [(774)]

وإضافة إلى أبي بكر الرّازي فإنّ محمد بن إسحاق النّديم قد ضمّن كتابه «الفهرست» أخبار العلماء والمؤلفين، وكان عند حديثه عن العلوم يورد المصطلحات المعربّة بالصّيغة الّتي شاعت بين المؤلفين، ومعها ما يرادفها من المصطلحات العربيّة، وقد يكتفي أحيانًا بالمرادف العربي. [775] وألف

---

(770) المرجع نفسه.

(771) الجاحظ، عمرو بن بحر ،**البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط 3، ج 1، (د ت)، ص 102.

(772) الديداوي ،محمد، **الترجمة والتواصل دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم**،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط 1، 2000،ص70.

(773) شاهين، عبد الصبور ،**العربية لغة العلوم و التقنية**، دار الاعتصام القاهرة، 1986 م.ص143.

(774) المرجع نفسه.

(775) الديداوي،محمد، **الترجمة والتواصل دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم**،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،ط 1، 2000،ص71.

الخوارزمي [776] كتاب «مفاتيح العلوم»، بعد أن استحكمت لغة العلوم الّتي تعددت فروعها واستقرت مصطلحاتها وتحدّدت مفاهيمها وتوحّدت استعمالاتها في المشرق والمغرب. [777]

وبيّن الخوارزمي غايته والفوائد الّتي يجنيها القارئ من كتابه، فقال: «وقد جمعت في هذا الكتاب ما يحتاج إليه من هذا النوع متحريًا للإيجاز والاختصار ومتوقيًا للتّطويل والإكثار، وسميت هذا الكتاب «مفاتيح العلوم،»

إذ كان مدخلًا إليها ومفتاحًا لأكثرها. [778] وبعد الخوارزمي جاء التّهاوني[779] الذي تجاوزت مصطلحاته ما ورد في كتاب الخوارزمي إذ بلغت ما لا يقل عن 5000 مصطلح في مجلداته السّتة،وقد عمل على تبيين المقصود وتعريف المصطلح الذي أصبح أكثر تحديدًا في عصره. [780]

و المصطلحات الأعجمية، أي الدّخيلة، فإن بعضًا منها كان مركبًا من عربي و أعجمي في آن واحد،

وبعضها خضع لتغييرات صوتية، مع محاولة التّعريب والتّقريب من الأصل العربي،

[781]. الأعجمي كما أنّ بعض الصّفات اشتقّت من الأصل

وعلّق الجاحظ لنشأة المصطلح العلمي في عصره، بقوله عن العلماء:» اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا بذلك سلفا لكلّ خلف، وقدور لكلّ تابع.» [782]

من خلال ما ذكرناه، فإنّه يتبين للقارئ بأنّ هؤلاء العلماء قد تعبوا لنقل المفاهيم من خلال وضع المصطلح، و البحث عن أصل المفهوم في التراث؛ وإن لم يجدوه، فكانت التّرجمة سبيلًا لا بدّ منه للوصول إلى ترسيخ هدفهم.

فاسم المصطلح، بمعزل عن توضيح معناه ودلالته، لا يخدم سياق النّص العلمي؛ بل إن معنى ذلك المصطلح ودلالته هما اللّذان يوضّحان المقصود، إذ إنّ المصطلح اسم يرمز إلى المسمى؛ لكنه ليس إيّاه.

**** تحديات تواجه المصطلح:**

تحديّات كثيرة أحاطت بالمصطلح وأكثرها بروزًا»ازدواجيّة مدلول المصطلح، الّتي قد ينشأ عنها ضرب من الالتباس في عرض المفاهيم، وتصنيف المعطيات، حسب انتمائها إلى مستوى من مستويات البنيّة اللّغويّة»[783]

ومع ازدواجيّة المصطلح يظهر أيضًا تعدّد المصطلح الدّال على مفهوم واحد، وهذه الإشكالية ليست

---

(776) عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف،ت380 هـ.

(777) عبد العزيز،محمد حسن،**التعريب في القديم و الحديث مع معاجم للألفاظ العربية**، دار الفكر العربي. القاهرة،106-104.

(778) الخوارزمي،عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف،**مفاتيح العلوم**،مطبعة بريل بليدن سنة 1895 م، الطبعة الأولى سنة 1349 هـ،ص4.

(779) محمد علي التهاوني،1158هـ.هندي من علماء القرن الثاني الهجري.

(780) انظر:شاهين، عبد الصبور،**العربية لغة العلوم و التقنية**، دار الاعتصام القاهرة، 1986 م.

(781) المرجع نفسه.ص159.

(782) حجازي، محمود فهمي، **علم اللغة العربية**،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،ص254.

(783) انظر:المهيري،عبد القادر،**من الكلمة إلى الجملة بحث في منهج النحاة**، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله،تونس،1998م،ص 17.

محصورة فقط في اللّغة العربيّة بل هي في أغلب اللّغات الإنسانيّة.

فعلى سبيل المثال، لا الحصر، في الغرب يطلق على الدّراسات اللّغويّة مصطلحان اثنان،الأوّل: philology والثّاني linguistics ، و«فقه اللغة» هو ترجمة لمصطلح linguistics «علم اللّغة» هو ترجمة لمصطلح ، فمصطلح وذلك نتيجة التّرجمة. وذلك بظهور كتابي:«علم اللغة» «وفقه اللغة» وذلك في بداية القرن العشرين. (784) philology وهذان الكتابان للمؤلّف المصري عبد الواحد وافي.

وقد برزت بعد ذلك مصطلحات كثيرة، أوصلها عبد السلام المسدّي في كتابه»قاموس اللّسانيات» إلى ثلاثة وعشرين مصطلحًا،» اللانغويستيك، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام، علم اللغة العام الحديث، علم فقه اللغة، علم اللّغات، علم اللّغات العام، علوم اللّغة، علم اللّسان، علم اللّسان البشري،علم اللّسانة،الدّراسات اللّغويّة الحديثة، الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، النّظر اللّغوي الحديث، علم اللّغويات الحديث، اللّغويات الجديدة، اللّغويات- الألسنيّة، الألسنيات، اللّسنيات، اللّسانيات.» (785) «ومن مادة لسان» linguistics وغدا مصطلح «اللّسانيات» اليوم لدى الباحثين مقابل مصطلح «انبثق مصطلح» اللّسانيات، الذي توحّد في استعمال أبناء العربية (786).

ورغم انتشار مصطلح «اللسانيات» بين أغلب اللّسانيين العرب، فإن الباحث يلاحظ بشكل واضح لا لبس فيه أنّ مصطلحي :»الألسنيّة وعلم اللّغة» ينازعان مصطلح اللّسانيات في بعض دول المشرق العربي.

واضافة إلى ما سبق ذكره فإنّ مصطلح:» السّيميائيّة» وهو من اللّسانيات مرتبط اسمه باسم الأميركي«بيرس» واللساني السويسري «فردينان دي سوسير»، وعند الاثنين يختلف المصطلح؛ « ترى» دي سوسير «يطلق Semiotics فبينما «بريس» يطلق مصطلح» «وهذا التّعدد في المصطلحات انعكس أيضا على العربيّة، فتعدّد المصطلح،Semiology مصطلح» وبرز حينها مصطلحا السّيميائيّة أو السّيميائيّات ترجمة للمصطلح الأوّل، والسّيميولوجيا تعريبًا للمصطلح الآخر، هذا ناهيك عن تعدّد المترادفات لكلمة العلامة، موضوع هذه العلم، فظهرت مصطلحات أخرى عديدة تطلق على هذا العلم، أشهرها : علم العلامات، وعلم الرّموز، وعلم الإشارات(787).

«بل عُبر عنه بمصطلحات كثيرة،Norm» ولا يوجد اتّفاق بين الباحثين الأسلوبيين الفرنسيين لمصطلح الاستعمال المعروف،أمّا «ماروزو»فقدL’usage ordinaire فقد اختار له عالم الأسلوب «فونتانياي» الدرجة الصّفر،واستعمل «ليوسبيتزر» مفهوم الاستعمال العادي Le de- gré zéro عبر عنه بمفهوم آخر واختار «والاك وفاران» مفهومًا آخر وهو الاستعمال السائد ”L’usage normal، أما تودوروف فقد فضّل إطلاق اسم آخر على ذات المفهوم، فكان السّنن اللّغوية les normes du langage.(788) L’usage corant ونتيجة لتعدد الأسماء للمفهوم ذاته عند الباحثين الفرنسيين، فقد عكس تعدّد المصطلحات في اللّغة العربيّة، للمطلح ذاته أيضًا،ومنها على سبيل المثال وليس الحصر: المعيار،الاستعمال الدّارج،الاستعمال السّائر،السّنن اللّغويّة،... لأنّ ترجمته غير واضحة، فوضعوا الذي لم يرض به أكثر اللّغويين؛ **L’écart** وهناك أيضا مصطلح **الانزياح** مصطلحات بديلة عنه، ومع شيوعه في اللّغة الفرنسيّة، إلّا أنه لا يوجد مصطلح عنه

(784) انظر :وافي،علي عبد الواحد،**علم اللغة**،مصر،نهضة مصر للطباعة والنشر،ص:16-15.

(785) انظر :المسدي،عبد السلام،**قاموس اللسانيات**، الدار العربية للكتاب،ص72-55.

(786) انظر : بشر،كمال،**دراسات في علم اللغة**،دار المعا رف بمصر، 1969 م

(787) انظر : رشراش،أحمد،**التحليل السيميائي للنص تحليل شعر المتنبي نموذجا**:أطروحة دكتوراه،مكتبة كلية الآداب،جامعة طرابلس،ليبيا،2009م،ص20.

(788) انظر : المسدي،عبد السلام،**الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب،ليبا،تونس،1977،ص94.**

متّفق عليه، و«والاك وفاران» استعمل الاختلال La deviation فـ«سبيتزر» استعمل مصطلح الانحراف، و«كوهان» Le scandale، أمّا بارت فقد فضّل استخدام الشّناعة distorsion La اللّحن [789]L'incorrection. «تودوروف» الانتهاك، واختار Le viol استعمل وبتعدد أسماء لهذا المصطلح في اللّغة الفرنسيّة، فقد انعكس ذلك على اللّغة العربيّة فكانت هناك عدّة مصطلحات لمفهوم واحد، مثل: لانزياح، والانحراف، والعدول، والمجاوزة، والتّجاوز، والاتّساع[790].

إضافة إلى ما سبق ذكره، فإنّ اللّساني التّونسي عبد السّلام المسدّي قد حاول إيجاد مصطلحين «البنيويّة، فاستخدم مصطلح البنيوية Structuralisme والهيكليّة» مقابل المصطلح الأجنبي: في معجمه قاموس اللّسانيات [791]، وتراه يستخدم مصطلح الهيكليّة، في بحث له [792]. وما يظهر عند المسديّ ما هو إلا ضياع لتحديد مفهوم المصطلح. وإضافة إلى المسديّ، فإنّ محمد الخولي أيضا له تعدّد مفاهيم في اللّغة العربيّة لمصطلح أجنبي واحد، في «Allopone كتابه(معجم علم اللّغة النّظري). ومن بين تلك المصطلحات مصطلح:» الذي قابله بمصطلحين عربيين:متغير صوتي وألفون، فمصطلح «متغير صوتي» عن طريق التّرجمة،و«ألفون «عند طريق التّعريب»[793].

وطول الصوت Duration كمية الصوت، Quantity كذلك خلط محمد الخولي بين مصطلحين اثنين فعكس مفهوم المصطلحين،وخلط بينهما[794]. هناك مصطلحات كثيرة تمّ الخلط بينها وبين المصطلح الأجنبي، وما يعرض ما هو إلا إشارات لتشدّ انتباهنا وترمي على عاتقنا العمل المجد لتحديد مفاهيم المصطلح. «عند الباحث محمد عزيز،la langue و«Le langage فمن ذلك أيضا الخلط بين مصطلحي:» «يطلق على اللّغة بمفهومها العام، بما في ذلك لغة الحيوان والإشارات ولغة العيون، Le langage فمصطلح:» دلّ على اللسان البشري عند مجموعة لغويّة محدّدة للتّفاهم فيما بينهم[795]. la langueبينما مصطلح بمفهوم اللسانLe langage ولكن ما قام به الباحث محمد عزيز، أنّه قلب المفهومين: فاستخدم « بمفهوم اللغة» [796].lalangue وما هذا الخلط إلا دليل عجز على تحديد دقة مفهوم المصطلح.

إنّ تعدّد المصطلح العلمي أحدث إرباكًا لدى المتخصّصين فيه، من حيث نقل المفاهيم، ووضع المصطلحات، فهو علم وافد،وله جذوره في التّراث العربي.

وإنّ ترجمة المصطلحات أدّى إلى كم إيجاد كمّ هائل في جعبة الباحث العربي،وقد تميّزت هذه المصطلحات أنّها صيغت بأسلوب جديد لم يعهدها الباحث العربي من قبل، لأنها احتفظت بأساسها غير العربي، وقد تمّ تعريبها. [797]

وكان لاختلاف التّرجمة والتّعريب، بسبب تعدّد الرؤى، واختلاف اللّغات المنقول عنها المصطلح، أثر عميق في تعدّد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي الواحد، إلى درجة ربما تصل إلى حالة الإرباك والفوضى في الاستعمال، وانعدام التّنسيق في توحيد المصطلحات؛ الأمر الّذي أدّى إلى لبس كبير

(789) انظر : المرجع السابق،ص158-97-96.

(790) انظر : أحمد ويس،**الانزياح وتعدّد المصطلح**،مجلة عالم الفكر،م25،ع3،يناير،مارس،1997م.

(791) انظر :المسدي،عبد السلام،**قاموس اللسانيات**، الدار العربية للكتاب، ص182.

(792) انظر : المسدي،عبد السلام،**محاولات في الأسلوبية الهيكلية لريفاتير**،حوليات الجامعة التونسية،ع10، 1973م.

(793) المصدر السابق ص107.

(794) انظر :الخولي، محمد،**معجم علم اللغة النظري**،مكتبة لبنان،بيروت،ط2 ، 1991،ص81.

(795) انظر :دو سوسير،فرديناند،**محاضرات في علم اللسان العام**،ترجمة عبد القادر قنيني،إفريقيا،ص29.

(796) انظر :عبد العزيز،محمد حسن،**سوسير رائد علم الحديث**،دار الفكر العربي للطباعة والنشر،1989،ص20.

(797)انظر :حرب،علي،**الحقيقة والمجاز،نظرة لغوية في العقل والدولة**، مجلة دراسات عربية،عددها6،دار الطليعة،بيروت،لبنان، 1982،ص: 61.

لدى المشتغلين بهذا العلم.

فالتّرجمة أسهمت بشكل ملحوظ وواضح في اختلاف المصطلحات وتعدّدها، فلوحظ «كثرة المصطلحات الموضوعة في سياق التّرجمة، وطغيان الاختلاف حولها؛ حتّى عصف بكثير من المفاهيم الأساسيّة للسانيّات، الّتي غدت عند البعض من الدّارسين علمًا ضبابيًا،لا يعرف من أين ينفذ إليه؛وما ذلك إلّا لافتقادها إلى مصطلحات دقيقة»[798].

وكلّ هذا هو انعكاس لاختلاف الطّرائق في نقل المصطلح، فقد يلجأ أحدهم إلى التّرجمة الحرفيّة، وآخر إلى التّرجمة الجزئيّة، وغيرهم إلى التّعريب،فينتج عن ذلك ثلاثة مفاهيم للمصطلح الأجنبي الواحد، وكل حسب طريقته، فمصطلح» phoneme [799]. ترجم ترجمة حرفيّة فكان «الوحدة الصوتيّة»

وترجمت ترجمة جزئيّة فكانت:صوتم–صوتيم([800]). وهناك من يعرّبه «فونيم» أو «فونام»[801].

الخاتمة

هذه الدّراسة تعالج إشكالية تعدد المفهوم للمصطلح الواحد، وتبيّن بشكل واضح أنّ هذه الإشكاليّة ليست منوطة فقط بالمصطلح العربي؛ بل هي أيضا ظاهرة لافتة في كلّ اللّغات، وكل هذا له أسبابه الّتي ناقشناها في تضاعيف البحث؛ وهي أسباب كثيرة، لعلّ أبرزها التّرجمة، واللّغة التي ترجم المصطلح عنها.

وأغتنمها سانحة إلى دعوة أهل الاختصاص من اللّغويّين العرب، إلى السّعي الدؤوب، لإرساء منهج علميّ، بطريقة لتحديد المفهوم والمصطلح وتوحيد دلالتهيما؛ فإن كان هناك اختلاف في البقعة الجغرافية؛ إلّا أنّهم جميعًا يلتقون في «البقعة اللّغويّة» وهي محور بحثنا؛ و هي الّتي تفرض علينا إيجاد سبل التّلاقي لوضع أسس واضحة؛ كي لا يضيع جهد الباحث بين الأسماء هنا وهناك؛وساعتئذ فيصبح همّه الأوحد إيجاد المصطلح الأقرب للفهم المطلوب.

المصادر والمراجع:

1 – رشراش، أحمد، **التحليل السيميائي للنص تحليل شعر المتنبي نموذجا:** أطروحة دكتوراه، مكتبة كلية الآداب، جامعة طرابلس، ليبيا،2009م.

2 – قدور، أحمد، **مبادئ اللسانيات**، دمشق،سورية، ط2، 1999.

3 – أحمد ويس، **الانزياح وتعدّد المصطلح**، مجلة عالم الفكر، م25، ع3، يناير، مارس، 1997م.

4 – الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.

5 – مجلة المصطلح، مقال بعنوان: بين المفهوم والمصطلح « **المصطلح اللساني نموذجاً** »، بوعناني سعاد آمنة، العدد 01، مارس، تلمسان (الجزائر)، 2002.

6 – المسدي، عبد السلام:

7– الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب،ليبيا،تونس،1977.

(798) مقران، يوسف،**المصطلح اللساني المترجم مدخل نظري إلى المصطلحات**، دمشق، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع،2007،ط1، ص151.

(799) انظر: قدور، أحمد،**مبادئ اللسانيات**، دمشق، سورية، ط2، 1999، ص 98.

(800) انظر: المسدي، عبد السلام، **قاموس اللسانيات**، الدار العربية للكتاب، ص195.

(801) انظر: زكريا، ميشال، **الألسنية علم اللغة الحديث**، المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، 1983م، ص288.

– **محاولات في الأسلوبية الهيكلية لريفاتير**،حوليات الجامعة التونسية،ع10، 1973م.

– **قاموس اللسانيات**، الدار العربية للكتاب

8 – الجرجاني، **التعريفات**، مكتبة القرآن، ط1، 2003، القاهرة .

– الخوارزمي،عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف،**مفاتيح العلوم** ،مطبعة بريل بليدن سنة 1895 م، الطبعة الأولى سنة 1349 هـ.

9 – شاهين، عبد الصبور،**العربية لغة العلوم و التقنية**، دار الاعتصام القاهرة، 1986 م.158-155..

10 – المهيري،عبد القادر،من الكلمة إلى الجملة بحث في منهج النحاة، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله،تونس،1998م.

11– وافي،علي عبد الواحد،**علم اللغة**،مصر،نهضة مصر للطباعة والنشر.

12 – حرب، علي، **الحقيقة والمجاز، نظرة لغوية في العقل والدولة**، مجلة دراسات عربية،عددها6، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1982.

13– الجاحظ، عمرو بن بحر،**البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط 3، ج 1، (د ت) .

14– دو سوسير، فرديناند، **محاضرات في علم اللسان العام**، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا.

15–بشر، كمال، **دراسات في علم اللغة**، دار المعا رف بمصر، 1969 م.

16 – أبو الفضل،محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين، **لسان العرب**،بيروت،دار صادر.

17 – عبد العزيز،محمد حسن:

سوسير رائد علم الحديث، دار الفكر العربي للطباعة والنشر،1989.

– **التعريب في القديم و الحديث مع معاجم للألفاظ العربية**، دار الفكر العربي. القاهرة.

18– الديداوي، محمد، **الترجمة والتواصل دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب،ط 1، 2000.

19 – التهانوي،محمد علي،**كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**،تحقيق:رفيق العجم، علي دحروج،مكتبة لبنان،1996.

20 – الخولي، محمد،**معجم علم اللغة النظري**،مكتبة لبنان،بيروت،ط2 ، 1991.

21 – زكريا، ميشال، **الألسنية علم اللغة الحديث**، المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، 1983م.

22 – حجازي، محمود فهمي: – **علم اللغة العربية**،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .

–**علم المصطلح**، مجلة مجمع القاهرة ع 59، 1986.

23– زكريا،محمد بن يحيى،وفضيلة،حناش،**بناء المفاهيم (المقاربة المفاهيمية)**،وزارة التربية الوطنية – الجزائر، 2008.

24 – الزبيد،محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مصطفى حجازي،المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب.

25– مقران،يوسف،**المصطلح اللساني المترجم مدخل نظري إلى المصطلحات**،دمشق،دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع،2007،ط1.

–مصادر أجنبية:

Communication, and the Freedom of Access to Knowledge, London,– Longman, 1995.

–A new introduction to the study of text and discourse, R. DE BEAUGRANDE. Cognition,

5- تباين مستويات الخطاب في قصيدة نقطة شعر



للشاعر السوداني جهاد جمال

الدكتورة رفيقة بن رجب /أستاذة النقد والبلاغة بالجامعة الأهلية/ مملكة البحرين

reefbinrajab@yahoo.com

تلخيص مقال تباين مستويات الخطاب:

في هذه الدراسة التحليلية الذاتية اعتمدت استقطاب الخطاب المفتوح للوصول إلى هاجس المستوى الفكري لهوية الشاعر واستكمال البنية الدلالية التي اعتمدها في هذا النص الذي اخترته للتحليل ولتطبيق بعض المفاهيم الأيديولوجية.

والشاعر الذي اخترته هو جهاد جمال والحاصل على جائزة الاتحاد العام للأدباء عام 2000 بالإضافة إلى جوائز أخرى وقصيدته بعنوان نقطة شعر.

وفي هذا النص وباختصار شديد يمثل الشاعر صخب الحياة وتداعياتها المتماهية مع نقلات ومحطات نوعية جابها وخرج من خلال كل ذلك عن ثوابت التقييد متجاوزا إلى قضايا أخرى عمقت من مستوى المقروء حتى أصبح قادرا على أداء وظيفته الميتافيزيقية بنجاح.

Summary of the article “diversity in discourse”

In this private analytical study, I relied on drawing attention to open discourse to understand the ideational level of the poet’s identity and complete the semantic structure adopted by the poet in the text I have chosen. Also to undertake analysis of the text and apply some ideological concepts. For this purpose, I have selected a work by the poet Jihad Jamal, who won the prize of the General Union of Litterateurs 2000, in addition to winning various other awards. The said text is a poem by him entitled “a point in poetry”.

In the poem, the writer briefly represents life’s turmoil and collapse while transitioning and exploring quality points in life. With such an approach, he was able to leave limitations behind and deal with other matters that became intensified on a reading level. He was therefore able to fulfill his metaphysical functionsuccessfully.

نقطة شعر

للشاعر السوداني جهاد جمال

ككلّ صبـاحٍ
أفيقُ على رغبةٍ في البكاء
أستعين بأغنيةٍ من غبار التمني
فتعصفُ بي ذكرياتُ اللقاءْ
أحقًا لقيتكِ قبل الوجودِ الذي ندَّعيه؟
أم الحبُّ أدركَ أرواحنا في السماءْ؟
سَمّهِ ما أردتِ
ولكنني مُذ عرفتُ التمحورَ حولَ القصيدةِ
كنتِ المضيئةَ في كل حزن
فأنتِ المعاني التي لا تطيقُ حقيقتها لغةٌ
تستعينُ بغيرِ سماحتها للنداء
فكوني الحبيبةَ
كوني القصيدةَ
شيئًا سيوقظِني من طنينِ التوقعِ يومًا
ويرسمنا في أديم البقاءْ
وأهفو إلى مُقلتيها أنادي
ويعلقُ في الارتدادِ الندا
يمزقني في التمني التمادي
ويسخرُ من وقعِ خطوي المدى
يغازُلني طيفها (يا ودادي)
ويدبر يصفعني بالرَّدى
يسودُّ صوتي ويصبو مُرادي

كذا أثقلتني بحبٍّ بدا
ولذَّت لها لهفتي بابتعادي
كأن الأفولَ غدا سرمدا
حاصرتني الظنونُ فصارت بلادي
وأخيلةٌ ما لها مفرده

وأشتاق أن يصطفيني الزمانُ
وآتيكِ طوعًا كما تشتهين
وأحتاجكِ الآن
روحًا تدُّب على عصبي المستباحِ لكل الجراح
ويحتاجكِ الضوءُ كي ما ينير
وتحتاجكِ الآنُ والحبُّ والكونُ
أحتاجكِ الآنَ
كوني
تَجنحُني الأغنياتُ إليكِ
وتفقدُ الروحُ للروحِ
ترقبها لا تجيء
فترقبها لا تجيء
وترقبها وتطير
على صهوةِ اللفظِ جاءت
تغردُ أنشودةَ الياسمين
كأن الغناءَ اشتهاها
فأوحى إلى الشعر أن
(غنها
إنها مشتهى الحالمين

مدى سابحٌ في الهديلِ)

فيجدلُ من ضوءها للمساءِ ضفيرةَ شوقٍ نديٍ حنين

إنها النيرة التشتهيكَ

فقف عندها وامتثل

إنها أنبلُ الخائنين

صداكَ هو الأنتَ في رؤية السامعين

فغني الأسى

رغم قهر الأذى

إذ بإيقاع نوْحكَ هم راقصون

كم يعاوِدُني الحزنُ مبتهجًا

يراني وحيدًا بلا أشرعه

مقلتي خيطُ حرفٍ يحيكُ بحاري

يجوبُ الأغاني بلا أمتعه

لا المكانُ استطالَ إلى لهفتي

لا الزمانُ اكتفى لا المنى أسْمَعَ

إنني الشعراءُ إذا ما بكيتُ

وقافيتي لليرى مصرَعا

كل أسئلتي أشبهٌ كالمدى

كل أجنحتي أصبحت إصبعا

ملمسي خطو نملٍ، وكل الفراشِ

شذى لهفتي الذبلتْ يانعه

– ها تعالوا إليَّ – تغني الهواجسُ

يعوي اللظى داخلي موجعا

ليتَ هذى الرؤى تنتهي كلها

ليتَ ظِلي يزولُ و (ليت) ي معه

إنني الراحلون على خاطري

نحو نقطة شعرٍ بهذي السعه

1- تباين مستويات الخطاب

ربما يكون هذا المحور قادرا على استقطاب الخطاب المفتوح الذي يجعلني أتعمق في هاجس المستوى الفكري الذي يشكل هوية الشاعر للوصول بنا إلى خبايا النفس واستكناه مرامي الشعر السوداني الخفية عن الكثيرين وذلك باستجلاء ملامح بنيته الدلالية التي سوف تتقاطع أمامها مجموعة من الملابسات والآليات.

الشاعر هو جهاد جمال شاعر من مواليد 1980 ميلادية وهو عضو في الاتحاد العام للأدباء والكتاب وحاصل على جائزة الاتحاد العام للأدباء عام 2000 ميلادية إضافة إلى أوسمة أخرى لا داعي لذكرها لوجودها كاملة في الموسوعة.

2- التحليل عبر محور المداخلة

عنوان النص هو (نقطة شعر) و يقول فيها:-

ككل صباح

أفيق على رغبة في البكاء

أستعين بأغنية من غبار التمني

فتعصف بي ذكريات اللقاء

الدراسة النقدية هنا اشتملت على شحنة من الأفق المترامي الأطراف والذي يصور فيه صاحبه مواجهة صخب الحياة بجملة من المفردات التي توصل بها الشاعر إلى مستوى المثاقفة والإبداع، وأدخله إلى منظومة الرفاه الحضاري المدهش والذي كسر به جدار الرتابة وقفز به إلى نمط التفاعل التركيبي التأويلي لاستجلاء المخفي وراء الكلمات المتمثلة في جهازه المعرفي.

وهذا يؤكد على تباين مستويات الخطاب خاصه في قوله :

أستعين بأغنية من غبار التمني فتعصف بي ذكريات اللقاء.

وهذا ليس التمني الحقيقي بل هو غبار لهذا التمني الذي تجسده ذكريات اللقاء العاصفة.

وهناك جملة من الأساليب الإنشائية التي تقف حائرة بين اللقاء المبكر وعدمه. ويحسمها الشاعر بقوله: سمه ما أردت.

هو لم يعرف بدقة العاشق ما معنى هذا التمحور الذي يحمل صيغة التحدي والعناد .

أجد هنا استقطاب الخطاب المفتوح الذي يتجاوز به سديم الرؤيا المعتمة من خلال التراكيب الجديدة القادرة على حل اللغز بين اللقاء وعدمه.

فكوني الحبيبية

كوني القصيدة

شيئا سيوقظني من طنين التوقع يوما

ويوسمنا في أديم البقاء.

يطل علينا هنا عالم الحلم الواسع الذي تتدفق فيه الانفعالات المسكوت عنها دون توجس فالحبيبة هي القصيدة والعكس هو الصحيح.

فطنين التوقع يمتد عبر الزمان ليظهر لنا في ثنايا القصيدة الذي يجسد انعكاس الفكر الأيديولوجي بطاقته الإبداعية المتماهية مع مفتاح الخطاب التخييلي أولا وإرساء المنجز الفني الذي يمثل عمق التجربة وعناء الذات لاستحضار سمو يستجلي ملامح البنية الخطابية الموسومة في أديم البقاء ثانيا.

مفردات تظهر فيها تلك المستويات التي بني عليها محور التحليل حيث باتت واضحة تشير إلى زوايا يناجي معها الروح الهائمه في هذا الحب المتمثل في شموخه اللامتناهي والمتضمن الرؤية الجدلية التي تؤكد على التقاسيم الخفيه المتوازنة مع فنتازيا هذا الحب العميق في قوله:

وأهفو إلى مقلتيها أنادي

ويعلق في الإرتداد الندا

يمزقني في التمني التمادي

ويسخر من وقع خطوي المدى

ينازلني طيفها ياودادي

تختزن في هذه الفقرة كنوزا من المفردات التي تقارن بين الأنا والآخر بينه وبين محبوبته ممزوجة بسلسله من المجازات غير المهترئة ذات التقنيات المحبوكة بشكل تصويري رائع ساهم في تثبيت الموقف العاطفي طبقا للأنساق القرائية التي يحاكي بها النبض والإحساس في تزاوج تصاعدي يقرع به القلوب قبل الآذان ويساهم في تمزيق صيغة التمني تارة وسخرية المدى تارة أخرى وبين مغازلة الطيف حينا ووصف الردى حينا آخر.

هذه تراكيب تشهد لصاحبها بتألق إيجابي وتزاوج بين البني الداخلية بقوة يتخطى بها كل المضامير المستحيلة ليكون الحب لديه رديفا للعذابات المتوقعة حيث غدا الأفول لديه سرمدا وغدت الظنون هي البلاد في قوله

كأن الأفول غدا سرمدا

حاصرتني الظنون فصارت بلادي

وأخيلة مالها مفردة

إن الدلالات اللغوية المحاطة بسياج المباني هنا تعزز الفرضيات المطروحة بين المضمر والمفصح عنه دون الاندفاع إلى قعر المجهول، فالعلاقة شائكة بين زمان ومكان باتا مبهمين رغم اشتياقه إليهما وذلك في قوله:

وأشتاق أن يصطفيني الزمان

وآتيك طوعا كما تشتهين

وأحتاجك الآن

روحا تدب علي عصبي المستباح لكل الجراح.

علاقات استفزازية مخبأة في تلك الآليات التي توحي بديمومة النفس رغم الجراحات التي تستوعب أكثر الأنواع الخطابية تواترا تحكمها دائرة التأمل الجمالي الذي يخترق أفق المتلقي في تلك الإنزياحات المتحررة من الفكر التقعيدي.

ويحتاجك الضوء كيما ينير

وتحتاجك اللغة الاستعارة

يحتاجك الآن والحب والكون

أحتاجك الآن

سلسلة من الاحتياجات الغرائبية التي تستحضر معها الضوء واللغة والاستعارة والحب والكون في ضمير ذلك الاحتياج الذي أبرز الحقول المعرفية ولكن تحت شعار الوظيفة الرمزية المؤطرة بالإيقاع النسقي عبر المساحة الصوتية المتاحة لتسجيل تجليات الموقف الشعوري الذي سوف يتضح في الأبيات التالية:

تفتقد الروح للروح

ترقبها لا يجيء

فترقبها لا يجيء

وترقبها وتطير

على صهوة اللفظ جاءت

تغرد أنشودة الياسمين

كأن الغناء اشتهاها

تراكيب إيجابية وأحاسيس نبيلة باتت لدى الشاعر قضية دالة ذات مشاعر ساعدت على خلق تعالقات تحمل في معانيها أروع المضامين للإرتقاء إلى عوالم تعزف بألفاظها أجمل الألحان.

(تفتقد الروح للروح) عبارة تعكس وفاء ممتدا وطاقة تعبيرية مفعمة بالتصوير المجسد بتلك المجازات التي باتت تعطي رمقا متفردا يكشف عن شعرية اللغة من جهة ومقصدية الخطاب المتزامن مع بواعث إنتاج الصوره المستلهمة من الروح التي لا تجيء لأنها طارت على صهوة اللفظ من جهة أخرى.

وهنا أسجل إعجابي كمتخصصة في النقد والبلاغة بهذه المجازات التي باتت تؤسس لثقافه مضمون المجاز الابتكاري بكل أبعاده الحجاجية طبقا للتحولات والثيمات الإنعكاسية التي تتغير من نص لآخر ومن أسلوب لآخر كالتشبيه في قوله (كأن الغناء اشتهاني) وهذا تأكيد على توثيق الصوره المرتبطة بأدبيات الخطاب الإبداعي الذي يزاوج بين مستويين في الكلام مستوى المعنى ومستوى معنى المعنى كما أشار إليه العلامة البلاغي الكبير شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة.

إن نسيج المتن الشعري القائم على التجربة الشعورية التي يمارسها الشاعر على ذاته أثناء البوح الشعري الراقي لتحقيق جماليات زوايا النبض لا شك تقيم جسرا متينا وحميميا بين الباث والمتلقي لفتح المجال أمام القراءات التأويلية للوصول إلى أيقونة الإبداع بكل الفرضيات التي تعزز من علامات الحضور والغياب في النص.

وهذا كله يشكل بعدا قارا متباين الرؤى متشعب الأنساق قادرا على توليد جملة من الرومانسيات التي تنبثق من الهدوء النفسي رغم نغمة الحزن المثيره للشجون ومعاودة الأذى والأسى في قوله:

كم يعاودني الحزن مبتهجا

إذ يراني وحيدا بلا أشرعة

مقلتي خيط حرف

يجوب الأغاني بلا أمتعة

لا المكان استطال إلى لهفتي

لا الزمان اكتفى ..لا المنى استمع

إنني الشعراء إذا ما بكيت

مفارقات غريبة في رؤية الحزن مبتهجا فهو يتقن الانسجام بين الأضداد برفق وتواشج دون الخروج عن منطق الواقع المعيش بين المحبين أو محاولة تهشيم الصورة التي تجعل من مقلتيه خيط حرف يجوب الأغاني ولكن بلا أمتعه.

هنا تبرز وبوضوح القضايا المجازية غير المبتذلة مرة أخرى في الاستعاره المكنيه التي تشخص الحزن وتجعل منه إنسانا مبتهجا وتشبيه المقلة بالخيط الرفيع وتجسيده لها بشخص مسافر يجوب الطرقات ولكن للأسف بلا أمتعه.

كل هذه الصور وسواها أعطت للنص رواقا ومساحة تحديثية ساهمت في إضافة معطيات غريبة لامس فيها الشاعر ملكات الإبداع وتجاوز التقاطعات الكلامية العاديه إلى غير المألوفة.

ومن ثم ينتقل إلى مغازلة الأمكنة والأزمنة بشكل تركيبي غامض يعكس عدة قضايا قابعة في النفس المتألمة القادرة على تسجيل الحضور الذي بات يعمق من مستوى المقروء لكي يؤدي وظيفته الميتافيزيقية بنجاح يتناسب مع ثقافة الشاعر التي يستمدها من معجمه الثرى بأبعاده التي استقطب بها جمهور المتلقين لأنه قد تجاوز بإبداعاته وصوره المناوشات السطحية إلى المستويات العميقة دون شطط بتباين المستويات الخطابية.

وربما تبدو صور التشبيه في قمة روعتها في قوله (إنني الشعراء) فهذا تشبيه ليس عاديا على الإطلاق لأنه أعطى لنفسه مساحة من الفنتازيا التخيلية الأنيقة ذات السحر المتجدد بمراوحة مدهشة بين الأزمنة والأمكنة والتي أشار إليها بقوله لا المكان استطال ولا الزمان اكتفى.

ويختتم أبياته بأسلوب فيه من الأسى الكثير فيقول:

ها تعالوا إلي تغني الهواجس

يعوي اللظى داخلي موجعا

ليت هذه الرؤى تنتهي كلها

ليت ظل يزول وليتي معه

إنني الراحلون على خاطري

نحوه نقطة شعر بهذي السعة

الشاعر هنا متشائم من الوضع بشكل عام إذ تتوحد لديه الأوصاف الانطباعية وكأنما يقصد إلى مقارعة الخطاب بالخطاب قصدا للتباين وتنشيط الذاكرة وإيصالها للآخرين رغم أنه يتمنى أن يزول ظله بل كله، فساعة الرحيل قد قربت

فهو بهذا يفصح عن الوظائف الإبداعية ويكشف لنا عن اختلاف مستويات الخطاب طبقا للموقف المتراكب الأوجه والمتناغم الاهواء وهذا وحسب منظوري أضاف للنص بعدا براجماتيا هادفا.

أما تداعيات النقلات النوعية فهي خروج عن ثوابت التقيد لتبدو الموازنة هلامية وموجودة فقط في أعماقه.

باب العلوم القانونية والاعلام:

1-أساليب وإجراءات مكافحة الإغراق التجاري

د. شيماء فوزي أحمد مدرس في كلية الحقوق جامعة الموصل

ود. رضوان هاشم حمدون مدرس في كلية الحقوق جامعة الموصل

rathwan_hashem@yahoo.com

المبحث الأول

الإجراءات التحقيقية

يتناول المبحث الأول إجراءات التحقيق في قضايا الاغراق التجاري وذلك من خلال الاتفاقية الدولية لمكافحة الاغراق التجاري (الجات) 1994 وقانون حماية المنتجات العراقية رقم 11 لسنة 2010 وتعليماته كمرحلة يجب البدء بها وصولا إلى الاساليب المتبعة في مكافحة الاغراق أو الحد من ضرره، ولغرض تسليط الضوء على هذا الموضوع تم تقسيم المبحث الى المطالب الاتية:

المطلب الأول: اجراءات بدء التحقيق

المطلب الثاني: اثناء التحقيق في وجود الاغراق

المطلب الثالث: القرار الاولي الناتج عن التحقيق

المطلب الأول

اجراءات بدء التحقيق

بادئ ذي بدء وقبل الخوض في موضوع تقديم طلب الحماية وما يعقبه من إجراءات، لابد من التنويه بأن إجراءات مكافحة الاغراق التجاري التي نصت عليها الاتفاقية الدولية لعام 1994 هي قواعد إجرائية ملزمة، لذا يتعين على الدول المنضمة إليها مراعاتها، ومن ثم يعد عدم الالتزام بها اخلال بالاتفاقية، وتعرض المخالف إلى اللجوء إلى نظام فض المنازعات التي قد يقرر مطالبة الدولة المخالفة بإلغاء فرض الرسوم وربما مطالبتها بتعديل القوانين واللوائح التي من خلالها فرضت هذه الرسوم[802].

وقد حددت الاتفاقية الدولية لسنة 1994 القواعد الرئيسة لبدء التحقيقات في قضايا الاغراق من خلال تقديم طلب مكتوب إلى السلطات المختصة في الدولة المستوردة من قبل من كل من صاحب المصلحة من المنتجين واصحاب الشركات الذين أصابهم الضرر فعلا من عمليات الاغراق أو كان من المحتمل ان يصيبهم[803]، وعند تقديم الطلب يجب ان يشتمل على الادلة الكافية على وجود الاغراق والضرر والعلاقة السببية بين المنتجات الواردة من الخارج والضرر المدعى به[804].

ووفقاً لما ورد في المادة (5/4)[805] من الاتفاقية الدولية لابد من توافر معيارين لاعتبار الطلب مقدما

(802) اياد عصام الحطاب، مكافحة الاغراق التجاري، دار الثقافة للتوزيع والنشر 2011، ص140.

(803) المادة 5/1 من اتفاقية الدولية.

(804) المادة (5/3) من الاتفاقية الدولية.

(805) انظر المادة (19) من اللائحة التنفيذية للقانون رقم 161 لسنة 1998 المصري بشأن حماية الاقتصاد القومي من الآثار الناجمة عن الممارسات الضارة في التجارة الدولية. والمادة (38) من نظام مكافحة الاغراق والدعم الاردني

من الصناعة المحلية، احدهما يتعلق بدرجة تأييد الطلب من قبل منتجين محليين يشكل مجموع انتاجهم اكثر من 50% من إجمالي انتاج السلعة المشابهة للسلعة المستوردة محل الإغراق، وهم يعبرون عن رأيهم سواء في تأييد الطلب أو معارضته، وثانيهما ألا تكون نسبة المنتجين المحليين الذين يؤيدون الطلب صراحة أقل 25% من حجم الانتاج الكلي للصناعة المشابهة[806].

وتنص المادة 5/14 من الاتفاقية، على أنه يجوز للمستخدمين لدى المنتجين المحليين الذين ينتجون منتجات مشابهة أو لممثلي هؤلاء المستخدمين ان يبدوا التأييد او المعارضة بطلب اجراء التحقيق».

أما بالنسبة للمشرع العراقي في قانون حماية المنتجات العراقية رقم (11) لسنة 2010 وتعليماته فعلى الرغم من مسايرته للاتفاقية الدولية في توجهاتها، غير انه نجد ان المشرع بعد ان حدد من لهم حق تقديم طلب الحماية من الاغراق التجاري بموجب المادة (25) من تعليمات قانون حماية المنتجات العراقي وهم المنتجون المحليون ومن يمثلونهم من غرف الصناعة والتجارة والاتحادات والجمعيات ... الخ من الجهات المعنية بالنص، فإنه قد خالف الاتفاقية إذ لم يحدد نسبة الذين يتقدمون بالطلب ومؤيديهم وإنما اكتفى في المادة (28) من التعليمات على أنه «لا يجوز للوزير اصدار قرار بدء التحقيقات إلا إذا ثبت للجهة المختصة ان مجموع انتاج المنتجين المحليين مقدمي مؤيدي الطلب يمثل النسبة الأكبر من إجمالي الانتاج المحلي من السلعة المحلية موضوع الشكوى».

ولا أدري سبب مخالفة المشرع الاتفاقية في هذا الصدد وما هي النسبة الأكبر بالنسبة للمؤيدين، وهل تكفي الأغلبية البسيطة في تأييد هذا الطلب؟ لذا أجد عند تفسير النص أنه يمكن أن يقدم الطلب منتج واحد ويقابل بتأكيد أغلبية الصناعة المحلية أو بالعكس، ففي كلا الحاليين يعتبر هذا الأمر واردا مع نص غير واضح وامكانية التأويلات فيه، وهذا مع اطلاق النص دون محددات أوجدتها الاتفاقية لصالح الانتاج المحلي على حساب المصدر فإنه لا يتناسب مع توجهات العراق نحو الانفتاح التجاري العالمي لذا ادعو المشرع العراقي إلى السير على خطى الاتفاقية في هذا الصدد[807].

وكذلك أغفل المشرع النص على اتاحة الفرصة للمستخدمين أو العمال لدى المنتجين المحليين أو من يمثلهم كالنقابات والاتحادات العمالية بتقديم طلب الحماية، على الرغم من ان هذه الطبقة حقيقة هي أول من تتأثر من ممارسات الاغراق الذي ينجم عنه توقف أو تأخر معاملهم في الانتاج مما ينعكس سلبا وبشكل مباشر على هذه الطبقة الاجتماعية([808])، على الرغم من إشارة الاتفاقية – كما

رقم (26) لسنة 2003.

(806) وهذا يعني أنه في حالة ما إذا كانت نسبة مقدمي الطلب الذين يكون مجموع انتاجهم اكثر من (50%) من إجمالي الانتاج، فانه سيتم استبعاد المنتجين المحليين الذين ليس لهم موقف ايجابي سواء بالتأييد أو بالمعارضة عند حساب هذه النسبة، اما إذا كان مؤيدو الطلب بنسبة 25% فاكثر فهذا يعني انه لا يتم عند حساب مؤيدي هذه النسبة استبعاد المنتجين المحليين الذين لا يعبرون عن رأيهم في موضوع الطلب. أنظر في ذلك د.شيروان هادي إسماعيل، الحماية القانونية للمنتجات الوطنية، منشورات زين الحقوقية – بيروت، ط1، 2016، ص214. وذهبت المادة (5/13) من الاتفاقية لعام 1994 على انه في حالة الصناعات المجزاة التي بها عدد كبير من المنتجين بصورة استثنائية، يجوز للسلطات ان تحدد وجود التأييد أو المعارضة باستخدام تقنية العينات السليمة احصائيا. انظر في ذلك أيضا المادة (39) من نظام مكافحة الاغراق والدعم الأردني.

(807) نجد أن الاتفاقية عند تحديد نسبة مقدمي الطلب ومؤيديه في مواجهة المعارضين كانت متوازنة في هذا النص في مراعاة مصلحة جميع الدول المنظمة للاتفاقية، لأنها أعطت مرونة كافية في مراعاة مصلحة الصناعة المحلية حينما طلبت أن يؤيد الطلب 50% من إجمالي الانتاج المحلي من السلع المشابهة، وتشددت من ناحية أخرى في مراعاة مصلحة المصدر للسلعة محل التحقيق حينما نصت بوجوب ان يكون الطلب قد قوبل بتأييد 25% على الأقل من إجمالي الانتاج الصناعة المحلية للسلعة المشابهة. د. شيروان هادي، مصدر سابق، ص214.

(808) كذلك اغفل المشرع الأردني والمشرع المصري هذا الأمر ولم ينصا عليه.

مر آنفا– في حقهم في تقديم طلب الحماية من الممارسات الاغراقية التي تمارسها الدولة المصدرة أو معارضتهم لذلك الطلب[809].

فاذا كان من لهم حق المعارضة هم المنتجين المحليين في التشريع العراقي[810]، وكذلك في القوانين المقارنة، فحقيقة ان لفظ المنتجين بهذه الصورة محل نظر وخاصة ان المادة (30) من التعليمات قد نصت على استبعاد المنتجين الذين يستوردون المنتجات المدعى اغراقها وذيلت النص «ولها استثناء المنتجين المرتبطين بمستوردي أو مصدري تلك المنتجات»[811] وهذا في تصوري يسبب لبس في الفهم وصعوبات في التطبيق من الناحية العملية في استبعاد تلك الفئة من الاعتراض وهم اول من يتضرر من طلب الحماية، علاوة على ذلك فإن افساح المجال للمستوردين والمصدرين والمنتجين المرتبطين بهم بالاعتراض سيقودنا إلى قلب عبء الاثبات من المطالبين للحماية إلى هؤلاء المصدرين والمنتجين والمرتبطين بهم بأنه لم يخالف نصوص الاتفاقية والعلاقات التجارية المرعية بما يقدمه من قرائن وادلة، خاصة ما كان يخص سعر المنتج المغرق، مما سيكون له دور ايجابي في تسيير إجراءات التحقيق والتخفيف من أعبائها وتوفير كثير من التكاليف التي قد تقع على الجهات المختصة، وكذلك نادرا ما يتصور ان يكون اعتراض من منتج محلي لطلب الحماية، وذلك لأن تلك القواعد وما وجدت إلا لحمايته وحماية صناعته ولما لها آثار ايجابية اجتماعية واقتصادية، لذلك ننوه بأن الاعتراض يفترض من لهم مصلحة من استيراد تلك البضائع محل الاغراق والمستفيد الأول منها هو المستورد نفسه وكذلك المنتجين الذين يتعامل مع هذا المستورد وهي أيضا لها ذات التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية، لذلك اجد ما اتجه إليه المشرع العراقي في المادة (30) من التعليمات محل نظر.

ومما تجدر الاشارة إليه ان تقديم طلب الحماية لا يقتصر على المنتجين المحليين الذين تأثر انتاجهم سلبا من عمليات الاغراق بشكل فعلي التي تمارسها الدولة المصدرة وانما يمكن ان يقدم الطلب اصحاب الصناعة المحلية وهي في سبيلها الى الانشاء او الانتاج، وهذا ما ذهبت اليها الاتفاقية الدولية في المادة (5/1) وكذلك القوانين التي تأثرت بها، منها تعليمات قانون حماية المنتجات العراقية في المادة (24/ اولا / و) [812]، على الرغم من ان المشرع العراقي لم ينص عليها مباشرة في هذه المادة انما جيء كأحد محددات الضرر التي قد تلحق بالصناعات المحلية، نستنتج ان من يتهدد بالاغراق هي الصناعة التي على قيد الانشاء وهي احد محددات الضرر المشمول بالحماية القانونية وفق المادة الآنفة الذكر[813].

(809) انظر المادة (5/14) من الاتفاقية الدولية.

(810) المادة (19) من قانون حماية المنتجات العراقية.

(811) المادة (20) من تعليمات قانون حماية المنتجات العراقية. المادة (40) من نظام مكافحة الاغراق الدعم الاردني.

(812) تنص المادة اعلاه «و– وجود اعاقة مادية لاقامة صناعة محلية لانتاج المنتج المحلي المماثل مع الاخذ بالاعتبار مدى امكانية قيام هذه الصناعة خلال مدة زمنية معقولة واستمرارها ونموها على ان يتقرر ذلك وفقا لمؤشرات دراسات الجدوى الاقتصادية والقروض المبرمة او التي ستبرم.... « . المادة (15) من اللائحة التنفيذية للقانون رقم 161 لسنة 1998.

(813) على الرغم من عدم اخذ المشرع العراقي والقوانين محل المقارنة فيما ذهبت إليه الاتفاقية في إمكانية بدء باجراءات التحقيق بطلب من دولة ثالثة، ويحصل ذلك عندما تتنافس دولتان منتجتان لسلعة مشابهة بهدف السيطرة على سوق دولة الاستيراد غير المنتجة لهذه السلعة، فتقوم احدى تلك الدولتين ببيع سلعة باسعار اغراقية، مما يؤثر سلبا بحدوث الضرر في الصناعة المحلية للدولة الثانية المنتجة للمنتج المماثل. للتفصيل انظر، اياد عصام حطاب، مصدر سابق، ص161. وذهب البعض الى عدم الحاجة إلى النص عليها من ناحية ان الدولة المستوردة في العموم لا تتخذ هذه الاجراءات ما دام أنها غير متضررة من ذلك، فضلا لها مردودها الايجابي على المستهلك المحلي من حيث أنه سيحصل على رفاهية اقتصادية نتيجة انخفاض سعر السلعة نتيجة التنافس المزعوم، وخاصة وان الاتفاقية لم ترتب أي اجراء قانوني في حال عدم قيام الدولة المستوردة باتخاذ اجراءات بدء التحقيق في مثل هذه الحالات. امل شلبي حميد، الحد من اليات الاحتكار ومنع الاغراق والاحتكار من الوجهة القانونية، دار الجامعة الجديد – الإسكندرية، 2006،

وقد نص المشرع العراقي على البيانات التي يجب ان يتضمنها طلب الحماية في المادة (26) من تعليمات حماية المنتجات العراقية، ويلاحظ في هذه المادة انه قد اغفل ذكر بيان يجب على طالب الحماية ادراجه، فهذا البيان له اهميته في تحديد هوية طالب الحماية وسواء كان على شكل افراد او ممثل عن المنتجين المحليين من نقابات وجمعيات، وهذا بخلاف ما اكدت عليه الاتفاقية الدولية والقوانين محل المقارنة حيث اكدت جميعا على ذكر التعريف بمقدم الطلب، فضلا عن ذلك بينت ان يتم وصف لحجم وقيمة انتاجه المحلي من المنتج المغرق، وفي حالة تقديم الطلب باسم الصناعة المحلية يحدد به الصناعة وقائمة بكل المنتجين المحليين ووصفا لحجم وقيمة الانتاج المحلي المماثل[814]، وهذا الامر جدير بالأخذ به وذلك لأهميته العملية في تحديد شخصية طالب الحماية وبيان اهمية انتاجه للسلعة المماثلة للمنتج المستورد بالنسبة للإنتاج المحلي – بشكل عام – وبشكل واضح وجلي مما يؤكد بان مقدم الطلب صاحب مصلحة في طلب الحماية.

والان يتبادر إلى الذهن استنادا إلى ما تقدم، إذا ما استجدت معلومات لدى المنتجين المحليين ومن لهم مصلحة في تقديم الحماية، هل يجوز اضافة تلك البيانات بعد تقديم الطلب؟

حقيقة، لا يوجد في قانون حماية المنتجات العراقية وتعليماته ما يجيب عن هذا التساؤل، وفي تصوري لا يمكن اضافة تلك المعلومات ما لم ينص المشرع العراقي ابتداءً في قانون حماية المنتجات العراقي، وذلك لأن السماح بإضافة معلومات في تاريخ لاحق على تقديم الطالب يعتبر قيداً على الجهة المختصة بالتحقيق، وغالباً ما تتسم قواعد الاجراءات ومددها بانها قواعد آمرة، وبالتالي لابد من نص صريح في قانون حماية المنتجات وتعليماته بإفساح المجال بتقديم تلك المعلومات، بينما نجد المشرع الامريكي في اجراءات مكافحة الاغراق في الفقرة b/1 من القسم 1673 A من قانون 1980، اجاز للجنة بتعديل الطلب بعد تقديمه إليها بوقت مناسب بالشروط المطلوبة ذاتها عند تقديم الطلب لأول مرة [815]. وهذا الاجراء الذي اخذ به القانون الامريكي جدير بالأخذ به وذلك لاتسامه بالمرونة في السماح لطالبي الحماية بإضافة معلومات بعد ما تبين حقيقتها حتى لو بعد تقديم الطلب، لما له اهميته في تعزيز ادعائهم طلب الحماية التي قد تؤثر بدورها على نتيجة التحقيق، فضلا عن ذلك فإن هذه المعلومات تساهم في توفير الجهد والوقت والمصاريف التي قد تتكبدها السلطة المختصة بالتحقيق عند الاستقصاء عن الحقيقة.

اما لناحية مدة دراسة الطلب، فنجد ان الاتفاقية الدولية لم تلزم السلطات المعنية في التحقيق في الدول المستوردة بمدة محددة لدراسته واعطاء قرار بشأنه أما بالقبول أو الرفض، وتقرر تلك الدول تلك المدة في ضوء خصوصية انظمتها الوطنية[816].

ص60، نقلا عن: عصام اياد خطاب، مصدر سابق، ص162.

(814) المادة (2/14) من الاتفاقية، المادة (36) من نظام مكافحة الاغراق الاردني، المادة (2/5) من اللائحة التنفيذية للقانون المصري.

(815) عجيل كاظم، النظام القانوني لمكافحة الاغراق التجاري، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون، جامعة كربلاء، منشورة على الانترنت Law.uokerbala.edu.iq، ص23.

(816) لذلك قرر ان المشرع العراقي في قانون حماية المنتجات العراقية في المادة (3/4/ب) تنص على «ترفع الدائرة توصياتها إلى وزير الصناعة والمعادن خلال (30) يوما من تاريخ تسجيل الطلب في أي من السجلات المنصوص عليها في البند (أولا) من المادة 19 من هذا القانون» وكذلك تنص الفقرة (4) من المادة ذاتها على «إذا تعلق الطلب بمنتج زراعي تختزل المدد الزمنية في التحقيقات واجراءات اصدار القرارات الواردة في هذا القانون إلى ثلثي المدة في الموسم الزراعي للمنتج قيد النظر»، وكذلك تنص الفقرة (5) «يبت الوزير في توصية الدائرة المنصوص عليها في الفقرة (ب) من بند ثالثا من هذه المادة خلال (15) خمسة عشر يوما من تاريخ تسجيلها في مكتبه» ينظر في ذلك، عجيل كاظم، مصدر سابق، ص28.

وقد يحدث ان تقوم الجهة المعنية من تلقاء نفسها بالبدء بالتحقيق في مزاعم الاغراق من دون تقديم طلب من الصناعة المحلية أو من يمثلها، إذا وجدت من الادلة الكافية على وجود الاغراق وضرره والعلاقة السببية بينهما[817].

ومن خلال ما قيل يتبادر إلى الذهن تساؤل حول أهمية اشتراط للبدء بالتحقيق ان يكون مقدمو الطلب ومؤيدوه يمثلون النسبة الاكبر من اجمالي الانتاج المحلي، وقد يحدث ان لا يكفي للبدء بالتحقيق عندما لا تتحصل النسبة المطلوبة قانوناً وخاصة أن الجهات المعنية مع هذه الصلاحيات المعطاة لها في ان تبدأ بالتحقيق إذا تبين لها من دون ان يقدم الطلب على وجود الاغراق وضرره. فهذا يدعونا إلى التصور عدة احتمالات وهي ان يقدم الطلب وفق النسبة المقررة قانونا او ان تقرر السلطة المعنية وجود الاغراق دون ان يكون هناك طلب مسبق، او امكانية تحريك التحقيق عندما لا يتحقق النسبة المطلوبة ولكن تبين من الجهات المعنية وجود الاغراق بأركانه.

من أجل ذلك أدعو المشرع العراقي إلى الاخذ بهذه الاعتبارات خاصة وان النص المذكور اعلاه قد خلق نوعا من الارباك ما بين التشدد في تحقيق النسبة المقررة قانوناً وما بين قناعات السلطات المختصة على وجود الاغراق دون ان يقدم لها طلباً، ولتلافي ذلك ادعو المشرع إلى إضافة نص على امكانية اصدار السلطة المختصة قرار البدء بالتحقيق على الرغم من أن الطلب الذي قدم إليها لم يكن مستوفيا للنسبة المشروطة قانونا، ولكن توافر لديها معلومات جدية عن وجود الاغراق باركانه بطريق آخر غير جهة الطلب المقدم من الصناعة المحلية، فهو بذلك قد رفع التشدد حول تحقق شرط النسبة المذكورة ما دام من الحكمة تحريك التحقيق إذا توافر لديها ادلة كافية على وجود الاغراق وضرره وعدم تضييع فرصة الحماية لمستحقيتها.

وبعد صدور قرار البدء بالتحقيق تقوم الجهات المختصة بتبليغ اطراف العلاقة وصدور القرار المعني بموجب المادة (4/7) من قانون حماية المنتجات العراقية، ويعلن عن هذا القرار في صحيفتين يوميتين خلال 30 يوم في الاقل من تاريخ صدوره[818]، وقد ألزم المشرع العراقي في تعليمات تنفيذ قانون حماية المنتجات «بتبليغ الاطراف المعنية ببدء التحقيق بكتب رسمية بشكل مباشر أو البريد المسجل أو بأي وسيلة أخرى تنص عليها القوانين للحضور وتقديم المعلومات التي تخص التحقيق وكذلك وقد تولت هذه التعليمات تحديد الاطراف المعنية وهم المنتج ومصدر ومستورد المنتج واي من المنتجين المحليين للمنتج المماثل أو المشابه أو أي تشكيل غالبية أعضاءه من المنتجين المحليين أو المستوردين أو المصدرين لذلك المنتج وحكومة الدولة المصدرة»[819].

ويجوز للطرف المعني بالتحقيق ان يطلع على الادلة التي يقدمها احد الاطراف ذوي المصلحة شرط حماية المعلومات السرية، كما وتتاح الفرصة لكل طرف من الاطراف ذوي المصلحة للدفاع عن مصالحهم وذلك بلقاء الاطراف الأخرى المعينة ذوي المصلحة المعارضة وتقديم الحجج اللازمة للطرف الاخر مع الاخذ بنظر الاعتبار احترام مبدأ السرية التي كفلتها الاتفاقية الدولية[820]، وقانون حماية المنتجات العراقية وتعليماته[821]، وفي كل الاحوال لا يترتب على أي طرف من الاطراف المعنية أي

---

(817) ينظر المادة (5) من قانون حماية المنتجات العراقي، المادة (6/3) من الاتفاقية، المادة (7) من قانون حماية الانتاج الوطني الاردني رقم (21) لسنة 2004، المادة (20) من اللائحة التنفيذية للقانون المصري.

(818) المادة (4/7) من قانون حماية المنتجات العراقية.

(819) للتفصيل راجع الفقرات ثانيا وثالثا من المادة (33) من التعليمات وقد الزمت الجهة المختصة بإرسال استبانات للاطراف المعنية بالتحقيق للرد عليها خلال مدد قانونية معينة للتفصيل ينظر المادة (34/أولا/ثانيا).

(820) المادة (6/5) المادة (6/5/1) من الاتفاقية الدولية.

(821) المادة (38)، (39) من تعليمات قانون حماية المنتجات العراقية.

التزام بالحضور أو مسؤولية على عدم الحضور في هذه اللقاءات[822].

لكن مما يؤخذ على المشرع العراقي على الرغم من اشارته إلى حماية سرية المعلومات المقدمة إلى سلطات التحقيق، إلا انه لم يحدد وبشكل واضح المعايير التي تستند إليها تلك الجهة في تحديد مفهوم سرية المعلومات وما مدى حق مقدم الطلب في اعتبار تلك المعلومات التي يقدمها سرية بحيث يمتنع على الجهات التحقيقية كشفها، لذا أدعو المشرع العراقي تحديد المعايير في تعليمات قانون حماية المنتجات العراقية لكي يستند إليها في اعتبار المعلومات المقدمة إلى الجهات التحقيقية سرية ووفقا لذلك سيعطي للسلطات التحقيقية في اطارها سلطة تقديرية في اعتبار المعلومات المقدمة إليها سرية أو غير سرية مع ما تتلمسه من طالب الحماية عند تقديمه للطلب وبناء على توصيته في اعتبار المعلومات سرية.

ومما تجد الاشارة الية قبل الانتهاء من هذا المقام ان مدة التحقيق هي سنة من تاريخ صدور قرار ببدء التحقيق قابلة للتمديد في ظروف خاصة بما لا يتجاوز (18) شهرا، ويرجع إلى تحديد ضرورة التمديد من عدمه إلى السلطة التقديرية للسلطات التحقيقية للدولة المستوردة ذلك لأن الاتفاقية لم تحدد معايير للظروف التي على اساسها يتم تحديد مدة التحقيق ومما لا شك فيه ان ظهور ادلة جديدة بشأن اثبات وجود الاغراق وحيثياته تعد من ابرز تلك الظروف[823].

وتنتهي اجراءات التحقيق أيضا ولكن قبل انتهاء مدتها ودون اتخاذ أي اجراء في احدى الحالات التي نصت عليها المادة (9/اولا) من قانون حماية المنتجات العراقية «يتخذ الوزير بناء على توصية الدائرة قرارا بإنهاء التحقيقات دون اتخاذ التدابير في احدى الحالات الاتية:

أ. إذا كانت الادلة المقدمة على وجود الممارسات الضارة أو نوع الضرر الناجم عنها غير كافية.

ب. إذا تم سحب الطلب لاسباب مبررة ولم يتعارض هذا الاجراء مع متطلبات المصلحة العامة.

ت. إذا كانت توصية الدائرة تؤكد عدم وجود ممارسات ضارة أو أنها موجودة ولم ينجم عنها ضرر».

حسب ما جاء في المادة (8) من قانون حماية المنتجات العراقية «للوزير بناء على توصية الدائرة ان يتخذ قرار يوقف التحقيقات في حالتي الاغراق والدعم في أي وقت دون فرض تدابير مكافحة الاغراق أو تدابير تعويضية بناء على تعهد يقدمه مورد المنتج المستورد ويتعهد فيه بمراجعة اسعاره او وقف توريده للعراق باسعار إغراقية أو مدعومة أو إذا قدمت الدولة المانحة للدعم تعهدا بالإلغاء وللوزير ان يقرر استكمال التحقيقات على الرغم من قبوله التعهد»[824].

---

(822) المادة (7/ثانيا) من قانون حماية المنتجات العراقية والمادة (35/ثالثا) من تعليمات هذا القانون.

(823) انظر في ذلك ايضا المادة (5/10) من الاتفاقية. المادة (7/ثالثا / ب) من تعليمات قانون حماية المنتجات العراقية المادة (12/ ب) من قانون حماية المنتجات الوطني الاردني والمادة (11) من اللائحة التنفيذية للقانون المصري، د.شيروان هادي إسماعيل، المصدر السابق، ص242.

(824) تنص المادة (41/أولا/ج) «اولًا – يتخذ الوزير بناء على توصية الجهة المختصة قرارا بانهاء التحقيق في أي مرحلة من المراحل بعد صدور القرار الاولي وذلك في الحالات الاتية .....ج- اذا تبين الجهة المختصة ان هامش الاغراق اقل من (2%) اثنين بالمائة من سعر التصدير او الدعم أقل من (1%) واحد من المائة او لم ينجم عنهما ضرر.». أيضا ينظر في ذلك المادة (6/14) والمادة (85) من الاتفاقية الدولية. المادة (42، 56، 58) من نظام مكافحة الاغراق والدعم الاردني. المواد (30، 38، 60) من اللائحة التنفيذية للقانون المصري.

المطلب الثاني

القرار الاولي الناتج عن التحقيق

كما مر سابقا فإن احكام الاتفاقية الدولية احكام اجرائية يتعين العمل بها بما جاءت به، ومن ثم فإن عدم الالتزام بها يعد اخلالا بالاتفاقية وما يترتب عليها من نتائج، وعليه فإن ما جاء في قانون حماية المنتجات العراقية وتعليماته يفترض انه جاء مسايرا للاتفاقية الدولية، ومن ثم فإن الحلول المتفق عليها في مكافحة الاغراق التجاري تبنى على مما تنتج عنها التحقيقات من وجود مؤشر سلبي أو ايجابي على وجود اغراق من المنتج المستورد، فالقرار الاولي الذي يصدر بعد ذلك ويبنى عليه قرار الوزير أن يكون كما نصت عليه المادة (40/ثانيا) من قانون حماية المنتجات «إذا كان القرار الاولي يقتضي بعدم وجود الاغراق أو الدعم أو الضرر أو العلاقة السببية فللوزير أن يقرر استمرار التحقيق أو إنهاءه حسب ما يراه مناسبا»، ويلاحظ ان النص يتكلم عن انتفاء العناصر الجوهرية في الاغراق المزعوم، فكان من الأولى حفظ الشكوى لانتفاء الادلة المقدمة وعدم السير في القضية، لأن حقيقة النظر في ادلة الاغراق هدفه التأكد من صحة القرار التي ستتخذه الجهات المعنية بالتحقيق فيما بعد وقرار الوزير الذي يبنى عليه، ومن ثم فان السير فيها على الرغم مما ذكر يعد ذلك مخالفة للاتفاقية الدولية[(825)]، فضلاً عن ذلك فإن عمليات التحقيق في مثل هكذا قضايا مكلفة جدا، ومن ثم فإن حفظ التحقيق علاوة على انهائه لانتفاء الادلة يسد الطريق أمام مصوغات هدر المال العام؛ وعليه نشير بحسب المشرع العراقي إلى ضرورة تعديل المادة (40/ثانيا) بالاتي: (إذا كان القرار الأولي يقضي بعدم وجود الاغراق أو الدعم أو الضرر أو العلاقة السببية فاللوزير ان يقرر انهاء التحقيق، أو حفظه الى ان يثبت بأدلة جديدة على وجود الاغراق»، خاصة وان الاتفاقية الدولية ذهبت في المادة (5/8) إلى انهاء التحقيق إذا توصلت السلطات المعنية بعدم وجود ادلة كافية عي الاغراق أو ضرره، ويتخذ هذا الاجراء بشكل عاجل في الحالات التي يكون فيها هامش الاغراق لا يأبه له، أو ان حجم الواردات المغرقة الفعلية أو المحتملة أو حجم الضرر قليل الشأن[(826)].

أما إذا توصلت سلطات التحقيق وفي حدود الادلة المتاحة لديها على وجود الاغراق وضرره والعلاقة السببية بينهما، في هذه الحالة ستقوم الجهات المختصة باتخاذ التدابير اللازمة للحد من اثاره الضارة حتى استكمال عمليات التحقيق، والمتمثلة بالتدابير او الاجراءات العاجلة.

المبحث الثاني

الاحكام القانونية لمكافحة الاغراق التجاري

يتناول المبحث الثاني الاحكام القانونية لمكافحة ما يسمى الاغراق التجاري باعتبارها ممارسات تصيب الصناعة والسوق المحلية مما ينعكس مباشرة على النواحي الاقتصادية والاجتماعية وفي بعض الاحيان على السياسية في الدولة، ومن هنا راعى المشرع العراقي هذه الخاصية في عمليات الاغراق فجاء بجملة من الاحكام القانونية تتمثل باجراءات حماية المنتجات والصناعة المحلية متأثرا بما جاءت

(825) كذلك ينظر المادة (56) من نظام مكافحة الاغراق والدعم الاردني.

(826) وحقيقة هذا ما سار عليه المشرع المصري في المادة (30) من اللائحة التنفيذية حيث نصت على أنه «يتعين انهاء اجراءات التحقيق في الحالات التي تثبت فيها سلطة التحقيق عدم وجود دليل كاف على الممارسات الضارة او عدم وجود ضرر او انقطاع العلاقة السببية». يعد هامش الاغراق لا يأبه له، إذا كان يقل عن 2% من سعر التصدير، ويعد حجم الواردات قليل الشأن من بلد معين يقل عن 3% من واردات العضو المستورد ما لم يكن بلدان يمثل كل منها اقل من (3%) من واردات العضو المستورد من المنتج المماثل تمثل معا اكثر من 7% من واردات العضو المستورد. للتفصيل ينظر، اياد عصام حطاب، مصدر سابق، ص181.

به الاتفاقية الدولية، ولأجل تسليط الضوء على هذه الاحكام بما يخدم البحث تم تقسيم المبحث الثاني إلى المطالب الاتية:

المطلب الاول: التدابير العاجلة (المؤقتة)

المطلب الثاني: التدابير النهائية

المطلب الاول

التدابير العاجلة (المؤقتة)

بادئ ذي بدء وقبل الخوض في اتخاذ التدابير العاجلة لمواجهة الاغراق بناء على ما جاء في القرار الأولي الذي صدر بهذا الشأن، ننوه إلى ان المشرع العراقي لم يضع تعريفا معينا لمفهوم التدابير الاجرائية لمكافحة الاغراق على الرغم من قيامه بتحديد مفهوم مصطلحات أخرى تتعلق بموضوع مكافحة الاغراق، كالمنتجات، والمنتج المماثل، والمنتجون المحليون، والتحقيقات، وغيرها من المفاهيم التي تتعلق بهذا الموضوع[827]، بينما نجد ان المشرع الأردني في المادة (2) من قانون حماية الانتاج الوطني رقم (21) لسنة 2004 عرفها بانها «أي اجراءات يجوز اتخاذها وفقا لأحكام هذا القانون من الممارسات الضارة والمتمثلة بتدابير الحماية ورسوم مكافحة الاغراق والرسوم التعويضية»، وعلى أية حال فإن مصطلح التدابير (الاجراءات) بصورة عامة بشقيها العاجلة والنهائية اعتمدها المشرع في قانون حماية المنتجات العراقي وتعليماته.

إذن فإن التدابير العاجلة وفق قانون حماية المنتجات العراقية وتعليماته ما هي إلا اجراءات تتخذها السلطات المختصة كوسيلة اولية لمكافحة الاغراق التجاري أو الحد من اضراره حتى يتم فيه اتخاذ قرار نهائي بشأنه بناء على تحقيقات اجرتها السلطات المعنية خلال فترة فرض تلك التدابير العاجلة وهي تنحصر في نوعين أما ان تكون رسوم مؤقتة أو تعهدات سعرية، وكالاتي:

المقصد الأول

الرسوم المؤقتة

وهي تدابير تطبق اثناء التحقيق تطبيقا سريعا لمواجهة حالات عاجلة تظهر اثناء التحقيق تعتمد على وجود مؤشرات ايجابية في وجود الإغراق، وان هناك ضررا عاجلا قد يلحق بالصناعة المحلية، ففي هذه الحالة تتخذ تلك الاجراءات أو التدابير بشكل عاجل وطارئ[828].

والتدابير المؤقتة كما اوضحتها المادة (7/2) من الاتفاقية الدولية لمكافحة الاغراق لعام 1994 هي (الرسم المؤقت، الضمان المؤقت، وقف التقييم الكمركي) [829].

1. بالنسبة للمشرع العراقي نجد انه ابتداء من حيث فرض التدابير المؤقتة فقد ألزم الموردين للمنتجات الاجنبية تقديم كفالات مضمونة بمقدار هامش الاغراق، وكما نص ايضا في المادة (47/ اولا) من التعليمات على أنه «اذا ثبت للجهة المختصة وبقرار اولي وجود ممارسات ضارة في حالتي

(827) انظر المادة (1) من قانون حماية المنتجات العراقية.

(828) اياد عصام خطاب، المصدر السابق، ص149.

(829) 1- الرسم المؤقت: شريطة ان لا يزيد مقدار هذا الرسم عن هامش الاغراق المقدر بصفته مؤقتا. 2-الضمان المؤقت: يتمثل بوديعة نقدية أو سند، ويشترط كذلك ان يعادل مقدار رسم مكافحة الاغراق المقدر مؤقتا ولا يزيد عن هامش الاغراق المقدر مؤقتا. 3- وقف التقييم الجمركي: وهي اعتبار قيمة المنتج موضوع الاغراق وقيمة الجمارك المستحق عليه، ويشترط فيه بيان رسم الجمركي العادي والمبلغ المقدر لرسم مكافحة الاغراق، ويخضع وفق التقييم الجمركي لذات الشروط التي تخضع لها التدابير المؤقتة الأخرى. د. محمد انور، مصدر سابق، ص193.

الاغراق او الدعم للوزير اتخاذ اجراءات عاجلة في فرض رسم كمركي اضافي يعادل هامش الاغراق والزام المصدرين او المستوردين والمنتجين في ايداع تأمينات او كفالات مضمونة لحساب الهيئة العامة للكمارك»، وكنا نتمنى على المشرع ان يحذو حذو الاتفاقية في تقرير حدود اكثر مرونة في فرض الرسوم أو الضمانات المؤقتة من حيث إمكانية فرض تلك الضمانات بأقل من هامش الاغراق إذا كانت كافية لإزالة ضرر الاغراق(830)، وهذا سينعكس في جانبين؛ الجانب الأول: سيكون هناك مرونة على مستوى التعامل التجاري الدولي مع الدول المصدرة من حيث الحفاظ على مصدر المنتجات الذي يسد حاجة السوق بالبضائع وقد لا يستطيع المنتج المحلي توفيرها بشكل مستمر فهي عملية تشجيعية للبقاء على التواصل مع الدول المصدرة وعدم اثارة عداءاتها تجاه المصالح الوطنية المحلية أو الدولية، ومن جانب اخر: يؤثر الاخذ بهذا الحكم في عدم زيادة اسعار السلع التي تطرح في السوق بدون مبرر بشكل يؤثر سلبا على دخل المستهلكين للمنتجات المصدرة، وحقيقة هذا ما تم الوقوف عليه في أرض الواقع.

وعموما فإن هذه التدابير لا يمكن تطبيقها إلا إذا توافر فيها الشروط التي حددتها المادة (7/1) من الاتفاقية الدولية وهي:

1. ان يكون التحقيق قد بدأ وأتيحت للأطراف ذات العلاقة فرص كافية لتقديم المعلومات والتعليمات.
2. ان يكون قد تم التوصل إلى تحديد ايجابي اولي بوقوع اغراق ونتج عنه ضرر.
3. ان تكون السلطات المعنية قد رأت ضرورة فرض هذه الاجراءات لمنع الضرر المترتب على الاغراق اثناء التحقيق.

نلاحظ ان المشرع العراقي عندما قرر فرض التدابير المؤقتة لم يضع شروطا تفصيلية لفرض تلك التدابير وخاصة ان الاتفاقية الدولية تبنت هذه الشروط، فاكتفى المشرع العراقي بفرض تلك التدابير وحسب المادة (12/أولا) من قانون حماية المنتجات العراقي «يصدر الوزير بناء على توصية الدائرة قرار باتخاذ اجراءات عاجلة ضد المنتج المستورد قيد التحقيق إذا تبين للدائرة بقرار أولي وجود ممارسات ضارة «ولكن ماهو المعيار الذي يمكن ان نتوصل به وفق هذه المادة لتحديد حجم الضرر على الصناعة المحلية وهل فرض تلك التدابير مع اطلاق فكرة الممارسات الضارة دون محددات لها فائدة مرجوه على الصعيدين التجارة الخارجية والمحلية مما يحقق التوازن قدر الامكان بين المصالح المختلفة، وخاصة اذا ما علمنا من ناحية اخرى ان عمليات الاغراق كوصف له هي نوع من المنافسة غير المشروعة تمارس على المستوى الدولي، وهو بحد ذاته يعتبر من الاعمال الضارة، هذا أولا، وثانيا، فإن التشبث بهذا المفهوم يعطي انطباعا ان هناك ضررا بمجرد ممارسة لتلك العمليات وهذا يعني سوف يتم فرض تلك التدابير بمجرد تحقيق الاغراق بغض النظر ان كان الضرر ضئيلا قد لا يعتد به، فضلا عن ذلك، سيعطي للجهات المعنية صلاحيات واسعة في تقدير وجود الضرر وفرض الاجراءات بما قد لا يتناسب مع فرض الرقابة على عملها، لذا فإن نص المادة (12/أولا) المعنية بالموضوع ما هو إلا تشدد لصالح المنتج المحلي على حساب العلاقات التجارية الدولية المتوازنة هذا من جانب ومن جانب آخر انعكاسه السلبي على المستهلك المحلي من حيث تأثيرها على اسعار المنتجات الاجنبية التي تسد حاجة السوق المحلية دون مبرر لصالح المنتجات المحلية التي قد تكون غير مؤهلة اصلا للمنافسة.

بينما نجد المشرع الاردني اشترط عند فرض تلك التدابير في المادة (13) من قانون حماية الانتاج

(830) اعتمد المشرع المصري وفق المادة (44) من اللائحة التنفيذية في فرض التدابير المؤقتة ايداع مبلغ نقدي لا يجاوز هامش الاغراق. ينظر ايضا المادة (64) من نظام مكافحة الاغراق والدعم الاردني، حيث اعتمدت في فرض التدابير المؤقتة في صوره رسم او تأمين نقدي وفي كل الاحوال ان لا يزيد عن هامش الاغراق.

الوطني ليس فقط وجود ممارسات ضارة وإنما، أيضا هناك ضرر مترتب على تلك الممارسات، علاوة على ذلك اشترط ان تكون تلك التدابير ضرورية لإزالة الضرر باعتبار ان عدم اتخاذ تلك التدابير قد يؤدي الى الحاق ضرر بالمنتجين المحليين يتعذر تداركه وهذا يعني ان الضرر الذي يلحق بالمنتجات المحلية جسيما لفرض تلك التدابير [831].

لذا أدعو المشرع العراقي الى الاخذ بما ذهب اليه المشرع الاردني في المادة (13) من قانون حماية المنتج الوطني.

أما عن تحديد الوقت الذي يمكن ان تطبق فيه تلك الاجراءات أو التدابير المؤقتة فقد حددت المادة (7/3) من الاتفاقية بان لا تطبق تلك التدابير قبل مضي (60) يوما من تاريخ بدء التحقيق، وهي بذلك لم تشر الى الوقت الذي يصدر فيه القرار الاولي للتحقيق[832].

نلاحظ أن المشرع العراقي لم يحدد موعد بدء اتخاذ التدابير المؤقتة فهو أيضا من باب اولى لم يحدد الموعد الذي يجب ان يصدر فيه القرار الأولي، بينما نجد المشرع الاردني انه قد حدد الوقت الذي يجب ان يصدر فيه القرار الأولي وهي خلال مدة لا تقل عن (60) يوما من تاريخ نشر اعلان بدء التحقيق[833]، بينما لم يشر إلى الوقت الذي يجب ان تنطبق فيه التدابير المؤقتة.

أما عن مدة سريان تلك التدابير حيث تدعو المادة (7/4) من الاتفاقية إلى ان يقتصر تطبيق التدابير المؤقتة على اقصر مدة ممكنة على وألا يتجاوز (4) أشهر وألا يتجاوز (6) أشهر، واشترط من اجل ذلك ان يتم اصدار قرار من السلطات المختصة بناء على طلب المصدرين الممثلين لنسبة مئوية يعتد بها في التجارة المعنية، وفي الحالة التي تقرر فيها السلطات المختصة رسم مؤقت اقل من هامش الاغراق باعتباره كافيا لازالة الضرر فانه يجوز ان تكون الفترة من(6) اشهر و (9) اشهر على التوالي[834].

اما بالنسبة للمشرع العراقي ايضا فإنه لم يحدد مدد زمنية تسري فيها التدابير المؤقتة وهذه هي المرة الثانية التي يخالف فيها الاتفاقية في هذه المسالة.

واستنادا إلى ما تقدم ولغرض الاستفادة من المواعيد لإعطاء الفرصة لكافة ذوي الشأن ابتداء من السلطات التحقيقية وانتهاء بالمصدرين والمنتجين المحليين، الفرصة الكافية لتبادل المعلومات والتحقق منها والدفاع عن مصالحهم للوصول إلى نتائج متوازنة في مكافحة الاغراق وضرره، ذلك ان عدم تحديد مدد لبدء الاجراءات المؤقتة أو مدد سريانها يعد قصورا تشريعيا. فضلا عن ذلك فإن تحديد هذه المدد يكون حافزا لدى الصناعة المحلية في اتخاذ خطوات ايجابية في تعديل اوضاعها لمواجهة المنافسة

(831) تنص المادة (13/أ) من القانون اعلاه «... إذا توصلت المديرية إلى قرار أولي بوجود ممارسات ضارة، وضرر مترتب عليها، وتبين أن عدم اتخاذ هذه التدابير قد يؤدي إلى الحاق ضرر بالمنتجين المحليين يتعذر تداركه». ينظر بينما المشرع المصري يبدو اقل تشددا من المشرع الاردني في وضع محددات تفرض بموجبها التدابير المؤقتة، ولكن رغم ذلك لم يقتصر التحقق من وجود الممارسات الضارة، وانما أيضا اشترط ان يكون هناك ضرر يلحق بالصناعة المحلية، مع ذلك فانه لم تحدد معيار الضرر الذي قد يلحق بتلك الصناعة تاركا ذلك على ما يبدو لتقدير السلطة المختصة، ولكن اشترط المشرع المصري لفرض تلك التدابير ان تكون تلك الاجراءات ضرورية لمنع استمرار الضرر الواقع بالصناعة المحلية اثناء التحقيق. ينظر المادة (44) من اللائحة التنفيذية.

(832) وهذا ما ذهب اليه المشرع المصري في المادة (40) من اللائحة التنفيذية من اللائحة.

(833) المادة (55) نظام مكافحة الاغراق الاردني.

(834) المادة (44) من اللائحة التنفيذية للقانون المصري. والمادة (65) من نظام مكافحة الاغراق والدعم الاردني، حيث اخذت بما ذهبت الاتفاقية الدولية ولكن اشترطت لكي يتم تحديد المدة من (4) اشهر الى (6) اشهر ان يقدم بذلك طلبا من قبل نسبة كبيرة من التجارة مع المملكة، لكن لم يبين حجم هذه النسبة بخلاف ما ذهبت اليه الاتفاقية الدولية في مادتها (7/4) اعلاه.

المتزايدة وتطوير امكانياتها الانتاجية والفنية والعمل على اعادة هيكلتها بما يتناسب مع التحديات التي تواجهها، من اجل ذلك ادعو المشرع العراقي الاخذ بما ذهبت اليه الاتفاقية الدولية في تحديد موعد لبدء فرض التدابير المؤقتة بان لا تقل عن (60) يوما من تاريخ نشر اعلان البدء بالتحقيق، وكذلك تمديد مدة سريانها على التفصيل الذي تم تناوله وفق الاتفاقية الدولية والتشريع المصري مع الاخذ بنظر الاعتبار بما يتعلق بتمديد تلك المواعيد هو أن يكون بأمر من سلطات التحقيق تلجأ إليه من تلقاء نفسها إذا رأت ضرورة لذلك لاستكمال التحقيقات وان فرضها ضروري لتخفيف من حدة ضرر الاغراق لحين الانتهاء من تلك التحقيقات والوصول إلى نتائج نهائية، او بناءً على طلب ذوي المصلحة من عمليات التحقيق من مصدرين ومنتجين وفق نسبة مئوية يحددها المشرع.

المقصد الثاني

التعهدات السعرية

وهي تعهدات طوعية يقدمها المصدر بمبادرة منه أو بناء على طلب الدولة المستوردة، يتعهد بموجبها المصدر بمراجعة اسعاره الاغراقية أو وقف صادراته إلى الدولة المستوردة، بحيث تقتنع سلطات التحقيق في الدولة الاخيرة، بان الأثر الضار للاغراق قد استبعد[835].

وقد تكون التعهدات السعرية اجراء مستقلا على النحو الذي جاءت به الاتفاقية في المادة (8) حيث ذهبت الى انه يجوز السماح بوقف السير في الاجراءات أو انهائها بدون فرض التدابير المؤقتة أو رسوم مكافحة الاغراق وذلك بناء على تقديم تعهدات طوعية مرضية من أي مصدر بمراجعة اسعاره أو بوقف الصادرات للمنطقة بأسعار اغراقية، بحيث تقتنع السلطات بان الأثر الضار للاغراق قد زال[836].

وقد تكون التعهدات السعرية كأجراء مكمل، وهو قبول الدولة المستوردة التعهدات السعرية المقدمة اليه ثم تواصل اتخاذ اجراءات التحقيق أو التدابير المؤقتة، والسبب في ذلك يرجع إلى عدم قناعتها بكافية تلك التعهدات في ازالة أثار الاغراق الذي بصدده التحقيق[837].

وعلى ايه حال تقبل الزيادة في الاسعار بناء على تعهدات تقدمها الدولة المصدرة على ان لا تكون تلك الزيادة اعلى من هامش الاغراق[838]، وان كان التوجه العام للاتفاقية يحث على ان تكون الزيادة السعرية تكون باقل من هامش الاغراق ما دامت تلك الزيادة بذلك القدر كانت كافية للإزالة الضرر اللاحق بالصناعة المحلية[839]، ولا تطلب أو تقبل التعهدات السعرية من الدولة المصدر للمنتج محل التحقيقات في الاغراق إلا إذا كانت السلطات التحقيقية المختصة قد توصلت إلى تحديد أولي على وجود الاغراق وتأثيره الضار على الصناعة المحلية[840].

وقد لا تقبل هذه السلطات التعهدات السعرية المقدمة إذا قدرت ان مثل هذا القبول لم يكن ذا فائدة عملية، كأن يكون عدد المصدرين الفعليين والاحتماليين اكثر بكثير للغاية، أو ان يكون سبب رفض هذه التعهدات لاسباب اخرى، فيترتب عندئذ على سلطات التحقيق تبليغ مقدمي التعهدات بعدم قبولها

(835) اياد عصام حطاب، مصدر سابق، ص206.
(836) ينظر المادة (8) من قانون حماية المنتجات العراقي. د. شروان هادي اسماعيل، مصدر سابق، ص252.
(837) ينظر المادة (8) من قانون حماية المنتجات العراقية، اياد عصام حطاب، مصدر سابق، ص206.
(838) محمد انور، مصدر سابق، ص196.
(839) ينظر مادة (8/1) من الاتفاقية.
(840) المادة (8/2، 3) من الاتفاقية.

إذا تطلب الأمر ذلك، وان تتيح لهم الفرصة بقدر الامكان للتعليق على هذه الاسباب[841].

وبناء على ما تقدم، إذا ما تم قبول التعهدات من قبل السلطات المختصة فإن ذلك لا يؤثر على مجريات التحقيق – التعهد هنا كإجراء تكميلي – ومن ثم يمكن ان تتوصل تلك السلطات إلى تحديد ايجابي لوجود الاغراق، حينئذ وبشكل عام يستمر العمل بالتعهدات السعرية وفقا لاحكام الاتفاقية ولكن بالقدر اللازم لمواجهة آثار الاغراق المتمثل بالضرر الذي يسبب الانتاج المحلي[842]، أو قد تتوصل هذه السلطات إلى تحديد سلبي على وجود الاغراق، فستعمد إلى الغاء هذه التعهدات تلقائيا، إلا انه يجوز لها – أي السلطات المختصة – ان تقرر الابقاء على هذه التعهدات إذا كانت هي السبب الرئيسي للتحديد السلبي على وجود الاغراق واثاره، وعندئذ يجوز لتلك السلطات ان تشترط استمرار العمل بالتعهدات إلى فترة مناسبة تقدرها وفق احكام الاتفاقية[843].

أما مدة سريان التعهدات السعرية، فقد حددتها المادة (11) من الاتفاقية من حيث المبدأ هي مدة لا تتجاوز الـ(5) سنوات تبدأ من تاريخ تقديم تلك التعهدات أو من تاريخ آخر مراجعة لها بدأت بمبادرة منها أو بناء على طلب معزز من الصناعة المحلية خلال فترة زمنية مناسبة سابقة على هذا التاريخ ومن شأن إلغاء هذه التعهدات استمرار الاغراق أو الضرر أو تكراره، علما أنه يجوز ان تظل هذه التعهدات سارية انتظارا لهذه المراجعة وتنتهي المراجعة عادة خلال اثني عشر شهرا من تاريخ بدء المراجعة» وفي كل الاحوال فإن هذه التعهدات تسري للفترة اللازمة لازالة هامش الاغراق[844].

وفي حالة انتهاك التعهدات من قبل الدولة المصدرة للمنتجات المقدمة لها، فللسلطات المختصة انهاء التعهد أو وقفه أو اتخاذ تدابير عاجلة أو فرض رسوم نهائية على تلك المنتجات التي دخلت للاستهلاك المحلي قبل (90) يوم على الأكثر من تطبيق التدابير المؤقتة[845]، بالرغم من ذلك فإن هذا الأثر الرجعي لا ينطبق على الواردات التي دخلت قبل انتهاك التعهد، مع ذلك فانه اجراء تتخذه السلطات المختصة على سبيل الجواز وليس مسألة وجوبية، فهي ترجع إلى سلطتها التقديرية في فرض الاجراء المناسب[846].

أما في نطاق القوانين محل المقارنة، ومنها القانون الاردني فيذهب البعض إلى انتقاد المشرع الاردني –بشكل عام– فيما يتعلق بالتعهدات السعرية حيث يرى بأن نظام مكافحة الاغراق والدعم الاردني لم يعكس طبيعة هذه التعهدات فيما إذا كانت تعهدات اسعار مرضية أو وقف صادراته باسعار اغراقية، كما انه لم يشر إلى إمكانية وقف التحقيق أو إنهائه أو استكماله إذا ما رضيت السلطات المختصة بذلك أو بناء على طلب المصدر في حالة قبول تعهدات الاسعار، كذلك لم يشر النظام بشكل صريح إلى أن لجهة التحقيق اقتراح التعهدات الاسعار، ولكن لا يجوز لها اجبار المصدرين على تقديمها[847]؛ ولكنه كان صريحا بالنص على استمرارية التعهدات على الرغم من التحديد السلبي للاغراق إذا كان لذلك التحديد راجعا إلى تلك التعهدات السعرية التي قدمت[848].

---

(841) (8/2، 3) من الاتفاقية، المادة (48) من اللائحة التنفيذية المصرية، المادة (59) من نظام مكافحة الاغراق الاردني.

(842) المادة (8/4) والمادة (11/1) من الاتفاقية.

(843) (8/4) من الاتفاقية.

(844) المادة (43) من تعليمات قانون حماية المنتجات العراقية .

(845) ينظر المادة (8/ 6) من الاتفاقية الدولية. عجيل كاظم، مصدر سابق، ص52.

(846) ينظر في ذلك المادة (50) من اللائحة التنفيذية للقانون المصري. شيروان هادي إسماعيل، مصدر سابق، ص253.

(847) اياد عصام حطاب، المصدر السابق، ص214.

(848) المادة (61) من نظام مكافحة الاغراق والدعم الاردني. اما بالنسبة للمشرع المصري فانه قد ساير الاتفاقية في

أما بالنسبة للمشرع العراقي فعلى الرغم من مجاراته الاتفاقية الدولية فيما يتعلق بالتعهدات السعرية في عموم نصوصها إلا انه يلاحظ من خلال تسليط الضوء على المادتين (8، 9) من قانون حماية المنتجات العراقي والمادتين (42، 43) من تعليماته انه لم يحدد معيارا لتحديد السعر المقدم من الجهة المقدمة للتعهد، وخاصة ان الاتفاقية الدولية – وما يتبعها من القوانين المتأثرة بها – تنص على ان السعر المقدم ان لا يتجاوز الحد الا على الضروري لإزالة هامش الاغراق، وهذا يعني كما مر سابقا– انه يمكن حتى قبول التعهدات التي تتضمن اسعارا اقل من هامش الاغراق إذا كان كفيلا لإزالة ضرره، كذلك نجد ان المادة (44) من التعليمات لم يوضح موقفه ازاء ما إذا كان التحديد السلبي على وجود الإغراق ناجم عن تلك التعهدات، أي ان التعهدات كان لها اثرها المباشر في ازالة الاغراق، وانما اكتفى ببقاء التعهدات لمدة معينة ولاسباب تبرر ذلك، وهذا من وجهة نظري يعتبر ثغرة تعطي للجهات المختصة سلطة واسعة دون مبرر في قبول التعهدات أو رفضها[849].

كذلك نجد ان المشرع العراقي في المادة (12/أولا/هـ) من قانون حماية المنتجات قد ألزم الموردين للمنتج المستورد بان يقدموا للوزير التعهدات السعرية[850]، ولكن كما علمنا من حيث الاصل ان الاتفاقية كانت واضحة في ان يكون تقديم التعهدات السعرية اجراء طوعيا[851].

وبناء على ما تقدم أدعو المشرع العراقي إلى تعديل نصوص قانون المنتجات العراقية وتعليماته بما ينسجم مع ما جاءت الاتفاقية ومعالجة مواطن القصور لسد الخلل الذي قد يكون ثغرة يسهل النفاذ منها في تحقيق معاملات لا تتسم بالشفافية والتوازن.

ويجب الاخذ بما يلي «1– تعديل نص المادة (12/أولا/هـ) بما يلي «يطلب من الموردين للمنتج المستورد أن يقدموا للوزير التعهد المنصوص عليه في المادة (8) من هذا القانون».

1. تعديل نص المادة (44) من التعليمات بالنص على أنه «يلغى التعهد المنصوص عليه في البند أولا من المادة (42) من هذه التعليمات إذا قرر الوزير عدم وجود اغراق أو دعم أو ضرر الناجم عنها إلا في حالات التي يكون فيها هذا القرار ناتجا نتاجا كبيرا عن وجود هذا التعهد، وللوزير في هذه الحالة ان يشترط بقاء التعهد قائما مدة مناسبة وفي الحدود التي يقررها القانون».

2. النص على «لا يجوز ان تقبل تعهدات سعرية إذا كانت تتضمن زيادة في الاسعار اعلى من هامش الاغراق ويجب قبول التعهدات الاسعار اقل من هامش الاغراق إذا كانت كافية لازالة هامش الاغراق»[852]؛ وهذا النص الاخير ضروري في التأكيد على قبول التعهدات اقل من هامش الاغراق وذلك لكي يتماشى مع الواقع التسويقي للمنتجات وبما ينسجم مع الزيادة التي لا تأثر على الامكانية الشرائية للمستهلك المتمثلة في زيادة اسعار المنتجات دون مبرر كذلك لا يؤثر بشكل كبير على الصناعة المحلية وخاصة إذا علمنا ان التعهدات السعرية ما هي إلا زيادة في اسعار الصادرات محل التحقيق والتي تكون في نفس الوقت محل الاستهلاك المحلي، لذا لابد من ان تكون الزيادة في الاسعار بناء على تلك التعهدات بما يتناسب وحدود هامش الاغراق وان لم يتعادل بحد ذاته مع الحد الاعلى

اغلب ما جاءت به ولكن لم يبين موقفه ما إذا كان للتعهدات السعرية اثرها في التحديد السلبي للاغراق نتيجة لتلك التعهدات التي قدمت باعتبار ان تلك التعهدات تكون سببا لارتفاع اسعار الصادرات ومن ثم يترتب عليها ازالة الاغراق.

(849) تنص المادة (44) على يلغى التعهد المنصوص عليه في البند اولا من المادة (42) من هذه التعليمات اذا قرر الوزير عدم وجود اغراق او دعم او ضرر ناجم عنهما ما لم يقرر بقاء هذا التعهد لمدة معينة ولاسباب تبرر ذلك.

(850) تنص المادة (11/ أولًا/هـ) « الزام الموردين للمنتج المستورد أن يقدموا للوزير التعهد المنصوص عليه في المادة (8) من هذا القانون .

(851) عجيل كاظم، مصدر سابق، ص53.

(852) ينظر في ذلك ايضا المادة (61) من نظام مكافحة الاغراق الاردني.

لهامش الاغراق متى ما كان الواقع العملي يستدعي ذلك .

المطلب الثاني

التدابير النهائية

بعد الانتهاء من البحث في اتخاذ التدابير المؤقتة والتي غالبا ما تكون رسوما مؤقتة أو تعهدات سعرية تم فرضها بعد التوصل واثناء التحقيق على التفصيل السابق، وبعد انتهاء من عمليات التحقيق قد تتوصل السلطات التحقيقية المختصة إلى نتائج نهائية توشر سلبية الاغراق وانه لا ضرر على الصناعة المحلية، في هذه الحالة تنتهي عمليات التحقيق ولا تفرض أي من تلك الاجراءات، أو قد تتوصل تلك السلطات إلى نتائج بموشرات ايجابية على وجود الاغراق وضرره على الصناعة المحلية، في هذه الحالة ستوقف العمل بالتدابير المؤقتة التي اتخذتها اثناء التحقيق لتبدأ بمرحلة جديدة من التدابير وهي ما يسمى بالرسوم النهائية أو الكمركية باعتبارها تدابير نهائية لمواجهة الاغراق، والتي سيتم تناولها بالتفصيل في مقصدين:

المقصد الأول: الرسوم الكمركية.

المقصد الثاني: الأثر الرجعي للرسوم الكمركية.

المقصد الأول

الرسوم الكمركية

يعتبر فرض الرسوم الكمركية الاجراء الثالث من الاجراءات والتدابير التي تتخذها السلطات المختصة في الدولة المستوردة في مواجهة الإغراق، ويعد هذا التدبير الاخطر والاخير، وتتمثل اجراءاته في صورة رسوم كمركية اضافية تفرض على السلع الاغراقية بما يتناسب مع حجم الانخفاض في سعرها في السوق المحلية للدولة المستوردة، وذلك لمنع ممارسات الاغراق[853].

وعليه جاءت الاتفاقية الدولية منظمة لشروط ومتطلبات فرض الرسوم الكمركية، فبمقتضى المادة (9/1) من الاتفاقية فإن سلطات البلد المستورد هي التي تقرر فيما إذا سيفرض رسم الاغراق على الواردات المغرقة أم لا، وذلك باعتبار ان كافة متطلبات هذا الفرض قد توافرت فيه، وبذلك فهي التي تقرر إن كان مبلغ الرسم الذي ستفرضه يغطي كامل هامش الاغراق أم سيكون اقل من هذا المقدار، وحسب هذه المادة فان الاتفاقية تفضل ان يكون رسم الاغراق اقل من هامش الاغراق إذا كان ذلك كافيا لازالة الضرر اللاحق بالصناعة المحلية[854]، كذلك يجب ان يكون فرض الرسوم بمقادير مناسبة في كل حالة وعلى أساس غير تمييزي، ووفقا للاتفاقية فان فرض الرسوم يكون على كافة اراضي الدول الاعضاء بعيدة عن التحكمية في فرضها ما دام أنها ضمن نطاق هامش الاغراق دون ان تتعداه[855].

أما بالنسبة للقانون الاردني فقد نصت المادة (73) من نظام مكافحة الاغراق الاردني على أنه «لا

---

(853) د. محمد انور، مصدر سابق، ص201.

(854) للتفصيل في فرض رسم الاغراق المادة (9/3) من الاتفاقية.

(855) عجيل كاظم، مصدر سابق، ص65. ومما تجدر الاشارة إليه، ان فرض هذه الرسوم يجب ان لا تكون عائقا او وسيلة تعرقل انسيابية التجارة الدولية كحجة حماية المنتجات المحلية سواء كان ذلك فيما يتعلق بوقت فرض الرسم أو مقداره حيث يكون الرسم لازالة الضرر الناشئ عن الاغراق فقط، وهذا ما يجب على الدولة المستوردة ان تقوم به. مصطفى سلامة، منظمة التجارة العالمية النظام الدولي للتجارة الدولية، ط1، 2006، ص155، نقلا عن، اياد عصام حطاب، مصدر سابق، ص216.

يفرض رسم الاغراق أو الرسم التعويضي إلا بالمقدار والى المدى اللازمين لمواجهة الاغراق أو الدعم المتسبب بالضرر» وهذا يعني وحسب النص ان المشرع الاردني لا يشترط ان يكون مقدار الرسم مساويا لهامش الاغراق، بل اشترط ان يكون الرسم كافيا لازالة الضرر، وهذا يعني انه يجوز ان يتجاوز الرسم هامش الاغراق إذا كان كفيلا بإزالة الضرر[856].

أما بالنسبة للمشرع العراقي فقد ذهب في المادة (15/ثانيا) من قانون حماية المنتجات الوطني إلى أنه «لا يجوز ان يتجاوز مقدار ما يفرض من الرسوم الكمركية لمكافحة الاغراق أو الدعم وفقا للقانون هامش الاغراق او مقدار الدعم المسموح ويجوز ان يحدد بمقادير اقل إذا كانت كافية لإزالة الضرر على ان ترد اية زيادة في الرسم الكمركي الذي جرى تحصيله بما يزيد على هامش الاغراق او مقدار الدعم الفعلي»، وهذا يعني ان المشرع العراقي اعتمد معيار مقدار هامش الاغراق في فرض الرسوم الكمركية ومن ثم اوجب الا يتعدى الرسم الكمركي هذا المعيار عند فرض ذلك الرسم وفي نفس الوقت لم يلزم ان يكون الرسم اقل من هامش الاغراق إذا كان كافيا لإزالة الضرر. حقيقة قد احسن المشرع العراقي فيما ذهب إليه[857]، ولكن يا حبذا ان يكون فرض الرسوم الكمركية باقل من هامش الاغراق إذا كان كافيا لازالة الضرر امرا وجوبيا لا جوازيا وذلك للحد من فرض رسوم قد لا تتناسب مع الواقع السوقي لاسعار المنتجات التي قد تفرض رسوم أعلى من أن تتناسب مع ازالة الضرر على الصناعة المحلية، مما يعكس آثارا سلبية على اسعار الواردات ومزيدا من حرمان المستهلك من الرفاهية الاقتصادية بفعل زيادة اسعار تلك الواردات.

اضافة إلى ذلك نجد ان المشرع العراقي عند معالجته للمادة (15/2) الانفة الذكر قد وقع في تناقض مع ما ذهبت إليه المادة (18/أولا) من ذات القانون حيث نص على فرض رسم نهائي يساوي هامش الاغراق إذا كان سعر تصدير المنتج المستورد إلى جمهورية العراق اقل من قيمته العادية، ومن اجل ذلك أدعو المشرع العراقي إلى ازالة هذا التناقض واعتماد ما ذهب إليه في المادة (15/2) مع الاخذ بنظر الاعتبار التوصية المقدمة في هذا الصدد.

المقصد الثاني

الأثر الرجعي للرسوم النهائية

في الحالة التي تنتهي فيها السلطات التحقيقية في الدولة المستوردة إلى تحديد نهائي للاغراق وضرره، فإن هذه الرسوم تنطبق على الواردات التي تكون محل للاغراق التي دخلت إلى الاستهلاك المحلي، وقد خصصت المادة (10) من الاتفاقية لتنظيم فرض الرسوم النهائية، وعليه يشترط لفرض هذه الرسوم التوصل النهائي لوجود الاغراق وضرره، أو التوصل لتحديد نهائي بتهديد وقوع الضرر إذا كان من الممكن ان يتحقق ذلك الضرر في حالة غياب التدابير المؤقتة، هذا فيما يتعلق بشروط فرض الرسوم النهائية، ولكن في أي وقت يتم فرض هذه الرسوم؟

للإجابة عن ذلك ذهبت المادة (10/1) من الاتفاقية إلى ان الاصل ان يتم فرض رسوم مكافحة

---

(856) بينما نجد ان المشرع المصري قد ربط فرض رسم الكمركي بمعيار هامش الاغراق وليس بالضرر، ومن ثم فإن الرسم الكمركي يجب ان لا يتجاوز هامش الاغراق، ولكنه أيضا في نفس الوقت ولم يبين بشكل صريح ما إذا كان بالامكان ان يفرض رسم اقل من هامش الاغراق على غرار الاتفاقية فيما لو كان كافيا لازالة هامش الاغراق أو ضرره، يمكن الوقوف على هذا الحكم من معنى النص. للتفصيل ينظر، د. شيروان هادي، مصدر سابق، ص267، تنص المادة (45) من اللائحة التنفيذية للقانون المصري»تقوم سلطات التحقيق بتحديد مقدار الرسوم النهائية لمكافحة الاغراق وبما لا يجاوز هامش الاغراق وتفرض هذه الرسوم على الواردات المغرقة من كافة المصادر متى ثبت انها تتسبب في حدوث ضرر بالصناعة المحلية ويستثنى من ذلك الواردات من المصادر التي قبلت تعهدات سعرية».

(857) د. شيروان هادي اسماعيل، مصدر سابق، ص268.

الاغراق بعد تاريخ صدور قرار بفرض تلك الرسوم شريطة ان يتم التوصل الى تحديد نهائي بوجود الاغراق وضرره او حالة التوصل الى تحديد نهائي بتهديد وقوع ضرر اذا كان من الممكن ان تؤدي الواردات المغرقة في حالة غياب التدابير المؤقتة الى تهديد بوجود الضرر[858].

مع ذلك يتم فرض الرسوم النهائية باثر رجعي على الواردات في الفترة الواقعة ما بين بداية تطبيق التدابير المؤقتة وتاريخ فرض هذه الرسوم، بشرط ان يكون هناك تدابير قد جرى تطبيقها من قبل بالفعل، أي بمعنى يتم فرض الرسوم النهائية من تاريخ اتخاذ التدابير العاجلة باثر رجعي.

وقد راعت الاتفاقية وضع حدود للاجراءات المؤقتة في الاحوال التي يكون فيها الرسم النهائي لمكافحة الاغراق أكبر من الاجراء المؤقت الذي سبق فرضه فانه لا يحصل الفرق بينهما، أي ان تلك السلطات لا تستطيع ان تطالب بالفرق في الحالة التي يكون فيها رسم مكافحة الاغراق النهائي اكبر من الرسم المدفوع أو مستحق الدفع، أو من مقدار المبلغ الذي تم تقديره لاغراض الضمان؛ أما في الحالة التي يكون فيها الرسم النهائي اقل من الرسم المؤقت أو المبلغ الذي تم تقديره لاغراض الضمان فان هذه السلطات ان ترد الفرق أو يعاد حساب رسم مكافحة الاغراق[859].

مع ذلك ذهبت الفقرات الثلاث الاخيرة من المادة (10) إلى فرض رسوم مكافحة الاغراق على الواردات التي دخلت البلد المستورد قبل وقتٍ لا يتجاوز (90) يوما من تطبيق الاجراءات المؤقتة، وذلك بشروط معينة اوردتها المادة (10/6) من الاتفاقية:

1. ان يكون هناك تاريخ للاغراق الذي سبب الضرر وان المستورد كان يعلم أو يفترض به ان يعلم ان المصدر يمارس الاغراق وأن مثل هذا الاغراق يمكن ان يسبب ضررا.

2. ان يكون الضرر الذي نشأ عن واردات اغراق كبيرة جدا في فترة قصيرة نسبيا ومن شأن ذلك على ضوء توقيت وحجم واردات الاغراق وغير ذلك من الظروف مثل سرعة تكدس مخزونات المنتج المستورد وأن توقف كثيرا من فعالية الرسوم النهائية لمكافحة الاغراق الذي سوف يتم تطبيقه شريطة ان تكون هناك فرصة قد منحت للمستوردين المعنيين بالتعليق.

وجاء في المادة (10/7) أنه يجوز للسلطات بعد بدء التحقيق ان تتخذ اجراءات بما يلزم لتحصيل رسوم مكافحة الاغراق بأثر رجعي إذا ما توافرت الشروط المذكورة في الفقرة (6)، وكذلك ذهبت المادة (8) إلى انه لا يجوز فرض رسوم مكافحة الاغراق باثر رجعي ووفقا للفقرة (6) على المنتجات التي دخلت إلى الاستهلاك قبل تاريخ بدء التحقيق[860].

مع ذلك جاءت الاتفاقية باستثناء على المادة (10/ 2) الانفة الذكر وهي في الاحوال التي تتوفر لدى سلطات التحقيق إلى تحديد نهائي بوجود التهديد بالضرر ولكن لم يحدث ضرر، أيضا يجوز فرض الرسوم النهائية ولكن من تاريخ هذا التحديد دون اثر رجعي للفترة التي فرض فيها التدابير المؤقتة اذا كانت قد طبقت بالفعل[861].

---

(858) المادة (10/2) من الاتفاقية الدولية.

(859) المادة (10/5) من الاتفاقية الدولية. المادة (49) من قانون حماية المنتجات العراقية ولكن لم تنص عليه بشكل مباشر وانما جاء في سياق تشكل لجنة مهمتها النظر في طلبات استرداد الرسوم التي دفعها زيادة على هامش الاغراق. وينظر كذلك، د. شيروان هادي إسماعيل، المصدر السابق، ص271.

(860) إن مراعاة الحدود الزمنية لا يكون ممكنا إذا كان المنتج المغرق يخضع لاجراءات طعن قضائية في محاكم الدولة المستوردة فيما يتعلق باجراءات مكافحة الاغراق، وتسترجع الرسوم الزائدة على وجه السرعة وعادة قبل انقضاء (90) يوم من تاريخ التحديد، وخلال (90) يوم تقدم السلطات تفسيرا إذا طلب اليها ذلك، انظر المادة (9/3) من الاتفاقية.

(861) المادة (10/4) من الاتفاقية.

ومما تجدر الاشارة إليه في حالة التوصل إلى تحديد نهائي سلبي للاغراق، أنه وفقا للمادة (10/4) ترد اي وديعة نقدية قدمت اثناء فترة تطبيق التدابير المؤقتة وتطلق أي سندات على وجه السرعة.

ويستغرب البعض[862]، «ان ينص على رد والوديعة النقدية وتحرير السندات التي كانت مجالا للتدابير المؤقتة الى المصدرين الذين قدموها، ولا ينص على الرد فيما يتعلق بالرسوم المؤقتة التي قد يكونون دفعوها، خلال فترة تطبيق التدابير المؤقتة».

أما بالنسبة للقوانين محل المقارنة هما القانون الاردني المصري فانهما قد جاءا مسايرين لما جاءت به الاتفاقية الدولية بهذا الشأن[863]؛ على الرغم من ذلك نجد ان المشرع المصري قد تميز على الاتفاقية الدولية بخصوص ما جاءت به الاخيرة في المادة (6/10) فيما يتعلق بفرض الرسوم الكمركية بأثر رجعي، حيث كما مر سابقا ان الاتفاقية قد افترضت علم المستورد بان المصدر يقوم باعمال الاغراق الضار. بينما المشرع المصري لا يفترض العلم، بل الزم ضرورة علم المستورد بان المصدر يمارس الاغراق الضار، وهي قرينة قانونية قابلة لاثبات العكس، ولو انه من وجهة نظري ونظر الاخرين فإن حكم الاتفاقية كان الاجدر بالاخذ به في التشديد على المستورد والجهة المصدرة وذلك بالتخفيف على كاهل السلطات التحقيقية والاطراف المعنية في الحماية من عبئ الاثبات[864].

أما بالنسبة للمشرع العراقي وان كان اخذ بحكم الأثر الرجعي للرسوم الكمركية إلا انه يلاحظ انه خالف الاتفاقية من عدة وجوه ويمكن في احيان كثيرة اعتبارها نقصا تشريعيا يرجى تلافيه، وهي:

1 – لم ينص المشرع العراقي على مسألة الأثر الرجعي للرسوم الكمركية أو النهائية في قانون حماية المنتجات العراقية، واكتفى بتنظيم المسألة في تعليمات هذا القانون، والحقيقة ان الأثر الرجعي للرسوم حكم قانوني تترتب عليه جملة من الحقوق والالتزامات وهو اجراء نجد اساسه القانوني في الاتفاقية الدولية، وبالتالي لابد من ان يعبر المشرع بشكل صريح عن الاخذ بهذا الاجراء الجوهري الحيوي ولو بشكل قاعدة عامة وترك التفصيل للتعليمات فكيف سيجد الاجراء قوته الملزمة ان لم يكن منصوصا عليه في القانون ومن ثم التأكيد عليه وتفصيله في التعليمات باعتبار ان الاخيرة ادنى مرتبة من القانون وان تستمد قوتها الملزمة منه.

2 – ساير المشرع العراقي في المادة (55/أولا) من التعليمات حكم الاتفاقية في المادة (10/2) فيما يتعلق بالأثر الرجعي للرسوم النهائية في حالتين تحديد النهائي للاغراق وضرره وفي حالة التحديد النهائي بالتهديد بالضرر. ولكنه لم ينص – كما جاء في الاتفاقية– على حكم حالة إذا كان التحديد النهائي للتحقيق اخذ بوجود تهديد على الصناعة المحلية دون حدوث ضرر والتي في هذه الحالة لا يفرض الرسم النهائي لمكافحة الاغراق بأثر رجعي أي يتم تحديده من تاريخ التحديد.

3 – كذلك لم ينص المشرع على حكم في حالة التحديد السلبي لوجود الاغراق وضرره وما هي مصير الودائع النقدية والرسوم والسندات التي قدمت في وقت فرض التدابير المؤقتة.

4 – واخيرا لم يراع المشرع العراقي ما جاءت به حكم المادة (10/6) من الاتفاقية من حيث مواعيد فرض الرسوم النهائية بأثر رجعي على الواردات التي تدخل البلاد قبل ما لا يزيد على (90) يوم من فرض الاجراءات المؤقتة وبما لا يجاوز تاريخ بدء التحقيق وذلك وفقا لشروط ادرجتها الاتفاقية والتي تم تناولها سابقا، وانما اكتفى في المادة (57/ أولا) من التعليمات بفرض رسم نهائي لمكافحة الاغراق

(862) اياد عصم خطاب، المصدر السابق، ص238.

(863) المادة (77– 81) من نظام مكافحة الاغراق والدعم الاردني، المادة (51– 54) و (73– 76) من اللائحة التنفيذية للقانون المصري، ص27.

(864) ينظر في ذلك، د. شيروان هادي اسماعيل، مصدر سابق، ص27..

على السلع المستوردة بعد تاريخ بدء التحقيق.

أما عن مدة فرض رسوم مكافحة الاغراق واستنادا إلى المادة (11/1) من الاتفاقية حيث تنص على «لا يظل رسم مكافحة الاغراق ساريا إلا بالمقدار والمدى اللازمين لمواجهة الاغراق الذي يسبب الضرر» وتنص المادة (11/2، 3) من الاتفاقية فيه على «2. مراجعة سلطات التحقيق مراجعة دورية لضرورة بقاء الرسم أو إلغائه شرط انقضاء فترة زمنية مناسبة سواء بمبادرة من تلك السلطات أم بطلب من أي صاحب مصلحة، إذا ما كان الاغراق أو الضرر مستمرا أو يتكرر عند الغاء الرسم، أو تعديله و الاثنين معا، فإذا حددت السلطات وفق هذه المراجع انه لم يعد هناك داع للرسم أنهي على الفور.
5 - مع عدم الاخلال بما تقدم ينتهي رسم مكافحة الاغراق في موعد لا يتجاوز خمس سنوات من تاريخ فرضه أو من تاريخ آخر مراجعة دورية له، ما لم تقدر سلطات التحقيق في البلد المستورد بناء على طلب الصناعة المحلية المعززة بالادلة أو باسمها الاستمرار بالرسم»[865].

الخاتمة

بعد الانتهاء من البحث في اساليب واجراءات مكافحة الاغراق التجاري تم التوصل إلى جملة من النتائج والتوصيات وكالاتي:

أولا: النتائج

1. اعتمد المشرع العراقي نصوص الاتفاقية الدولية لمكافحة الاغراق (الجات) لسنة 1994، الا انه لم يأخذ بالتفصيل التي جاءت بها الاتفاقية في بعض نصوصها، فكان من الاحرى الأخذ بها لقدرتها على مواكبة الواقع العملي وتحقيق التوازن بين التعاملات التجارية الدولية والتجارة المحلية.
2. ان فرض رسوم مكافحة الاغراق يجب ان لا تكون وسيلة في عرقلة انسابية التجارة الدولية كحجة حماية المنتجات المحلية سواء كان ذلك فيما يتعلق بوقت فرض الرسم أو مقداره حيث يكون الرسم لازالة الضرر الناشئ عن الاغراق فقط وهذا ما يجب على الدولة ان تقوم به وهذا يعني ان هناك توازن ما بين حماية الانتاج الوطني، والحفاظ على العلاقات التجارية الدولية بما يخدم الاقتصاد الوطني والمستهلك المحلي في توفير قدر الامكان الرفاهية الاقتصادية.
3. تفرض التدابير سواء كانت مؤقتة ام تعهدات سعرية ام رسوم كمركية بمقدار لا يتجاوز هامش الاغراق ويجوز وفق الاتفاقية فرض التدابير باقل من هامش الاغراق اذا كانت كافية لازالة هامش الاغراق.

ثانيا: التوصيات

1. اوصي بالنص على تحديد نسبة مئوية لعدد مقدمي طلب الحماية من الاغراق ومؤيديه على نسبة المعارضين لذلك الطلب وفق ما جاءت به الاتفاقية الدولية في المادة (5/1) منها.
2. إلغاء نص المادة (20) من تعليمات قانون حماية المنتجات العراقية والنص بشكل واضح وصريح على تحديد الاشخاص الذي لهم حق في تأييد طلب الحماية أو معارضته وهم المنتجين المحليين والمنتجين المرتبطين بمستوردي أو مصدري المنتجات محل الاغراق علاوة على عمال والمستخدمين الذين يعملون لدى المنتجين المحليين.
3. تعديل نص المادة (5) من تعليمات قانون حماية المنتجات العراقي بالنص على: «للدائرة بموافقة الوزير إجراءات التحقيقات دون تقديم الطلب المنصوص عليه في المادة (4) من هذا القانون أو بعد تقديم الطلب ولكن لم يبلغ النسبة المنصوص عليها قانونا إذا تبين لها توافر أدلة كافية على وجود الممارسات الضارة وكان هناك ضرر يلحق بالصناعة المحلية».

---

(865) ينظر المادة (54/اولا) من تعليمات قانون حماية المنتجات العراقية والمادة (78، 79، 80، 81) من نظام مكافحة الاغراق والدعم الاردني. الفصل السابع من الباب الثالث وخاصة المادة (55، 56) من اللائحة التنفيذية للقانون المصري.

4. النص في تعليمات قانون حماية المنتجات العراقية على معايير يستند إليها في تقدير مدى سرية المعلومات من عدمها.
5. أوصى المشرع العراقي بتعديل نص المادة (12/أولا) من قانون حماية المنتجات العراقي بالنص على «يصدر الوزير بناء توصية الدائرة قرارا باتخاذ اجراءات عاجلة ضد المنتج المستورد قيد التحقيق إذا تبين للدائرة بقرار أولي وجود ممارسات ضارة على أن يكون هناك ضرر وكانت التدابير ضرورية لإزالته، وتبين ان عدم اتخاذ هذه التدابير قد يؤدي إلى إلحاق ضرر بالمنتجين المحليين يتعذر تداركه».
6. تعديل نص المادة (12/هـ) بالنص «يتم الطلب من الموردين للمنتج المستورد بان يقدموا للوزير التعهد المنصوص عليه في المادة (8) من هذا القانون».
7. النص على المدد الذي تسري خلال التحقيق في قضايا الاغراق خاصة ما يتعلق: أ- بموعد بدء اتخاذ التدابير العاجلة على غرار ما ذهبت اليه الاتفاقية الدولية في المادة (7/3) والمادة (60) من اللائحة التنفيذية للقانون المصري.
ب. مدة سريان التدابير المؤقتة على غرار ما جاءت به الاتفاقية الدولية في المادة (7/4) منها.
8. أوصى المشرع العراقي بالنص على انه لا تقبل تعهدات الاسعار إلا بمقدار هامش الاغراق ووجوب ان تقبل التعهدات بأقل من هامش الاغراق إذا كان كافيا لازالة ضرر اللاحق بالصناعة المحلية.
9. تعديل نص المادة (44) من التعليمات بالنص على «يلغى التعهد المنصوص عليه في البند (أولا) من المادة (42) من هذه التعليمات إذا قرر الوزير عدم وجود اغراق أو دعم أو الضرر الناجم عنهما إلا في الحالات التي يكون فيها هذا القرار ناتجا نتاجا كبيرا عن وجود هذا التعهد، وللوزير في هذه الحالة يبقي التعهد قائما مدة مناسبة بما ينسجم مع احكام هذا القانون».

المصادر

أولاً: الكتب القانونية

1. اياد عصام الحطاب، مكافحة الاغراق التجاري، دار الثقافة للتوزيع والنشر 2011.
2. د.محمد انور، الاغراق من صور المنافسة غير المشروعة، دار النهضة العربية – القاهرة، 2010.
3. د.شيروان هادي إسماعيل، الحماية القانونية للمنتجات الوطنية، منشورات زين الحقوقية – بيروت، ط1، 2016.

ثانيا: الرسائل والاطاريح

1. عجيل كاظم، النظام القانوني لمكافحة الاغراق التجاري، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون، جامعة كربلاء، منشورة على الانترنت Law.uokerbala.edu.iq.

ثالثا: الاتفاقيات

1- الاتفاقية الدولية لمكافحة الاغراق التجاري (الجات)، 1994.

رابعا: القوانين

1 – قانون حماية المنتجات العراقية رقم 11 لسنة 2010.
2 – تعليمات قانون حماية المنتجات العراقية رقم 11 لسنة 2010.
3 – قانون رقم 161 لسنة 1998 المصري في حماية الاقتصاد القومي من الآثار الناجمة عن الممارسات الضارة في التجارة الدولية.
4 – اللائحة التنفيذية لقانون رقم 161 لسنة 1998 المصري.
5 – نظام مكافحة الاغراق والدعم الاردني رقم 26 لسنة 2003.
6 – قانون حماية الانتاج الوطني الاردني سنة 2004.

2- الطبيعة القانونية لعقوبة جرائم التوائم المتلاصقة (السيامية)

م.د.حمود حيدر مبارك

جامعة المثنى – كلية القانون

المقدمة

يُطلقُ مصطلح التوائم المتلاصقة (السيامية) غالباً على شخصين تلاصقا مع بعضهما بجزء أو أكثر من الجسم منذ الحمل عند تكوين البويضة في داخل الرحم ؛ فيتكونان من بويضة ومشيمة واحدة متشابهة ومتطابقة غير منفصلة بشكل كامل، ويترتب على ذلك ولادتهما متصلين بعضو أو أكثر من الجسم، فضلاً عن تطابقهما في الجنس والصفات الوراثية[866]، ويمكن لكل منهما أن يتبرع للآخر بالدم والأعضاء دون حاجة الى أدوية مناعة.

ومصطلح **(السيامية)** يرجع في نسبه إلى دولة **(سيام)**، وهي **(تايلند)** حالياً [867]، إذ ظهر فيها أول توأم سيامي في العالم **(إنج وبتشانج بنكر)**[868]، واشتهروا فيما بعد بعملهم في السيرك في الولايات المتحدة الأمريكية.

وتجدر الإشارة إلى أن التوائم السيامية تمثل مشكلة قانونية وطبية على حدّ سواء ؛ ففي الجانب الطبي هناك صعوبة كبيرة في فصل التوائم، إذ قد يتسبب ذلك بموت التوأم كما حصل مؤخراً بفصل التوأم الإيراني **(لادان ولاله بيبجاني)** اللذين توفيا في أحد مستشفيات سنغافورة ([869])، وكذلك مشكلة قانونية تتمثل بصعوبة فصل العقوبة عن كل منهما إذا ما ارتكب أحدهما جريمة؛ أيجوز معاقبة الاثنين أم لا ؟، وهل أن العقوبات الاعتيادية الموجودة في القوانين العقابية متلائمة مع هذه الحالة ؟ وهل تأتي بثمارها بتحقيق السياسة الجنائية ؟

أولاً : أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من أهمية الموضوع الذي سيتكفل هذا البحث الوقوف على محاوره الرئيسة

---

(866) ينظر: عبدالله بن عبد العزيز الربيعة، التوائم السيامية، بحث منشور في المجمع الفقهي الإسلامي، الدورة العشرون، مكة المكرمة، 2010، ص3.

(867) ينظر: بحث متاح على الانترنت

Htt://www.ahlhdeeth.com/vb/showthread.php?=

تاريخ الزيارة 17/8/2019، الساعة 6،30 مساءً

(868) لقد ولد هذا التوأم لأبوين فارغة، وكان التصاقهما من الصدر حتى السرة، ويقال إن ملك سيام آنذاك قرر قتلهما عند وصول خبر ولادتهما إليه على هذا النحو الغريب ثم عزف عن ذلك القرار عند تأكده من عدم حدوث شر بالمدينة بسبب غرابتهما، كما يقال: إن أمهما باعتهما لتاجر بريطاني حصد الكثير من الأموال بعد إقناعهما بالقيام بالعروض الحلوانية في الشارع مما أثار دهشة الناس، ثم تزوج التوأمان السياميان من أختين وأنجب أنج أحد عشر ولداً وبنتاً، كما أنجب تشانج عشرة من الأولاد، مما اقتضى فصل العائلتين في بيتين مستقلين، وفي عام 1874 استيقظ أنج من نومه ليجد أخاه جسماً بارداً، فأدرك حينها أنه فارق الحياة فتبعه بعد ثلاث ساعات تقريباً عن عمر يناهز الثالثة والستين عاماً، ينظر في ذلك منال يوسف عز الدين، التوائم السيامية (إجهاضها، وفصلها، وأحكام العبادات)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012، ص9.

(869) ينظر:

News.bbc.co.uk.newsid=303000

بتاريخ 16/8/2019، الساعة 7،13 مساءً.

كونه يتعارض مع حقوق الانسان ؛ وذلك بجمع العقوبة على الاثنين برغم ارتكابها من أحدهما، وهذا يظهر النقص الواضح في النص العقابي المعالج لهكذا حالة برغم قلة وقوعها إلا أنها ليست مستحيلة، وترتب على ذلك مشكلة في التطبيق العملي أمام المحاكم إذا ما عرضت عليها واقعة من هذا القبيل.

ثانياً: إشكالية البحث

تتمثل الإشكالية بالنقص الواضح في التشريع العراقي لتحديد طبيعة العقوبة التي من الممكن أن تفرض على أحد التوائم الذي يرتكب جريمة، وهل تفرض على أحدهما أم كليهما ؟ وهل هناك إمكانية لتنفيذ العقوبة بصورة منفردة على أحدهما دون الأخر كون الأخير يرى أن لا ذنب له في الجريمة ومن ثمَّ لا يجوز معاقبته عن فعل لم يرتكبه ؛ لأن ذلك لا يتطابق مع سياسة القانون الجنائي والمتمثلة بشخصية العقوبة[870]، ومبدأ تفريد العقاب[871]، وكذلك تعارضه مع الدستور العراقي الذي حفظ حقوق الإنسان وعدم جواز محاكمته ومعاقبته عن فعل لم يرتكبه[872].

ثالثاً : منهجية البحث

اتكأ الباحث في كتابة بحثه هذا على الأسلوب التحليلي الوصفي الاستقرائي، واعتمد أسلوب المقارنة مع القوانين الأخرى كل ما دعت الحاجة إلى ذلك على الرغم من أن هذه الدراسة ليست مقارنة ؛ وذلك من أجل الخروج بأسلوب علمي يسهل على القارئ اكتساب المعلومة بصورة واضحة ومبسطة ومفهومة.

رابعاً: خطة البحث

تقوم خطة هذا البحث على محورين رئيسين، كل محور منهما حُدد له مبحث واحد، وقفنا في الأول منهما على إيضاح ماهية التوائم المتلاصقة ؛ وذلك من خلال بيان المفهوم وما يتعلق به، وطبيعة المساهمة في الجرائم التي ترتكب منهما. أما في ثاني المبحثين فقد وضحنا الإطار القانوني لعقوبة التوائم المتلاصقة من خلال إيضاح طبيعة العقوبة الواردة في قانون العقوبات، ودور القضاء في تكييف العقوبة المناسبة لمثل هكذا وقائع جرمية، وأنهينا البحث بخاتمة سردنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج ومقترحات نأمل أن تعالج المشكلة ولو بجزء بسيط منها.

المبحث الأول

ماهية التوائم المتلاصقة (السيامية)

إن التوائم يُرادُ بهم الأبناء الذين يحملهم حمل واحد، ووضع واحد، وهم على نوعين: توائم متماثلون وتوائم غير متماثلين[873]، هذا فيما يتعلق بالتوائم المنفصل أحدهما عن الآخر، وهنالك توائم يكون اتصالهما مع بعضهما بأجزاء الجسم أثناء فترة الحمل وبعد الولادة، وهو ما يسمى بالتوائم السيامية المتلاصقة، وهذا الأمر أثار الكثير من المشاكل الطبية والقانونية بسبب تواجد شخصين في جسم واحد، لا نعرف إذا كان لهما إرادة واحدة أو تفكير واحد أو مشاعر واحدة أو مختلفة عن الآخر، كل ذلك ينعكس بدوره على القانون والقضاء وإصدار العقوبة الملائمة إذا ما ارتكب أحدهما فعلاً

(870) ينظر: أكرم نشأت ابراهيم، القواعد العامة في قانون العقوبات المقارن، الدار الجامعية، بيروت، 1990، ط1، ص309.

(871) ينظر: علي حسين الخلف، سلطان عبد القادر الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، القسم العام، المكتبة القانونية، بغداد، بدون سنة نشر، ص443.

(872) ينظر: المادة (19/8) من الدستور العراقي الدائم لعام 2005.

(873) ينظر: جمال إبراهيم الحيدري، علم الإجرام المعاصر، جامعة بغداد، كلية القانون، بغداد، بدون سنة نشر، ص123.

يعاقب عليه القانون ؛ لذا سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين نتناول في الأول منهما إيضاح مفهوم التوائم المتلاصقة **(السيامية)**، وفي الثاني سنتناول الطبيعة القانونية للمساهمة في جرائم التوائم السيامية.

المطلب الأول

مفهوم التوائم المتلاصقة (السيامية)

إن مصطلح التوائم السيامية جاء لتمييز هذا النوع من التوائم عن الأنواع الأخرى، وهو نوع يظهر فيه التوأم متصلاً غير منفصل، ولا يمكن فصله إلا بإجراء جراحي ربما ينجح أو قد ينتهي بمأساة تتمثل بوفاة التوأم[874]؛ وعليه سنقسم هذا المطلب الى فرعين، سنتناول في الأول منهما تعريف التوائم السيامية، وفي الثاني سنوضح أنواع التوائم السيامية .

الفرع الأول

تعريف التوائم السيامية

إذا أردنا تعريف التوائم موضوع بحثنا لا بد لنا من إضافة مفردة السيامية كي نميز هذا النوع من التوائم عن الأخرى، وهذا يحتم علينا تعريف المفردتين **(التوائم السيامية)** كون المفردتين متلازمتين مع بعض.

أولاً: التوائم السيامية في اللغة:

وردت لفظة التوائم في اللغة مشتقة من تأم، ومنه أتامَتِ المرأة إذا ولدت اثنين في بطن واحد، وهي مُتئمُ، وإذ كان ذلك لها عادة فهي مِتآمُ، ومنه أيضاً : تاءَمَ أخاه : أي ولد معه، وهو تِئمة وتَؤمُه وتَئيمه، ويقال للذكر : توأم، وللأنثى: توأمَة [875]، كذلك قد يستخدم هذا المصطلح للاختصار في المزدوجات والمركبات فيقال للواحد منها : توأم، وللمثنى توأمان أو توأمتان[876]، أو تواءم في حالة الجمع[877]. أما سيام فهي جمع (سيما) فهي علامة أو هيئة[878]، لقوله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[879].

ثانياً: التوائم السيامية في القانون:

لم يتناول المشرع تعريفاً لهذه المصطلحات، وهذه عادته كونه لا يتعرض للتعريفات متناولاً القواعد العامة فقط، تاركاً ذلك للفقه والقضاء مجتهداً في هذا المجال واضعاً تعريفاً يوضح ماهية هذه المصطلحات كي يرفع اللبس عنها ؛ لذا نجد بعضهم قد عرَّف التوائم السيامية بأنها : (توائم تنشأ من بويضة ومشيمة واحدة، وتعد متشابهة ومتطابقة لم يكتمل انفصالها، وتولد في منطقة أو أكثر

(874) ينظر : عبدالله بن عبد العزيز الربيعة، التوائم السيامية، المرجع السابق، ص5.

(875) ينظر : ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (تأم)، ج1، بدون دار نشر، بدون مكان نشر، 1979، ط1،ص362.

(876) ينظر : ابن سيدة، المخصص، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996،ص 49.

(877) ينظر : ابن منظور، لسان العرب، (تأم)، ج2، دار صادر، بيروت، بدون سنة نشر، ط1، ص623.

(878) ينظر :

http//:www.maajim.com.dictionary.

بتاريخ 18/8/2019 الساعة 4،30 مساءً.

(879) سورة الفتح، الآية (29).

من الجسد، وهي متطابقة الجنس والصفات الوراثية)[880]، وكذلك عرفت بأنها : (كل مولدين ارتبطا ببعضهما في جزء أو أكثر من أجزاء جسميهما خلفة لا يمكن فصلهما إلا بإجراء تداخل جراحي)[881]. ولم يضع القضاء تعريفاً لهكذا حالة، ولعل السبب يرجع في ذلك لعدم وصول قضايا متعلقة بهكذا حالات أمام المحاكم.

وفي ضوء ما تقدم نرى أن مصطلح التوائم السيامية يطلق على ولدين أو أكثر في بطن واحدة، نتجا من بويضة واحدة لم يكتمل انفصالهما، وولدا متلاصقي الجسم بجزء أو أكثر بسبب أو بآخر، ولا يمكن فصلهما إلا بتداخل جراحي.

الفرع الثاني

أنواع التوائم المتلاصقة (السيامية)

تنقسم التوائم المتلاصقة إلى عدة أنواع تبعاً لطبيعة الالتصاق من حيث نسبة الالتصاق وحجمه وموضع الالتصاق من الجسم ؛ لذا فهي كما يأتي :

أولاً: التوائم المكتملة:

يتميز هذا النوع من التوائم المتلاصقة في أن لكل واحد منهما أعضاء كاملة، مستقلة عن أعضاء الآخر لا يشترك بها مع توأمه الآخر، ويكون الالتصاق بينهما مقتصراً على الجزء السطحي من الجسم أو من خلال الاشتراك في جزء من عضو[882]، كالاتصال بالصدر، وهذا يعد الأكثر وقوعاً ؛ إذ تتراوح نسبته من 40-50% ، ويقع الاشتراك عادة على عظام الصدر والقلب وكذلك الكبد، أو الاتصال بالبطن مثل الالتصاق بالأمعاء والقولون، والأعضاء التناسلية أيضاً، وكذلك الالتصاق يقع في منطقة الورك، والحوض، والرأس وهذا الأخير أقل الأنواع وقوعاً وأصعبها عندما يكون الاتصال بأغشية المخ أو المخ نفسه[883]، ومثلما يقع الاتصال في الأجزاء العلوية فإنه يقع في الأجزاء السفلية كذلك.

ثانياً: التوائم شبه المكتملة:

تعد جميع أعضاء جسم الانسان أساسية في المسير الطبيعي للحياة، لكن أهمية هذه الأعضاء مختلفة من عضوٍ الى آخر على قدر مساهمته في بقاء الانسان على قيد الحياة كالقلب والرأس و الكلى و الأضلاع... إلخ، ومنها ما يلعب دوراً رئيساً ومنها ما يلعب دوراً ثانوياً، كما أن التوائم شبه المكتملة يكون فيها لكل من التوأم أعضاء أساسية للحياة كالرأس والقلب، وتكون مستقلة لكل واحد منهما، والالتصاق يحدث في الأعضاء غير الأساسية، أو بعبارة أخرى : أقل خطورة من حيث مدى تأثيرها على جسم الانسان مثل الكبد والأمعاء والمرارة ...الخ[884].

ثالثاً: التوائم الطفلية:

إن هذا النوع من التوائم يكون من خلال وجود جزء من جنين يكون محمولاً بجانب الجنين الآخر،

(880) ينظر: عبدالله بن عبد العزيز الربيعة، المرجع السابق، ص3.

(881) ينظر: أحمد الحويتي، أسلوب تطويل العمل الإصلاحي والتهذيب في الدول العربية، الفكر الشرطي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، المجلد(4)، العدد(2)، 1993.

(882) ينظر: عبدالله بن عبد العزيز الربيعة، التوائم السيامية، المرجع السابق، ص5.

(883) ينظر: عبد الفتاح محمود أدريس، فصل التوأم المتلاصق وموقف الفقهاء منه، بحث منشور، المجمع الفقهي الاسلامي، مكة المكرمة، 2010، ص19.

(884) ينظر: منال يوسف عز الدين، التوائم السيامية(اجهاضها، وفصلها، وأحكام العبادات)، المرجع السابق، ص13.

وتكون نتيجة عدم اكتمال التكوين في أحد التوأمين[885]، ومن ثمَّ يولد على شكل جزء من جسم يفتقر إلى مقومات الحياة ويعد متطفلاً على شقيقه الآخر، هذا ما دعا العلماء إلى تسمية هذا النوع من التوائم بالطفيلي[886].

وتجدر الإشارة إلى أن الحياة موجودة في أحدهما دون الجزء الآخر الطفيلي، ويعتمد هذا الأخير بشكل كامل على الدم الذي يأتيه من توأمه[887]، ويكون بأشكال مختلفة وحالات متعددة منها ما يكون متصلاً بالرأس، أو البطن أو الأطراف السفلية[888]، وكذلك يكون في حالة الجنين الذي يتكون داخل بطن أخيه التوأم وهو ما يسمى بالتوأم المختفية[889].

المطلب الثاني

الطبيعة القانونية للمساهمة في جرائم التوائم المتلاصقة

قد تقع الجريمة أحياناً من الجاني بصورة أصلية، أي أن الجاني يخطط ويفكر وينفذ لوحده أو مع شخص أو أشخاص آخرين يساهمون معه بصورة أصلية، كل واحد منهم يعد فاعلاً أصلياً في الجريمة، وأحياناً أخرى تكون المساهمة في الجريمة هي مساهمة تبعية من خلال الاتفاق أو المساعدة أو التحريض[890]، والسؤال الذي يطرح هنا : هل مساهمة التوأم في حال ارتكاب الجريمة من أحدهما هي مساهمة أصلية أم تبعية ؟ هذا ما سنجيب عليه في الفرعين الآتيين.

الفرع الأول

المساهمة الأصلية

يعد المساهم الأصلي فاعلاً بارزاً للجريمة، والذي يقوم بالدور الأساسي والأفعال الرئيسة للجريمة وذلك بارتكابها لوحده أو مع غيره، أو من خلال المساهمة في ارتكابها في حال إذا كانت هذه الجريمة تتكون من عدة أفعال ؛ فيساهم عمداً بأحد هذه الأفعال المكونة لها، كذلك يعد مساهماً أصلياً من دفع آخر بأي وسيلة كانت من أجل ارتكاب الجريمة وكان هذا الأخير غير مسؤول جزائياً[891]، وهو ما يسمى (بالفاعل المعنوي)[892].

يتضح لنا من خلال تعريف المساهمة الأصلية أنها من الممكن أن تحصل من خلال شخص

(885) ينظر: عبد الفتاح محمود إدريس، فصل التوأم المتلاصق وموقف الفقهاء منه، المرجع السابق، ص16.

(886) ينظر: عبدالله بن عبد العزيز الربيعة، التوائم السيامية، المرجع السابق، ص5.

(887) ينظر: منال يوسف عز الدين، التوائم السيامية،(اجهاضها، وفصلها، وأحكام العبادات)، المرجع نفسه، ص-15 .16

(888) ينظر: عبدالله بن عبد العزيز الربيعة، التوأم السيامية، المرجع السابق، ص5.

(889) يعد هذا النوع من التوائم نادر الحدوث، حيث يكون في داخل الجنين المكتمل النمو والأعضاء، جنين آخر غير مكتمل، قد يكون ميتاً أو ظاهراً، يشكل في تجويف الجنين الأصلي ما يشبه الورم المختفي، وقد يحدث هذا نتيجة دخول بويضة مخصبة إلى داخل تجويف بدنه خلال مرحلة من مراحل تخلقه، فينتج عنها هذا الجنين المتخفي، واختفاء هذا الجنين في تجويف بطن الآخر يمكن الوقوف عليه عن طريق وسائل الكشف المبكر عن الحمل، غاية ما هنالك أنه قد يتمكن المختص من اكتشافه إن كان ظاهراً في الأشعة، وقد يختفي لسنوات عدة بعد ولادة الجنين المختفي بداخله على هيئة ورم، وقد ينتج عن استئصاله من البدن المختفي فيه هلاك صاحب هذا البدن في بعض الحالات.
ينظر في ذلك: عبد الفتاح محمود إدريس، فصل التوأم المتلاصق وموقف الفقهاء منه، المرجع السابق، ص17.

(890) ينظر: المادة (48) من قانون العقوبات العراقي النافذ.

(891) ينظر: المادة (47) من قانون العقوبات العراقي النافذ.

(892) الفاعل المعنوي: هو كل من دفع بأية وسيلة شخصاً آخر لتنفيذ الفعل المكون للجريمة إذا كان هذا الشخص غير مسؤول جزائياً عنها لأي سبب من الأسباب كالمجنون والصبي غير المميز. ينظر في ذلك: أحمد علي المجذوب، التحريض على الجريمة، دراسة مقارنة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1971، ص187.

واحد أو أكثر بشرط تطابق الركن المادي والمعنوي للجريمة، وكذلك اتجاه الإرادة نحو تحقيق النتيجة المرجوة من هذا الفعل أو الأفعال والترحيب بها والقبول بها مهما كانت النتائج، كذلك حالة المساهمة مع غيره في ارتكاب الجريمة بحيث يكون كل فعل يقوم به أحد الجناة كافياً لقيام المسؤولية الجزائية عن الجريمة، كالمشاركة في جريمة السرقة، فمثلاً عندما يتفق ثلاثة أشخاص على سرقة منزلٍ لأحد الأشخاص فيقوم أحدهم بكسر قفل باب المنزل، والآخر يقيد صاحب المنزل، والثالث يستولي على المال، فهؤلاء الثلاثة يمكن إدانتهم بارتكاب جريمة سرقة بوصفهم فاعلين أصليين لها ؛ وذلك بتوافر القصد الجرمي الموحد لجميع الجناة[893]، فالجميع يعدون فاعلين أصليين للسرقة استناداً لمبدأ وحدة الجريمة[894]، وهذا ما أخذ به المشرع العراقي، كذلك في حالة تحريض شخص غير مسؤول جنائياً يعد المحرض فاعلاً أصلياً للجريمة ولا مسؤولية على من قام بالفعل المادي كونه غير مسؤول جزائياً.

إن المساهمة تعد واقع حال في موضوع بحثنا كون مَنْ يرتكب الجريمة شخصين متلاصقين كل واحد منهم له شخصيته المستقلة وإرادته المنفردة، وهذا يتحقق في الغالب عندما يقوم بالجريمة (التوائم السيامية المكتملة)[895]، والذي ذهبت بعض الدول إلى منح الجنسية لكل منهما، بصورة مستقلة ويتم التعامل معهما بصورة مستقلة عن الآخر، فهنا يعد التوأم السيامي فاعلاً أصلياً للجريمة، كذلك لو قام كل واحد منهم بفعل أساسي للجريمة بالإضافة لتوافر القصد الجرمي ؛ فكلاهما يعد فاعلا أصليا للجريمة، ولا خلاف بهذا الخصوص بين أغلب فقهاء القانون الجنائي، إلا أن الإشكال الذي يثار هنا هو في حال رفض أحد التوأم القيام بما يقوم به توأمه الآخر ومشاركته الجريمة، هل يعاقب أحدهما على فعله الجرمي دون الأخر، وفي حال إصدار العقوبة هل تمس التوأم الآخر البريء أم لا ؟

بطبيعة الحال فإن من يرتكب فعلاً مخالفاً لنص عقابي يستحق على ذلك العقاب المقرر في القانون، لكن هذه العقوبة يجب أن لا تتجاوز الجاني إلى غيره ؛ لأن ذلك يتعارض مع مبدأ شخصية العقوبة[896]، إلا أن هذه العقوبة بخصوص موضوع بحثنا تكون واقعة على التوأم الآخر لا محال سواء كانت عقوبة بدنية أو مقيدة للحرية باستثناء العقوبات المالية كالغرامة[897]؛ وذلك في حال وجود ذمة مالية لكل منهما مستقلة عن الآخر.

وإن تطبيق العقوبة البدنية أو المقيدة للحرية على التوأم الجاني تلحق بطبيعة الحال توأمه البريء، وهذا مخالف للنصوص القانونية ويمثل خروجاً عن مبدأ العدالة وتجاوزاً على سياسة القانون الجنائي في ردع ذات المجرم.

ونرى أن الحل لهذه المشكلة يكمن في الآتي:

أولاً: فصل التوائم المتلاصقة إذا كانت هنالك إمكانية لفصلهما عن بعضهما، ومن ثم تكون هناك إمكانية لإيقاع العقاب بأية صورة كانت بحق الجاني وعدم المساس بالبريء منهما.

ثانياً: استبدال العقوبة البدنية أو المقيدة للحرية بعقوبة مالية يتحملها التوأم المجرم منفرداً، ومن ذمته المالية المستقلة.

---

(893) ينظر: المادة (47/3) من قانون العقوبات العراقي النافذ.

(894) ينظر: فوزية عبد الستار، المساهمة الأصلية في الجريمة، أطروحة دكتوراه، القاهرة، 1967، ص90.

(895) ينظر: عبدالله بن عبد العزيز الربيعة، التوائم السيامية، المرجع السابق، ص5.

(896) ينظر: المادة (19/8) من الدستور العراقي الدائم لعام 2005، وينظر أيضاً: السعيد مصطفى السعيد، الأحكام العامة في قانون العقوبات، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962، ط4، ص47.

(897) ينظر: المادة (85) من قانون العقوبات العراقي النافذ.

ثالثا: تشريع قانون خاص يعالج هذه الفئة من الأشخاص بوصفها حالة خاصة لعدم إمكانية القانون النافذ معالجة هذه الحالة النادرة بالنصوص الحالية.

ومن خلال ذلك نرى أن المساهمة الأصلية ممكنة الوقوع في حالة التوأم المتلاصق إذا ما ارتكب التوأم الجريمة معاً، أو قاما بأفعالها المكونة لها أو من خلال التحريض، ولا ضير في إيقاع كل أنواع العقوبات بحقهم تحقيقاً للعدالة، إلا أنها مستحيلة التطبيق في حال ارتكاب الجريمة من أحدهما دون الآخر، وكذلك استحالة تنفيذ العقوبة على أحدهما كونها تمس الطرف الآخر، وهذا يتعارض مع التشريعات العقابية(898)، والدستورية، وكذلك حقوق الانسان(899)، والشريعة(900).

الفرع الثاني

المساهمة التبعية

وهذا النوع على خلاف المساهمة الأصلية ؛ إذ إن المساهمة التبعية تحصل بالاتفاق، أو المساعدة أو من خلال التحريض للفاعل الأصلي، وهذا الأخير هو من يقوم بالعمل الأساسي للجريمة على خلاف المساهم التبعي الذي يكون دوره ثانوياً في الجريمة، مقتصراً على الأعمال التمهيدية دون التنفيذية، لكن لوجود الإرادة الإجرامية ؛ فهم يحاسبون على ذلك حتى وإن كانت أعمالهم تمهيدية غير تنفيذية ؛ فالجريمة هي سلوك إرادي يحضره القانون ويقرَّر لفاعله جزاء جنائي(901).

ومن هنا نرى أن المشرع العراقي قد عاقب على المساهمة التبعية في الجريمة بكافة أشكالها(902) بل أكثر من ذلك عدَّه فاعلاً أصلياً إذا كان حاضراً أثناء ارتكاب الجريمة، ويعد الشريك مجرماً حتى وإن كان المساهم الأصلي غير معاقب بسبب عدم توافر القصد الجرمي أو لأي سبب آخر ((903))، وهذا يدل على أن المشرع العراقي يمنع أي شكل من أشكال التعاون الإجرامي، ويُعاقب عليه طالما كانت النية الإجرامية متوافرة في المساهمة الجنائية.

كما إن المساهمة التبعية في جرائم التوائم السيامية واردة الحصول سواء من قبل أحد التوأم السيامي الآخر، أو من خلال توأم سيامي لتوأم سيامي آخر، سواء بالمساعدة أو الاتفاق، أو من خلال التحريض ؛ فهذه الأفعال ممكنة الوقوع.

وفي حقيقة الأمر فإن المساهمة التبعية إذا حصلت من توأم سيامي لفاعل أصلي في جريمة ما، فلا ضير في ذلك ؛ إذ يعاقب التوأم بالعقوبة المقررة لذلك، إلا أن المشكلة تبرز في حال قيام أحد التوأمين بالجريمة بوصفه فاعلاً أصلياً لها وتوأمه الآخر مساهماً تبعياً في الجريمة، أو قيام أحد التوأمين بالمساهمة التبعية في جريمة فعلها شخص آخر، وهنا تُثارُ إشكالية العقوبة التي يمكن فرضها أو نوعها أو مداها.

---

(898) ينظر: فخري عبد الرزاق الحديثي، شرح قانون العقوبات، القسم العام، العاتك، القاهرة، بدون سنة نشر، ط1، ص387. وكذلك المادة (1) من قانون العقوبات العراقي النافذ.

(899) ينظر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه)، ينظر في ذلك:

https//:www.islamwed.net.library.

بتاريخ 20/8/2019 الساعة 8،41 مساءاً.

(900) ينظر قوله تعالى: چ ...ۋ ۋ ى ى ېـ... چ، سورة الأسراء الآية(15).

(901) ينظر: علي عبد القادر القهوجي، قانون العقوبات، القسم العام، الدار الجامعية، القاهرة، 1988، ص30.

(902) ينظر: المادة (48) من قانون العقوبات العراقي النافذ.

(903) ينظر: المادة (49/1) من قانون العقوبات العراقي النافذ.

ففي الحالة الأولى عندما يقوم التوأم السيامي بالجريمة وكان أحدهما فاعلاً أصلياً والآخر شريكاً له، فإن العقوبة تختلف بطبيعة الحال، فلو افترضنا أن أحد التوأمين قام بجريمة يعاقب عليها بالإعدام، وساعده الآخر في هذه الجريمة من خلال رسم المخطط للقيام بالجريمة.

وقد أوجد المشرع العراقي حلاً لذلك بنصه : (يعد فاعلاً للجريمة كل شريك بحكم المادة (48) من كان حاضراً أثناء ارتكابها يعاقب بالعقوبة المقررة لها، مالم ينص القانون على خلاف ذلك)، وهذا الأمر يعد واقع حال في التوأم السيامي إذا قام أحدهم باعتباره فاعلاً والآخر شريكاً له ؛ فيعاقب التوأم بذات العقوبة المقررة استناداً لنص المادة أعلاه.

إن الجدل يثار في الحالة الثانية عندما يقوم التوأم بالمساهمة التبعية لفاعل آخر في ارتكاب جريمة ما، واستحق على ذلك عقاباً تباعاً لمساهمته في الجريمة، والسؤال الذي يتبادر للذهن هل يتم معاقبة المساهم التبعي بالعقوبة المقررة لمساهمته ؟، وإذا فرضت العقوبة بحقه هل تمس توأمه الآخر البريء ؟

ويمكن الإجابة عن هذه التساؤلات بأن أحد التوائم السيامية إذا ما ثبت عليه قانون ارتكابه لفعل إجرامي بوصفه شريكاً، فإنه يستحق العقاب المقرر لذلك مثله مثل أي مدان آخر، لكن بطبيعة الحال فرض هذه العقوبة سواء كانت بدنية أو مقيدة للحرية، ستلحق توأمه الآخر البريء، وهذا يجافي العدالة ويخالف النصوص الإجرائية، والعقابية، والإنسانية.

لذا نرى استبدال العقوبة المفروضة على أحد التوأمين المرتكب للجرم بإجراء أو تدبير يكون أكثر مناسبة لهذه الحالة من فرض العقوبة البدنية أو المقيدة للحرية، أو تخفيف العقوبة إلى الغرامة بأن تؤخذ من ذمة المجرم من التوأمين كجزاء على ارتكاب الجريمة ؛ وبذلك نكون قد عاقبنا الجاني عقاباً دون أن نمس توأمه الآخر البريء، ومن ثمَّ تحقيق العدالة.

يضاف لذلك أن أغلب الأسئلة ترد في حال إذا قام التوأم المتلاصق السيامي جريمة بحق غيره، وهذا ما أجبنا عليه سابقاً، لكن لم يرد سؤال فيما إذا قام أحد التوأمين بالاعتداء بحق توأمه الآخر، والذي قد يصل إلى حد إزهاق الروح.

نرى أن الإيذاء الذي يقوم بها أحد التوأمين بحق أخيه التوأم هو جريمة إيذاء مكتملة يستحق عليها العقاب، لكن فرض العقاب بحق التوأم المجرم وتحديداً العقاب البدني أو المقيدة للحرية، هو بمثابة جريمة إيذاء أخرى للمجني عليه، كذلك في حال ارتكب جريمة القتل لأخيه التوأم نرى أنه من الممكن أن يُكيَّف على أنه جريمة انتحار ؛ لأن القتل الذي يقع على أحدهم يلحق توأمه الآخر بطبيعة الحال، هذا في حال إتمام الجريمة، لكن إذا توقفت إلى حد الشروع، فهنالك إمكانية مساءلة التوأم المجرم عن جريمة الشروع بالانتحار، والشروع في القتل بحق أخيه التوأم.

كل ذلك يحتم علينا دعوة المشرع العراقي إلى سن نصوص قانونية عقابية تتلاءم وطبيعة الواقعة وأشخاصها، كونها ذات طبيعة خاصة .

المبحث الثاني

الإطار القانوني لعقوبة جرائم التوائم المتلاصقة

لقد تناول المشرع العراقي عقوبة جرائم التوائم المتلاصقة ضمن القواعد العامة، ولم يفرد لها نصوصاً خاصة تعالجها كونها حالة خاصة بسبب التلاصق الموجود ما بين التوأمين، وقد أثار ذلك مشكلة في تحديد طبيعة الاشتراك، ومن ثم تحديد العقوبة المناسبة إذا ما وقعت الجريمة بالاشتراك

من خلال المساهمة المتعددة للجناة وتحديداً ما بين التوأم لانطباقه عليهما كونهما أكثر من شخص واحد، وكذلك إيضاح العقوبة الملائمة إذا ما ارتكبها أحد التوأم.

وفي خضم هذا الإشكال والاختلاف في فرض العقوبة الواردة في القواعد العامة من عدمه، يبرز دور القضاء واجتهاده في إيجاد العقوبة الملائمة لهكذا وقائع مركبة الشخصية، وهذا الأمر دفع المشرع لإيجاد نصوص خاصة تعالج هذه المشكلة القانونية منعاً لأي لبس من الممكن أن يحصل في المستقبل، وكذلك حماية هذه الفئة وحفظ حقوقها ؛ لذا فقد قسمنا هذا المبحث إلى مطلبين تناولنا في الأول منهما عقوبة جرائم التوائم المتلاصقة، والمطلب الثاني خضنا فيه إيضاح دور القضاء في تكييف العقوبة الملائمة.

المطلب الأول

عقوبة جرائم التوائم المتلاصقة

حين يرد مصطلح العقوبة يعلق في أذهاننا العقوبة الاعتيادية التي يمكن فرضها على أي مجرم يخرق النص القانوني، لكن في حالة التوأم المتلاصق يكون الوضع مختلفاً بعض الشيء ؛ وذلك للصعوبات التي قد تواجهنا في فرضها، ومعرفة دور كل منهما أو أحدهما في ارتكاب الجريمة، ومدى معاقبته لوحده أو بالاشتراك مع توأمه الآخر، وهذا ما سنوضحه في فرعي هذا المطلب، والذي سيكون الأول منهما حاملاً لعنوان عقوبة جريمة التوأم بالاشتراك، وفي الثاني سنتناول عقوبة جريمة التوأم بالإنفراد.

الفرع الأول

عقوبة جريمة التوائم بالاشتراك

لقد عُرِّفت العقوبة بتعريفات عديدة منها : (انتقاص وحرمان من كل أو بعض الحقوق الشخصية يتضمن ايلاماً ينال مرتكب الفعل الاجرامي كنتيجة قانونية للجريمة ويتم توقيعها بإجراءات خاصة وبمعرفة جهة قضائية)[904]، كذلك عُدَّت العقوبة (جزاء يحدده المشرع ويفرضه القاضي على كل من ارتكب فعلاً أو امتناعاً يعده القانون جريمة)[905].

إن هذه التعريفات توضح مغبة مخالفة النصوص القانونية، فالمخالف لها سيتعرض للجزاء المتضمن للإيلام المادي أو المعنوي جراء ارتكابه للجريمة، وإن هذه الأخيرة ربما تُرتكب بصورة مشتركة أو على انفراد.

كما أن الاشتراك في الجريمة يأتي بصورة المساهمة الأصلية أو من خلال المساهمة التبعية، فالكثير من الجرائم يشترك بها أكثر من شخص كمساهمين أصليين من أجل التوصل إلى النتيجة المرجوة، وهي بطبيعة الحال تمثل خرقاً للنص القانوني، وأحياناً أخرى للجريمة يكون الفاعل فيها أصلياً والآخرين شركاء له، والأساس الذي يحدد هذه الأدوار في الجريمة كالمساهمة الأصلية أو التبعية، هو الركن المادي وكذلك المعنوي للجريمة ؛ لأن هناك أفعالا بحد ذاتها لا تعد من الجرائم، ولكن لعلاقتها بالنشاط غير المشروع تعد فعلاً غير مشروع (جريمة)[906].

---

(904) ينظر: أحمد فتحي سرور، الوسيط في قانون العقوبات، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ط1، ص298.

(905) ينظر: محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات، القسم العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1967، ط1، ص35.

(906) ينظر: محمود نجيب حسني، المساهمة الجنائية في التشريعات العربية، مطبعة جامعة القاهرة، الكتاب الجامعي،

ويعد الاشتراك في الجريمة بالنسبة للتوأم المتلاصق واقع حال فيما إذا توافرت النية الجرمية لارتكاب الجريمة، وهذه النية قد تكون نية المشاركة كفاعلين أصليين في الجريمة، أو يكون القصد من الاشتراك هو في الأمور الثانوية للجريمة فقط كمساهم تبعي من أجل مساعدة الفاعل الأصلي في جريمة.

ولا إشكال في أنواع العقاب بحق التوأم المتلاصق بوصفهما فاعلين أصليين للجريمة يستحقان العقاب، مع الأخذ بعين الاعتبار وضعهما الصحي والحالة الجسمانية لهما كونها حالة نادرة الوقوع، لكن المشكلة القانونية تتجلى في حال المشاركة التبعية للجريمة من أحد التوأمين المتلاصقين مع توأمه الآخر الذي يقوم بدور الفاعل الأصلي للجريمة ؛ فعقوبة المساهم التبعي الذي يقوم بالأعمال التمهيدية أو المجهزة أو المسهلة للجريمة تختلف عن عقوبة الفاعل الأصلي، وإن كان المشرع قد اعتبر العقاب واحداً للفاعل الأصلي والشريك في الجريمة[907]، وهذا يجافي العدالة، ويخل بالغاية من العقوبة وهو الردع والإصلاح.

كذلك يعد الشريك فاعلاً في حال تواجده أثناء ارتكاب الجريمة ويعاقب بالعقوبة المقررة لها[908]، وهذا يعتبر واقع حال بالنسبة للتوأم المتلاصق ؛ لتواجدهما أثناء ارتكاب الجريمة، ومن ثمَّ فإن هذا النص ينفي الغاية من تقسيم مرتكبي الجريمة إلى فاعل أصلي أو شريك له.

لذا ندعو المشرع العراقي إلى تعديل هذا النص وأن يحذو حذو المشرع المصري[909]، بهذا الخصوص وهو عدم النص على ذلك والالتزام بالنصوص الخاصة للفاعل الأصلي، وكذلك للشريك باعتباره صاحب الدور الثانوي في الجريمة فعقوبته تكون مختلفة عن عقوبة الفاعل الأصلي .

الفرع الثاني

عقوبة جريمة التوائم بالانفراد

مثلما ترتكب الجريمة من التوأم المتلاصق بالاشتراك، فإنها من الممكن أن تقع من أحد التوأمين المتلاصقين على انفراد سواء أ كان الفاعل أصلياً أو شريكاً في الجريمة، فقد يرتكب أحد التوأمين جريمة ما لوحده دون توأمه الآخر، أو قد يشارك مع آخر بجريمة كمساهم تبعي من خلال تقديم المساعدة له أو بالاتفاق معه ... إلخ من صور الاشتراك[910]، وهنا تثار مشكلة العقاب لهذا الفرد من التوأمين، أهناك إمكانية لمعاقبته منفرداً استناداً لمبدأ شخصية العقوبة[911]، أم أن العقوبة قد تلحق توأمه الآخر البريء؟

في حقيقة الأمر، إن العقوبة بمختلف أشكالها سواء كانت بدنية[912] أو مقيدة للحرية[913]، وحتى المالية[914] إذا كانت شخصيتهما القانونية واحدة، فإنها تلحق التوأم الآخر البريء الذي لا ذنب له

1992، ط1، ص276،

(907) ينظر: المادة (49/2) من قانون العقوبات العراقي النافذ.

(908) ينظر: المادة (49/1) من القانون نفسه.

(909) ينظر المواد (40، 41، 42) من قانون العقوبات المصري النافذ.

(910) ينظر: المادة (48) من قانون العقوبات العراقي النافذ.

(911) ينظر: المادة (19/8) من الدستور العراقي الدائم لعام 2005.

(912) ينظر: فخري عبد الرزاق الحديثي، شرح قانون العقوبات، القسم العام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ط2، ص387.

(913) ينظر: المادة (87) من قانون العقوبات العراقي النافذ.

(914) ينظر: المادة (91) من قانون العقوبات العراقي النافذ، والمادة (69) من قانون العقوبات المصري النافذ، كذلك المادة (22) من قانون العقوبات الأردني النافذ.

سوى أنه شقيق ملاصق لتوأمه الآخر المجرم، وهذا يتعارض مع مبدأ شخصية العقوبة وتعد مخالفة صريحة لحقوق الانسان(915).

ويرى بعضهم (916) أن هنالك إمكانية لفرض العقوبات البديلة(917)، لأحد التوأمين المتلاصقين في حال ارتكابه جرماً دون توأمه الآخر، بديلة لعقوبة السجن أو الحبس أو الغرامة.

لكننا لا نؤيد هذا الرأي ؛ لأن العقوبات البديلة حتى وإن لم يكن فيها إيلام بدني أو تقييد للحرية أو انتقاص للذمة المالية، فإن فيها إرهاقاً ومساساً بالتوأم الآخر البريء، ومن ثمَّ فإن هذا الرأي يخفف من وطأة العقاب الواقع على كلا التوأمين دون إيجاد حل ملموس لدفع العقاب الواقع ظلماً على التوأم الآخر البريء، وهذا الرأي نؤيده عندما يكون الاثنين شريكين في جريمة أو فاعلين أصليين استناداً لمبدأ تفريد العقاب(918) لكن في حال كان أحدهما مجرماً والآخر ليس مجرماً فإننا ندعو إلى فصلهما طبياً إذا كانت هناك إمكانية لفصلهما بتداخل جراحي دون ضرر لأحدهما، وإلا فالغرامة تكون أفضل عقوبة في مثل هذه الحالات كونهما مستقلين مادياً أحدهما عن الآخر.

المطلب الثاني

دور القضاء في تكييف العقوبة الملائمة

إن التكييف يعد مسألة في غاية الصعوبة والأهمية في الوقت نفسه ؛ لما تحمله من تغيير لوقائع قانونية من صنف إلى آخر، ومن بريء الى مذنب والعكس صحيح، هذا الدور ملقى على عاتق القضاء من خلال الجهود التي يقوم بها القضاة فيما يعرض عليهم من وقائع قانونية مركبة أو فيها بعض اللبس يدعوهم الى الاجتهاد وإيجاد التكييف الملائم الذي يحقق العدالة، والتي يجب فيها أن تكون متلائمة مع الوصف القانوني للمشرع، وهذا ما سنتناوله في فرعي هذا المطلب ؛ إذ سنوضح في الفرع الأول منه دور الاجتهاد القضائي في تحديد العقوبة الملائمة، وفي الفرع الآخر سنبين دور المشرع في معالجة عقوبة جرائم التوائم.

الفرع الأول

دور الاجتهاد القضائي في تحديد العقوبة الملائمة

أجاز المشرع للقضاء أن يمارس دوره في الاجتهاد وإيجاد الحكم الملائم لما يعرضه عليه من

(915) ينظر: محمود نجيب حسني، المساهمة الجنائية في التشريعات العربية، المرجع السابق، ص55.

(916) ينظر: نوزاد أحمد ياسين الشواني، المسؤولية الجنائية عن التوأم المتلاصقة (دراسة مقارنة)، مجلة الكوفة، العدد(36)، ج2، 2018، ص136.

(917) ينظر: العقوبات البديلة هي: (مجموعة من التدابير والإجراءات التي يتخذها المجتمع في معاقبة المخالفين للقوانين عوضاً عن ايداعهم السجن بما يكفل تحقيق أغراض العقوبة من تربية وتأهيل وتفادي سلبيات السجن)، وكذلك تم تعريفها على أنها : (استبدال عقوبة السجن بعقوبات أخرى بديلة مثل العمل بالخدمة العامة والحجز في السجن أثناء العطلة الأسبوعية وذلك على غرار التجارب الناجحة في العديد من دول العالم التي أكدت على سلبيات السجن وأثاره المدمرة على السجين وذويه والمجتمع وذلك بهدف اعادته عضواً نافعاً بالمجتمع). ينظر في ذلك: غيداء عبد الرحمن محمد الحربي، العقوبات البديلة لعقوبة السجن، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإنسانية، جامعة القصيم، 2017، ص18-17.

(918) تفريد العقاب: هو (جعل العقوبة ملائمة لظروف المجرم الشخصية المتمثلة في تكوينه الجسمي والنفسي والاجتماعي وحالته قبل وأثناء وبعد ارتكاب الجريمة وطريقة ارتكاب الجريمة والوسائل المستعملة في ارتكابها والأضرار التي أصابت المجني عليه أو المجتمع من جراء الجريمة المرتكبة والباعث على ارتكاب الجريمة)، ينظر: علي حسين الخلف، سلطان الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، القسم العام، العاتك، القاهرة، 2010، ص443.

وقائع، لكن بحدود القانون وضمن مبدأ الشرعية الجنائية ؛ إذ نص المشرع على أنه (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص)[919] ومن ثم لا يجوز للقاضي أن يخرج خارج إطار النص القانوني، فإذا أراد الاجتهاد فليجتهد بحدود النص، وإلا سنكون أمام خروج من حدود سلطة لأخرى، وهذا يعد تجاوزاً على مبدأ الفصل ما بين السلطات[920].

إن القضاء يمارس دوراً مهماً وبارزاً مع المشرع في تحديد الجزاء الملائم للوقائع المعروضة أمامه من أجل تحقيق العدالة، وفي الغالب يظهر الاجتهاد القضائي عندما تكون الجريمة ينطبق عليها أكثر من نص قانوني، أو ينطبق عليها أكثر من قانون، وفي بعض الأحيان لا يوجد نص خاص يتناول واقعة ما، أو عدم كفاية النص العام في معالجة الواقعة القانونية المعروضة أمام القضاء، وهذا ما نجده في موضوع بحثنا في جرائم التوائم المتلاصقة إذ ما ارتكبوها بوصفهم مساهمين أصليين أو تبعيين مع بعضهم أو مع غيرهم.

ولم تعرض على القضاء العراقي واقعة جنائية من هذا النوع إلى يومنا هذا، وربما السبب في ذلك الى قلة أو ندرة مثل هكذا حالات، لكنها ممكنة الوقوع، وإذا ما وقعت سيواجه القضاء العراقي حتماً مشكلة الفراغ التشريعي في معالجة جرائم هكذا فئة من المجتمع، بسبب تواجد شخصين في جسم واحد.

كما أن القضاء سيواجه مشكلة أخرى في حال كان أحدهما بريئاً والآخر مذنباً، ففي حال فرض العقوبة الأخيرة فإنها ستلحق حتماً الآخر البريء وسيؤخذ بجريرة أخيه[921]، وهذا ما يتعارض مع مبدأ شخصية العقوبة[922].

وفي ضوء ما تقدم نجد أن القضاء إذا ما عرضت عليه هكذا واقعة فإنه ملزم بالاجتهاد في حدود النص القانوني ؛ وذلك من أجل معالجة حالة نادرة غفل المشرع عن معالجتها، ربما لعدم وجود هكذا حالة أو ندرتها، وسيلقى الثقل على عاتق المحكمة لمعالجة واقعة تعتبر واقع حال لابد من إيجاد الاجتهاد الملائم لها.

ونرى أن القضاء العراقي في حقيقة الأمر في وضع لا يحسد عليه إذ ما عرضت عليه مثل هكذا واقعة ؛ لأن المشرع العراقي ما زال ساكناً ولم يتحرك لمعالجة هكذا حالة، وسيكون القضاء أمام حلول قليلة ربما تساعده في إيجاد الاجتهاد القانوني الملائم لجرائم التوائم المتلاصقة، **ومن هذه الحلول ما يأتي:**

1- فصل التوأم المتلاصق إذ ما كانت هناك إمكانية طبية لفصلهما، كي يتسنى للمحكمة فرض العقوبة على أحدهما دون الآخر البريء.

2- تغيير العقوبة من بدنية أو مقيدة للحرية إلى مالية تؤخذ من الذمة المالية للتوأم المجرم دون أخيه البريء، مع الإبقاء على الوصف القانوني للجريمة.

3- اتخاذ التدابير الملائمة لتنفيذ العقوبة بحق التوأم المتلاصق إذا ما تمت إدانتهم، كونهما يمثلان حالة نادرة، أوضحت بصورة جلية النقص التشريعي اللازم لمعالجة مثل هكذا حالات.

(919) ينظر: المادة (1) من قانون العقوبات العراقي النافذ.
(920) ينظر: المادة (47) من الدستور العراقي الدائم لعام 2005.
(921) ينظر: Wwws.al-eman.com بتاريخ 27/8/2019، الساعة، 15 مساءً.
(922) ينظر: المادة (19/8) من الدستور العراقي الدائم لعام 2005.

الفرع الثاني

دور المشرع في معالجة عقوبة جرائم التوائم

التشريع هو : (مجموعة القواعد القانونية التي تضعها السلطة المختصة في صورة مكتوبة)[923]، وعرفه آخرون بأنه : (القواعد القانونية المكتوبة والصادرة عن السلطات المختصة «السلطة التشريعية»)[924].

ويمثل التشريع خارطة طريق المجتمع التي تنظم سلوكه على نسق معين يتلاءم وطبيعة الدولة المتأتية من إرضاء المجتمع الموجود فيه ؛ لأن التشريع هو ما يعبر عن لسان المجتمع في تنظيم أحواله كي يعيش بسعادة على جميع الأصعدة المدنية والاقتصادية والسياسية والجنائية... إلخ.

وما يهمنا من ذلك هو القانون الجنائي كونه يمس موضوع بحثنا، فالسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان، هل تناول القانون الجنائي العراقي بالنص جرائم التوأم المتلاصق (**السيام**) أم لا؟

في حقيقة الأمر لم يتناول المشرع الجنائي العراقي وغيره من المشرعين الآخرين تنظيم جرائم التوأم المتلاصق، وإصدار الإجراءات الكفيلة بمنع جرائم هذه الفئة أو ردعها والمعاقبة عليها في حال ارتكابها، ويلجأ القاضي إذا ما عرضت عليه واقعة جنائية للنصوص العامة إلى إصدار الجزاء العادل لهذه الواقعة، إلا أن النص العام بطبيعة الحال غير كافٍ وغير ملائم لطبيعة هذه الجرائم، وللخصوصية التي يتمتع بها مرتكبوها كونهم يمثلان حالة خاصة ونادرة ألا وهي الالتصاق بجسم واحد، وهذا يثير مشاكل قانونية عند إصدار العقوبة، والتي قد تضر شخصاً لا علاقة له بالجريمة سوى أنه شقيق لتوأمه الآخر المجرم. ولغاية اليوم لم يصدر تشريع يتعامل مع هذه الحالة بصورة صحيحة لا تخالف الأسس العامة للسياسة الجنائية المتبعة في الدول، هذا ما يحتم علينا دعوة المشرع العراقي إلى سن قانون خاص يعالج مشكلة جرائم التوأم المتلاصق (السيامية) بصورة سليمة مراعياً في ذلك الوضع الصحي الذي يمر فيه كونه يمثل حالة استثنائية.

الخاتمة

بعد أن انتهينا من كتابة بحثنا هذا، لابد لنا من إيراد ما توصلنا اليه من نتائج، ومقترحات ربما تسهم كثيراً في إيجاد بعض الحلول الملائمة لمشكلة جرائم التوائم المتلاصقة (**السيامية**)، والتي تبدو جلية عند إصدار العقوبة، وهي كما يأتي :

أولاً- النتائج:

1- يتضح لنا أن التوأم المتلاصق هو مولود من بويضة واحدة تنقسم إلى حملين لكن هذا الانقسام لا يستمر بصورة كلية، بل يبقى بعض الاتصال ما بين جسمي التوأم مما ينتج عن ذلك ولادتهما بصورة متلاصقة، وسمي **ب .(السيامي)** نسبة الى دولة **(سيام)** فيتنام حالياً لولادة توأم سيامي فيها.

2- لم تُعرف التشريعات القانونية وفي مقدمتها العراقية، التوأم المتلاصق كي تعالج هذه المشكلة، وقلتها في الفقه، ربما يعود السبب في ذلك إلى ندرة هذه الحالة.

3- لا يوجد نص خاص في قانون العقوبات يعالج جرائم التوأم المتلاصق ويحسم الجدل الذي يثار بشأنها.

---

(923) ينظر: بشرى النية، الدخل لدراسة العلوم القانونية، محاضرات ألقيت في كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، فاس، 2017-2016، ص5.

(924) ينظر: عزيز كاظم جبر الخفاجي، مبادئ أساسية لمدخل العلوم القانونية، دار الكتب والوثائق، مطبعة الميزان، بغداد، 2013، ص143.

4- اعتماد المحاكم على النصوص العامة في معالجة هذا النوع من الجرائم المرتكبة من هذا الصنف من الأشخاص، قد يسبب انتهاكاً لحقوق الإنسان ؛ لأن هذا التطبيق لا يخلو من التجاوزات القانونية والتي قد توقع عقوبة على شخص بريء لا ذنب له سوى أنه شقيق لتوأمه المجرم.

5- كذلك الفقه الشرعي لم يعالج هذه المسألة، سوى أنه أصدر بعض الفتاوى لحالات محددة متعلقة برضا التوائم على إجراء عملية الفصل بحقهم من عدمه، وهل يمكن إجراء العملية دون موافقتهم، فصدرت الفتوى بترك الأمر لأهل العلم والتخصص فيها إذا كانت عملية الفصل في مصلحة التوأم أم لا ؟ وهي حالات قليلة.

6- لا يجوز تطبيق العقوبات البدنية والمقيدة للحرية، كونهما تمس التوأم الآخر في حال ما إذا كان أحدهما مجرماً، لكنها ممكنة التطبيق لو كان كلاهما مجرماً.

7- إمكانية فرض العقوبة المالية كونها تمس الذمة المالية لأحدهما المجرم دون الآخر .

ثانياً- المقترحات:

1- ندعو المشرع العراقي إلى وضع تعريف شامل جامع مانع يوضح مفهوم التوأم المتلاصق ؛ لمنع اللبس الحاصل في الجرائم الواقعة منهم.

2- ندعو المشرع العراقي إلى سن قانون خاص لجرائم التوأم المتلاصق أو تعديل قانون العقوبات بما يتلاءم وجرائم هذه الفئة من الأشخاص.

3- إن الفقه الشرعي تناط به مسألة مساندة المشرع في حل المشاكل الفقهية الشرعية المتعلقة بذات الموضوع وتحديداً في عملية فصلهما طبياً وما تحتاجه هذه العملية من موافقة ذوي العلاقة من عدما.

4- نقترح على القضاء استبدال العقوبة المقررة لجرائم التوأم المتلاصق من العقوبات البدنية أو المقيدة للحرية إلى الغرامة.

5- ندعو المشرع إلى وضع مراكز طبية بكوادر متخصصة تعمل على وضع إجراءات وتعليمات وقائية تساعد على منع مثل هكذا حمل من خلال توخي الحذر أثناء الحمل ومع كل ما يسبب حالات التشوه الخلقي هذا، وكذلك توفير الكفاءات الطبية القادرة على معالجة مثل هكذا حالات معقدة كما هو الحال في الدول الأخرى مثل السعودية وأمريكا وسنغافورة ؛ إذ أصبحت رائدة في مجال معالجة وفصل التوأم المتلاصق.

«تم بحمد الله»

المصادر

القرآن الكريم

أولاً- معاجم اللغة العربية:

1. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (تأم)، ج1، بدون دار نشر، بدون مكان نشر، 1979، ط1.
2. ابن سيدة، المخصص، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996.
3. ابن منظور، لسان العرب، (تأم)، ج2، دار صادر، بيروت، بدون سنة نشر، ط1.

ثانياً- الكتب

1. أحمد علي المجذوب، التحريض على الجريمة، دراسة مقارنة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1971.

2. أحمد فتحي سرور، الوسيط في قانون العقوبات، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991، ط1.
3. أكرم نشأت إبراهيم، القواعد العامة في قانون العقوبات المقارن، الدار الجامعية، بيروت، 1990، ط1.
4. جمال إبراهيم الحيدري، علم الإجرام المعاصر، جامعة بغداد، كلية القانون، بغداد، (د. ت).
5. السعيد مصطفى السعيد، الأحكام العامة في قانون العقوبات، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962، ط4.
6. عزيز كاظم جبر الخفاجي، مبادئ أساسية لمدخل العلوم القانونية، دار الكتب والوثائق، مطبعة الميزان، بغداد، 2013.
7. علي حسين الخلف، سلطان الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، القسم العام، العاتك، القاهرة، 2010.
8. علي حسين الخلف، سلطان عبد القادر الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، القسم العام، المكتبة القانونية، بغداد، (د. ت) .
9. علي عبد القادر القهوجي، قانون العقوبات، القسم العام، الدار الجامعية، القاهرة، 1988.
66. 10. فخري عبد الرزاق الحديثي، شرح قانون العقوبات، القسم العام، العاتك، القاهرة، ط1، (د. ت).
67. 11. فخري عبد الرزاق الحديثي، شرح قانون العقوبات، القسم العام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ط2.
68. 12. محمود نجيب حسني، المساهمة الجنائية في التشريعات العربية، مطبعة جامعة القاهرة، الكتاب الجامعي، 1992، ط1،
69. 13. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات، القسم العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1967، ط1.

ثالثاً- الدوريات:

1. أحمد الحويتي، أسلوب تطويل العمل الإصلاحي والتهذيب في الدول العربية، الفكر الشرطي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، المجلد(4)، العدد(2)، 1993.
2. بشرى النية، المدخل لدراسة العلوم القانونية، محاضرات ألقيت في كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، فاس، 2017-2016.
3. عبد الفتاح محمود إدريس، فصل التوأم المتلاصق وموقف الفقهاء منه، بحث منشور، المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، 2010.
4. عبدالله بن عبد العزيز الربيعة، التوائم السيامية، بحث منشور في المجمع الفقهي الإسلامي، الدورة العشرون، مكة المكرمة، 2010.
5. غيداء عبد الرحمن محمد الحربي، العقوبات البديلة لعقوبة السجن، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإنسانية، جامعة القصيم، 2017.
6. فوزية عبد الستار، المساهمة الأصلية في الجريمة، أطروحة دكتوراه، القاهرة، 1967.
7. منال يوسف عز الدين، التوائم السيامية (إجهاضها، وفصلها، وأحكام العبادات)، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012.
8. نوزاد أحمد ياسين الشواني، المسؤولية الجنائية عن التوأم المتلاصقة (دراسة مقارنة)، مجلة الكوفة، العدد(36)، ج2، 2018.

رابعاً- التشريعات:

1. قانون العقوبات المصري رقم 58 لسنة 1937.
2. قانون العقوبات الأردني رقم 16 لسنة 1960.
3. قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969.
4. الدستور العراقي الدائم لعام 2005.

خامساً- مصادر الإنترنت:

1 . Htt://www.ahlhdeeth.com/vb/showthread.php?=
2 .http://www.maajim.com.dictionary
3 library.net.islamwed.www//:https
4 Wwws.al-eman.com

3-الخطاب السياسي في لبنان واجتزاؤه في وسائل الإعلام ... غياب الرؤية المهنية والحاجة الملحة للتجديد...

Political discourse in Lebanon and its segmentation in the media Lack of professional vision and an urgent need for renewal

بقلم الدكتور خالد ممدوح العزي

صحافي وكاتب ومحلل سياسي

محاضر في كلية الاعلام /الجامعة اللبنانية

dr_izzi2007@hotmail.com

Summary:

The media, specifically television, use it to transmit political speeches directly at a time and place, or to present them via video reports at a later time, as the content of the speech, whether political or media, reflects part of its privacy or part of the ideological functions of generalizing the private, masking reality and integrating into the function of private generalization. Its essence is nothing but a systematic process of the intellectual system, whereby attention is focused on the aspects presented by reasonable and accepted assumptions as a sufficient reason for the understanding and interpretation of the dominant class or group that creates ideology by determining the occurrence of the phenomena to be fixed in light of the selective principle of what is appropriate for the good and its objectives.

Therefore, the media content, which consists of a large number of texts or speeches that come in often stereotypical forms and are based on stylistic traditions and symbols issued by the culture of the authors and recipients of the texts, is therefore in the process of semiological analysis to reveal more meanings involved in the text, especially since the semiology It can be applied in more than one symbolic system in presenting the required content, and this is consistent with the station's ideological orientation and its political inclination to stabilize ideas and political orientations; It is not according to what the objective professional demands in the transmission and broadcasting process, which every media station tries to manipulate the presentation of ideas to suit its position, with the image it is trying to present about the preacher and his speech, so that the monitor can cut the clips and compose them according to the ideas required to be displayed and not preserve the content that this process is called Professional practical language cutting

discourse. This study aims at the role of the media in Lebanon to cut through the political discourse and use it to tighten the nerve of the popular incubators following the channel in order to form a popular opinion for each group.

From here we conclude that tampering with the concepts of the text through cutting or fabricating speeches and political sayings will in turn lead to confusion of information for private interests.

الملخص:

تستخدم الوسائل الاعلامية وتحديدا التلفزيونية منها نقل الخطابات السياسية مباشرة في الزمان والمكان او تقديمها بواسطة تقارير مصورة لاحقا حيث يعكس مضمون الخطاب سواء أكان سياسياً أم إعلاميا في جزء من خصوصيته أو جزء من وظائف الأيديولوجية المتمثلة في تعميم الخاص وتقنيع الواقع والإدماج في وظيفة تعميم الخاص. وجوهرها ليس إلا عملية منهجية للنظام الفكري، حيث يتم تركيز الاهتمام على الجوانب التي تقدمها الافتراضات المعقولة والمقبولة كسبب كافٍ للفهم والتفسير من الطبقة أو الفئة المسيطرة والخالقة للأيديولوجية عبر تحديد صيرورة الظواهر المراد تثبيتها في ضوء المبدأ الانتقائي لما يتلاءم والصالح والأهداف الخاصة بها.

لذلك يشكل مضمون وسائل الإعلام الذي يتكون من عدد كبير من النصوص أو الخطابات التي تأتي على أشكال نمطية في الغالب وتستند إلى تقاليد أسلوبية ورموز صادرة عن ثقافة مؤلفي النصوص ومتلقيها، ففي عملية التحليل السيميولوجي يمكن الكشف عن المزيد من المعاني التي ينطوي عليها النص خاصة وان السيميولوجيا يمكن تطبيقها في أكثر من نظام رمزي واحد في عرض المضمون المطلوب وهذا ما يتناسب مع الاتجاه الايديولوجي للمحطة وميولها السياسي لتثبيت الافكار وتوجهات السياسية ؛وليس بحسب ما تطلبه المهنية الموضوعية في عملية نقل والبث التي تحاول كل محطة اعلامية التلاعب بعرض الافكار بما يناسب موقفها وذلك مع الصورة التي تحاول تقديمها عن الخطيب وخطابه بحيث يتمكن المونتير من قص اللقطات وتركيبها بحسب الافكار المطلوب عرضها وليس المحافظة على المضمون في اللغة العملية المهنية اجتزاء الخطاب.

وتهدف هذه الدراسة الى تبيين دور وسائل الاعلام في لبنان الى اجتزاء الخطاب السياسي واستخدامه في شد عصب الحواضن الشعبية المتابعة للقناة من اجل تشكيل رأي شعبي خاص لكل فئة .

من هنا نستنتج بان التلاعب بمفاهيم النص من خلال الاجتزاء او الفبركة للاحاديث والأقوال السياسية ستؤدي بدورها الى تشويش المعلومة لمصالح خاصة.

الاشكالية:

ان البحث يطرح الاشكالية التي تعمل على تناول الخطاب في الدراسات الإعلامية يشير إلى شكل أو أنموذج من استخدامات اللغة وفي المعنى الإعلامي قد يصلح الخبر ليكون مثالا للخطاب بما يعكسه من اختيار اللغة وأسلوب العرض، أما في علم اللغة فقد كثر استخدام الخطاب للإشارة إلى الأحاديث الأكثر قوة من الجمل، أما تقنيع (أي فرض فكرة بالملموس الظاهري) الواقع فيقصد به استبدال العلاقة المادية أو الوجود المادي الحي بعلاقة أخرى تصورية، أي أن الضرر في إطار الأيديولوجية يعيش علاقته الاجتماعية بالآخرين ليس كما هي قائمة فعلاً وإنما بكل أيديولوجية هذا الواقع .

أهداف البحث :

يهدف الخطاب السياسي إلى تعريف الجماهير المستهدفة بأجندة سلطة سياسية ما، وبأفكارها وتصوراتها ثانيا، بعبارة أخرى، تحاول السلطة السياسية في ضوء خطابها السياسي استشفاف ملامح من اتجاهاتها السياسية للجماهير، لذا فالاسترسال في موضوع الاتصال السياسي لا يقف عند تحديد خصائصه وأشكاله، إنما يتعداه إلى إعطاء تفسير دقيق عن كل شكل من أشكاله ليتحدد الإطار المعرفي له، للحيلولة دون حصول خلط بينها.

ويكمن الهدف في عرضنا للبحث من خلال مفهوم الاجتزاء الذي تستخدمه القنوات المحلية للامور التالية :

1- إن الخطاب الإعلامي يتكون من تشكيلات ونصوص دلالية لغوية وغير لغوية، ذلك أن النص في المفهوم الإعلامي هو كل رسالة تؤدي وظيفة.

2 - الخطاب الإعلامي يهدف إلى إيصال رسالة بأكبر قدر من الفاعلية لتحقيق ما يصبو إليه الفاعل الإعلامي الذي يكيف أهدافه مع طبيعة الرسالة الإعلامية ومتلقيها.

3 - ان الاهتمام بالمضمون في الخطاب الإعلامي لا يعني إهمال الجوانب الشكلية، بل لابد من إبراز قيمتها، ذلك أن لغة الخطاب الإعلامي لا تقتصر على إيصال المضمون للمتلقي ولكن ربطها بالنص من خلال هذه الرسالة.

4 - يتخذ الخطاب الإعلامي فنونا عديدة لإيصال مضمونه، فهو قد يكون تصريحا أو مقالا أو تعليقا وغيرها من الفنون المستخدمة في الحقل الإعلامي.

5 - تكمن اهمية نقل الخطاب في الوسائل الاعلامية المرئية والمسموعة بما يخدم الموضوعية والشفافية والمصداقية التي تعتمد عليها اخلاقية المهنة الاعلامية.

6 - المتلقي لا بد أن يستشف الهدف الذي ينطوي عليه الخطاب الإعلامي في ضوء تمثل رسالته الدلالية بهدف اكتمال عملية الاتصال.

لذلك يمكن القول بأن الهدف الاساسي من نقل الخطاب السياسي بالوسائل السمعية والمرئية والمقروءة المستخدمة في مجال الإعلام أن يأخذ الخطاب جميع هذه الوسائل والأدوات للوصول إلى الجمهور وتشكيل رأي عام من القضية المطروحة دون التلاعب بمضمون الكلام بواسطة الإنتاج.

أسباب اختيار البحث:

يشكل البحث نقطة جديدة في عملية دراسة مفهوم اجتزاء الخطابات السياسية في وسائل الاعلامي اللبنانية التي تشكل نقطة شد عصب للقوى والاطراف المتنازعة في السياسية الداخلية من اجل تحريضها بواسطة خطابات مجتزَأة غير كاملة تشكل رأي عام خاصا.

اهمية البحث:

يشكل البحث نقطة مهمة في التعامل مع وسائل الاعلام لجهة اجتزاء الخطابات السياسية وتحريف المضمون من خلال عرضها بواسطة التقارير الاخبارية المعدة من داخل الاستديو حيث يشكل المطبخ الاسود في بناء حركة دعائية تحريضية بحسب توجهات القنوات المحلية وخاصة اللبنانية التي تمول بواسطة القوى السياسية او راس المال السياسي الذي يضع بصماته في تركيب العملية الخبرية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث بان للخطاب الإعلامي رسالة أعدت بشكل مسبق وفي إطار محدد، وخضعت خلالها لصياغة استدلالية منطقية على وفق قواعد معينة، يترتب على ضوئها منطق الخطاب، مع الأخذ بالحسبان وضوح النص ودقته في التعبير عن الصياغة الخطابية.

يعد الاتصال مفهوما واسعا يشمل في إطاره العام جميع أشكال تبادل الرسائل الشفوية والمطبوعة والمسموعة والمرئية، ولا يخرج الاتصال السياسي عن إطار هذا المفهوم، إلا في أنه يختص بالجانب السياسي ويندرج ضمن إطاره مفاهيم، كالخطاب السياسي والإعلان السياسي والدعاية السياسية، وقد يكون هنالك مفهوم آخر له علاقة صميمة بالاتصال السياسي، مما يطرح العديد من التساؤلات:

1- لمصلحة من هذا الاجتزاء التي تستخدمه وسائل الاعلام اللبنانية؟

2 – ما الهدف من بث هذا الخطاب بالوسائل الاعلامية بهذا الكم والنوع؟

3 – لماذا يتم النظر إلى الخطاب السياسي من وجهة نظر سياسية؟

4 – اين تكمن اهمية الخطاب السياسي في السيطرة على توجهات الجماهير؟

5 – كيف يتم استخدام الخطاب السياسي كدعاية مضادة؟

المنهج المستخدم :

ان المنهج المستخدم في البحث هو المنهج التحليلي الوصفي الذي يربط المعلومات الوصفية بواقع الخطاب السياسي واستخدامه في التلفزيونات المحلية والفضائية وتحليل انعكاساتها السلبية والايجابية على الراي العام وتأثير الافراد بهذه الاستخدامات الاعلامية.

كلمات مفتاح: الخطاب الاعلامي، تواصل، اتصال، اجتزاء، وسائل اعلامية، مضمون الخطاب، بث الخطاب، القنوات التلفزيونية.

المقدمة:

تعيش القنوات الاعلامية ففترة استنهاض للخطاب السياسي والشعوبي، حيث يشكل رافداً اساسياً من روافد العمل الاعلامي لكون الخطاب السياسي احدى الوسائل الاعلامية التي ترتكز عليها الوسائل الاعلامية في تفعيلها واستخدامها لاستقطاب مزيد من المشاهدين للوسيلة المستخدمة .

لذلك فإن الخطاب السياسي وسيلة تواصل واستنهاض شعبي وهو من اقرب وأسهل الاساليب للوصول الى عقول « الجمهور » [(925)]، واكثر من ذلك فإنه، عبارة عن عملية «شحن» للنفوس والعقول (طائفي، مذهبي... قومي ... محلي)، وهذه الطريقة توازي في فعلها كل وسائل الاقناع العلمي والمنطقي، ولا سيما عند الشعوب التي لا تتطلب جرعة كبيرة من الضخ الايديولوجي، وهذا مرتبط بالظروف السياسية والاجتماعية، في لحظات معينة ما قد يشعل حرباً، اي انه خطاب «غب الطلب»، ويكون تأثير ومفعول الخطاب بحسب النبرة التي تكون اقوى على المتلقي[(926)].

الخطاب فضاء واسع يستهدف فيه الخطيب حْمل المُخاطَب على الإقتناع وذلك بالتّوجه إلى العاطفة بوسائل الاستمالة وإلى العقل بالاستدلال[(927)] .

(925) جلال فرحي، كيف تحقق النجاح في المجال الاعلامي، دار الفارابي، بيروت، 2006، ص157.

(926) انطوان وحيد نعيم، فن الخطابة والإلقاء، دار الكتاب العربي، لبنان، 2011، ص79.

(927) د.جليل وادي، الخطاب الاعلامي وادارة الازمات السياسية الدولية، دار الكتاب الجامعي، الامارات العربية، 217،

يعرف الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو (Mechal Fouco) الخطاب بأنه :»النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها، وبنيتها المنطقية، أو تنظيمها البنائي»[928]، ويطرح ميشيل فوكو نظرة متميّزة للخطاب حين ربطه بالسلطة، وإذا كان هناك ارتباط وثيق بين السلطة والخطاب، كما ذهب فوكو إلى أنّ ذلك ليس مجرّد تخطيط، وتنظيم من قبل السلطة فحسب، وإنما علاقة تجمع بين اللغة وأنماط الهيمنة الاجتماعية[929].

وتشير الدراسات إلى أن الطابعين السياسي والدبلوماسي والديني هُما الأكثر حضورًا في الخطابات. وقد تعددت لدى الخطيب الأساليب، وتنوعت مستويات الأداء الفني بما يكفي لضمان سيطرته على مشاعر جمهوره وفكره، فهي تهدف إلى الإفهام والإقناع[930].

إن وضوح اللّغة لديه وفهمه لطبيعة المستمع تؤثران على مدّى فاعلية عملية الاستماع، وتفرض التبادلات الشفهية وجود الآخر، لذا فإن الاشارات الحركية وإيماءات الوجه الإرسال الشفهي، إرسال مألوف ومستمر[931]. لكن قادة الرأي أكثر ابتكارًا من أتباعهم ولديهم أفكار جديدة وقدرة على ابتكار الحلول وتبني المستحدثات أكثر من غيرهم[932].

إن رد الفعل Reaction إحدى سماتِ الخطابِ السياسيَ الناطقة كالتصفيق والهتاف والمديح والتلويح بالصور والشعارات والإعلام، فالخطاب السياسي إقناعيٌّ مقصودٌ، يشارك «العامل البصري» في رؤية الحركات، والإشارات وتفسير الحدث اللّغوي، فهو يُسهم في فهم الفكرة لأن صوت ونغمة الخطاب السياسي بكل ما يعنيه يساعد على توجيه المتلقي إلى أهدافه وإقناعه بها. غرض الخطاب السياسي إقناعي تأثيري، فهو وحدة تواصلية تعتمد على الحكمة والنطق له هدف شامل يتجه إلى سلوك المجتمع تأثيرًا فيه والاهتمام به ثقافيًا وسياسيًا[933].

توجهات السياسي:

يمكن وصف السياسي كالعامل اليومي المياوم، وان كان يحاول ان يمثل دور المؤرخين، ولكن على طريقته وفهمه وتحليله للأمور بحسب ما يشتهي وقد يخطئ او يصيب لكن كل ذلك من ادوات العمل اليومي وبحسب الظروف، اما المؤرخ فلا يصنع الحدث انما يحلله ويعيده الى الظروف التاريخية التي كانت سائدة وان كان هناك الكثير من المؤرخين لا يبحثون عن الحقيقة، بل فقط استحضار التاريخ بحسب خلفياتهم السياسة وهذا الاخطر. إن كلا الطرفين السياسي والمؤرخ له وظيفته الخاصة بعمله.

وفي كثير من الأحيان، فإن السياسي ليس مضطراً للبحث في التاريخ، وإنما يتحول الى ناطق ايديولوجي محدد بفكرة واضحة وصريحة وان بنبرة عالية ولغاية محددة « غاية في نفس يعقوب»، وهنا الخطورة في ذلك. عليه أن ينظر في مصدر الخبر، او الحدث الذي يتناوله لكي يكون مؤثرا وفعالا في هذه الجماهير التي تتلقى الرسالة، وينبغي ان يناقش التاريخ على انه نص سياسي لموقف محدد لا

ص25.

(928) ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت ط2، الدار البيضاء –المركز الثقافي العربي، بيروت،1987، ص100.

(929) الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2000،ص30.

(930) عزيزة عبده، الإعلام السياسي والرأي العام، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص62.

(931) د.خليل بيضون، فن الخطابة تاريخه اركانه وقواعده، دار بعل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2018، ص7.

(932) جلال فرحي، مرجع سابق 2006، ص134.

(933) د.راضية بوبكري، الخِطَاب السّيَاسِي، الخصائص واستراتيجيات التأثير، مجلة جامعة عنابة، المجلد، 5 العدد12، الجزائر 2013، ص 7.

فكري[934]، وهنا فهو مجموعة اخبار متسلسلة ومترابطة كانت سياسية فيما مضى، ثم اضحت تاريخا بعد حدوثها، وهكذا يصبح كل حدث كان سياسيا تاريخياً. إن حضور الجمهور المباشر واستماعه وتفاعله مع الحركات لجهة يؤثر على نوعية اللغة بنبرات الصوت والكلمات والتعبيرات والجمل التي يستخدمها المرسل لتؤدي هدفه وتعززه، بالإضافة إلى الخلفية السياسية عن الموضوع التي تجعل الخطاب غنيًا بالمضامين[935].

الخطاب السياسي في لبنان:

في العصر الحالي أصبح الجمهور اللبناني لا يولي أهمية كبيرة للخطاب الشعبوي، إنما الى أشياء أخرى يبرز فيها شكل المخاطب اكثر اهمية من نوع الكلام المستخدم، البيئة أو ما شابه، أي فن الإلقاء أكثر من مضمون الخطاب. وهنا تغلب شخصية الخطيب في المجتمع اللبناني على اشياء اخرى، خاصة في عملية الحشد الجماهيري والتأثير على الاوساط الشعبية نتيجة القدرة الكبيرة التي تمكن هذه الشخصية من اقناع شرائح عديدة قد سلمته امرها، وبالتالي هو الآمر الناهي بسلطتها ومستقبلها. وهذه القدرة التي اخذها هذا القائد من الجماهير تفوق قدرات رئيس البلاد الأمين على الدستور وتضعه بمواجهة مباشرة مع الاعلام المعادي في محاولة لتخفيف الخطاب والتقليل من شانه ما يضعها في مواجهة سياسية وليست اعلامية مع الخصم السياسي[936] .

يعاني الخطاب السياسي في العالم العربي كما في لبنان من مشكلة اساسية هي نقله عبر كافة الوسائل الاعلامية بسبب عملية الاجتزاء التي تفرض نفسها على الخطاب السياسي، وكذلك يعاني الخطاب السياسي في لبنان مشكلة «الاجتزاء»[937].

إن اجتزاء الخطاب السياسي في وسائل الاعلام اللبنانية[938] يضعه امام تساؤلات عدة: لمصلحة من هذا الاجتزاء؟ وما الهدف منه ومن طريقة بثه بالنوع والكم؟ الامر الذي يفقد الاعلام هيبته وموضعيته بسبب القانون[939] الذي صدر في العام 1996، والذي بموجبه ادى الى تقاسم الوسائل الاعلامية على اساس «الكوتا» الطائفية للتعبير بين ارباب المناطق والمذاهب، وداخل القوى السياسية وذلك للتأثير على جمهور الوسائل الاعلامية.

وهذه التساؤلات بحد ذاتها تقيد العمل الاعلامي الموضوعي وتضعه تحت سيطرة المذاهب والقوى السياسية التي تمارس عملية «تجزئة الخطاب» بما يتوافق مع توجهاتها السياسية والحزبية الخاصة، الامر الذي يفقدها الموضوعية اثناء عملية النقل للخطاب، ما يعد ضربة كبيرة للمفاهيم الديموقراطية

---

(934) د.سامي كليب، خطاب الاسد من الاصلاح الى الحرب، دار الفارابي بيروت، 2017، ص 23.

(935) انطوان وحيد نعيم، مرجع سابق، ص77.

(936)– حسنين توفيق إبراهيم، النظم السياسية العربية الاتجاهات الحديثة في دراستها، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 58-.59-60

(937) هالة الحمصي، خطاب إعلامي اتهامي ذو أبعاد سياسية ومذهبية"، صحيفة النهار اللبنانية 17 ايلول اسبتتمبر 2015.

(938) – د خالد ممدوح العزي، الخطاب السياسي واجتزائه في لبنان... غياب الرؤية المهنية والحاجة ملحة للتجديد، موقع بيروت اوبزرفر الالكتروني، 11 حزيرايوليو 2014،
https//:www.beirutobserver.com%/2014/07/D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8%-D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%-D9%88%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D9%87%-D9%81%D9%8A-%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86%-D8%BA%D9%8A%D8%A7/

(939) حسام عفيف شمس الدين، قوانين الاعلام ، طبع وتوزيع مؤسسة المنشورات القانونية، بيروت 1995، ص 30.

وحرية التعبير في بلد مثل لبنان، وهذا ما ينعكس سلباً في نقل الرأي او الرأي الاخر من موقف الى اخر في الوسائل الاعلامية المختلفة.

كتب الاعلامي حسام عيتاني مقالة بعنوان[940] :«خطوط الفصل وخيوط الوصل». كانت هذه المقالة بمثابة المفارقة الكبيرة في تاريخ الصراع اللبناني الداخلي. كانت لحظة فريدة في التاريخ اللبناني تلك التي سجل فيها توزع المسلمين السنة والشيعة، او اقل الكتل الكبيرة بينهم، على معسكرين متصارعين، غداة اغتيال رفيق الحريري .

فقد وجدت الكتلة الاعمق تأثيرا في الطائفة السنية، بين ليلة وضحاها، انها ما عادت تطيق الاقامة في كنف العروبة النضالية التي وصلت بعد عامين من سقوط بغداد تحت الاحتلال الامريكي الى افلاس مدقع ولم تعد تحتمل من وعود سوى استمرار التسلط على لبنان بذريعة خوض معارك لا يرى الكثير من اللبنانيين من نتائجها سوى تعميق للنفوذ السوري وهو ما أدى إلى مقتل الحريري على الشكل الذي حصل فيه. لكن في الجانب الشيعي ضخت حرب تموز 2006 المخاوف التي زرعها الانسحاب العسكري، والأمني السوري، وساد شعور لدى الشيعية السياسية بجسامة الاخطار المحدقة وانتشرت تأويلات لأهداف الحرب الاسرائيلية بأنها لا تقل عن كونها مسعى اسرائيليا – امريكيا مستندا الى تأييد عربي باقتلاع الشيعة من ارضهم ونفيهم وتهجيرهم الى مناطق يكونون فيها تحت رقابة ووصاية اهل السنة لحرمان الطائفة الشيعية من حقها من مقاومة اسرائيل. وبظل تصاعد هذا الخطاب السياسي التي مارسته القوى والاطراف بين الكتلتين الكبيرتين من خلال توزيع الدول الاقليمية التي باتت شريكا في دعم طرف ضد طرف آخر بظل خطابات متصارعة ومتعاكسة، اشتد الخطاب السياسي قسوة مما جعل الاعلام يلعب الدور الريادي في قيادة هذه الحملات والذهاب بعيدا في عملها والتحول الى منابر سياسية مهمتها التوجيه والتحليل السياسي، مما ساهم بشكل مباشر في لعب دور الرقابة السياسية على كل الكلمات والخطابات اثناء عرضها والتحكم بها في عملية الاجتزاء والتي باتت المؤسسة الاعلامية معنية بها باسم الاعلام السياسي[941]، بحسب حاجة الوسيلة لاستخدام الخطاب السياسي في توجهاتها السياسية.

ويؤكد د. نسيم الخوري انه :»لا يمكن التغاضي عن الدور الكبير الذي اخذته وتأخذه مؤخرا الخطب الدينية وتصريحات الشيوخ في حياة المسلمين في لبنان خاصة، وقد غالى المسلمون الشيعة في الظاهرة الخطابية التي تكاد تكون تبدو ركيزة الحياة اليومية، حيث فرضتها واجبات الاستشهاد ومجالس العزاء في الحسينيات وحث المقاتلين على النضال، وهو ما تجاوز الى حد كبير ما كان يحصر بخطب الجمعة لديهم ولدى السنة على السواء والمسلمين عموما[942].

ومن خلال مقاربة نستعرضها بين لبنان والعراق يرى د. فالح عبد الجبار[943] ان :» الخطاب السياسي في العراق غداة سقوط نظام البعث بدأ يميل نحو المتعصب الاصولي الذي كانت المذهبية عماده وقد برهنت الانتخابات العراقية صعوده ونظرا لما يمتلك هذا الخطاب من قدرات مالية وخطابية، فكانت الجوامع والحسينيات والمنابر والمناسبات الدينة مكانا قوياً لممارسة هذا الخطاب التعبوي لينتقل هذا الخطاب لتنفيذ الخطوة الثانية في تأسيس مؤسسات ومنابر اعلامية جديدة تعتمد على هذه النبرة

---

(940) حسام عيتاني خطوط الفصل وخيوط الوصل، مقالة من كتاب من اعداد حازم صاغية نواصب وروافض، منازعات السنة والشيعة في العالم الاسلامي، دار الساقية بيروت، 2009 ص50-37.

(941) كتاب صاغية، مرجع سابق، ص 45-44

(942) د.نسيم الخوري، الاعلام العربي وانهيار السلطة اللغوية، مركز دراسة الوحدة العربية،بيروت 2005،ص330.

(943) د.فالح عبد الجبار من كتاب من اعداد حازم صاغية نواصب و روافض، منازعات السنة والشيعة في العالم الاسلامي، دار الساقية بيروت، 2009 ص 119-83.

الخطابية المؤثرة، ولكن بطريقة اوسع وتعتمد في عملها الدعائي على الخطاب الديني والمذهبي المؤدلج والاجتزاء. فالمثال الثاني لا يختلف في طريقة عمله نهائيا عن التوجهات اللبنانية في ممارسة الاجتزاء للخطاب السياسي، واستخدامه لمصلحتها الخاصة وشد عصب أتباعها ومناصريها على حساب الخطاب الوطني الجامع للجميع، مما يجبر هذه المؤسسات الاعلامية على تنفيذ مهمة الاجتزاء للخطاب.

الخبر وظاهرة الحذف في الوسائل الاعلام اللبنانية :

تشيع ظاهرة الحذف في اشعار الشعراء والروايات والقصص القصيرة، والحكايات الشعبية، ولهذه الظاهرة قصة فنية، فثمة حذف للمبتدأ، كما ان هناك حذفا للخبر، وحذفا للمفعول به، وأنواعا اخرى من الحذف، لها دور فاعل في تأدية المعنى، فقد يكون الحذف لداع ادبي كيلا يخدش المؤلف حياء اذن المستمع، مثل حذف السباب والشتائم. وربما كان هذا الحذف عملية اعلامية تثير انتباه السامع او القارئ الى مضمون الرواية او القصة وقد يكون للبحث عن خلفيات اخرى ضمن الرواية او القصة، وربما يكون الحذف لغاية بلاغية مهمة المراد منها تثبيت مشاعر الخوف لدى السامع من جهة، او الغرض منها جعل مساحة خالية واسعة ليتصور ما شاء من معاني المدح والذم من جهة اخرى، وهكذا دوليك[944].

لكن المسائل تختلف في وسائل الاعلام بمختلف انواعها، حيث تقوم على الحذف بقصد التشويه المعتمد للخطاب السياسي من قبل الجهة الاعلامية التي تحاول الخطاب في خدمة مصالحها السياسية، وبالتالي يتم الحذف والاجتزاء وفقا لثقافة الاعلامي الذي يقوم بعملية للرقابة السياسية الحزبية نتيجة التوجه الخاص للوسيلة، وهنا تكمن عملية الاجتزاء التي تتعمدها الوسائل الاعلامية اللبنانية في تناولها لخطابات الزعماء اللبنانيين والتي تندرج ضمن خط الوسيلة الاعلامية السياسية. لكن يجب الانتباه الى ان عملية الحذف التي تطال اجزاء من الخطاب ما هو واجب في المعنى ويطلبه النص بوضوح، وهنا يحاول الاعلامي «المحرر» ان يحرر الخطاب ناقصا وهذا لا يدل على عملية الحذف غير المهنية، وانما تترك اثارها الواسعة والسريعة على جمهور الوسيلة من خلال ايصال الرسالة بالطريقة التي يجب ان ترسل من قبل الجهة التي تعتبر نفسها الجهة المعارضة لهذا الخطاب المرسل.

والحقيقة ان كل مشاهد او قارئ لا يستطيع ان يفهم المضمون المقدم من قبل الوسيلة الا ببراعة فعلية في عملية الحذف التي تمت من قبل هذا الرقيب السياسي، وهذه العملية الهادفة للتأثير على راي المستقبل من خلال ارسال الرسالة المطلوب ايصالها للراي العام بواسطة هذا الخطاب الذي تم التلاعب به.

1- مصادر الخبر السياسي:

ان أهمية الكلام والخطاب السياسي اليوم تكمن في وضوح مفرداته وجمالية نصه أو في ما يحتويه من عبارات تُشخص الواقع وتُحلله وتُنقده[945]. هذا أمر مطلوب ولكنه لا يكفي لأنه من هذه الناحية لا تختلف كتابات السياسيين والمثقفين الأجانب الذين يعيشون في الدول الديمقراطية عن كتابات المثقفين والسياسيين العرب، من جهة احتوائها على التنظير السياسي والنقد والدعوة للتغيير، دون اعطاء لمصادرها لأهمية الخطاب لم تعد في النص بل تكمن أهميته في فعله وأثره المتولد عنه سواء من حيث تأثيره على الرأي العام أو من خلال اعادة إنتاج رأي عام جديد وثقافة جديدة أو من خلال التأثير على مجريات الواقع وخلق علاقة تفاعلية بينهما.

(944) انطوان وحيد نعيم، مرجع سابق، ص58.

(945) وفاء ابو شقرا، عندما تتكلم المصادر «الصحافيون ومصادر معلوماتهم، دار الفارابي، بيروت 2018، ص 120.

ولذلك لابد من اعتماد الخبر السياسي على مصدر[946] محدد وصادق، لكن ما يكون عن النزاهة والحياد اذا كانت له غاية او يتجه الى دعم وسط سياسي او موقف معين، فهناك مصادر اعلامية تمثّل ما وراءها ممن يدعمها ويمولها، وهي تتحدث باسمها وتروج لها، كما تحلل بناء على توجيهها، ولذلك فإن الخبر في وسائل الاعلام المختلفة إن كانت «مكتوبة او مرئية او مسموعة او الكترونية «عربية او اجنبية تحرر حسب توجه كل مؤسسة، فمثلا وسائل الاعلام اللبنانية كانت ترسم صورا خاطئة لحوادث معينة وتظهرها بأنها حقائق وان لها صورة واضحة وصريحة تحدد مستقبل لبنان السياسي، وهذه الحقائق مغايرة للواقع [947] .

2- طمس الاخبار في الوسائل الاعلامية :

يتميز لبنان بطريقة خاصة في تعاطيه مع الخبر حيث يتحول الاعلامي في الوسيلة الى صانع الحدث او المعلومة مما يدفعه العمل للاجتزاء منها بسبب تشكل ثقل مغاير لتوجهاته السياسية والايديولوجية كونه بات يمارس دوره في الوسيلة كمحلل سياسي او موجه أيديولوجي وقد اشار لذلك انطوان وحيد نعيم في كتابه[948] :» إن المتتبع للأخبار السياسية في معاهد السياسة الغربية العليا يدرك ان بعض الاخبار تطمس عن عمد وتحور لغايات اعلامية، فلإعلام يظهر شيئا ويخفي اشياء اخرى لأغراض محدودة او محدودة، حيث يشدد نعيم على البحث في الخبر لاستكمال سلسلة الاتصال مهما كان الجهد والوقت في متابعتها» [949].

وهذا الاستعمال إما عن مصادره او طريقة كتاباته، وهنا ما يجب على السياسي في ممارسته السياسية ان يكون ذا بصيرة نافذة في تعامله مع الخبر وتوضيحه للراي العام، وقد ذكرنا كيف تشكل البصيرة النافذة حين عرضنا لذكر الافعال في السياسة، فالأفعال هي التي تكشف عن الاحداث اذا تتبعنها يومياً حيث تمر حياة دولنا السياسية وشعوبها، وهنا نجد يقوم بها طرفا الصراع السياسي في الدولة، وحتى المؤتمرات الصحافية التي يتم عرضها للشخصيات المتقابلة ما هي إلا فعل وتصريح تم اعداده بعد هذا اللقاء بينهما، ومن هنا يستطيع الباحث ان يصل الى موضوع الاتفاق بينهما من خلال التصرفات اللاحقة التي تصرفوها، والخاضعة بالأساس لطبيعة الستاتيكو المفروض على الاطراف لعدم الذهاب بعيدا في طروحاتها وأحلامها ولكي تبقى الخطابات السياسية في الكثير من الاحيان خاضعة للأطراف الاقليمية والدولية التي تدير الصراع بينهما، حيث تكمن مهمة هؤلاء الخطباء بتنفيس الجو السياسي المتأزم للسيطرة على المناصرين والمحازبين لكي لا تخرج الامور عن السيطرة .

3- وسائل الاعلام والقطع واللصق:

تلعب وسائل الاعلام دورا حيويا في المجال السياسي في المجتمعات المعاصرة فهي أداة فاعلة وهامة لا تقوم بنقل الرسائل والمعلومات من المنظمات والمؤسسات السياسية إلى الجمهور فقط، بل تحول هذه المعلومات من خلال صناعة الأخبار وترتيبها في أجهزة لتحقيق غايات منشودة[950].

فطبيعة العلاقة بين وسائل الاعلام والعملية السياسية علاقة جدلية، إذ إن وسائل الاعلام تعمل على نقل وتحليل النشاط السياسي وفي نفس الوقت تعد جزءا من العملية السياسية، فهي من المصادر

(946) وفاء ابو شقرا، مرجع سابق، ص 65.

(947) هربت ستر نز، المراسل الصحافي ومصادر الاخبار، ترجمة سميرة ابو سيف، ط2، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص 137.

(948) انطوان وحيد نعيم، مرجع سابق، ص 79.

(949) انطوان وحيد نعيم، مرجع سابق، ص 80.

(950) هيثم الهيتي، الإعلام السياسي والإخباري في الفضائيات، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص119.

المتاحة أمام السياسيين وقادة الرأي للحصول على المعلومات والبيانات، وتلقي ردود أفعال الجمهور نحو سياستهم وقراراتهم ومواقفهم، مما يساعد في كل العمليات والخطوات المصاحبة لصنع القرار السياسي فضلا عن اعتماد الجمهور عليها في تكوينه واعتقاده واتجاهاته ومواقفه المختلفة إزاء الأحداث والسياسات التي تقع داخل الواقع المحيط به.

تلعب وسائل الاعلام دوراً فعالا في تنشيط العملية السياسية حيث تأخذ المناقشات والمواقف الخاصة بالمسائل السياسية مؤشراتها من عرض وسائل الاعلام لهذه الرسائل، فهي إلى جانب تأثيراها على الآراء السياسية للفرد تؤثر على الطريقة التي تدار بها السياسة وعلى تنظيم نشاطاتها الرئيسية[951].

كان من المفروض على وسائل الاعلام أن تقوم بنقل المدخلات وهي مختلف المطالب والمواقف والآراء والمظالم التي يعبر عنها أفراد المجتمع للحكام من جهة، كما تقوم في الجهة المقابلة بنقل المخرجات (وهي تمثل مختلف القرارات التي تصدرها السلطة) إلى المواطنين بحيث تعد خير قناة يعتمد عليها الحكام لشرح سياستهم وقراراتهم، لكن الواقع اظهر عكس ذلك إذ أنه في هذه الفترة كان النظام السياسي يصدر مخرجات ليست ناتجة عن المطالب التي يتقدم بها المجتمع وانما كانت نابعة من مطالب تمت صياغتها على مستوى جماعات في الأجهزة السياسية التي كانت تشكل النظام السياسي، فسياسة القيد والوصاية التي فرضتها السلطة على الصحافة جعلت دورها يقتصر فقط على الحركة النازلة وجردتها من دورها في الرقابة والنقد.

حشو المصطلحات بالأحاديث:

ان الفرق بين الخطاب السياسي في عالمنا العربي، وبين الخطاب السياسي في الدول الديمقراطية لا يكمن فقط في مفردات الخطاب ومضمونه السياسي الهادف ولا في اختلاف هامش الحرية في الحالتين ولكن يبرز في العلاقة الجدلية التي تحكم الخطاب بالواقع أو علاقة المتكلم بالمتلقي وبالمكان، ويظهر المنزلقات الخطيرة التي تصرف الناس عن الاستماع الى بعض السياسيين او الخطباء حيث تأتي نتيجة حشوها بالمصطلحات المتنوعة الكثيرة في كلامهم، فلا يليق بخطبة او محاضرة سياسية ان تحشر فيها مصطلحات غريبة لا يفهمها اغلب المشاهدين او المستمعين، فالاصطلاحات هي عصارة لشرح طويل تختصر بعبارة او كلمة، وهذا ما يحصل عند العديد من الخطباء السياسيين اللبنانيين، حيث إذا استخدم المتكلم اربعة اصطلاحات فهذا يعني انك تحتاج الى صفحات عديدة لشرحها.

ويقول د. انطوان وحيد نعيم[952] :»أنه اذا زاد عدد الاصطلاحات بنحو الضعف زاد الشرح»، وبعشرة اصطلاحات تستخدم في الخطاب تكون قد اضعت بوصلة الخطبة عند المستمع، وقد شتت انتباه المستمعين، وأحبطتهم تماما لأنه يستحيل في لغة العلم مثلا ان تشرح عشرة اصطلاحات غريبة في محاضرة واحدة، ومعظمها لا تحتاج اليها في موضوعك كله»[953].

وهنا تظهر القدرة والبراعة عند الخطيب في شرح الافكار وإيصالها للسامعين من دون تعكير صفو مزاجهم وتفكيرهم بالمصطلحات الزائدة التي تعمق تفسيرها وتشتت الأفكار.

خصائص الخطاب السياسي:

يهتم الخطاب السياسي بتركيز الايديولوجيا او الرؤية الفلسفية للجماهير ويزيد من تشتتها من خلال

(951) د. عبد الكريم فهد الساري و. سؤدد فؤاد الالوسي، الاعلام والتسويق السياسي والانتخابي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص63.

(952) انطوان وحيد نعيم، مرجع سابق، ص24-23.

(953) جان ماري دانكان، علم السياسة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1997،ص15 .

الافكار التي يطلقها الخطيب السياسي وهنا يرى المفكر التونسي د. عبد السلام المسدي أن[954]:» الحقيقة الكبرى يقتضيها الوعي الثقافي العام»، ويظهر بان التعدد السياسي كثيرا ما يخفي وراءه توحدا ثقافيا كاملا، واما التوحد السياسي فلا يعني بالضرورة توحدا ثقافيا، وصراع الهويات الثقافية لا يهزمه التوحد السياسي بين الانظمة، والشخصيات.

إن لعبة الاعلام الماكر هي التسلط على مفاهيم عامة من خلال لعبة الكيدية المقنعة وفي خلط الاوراق الفكرية، فمن اولى من المثقفين الاحرار بالتصدي لأجهزة الاعلام الماكر، ومن اقدر من المفكرين النبلاء على كشف العيب في الخطاب الموجه، ومن احق من النخبة العلمية بخوض معركة الانصاف المعروف[955]، من تاريخ العلاقة بين اللّغة والسياسة وغير ذلك من جوانب الخطاب السياسي. ويستند د.بها الدين محمد مزيد على ما يلخِّص بول تشيلتون Chilton [956]، لسمات هذا النوع من الخطاب فيما يلي، مع كثير من التصرّف على سبيل التبسيط[957] بالشكل التالي :

1- يعتمد الخطاب السياسي على الإشارة إلى الزمان والمكان والمكانة والعلاقة والسياق.

2- يقوم الخطاب السياسي على التفاعل الذي تتبدى من خلاله الحدود التي تفصل والروابط التي تجمع، تفصل الأنا عن الآخر وتجمعها ومن يحالفها أو يشبهها أو ينتمي إليها، وتتبدى من خلاله كذلك المكانة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدوار التي يلعبها كل طرف في التفاعل أو حوله.

3- يشتمل التفاعل على نوع من التفاوض والتداول، تداول الواقع، ومراجعة فرضياته المهمّة، ومحاولة فرض ما نفترض أو نُسلِّم به نحن على الآخرين.

4- يشتمل الخطاب السياسي على توقُّع ما يفكر فيه الآخرون والتنبؤ بما يدبِّر المنافسون وما يؤمن به "الأعداء" ومن ثمَّ تفنيده أو إضعافه أو تشويهه وتقبيحه. يتحقق قدرٌ كبير من التفاعل في الخطاب السياسي بفضل قدرة اللّغة على الدلالة على مستويات مختلفة، وقدرتها على التعبير عن الواقع، ثم التعبير عن التعبير عن الواقع.

5- يتحقق قدرٌ كبير من التفاعل في الخطاب السياسي بفضل ثراء تعابير اليقين والشكّ وتعابير الضرورة والالتزام الأخلاقي والديني والاجتماعي – تعابير "افعل" و"لا تفعل» و»يجب» و"ينبغي» و»لا بُدَّ» و»علينا»، وذلك من اجل تبرير هذا الالتزام الاخلاقي والديني والاجتماعي والثقافي.

6- يرتكز الخطاب السياسي إجمالاً على تصنيفات ثنائية متعارضة، وربما متصارعة، بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين العدل والظلم، بين الشرعية وعدم الشرعية، بين الوطنية والخيانة، بين الحرية والقمع. بحيث عادة ما يكون صاحب الخطاب في المعسكر الأول وأعداؤه في المعسكر الاخر.

7-ان مفهوم الأدوار له أهمية خاصة في الخطاب السياسي، والمقصود هنا هو ما يؤدي فيه المشاركون من وظائف وأدوار اجتماعية أو سياسية أو عسكرية وهؤلاء الادوار، سواء كانت حقيقة أو مُفترضَة أو مرجوَّة أو مسلوبة من الآخرين، الامر الذي يربط بين علاقات تؤدي هذه الوظائف حيث يلعب هذه الادوار بين الحاكم والمحكوم، والراعي والرعية، والرئيس والشعب، والحكومة والمعارضة، وأصحاب العمل والعمال.

(954) د. عبد السلام المسدي نحو وعي ثقافي جديد، دار الصدى للصحافة والتوزيع، دبي،2010، ص77.

(955) د. سهام حسن علي الشجيري، أنسنة الاعلام جدلية التأثير والتغيير، دار الفا للنشر، الجزائر، 2015، ص 615.

(956) د.بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من افعال اللغة الى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والاعلام، القاهرة، 2010، ص15.

(957) د. بهاء الدين محمد مزيد، مرجع سابق، ص 126- 127.

8- للوعي بالمكان والمكانة أهمية خاصة في الخطاب السياسي، ومن ذلك ما يتعلق بمفهوم «الحدود»، و«المياه الإقليمية» و«دول الجوار» و«الشرق» و»الغرب» و«الاحتلال» و«الغزو» والهجرة» و»الشمال» و»الجنوب»، وما يرتبط بذلك من استعارات وتصورات وحقوق وواجبات.

9-من خلال الوعي بالمكان والتصورات الاستعارية التي ترتبط به، تتشكَّل الجماعات والقوميَّات الشعوب والأقليات والدول والدويلات، ويتشكَّل كذلك وعيها بمن ينتمي إليها ومن لا ينتمي، وتتبلور الهويّة السياسية والجغرافية والاقتصادية لتلك التجمُّعات، وتتبلور مفاهيم "نحن" و"هم"، من "معنا" ومن "علينا". وقد يقع التبسيط المُخلّ والالتباس بين الهوية الجغرافية وبين الهوية السياسية أو الدينية كما نجد في تصوّر المفكر الامريكي صموئيل هنتنغتون صراعاً بين غرب "مسيحي" وشرق أوسط "مسلم". ليس كل من في الغرب مسيحيين، وليس كل من الشرق الأوسط مسلمين[958].

10- يشتمل الخطاب السياسي على قدر وافر من التفكير الاستعاري، على معنى أنّ للاستعارة وظيفة مهمة في صياغة التصورات وتجسيد المفاهيم والأطروحات السياسية. من ذلك ما نجد في استعارة "اصطياد أسامة بن لادن". لا تكتفي الاستعارة هنا بتقبيح قائد تنظيم القاعدة ونزع ثوب الإنسانية عنه بل تنتقل من ذلك إلى تجريده من الشرعية ووضعه في معسكر الشر الذي تصبح محاربته التزاما أخلاقيا مشروعاً.

11- يبدو أنّ هناك ارتباطاً من نوع ما بين الخطاب السياسي وبعض المشاعر الإنسانية الغريزية كحب الوطن والغيرة على الدين والحفَاظ على الحرمات والمحارم والأماكن المقدسة والنفور من الغرباء والرغبة في الانتماء وحب "الأهل" والأسرة والانتماء إلى دين أو عشيرة. وكلُّها مشاعر يجيد الخطاب السياسي إثارتها والعزف على أوتارها بما يحقق غاياته وأهدافه.

12- تكراراً لبعض ما سبق وتأسيساً عليه، تتجاوز الإشارة والتعابير الإشارية مجرد تحديد المكان إلى تحديد المكانة والدور والعلاقة بين المشاركين في الخطاب، من مجرد الإشارة إلى من أنا ومن أنت ومتى، إلى تأسيس علاقة بين «أنا» وكل ما هو حسن وخيِّر وبين «عدويّ» أو "منافسي" وكل ما هو قبيح وشرّ وتحقيق التلاحم بين منتج الخطاب ومن يسعى إلى إرضائهم من ناخبين أو جماهير أو لجان أو هيئات. هكذا تبقى الإشارة بمعناها الرحب سلاحاً مؤثراً في جدل الهويات والانتماءات، درعاً يدفع وسيفا يقتل، يداً تضمُّ "ذوي القربى" وأخرى تحجب الغرباء.

اشكاليات الاجتزاء الاعلامي للخطاب السياسي:

وبظل الانقسامات في البيئة الداخلية للمجتمعات العربية والتي اعطينا عليها مثلين في سيطرة الخطابات السياسية على الشوارع بسبب الانقسامات العمودية التي تعيشها الشرائح الاجتماعية مما يشجع الوسائل الاعلامية في البلدين(لبنان والعراق)، والدول الاخرى[959]، على التلاعب بالخطابات لرفع عملية الاجتزاء في الخطابات والمعلومات والاخبار في فرض اشكاليات مختلفة ومتعددة في الدول تصب في مصالح توجهاتها لاحقاً وتطلعاتها الخاصة بغض النظر عن الاثار السلبية مما يجب العمل على معالجتها والخروج منها امر صعب في جعل الاعلام اكثر حرية واقرب الى عقل المتلقي وفقا للتالي:

1- إن العمل الاعلامي يرتكز على الموضوعية بنقل الخبر او الحدث وحتى اثناء عملية تجزئة الخطاب السياسية بسبب ضيق الوقت او الهامش الزمني لنقل الخبر وبحال تعذر يجب عرض

(958) صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ط2، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة، 1999، ص 337-336.

(959) د. سهام حسن علي الشجيري، مرجع سابق، ص607.

التوازي في الخطاب(رأي ورأي الآخر، الوقت المحدد ..) .

2- إن المهنية الاعلامية تطلب اثناء التجزئة (المونتاج) العرض الموضوعي الذي تفرضه الحرفة والأخلاق المهنية في الموضوع المتناول .

3 - إن توجه الوسيلة الاعلامية يفرض نفسه على اجتزاء الخبر حيث يصبح الاعلامي الصحافي والمذيع والمحلل السياسي.

4 - إن غياب المهنية الصحافية في الوسائل تضعف الاجتزاء وتضعه في موقع الشك بسبب ثقافة الشخص الذي يمارس هذه المهمة.

5 - إن الاجتزاء المزاجي للخطاب يعقده ويفقده مضمونه الحقيقي ويتسبب باللغط للمتلقي او المحلل ويسبب ارباكا في تحليل الرسالة او التقرير او الخطاب.

6 - إن الخبر العاجل الذي يجب ان يغطي مفاصل الخطاب الاساسية في عملية النقل يجب ألا يعتمد على الارتجال او العصبية او المزاجية، فالتجزئة المهنية والأخلاقية تنقل مضمون الخبر .

وهنا تبرز اهمية هذه الاشكاليات والحلول لما تحمل في مضمونها في الخطاب السياسي من تأثيرات وجدانية ونفسية تعلب دوراً في التوجهات والتفكير السياسي.

- الخطاب السياسي والتأثيرات النفسية في الاعلام :

يشكل الإعلام اليوم إحدى أهم دعامات الثورة التكنولوجية الحديثة في الاتصالات، وانعكس ذلك على كل إنسان نظراً للتغييرات المستحدثة في آلياته والمستجدات في نمط حياة الإنسان مقارنة مع ما كانت عليه في العهود السابقة[960]، حيث أحدث الإعلام انقلاباً شبه جذري في كل مجالات الحياة المعاصرة وسلوكيات أفراد المجتمع؛ وطالت التغيرات الأعراف والقواعد والقيم الاجتماعية، هذا فضلاً عما تعرضه وسائله المتعددة في الأجواء العالمية، بعدما حولت العالم إلى قرية صغيرة...

وقد نجحت السياسة بكل مقوماتها وأساليبها في توجيه دفة الإعلام نحو أهدافها الاستراتيجية المرسومة رغم تناقض أقوالها مع أفعالها، وتعريض البشرية لحروب وأزمات مفتعلة تارة وحقيقية تارة أخرى[961]. لقد تم توجيه العالم نحو أهداف السياسة حيث بات من مهام الإعلام ووسائله المؤثرة، والأهم من كل ذلك يكمن في الوقت نفسه التأكيدات المستمرة والملحة في وسائل الإعلام وخطابها السياسي على مفاهيم مثل: «الحرية والديمقراطية والتحرر ودعوة الشعوب إلى نبذ الخلافات وبناء مجتمعات قائمة على الاختيار وإبداء الرأي»...

ولكن أين تكمن الحقيقة؟ هل تكمن في الخطاب المعسول لوسائل الإعلام أم في الاستراتيجيات بعيدة المدى، عبر تغيير اتجاهات الشعوب نحو قضية معينة كالعولمة مثلاً أم اقتصاديات السوق الحرة، أم المفاهيم المبطنة التي تدعو إلى رفض القهر والاستغلال وتحطيم القيود الاجتماعية واعادة التنشئة وفق مفاهيم وتربية جديدة في السلوك الاجتماعي وإقامة العلاقات[962]؟ لقد اكد لنا التاريخ مرة أخرى أن الإعلام هو القوة الأكثر تأثيراً في مسار حياة الشعوب واتجاهاتها وقيمها، حيث يعمل بنفس قوة السلاح، لأن الإعلام بحد ذاته أداة إذا أحسن استخدامها استطاعت أن تؤثر كما تؤثر الأسلحة

(960) د. مصطفى الكافي، الاعلام والراي العام والعلاقات العامة في مواجهة الازمات، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان 2017، ص 17-16.

(961) د.جلال فاخوري، سيكولوجية الإعلام في الأزمات صحيفة الرأي الاردنية، 1 ايار امايو 2012.

(962) د. عبد الفتاح، و محمد دويدار، سيكولوجية الاتصال والاعلام، دار المعرف الجامعيّة، القاهرة، 2005، ص326-325.

الفتاكة الأخرى خاصة، إذا ما وجهت نحو قضية ما او مطلب أو شعب ما، فإنه يحدث تأثيرا بأسلحته المختلفة حيث يترك الكثير من الآثار والنتائج... وهكذا أصبح زمننا زمن قوة تأثير الإعلام في إدارة حياة الشعوب وخلق معاناتها أو سعادته[963].

- دور الإعلام المعاصر والأحداث السياسية:

يعتبر الإعلام في عصرنا الحديث من ضرورات الحياة المعاصرة، واستخدامه في الدفاع عن الرأي والمعتقد وقضية الوجود هو أمر لا مفر منه. وان تخلفت هذه الأداة، فإن الكثير من الحقوق تتشوه صورها أو تفقد أحقيتها وربما تتحول إلى صورة أخرى غير الصورة الحقيقية، كما هي صورة الإرهاب التي ألصقتها وسائل الإعلام بجماعات دون غيرها خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي، أو تحويل حركات التحرر والمدافعين عن حقوق شعوبهم إلى إرهابيين، كما حدث للقضية الفلسطينية ولرجالاتها خلال العقد الماضي.

وعلى الرغم من معارك التحرير التي خاضتها دولنا ضد كل أشكال الاستعمار والتبعية، فقد كان الوعي يقظاً بالقدر الذي يفرق فيه بين مقاومة الاستعمار والتبعية من جهة، وبين تقدير تراثه الإنساني العظيم من جهة مقابلة إلا أن الأداة الكبرى التي تستطيع أن تبين للعالم أحقية قضيتنا في الدفاع والوجود والمحافظة على تراثنا غير فاعلة، تكاد تكون معطلة تماماً، وهي الإعلام الذي يعد بحد ذاته سلاحاً أقوى فتكاً من أي أداة أخرى، سواء لإظهار قضية ما أو الرد على قضية أخرى..

اذا اعتبرنا أن الإعلام هو أداة للسياسة، فهو القادر على المؤثر على عقول الناس واتجاهاتها حيث قال (ماك كويل) عالم الاجتماع المتخصص في الاتصالات الإعلامية: «نحن نستطيع تقصي بعض الظواهر على عدة مستويات خصوصا الرأي والمعتقد اللذين قد يكونان من أمور الرأي الفردي والتعبير الجماعي للمؤسسات والمجتمعات كذلك»[964]، ومن ناحية أخرى تتطلب منا دراسة تأثير وسائط الإعلام على الطريقة التي تعمل بها المؤسسات أن ننظر في العلاقات بين الناس الذين يقومون بأدوار مختلفة وفي تركيب تلك الأدوار ومضمونها، والسياسة مثال مناسب، حيث ربما أثرت وسائط الإعلام ليس على الآراء السياسية للفرد فحسب بل على الطريقة التي تدار بها السياسة وعلى طريقة تنظيم نشاطاتها الرئيسية. وربما تغيرت الأدوار السياسية

لذا فإن الإعلام أصبح في عالمنا اليوم أداة قوية للتأثير على عقول وسلوك الناس كأفراد أو مجموعات، سياسيين أو ناس عاديين، وأيضاً أداة للتغيير عن بعد، وخاصة فيما يتعلق بالسياسة العامة لتلك الدولة بوساطة الإيحاءات الإعلامية باستخدام اللغة والبلاغة في الحديث أو التأويل الكلامي.

إن الرسالة التي تحملها وسائل الإعلام اليوم عبر قنواتها المتعددة والمختلفة الاتجاهات، تتضمن أبعاداً غير محسوسة وغير مباشرة لا يمكن تجاهل البعيدة منها وحتى القريبة (الآنية) أو التقليل من شأنها، أو الابتعاد عنها، فهي أصبحت شراً لا بد منه يدخلون بيوتنا دون استئذان[965].

الخطاب السياسي الرأي العام :

لقد ارتبط مفهوم الرأي العام في الكثير من الاحيان بالأبعاد السياسية و الايديولوجية التي يراعى من خلالها تعريف الرأي العام وكيفية استخدامه، إذ يتداخل هذا المفهوم بمصطلحات و مفاهيم اخرى

---

(963) د. علي الدين هلال، ونيفين مسعد، النظم السياسية العربية قضايا الاستمرار والتغيير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 338.

(964) علي عبد الفتاح، الاعلام السياسي والدبلوماسي، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، 2014، ص 80.

(965) د. اسامة كبارة، دراسة في فنون الصحافة والاعلام، دار المنى لبنان، 2001،ص63 -66.

خاصة في الدول التي لا زالت أنظمتها متخلفة فهي تخلط بين الرأي العام والإرادة الشعبية والإرادة السياسية فمن هنا تكمن مهمة وسائل الاعلام ونعني التلاعب في الخطاب السياسية وتجزئته وعرضه ما يناسبها لأنها تعرف جيدا بان مهمة الزعماء وخطباء المساجد تكمن في السيطرة على الرأي العام والتلاعب في عواطفه، والرأي العام الذي يتألف من لفظين[966]:

- الرأي العام أمر يقبل الشك أي عدم الجزم.
- راي عام الجماعة التي تشترك في الرأي.

وفقا لذلك ينقسم الدكتور عبد اللطيف حمزة الرأي العام إلى ثلاثة أنواع:

1- رأي عام مسيطر (رأي القادة والزعماء والحكومات).

2- رأي عام منقاد (رأي التابعين بغير تفكير أو ارادة)،

3- رأي عام مستنير (رأي الطبقة المثقفة من الجمهور).

وقد عظم هذا المفهوم قدر الرأي العام بجعل مكانته فوق الصحافة، فالصحافة تكتب ما تشاء، لكن في إطار خضوع هذه الكتابة لرقابة الرأي العام عن طريق مواثيق الشرف الصحافية.

وبناء على ذلك قامت العديد من الدراسات بتحديد العلاقة بين الصحافة والرأي العام وذلك، بالتركيز على الدور الذي تقوم به الصحافة خاصة في تصعيد موضوعات معينة وإثارة الاهتمام العام بها، حتى تصل إلى مصاف الاحتياجات الاجتماعية مرورا بمرحلة جذب الانتباه العام وصولا إلى مرتبة النقاش العام وهي المرحلة الأولى من مرحلة تشكيل الرأي العام، حيث تقوم وسائل الاعلام بتكثيف الضوء عليها وإبرازها كإحدى أولويات الاتجاه.

الإعلام ودوره في تحديد الاتجاه وتغير الرأي العام:

يلعب الاعلام في بث الخطابات السياسية دورا مميزا في تغير الاتجاه لدى الجماهير حيث يعرف الاتجاه» Attitude «، بأنه دافع مكتسب يتضح في استعداد وجداني، به درجة ما من الثبات يحدد شعور الفرد ويلون سلوكه بالنسبة لموضوعات معينة من حيث تفضيلها؛ فإذا بالفرد يحبها ويميل إليها (إن كان اتجاهه نحوها ايجابياً) أو يكرهها وينفر منها (إن كان اتجاهه نحوها سلبياً)[967].

أما موضوع الاتجاه فقد يكون شخصاً معيناً (صديقاً ما أو عدواً ما) أو جماعة ما أو شعبا ما، أو مدينة ما، أو مادة علمية ما، أو مذهباً ايديولوجياً ما، أو فكرة ما (كالاتجاه نحو عمل المرأة أو تعلمها أو تشغيلها في القضاء)، فالاتجاهات تعد سلوكيات لأفراد المجتمع، وترتبط بالقيم والمعايير والأعراف والتقاليد السائدة في ذلك المجتمع، وهي من الثوابت التي تستند عليها المجتمعات في بنائها، فلو تساءلنا إزاء هذه الثوابت في السلوك ومدى ارتباطها عند الإنسان في أي مجتمع، لوجدناها صلبة ومن الصعب زحزحة تكوينها، ولكن استطاع الإعلام بكل وسائله المتاحة أن يهز هذه الاتجاهات ويغيرها نحو موضوع معين أو قضية وطنية أو قومية أو دينية...

لقد نجحت تلك الوسائل في خلق الاهتزازات القيمية في السلوك لدى المجتمعات الثابتة نسبياً؛ لذلك تجد أن الإعلام يغير الأهمية الاجتماعية والمعنى السياسي للأوصاف التقليدية وبعض الرموز الرئيسية

(966) د.علي عواد الراي العام بين الدعاية والاعلام، المركز الدولي للدراسات الاستراتيجية والاعلام، بيروت 2015. ص89-73.

(967) سعيد السراج، الرأي العام مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة، ط2، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986، ص. 22-23

في المجتمع، فضلاً عن قدرته على توجيه عقول الناس نحو الموضة في الملابس مثلاً والمنتجات التجارية ومحاولة تشتيت الانتباه نحو قضية ساخنة أخرى لغرض تقليل أهمية موضوع أو قضية تثير الرأي العام.

وقد أثبتت الدراسات أن الإعلام نجح في ذلك عندما استخدم استراتيجية الإعلام الدعائي، وهو شكل من أشكال الفن الذي يصعب تحديد إطار لهويته نظراً للتطور المستمر الذي يبديه من أجل مواكبة المزاج العام، كما يخلو هذا الفن من أي إجماع على ما يمكن اعتباره سلوكاً صحيحاً أو خاطئاً أو تكتيكاً فعالاً أو غير فعال، وعلى كل حال يمكن الحديث عن استراتيجيتين أساسيتين تهدف كلتاهما إلى اجتذاب عدد أكبر من الناس، وهاتان الاستراتيجيتان هما[968]:

1- بث رسائل حول موضوع أو قضية معينة أو شخص ما.

2- بث رسائل سلبية عن موضوع مناقض أو شخص منافس له.

ويعالج الإمام الشيرازي موضوع تأثير الإعلام والدعاية على عقول الناس واتجاهاتهم حول رأي ما أو قضية تهمهم وتحديدها من خلال استخدام الطرق والوسائل الكثيرة في التأثير، بقوله: «كُتبتْ في هذا الشأن كتب سخرت لها أقلام اجتماعية ونفسية وتربوية »، ومن الأساليب التي يتبعها أصحاب الدعايات الباطلة هي[969]:

1- استغلال مواضيع الضعف عند الإنسان.

2- استغلال ضعاف الشخصية لأجل قبول الدعاية.

3- تسخير الألسنة المقبولة مثل خطيب أو مدرس أو مذيع.

4- التأثير في المجتمع بسبب أقلام الأدباء.

5- تحري الجماعات لأجل نشر دعايتهم، مثل جمعية خيرية، أو جمعية الرفق بالحيوان، خصوصاً إذا كان للجمعية عنوان براق.

6- تحري الحق النصفي؛ أي ذكر بعض الحقائق والسكوت عن بعضها الآخر.

7- تأويل الحق باطلاً، أو الباطل حقاً.

8- خلط الباطل بالصحيح؛ حتى ينخدع السامع والقارئ والناظر بالصحيح الموجود، فيظن أن كل ما يرى ويسمع صحيح.. إلى غير ذلك من الأساليب.

إن الحديث عن الراي العام وتغير الاتجاه نحو هدف او قضية تؤمن دعاية قوية يستطيع الإعلامي استخدامها لعملية السيطرة على العقول والقلوب.

الدعاية والرأي العام:

تقوم الدعاية في جوهرها على عملية إقناع منظمة ممنهجة في وسائل الاعلام، ويكمن دورها في عدم انقضاضها على العقل، وهي حالة نفسية ضمن الحروب النفسية التي تشنها المؤسسة الاعلامية بحسب توجهاتها العقائدية والفكرية والسياسية، حيث وظفت الدعاية في شتى الميادين الحربية لغرض

(968) مجدي محمد عبد الجواد الدنغر، دور وسائل الإعلام والاتصال في دعم خطط لتنمية المستدامة والنهوض بها في البلدان العربية، دراسة حول دور الصحافة في معالجة الفترة 2007-2005، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت **المجلد :33 العدد، 359**، 2012، ص17.

(969) علي عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 82.

إنهاك الجيوش المتقاتلة والتأثير على المعنويات، وكذلك على التجارة، حيث كانت عاملاً مساعداً في النشر والإعلان عن تسويق منتج معين، للتأثير على الناس من خلال السينما والمسرح والتلفزيون وتوجيه عقولهم نحو برنامج اجتماعي أو التأثير على عادات الشعوب وابراز ظاهرة معينة لشعب من الشعوب، (والتأكيد على أهمية القوة والعنف كوسيلة لبناء المجتمع) أو التأكيد على إغراق الشعوب الأوروبية بالمخدرات بأنواعها بشكل غير مباشر[970].

وهكذا لا يوجد حصر لعدد الطرق التي يمكن بواسطتها تقديم المقولات الترويجية أو الهجومية عبر عملية الدعاية أو الإعلام، ولكن هناك بعض الأساليب التي تحظى بأفضلية خاصة ومن تلك الأساليب الإيجابية:

1- إظهار قصة نجاح شخصية معينة أو دواء (عقار) معين أو أسلوب معين في الحياة.

2- التحدث عن شركة تجارية أو برنامج اجتماعي أو حدث مؤثر في نفوس الناس.

3- شهادة: إعطاء شهادة من أفراد حول قضية معينة أو شخص معين أو إجراء لقاءات مع نساء أو رجال مرموقين في المجتمع.

ومن هنا، يمكن الاستنتاج بانه لابد من العمل الفعلي، والجدي على اعادة الاعتبار للإعلام الوطني الجامع الذي يضم كافة الشرائح الاجتماعية والمناطقية حيث تم اضعافه وتحجيم دوره لصالح الطوائف والمحسوبيات والمنافع الشخصية، وهذا ما ادى الى نمو اعلام خاص (صحيفة، اذاعة، تلفزيون ..) مهمته الاساسية التنافس وليس العمل على الجودة والنوعية وإنما على تعميق الشرخ الاجتماعي والسياسي في هذا البلد الذي يتعرض لأصعب الظروف، ومع الاشارة الى ان هذا الاعلام قد لعب دورا كبيرا وخطيراً في ولائه للخارج والمحاور اثناء الثورات العربية، الذي كان وما زال فيها محورا من محاور الصراع السياسية في المنطقة وعرابا لها محاولا التأثير على الشرائح التي يسيطر عليها الصحافيون بشكل عام، والعاملون في الوسائل التلفزيونية بشكل خاص، وهم قادرون على صنع الاحداث الاجتماعية وتقديمها وفبركتها وفقا لسياسة الوسيلة الاعلامية التي يعملون فيها، ووفقا لمعاييرها الخاصة، من اجل خلق ثقافة وطنية جامعة ترمم ما اوجدته وسائل الاعلامية المنحازة لفئة او جهة معينة مما يفرض تطوير وسائل الاعلام الجماهيري المختلفة .

وسائل الاعلام الجماهيري :

إن ظهور الاعلام الجماهيري بالأساس مرتبط بظهور وسائل الإعلام المختلفة. إذا كان من يستقبل الرسالة جماهير فإننا امام إعلام، لذلك يقال بأن الظاهرة الإعلامية موجودة منذ القديم، ثم مع تطور الاعلام الصناعي وما انتجه من تطور تكنولوجي حدثت قفزة حقيقية في تطور وسائل الإعلام من خلال[971]:

– مضامين وسائل الإعلام التي لا بد ان تأخذ السياق الإعلامي، والاتصال له خصائص تجعله ظاهرة ملازمة للإنسان.

– وسائل الإعلام الجماهيرية تتمثل في :»الصحف، الراديو، التلفزيون، السينما». وفي الأبستمولوجيا وعلم الاجتماع، أدرج النت محل وسائل الإعلام الجماهيرية.

---

(970) د.علي عواد مرجع سابق، ص 176.

(971) د.ابراهيم ابو عرقوب، الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 1993، ص 21.

– إن الاتصال الجماهيري شيء، ووسائل الإعلام شيء آخر، فالاتصال الجماهيري فعل اجتماعي.

اما خبيرة علم الاجتماع جوديت لازار[972] فتعرف وسائل الإعلام الجماهيرية على انها، السيرورة الاجتماعية التي تقوم على تواجد 3 عناصر هي:» المتلقي+المرسل+الفعل ألاتصالي».

ولكن عالم الاجتماع المعاصر والمفكر الامريكي» آلفين توفلر Alvin Toffler « يرى في كتابه صدمة المستقبل المتغيرات في عالم الغد[973]:» أن وسائل الإعلام « نظام اجتماعي متآلف من مكونات متنوعة تعمل داخل نظام اجتماعي واسع حيث وسائل الإعلام انعكاس للبيئة السياسية ومرآة الصراعات والتفاعلات على الصعيد السياسي، وبدون هذه الوسائل لا يستطيع أفراد المجتمع خارج الحلقة السياسية الاطلاع على مجريات الأحداث السياسية، فالبيئة السياسية تبنى من قبل وسائل الإعلام وفي الوقت نفسه هذه البيئة السياسية هي التي تحكم طبيعة عمل ووظائف وسائل الإعلام خاصة في الوظيفة السياسية منها، من خلال مجموعة التشريعات القانونية التي تنظم نشاطها، وعليه أصبحت في المجتمعات الديمقراطية العلاقة بين الاتصال بصفة عامة والبيئة السياسية بمجمل مكوناتها تمثل نسقا سياسيا وتعرف شكلا تكامليا وتفاعليا عكس المجتمعات التي تتبنى أنظمة سياسية استبدادية نجد وسائل الإعلام بها عبارة عن متغير تابع خاضع لسلطة النظام السياسي السائد ومدافعا عن مصالحه بهدف الحفاظ على الاستقرار السلطوي، ومن المعلوم ان الإعلام يُؤثر بطريقة وأخرى في الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في اي بلد، وهو بالتأكيد البوتقة التي يتم من خلالها تجميع المعلومات ونقلها بحرفية ومهنية وشفافية والأداء المتميز والتوازن في نقل المعلومات دون ان يكون هناك تأثير سياسي على القرار الاعلامي او طريقة التعامل مع الحدث وأعني بذلك الابتعاد عن التأثيرات الخارجية او (الأدلجة).

إذا فالإعلام سلاح ذو حدين؛ اما ان ينعكس سلبا وبالتالي يتحول الى اعلام مضاد دون قصد او بطريقة مقصودة او ان يكون اعلاماً مهنياً وحرفياً يتعامل مع الحدث بطريقة تتناسب مع ما تُمليه عليه من توازن وأداء يُفترض ان يكون بعيدا عن التسييس او الإثارة السلبية، اي ضمن معايير الوحدة الوطنية والخبر الصحيح.

فالذي حصل سابقا ولا يزال يحصل في هذه الايام في لبنان أن الخطاب السياسي من قبل بعض السياسيين سلبي لان الاعلام اخذ هذا الخطاب بطريقة غير مهنية او كانت وسائل الاعلام تقدم بعرض للخبر او التحليل السياسي او إن نقل الحدث لا ينم عن فهم وإدراك للواقع السياسي اللبناني او»العراقي فمثلاً»، فقد كانت الاحداث تُشير الى ان هذه الأخبار والتصريحات أعطيت قيمة كبرى لهؤلاء القيمين على الحدث السياسي و اعطتهم ميزة صُورت بطريقة اعلامية وجعلت منهم حديث الساعة وكأنهم موجودون ومؤثرون في الوضع السياسي بينما من المفترض ان يحتل الشاشة وصفحات الجرائد فقط وجهاء الدولة الثلاثة، وهنا يظهر ضعف التحليل السياسي عند الكثير من السياسيين او حتى اصحاب القرار، الذين يعلمون ان الكثير من القوانين التي يجهلونها يتم بثها واستخدامها فضلا عن بعض الامور الداخلة في العملية السياسية والتي تسعى الى خلط الاوراق لكسب سياسي معروف او المساهمة في إجهاض المكتسبات للدور الشخصي، لذلك لابد للسياسيين ان ينتبهوا الى ما يتم التصريح به امام وسائل الاعلام بحيث تكون دقيقة، وتستند الى تحليل حقيقي والى ارضية وأدلة دامغة لكي ينشر الخبر او التحليل بطريقة لا تعطي للخصم بعدا او حجما اكبر من حجمه الحقيقي، وهنا لابد من ذكر

(972) جوديت لازار، سوسيولوجيا الاتصال الجماهيري بالمشاركة، ترجمة د. علي اسعد وطفة، دار الينابيع، دمشق 1994، ص 22.

(973) آلفين توفلر، صدمة المستقبل المتغيرات في عالم الغد، ترجمة د.محمد علي نصيف، ط2، الجمعية المصرية للنشر والمعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، 1990،ص 169-168.

ما مر عبر من التاريخ للهالة الاعلامية والدعاية مسيطرة التي تم استخدامها من اجل ايهام المواطن بأننا اقوياء وان اعدادنا كبيرة، بينما نحن لم نكن بتلك الصورة، وبذلك تم التأثير على الوضع العام من خلال الاشاعة وسياسة التهويل وبذلك كسبنا الكثير، لذلك لابد ان نضع المعلومة في الحجم الحقيقي وان لا نجعل من الاعلام يعمل لصالح تلك القوى دون ان يعلم او ان يكون تصريح السياسي غير دقيق وبالتالي لا نقع في الفخ مرة أخرى، وعدم المصداقية والشفافية بحيث ينبغي على اعلامنا ان يكون واضحا ودقيقا من خلال الأدلة وعدم التهويل.

وبعد التوقف امام المفاهيم المستخدمة في وسائل الاعلام كافة لاجتزاء الحدث السياسي أكان «خطابا او معلومة او خبرا» لمصلحة القناة او الجهة التي تقف وراءه لمصالح خاصة ايديولوجية او سياسية او مالية لا بد ان نتوقف امام التالي[974]:

1 – ان التلاعب في الخبر لمصالح خاصة يعكس نفسه بصورة سلبية على تعبئة الراي العام بطريقة واحدة.

2 – ان الخبر او الخطاب يجب ان ينقل كما هو بعيدا عن التقزيم او التضخيم لمصلحة المشاهد لكي يكون هذا المشاهد بنفسه وجهة نظر خاصة .

3 – ان التلاعب بمفاهيم النص من خلال الاجتزاء او الفبركة للاحاديث والأقوال السياسية ستؤدي بدورها الى تشويش المعلومة لمصالح خاصة .

4 – ان تعامل القنوات والوسائل الاعلامية بطريقة مسيسة مع الاحداث والاخبار سوف يفقد مصداقيته امام الفئات والجماهير التي توكبها مع المدة الزمنية .

5 – ان العمل الاعلامي في نقل الاحداث ونقل الخطابات السياسية يفترض التعامل معها بأخلاقيات المهنة الإعلامية التي تطلب المصداقية والامانة والشفافية والآنية.

وبعد استعرضنا لما تحمله الاخبار المتجزئة في تعاملها مع الاحداث ومع المعلومات التي تنقل للجمهور الخطابات الموجهة للراي العام، نراها تعكس توجهات سياسية خاصة بعيدة عن المهنية والاخلاقية[975]، وهذا ما شاهدناه اثناء التغطية الميدانية للأحداث التي عصفت بلبنان وبخاصة الاعمال المسلحة وحالات التفجيرات التي حصلت في عام 2016–2012، ولعل المثال الابرز هو في عملية نقل صور الضحايا، وإذا كان الاهتمام الجماهيري بوسائل البث التلفزيوني يعود للوسائل التقنية التي تمتلكها وللصورة التي تترك تأثيرا كبيرا على الجماهير فإن هذا لا يعني ان تكلفة التغطية غير كافية، لذا تتطلب الممارسة الاعلامية في مطلع الالفية الثالثة التنمية الأخلاقية الاعلامية في بلد متعدد الاديان، منقسم على نفسه عموديا وأفقيا. وهنا تبرز الحاجة في الاعلام اللبناني ليس للتأسيس لمفهوم جديد للأخلاق الاعلامية، وإنما لتنمية الخلقية المهنية الاعلامية، وتنظيم المواد الاعلامية ضمن اطر وقواعد وأصول المهنة والأرتقاء بمستواه العملي والقيمي بما يخدم حاجات المجتمع.

---

(974) د.خالد ممدوح العزي، اخلاقيات مهنة الاعلام بين السلوكية والمهنية، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2019، ص17.

(975) د.خالد ممدوح العزي، مرجع سابق، ص12.

المراجع والمصادر:

1- جلال فرحي، كيف تحقق النجاح في المجال الاعلامي، دار الفارابي، بيروت، 2006.

2- انطوان وحيد نعيم، فن الخطابة والإلقاء، دار الكتاب العربي، لبنان،2011.

3- د.جليل وادي، الخطاب الاعلامي وادارة الازمات السياسية الدولية، دار الكتاب الجامعي، الامارات العربية،2017.

4- ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت ط2، الدار البيضاء –المركز الثقافي العربي، بيروت، 1987.

5- الزوادي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2000.

6- عزيزة عبده، الإعلام السياسي والرأي العام، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.

7 – د.خليل بيضون، فن الخطابة تاريخه اركانه وقواعده، دار بعل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2018.

8 – د.سامي كليب، خطاب الاسد من الاصلاح الى الحرب، دار الفارابي بيروت، 2017.

9 – حسنين توفيق إبراهيم، النظم السياسية العربية الاتجاهات الحديثة في دراستها، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.

10 – حسام عفيف شمس الدين، قوانين الاعلام ، طبع وتوزيع مؤسسة المنشورات القانونية، بيروت 1995.

11 –حسام عيتاني خطوط الفصل وخيوط الوصل، مقالة من كتاب من اعداد حازم صاغية نواصب وروافض، منازعات السنة والشيعة في العالم الاسلامي، دار الساقية بيروت، 2009 .

12 – د.نسيم الخوري، الاعلام العربي وانهيار السلطة اللغوية، مركز دراسة الوحدة العربية،بيروت 2005.

13 – د.فالح عبد الجبار من كتاب من اعداد حازم صاغية نواصب و روافض، منازعات السنة والشيعة في العالم الاسلامي، دار الساقية بيروت، 2009 .

14 – وفاء ابو شقرا، عندما تتكلم المصادر «الصحافيون ومصادر معلوماتهم، دار الفارابي، بيروت 2018 .

15 – هربت ستر نز، المراسل الصحافي ومصادر الاخبار، ترجمة سميرة ابو سيف، ط2، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989.

16 – هيثم الهيتي، الإعلام السياسي والإخباري في الفضائيات، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2008 .

17 – د. عبد الكريم فهد الساري و سؤدد فؤاد الالوسي، الاعلام والتسويق السياسي والانتخابي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2013.

18 –جان ماري دانكان، علم السياسة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1997.

19 – د. عبد السلام المسدي نحو وعي ثقافي جديد، دار الصدى للصحافة والتوزيع، دبي، 2010 .

20 – د. سهام حسن علي الشجيري، انسة الاعلام جدلية التأثير والتغيير، دار الفا للنشر، الجزائر، 2015.

21 – د.بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من افعال اللغة الى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والاعلام، القاهرة، 2010.

21 – صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ط2، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة، 1999.

22 – د. مصطفى الكافي، الاعلام والراي العام والعلاقات العامة في مواجهة الازمات، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان 2017.

23 – د. عبد الفتاح، و محمد دوّيدار، سِّيكولوجّية الاتصال والاعلام، دار المعرف الجامعّية، القاهرة، 2005.

24 – د. علي الدين هلال، ونيفين مسعد، النظم السياسية العربية قضايا الاستمرار والتغيير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.

25 – علي عبد الفتاح، الاعلام السياسي والدبلوماسي، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، 2014.

26 – د. اسامة كبارة، دراسة في فنون الصحافة والاعلام، دار المنى لبنان،2001.

27 – د.علي عواد الراي العام بين الدعاية والاعلام، المركز الدولي للدراسات الاستراتيجية والاعلام، بيروت 2015.

28 – سعيد السراج، الرأي العام مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة، ط2، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986.

29 – د.ابراهيم ابو عرقوب، الاتصال الانساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 1993 .

30– جوديت لازار، سوسيولوجيا الاتصال الجماهيري بالمشاركة، ترجمة د. علي اسعد وطفة، دار الينابيع، دمشق 1994 .

31 – آلفين توفلر، صدمة المستقبل المتغيرات في عالم الغد، ترجمة د.محمد علي نصيف، ط2، الجمعية المصرية للنشر والمعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، 1990.

32 – د.خالد ممدوح العزي، اخلاقيات مهنة الاعلام بين السلوكية والمهنية، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2019.

المجلات الدورية:

1 – د.راضية بوبكري، الخِطَاب السّيَاسِي، الخصائص واستراتيجيات التأثير، مجلة جامعة عنابة، المجلد، 5 العدد12، الجزائر 2013.

2– مجدي محمد عبد الجواد الدنغر، دور وسائل الإعلام والاتصال في دعم خطط لتنمية المستدامة والنهوض بها في البلدان العربية، دراسة حول دور الصحافة في معالجة الفترة 2007–2005، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت المجلد :33 العدد، 359، 2012، ص17.

الصحافة المكتوبة:

–هالة الحمصي، خطاب إعلامي اتهامي ذا أبعاد سياسية ومذهبية"، صحيفة النهار اللبنانية 17 ايلول \سبتمبر 2015.

2 – د.جلال فاخوري، سيكولوجية الإعلام في الأزمات صحيفة الرأي الاردنية، 1 ايار \مايو 2012.

المواقع الالكترونية :

– د خالد ممدوح العزي، الخطاب السياسي واجتزائه في لبنان... غياب الرؤية المهنية والحاجة ملحة للتجديد، موقع بيروت اوبزرفر الالكتروني، 11 حزير\يوليو 2014،

www.beirutobserver.com

Semi-Annual Journal

Copy no. 7 /Sep 2020

Flash Journal of Research

Temporary semiannual scientific journal

Flash Journal de Recherche

Journal scientifique semestriel temporaire

DEFINITION:
A SEMI-ANNUAL SCIENTIFIC REVIEW PUBLISHED BY THE NATIONAL SOCIETY FOR CULTURE AND DEVELOPMENT.1193 / AD.

LA DÉFINITION:
C›EST UNE REVUE SCIENTIFIQUE SEMESTRIELLE PUBLIÉE PAR LA SOCIÉTÉ NATIONALE POUR LA CULTURE ET LE DÉVELOPPEMENT.1193 / AD.

Directed by Dr Haifa Suleiman Imam.

Publishing and distribution: The Arab House of the Renaissance, Beirut, Lebanon

Dirigée par le Dr Haifa Suleiman Imam.

Édition et distribution: La Maison arabe de la Renaissance, Beyrouth, Liban

باب الأبحاث باللغات الأجنبية:

1- Effect of some macroeconomic variables on total deposits in Iraqi commercial banks, For the period (2006 – 2017)

Assist. prof. Dr. Abdulateef Hassan Shoman /Latifko5100@esraa.edu.iq

Lecturer Dr. Ali Hassan Zayer/ Alizayer67@esraa.edu.iq

Al-Esraa University Colleg /Baghdad, IRAQ

ABSTRACT:

The increase in deposits is a goal pursued by all banks because they provide them with income and profits to ensure their survival and continuity. This study aims to shed light on the effect of some macroeconomic variables (GDP, inflation and unemployment) on the total deposits in commercial banks in Iraq for the period (2006 – 2017) . The study detect a number of results, the most important of which is that the size of GDP has a direct relationship with total bank deposits while unemployment rate and the Inflation ratio is linked to total deposits with a reverse relationship. The study recommends that government efforts be directed towards improving per capita income and reducing inflation ratio and unemployment rates in the country by increasing the development in economy in an effort to accelerate and strengthening of national savings .

Keywords: Macroeconomic, Economics Stability, Monetary Stability factor, Unemployment, Inflation targeting, Bank deposits.

JEL: E01 E02 E31 E52

1. Introduction

The role of banks in the business world has become increasingly important as the existence of a developed and a strong banking system in any country which has been linked to the development of the economic systems, which in turn affect all aspects of life. This applies to Iraqi economy after the various stages of social and economic transformation that occurred in the last 10 years . The financial institutions in general, including banks, are exposed to a set of determinants that affect the profits of these banks,

especially as their role in the economy increases and the risks of economic activities increase. These determinants vary in their forms and causes, such as liquidity risk. Bank budget items cannot be controlled , such as unemployment, inflation, interest rate, and inevitably became the managers of banks and keep up mitigation and adoption of methods and devises ways and entrances are to reach goals and increase returns.

Our study highlights the impact of some macroeconomic variables on total deposits in all Iraqi commercial banks.

1.1 Problem Statement

Bank deposits are one of the main indicators in determining the profits of commercial banks and that all departments of those banks are always seeking to maximize their profits and for the purpose of achieving this must be to identify the factors of the external environment that lies outside the control such as the unemployment rate and inflation ratio to identify the effects and to avoid or reduce the effects of these factors. For this reason, this study is done to answer the following main question: What is the effect of macroeconomic variables on the movement of bank deposits in Iraq? The following questions can be asked:

Is there a statistically significant effect of unemployment on total deposits ?

Is there a statistically significant effect of inflation on total deposits ?

1.2: Importance of the study

The importance of this study stems from addressing the problem of the decrease in the volume of deposits in Iraqi commercial banks, especially private banks. The study also contributes to providing the necessary data and evidence for banks to manage deposits by identifying the strengths and weaknesses of the policies adopted. Iraqi banks need to attract deposits from customers to practice its activities and aimed to maximize profits in light of the basic phenomenon of bank deposits which are characterized by its permanent movement and transformation, so the means of its uses and the means of debt and rights are on it . Undoubtedly, banks and shareholders' administrations can benefit from this Study and results.

1.3 Objectives of the study

This study attempts to investigate the impact of macroeconomic variables on the total bank deposits and their movement in Iraqi commercial banks and clarify some things that will develop deposits in Iraqi banks and

support the Iraqi economy. As well as knowledge of the most important determinants of supply and demand on the market of bank deposits and the most important external factors affecting the attraction and development.

1.4 Study Hypotheses:

According to the problem of the study and its objectives, we assume that:
H0: Unemployment, inflation and gross domestic product (GDP) are not linked to total bank deposits.

H1: Unemployment, inflation and gross domestic product (GDP) are linked to total bank deposits.

2. Methodology and Data Analysis

This section deals with the specifications of the variables of in the study, definitions of data and data sources, estimation procedures, and the valuation techniques . The practical part of this study will be to know the nature of the relationship between the variables and the extent of influence of independent variables on the dependent variable in order to answer the problem of this subject.

2.1: Society and Study Sample: The banking system in Iraq consists of (69) banks until 31 December 2017 (7) government distributed between commercial and specialized banks, (62) banks including (24) private local commercial banks (19) foreign banks and (19) Islamic banks (Central Bank of Iraq, 2017). The study community consists of all deposits in the Iraqi commercial banks operating in Iraq, which are 28 banks . This is shown in Table (1) below:

Table 1: Study Sample (Million Dinar Iraqi, and Percentages)

Time Deposits Unemployment Inflation GDP Deposits
GDP INDEX

% % ratio%

%

2007 ---	---	95587954	23.2	17.5	16928295	.1	
2008	16.6	54.7	1.11E+08	32.6	16.9	26188926	
2009	40.8	31.8	1.57E+08	2.8	15.3	34525448	
2010	-16.8	11.8	1.31E+08	-2.8	15.2	38588086	
2011	24.1	24.3	1.62E+08	2.4	15.2	47947232	
2012	34.1	17.1	2.17E+08	5.6	15.2	56157180	
2013	17	10.4	2.54E+08	6.1	15.3	62005935	
2014	7.6	11	2.74E+08	1.9	15.1	68855467	
2015	-2.6	7.5	2.66E+08	2.2	15	74073336	
62398733	2016	2.5	13.1	2E+08	1.4	15	64344061
67048631	2017	-9	9	2.04E+08	0.5	15.1	
10.9	7.5	2.26E+08	0.2	14.8			

Source: 1. Arab Monetary Fund, Joint Arab Economic Reports for Years (20062017). https://www.amf.org.ae/ar/jointrep.

2. Central Bank of Iraq, Annual Statistical Bulletin for the Years (2006-2017). https://cbi.iq/news/view/492.

3. Ministry of Planning, Central Bureau of Statistics, Annual Statistical Group for Years (2006-2017). http://cosit.gov.iq/ar/.

All Iraqi commercial banks listed on the Iraqi Stock Exchange have been selected. The sample was selected on the basis of the availability of the information (financial statements, annual reports) of the PDF. We have relied on a set of primary and secondary data related to the subject of the study in the form of secondary data: the data of the theoretical side of the study where we conducted a survey of previous studies and review of literature published in books and magazines, articles and university researches and Internet; preliminary data The data and information related to the study sample institutions were collected from the websites of the institutions under study, including GDP, inflation, unemployment as well as total deposits, which are approved, and audited the pleasures of credibility .We calculate the yearly rate of increase in gross domestic product and in gross deposits (column 6 and column 7)

2.2. Dataset and variable definition:

The definition of input and output factors are essential for the implementation of the study and analysis of the results, due to the complexity of business and banking activities (Camilo Almanza et al., 2018) .

2.2.1. Total deposits (dependent variable): In this study, the reliance on deposits has been focused on the mediation approach in banking to determine input and output specifications. According to this approach, banks are considered intermediaries between owners of cash surplus and deficit-deficit holders. That is, banks are supposed to transfer financial resources from one to the other. Perhaps the biggest challenge facing deposits is the deterioration of confidence among depositors and possibly banks, in some cases because of the lack of deposit insurance system (Sebastian Schich 2009). I think that is what the banking system in Iraq needs.

Banks receive money from the public through deposits. The following types of deposits are usually received by banks: current deposits, fixed deposits, recurring deposits, miscellaneous deposits. The total deposits are then formed. The banks make deposits as a major source of funds. After banks are perfect, banks must be able to lend money to generate interest in lending . Debt mobilization is an ongoing task of the bank to ensure total deposits at any time to maintain the current level of lending and private investments to offset withdrawals by depositors. (Essays, UK. 2018).

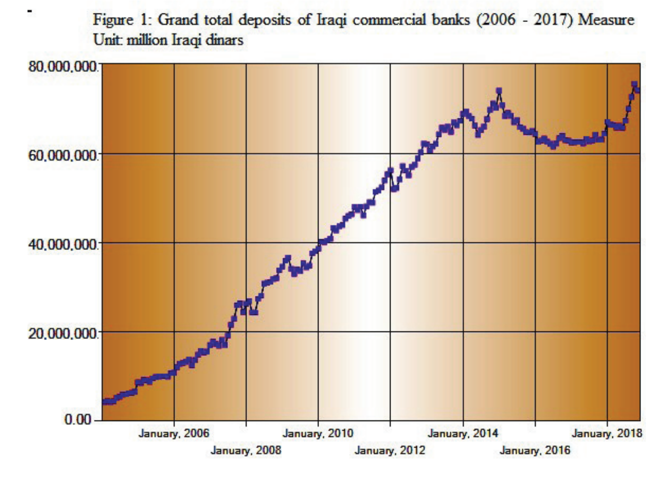


Figure 1: Grand total deposits of Iraqi commercial banks (2006 - 2017) Measure Unit: million Iraqi dinars

Source: Central Bank of Iraq, Economic and Statistic Data.

http://cbiraq.org/SeriesChart.aspx?TseriesID=388

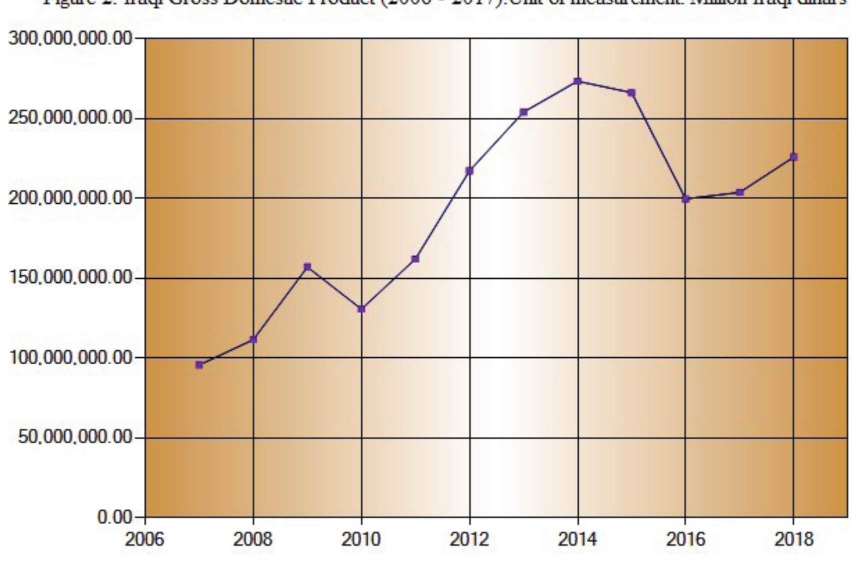
It is clear from the above figure that the balance of deposits with the Iraqi banking sector continued to rise gradually from (16.9) in 2006 to reach

(62.4) trillion dinars in 2016 and then to 67.04 trillion in 2017 . The reason for this increase is the relative improvement of the economic situation in 2017, which was reflected in the increase of the percentage of government deposits in banks, which constitute more than (60%) of total deposits in banks, especially in commercial banks belonging to the government . On the other hand, the improvement in the economic situation has been reflected in the increase in the incomes of individuals, as the average per capita GDP increased from (5.6) million dinars in 2016 to 6 million dinars in 2017. And then rose the private sector deposits from (23.7) trillion dinars in 2016 to (26) trillion dinars in 2017, with growth rate (10%) to increase the proportion of total deposits to (39%) in 2017, to reduce the difference between the proportion of deposits between the public and private sector . As regards the distribution of deposits by type (current deposits, savings deposits, fixed deposits), Current deposits continued to occupy the bulk of total deposits. It should be noted that the contribution of savings deposits and fixed deposits have increased from the total deposits is a good indicator of the trend towards increasing financial stability and this is what must be working on monetary policies in Iraq because this type of deposit gives banks a greater opportunity to finance development projects.

2.2.2. Independent variables: We need to start with some basic definitions:

2.2.2.1. Gross domestic product (GDP) is the market value of goods and services produced in a specific geographical area (often in a year). That GDP only measures goods and services, if produced and sold, will be calculated (E. E. Leamer, 2009). Also referred to as GDP, is the market value of all goods and services produced in a given country in a given period of time. This definition has four parts: market value, final goods, services produced within the country, in a given period of time (Wyatt Brooks, 2014). Context: GDP is an important indicator of economic activity and growth , as illustrated in the following figure:

Figure 2: Iraqi Gross Domestic Product (2006 - 2017).Unit of measurement: Million Iraqi dinars



Source: Central Bank of Iraq, Economic and Statistic Data: http://cbiraq.org/SeriesChartBig.aspx?isVir=0&dateFrom=12/31/2006&dateTo=02/06/2019&TseriesID=196.

From figure (2), and from the data in Table (1) above . It is clear that the gross domestic product (GDP) fluctuated between rise and fall during the study period, from (95,587,954) million dinars in 2006 to reach (273,587,529) million dinars in 2013, in 2014 there was an increase to (386,426,384) million then declined to (199,715,699.9) in 2015, and then increased to (203,869,832) in 2016 and then to (225,999,179) in 2017. We can say that the fluctuations in the movement of GDP is due to security and economic instability in Iraq.

3.2.2.2. Inflation: The definition of inflation has been evolved with the development of economic .The definition varies according to differences and the development of schools of thought and economic schools and the repercussions of economic crises. Inflation is a sensitive increase in the amount of money (Denbel, et al., 2016). Keynesian theory sees inflation as the excess of quantitative demand for the display, that is in full use mode, such imbalance is characterized by high prices and therefore the rise in prices is a sign of inflation (Alan Blinder, 2018).

Inflation is an imbalance in monetary value with the real value of all investments; the rate of return on investment may be equal in terms of monetary value in two different markets. Investors prefer to work in a low-inflation market to achieve a really high return. Some writers say that the rise in the general price level is described as inflation and this indicates that the effective supply of funds is increasing faster than the speed of the supply of goods, the relative value of money decreases while the value of the goods increases and express at high prices.

Figure 3: inflation rate in Iraq for the period (2006 - 2017) percentage

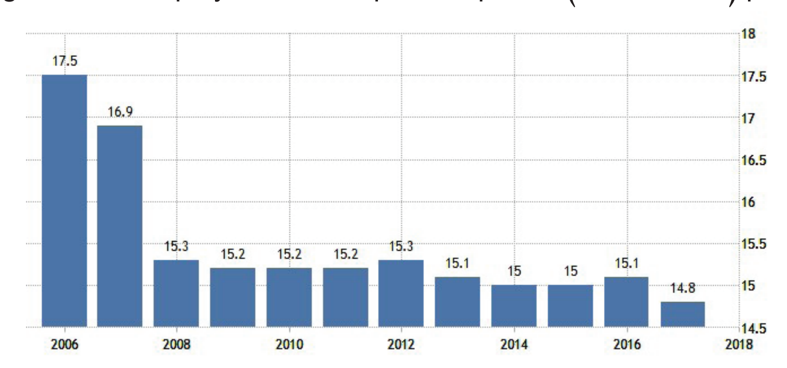
Source: Figure by the researcher based on the table (1).

- The shortfalls in the gross domestic product are meeting the growing domestic demand and the volume of government spending which their increasing has created a greater breadth in inflation continuously until it reached its highest level in 2007. It has directly affected the general price increase and reached its lowest level in 2010, after that, the ratio was fluctuated but at a slightly acceptable rate. The expansionary fiscal policy adopted by the state in managing its economy has not achieved its desired objectives but has brought many economic problems represented by inflation and devaluation of the currency ... etc. Recently, the budget programs announced by the Iraqi government focused on a range of tasks, notably increasing domestic production, increasing per capita income, reducing unemployment, controlling inflation .

- **2.2.2.3. Unemployment:**

- Unemployment is defined as a situation in which a person of working age is unable to obtain a job. There are many kinds of unemployment:

- Demand Deficient Unemployment – Lack of aggregate demand in the economy .
- Frictional unemployment – workers in between jobs.
- Voluntary Unemployment. – Workers prefer not to work.
- Structural unemployment – Workers lack the necessary skills or suffer from geographical inertia.
- Real unemployment – wages above equilibrium, for example, due to the rise in the national minimum wage.
- Figure 4: unemployment in Iraq for the period (2006-2017) percentage



Source: https://tradingeconomics.com/iraq/unemployment-rate

In Iraq, the unemployment rate measures the number of people actively searching for a job as a percentage of the labor force, which means that they usually rise or fall because of changes in economic conditions. According to the graph above, we note that the unemployment rate in Iraq decreased from (17.5) in 2006, (the highest in the years of this study) to (16.9) in 2007, then unemployment fell to (15.3) in 2008 and then stabilized at close rates between the rise slightly or slightly decline until the year 2017, which reached the rate of unemployment (14.8) which is the smallest rate .

2.3. Study model

The multiple linear regression model for our study was chosen for the purpose of obtaining reasonable results. It is an advanced and excellent statistical method that ensures the accuracy of reasoning in order to improve the results of the study through the optimal use of data in the creation of causal relationships between variables. Multiple linear regression is the creation of a mathematical equation that expresses the relationship between variables and is used to predict future values . It is also a regression of the

dependent variable (Y) on many independent variables (X_1, X_2, X_3,........ X_k). It is therefore used to predict changes in the dependent variable, which affects several independent variables, whose idea is based on semantic relationships that use what is known as dispersion. (Ramesh Reddy & K.Sarma, 2015)

Multiple linear regressions are not just one method, but a set of methods that can be used to determine the relationship between a dependent variable and a number of independent variables. The linear equation will be :

$$Y = a + b1X1 + b2X2 + b3X3 + e$$

Where : Y is the dependent variable deposits index

X1 the first independent variable (gross domestic index)

X2 the second independent variable(unemployment ratio)

X3 the third independent variable(inflation ratio) b1 is the regression coefficient of the first independent variable b2 is the regression coefficient of the second independent variable b3 is the regression coefficient of the third independent variable a = fixed value or Constant e = random error

After obtaining the results of the regression equation, we show whether these transactions are statistically acceptable, which is statistically significant, noting that the morality is for each factor separately . In order to judge the significance of regression coefficients, we use the t - test and the corresponding probability level. The program will automatically extract the test and the corresponding probability level . Statistics will also be used to determine the overall morale of the model Such as (R^2) it is used to interpret the explanatory power of the multiple linear regression model because it takes into account the number of independent variables. We also use the (F) statistic to judge the significance of the estimated model as a whole at a specified significant level. Stepwise method is used to eliminate no significant independent variable that show a weak or no significant effect on the dependent variable .

3 . Regression Analysis:

First we apply the multiple linear function to obtain the fitted equation to the assigned data (Total deposits as the dependent variable , gross domestic product , unemployment rate , Inflation ratio as independent variables) . Computing the coefficients of correlation between variables. Testing the as-

signed hypothesis and the results were as follows :

Model Summary

Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	964[a].	930.	904.	5748186.590

a. Predictors: (Constant), Inflation, Gross domastic product, unemployment

ANOVA[a] 1.1

Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	.Sig
1	Re-gres-sion	3507245230458137.500	3	1169081743486046.000	35.382	000[b].
	Re-sidual	264333192625660.380	8	33041649078207.547		
	Total	3771578423083798.000	11			

Dependent Variable: total deposits

d. Predictors: (Constant), Inflation, Gross domastic product, unemployment

Coefficients[a] 1.2

Model		Unstandardized Coefficients B	Std. Error	Standardized Coefficients Beta	t	.Sig
1	Con-) (stant	153941646.679	103402530.677		1.489	175.

	Gross domastic product	215.	044.	696.	4.925	001.
	unem-ployment	-9348805.258	6505513.745	420.-	-1.437	189.
	Inflation	181082.871	436043.044	103.	415.	689.

a. Dependent Variable: total deposits

The Function Obtained is :

$$Y = -671.969 + 0.215\ X_1 - 9348805\ X_2 + 181082\ X_3$$

The value of adjusted R Square indicates ($R_{adj}^2 = 90\%$) a very good ratio.

The results show a positive relation between gross deposits with gross domestic product and inflation ratio but an inverse relationship is appear between gross deposits and unemployment ratio which are seen as a non-significant relationship .

The multiple correlation coefficients (R^2) is equal to 93% and therefore the relationship between the dependent variable (total deposits) and the independent variables is strong .

When we exclude the unemployment variable from the analysis we obtain the following results

Coefficients[a] 1.3

Model		Unstandardized Coefficients B	Std. Error	Standardized Coefficients Beta	t	.Sig
1	(Constant)	5757669.208	8132653.708		708.	497.
	Gross domastic product	252.	037.	817.	6.790	000.
	Inflation	-375618.154	211670.887	214.-	-1.775	110.

The resulting model will be :

$$Y = 5757669 + 0.252\ X1 - 375618\ X2$$

Which show a non-significant reverse relation between total deposits and

Inflation ratio .

When we exclude Inflation variable we obtain the following results :

Model Summary

Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	964[a].	928.	912.	5477546.649

Coefficients[a]

Model		Unstandardized Coefficients Std. Error	B	Standardized Coefficients Beta	t	.Sig
1	Con-) (stant	116867013.547	49717220.105		2.351	043.
	Gross domastic product	220.	039.	715.	5.596	000.
	unem-ployment	-6948603.487	2845640.187	312.-	-2.442	037.

The final results show a direct relation between total deposits and gross domestic product and inverse relationship between total deposits and unemployment rate which are highly significant. The final equation will be :

$$Y = 116867013 + 0.22 X_1 - 6948603 X_2$$

Which assign a positive relationship between deposits andf gross domestic product and inverse relationship with unemployment rate .

4 Conclusions & Recommendation

4.1 Conclusions

We conclude that a positive relationship exist between total deposits and gross domestic product , while an inverse relation exist between total deposits and unemployment rate (were statistically significant at a 0.05 level) , it seems logically that the increase in gross domestic product will lead to an increase in bank deposits . Where income is one of the most important determinants of savings and real deposit. Unemployment, however, is indirectly linked to total deposits, which appears when an

additional increase in unemployment affect total deposits, in other words increase in deposits assigned with a corresponding decrease in unemployment . Investment in economic activities will decrease unemployment rate . Unemployment in Iraq has become a thorn in the flesh. University graduates have become discouraged by high levels of unemployment, and securing profitable work has become a daunting task. Unemployment has a significant impact on total deposits in Iraqi commercial banks The government and other stakeholders are supposed to put a practical solution to decrease the rate of unemployment . Of course the lower interest rate, in turn, increases the tendency for consumption and the low tendency to save.

Inflation is associated with a negative relationship with the total bank deposits. The higher rate of inflation is assigned with a corresponding decrease in gross deposits , but it is seen non-significant relationship by statistical analysis . The analysis indicate a direct relation between inflation and rate of unemployment .

4.2 Recommendations

The relationship between the economy and the banking sector is constant cooperation. The development of the banking sector contributes to the development of the economy, based on the study, we suggest that the Iraqi commercial banks or private banks need attention by the monetary authority to avoid the factors that affect the profits of banks by improving the quality and effectiveness of banking services and raising the interest rate on deposits in order to positively affect the volume of deposits in the banks operating in Iraq. We suggest that commercial banks increase there investment in different economic fields to absorb a large part of unemployment . We also recommend the need to reduce inflation because of its negative effects on the economy . Unemployment caused many social and economic problems in Iraq, so it must be eliminated by encouraging young people to be creating jobs by helping them with investment loans with low interest .

References:

1. Alan Blinder, (2018). Keynesian Economics, The Library of Economics and Liberty, https://www.econlib.org/library/Enc/KeynesianEconomics.html.
2. Arab Monetary Fund, Joint Arab Economic Reports for the Years (2006-
3. 2017). https://www.amf.org.ae/ar/jointrep
4. Camilo Almanza and Jhon James Mora Rodríguez (2018). Profit efficiency of banks in Colombia with undesirable output: a directional distance function approach. Economics: Open-Access, Open-Assessment E-Journal, Vol. 12 (2018-30): 1-18.

http://dx.doi.org/10.5018/economics-ejournal.ja.2018-30.

5. Central Bank of Iraq, Department of Monetary & Financial Stability, Financial Stability Report,(2017). https://cbi.iq/static/uploads/up/file154219109164399.pdf.
6. Central Bank of Iraq, Annual Statistical Bulletin for the Years (2006-2017). https://cbi.iq/news/view/492.
7. Denbel, et al., (2016). The Relationship between Inflation, Money Supply and Economic Growth in Ethiopia: Co integration and Causality Analysis,
8. International Journal of Scientific and Research Publications, Volume 6, Issue 1, http://www.ijsrp.org/research-paper-0116/ijsrp-p4987.pdf
9. E. E. Leamer, (2009), Macroeconomic Patterns and Stories: A Guide for
10. MBAs. 19, Springer -Verlag Berlin Heidelberg.
11. https://www.springer.com/gp/book/9783540463887.
12. E. Philip Davis et al., (2018). Evaluate the macroeconomic impact of alternative macro-transformation policies. Available online at https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0264999318307363?via%
13. 3Dihub
14. Essays, UK. (2018). Types of Deposits and Bank Accounts. Retrieved from https://www.ukessays.com/essays/economics/types-deposits-bank-accounts4730.php?vref=1
15. Ioan Trenca et. al. (2015). Impact of macroeconomic variables upon the banking system liquidity, Volume 32, Pages 1170-1177 , (Available online at https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S221256711501583X
16. Ministry of Planning, Central Bureau of Statistics, Annual Statistical Group for the Years (2006-2017). http://cosit.gov.iq/ar/.
17. Mohammad Namazi & Mahdi Salehi(2010). The Role of Inflation in
18. Financial Repression: Evidence from Iran, World Applied Sciences Journal 11 (6): 653-661
19. https://pdfs.semanticscholar.org/7213/59546192a42c87b5b2d31b7e8ccd1949b147.pdf.
20. Orji Anthony (2012). Bank Savings and Bank Credits in Nigeria:
21. Determinants and Impact on Economic Growth, International Journal of Economics and Financial Issues Vol. 2, No. 3, 2012, pp.357-372 https://www.econjournals.com/index.php/ijefi/article/viewFile/67/pdf
22. Ramesh Reddy & K .Sarma,(2015). A Multiple Linear Regression Approach for the Analysis of Stress Factors of Faculty in Higher Educational Institutions, International Journal of Mathematics And its Applications,
23. Volume 3, Issue 4–A (2015), 95–103. Available Online: http://ijmaa.in/
24. Sebastian Schich (2009). Challenges Associated with the Expansion of Deposit Insurance Coverage during fall 2008. Vol. 3, 2009-20. http://www.economics-ejournal.org/economics/journalarticles/2009-20.
25. Tejvan Pettinger, (2017). Definition of Unemployment, Oxford, UK, https://www.economicshelp.org/blog/2247/unemployment/definition-ofunemployment/
26. Wyatt Brooks, (2014). MEASURING A NATION'S INCOME, Gross
27. Domestic Product. Online: https://www3.nd.edu/~wbrooks/SyllabusS14.pdf

2- Some reliable techniques for solving higher-order Volterra integro-differential equations

Khawlah Hashim Hussain

Department of Mechanical Technology,

Basra Technical Institute Southern Technical University, Al-Basrah, Iraq.

Email: khawlah.hussain@stu.edu.iq

Abstract

1. In this paper, the Adomian Decomposition Method (ADM) and Variational Iteration Method (VIM) are applied to solve boundary value problems for higher-order Volterra integro-differential equations. The numerical results obtained with minimum amount of computation are compared with the exact solutions to show the efficiency of the techniques. The results show that the variational iteration method is of high accuracy, more convenient and efficient for solving integro-differential equations.

Keywords: Adomian decomposition method, variational iteration method, integro-differential equation.

Introduction In this work, we consider the Volterra integro-differen- .2
:tial equation of the second kind as follows

$$\sum_{j=0}^{k} p_j(x)u^{(j)}(x) = f(x) + \int_a^x K(x,t)G(u(t))dt,$$

:with the initial or boundary conditions	
$u^{(r)}(a) = \alpha_r$, $(r = 0,1,2,\ldots,(n-1))$,	(2)
$u^{(r)}(b) = \beta_r$, $(r = n,(n+1),\ldots,(k-1))$,	(3)

where $u^{(j)}(x)$ is the jth derivative of the unknown function u(x) that will be determined, K(x,t) is the kernel of the equation, $a \le x \le b$, f(x) and $p_j(x)$ are analytic functions, G is analytic function of u, and α_r; $0 \le r \le (n-1)$ and β_r; $n \le r \le (k-1)$ are real finite constants.

In recent years there has been a growing interest in the integro-differential equation. The integro-differential equations be an important branch of modern mathematics. It arises frequently in many applied areas which include engineering, electrostatics, mechanics, the theory of elasticity, potential, and mathematical physics [3,4,6,10,27].

Recently, Wazwaz (2001) presented an efficient and numerical procedure for solving boundary value problems for higher-order integro-differential equations. A variety of methods, exact, approximate and purely numerical techniques are available to solve nonlinear integro-differential equations. These methods have been of great interest to several authors and used to solve many nonlinear problems. Some of these techniques are Adomian decomposition method [4,24], modified Adomian decomposition method [30], Variational iteration method [7,32,33] and homotopy perturbation method [30] and many methods for solving integrodifferential equations [2,3,6,16–21,28].

More details about the sources where these equations arise can be found in physics, biology, and engineering applications as well as in advanced integral equations. Some works based on an iterative scheme have been focusing on the development of more advanced and efficient methods for integro-differential equations such as the variational iteration method which is a simple and Adomian decomposition method [8,9,24,31], and the modified decomposition method for solving Volterra-Fredholm integral and integro-differential equations which is a simple and powerful method for solving a wide class of nonlinear problems [24]. The Taylor polynomial solution of integro-differential equations has been studied in [27]. The use of Lagrange interpolation in solving integro-differential equations was investigated by Marzban [26]. The VIM has been successfully applied for solving integral and integro-differential equations [5,24,30].

A variety of powerful methods has been presented, such as the homotopy analysis method [30], homotopy perturbation method [6,30], operational matrix with Block-Pulse functions method [3], variational iteration method [5,30] and the Adomian decomposition method [4,24,30]. Some fundamental works on various aspects of modifications of the Adomian's decomposition method are given by Araghi [1]. The modified form of Laplace decomposition method has been introduced by Manafianheris [25]. Babolian et. al, [3], applied the new direct method to solve nonlinear Volterra-Fredholm integral and integro-differential equation using operational matrix with block-pulse functions. The Laplace transform method with the Adomian decomposi-

tion method to establish exact solutions or approximations of the nonlinear Volterra integro−differential equations, Wazwaz [31]. Recently, the authors have used several methods for the numerical or the analytical solutions of linear and nonlinear Volterra and Fredholm integro−differential equations [11−15,22−24,30].

In this work, our aim is to solve a general form of boundary value problems for higher−order Volterra integro−differential equations by using the ADM and VIM.

Volterra Integro-differential Equation of Second Kind We consider .3
:the Volterra integro-differential equation of the second kind as follows

$$\sum_{j=0}^{k} p_j(x)u^{(j)}(x) = f(x) + \int_a^x K(x,t)G(u(t))dt.$$

(4)

We can rewrite Eq.(4) as follows:

$$p_j(x)u^{(j)}(x) = f(x) + \int_a^x K(x,t)G(u(t))dt,$$

$$u^{(k)}(x) = \frac{f(x)}{p_k(x)} + \int_a^x \frac{K(x,t)G(u(t))}{p_k(t)}dt - \sum_{j=0}^{k-1} \frac{p_j(x)}{p_k(x)}u^{(j)}(x)$$

$$u^{(k)}(x) = \frac{f(x)}{p_k(x)} + \int_a^x \frac{K(x,t)G(u(t))}{p_k(t)}dt - \sum_{j=0}^{k-1} \frac{p_j(x)}{p_k(x)}u^{(j)}(x)$$

(5)

Let us set L^{-1} is the multiple integration operator as follows:

$$L^{-1}(.):=\int_a^x \int_a^x \dots \int_a^x \int_a^x (.)\, \underbrace{dtdt \dots dtdt}$$

(6)

k−times

From Eq.(5) and Eq.(6)

$$u(x) = L^{-1}\{\frac{f(x)}{p_k(x)}\} + \sum_{r=0}^{k-1} \frac{(x-a)^r}{r!}\alpha_r + L^{-1}\{\int_a^x \frac{K(x,t)G(u(t))}{p_k(t)}dt\}$$
$$-L^{-1}\{\sum_{j=0}^{k-1} \frac{p_j(x)}{p_k(x)} u^{(j)}(x)\}.$$

(7)

We can obtain the term $\sum_{r=0}^{k-1} \frac{(x-a)^r}{r!}\alpha_r$ from the initial conditions. From [8], we have

(8)

$$L^{-1}\{\int_a^x \frac{K(x,t)G(u(t))}{p_k(t)}dt\} = \int_a^x \frac{(x-t)^k K(x,t)G(u(t))}{(k!) \quad p_k(t)}dt,$$

also

$$L^{-1}\{\sum_{j=0}^{k-1} \frac{p_j(x)}{p_k(x)} u^{(j)}(x)\} = \sum_{j=0}^{k-1} \int_a^x \frac{(x-t)^{k-1} p_j(t)}{(k-1)! \quad p_k(t)} u^{(j)}(t)dt$$

(9)

By substituting Eq.(8)and Eq.(9) in Eq.(7) we obtain

$$u(x) = L^{-1}\{\frac{f(x)}{p_k(x)}\} + \sum_{r=0}^{k-1} \frac{(x-a)^r}{r!}\alpha_r + \int_a^x \frac{(x-t)^k K(x,t)G(u(t))}{(k!) \quad p_k(t)}dt$$
$$-\sum_{j=0}^{k-1} \int_a^x \frac{(x-t)^{k-1} p_j(t)}{(k-1)! \quad p_k(t)} u^{(j)}(t)dt.$$

(10)

We set,

$$L^{-1}\{\frac{f(x)}{p_k(x)}\} + \sum_{r=0}^{k-1} \frac{(x-a)^r}{r!}\alpha_r = F(x)$$

$$\frac{(x-t)^k K(x,t)}{(k!)\quad p_k(t)} = K_1(x,t)$$

$$\frac{(x-t)^{k-1} p_j(x)}{(k-1)!\quad p_k(x)} = K_2(x,t).$$

So, we have one-dimensional integro-differential equation as follows:

$$u(x) = F(x) + \int_a^x K_1(x,t)G(u(t))dt - \sum_{j=0}^{k-1}\int_a^x K_2(x,t)u^{(j)}(t)dt.$$

Description of the Methods

In this section, we present the semi-analytical techniques based on ADM and VIM to solve Volterra integro-differential equation:

(Adomian Decomposition Method (ADM 3.1

The ADM is applied to the following general nonlinear equation [1,30]:

$$Lu + Ru + Nu = f(x), \quad (11)$$

where u is the unknown function, L is the highest-order derivative which is assumed to be easily invertible, R is a linear differential operator of order less than L and Nu represents the nonlinear terms and f is the source term. Applying the inverse operator L^{-1} to both sides of Eq.(11) and using the given conditions we obtain

$$u = F(x) - L^{-1}(Ru) - L^{-1}(Nu), \quad (12)$$

where the function F(x) represents the terms arising from integrating the source term f(x). The nonlinear operator Nu = G(u) is decomposed as

$$G(u) = \sum_{n=0}^{\infty} A_n$$

, (13)

where A_n; n >0 are the Adomian polynomials determined formally as follows:

$$A_n = \frac{1}{n!}\left[\frac{d^n}{d\lambda^n}\left[G\left(\sum_{i=0}^{\infty}\lambda^i u_i\right)\right]\right]_{\lambda=0}$$

.

The Adomian polynomials were introduced in [30] as:

$$A_0 = G(u_0); \quad A_1 = u_1 G'(u_0); \quad A_2 = u_2 G'(u_0) + \frac{1}{2} u_1^2 G''(u_0)$$

$$A_3 = u_3 G'(u_0) + u_1 u_2 G''(u_0) + \frac{1}{3} u_1^3 G'''(u_0), \ldots$$

The standard decomposition technique represents the solution of u in Eq.(11) as the following series:

$$u = \sum_{n=0}^{\infty} u_n$$

(14)

The nonlinear terms $G(u(t))$ $D^j(u(x)), (D^j = \frac{\partial^r}{\partial x^j}$ and is derivative operator), are usually represented by an infinite series of the so called Adomian polynomials as follows:

$$G(u(t)) = \sum_{i=0}^{\infty} , \sum_{i=0}^{\infty} A_i , D^j(u(x)) = \sum_{i=0}^{\infty} Bij , \sum_{i=0}^{\infty} Bij ,$$

where A_i and B_{ij} ($i \geq 0, j = 0,1,\ldots,k-1$) are the Adomian polynomials. where, the components $u_0, u_1, \ldots$ are usually determined recursively by

$u_0 = F(x)$, (15)

$un+1 = -L^{-1}(Run) - L^{-1}(An)$.

Substituting (12) into (15) leads to the determination of the components of u. Having determined the components $u_1, u_2, \ldots$, the solution u in a series form defined by Eq.(14).

Now, we apply ADM to find the approximate solutions of Eq.(11), we can write the iterative formula as follows:

$u_0(x) = F(x)$,

(16)

$$u_{n+1}(x) = \int_a^x k_1(x,t) A_n dt - \sum_{j=0}^{K-1} \int_a^x k_1(x,t) A_n dt$$

$\int_a^x k_1(x,t)A_n dt -$

$$\sum_{j=0}^{K-1} \int_a^x k_1(x,t)A_n dt$$

Convergence aspects of the ADM have been investigated in [19]. For later numerical computation, let the expression

$$Y_n(x) = \sum_{k=0}^{n-1} u_k \sum_{k=0}^{n-1} u_k$$

denote the n−term approximation to u(x).

(Variational Iteration Method (VIM 3.2

This method has been applied to solve a large class of linear and nonlinear problems with approximations converging rapidly to exact solutions.

The main idea of this method is to construct a correction functional form using general Lagrange multipliers. These multipliers should be chosen such that its correction solution is superior to its initial approximation, called trial function. It is the best within the flexibility of trial functions. Accordingly, Lagrange multipliers can be identified by the variational theory [29,30]. A complete review of VIM is available in [7,16].

The initial approximation can be freely chosen with possible unknowns, which can be determined by imposing boundary/initial conditions. To illustrate, we consider the following general differential equation:

$$Lu(t) + Nu(t) = f(t), \tag{17}$$

where L is a linear operator, N is a nonlinear operator and f(t) is inhomogeneous term. According to variational iteration method [5,24], the terms of a sequence u_n are constructed such that this sequence converges to the exact solution. The terms u_n are calculated by a correction functional as follows:

$$u_{n+1}(t) = u_n(t) + \int_0^t \lambda(\tau)(Lu_n(\tau) + N\tilde{u}(\tau) - f(\tau))d\tau. \tag{18}$$

The successive approximation $u_n(t), n \geq 0$ of the solution $u(t)$ will be readily obtained upon using the obtained Lagrange multiplier and by using any selective function u_0.

The zeroth approximation u_0 may be selected using any function that just satisfies at least the initial and boundary conditions with λ determined, sev−

eral approximations $u_n(t), n \geq 0$ follow immediately. Consequently, the exact solution may be obtained by using

$$u(t) = \lim_{n\to\infty} u_n(t) \qquad (19)$$

Numerical Results .4

In this section, we present the numerical techniques based on ADM and VIM to solve Volterra integro-differential equations:

Example 1.

Consider the Volterra integro-differential equation as follow:

$$u^{(4)}(x) - u(x) = x(1+e^x) + 3e^x - \int_0^x u(t)dt, \quad 0 < x < 1$$

(20)

with the boundary conditions:

$$u(0) = 1,\ u(1) = 1 + e,\ u''(0) = 2,\ u''(1) = 3e. \qquad (21)$$

The exact solution is $u(x) = 1 + xe^x$.

The recursive of ADM

$$u_0 = 1 + Ax + x^2 + \frac{1}{3!}Bx^3 + L^{-1}(x + xe^x + 3e^x)$$

$$u_{n+1} = L^{-1}\{u_n(x)\} - L^{-1}\{\int_a^x A_n(t)dt\},\ n \geq 0.$$

, (22)

Using the recursive algorithm,

$$\Upsilon_2(x) = (f_0 + \frac{1}{360}x^6) + (f_1 - \frac{1}{1209600}x^{10} - \frac{1}{19958400}x^{11})$$

$$\Upsilon_3(x) = (f_0 + \frac{1}{144}x^6 + \frac{1}{1680}x^7) + (f_1 - \frac{1}{19958400}x^{11} - \frac{1}{159667200}x^{12})$$

$$\Upsilon_4(x) = (f_0 + \frac{1}{144}x^6 + \frac{1}{840}x^7 + \frac{1}{10080}x^8) + (f_1 + \frac{1}{39916800}x^{11} - \frac{1}{239500800}x^{12} - \frac{1}{1556755200}x^{13})$$

where

$$f_0 = 1 + Ax + x^2 + \frac{1}{3!}Bx^3 + \frac{1}{8}x^4 + \frac{1}{4!}x^5,$$
$$f_1 = \frac{1}{4!}x^4 + \frac{A-1}{120}x^5 + \frac{2-A}{720}x^6 + \frac{B-2}{5040}x^7 + \frac{3-B}{40320}x^8 + \frac{1}{181440}x^9$$

,

where the constants A = u'(0) and B = u'''(0) can be determined by imposing the boundary condition (21) in $u_1(x)$, then we have

A = 0.9740953834, B = 3.1897820557 for Y_2

A = 0.9944789128, B = 3.0382130987 for Y_3

A = 0.9989095252, B = 3.0073098797' for Y_4

The rest of components of the iteration formulas can be obtained in the same manner.

Using VIM, the iterative formula can be written in the following form:

$$u_{n+1}(x) \qquad (23)$$
$$= u_n(x) + \int_0^x \left(\frac{1}{3!}s^3 - \frac{x}{2!}s^2 + \frac{x^2}{2!}s - \frac{1}{3!}x^3\right)[u_n^{(4)}(s) - u_n(s) - s(1+e^s) - 3e^s + \int_0^s u_n(t)dt]ds$$

Now, starting with the initial solution

$$u_0(x) = 1 + Ax + \frac{1}{2}x^2 + \frac{1}{3!}Bx^3,$$
$$u_1(x) = 1 + Ax + x^2 + \frac{1}{3!}Bx^3 + 0.042(24 + 8.882(10^{-16})e^x(-1+x)(2.702(10^{16} + x(3+x))))$$
$$+x^2(-12 + x(-8 + x(1 + A(0.2 - 0.3)x + x2(0.07 + x(-0.01 + 0.005B - 0.0006Bx))))$$

where the constants A = u'(0) and B = u'''(0) can be determined by imposing the boundary condition (21) in $u_1(x)$, then we have

A = 0.9991323308076788,

B = 3.005849664438371.

The rest of components of the iteration formulas can be obtained in the same manner.Conclusion

We discussed the ADM and VIM to solve boundary value problems for higherorder integro-differential equations. The results obtained with the minimum amount of computation are compared with the exact solutions to

show the efficiency of the techniques. The results show that the variational iteration

method is of high accuracy, more convenient and efficient for solving integro-differential equations.

References

1. M.A. Araghi, S.S. Behzadi, Solving nonlinear Volterra-Fredholm integro-differential equations using the modified Adomian decomposition method, Comput. Methods in Appl. Math. 9 (2009), 321-331.
2. S.H. Behiry, S.I. Mohamed, Solving high-order nonlinear Volterra-Fredholm integro-differential equations by differential transform method, Natural Science, 4 (2012), no. 8, 581-587.
3. E. Babolian, Z. Masouri, S. Hatamzadeh, New direct method to solve nonlinear Volterra-Fredholm integral and integro differential equation using operational matrix with Block-Pulse functions, Progress in Electromagnetic Research, B 8 (2008), 59–76.
4. S.M. El-Sayed, D. Kaya, S. Zarea, The decomposition method applied to solve highorder linear Volterra-Fredholm integro-differential equations, International Journal of Nonlinear Sciences and Numerical Simulation, 5 (2004), no. 2, 105-112.
5. F.S. Fadhel, A.O. Mezaal, S.H. Salih, Approximate solution of the linear mixed Volterra-Fredholm integro-differential equations of second kind by using variational iteration method, Al- Mustansiriyah, J. Sci. 24 (2013), no. 5, 137-146.
6. M. Ghasemi, M. kajani, E. Babolian, Application of He's homotopy perturbation method to nonlinear integro differential equations, Appl. Math. Comput. 188 (2007), 538–548.
7. J.H. He, S.Q. Wang, Variational iteration method for solving integro-differential equations, Phys. Lett. A, 367 (2007), 188-191.
8. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, Existence and uniqueness of the solution for VolterraFredholm integro-differential equations, Journal of Siberian Federal University. Mathematics & Physics, 11 (2018), no. 6, 692–701.
9. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, Modified Laplace decomposition method for fractional Volterra-Fredholm integro-differential equations, Journal of Mathematical Modeling, 6 (2018), no. 1, 91-104.
10. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, Homotopy analysis method for the first order fuzzy Volterra-Fredholm integro-differential equations, Indonesian J. Elec. Eng. & Comp. Sci. 11 (2018), no. 3, 857–867.
11. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, Some new existence, uniqueness and convergence results for fractional Volterra-Fredholm integro-differential equations, J. Appl. Comp. Mech. 5 (2019), no. 1, 58–69.
12. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, Existence and uniqueness of solutions for fractional mixed Volterra-Fredholm integro-differential equations, Indian J. Math. 60 (2018), no. 3, 375–395.

13. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, The approximate solutions of fractional VolterraFredholm integro−differential equations by using analytical techniques, Probl. Anal. Issues Anal. 7(25) (2018), no. 1, 41–58.
14. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, S.M. Atshan, The approximate solutions of fractional inte−gro−differential equations by using modified Adomian decomposition method, Khayyam Journal of Mathematics, 5 (2019), no. 1, 21–39.
15. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, The reliable modified of Laplace Adomian decomposition method to solve nonlinear interval Volterra-Fredholm integral equations, Korean J. Math. 25 (2017), no. 3, 323–334.
16. A.A. Hamoud, L.A. Dawood, K.P. Ghadle, S.M. Atshan, Usage of the modified variational iteration technique for solving Fredholm integro-differential equations, International Journal of Mechanical and Production Engineering Research and De−velopment , 9 (2019), no. 2, 895–902.
17. A.A. Hamoud, K.H. Hussain, K.P. Ghadle, The reliable modified Laplace Adomian decomposition method to solve fractional Volterra-Fredholm integro-differential equations, Dynamics of Continuous, Discrete and Impulsive Systems Series B: Applications & Algorithms, 26 (2019), 171–184.
18. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, Modified Adomian decomposition method for solving fuzzy Volterra-Fredholm integral equations, J. Indian Math. Soc. 85 (2018), no. 1-2, 52–69.
19. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, M. Bani Issa, Giniswamy, Existence and uniqueness theorems for fractional Volterra-Fredholm integro-differential equations, Int. J. Appl. Math. 31 (2018), no. 3, 333–348.
20. A.A. Hamoud, A.D. Azeez, K.P. Ghadle, A study of some iterative methods for solving fuzzy Volterra-Fredholm integral equations, Indonesian J. Elec. Eng. & Comp. Sci. 11 (2018), no. 3, 1228–1235.
21. A.A. Hamoud, K.P. Ghadle, Usage of the homotopy analysis method for solving fractional Volterra-Fredholm integro-differential equation of the second kind, Tam−kang Journal of Mathematics, 49 (2018), no. 4, 301–315.
22. A.A. Hamoud, M. Bani Issa, K.P. Ghadle, M. Abdulghani, Existence and convergence results for caputo fractional Volterra integro-differential equations, Journal of Mathematics and Applications, 41 (2018), 109–122.
23. A.A. Hamoud, M. Bani Issa, K.P. Ghadle, Existence and uniqueness results for nonlinear Volterra-Fredholm integro-differential equations, Nonlinear Functional Analysis and Applications, 23 (2018), no. 4, 797–805.
24. A.M. Jerri, Introduction to Integral Equations with Applications. New York, Wiley, 1999.
25. J. Manafianheris, Solving the integro−differential equations using the modified Laplace Adomian decomposition method, Journal of Mathematical Extension, 6 (2012), no. 1, 41–55.
26. H.R. Marzban, S.M. Hoseini, Solution of nonlinear Volterra-Fredholm integrodifferential equations via hybrid of Block-Pulse functions and Lagrange interpolating polynomials, Hindawi Publishing Corporation, Advances in Numerical Analysis, 868 (2012), no. 279, 1–14.
27. Y. Salih, S. Mehmet, The approximate solution of higher order linear Volterra-Fredholm integro-differential equations in term of Taylor polynomials, Appl. Math.

Comput. 112 (2000), 291–308.
28. S.B. Shadan, The use of iterative method to solve two-dimensional nonlinear Volterra-Fredholm integro-differential equations, J. of Communication in Numerical Analysis, (2012), 1–20.
29. N.H. Sweilam, Fourth order integro-differential equations using variational iteration method, Computers and Mathematics with Applications, 54 (2007), 1086– 1091.
30. A.M. Wazwaz, Linear and Nonlinear Integral Equations Methods and Applications, Springer Heidelberg Dordrecht London New York, 2011.
31. A.M. Wazwaz, The combined Laplace transform-Adomian decomposition method for handling nonlinear Volterra integro-differential equations, Appl. Math. Comput. 216 (2010), 1304–1309.
32. A.M. Wazwaz, A comparison between variational iteration method and Adomian decomposition method, J. Comput. Appl. Math. 207, (2007), 129–136.
33. A.M. Wazwaz, The variational iteration method for solving linear and non-linear Volterra integral and integro-differential equations, Int. J. Comput. Math. 87 (2010), no. 5, 1131–1141.

3- Teachers English Grammar Proficiency in teaching grammar to international students from student point of view

Assistant Lecturer Weam Luaibi Saleh

Weammaster14@gmail.com

Abstract

The study of the paper gives various students' view on teacher's proficiency of teachers in teaching English grammar to international students. The students alert was based on their past views language learning experience, their ability in the language, current academic needs, and future career choices.

The learning and teaching of EAL of international students are done within the context curriculum of the mainstream, and it requires the involvement of the teacher and the student within the levels of the classroom. Schools have made it a point to make a special arrangement for the ESL/EFL students in which a portion of the schools has made additional financing for English teachers.

There is a lot of likenesses in the qualities of the students who learn ESL with the individuals English's identity their first language in that their adapting needs are practically like the other children who English is their native language. However, the ESL students have a precise and unique needs contrasted with the local speakers; this is because they are learning through and in another language.

ESL Teachers have the role of being understanding of the psychological needs, attitudes, an adaptation of the new environment, and how the students are affected by the transition. The coordination of EAL teachers with the students is essential for learning.

Keywords: teacher's proficiency, grammar, teaching, teacher, psychological needs

1. Introduction

Teaching grammar in English is an integral part of the language. This is because of the lack of knowledge in grammar the language learning is incomplete. Teaching approaches and techniques also vary in different teachers. In the grammar-translation method of teaching, for instance, equates

the study of English with that of grammar. In short, it meant that teaching of grammar was the basis of teaching the English language as a whole. This method established the education of grammar rules as a norm. With time another way was introduced that was known as the direct method. This method eschewed the specific analytical method of teaching and advocated teaching inductively. The learners of the language were expected to pick up the grammar rules that were targeted in the same way they did in the rules in their first languages. The method taught the concept of the word without any explanations and also directly without any translations. This technique appreciated significant notoriety toward the start of the twentieth century. The center of the century, (the years between the 60s) was ruled by the Audiolingual Method. Immovably grounded in the semantic hypothesis of structuralism and a mental theory of behaviorism, the Audiolingual strategy, similar to the Direct Method, rejected specific guidance on linguistic focuses. This strategy composes Brown (2001:18), "acquired principles from its an-cestor the Direct Method by practically 50 years while splitting without end completely from the Grammar Translation Method". This strategy expect-ed understudies to learn sentence designs "through a procedure of verbal propensity arrangement" (DeCarrico and Larsen-Freeman, 2002: 28). For this, they were given an evaluated rundown of sentence designs through exchanges which they needed to bore until their utilization ended up pro-grammed.

The theoretical bases of Audiolingualism and their significance in language teaching were tested with the approach of generative sentence structure, which saw language when in doubt administered framework and the job of language students as guideline formulators from the accessible phonetic proof. This expected them to figure, test, and reconsider theories about grammatical structures in the objective language as opposed to merely sub-mitting them to memory. There was more tendency towards the 'no-gram-mar teaching' approach in the late 20th century. One of the principle rea-sons, as expressed by Mitchell (1994), was first language Acquisition (FLA) investigates which intensely impacted second language Acquisition (SLA) and scrutinized the importance of grammar teaching to second language students. Underlining the parallelism among FLA and SLA, the promoters of the Natural Approach thought of the possibility that students could gain a second language how they managed their first language given that they were presented to phonetically rich contribution to the typical habitat. Se-curing exercises as supported by Krashen (1985) see no estimation of oral

sentence structure clarification in the language study hall. To him, "all aspects of sentence structure guidance are futile or (...) 'fringe and delicate' "(Cowan, 2009) (Cowan, 2009). Krashen (1985) and his devotees contend that formal language structure guidance is an exercise in futility because educated syntax learning does not end up obtained information, and it can't be available to clients when required for regular correspondence. They further contend that the course was reading punctuation conflicts with a student's psychological sentence structure; and "it is lexis not linguistic structure that shapes the establishment of language" (Thornbury, 1999).

Notwithstanding, such contentions which slight unequivocal educating of language structure can't be acknowledged without addressing. The scrutinizes of Krashen's conflict no-language approach are many. Psychological methodologies (McLaughlin's data handling model, Anderson's Active Control of Thought (ACT), and connectionism), Long's Interaction speculation and Vygotsky's socio-social hypothesis (Mitchell and Myles, 2004) question Krashen's conflict that syntax educating isn't just purposeless, yet additionally unsafe in the student's general language accomplishment. The accompanying contentions, as exhibited in Thornbury (1999:15-17) presents a defense for teaching grammar to second language students:

- The sentence-machine assertion (for example syntax encourages students to produce sentences.)
- The tweaking contention (for example, sentence structure adjusts students' language.)
- The fossilization contention (for example, sentence structure defends students' writing against fossilization.)
- The propelled coordinator contention (for example, learning sentence structure can be delayed affect later securing of the language.)
- The discrete-thing dispute (for example, communication is open to instruction and learnable due to its sentence structure.)
- The standard of-law contention (for example, sentence structure fits the procedure of transmission from instructors to students.)
- The student desire contention (for example, sentence structure satisfies students' desires.) Recent research works in second language learning, as examined by Mitchell (1994), uncover that syntax instructing is essential for consistent language improvement. Mitchell's contention complies with what Richards and Rynandya (2004) state, "as of late, sentence structure

instructing has recaptured its legitimate spot in the language educational programs. Individuals currently concur that sentence structure is too critical to be overlooked possibly and that without decent information of grammar, students' language advancement will be seriously obliged". Featuring the job of sentence structure in language learning, Nunan (1988) cites Rutherford (1987), who keeps up that, "the deserting of punctuation as the crucial component in the schedule might be untimely." Be that as it may, Rutherford's way to deal with joining the language structure part into the student' prospectus is against the conventional methodology that regards sentence structure as an item and diminishes learning punctuation standards to the retention and their mechanical propagation. Or maybe, Rutherford battles, our prime concern ought to be on sentence structure process that draws in students always in "reanalyzing information, reformulating theories, recasting speculations and so on" (as referred to in Nunan, 1988). Rutherford is of the sentiment that our center should move from 'what' to 'how' parts of language structure instructing. We should consider how the sentence structure part can be best misused following what we are educated of nature of language, quality of language learning, and teaching.

2. Problem statement

An international student comes from different parts of the world with some being native and non-native English speakers. English is one of the foreign languages it is considered necessary for students in school to get involved in learning it for ease of communication. All teachers in an international school have an obligation for teaching grammar, especially the English teachers. Students expect English teachers to be knowledgeable in teaching grammar for them to be useful in their English teaching courses. The study aims to examine the opinion of the student on the English teacher's proficiency in teaching grammar in English to international students.

3. Teaching English grammar

There is a high demand for teachers who teach English grammar in the International curriculum. The market is both for lower level learning and higher level learning in linguistics and grammatical concept. According to Hudson and Walmsley (2005), they felt that English teachers had received limited training in colleges and training institutions. They explained further that most young teacher professionals knew very little grammar and had no confidence in their knowledge. This is because the teacher picked up their grammar unsystematically in the training schools (Carjkler & Hislam, 2002). Due to

this reason, serious problems have been raised in the teaching of grammar by students as an official program in international schools.

4. English Grammar for Teachers

Tribhuvan University, the Department of English Education has endorsed a propelled English language structure course entitled "English Grammar for Teachers." The course supplanted in 2010; the past more hypothesis loaded course entitled "grammar Theory and Practice." It came as a reaction to the possible and instructive changes that the ELT people group experienced at home and abroad. Contrasted with the former course, this course is unmistakably more research-based, down to earth and homeroom situated. Indeed, even from the careless

Perception, one can presume that the course has given equivalent significance to language structure showing speculations and homeroom exercises. There are four units through and through. Each is managing a specific part of teaching English punctuation to EFL understudies: Unit I: Basic Concepts of Grammar II: Grammar in Practice III: Grammar and the Language Teacher IV: Pedagogical Grammar Unit I gives fundamental hypothetical ideas of various sorts of sentence structure. for example, theoretical grammar and instructive sentence structure, primary language and useful language structure, rigid sentence structure, and precise language structure, etc. Unit II is dedicated to various instructional ways to deal with encouraging English sentence structure pursued by their study hall application. The unit draws in the educators in the investigation of three noteworthy segments of English sentence structure. The central part exhibits twenty-four remarkable sentence structure themes starting with inquiries and completion with talk connectors and talk's markers. A snappy rundown trails the open exchange of every language point. Sentence structure focuses are spoken of from three unique measurements: structure and capacity. The second part introduces issues that ESL/EFL understudies face in learning English sentence structure. While talking about the issues, the proof has been predominantly drawn from Arabic, French, German, Chinese, and Korean settings. The third segment presents proposals for educating.

Additionally, the unit likewise comprises of different exercises for encouraging troublesome syntax focuses, investigation of basic blunders made by students from various language foundations and down to earth recommendations for tending to student mistakes. For this unit, the course has endorsed a course book and referential guide entitled "The Teacher's Gram-

mar of English" (2009) by Cowan. Unit III presents the foundation and open learning of academic sentence structure. The group is partitioned into four noteworthy sub-units: Grammar and Grammars, Teachers' Knowledge of Grammar, Grammar, and Learning, and Grammar and Teaching, every unit has three to four research-based articles by (educational) grammarians and analysts like Leech, Mitchell, Andrews, Willis, Bygate, Batstone and others. Every one of the pieces is educationally situated, and they endeavor to interface hypotheses of instructive sentence structure to instructing and learning of English language to and by ESL understudies. The last unit manages the use of various ways to deal with language introduction, practice, and remedy in the homeroom. It further introduces unique assets, strategies, and exercises helpful for educating and having understudies practice English language structure focuses. This unit manages the accompanying four noteworthy useful parts of sentence structure instructing:

- Techniques for introducing language structure focus: The important strategies or methods for introduction are deductive (for example introducing sentence structure from guidelines), inductive (for instance entering language structure from models), content-based (for example introducing sentence structure through writings).

- Methods for drawing in understudies in language practice: The critical practice exercises are penetrating, composed activities, data hole exercises, personalization assignments, sentence structure translation, and discussion.

- Models of coordinating punctuation focus: The Presentation, Practice, and Production (PPP) and the Task, Teach and Task (TTT) are the two critical models prescribed for the reconciliation of sentence structure focuses into regular language exercises. While displaying the upsides and downsides of each, the need is given to the last mentioned.

- Procedures and assets in showing punctuation: The instructors are presented to a broad scope of strategies valuable for encouraging sentence structure focuses on the understudies all things considered. The appreciation centered methods, for example, tune in and physically react, tune in and draw, tune in and shading, tune in and control, and so on are prescribed for the low capability understudies while generation centered systems, for example, narrating, pretending, sensation, critical thinking and so on are suggested for the higher capability understudies. The vital assets prescribed are stories, productions, shows, recorded discussions, amusements, issues, lyrics and refrain, pictures. The substance uncovers that the course as

per the existing language instructing learning patterns and methodologies, for example, Communicative Language Teaching, Task-based Language Teaching, and Grammar in Context. The course features the job of syntax for instructors and students, and its responsibility in ELT instructional method. The curriculum anticipates that the understudy educators should instruct grammar to their understudies:

• Through informative exercises (with the goal that they will know the tenets of English as well as the principles of their utilization in ordinary correspondence);

•Through undertaking based practices (with the goal that familiarity and exactness can be grown all the while);

• In setting (so their punctuation creates as a component of in general talk);

• By planning exercises and exercises for showing the English language;

• By recognizing and utilizing proper assets and strategies for educating sentence structure. Such a pattern of encouraging sentence structure appears to be new in our unique situation, where training language structure through the direct methodology has been a standard for a very long time. The course shuns conventional sentence-level language structure and organizes talk level grammar.

5. Student's perception of the teaching of grammar

Studies have identified that the value that students placed on grammar instructions that were given by the teachers was based on their current language proficiency with their previous learning experiences and other cultural variables (Schulz, 2001). It seemed that students who had examined English in their nations of origin trusted that further grammar guidance was not going to help them in utilizing or learning the language in the ESL setting (Ellis, 2002).

Students' who communicated the conviction that specific grammar guidance was superfluous or insufficient appeared to do as such dependent on their apparent language necessities at the time (Ellis, 2006). In a study that was conducted involving international student considering engineering as their career paths felt that it was vital for them to learn grammatical rules and to practice the language in which they would apply the rules in their spoken communication with other to be able to attain fluency. In the same field of study, another student expressed their situation that they felt that grammar study was not useful in their stage of learning and career since

their intend profession was not based much on grammar and structure of the language (Kern, 1995). This introduced another aspect of the students thought that they felt that they did not need additional grammar teaching from their teachers since they could learn the grammar from their books and previous studies in a school which still did not meet their requirements. Some of the students felt that they required learning how to apply grammatical rules in the English communication approach, which they felt was more beneficial in comparison to their educational success (Farrell, 2005). For an understudy to have the capacity to learn EAL, they should act naturally sure about themselves and have the ability to work on discussing the language, notwithstanding when committing errors. An investigation that was finished by Clement and Kruidenier, 1985 in which they had thought of French-speaking Canadian. They reasoned that communication with the people that we're talking a comparable language manufactured the relevance, capability, and the fearlessness of the less fatty. The EAL instructor has a job of empowering collaboration of both the local and the non-local speaker by advancing comprehension among them and supporting the incorporations. This can be continued through gathering work, pretending and helping the local English speaker to likewise gain from the non-local the way of life and their language.

Dorneyei (1994) through the ESL educator discussion with the ESL understudies ought to be found on where the understudies see themselves later on. This empowers them to bust their self-assurance on what they need to do by defining objectives that are practical and moving in the direction of them in class. Making the objectives together can be an inspirational factor to the ESL understudies and overseeing them in advancement can likewise be so promising for the ESL understudies, so they don't feel overpowered with the learning procedure of ESL.

6. Teacher-student relationship

As indicated by Pianta (2014) who clarifies that the connection between the ESL instructor and the understudy should be specific for this permits extensive correspondence, enthusiastic and scholarly help to existing between the two gatherings. The bond that is shared between the understudy and the instructor depends on shared acknowledgment, getting, warmth, closeness, trust, care, and collaboration. This sort of setting urges the homeroom to turn out to be a more significant amount of humanistic concerning the benefits of finding out about existence contrasted with it just turning into a scholarly setting.

Hughes et al. (2006) concur with the factor that the dimension of help that the ESL educator provides for the understudy makes a study hall atmo-sphere. The environment in the ESL substantially affects the ESL student. ESL influential teachers make their student's observation change towards learning ESL, and in this way, the understudies become increasingly occu-pied with learning ESL, will in general work harder in their study hall and discourse, acknowledge being analysis, heading, have an approach to adapt to pressure related situations better and focus on the educator. It likewise makes the ESL understudy feel bolstered and roused to learn ESL.

By and large, the scholastic execution of ESL understudies, and significant observed as being identified with the relationship of the instructor under-study relationship and a negative exhibition can be connected to a negative correlation (Yunus et al., 2011).In being a casualty of hatred, it subjects the kids to enthusiastic outcomes, for example, being pushed, discouraged, and losing their confidence, and so forth. These outcomes influence the learn-ing of the ESL students, and some of them may elect to drop out of school or be available; however, not take an interest in the class. Research has demonstrated that a positive connection between instructor understudy has a centrality that is incredible in lessening harassing since different students that are rehearsing the tormenting demonstration, imagine that the educator will become more acquainted with about it since the one being harassed has a decent instructor relationship.

As indicated by O'Connor and McCartney (2007) improving the ESL stu-dents' academic accomplishment should start with the improvement of ed-ucator understudy relationship that merits more consideration in light of the dynamic quality or the related idea of the relationship. They further clarify that the ESL educator enthusiastic help to the understudy and the scholarly help are critical in ESL scholastic accomplishment.

7. The motivation of ESL students

A positive connection between the teacher and the student encourages the student to feel aroused in learning. An examination that was finished by Gardner (2007) on the outer impacts that sway ESL students. One of his discoveries was the educator an inspiration factor, particularly in the em-powering confidence of ESL understudies who were delicate, and respon-sive. The ESL understudies were progressively persuaded with regards to academic tutoring.

As indicated by the inspiration show that was worked by Gardner (2007)

that achievement is accomplished for the most part by the integrative roused ESL understudies. The end was that if the ESL instructors can help the ESL understudies to coordinate into the learning networks which are the existing school networks, they are visiting; at that point, it would urge instrumental inspiration to learn of ESL. The meaning of Dornyei (1994) clarifies that some ESL understudies would not have any desire to be individuals from that specific culture, yet the ESL educator discloses to them the benefits of learning ESL.

Gardner (2007) concurs that for ESL understudies to appreciate ESL learning, they should be persuaded by the ESL educator. Her clarification is these ESL educators have the most impact in making enthusiasm for instruction by preparing the materials that are pertinent to picking up intriguing to the ESL understudies. In light of premium, the ESL educators can make learning recreations, exercises that are testing and fascinating to the more slender that conveys pleasure to the homeroom and inspires the understudy.

As Dornyei (1994) says that the educators must assume the liability of the guardians to support and rouse the understudies in their learning procedure. The guardians could impart inspiration among their youngsters; however, this has not been the situation constraining educators to play the job themselves. The educators must guarantee that the ESL appreciates the adapting yet not compelling them to learn. Research done on Korean understudies that are learning ESL demonstrated that because the guardians of these kids talked almost no English, they were not ready to help their youngsters in the English homework task and in this way these understudies felt next to no persuaded in examining ESL contrasted with different subjects. For this situation, it was discovered that if the ESL instructor overlooks the requirements of this understudy, at that point, they feel less roused to learn ESL and might surrender.

8. Conclusion

It is said that teachers have a role in constructing or demolishing. The decision is primarily in their grasp while educating. Cultural practices or religion can impact the learning of international students is relying upon what they accept and how they will identify with the ESL teacher however an expert instructor will have the ability of how to manage the decent social variety expertly without influencing the students.

The educator must direct out of the outer weights. Dorneyei (1994) distinguishes that the student self-sufficiency limits outside influence by em-

powering the global understudy and educator collaboration through an association of the learning procedure. The ESL teacher should allow the learning procedure in the students' hands so the ESL understudy can trait the achievement or the disappointment of the learning exertion possesses their own as opposed to accusing different factors, for example, culture, religion, and a decent variety of the general population.

References

1. Andrew, R. (1994). Teaching speaking in the Nepalese context: Problems and ways of overcoming them. Journal of NELTA, 1-9.
2. Carjkler. (2002). Teacher Trainees' Explicit Knowledge of Grammar and Primary Curriculum . Educational Linguistics Applied Linguistics and Language Teacher Education.
3. Cowan, R. (2009). The teacher's grammar of English. CUP: Cambridge.
4. Dornyei, Z. (1994). Motivation and Motivating in the Foreign Language Classroom. The Modern Language Journal, 273-284.
5. Ellis, R. (2002). The place of grammar instruction in the second/foreign curriculum. New perspectives on grammar teaching in second language classroom, 17-34.
6. Ellis, R. (2006). Current issues in the teaching of grammar: An SLA perspective. TESOL Quarterly, 83-106.
7. Farrell, S. (2005). The reflective assignment: Unlocking pre-service English teachers' beliefs on grammar teaching. TESL-EJ, 1-13.
8. Gardner, R. (2007). Motivation and Second Language Acquisition. Porta Linguarum, 9-20.
9. Hudson. (2005). The English Patient: English grammar and teaching in the twentieth century. Journal of Linguistics, 593-622.
10. Hughes. (2006). .Influence of Student-Teacher and Parent-Teacher Relationships on Lower Achieving Readers' Engagement in the Primary Grades. J Educ Psychol, 39-51.
11. Kern, R. (1995). Students' and teachers' beliefs about language learning. Foreign Language Annals, 71-92.
12. Krashen, S. (1985). The input hypothesis: Issues and implications. London: Longman.
13. Leech, G. (1994). Students' grammar – Teachers' grammar – Learners' grammar. UK: Prentice Hall.
14. Mitchell, R. (1994). Grammar, syllabuses and teachers. Grammar and the language teacher, 90-104.
15. Myles, M. a. (2004). Second language learning theories. Great Britain: Horder Arnold.
16. Nunan, D. (1988). Stllabus design. OUP: Oxford.
17. O'Connor and McCartney, (2007). An Experimental Approach to Teaching Modelling. Mathematical Modelling, 35-45.
18. Pianta, R. (2014). Enhancing relationship between Children and teachers. Washington, DC: American Psychological Association.
19. Richards, R. a. (2004). Methodology in language teaching anthology of current practice. UK: Cambridge University Press.
20. Schulz, A. (2001). Cultural differences in student and teacher perceptions concerning

the role of grammar teaching and corrective feedback: USA–Colombia. The Modern Language Journal, 244–258.
21. Thornbury, S. (1999). How to teach grammar. England: Pearson Education Limited.
22. Yunus. (2011). Teacher-student relationship factor affecting motivation and academic achievement in ESL classroom. Retrieved from https://core.ac.uk/download/pdf/82058341.pdf

جديدنا

ادخال مجلة وميض الفكر للبحوث إلى معامل التأثير العربي ونيلها الأرقام (Ref.No:2020J1010)؛

وكذلك نالت رقم الـ (DOI:1018756/2020J101) .

كما تم فهرستها في مؤسسة الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية تحت رقم؛ code ARCI-2007-1110

